


KÖPRÜLÜ KÜT.
42
M. ASIM BY.

جلد ثالث شعر شهاب الدين

٢٢

فهرس الجلد الثالث من شرح الشفاء للشهاب

مم
م



﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿فصل﴾ فى انشقاق القمر وحبس الشمس) اى فى ذكر معجزته صلى الله تعالى عليه وسلم بشق القمر له وجعله فلقتين وفى منع الشمس عن مسيرها للغروب كما سيأتى بيانه وهذا كان عقب قصة الاسراء وفى معناه رد الشمس الآتى فى قصة على واقتصر فى الترجمة على هذا لانهما فى المعنى سواء ولما سيأتى (قال الله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر) قدم اقتربت الساعة عليها تخويفا لمنكرى ذلك واثباته وتقديرا فى نفوس المؤمنين بها اذ تشقق السموات فيها كالقادر على ذلك الفعال لما يريد كيف لايقدر على شق القمر واقتربت بمعنى صارت قريبة من بعثته صلى الله تعالى عليه وسلم كما ورد فى الحديث بعثت انا والساعة كهاتين واشار باصبعه الوسطى والسبابة لان التفاوت بينهما مقدار سبع و بعثته صلى الله تعالى عليه وسلم فى الالف السابعة على ما اشتهر عند المحدثين وغيرهم وانما كانت الساعة قريبة لان عمر الدنيا على المشهور سبعة آلاف وكسور وقيل اكثر من ذلك وقد بعث نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فى آخرها الفا وحيث لم تبق الاصبابة وقوله وانشق القمر اى وقع شقه وجعله فلقتين فى الزمن الماضى بمكة معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم اذا قال المشركون له ارنا آية وهذا ما عليه جمهور المفسرين وقيل ان المعنى انه سينشق فى المستقبل اذا قامت القيامة وعبر بالماضى لتحققه ورده جماعة وقالوا انه مبنى على قول الفلاسفة ان الاجرام العلوية لاتقبل الخرق والالتيام ويكذبه القرآن وقوله فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان وقوله (وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر) اى دائم او محكم من امر الحبل اذا احكم فتله وقد ثبت انشقاق القمر

له صلى الله تعالى عليه وسلم فى الصحيحين واخبر به جماعة من الصحابة والى بيان ذلك اشار بقوله (اخبر الله تعالى بوقوع انشقاقه بلفظ الماضى واعراض الكفرة عن آياته ومعجزاته التى لايمكن البشر الاتيان بمثلها (واجمع المفسرون واهل السنة على وقوعه) فى الماضى وقال السبكى رحمه الله تعالى انه متواتر لايجوز انكاره وردوا قول الماوردى ان الجمهور على خلافه وتأويل ينشق بمعنى سينشق فانه لووقع لم يبق احد الارآه ولم يعتد المصنف رحمه الله تعالى بهذه المقالة وهى لا تخرق اجماع السلف من اهل السنة ومثله لبس من اهل التفسير بل من اهل التأويل عنده الا ان بعضهم نظر فى حكايته الاجماع بان السجاوندى والنسفى قالا فى تفسيريهما انه منقول عن الحسن البصرى وكذا قال ابو الليث فى تفسيره ان معناه سينشق وعزاه بعضهم للجمهور ومن الغريب ما حكى عن بعض شراح المدونة ان فلقة منه نزلت لجنبه وخرجت من كمه صلى الله تعالى عليه وسلم ولما ارسل ابو بكر ابن الطيب رسولا لملك الروم بقسطنطينية وقيل له انه اجل علماء الاسلام احضر بعض بطارقته لمناظرته فقال له تزعمون ان القمر انشق لنبيكم فهل للقمر قرابة منكم حتى ترونه دون غيركم فقال له وهل بينكم و بين المائدة اخوة ونسب اذا رأيتموها ولم ترها اليهود و يونان والمجوس الذين انكروها وهم فى جواركم فافحم ولم ينفه بشئ (اخبرنا الحسين بن محمد) هو ابو على الغسانى الجيانى تقدم مفصلا ترجمته (الحافظ من كتابه) لابقراءته عليه (قال حدثنا القاضى سراج بن عبد الله الاصيلى) السابق ترجمته وفى نسخة اخبرنا فى جميع ما يأتى (قال حدثنا المروزى) تقدم مع بيان نسبته (قال حدثنا الفربرى) تقدم بيانه وضبط نسبته (قال حدثنا البخارى) الامام المشهور (قال حدثنا مسدد) عبد الملك بن عبد العزيز الاسدى ومسدد بوزن اسم المفعول لقب له كمسرهد وهو مسدد ابن مسرهد بن مسربل بن معزبل بن مرعبل بن ارندل بن سرندل بن عرندل بن ماثيل بن المستورد محدث البصرة وقال ابو نعيم لوكان فى اول هذه النسبة بسم الله الرحمن الرحيم كانت رقية للعقرب وهو امام حافظ روى عنه اصحاب الكتب الستة وتوفى سنة ثمان وعشرين ومائتين (قال حدثنا يحيى) ابن سعيد بن ابان الاموى الحافظ اخرج له اصحاب الكتب الستة وتوفى سنة اربع وتسعين ومائة وسنه ثمانون وترجمته فى الميزان (عن شعبة) بن الحجاج العتكى الحافظ امير المؤمنين فى الحديث كما تقدم (وسفيان) ابن عيينة ابو محمد الهلالى الكوفى احد الاعلام الذى اخرج له الستة وتوفى سنة ثمان وتسعين ومائة كما تقدم (عن الاعمش) سليمان بن مهران السابق ترجمته (عن ابراهيم) النخعى السابق ترجمته (عن ابى معمر) الازدى الكوفى وهو بفتح الميمين وسكون العين (عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم) اى فى زمانه وحياته والعهد يأتى بهذا المعنى كما فى القاموس وغيره وذكره للرد

على من يقول انه سيكون بعده يوم القيامة (فرقتين) بكسر الفاء وسكون الراء المهملة بمعنى قطعتين والمراد نصفين وانتصابه على المصدرية من معنى انشق كقعد جلوسا او بتقدير وافترق (فرقة فوق الجبل وفرقة دونه) بالنصب بدل من فرقتين والجبل حراء او ابو قبيس وفوق يجوز رفعه ونصبه ودونه بمعنى فى مقابلته منفصلا عنه لا تحته كما قيل لما سيأتى (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اشهدوا) انما قال ذلك لان المشركين اجتمعوا اليه صلى الله تعالى عليه وسلم فقالوا ان كنت صادقا فشق لنا القمر فرقتين فقال لهم ان فعلت تؤمنوا قالوا نعم فسأل ربه ان يعطيه ما قالوا فشق القمر فرقتين ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينادى يا فلان يا فلان اشهدوا وذلك بمكة قبل الهجرة رواه ابن الجوزى فى الوفاء عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وقاله لانه وقع ليلا فى وقت الغفلة اى اشهدوا على معجزتى ونبوتى ووقوع ما طلبوه لانهم اهل بهتان وجحد وفى صحيح مسلم انه انشق مرتين قال ابن القيم فى كتاب اغاثة اللهفان المرات يراد بها الافعال تارة والاعيان اخرى واكثر ما تستعمل فى الافعال واما فى الاعيان فكقوله فى الحديث انشق القمر مرتين اى فلقتين ولا يخفى هذا على بعضهم زعم ان الانشقاق وقع مرتين ويأتى ما فيه عن قريب (وفى رواية مجاهد) التى رويت عن ابن مسعود فى الصحيحين (ونحن مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) جملة حالية تفيد انه شاهد ذلك ولم يسمعه من غيره (وفى بعض طرق الاعمش) كما رواه احمد فى مسنده بزيادة قوله (بمنى) منون وغير منون اسم بقعة معلومة سميت بها لكثرة ما يمنى بها من الدم اى يراق ويقال لها المنازل ايضا ويقال نزلوا اذا اتوا منى قال انازلة اسماء ام غير نازلة قاله ابن هشام اللخمى فى شرح المقصورة واختلفت الروايات فى محل الانشقاق فقيل بمكة وقيل بمنى وفى اخرى رئى جرا بينهما وقيل شقة منه على ابى قبيس واخرى على السويد او الجماعة الذين طلبوا ذلك منه صلى الله تعالى عليه وسلم الوليد بن المغيرة وابو جهل والعاص بن وائل والعاص بن هشام والاسود بن عبد يغوث والاسود بن عبد المطلب ونظراؤهم وهذه الروايات فى محله لا تنافى بينها لان كل راء يرى القمر بان امكان رؤيته (ورواه ايضا عن ابن مسعود الاسود) بن يزيد بن قيس بن عبد الله ابن علقمة ابن سلامان ولم يعينه المصنف رحمه الله لشهرته وهو من كبار التابعين معروف بالرواية عن ابن مسعود وهو من المعروفين بالزهد وكثرة العبادة توفى سنة خمس وسبعين (وقال) اى ابن مسعود (حتى رأيت الجبل) يعنى جبل حرام على ما تقدم (بين فرجتى القمر) اى فلقتيه وقطعتيه لبعد ما بينهما وهى بضم الفاء وفتحها والضم اولى لان فعلة بالفتح للمرة وبالكسر للهيئة وبالضم للمقدار الحاصل كالغرفة للمغروف والفرجة الفضاء ما بين الشيئين فتجوز به عن المنفرج نفسه اذ الظاهر بين القطعتين المنفرجتين وقصة ابى عمرو مع الحجاج فى قراءته غرفة

وسماعه من العرب * ربما ضاقت النفوس من الامر له * فرجة كحل العقال * مشهورة (ورواه) اى ما ذكر (عنه) اى عن ابن مسعود كما ذكره البيهقى فى الدلائل (مسروق) ابن الاجدع الهمدانى الكوفى من كبار التابعين تقدمت ترجمته وانه توفى سنة ثلاث وستين (انه) اى الشق او ابن مسعود (كان بمكة وزاد فقال كفار قريش سحركم ابن ابى كبشة) يعنون النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال ابن حجر هو احد اجداد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقيل هو جد وهب جد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لامه وقيل عليه ان ام وهب اسمها عاتكة بنت الاوقص بن مرة بن هلال ولم يقل احد من النساء بين ان الاوقص يكنى بابى كبشة وقيل هو جد عبد المطلب لامه وتعقب ايضا بان ام عبد المطلب سلمى بنت عمرو ابن زيد الخزرجى ولم يقل احد ان عمرا يكنى بابى كبشة ايضا وقيل انه ابوه من الرضاعة وهو الحارث بن عبد العزى وله بنت تسمى كبشة كنى بها وذكر ابن حبيب ان له صلى الله تعالى عليه وسلم اجدادا من قبل ابيه وامه تكنوا بذلك وانما قالوه لان من عادتهم اذا بغضوا احدا نسبوه لجد غامض له وفى النهاية انه رجل من خزاعة خالف قريشا فى عبادة الاوثان وعبد الشعرى العبور فلما خالفهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يرض الهتهم شبهوه به فى ذلك وفى القاموس انها كنية وهب بن عبد مناف او كنية عمرو والد حليمة السعدية مرضعته صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى كل حال ارادوا به تنقيصه فزاده ذلك شرفا (فقال رجل منهم) اى من كفار قريش قيل انه ابو جهل (ان محمدا ان كان سحر القمر) حين شقه او خيل لكم شقه (فانه لا يبلغ) اى لا يصل شئ (من سحره ان يسحر الارض كلها) اى اهلها كلهم (فسئلوا من يأتيكم من بلد آخر) غير مكة (هل رأوه) اى القمر او شقه او الامر الذى وقع وفى نسخة هل رأوا هذا (فاتوا) اى اتوا من قدم على اهل مكة من غيرها (فسئلوا) اى سئلوهم هل رأوا ذلك (فاخبروهم) لما سألوهم (انهم رأوا مثل ذلك) اى مثل رؤيتهم فالتشبيه بين الرؤيتين والمرئى واحد وهو القمر المنشق (وحكى السمرقندى) تقدم ترجمته (عن الضحاك نحوه) اى مثل الحديث الذى ذكره اولا (وقال) اى الضحاك فيما رأوه (فقال ابو جهل) لقريش لما شاهدوا انشقاق القمر بعد ما سئلوه (فابعثوا الى اهل الآفاق) بالمد جمع افق بضمتين او بضم فسكون وهو هنا بمعنى الناحية وما ظهر من الفلك ومطلق الشمس كما بينه علماء الهيئة وهو الافق المرئى والافق الغير المرئى له احكام اخر والمعنى ارسلوا ناسا لمن جاوركم من البلاد ليسئلوا من بها (حتى ينظروا) اى يعرفوا (ارأوا ذلك ام لا) الهمزة استفهامية وفى نسخة هل رأوا وشاهدوا مثل رأه اهل مكة ام لم يروه لانهم خيل لهم امر لم يقع وفى نسخة حتى ننظر بنونين (فاخبر اهل الآفاق انهم رأوه)

اى القمر حالة كونه (منشقا) والفاء فصيحة اى فسئلوهم فاخبروا (فقالوا
يعنى الكفار هذا سحر مستمر) اى دائم باق غير ذاهب على حاله الى غير النهاية
من المرور او محكم قوى من امرار الحبل وهو شدة فتله وقال ابو عبيدة معناه باطل
وهو بعيد بحسب اللغة وانما قالوا انه مستمر لان هذا اشارة الى ما صدر قبله
من الآيات المتابعة يقفو بعضها اثر بعض كما اشار اليه القاضى ولولا هذا لم يتأت
ماقالوه وان انشقاقه لم يستمر بعد الليلة التى وقع فيها وهذا يكون اشارة للشخص
وللنوع كما حققه النحاة (ورواه ايضا عن ابن مسعود علقمة) بن قيس بن مالك النخعى
الفقيه الكبير التابعى الجليل ولد فى حيوة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وتوفى فى سنة
اثنين وستين والرواية عنه مشهورة فى الكتب الستة (فهؤلاء الاربعة) يعنى مجاهدا
والاسود ومسروقا وعلقمة كلهم رووا هذا الحديث (عن عبد الله) بن مسعود
رضى الله عنه ثم ذكر له طريقا آخر فقال (وقد رواه غير ابن مسعود كما رواه ابن مسعود)
وقدم حديث ابن مسعود وجعل رواية غيره كالمتابعة له لانه لم يرو حديث الانشقاق
رواية مسندة فى غاية الصحة واعتمدها الائمة غيره وهى مما اتفق عليه الشيخان واحمد بن
حنبل وابن الصلاح وغيره رجحوا ما اتفق عليه الشيخان على غيره وقال انه مقطوع
بصحته (منهم) اى ممن رواه غير ابن مسعود واعاد ضمير الجمع نظرا لمعناه (انس وابن
عباس وابن عمر وحذيفة وعلى جبير بن مطعم رضى الله عنهم) وهذه الروايات كلها
فى الكتب الستة وغيرها مخرجة فرواية انس وابن عباس فى الصحيحين و رواية ابن
عمر فى صحيح مسلم والترمذى و رواية حذيفة ابن اليمان فى الدلائل وغيرها و رواية
ابن مطعم بكسر العين فى مسند احمد والبيهقى ولذا قال (فقال على) كرم الله
وجهه (من رواية ابى حذيفة الارحبى) واسمه سلمة بن صهيب على الاصح نسب
لارحب حى من همدان بهمزة مفتوحة وراء مهملة ساكنة وحاء مهملة مفتوحة وباء
موحدة قبل ياء النسبة وهو من الثقاة المشهورين (انشق القمر ونحن مع رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم) والجملة حالية وضمير نحن لعلى ومن كان معه لا لمن تقدم
(عن انس) خادمه صلى الله تعالى عليه وسلم وحديثه من مرسل الصحابة لان
الحادثة وقعت وهو لم يسلم اذ ذاك وهذا من مرجحات حديث ابن مسعود رضى الله
تعالى عنه (سأل اهل مكة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اية) معجزة غير مارواه
وفى الرواية المتقدمة انهم سألوه ان ينشق لهم القمر (فاراهم انشقاق القمر فرقتين)
بكسر الفاء وسكون الراء وفى رواية فلقتين باللام بدلها وهما بمعنى قطعتين ونصفين
كامر (حتى رأوا حراء ما بينهما) اى بين القطعتين وما زائدة للتأكيد وفى نسخة
حذفها وحراء بكسر الحاء وفتح الراء المهملتين وهمزة ممدودة وتفتح حاؤه مع القصر
وهو جبل بمكة معروف كان صلى الله تعالى عليه وسلم يتعبد فيه كذا قاله التلمسانى

وقال انه يذكر ويؤنث ويجرى ولا يجرى وهذا مما ذكره غيره من اهل اللغة اذا عرفت
هذا فما قاله الخطابى من انهم يغلطون وفى حراء ثلاث غلطات يفتحون حاؤه وهى
مكسورة ويقصرونه وهو ممدود ويميلونه وهو لا يمال شئ لا اصل له الا قلة النظر
فى كتب اللغة (رواه عن انس قتادة وفى رواية معمر وغيره عن قتادة عنه) اى عن
انس (اراهم القمر مرتين انشقاقه) بالنصب بدل من القمر بدل اشتمال وفى تقديم
مرتين فى هذه الرواية دليل على ما قلناه سابقا من ان التعدد فى الاراءة لا فى
الانشقاق وانه مرتين كما ذهب اليه من نظر لظاهر هذه الرواية وان ماقيل
من ان اصل المرات فى الازمان والافعال وانها قد تكون فى الاعيان والاول
اكثر وهذا من قبيل الثانى فمعناه ومعنى فرقتين وفلقتين واحد وان هذا خفى على
من قال ان الانشقاق وقع مرتين وهو لم يقع الا مرة بلا اختلاف فيه ودعوى
الحافظ العراقى فى منظومته الاجماع على تعدده سهو منه وغفلة عما ذكر كدعواه
تواتره فيها وماقيل من انه كان مرة بمكة ومرة بحراء وهو على ثلاث اميال من مكة
فى طريق الذاهب لمنى وانه يدل على تعدد الازمان والا لزم التناقض فى هذه
الروايات وهى كلها صحيحة ولا يمكن عادة ان يكون الناس الذى رواه فى ذلك
الوقت فى هذه الامكنة الثلاثة وقد قالوا ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فهذا مما يقطع بتعدد الازمنة والامكنة ليس بشئ فانهم اذا رأوه بمكة شاهدوا وقوع
فلقة منه خلف حراء واخرى امامه من بعد والنظر لسعته من الافق وان لم يكونوا
ثمة كما مر ولا يخفى بعد كون من ذكر من كبار الكفرة معه ليلا بحراء وغيره من جبال
مكة وبراريها فالذى تحرر فى الجمع بين هذه الروايات انه تباعد ما بين الفلقتين
جدا ليكون اظهر فى دفع الانكار فانه لو تقارب لقال هؤلاء انه من
غلط الحس فلما اشهدهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على ذلك اشار مرة الى فلقة
منه وقال اشهد يافلان ويافلان ثم اراهم مرة اخرى فلقة اخرى وقال اشهدوا
وكل ذلك كان بمكة ليلا والقمر فى وسط السماء بحذاء حراء وبحذاء غيرها
من الجبال والاماكن البعيدة فلا تعدد فى الشق ولا تدافع بين الروايات ولا طعن
فى شئ منها وهذا ان شاء الله مما لا ينبغى العدول عنه فان القول بان المرات فى الاعيان
لا صحة له فى اللغة واستعمال الناس فلو قطع انسان بطيخة قطعتين دفعة واحدة
وقال قطعتها مرتين كذبه من سمعه واستهزاء به فعليك بالنظر الجديد وان تطرح
من جبذ وكره على التقليد (ونزلت اقتربت الساعة وانشق القمر) مؤيدا المعجزة
صلى الله تعالى عليه وسلم وبهذا تقوى الحديث وصار كالمتواتر وتأويله بانه سينشق
اذا قامت القيمة يأباه قوله بعده وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر كما لا يخفى
على من له نظر سديد (ورواه عن جبير بن مطعم ابنه محمد وابن ابنه جبير بن محمد)

فرواه عن ابيه عن جده وجبير الثانى روى عنه ابوداود حديثا واحدا قال البرهان ولا اعلم له تخريجا ولا توثيقا ورد بان ابن حبان ذكره فى كتاب الثقاة (ورواه عن ابن عباس عبيدالله بن عبدالله بن عتبة) الامام الجليل القدر احد الفقهاء السبعة وهو ثقة مأمون خرج له اصحاب الكتب الستة وتوفى سنة ثمان وتسعين ومائة (ورواه عن ابن عمر مجاهد) بن جبير وقدمنا ترجمته (ورواه عن حذيفة ابوعبدالرحمن السلمى) بضم السين وفتح اللام وهو ابوعبدالرحمن بن عبدالله بن حبيب الامام المشهور بقرى الكوفة وحافظ السنة توفى سنة ثلاث وسبعين تقريبا وخرج له الائمة الستة رحمهم الله تعالى (ومسلم ابن ابى عمران الازدى) البصرى هو ابوعبدالله المعروف بالبطين نسب للازد بسكون الزاى المعجمة ويقال لها اسد بالسين ايضا اسم قبيلة عظيمة والازد اسم جدهم الاعلى وهم حى من اليمن واليهم ينتهى نسب الانصار (واكثر طرق هذه الاحاديث صحيحة) الطرق هى الاسانيد والرواة تسمى طرقا لوصول الحديث الينا منها وعبر بالاكثر اشارة الى ان فى بعضها ضعفا وقيل مراده بالصحيح هنا مايقابل الحسن فكلها صحيحة مع التفاوت فيها (والآية مصرحة) بمافى الاحاديث من الانشقاق وفيه اشارة لما قلناه من ان فيها مايمنع التأويل الذى جوزه بعضهم (ولايلتفت الى اعتراض مخذول) اصل معنى الخذل ترك النصرة والاعانة ثم قيل لكل من لم يكن على الحق وطريق الهداية والمراد به من انكر هذا بقصد الطعن فى المعجزة لامن اول الآية بخلافه فانه ذهب اليه بعض المفسرين كمامر الا انه ايضا لاينبغى القول به ايضا (بانه لوكان هذا) الانشقاق (لم يخف على اهل الارض) كلهم (اذ هو شئ ظاهر لجميعهم) تعليل لقوله لم يخف (اذ لم ينقل الينا عن اهل الارض انهم رصدوه تلك الليلة) اى ترقبوه ونظروا الى مطلعه والرصد الترقب ومنه اخذ الرصد المعروف عند المنجمين فهو منقول منه وليس بمعنى لغوى (فلم يروه انشق) رأى هنا بصرية وانشق حال اى وقد انشق ولايلزم ان يعرفوا انه سينشق فى تلك الليلة فيرصدوه كما قيل بل يكفى فيه سماعهم له من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيرصدوا ماوعدهم به ليعرفوا حال خبره وهو ظاهر واذ الثانية تعليل لعدم الالتفات ثم اجاب بجواب آخر على فرض تسليم ماذكر فقال (ولونقل) بالبناء المجهول (الينا) انهم رصدوه فلم يروه انشق (عمن لايجوز تمالؤهم على الكذب) اى طائفة من اهل الارض لايجوز اجتماعهم على الكذب فى خبرهم (لكثرتهم) من الملاء وهم الجماعة المجتمعون المتفقون على امر واحد لانهم يملأون مكان اجتماعهم (لما) اللام جواب لو وما نافية فيهما مخففة (كانت علينا به حجة) اى لم يكن مااجتمعوا عليه حجة ودليلا يقوم على عدم وقوعه فعلينا مقدم من تأخير متعلق بحجة لتوسعهم فى الظرف (اذ لبس القمر فى حد واحد) الحد الوصف

المميز للشئ مأخوذ من الحد بمعنى الحاجز ومنه حدود الدار اى لبس القمر على حال واحد (لجميع اهل الارض) اى عند جميعهم لاختلاف احواله باختلاف مطالعه بالنسبة لبعض دون بعض فقد يطلع فى ليلة فى بعض البلاد دون بعض كما بينه علماء الهيئة فقد يكون ليلة انشقاقه طالعا بمكة دون غيرها فلو قال غيرهم لم نره انشق فى تلك الليلة لم يكذبوا ولذا قال المصنف (فقد يطلع على قوم قبل ان يطلع على آخرين) ولهذا لوشهد اهل بلد برؤية هلال رمضان لم يلزم غيرهم صومه كما قرره الفقهاء (وقد يكون) رأى القمر (من قوم بضد ماهو من مقابلتهم من اقطار الارض) جمع قطر بضم فسكون وهو الناحية كالطلوع فى بعضها والخفاء فى بعض (او يحول) بالحاء المهملة اى يكون حائلا مانعا من رؤيته (بين قوم وبينه سحاب اوجبال) شاهقة فلايرونه مع رؤية غيرهم له (ولهذا) اى لكونه لبس على حال واحد فى جميع اقطار الارض (نجد الكسوفات فى بعض من البلاد (دون بعض) منها والكسوف معروف وهو كون جرم القمر غير مضئ مسود لحيلولة الارض بيننا وبينه كما فى محله (وفى بعضها جزئية وفى بعضها كلية) والكسوف الجزئى كسوف جزء منه والكلى كسوف جميع جرمه نسبة للجزء وللكل (وفى بعضها لايعرفها الا المدعون لعلمها) اى فى بعض البلاد يعرف الكسوفات بعض الناس الذين يعرفون علم الهيئة دون غيرهم ممن لايعرفونه كالكسوف تحت الارض فانه يقع كثيرا عندهم ويترتب عليه احكامه وغيرهم لايعرفها بل لايقدر على تصورها وعبر بالادعاء اشارة الى ان مثله ليس بثابت عند علماء الشرع بعد وليس المراد به اختلاف المطالع كما قيل وماذكره المصنف بناء على ان الكسوف يكون فى القمر فلايرد عليه ماقيل من ان الصواب ان يقول الخسوف قال الراغب الخسوف للقمر والكسوف للشمس وقال بعضهم الكسوف فيهما اذا زال بعض ضوئهما والخسوف اذا ذهب كله يقال خسفه الله تعالى وخسف هو انتهى وقد يستعمل كل منهما بمعنى الآخر مطلقا وعليه الاستعمال فى عرف التخاطب وعليه مشى المصنف رحمه الله تعالى فلااعتراض عليه وله تفصيل ليس هذا محله (ذلك تقدير العزيز العليم) اى سير القمر واحواله من الكسوف وغيره كله بقدرة الله العلى العظيم الغالب بقدرته على كل مقدور المحيط علمه بكل معلوم لاكما يقول الفلاسفة انه بقوة فلكية لاحكام نجومية لايمكن تخلفها وقيل انه وقع فى اصل الحكيم بدل العليم وان صوابه العليم لانه الموافق للتلاوة واعتذر له بانه لم يرد الاقتباس من القرآن ولذا لم يقل قال الله تعالى والذى رأيناه فى جميع النسخ العليم (وآية القمر كانت ليلا) اى الآية والمعجزة بانشقاق القمر وقعت فى الليل قال الخطابى الحكمة فى ذلك ان من طلبها من قريش طلبها ليلا فاراد الله تعالى وقوعها ليلا ولواراد وقوعها نهارا

ليكون محسوسة لكل احد فعل ذلك ولكن الله جرت عادته باهلاك كل امة اتاها نبيها باية عامة يدركها الحس ان لم يؤمنوا بها فخص الله تعالى هذه الامة برحمته فجعل آية نبيها صلى الله تعالى عليه وسلم على حال لايقتضى اهلاكها (والعادة من الناس بالليل) اى فيه (الهدو والسكون) عطف تفسير اى النوم وعدم الحركة كما قال جعل الليل سكنا والهدو بهمزة بعد الواو ويجوز ابدالها واوا وادغامها (وايجاف الابواب) اى اغلاقها بكسر الهمزة وسكون المثناة التحتية وجيم وفاء واصله معناه الاسراع فى السير واستعمل فى الاغلاق لانه مما يسارع اليه عند الحاجة لاسيما ليلا وهو تجوز سايغ شايع فما قيل انه لم يوجد فى كتب اللغة فلعله هنا وجف بمعنى اضطرب والهمزة فيه للسلب لان يغلق الابواب يزول الاضطراب تكلف لاداعى له ومن يغلق بابه ولايخرج من بيته لايرى القمر فكنى به عن ذلك (وقطع التصرف) والنظر لشئ فضلا عن رصد النجوم وكل هذا مبالغة فى ان هذا امر لايستبعد (ولايكاد يعرف من امور السماء شيئا الامن رصد ذلك) اى الامن تقيد بالنظر اليه وترقبه ليلا (واهتبل به) اى بذل جهده واعتنى به غاية الاعتناء من قول العرب اهتبل الصيد اذا طلبه من مظانه وهو متعد بنفسه وعداه المصنف رحمه الله تعالى بالباء لانه ضمنه معنى الاعتناء (ولذلك) اى لكونه امر ليلى فى زمان غفلة ونوم (مايكون الكسوف القمرى كثيرا فى البلاد) مازائدة لتحقيق الكلام وقيد بالقمرى بناء على شمول الكسوف للشمس والقمر واحترز عن الشمس لظهوره (واكثرهم لايعلم به حتى يخبر) بالبناء للمجهول اى يخبره الناس العارفون به لوقوعه (وكثيراما) منصوب على الظرفية او المصدرية وما زائدة للتأكيد (يحدث الثقاة بعجائب يشاهدونها من انوار) بيان لعجائب وجمع النور وهو على ظاهره لانه قد يحدث فى الجو نور زائد على ماعهد او المراد به شعل نارية كذوات الاذناب التى تمتد فى الافق فى بعض الليالى وينسب لها امور تذكر فى كتب الملاحم (ونجوم طوالع عظام تظهر فى الاحيان بالليل فى السماء ولا علم عند احد منها) لانها تسير تحت الارض حتى تقطع درجات فى دائرتها وتصل الى مافوق الارض فتظهر بعد الخفاء وهو مشاهد كثيرا مفصل فى فنه (وخرج الطحاوى) بالخاء المعجمة المفتوحة وتشديد الراء المهملة المفتوحة قبل الجيم والتخريج نقل حديث بسنده من الكتب المعتمدة ومسانيد الائمة المحدثين وبيان صحته وغيرها والطحاوى بفتح الطاء والحاء المهملتين والف وواو بعد هاء ياء نسبة منسوب لطحا قرية من قرى مصر وهو الامام الجليل القدر المحدث ابو جعفر احمد بن محمد بن عبد الملك ابن سلمة بن سليم الازدى ثم المصرى الحنفى لاالمالكى كما قيل ولد سنة تسع وثلاثين ومائتين وتوفى ليلة الخميس مستهل ذى القعدة سنة احدى وعشرين وثلاثمائة وكان اولا شافعيا من تلامذة المزنى ثم تحنف وانتهت اليه رياسة الحنفية بمصر

وله تأليف جليلة (فى مشكل الحديث) هو كتاب جليل له فى الحديث اشتهر بالآثار (عن اسماء بنت عميس) مصغر وهى زوجة ابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنهما وترجمتهما مشهورة وكانت اولا زوجة جعفر بن ابى طالب (من الطريقين) وسندين مختلفين فى روايته هذا الحديث عنها ورواه الطبرانى باسانيد مختلفة رجال اكثرها ثقاة وهذا الحديث فى رد الشمس او حبسها لعلى رضى الله تعالى عنه كما سيأتى قال ابن الجوزى انه موضوع بلاشك وفى رواياته مضطربة وفى رواية رجال متهمون بالكذب والوضع كاحمد بن داود قال الدارقطنى وابن حبان قالا انه كذاب متروك الحديث وضاع وعمار بن مطر متروك ايضا ذكره الذهبى فى الميزان وذكر كلام الناس فيه وانه روى حديث رد الشمس وتعقبه بما روى عن ابى هريرة رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال لم ترد الشمس الا على يوشع بن نون وفى طريقة الثانى فضيل بن مرزوق وقد ضعفه يحيى وقال ابن حبان انه يروى الموضوعات وهذا الحديث باطل قال ابن الجوزى ولا تهم فيه الا ابن عقبة فانه رافضى يحدث بمثالب الصحابة وقد رواه ابن مردويه من حديث داود ابن فراهيج عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال نام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى حجر على ولم يكن اى على صلى العصر حتى غربت الشمس فذكر نحوه وداود ضعيف ضعفه شعبة قال ابن الجوزى ومن غفلة واضعه انه نظر الى فضيلة ولم يتلمح الى عدم الفائدة فيها فان صلاة العصر بعد غيبوبة الشمس صارت قضاء ورجوع الشمس لايعيدها اداء وقد ذكر ابن تيمية الحديث فى كتاب رد الروافض بطرقه وما فيه واطال فيه قلت طالعته ورأيت ما ذكره فيه من ان ذلك كان مرتين وانشد فيه شعر الحميرى (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان يوحى اليه) مرتبا بالصهباء (ورأسه) الشريف (فى حجر على) جملة حالية والحجر مثلث الحاء المهملة قبل جيم ساكنة وراء مهملة بمعنى الحضن وهو معروف والاظهر ان المراد انها كانت موضوعة على ركبته وهو نائم (فلم يصل) على رضى الله تعالى عنه (العصر حتى غربت الشمس) وغابت فانتبه (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) لعلى (اصليت يا على) بهمزة الاستفهام وفى نسخة هل صليت (فقال لا) اى لم اصلها (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم انه كان فى طاعتك وطاعة رسولك) لانه لم يزعج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من منامه وانتظر يقظته (فاردد عليه الشمس) اى اعدها لمكانها الذى غربت منه ليصلى الصلاة فى وقتها يقال اردد بالفك ورد بالادغام وهو دعاء وقد سمعت ماقاله ابن الجوزى انه لافائدة فيه بعد ماصارت قضاء ويأتى مافيه (شرقها) اى فى محل شروقها وفى رواية شروقها وهذا فى بعض النسخ وهو بفتح الراء وسكونها وهو بدل من الشمس او منصوب على الظرفية ومعناه ضوءها او ارتفاعها على الحيطان

او انبساطها على الارض وقيل انها لما حبست ومنعت من الحركة حتى يؤدى الصلاة فى وقتها وينافيه قوله (فقالت اسماء فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعدما غربت ووقفت على الارض والجبال وذلك بالصهباء) فى القاموس قلعة بقرب خيبر وكذا قاله غيره ففى قوله (فى خيبر) مسامحة او فيه مضاف مقدر اى فى قربها وخيبر بوزن ضيغم ارض بقرب المدينة فيها قلاع وقرى كان بها مساكن اليهود ثم خربت واليه الاشارة بقوله فى الهمزية

* ردت الشمس والشروق عليه * لعلى حتى يتم الاداء *

* ثم ولت لها صرير وهذا * لفراق له الوصال دواء *

(قال) اى الطحاوى (وهذان الحديثان ثابتان) رواية (ورواتهما) اى اكثرهما (ثقاة) جلعهما حديثين والمذكور حديث واحد تسمحا لانه روى من طريقين كما ذكره واعترض عليه بعض الشراح وقال انه موضوع ورجاله مطعون فيهم كذابون ووضاعون ولم يرد ان الحق خلافه والذى غره كلام ابن الجوزى السابق ولم يقف على ان كتابه اكثره مردود وقد قال خاتمة الحفاظ السيوطى وكذا السخاوى ان ابن الجوزى فى موضوعاته تحامل تحاملا كثيرا حتى ادرج فيه كثيرا من الاحاديث الصحيحة كما اشار اليه ابن الصلاح وهذا الحديث صححه المصنف رحمه الله تعالى واشار الى ان تعدد طرقه شاهد صدق على صحته وقد صححه قبله كثير من الائمة كالطحاوى واخرجه ابن شاهين وابن منده وابن مردويه والطبرانى فى معجمه وقال انه حسن وحكاه العراقى فى التقريب ولفظه انه صلى الله تعالى عليه وسلم صلى الظهر بالصهباء ثم ارسل عليا فى حاجة فرجع وقد صلى النبى صلى الله عليه وسلم العصر فوضع رأسه على حجر على فنام ولم يحركه حتى غابت الشمس فقال صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم ان عبدك عليا انما احتبس نفسه على نبيه فرد عليه الشمس الى آخره وانكار ابن الجوزى فائدة ردها مع القضاء لا وجه له فانها فاتته بعذر مانع عن الاداء وهو عدم تشويشه على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهذه فضيلة اى فضيلة فلما عادت الشمس حاز فضيلة الاداء ايضا وقد قال ابن حجر فى شرح الارشاد لو غربت الشمس ثم عادت عاد الوقت ايضا لهذا الحديث واما حديث ان الشمس لم ترد الا ليوشع حين قاتل الجبارين يوم الجمعة فلما ادبرت الشمس خاف ان تغيب الشمس ويدخل السبت فلا يحل له قتالهم فدعى الله تعالى فرد عليه الشمس حتى فرغ من قتالهم فقد اجيب عنه بانه لو قال قصة خيبر او المراد انها لم ترد لاحد من الامم السالفة فالحصر اضافى مع انه نقل ابن حجر عن المصنف رحمه الله تعالى فى الاكمال ان الشمس حبست لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فى الخندق حين شغل عن صلاة العصر حتى ادركها اداء وما روى انه قضاها بعد ما غربت الشمس لعله كان

فى يوم اخر وفى تفسير البغوى والكواشى والثعلبى ان الشمس ردت لسليمان ايضا وروى عن على وضمير ردوها عائد على الشمس فى الآية لعلمها وان لم يجر لها ذكر واقول ان السيوطى صنف فى هذا الحديث رسالة مستقلة سماها كشف اللبس عن حديث رد الشمس وقال انه سبق بمثله لابى الحسن الفضلى اورد طرقه باسانيد كثيرة وصححه بما لا مزيد عليه ونازع ابن الجوزى فى بعض من طعن فيه من رجاله والحاجة التى ارسل صلى الله تعالى عليه وسلم لها عليا قسمة غنائم خيبر وما ذكره من الحديث المعارض له لا يعارضه وهو انه لم يكن لنبى معجزة الا وكان لنبينا مثلها وهذه المعجزة كانت ليوشع وسليمان ومن غريب طرقه ما رواه الطبرانى فى الكبير عن اسماء ايضا قالت اشتغل على رضى الله تعالى عنه مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى قسمة الغنائم يوم خيبر حتى غابت الشمس فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يا على اصليت العصر قال لا يا رسول الله فتوضأ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وجلس فى المسجد فتكلم بكلمتين او ثلاثة كانها من كلام الحبشة فارتجعت الشمس كهيئتها فى العصر فقام على فتوضأ وصلى العصر ثم تكلم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بمثل ما تكلم به قبل ذلك فرجعت الشمس الى مغربها فسمعت لها صريرا كالمنشار فى الخشبة وطلعت الكواكب انتهى واذا صح الحديث علم منه ان الصلاة لبست بقضاء بل يتعين بهذا الدعاء الاداء والا لم يكن له فائدة فما اورده وارد عليه ولا حاجة الا ان يقال انه من خصائصه فانه لا يقع مثله حتى يقاس عليه وقد يقال بنظيره على القول باختلاف المطالع مالو صام اول يوم من رمضان ببلده ثم سافر وافطر ووصل لبلد فيها الشهر ناقص وعلم انه تم ببلدته فهل يلزمه قضاؤه تماما ام لا (وحكى الطحاوى عن احمد بن صالح) هو ابو جعفر الطبرى الحافظ الثقة روى عنه اصحاب السنن وتوفى سنة ثمان واربعين ومأتين وله ترجمة فى الميزان (كان يقول لا ينبغى لمن سبيله العلم) اى لمن طريقته ودأبه الاشتغال بالعلم ومعرفة الحديث فجعل نفس العلم طريقا لانه يصل به صاحبه الى سعادة الدارين (التخلف عن حفظ حديث اسماء بنت عميس الذى روته فى رد الشمس) (لانه من علامات النبوة) اى من الايات الدالة على ثبوتها لانه معجزة عظيمة وهذا مؤيد لصحته فان احمد هذا من كبار ائمة الحديث الثقاة ويكفى فى توثيقه ان البخارى روى عنه فى صحيحه فلا يلتفت الى من ضعفه وطعن فى روايته وبهذا ايضا سقط ما قاله ابن تيمية وابن الجوزى من ان هذا الحديث موضوع فانه مجازفة منهما وما قيل من ان هذه الحكاية لا موقع لها بعد نصهم على وضع الحديث وان كونه من علامات النبوة لا يقتضى تخصيصه بالحفظ خلط وخبط لا يعبأ به بعد ما سمعت (وروى يونس بن بكير) بالتصغير وهو ابو بكر الشيبانى الامام الثقة وقول ابى داود انه ليس بحجة مردود فان ابن معين وثقه وقال انه

صدوق توفى سنة تسع وتسعين ومائة وله ترجمة فى الميزان (فى زيادة المغازى روايته عن ابن اسحق) محمد بن يسار صاحب السيرة و روايته مفعول روى (لما اسرى برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واخبر قومه) من قريش بعد اسرائه (بالرفقة والعلامة التى فى العير) بكسر العين المهملة وهى الابل والرفقة جمع رفيق مثلث الراء اى اخبرهم بقافلتهم ومن فيها من الجماعة المترافقين والعلامة هى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم انه يقدمها جمل اورق على مافصل واشتهر فى السير و يأتى بعضه قريبا (قالوا متى يجئ) جواب لما اى فى اى يوم تصل لمكة وسؤالهم لامتحانه صلى الله تعالى عليه وسلم (قال يوم الاربعاء) بتثليث الباء والمداى تجئ يوم الاربعاء (فلما كان ذلك اليوم) بالرفع والنصب والاول اولى لانه نعت فاعل كان التامة بمعنى وجد (اشرفت قريش) بشين معجمة وراء مهملة اى قامت على شرف وهو المكان المرتفع وقوله (ينتظرون) حال اومستأنف اى يترقبون قدوم عيرهم وقافلتهم فى اليوم الموعود (وقد ولى النهار) اى قارب ذلك اليوم وهو يوم الاربعاء ان يتم ويدخل الليل بغروب الشمس فيه (ولم يجئ) العير واتصل اليهم فى المكان الذى وقفوا فيه لانتظارها (فدعا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى سأل ربه وتضرع له ان يمد ذلك اليوم حتى يجئ العير قبل انقضائه (فزيد له فى النهار ساعة و) ذلك انه (حبست له الشمس) ساعة اى امسكها الله بقدرته وعوقها عن سيرها المعتاد مقدار ساعة حتى قدمت العير قبل غروبها فى ذلك اليوم وقد تقدم انها حبست له صلى الله تعالى عليه وسلم فى الخندق ايضا وفى سيرة مغلطاى نقلا عن الخطيب فى كتاب النجوم انها حبست له صلى الله تعالى عليه وسلم ولداود عليه الصلوة والسلام ايضا وقال انه رواية ضعيفة وذكر البغوى وغيره فى سورة ص انها حبست لسليمان عليه الصلاة والسلام حين عرض الجياد كما مر آنفا (تنبيه) الذى ذكرهنا من حبس الشمس وان العير قدمت بعد العصر قبيل الغروب ينافيه ماورد من انها قدمت صباحا وعليه اقتصر المفسرون كالزمخشرى والبيضاوى فى اول سورة الاسراء وهو انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما رجع من الاسراء قعد حزينا لعلمه بتكذيبهم له فمر به ابو جهل عدو الله وقال له مستهزءا هل استفدت من شئ قال نعم اسرى بى فى الليلة الى بيت المقدس قال واصبحت بين ظهرانينا قال نعم قال اتحدث قومك بهذا قال نعم فنادى هلموا فانفضوا اليه حتى جلسوا اليهما فقال حدثهم بما حدثتنى به فقصه عليهم فمن بين مصفق وواضع يده على رأسه تعجبا للكذب على زعمهم وارتد ناس وسعى بعضهم الى ابى بكر رضى الله تعالى عنه وقال له هل لك فى صاحبك يزعم انه اسرى به الخ قال قد صدق وانى لاصدقه فيما هو اعظم من ذلك من اخبار السماء فسمى لذلك الصديق وكان فيهم من رأى المسجد الاقصى فقالوا له هل تستطيع

ان تنعته لنا قال نعم فنعته لهم ثم التبس عليه بعض امره فجئ بالمسجد الاقصى ووضع دون دار عقيل فنظره فنعته لهم فقالوا اصاب ثم قالوا له اخبرنا عن عيرنا هل لقيتها قال نعم مررت على عير بنى فلان بالروحاء وقد ضلوا بعيرا لهم وطلبوه وفى رحالهم قدح ماء وعطشت فشربته فسألوهم هل وجد واماء فى القدح قالوا نعم وهذه آية قال ومررت بعير بنى فلان وفلان راكب قعودا نفر فوقع وانكسرت قالوا نعم وهذه آية قالوا فاخبرنا عن عيرنا قال مررت بها بالتنعيم قالوا اخبرنا عن عدتها واحمالها وهيأتها ومن فيها قال كنت فى شغل عن ذلك ثم مثلت له فنعت ذلك لهم وقال يقدمها جمل اورق عليه غرارتان مخيطتان ان تطلع عليكم عند طلوع الشمس قالوا نعم وهذه آية اخرى ثم خرجوا يشتدون نحو الثنية وقالوا لقد قضى محمد بيننا وبينه حتى اتوا كذا فجلسوا ينتظرون طلوع الشمس كى يكذبونه فقال قائل منهم هذه الشمس قد طلعت وقال آخر هذه الابل قد طلعت يقدمها بعير اورق فرأوا فيها كل ماذكره فقالوا ان هذا الاسحر مبين انتهى مع طى لبعض الفاظه وهذا مناف لما رواه المصنف رحمه الله تعالى والعجب من بعضهم اذا اورد هذا هنا ولم يتنبه لما قلنا

* فوالله ما ادرى ءاحلام نائم * المت بنا ام كان فى الركب يوشع *

(لطيفة) من الاتفاقات الحسنة ان المظفر الواعظ ذكر يوما قريب الغروب فضائل على كرم الله وجهه ورد الشمس له والسماء مغيمة غيما مطبقا فظنوا ان الشمس غربت وهموا بالانصراف فاضحت السماء ولاحت الشمس صافية الاشراق فاشار اليهم بالجلوس وانشد ارتجالا

* لا تغربى ياشمس حتى ينتهى * مدحى لآل المصطفى ولنجله *

* واثنى عنانك اذا اردت ثناهم * انسيت ان كان الوقوف لاجله *

* ان كان للمولى وقوفك فليكن * هذا الوقوف لخيله ولرجله *

(فصل فى نبع الماء من بين اصابعه) اى خروجه من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم معجزة له يقال نبع ينبع نبعا ونبوعا من باب نصر وعلم وضرب ومنه الينبوع لعين الماء وهو مصدر مضاف لفاعله (وتكثيره ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم) اى تكثير الماء ببركة وضع يده الشريفة عليه وهو نبع ايضا وان لم يشاهده الناس وقد كان هذا مرات كثيرة و رويت بطرق متعددة فى الصحيحين وغيرهما ففى بعضها انه بقدح وفى بعضها جفنة وفى بعضها ميضاة وهى اناء معدة للوضوء وفى بعضها مزادة والماء قليل فكفى جماعة كثيرة فى بعضها كانوا خمس مائة وفى بعضها ثمان مائة وفى بعضها خمسمائة والف الى غير ذلك مما اعتنوا بجمعه فى المعجزات وهذه المعجزة اعظم من معجزة موسى اذ نبع له الماء من الحجر لانه معتاد * وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار * الآية واما خروجه من لحم ودم فلم يعهد كما قال الشاعر

* ان كان موسى سقى الاسباط من حجر * فان فى الكف معنى ليس فى الحجر *

(ولله در الابوصيرى فى قوله فى لاميته)

* ونبع الماء عذبا من اصابعه * وذى اياد عليها قد جرى النيل *

قالوا وهذا الماء افضل من ماء زمزم والكوثر ويحتمل قوله وتكثيره ان لا يكون عطف تفسير بل من عطف الاعم على الاخص ليشمل ما كان بدعائه ونفل ريقه فيه وهو الاظهر والبركة اليمن واصل معناه زيادة الخير فهو مناسب هنا جدا (اما الاحاديث فى هذا فكثيرة جدا) اى كثيرة عظيمة يفوت الحصر وهو مصدر لازم النصب والتنكير وفيه ايماء الى انها لاتدرك الابغاية الجد والاجتهاد فيها وقال النووى رحمه الله تعالى انها بلغت مرتبة التواتر (روى حديث نبع الماء من بين اصابعه صلى الله تعالى عليه وسلم جماعة من الصحابة) بفتح الصاد مصدر فى الاصل كالصحبة ثم صار جمعا للصحابى (منهم انس وجابر وابن مسعود) رضى الله تعالى عنهم واشار بمن التبعيضية الى انه روى عن كثير غير هؤلاء كبلال وابن عباس رضى الله تعالى عنهما لانه وقع بين الجم الغفير منهم فى الحديبية وغيرها كما قال اولا ان احاديثه كثيرة جدا فلا حاجة لما قيل ان الكثرة باعتبار المخرجين لها فى كتبهم من ائمة الحديث حتى صار متواترا معنويا وانما نص على رواية هؤلاء لقوة صحتها برواية الامام مالك والشيخين (حدثنا ابو اسحق بن جعفر الفقيه رحمه الله تعالى بقرأتى عليه) هو ابن احمد الفاسى اللواتى نسبة للواتة بفتح اللام والواو المخففة تليها مثناة فوقية وهو شيخ المصنف رحمه الله تعالى (قال حدثنا) القاضى (عيسى بن سهل ضد الصعب وتقدمت ترجمته (قال حدثنا ابو القاسم) حاتم بن محمد كما تقدم فى ترجمته (قال حدثنا ابو عمر بن الفخار) بفتح الفاء وتشديد الخاء لقب بمعنى كثير الفخر ونوع من الاوانى تجعل من الطين ولذا قيل

* لا يفخرن امرء بذات يد * فالكسر يدنو لكل فخار *

وقيل على المصنف رحمه الله تعالى ان الصواب ابو عبد الله بن الفخار قال ابن رشد ابو عمر الذى يروى عن ابى عيسى ليس بابن الفخار وانما هو ابن القطان الفقيه وهو ابو عمر احمد بن محمد بن عيسى القرطبى المتوفى سنة ستين واربعمائة وبقراءته على ابى عيسى سمع الموطأ يونس بن المغتب لكن ابن حاتم لم يذكر رواية عنه وانما يروى عن عبد الله محمد بن عمر بن الفخار المتوفى سنة تسع عشرة واربعمائة ففى كلام المصنف رحمه الله تعالى سهو من وجهين اذ سماه ابو عمر وهو ابو عبد الله وفى قوله (قال حدثنا ابو عيسى قال حدثنا يحيى) اذ سقط راو بين ابى عيسى ويحيى وهو عبد الله ابو مروان وقد ذكره المصنف رحمه الله تعالى على الصواب فى غير هذا المحل فيما مر وفيما سيأتى وابو عيسى هذا هو يحيى ابن عبد الله بن يحيى بن كثير

صاحب مالك وراوى الموطأ عنه وليس من قبيل الانقطاع لتصريحه بصيغة التحديث اللهم الا ان يقال انه جعل اتصاله فى غير هذا المحل قرينة على تقديره هنا فليتأمل قال ابو محمد القرطبى صوابه حدثنا عيسى حدثنا عبيد الله الخ وصوابه ابو عيسى بالكنية لا عيسى بالاسم لان اباعيسى انما تحمل عن عبيد الله بن يحيى عن ابيه يحيى وابو عيسى هو يحيى بن عبد الله بالتكبير بن يحيى سمع عم ابيه عبيد الله بالتصغير بن يحيى وقد تقدم على الصواب فى فصل الحلم والاحتمال و يأتى ايضا كذلك فى فصل كتبته (قال حدثنا مالك) امام دار الهجرة المشهور (عن اسحق بن عبد الله بن ابى طلحة) الامام المشهور الفقيه وانس عمه توفى سنة اثنين وثلاثين ومائة (عن انس بن مالك) قال فيما رواه مالك فى موطائه عنه والشيخان عنه (رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم و) قد (حانت صلاة العصر) بمهملة ونون اى قربت او دخل وقتها وهو مأخوذ من الحين بمعنى الوقت (فالتمس الناس الوضوء) بفتح الواو وهو الماء الذى يتوضأ به و يجوز ضمها والالتماس افتعال من اللمس بمعنى المس ثم صار حقيقة فى مطلق الطلب (فلم يجدوه فاتى) بالبناء للمجهول (بوضوء) تقديره باناء وضوء بقرينة قوله (فوضع يده فيه) وفى مسلم بقدح رجراج (وامر الناس ان يتوضأ منه قال) اى انس (فرأيت الماء ينبع من بين اصابعه فتوضأ الناس من عند آخرهم) اى جميعهم وتقدم معنى ينبع وانه بتثليث الباء وقد قالوا انه يحتمل ان الماء خرج من اصابعه صلى الله تعالى عليه وسلم حقيقة وهو الظاهر ويحتمل انه كثر من غير نبع منها وانما وضع يده فيه سترا عن الناس حتى لا يروه فيفتتن بعضهم به وتأدبا مع الله الذى لا يوجد المعدوم سواه واصابع جمع اصبع وفيه عشر لغات تثليث الهمزة مع تثليث الباء والعاشرة اصبوع قال ابن مالك رحمه الله تعالى * تثليث با اصبع مع ضم همزته * والفتح والكسر والاصبوع قد كملا * وعند مثلث العين والافصح الكسر وهى ظرف مكان يلزم النصب على الظرفية او الجر بمن و يتجوز بها عن العلم وغيره من معانيه وقوله من عند آخرهم لفظ مسموع من فصحاء العرب قديما وقال النووى انه لغة لبعضهم وعندهم من للغاية بمعنى الى ولم يأت على الاصل لان الى عنده لحن عندهم و نقله عن سيبويه وقيل بل هى هنا ابتدائية لابتداء الغاية اذ لم تسمع بمعنى الى وانه كناية عن الاستيعاب والشمول والمعنى توضؤا كلهم بحيث لو قيل ان ابتداء وضوئهم كان من آخرهم صدق قائله (اقول سمع ايضا من آخرهم بدون عند كما فى الكشاف فى اول البقرة وماذكره ركيك جدا فالصواب ان يقال انه كناية كما قال وتوجيهه ان ماء الوضوء كانه مأخوذ ومبذول من آخرهم والمعروف انه لا يبذل الا مافضل عن حاجته فكانهم بذلوه لاولهم ولمن بعدهم وماقاله النووى اسهل واظهر وقد نقل انه لغة فى شرح مسلم وهى عبارة النبى صلى الله تعالى عليه

وسلم ولشراح الكشاف فيه كلام فيها (و رواه ايضا) اى كالرواية السابقة (عن انس) رضى الله عنه (قتادة) كما فى صحيح مسلم (قال) اى انس فى هذه الرواية فاتى (باناء فيه ماء) الاناء بكسر الهمزة مفرد وتقدم ان آنية جمعه وليس مفردا كما يتوهم (يغمر اصابعه) بالغين المعجمة وميم وراء مهملة هو ما يسترها ومنه استعير الغمرة للشدة (اولا يكاد يغمرها) يعنى انه قليل لا يغطيها وتقدم انه صلى الله تعالى عليه وسلم فعله تسترا وتأدبا مع الله تعالى الذى لا يوجد المعدوم سواه وكان للمقاربة ونفيها ابلغ من نفى الفعل الذى هو خبرها والكلام عليها مشهور فلا حاجة لتكثير السواد به هنا كما فعله بعضهم (قال) اى قتادة لانس رضى الله تعالى عنه (كم كنتم) معاشر الناس الذين توضؤا من ذلك الماء (قال زهاء) بضم الزاى المعجمة والمد ويقال ايضا لها باللام اى مقدار (ثلاثمائة) رجل واصل الزهاء العدد الذى يقدر بالتخمين فقد ينقص او يزيد بمقدار يسير يقال زهوت القوم اذا حذرتهم وقدرتهم من غير عد حقيقى وليس من الزهو بمعنى الفخر والعجب (وفى رواية عنه) اى عن انس رضى الله تعالى عنه (وهم بالزوراء عند السوق) الزوراء مكان مرتفع قريب من مسجد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالمدينة وثمة سوقها (ورواه) اى حديث نبع الماء (ايضا حميد) بالتصغير وهو المعروف بالطويل واختلفوا فى اسمه فقيل تير وقيل تيرويه وقيل طرخان وقيل غير ذلك وهو ابو عبيدة مولى طلحة الطلحات الخزاعى او الدارمى مات وهو قائم يصلى سنة اثنين واربعين ومائة وهو ثقة اخرج له الائمة الستة الا انه نسب للتدليس وترجمته فى الميزان (وثابت والحسن) بن ابى الحسن البصرى كما تقدم (عن انس) وتفرد البخارى عن مسلم بالرواية الاولى والثالثة واتفقا على الثانية (وفى رواية حميد قلت كم كانوا قال) كانوا (ثمانين ونحوه عن ثابت عنه) اى عن انس (وعنه ايضا) اى عن انس (وهم نحو من سبعين رجلا) وفى مسلم عنه ايضا بين الستين الى الثمانين وحمل اختلاف الروات عنه على انهما كانا قضيتين فى وقتين و واقعتا حال حدث عنهما واذا كان الامر على التقريب والتخمين فلا اشكال ايضا (واما ابن مسعود ففى الصحيح) اى الحديث الصحيح او صحيح البخارى (عنه) اى عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه (من رواية علقمة) تقدم ترجمته (بينا نحن مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى كانوا مجتمعين عنده وبين ظرف والالف فيه اشباع كافة عن الاضافة كما ذكره النحاة وفى نسخة بينما وهى كبينا فيما ذكر وتقع بعدها الجملة الاسمية والفعلية وقد يتلقى باذ واذا والاصمعى يستفصح تركهما كما هنا (وليس معنا ماء فقال اطلبوا من معه فضل ماء) اى بقية من ماء كان او زيادة منه على حاجته وقدم انه صلى الله تعالى عليه وسلم انما طلبه تسترا لئلا يتوهم انه موجد له من العدم دون الله وهو الواجد الموجد لكل فأدب

بذلك مع الله ولو شاء لاوجده بدعائه وطلبه له من الله تعالى ولو شاء لاوجده ابتداء من غير شئ (فاتى بماء) بالبناء للمجهول والفاء فصيحة اى فطلبوا الماء فوجده بعضهم واتى به (فصبه فى اناء) اى صبه وسكبه فى اناء آخر مكشوف وكانه اتى به فى مزادة لا تدخلها اليد (ثم وضع كفه فيه) اى فى الاناء الثانى والعطف بثم لما بينهما من تراخ يسير بدعائه اى فدعا الله تعالى ثم الى آخره (فجعل ينبع) بتثليث الموحدة كامر و جعل بمعنى صار وليس الاسناد مجازيا كما قيل (من بين اصابعه صلى الله تعالى عليه وسلم) وهذه القصة هى المتقدمة وانما اعادها اشارة الى تعدد طرقها الدالة على ذلك ويحتمل انها غيرها (وفى الصحيح) اى صحيح البخارى او المراد فى الحديث الصحيح له ولغيره (عن سالم بن ابى الجعد) الاشجعى الكوفى وهو من كبار التابعين الثقاة روى عن ابن عباس وغيره وتوفى سنة مائة وله ترجمة مفصلة فى الميزان (عن جابر رضى الله تعالى عنه عطش الناس يوم الحديبية) وهو يوم معروف بمكان معروف بين مكة والطائف وهو مصغر وياؤه مخففة على الافصح ويجوز تشديدها كما تقدم (ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بين يديه) اى عنده فى مكان قريب منه (ركوة) بتثليث الراء المهملة وكاف وواو والافصح فيه الفتح و جمعه ركاء بالكسر والمد وهى اناء للماء من جلد كالابريق (فتوضأ) صلى الله تعالى عليه وسلم (منها واقبل الناس نحوه) اى جاؤا له صلى الله عليه وسلم (وقالوا له ليس عندنا ماء الا ماء فى ركوتك) جملة حالية والاستثناء متصل (فوضع صلى الله تعالى عليه وسلم يده فى الركوة فجعل الماء يفور) اى ينبع ويرتفع لزيادته (من بين اصابعه كامثال العيون) اى كان بين كل اصبعين من اصابعه الشريفة عين ماء نابعة (وفيه) اى فى حديث سالم هذا (فقلت) لجابر رضى الله تعالى عنه (كم كنتم) معاشر الصحابة (قال لو كنا مائة الف فكفانا) ذلك الماء لما شاهد من فورانه الدال على عدم انقطاعه (كنا خمس عشر مائة) يعنى الفا وخمس مائة رجل وهم اصحاب الشجرة وبيعة الرضوان وقد اختلف فى عددهم وهذه رواية مشهورة ولذا اقتصر عليها المصنف رحمه الله تعالى وقيل كانوا الفا واربع مائة وصحح هذه الرواية البيهقى وقيل كانوا الفا وست مائة وقيل الفا وخمسمائة واربعون وقيل وخمسة وعشرون وقيل وثمانون وقيل وثلث مائة وجمع ابن دحية رحمه الله بين الروايات بانه كان حذرا وتخمينا لا تحقيقا وتحديدا ورواية سبع مائة وهم من راويها (وروى مثله) بالبناء للمجهول اى من حديث سالم المذكور (عن انس عن جابر) صحح فى النسخ بدون عاطف بينهما فان صح هذا فليس رواية انس عن جابر رضى الله تعالى عنه فى الكتب الستة كما قاله البرهان الحلبى (وفيه) اى فى هذا الحديث انه كان بالحديبية كما فى الرواية التى قبله (وفى رواية الوليد بن عبادة

ابن الصامت عنه) اى عن جابر رضى الله تعالى عنه والوليد هذا ولد فى حياته صلى الله
تعالى عليه وسلم وتوفى فى خلافة عبد الملك بن مروان وهو ثقة لكنه قليل الحديث
واخرج له الشيخان والترمذى وابن ماجه وهو يروى عن ابيه (فى حديث مسلم الطويل)
صفة للحديث (فى ذكر غزوة بواط) بضم الباء الموحدة وفتح الواو المخففة والف
وطاء مهملة وهى ثانى غزواته وهى مفصلة فى مسلم وغيره ويجوز فتح بائه ايضا وهى
اسم لجبال لجهينة على ابراد من المدينة فهى بقرب الينبع وكانت فى ربيع الاول سنة
اثنين وفى هذا الحديث معجزات له صلى الله عليه وسلم قال قال لى رسول الله صلى الله
عليه وسلم (ياجابر ناد الوضوء) ناد امر من النداء محذوف الآخر المعتل والوضوء بفتح الواو
وهو منصوب بمقدر ومفعول ناد مقدر ايضا اى ناد الناس وقل لهم اعطوا او ناولوا الوضوء
وهو الماء الذى يتوضأ به وفيه حث لهم عليه (وذكر الحديث بطوله) وفيه ان رجلا
من الانصار كان يبرد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ماء فى سقاء فلما اخبره انه نادى فلم
يجد الماء قال له انطلق الى فلان الانصارى فانظر هل فى اشجابه من شئ قال فانطلقت
اليه واخبره بماء عنده (وانه لم يجد) عند الانصارى (الاقطرة) اراد ماء قليلا جدا
(فى عزلاء شجب) بالاضافة اى فم قربة بالية وعزلاء بفتح العين المهملة وسكون
الزاى المعجمة ولام بعدها مدة وهمزة وهو فم الراوية ومصب الماء منها وجمعه عزالى
بفتح اللام وكسرها وشجب بفتح الشين المعجمة قبل او كسرها وسكون الجيم
وباء موحدة ما قدم من القرب او اعواد تعلق عليها القرب ونحوها وجمعه شجب
واشجاب واصل معناه الهلاك (فاتى به) بالبناء للمجهول ويجوز بناؤه للفاعل
والرواية الاول وضمير به للمذكور (النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فغمزه) بفتح
الغين المعجمة والميم والزاى المعجمة اى وضع يده عليه وكبسه بها والغمز هنا كالذى فى قوله

* وكنت اذا غمزت قناة قوم * كسرت كعوبها او تستقيما *

والغمز بالغين الاشارة بها الى معنى آخر (وتكلم بشئ لا ادرى ماهو) وفى الحديث انه
صلى الله تعالى عليه وسلم جعل يتكلم بشئ لا ادرى ماهو فكانه سر من اسرار الله
تكلم به بالسريانية ونحوها ليخفى على غيره وقد تقدم حكاية مثله فى رد الشمس المتقدم
(وقال ناد بجفنة الركب) الجفنة كالقصعة لفظا ومعنى وهى التى تشبع عشرة فاكثر
ودونها الصحفة ثم المأكلة والركب بفتح ثم سكون اسم جمع لراكب والمراد الناس
وان يكونوا راكبين بالفعل وهذا ماوقع فى رواية لقتادة والذى فى مسلم ناد بجفنة
فكانه لم يكن معهم الاجفنة واحدة وضمن ناد معنى ايت بها بدليل قوله (فاوتيت بها)
بالبناء للمجهول كما قاله البرهان الحلبى وغيره ويجوز البناء للفاعل وقيل مفعوله
محذوف اى ناد القوم ليأتوا بجفنتهم او هى منزلة منزلة من يعقل لا ان الله تعالى خلق
فيها ادراكا حتى تنادى هى فتأتى بنفسها ويكون ذلك معجزة له صلى الله عليه وسلم
لانه لم ينقل لنا مثله (فوضعتها بين يديه وذكر) جابر رضى الله تعالى عنه (ان النبى

صلى الله تعالى عليه وسلم بسط يده) بالسين والصاد وبهما قرئ اى وضع يده الشريفة
فى الجفنة مبسوطة ليكون ابرك (وفرق اصابعه وصب جابر عليه) ما كان
فى القربة من الماء (وقال) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (بسم الله) اتبرك
واطلب نبع الماء ويحتمل القسم لصحة نيته بذلك واقتصر عليه لانه المأثور فى سائر
الافعال لا لبيان انه يجرى بدون الرحمن الرحيم كما قيل ولو قلنا فاعل قال بسم الله جابر
كان اوفق بما فى الرواية من انه وضع يده فى قعر الجفنة وقال خذ ياجابر صب على
وقل بسم الله فصببت عليه صلى الله تعالى عليه وسلم وقلت بسم الله فلا يقال
كيف استبد جابر بالصب من غير اذن وان المصنف رحمه الله تعالى غير الرواية
ونسب لجابر مالم يقله فيجاب بان كمال جابر وما علم من دأب الصحابة رضى الله تعالى
عنهم معه صلى الله تعالى عليه وسلم قرينة على ماذكر (قال) جابر رضى الله تعالى
عنه (فرأيت الماء يفور) اى يزيد ويرتفع حتى يتدفق من فار القدر اذا غلا ما فيه
(من بين اصابعه) صلى الله عليه وسلم (ثم فارت الجفنة) اى فار ماؤها ففيه مضاف
مقدر او الاسناد مجازى للمبالغة فى فورانه (واستدارت) اى دار ماؤها لان الماء اذا
زاد بسرعة يرى كانه يدور وليس المراد ان الجفنة نفسها استدارت لعظم الامر فانه
لا محصل له (حتى امتلأت وامر الناس بالاستقاء فاستقوا حتى رووا) اى اخذ كل منهم
من الماء ما يكفيه ودوابه وشربوا حتى ذهب عطشهم الرى مقابل العطش وفيما
رواه المصنف رحمه الله بعض مخالفة لما فى صحيح مسلم بحسب اللفظ دون المعنى كقوله
ودارت وفى بعض نسخة فارت الجفنة ثم فارت بالتكرار (فقلت هل بقى احد له حاجة)
اى قال جابر فقلت الخ وهل هنا قيل انها نافية كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم
هل ترك لنا عقيل من دار ويجوز ان يكون استفهامية وقوله (فرفع رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم يده من الجفنة) الفاء فيه فصيحة اى فقال لا فرفع الى آخره وحديث
جابر هذا ليس فى شئ من الكتب الستة غير مسلم (وهى ملأى) بوزن سكرى اى مملوءة
بالماء لم ينقص شيئا بما اخذوه (وعن الشعبى) هو من كبار التابعين فحديثه هذا مرسل
والمرسل يستدل به عند مالك والمصنف رحمه الله تعالى مالكى المذهب (اتى النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم) بالبناء للمجهول اى اتاه بعض الصحابة باداوة بكسر وفتح
الدال المهملة والف وواو وهاء وجمعها اداوى وهى اناء صغير للماء من جلد ولذا
اضافها لقوله (ماء فى بعض اسفاره وقيل ما معنى يارسول الله ما غيرها فسكبها)
اى صبها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بنفسه او امر بصبها (ووضع اصبعه)
بالافراد وقد تقدم لغات الاصبع وانها عشرة (وسطها) بفتح السين وسكونها
وهو منصوب على الظرفية اى وضعه فى وسط مائها وفى الفرق بين الوسط مسكنا
ومحركا كلام فى كتب العربية ليس هذا محله وبيناه فى شرح الدرة وتقدم فيما مر

مافيه من الكفاية (وغمسها فى الماء) تفسير لماقبله والغمس بغين معجمة الادخال (وجعل الناس يجيئون ويتوضؤن) جعل هنا بمعنى صار وطفق نحو جعل زيد يقول كذا وهو احد معانيه الخمسة (ثم يقومون) بعد الوضوء (قال الترمذى) ابو عيسى امام اهل السنة المشهور صاحب الجامع وغيره (وفى الباب) اى فى هذا الباب الذى ذكر فيه معجزاته ونبع الماء (عن عمران بن حصين) بضم الحاء وفتح الصاد المهملتين اى يروى عنه مثله (ومثل هذا) الامر المعجز المروى فى هذا الحديث (فى هذه المواطن) جمع موطن وهو موضع التوطن وهو هنا بمعنى المجالس (الحفلة) بفتح الحاء المهملة وكسر الفاء واللام والهاء اى الكثيرة الناس (والجموع الكثيرة) اى جموع الناس الكثيرة فى مثل هذه المحافل (لا تتطرق التهمة) بضم المثناة الفوقية وفتح الحاء ويجوز تسكينها وتاؤه مبدلة من الواو والتهمة ما يتوهم ويظن فى شئ على خلاف الواقع وقيل التسكين غلط وهو ظاهر ما فى القاموس والصحاح ولا يكون الا اسما لما يتهم به وقيل انه بالسكون مصدر وبالفتح اسم كما فى شرح المفتاح لابن كمال وفيه نظر وتطرق بمعنى يصل واصل معناه يجد طريقا (الى المحدث به) بفتح الدال المهملة المشددة وكسرها (لانهم كانوا اسرع شئ الى تكذيبه) اى تكذيب المخبر عنه او الخبر لوقوعه بين ناس كثيرين لا يمكن تواطؤهم على الكذب (لما جبلت عليه النفوس من ذلك) اى الاسراع الى التكذيب (ولانهم) اى من حضر تلك المحافل (كانوا ممن لا يسكت على باطل) فلا يقرؤنه على ما قاله اذا كذب فيهم وهم عرفوا خلافه ولا يخافون فى الله لومة لائم (وهؤلاء) المذكورون من الصحابة وغيرهم (قد رووا هذا الحديث الذى فيه نبع الماء من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم (واشاعوه ونسبوا حضور الجماء الغفير له) اى قالوا انه وقع فى محافل ناس لا يحصون كثرة فلا يمكن كونه كذبا وحضور الجماء الغفير كجاؤا الجماء الغفير اى كلهم شريفهم ووضيعهم بحيث لم يتخلف منهم احد وفيه لغات واستعمالات كثيرة ذكرها فى القاموس وليس هذا محل تفصيلها (ولم ينكر احد من الناس عليهم ما حدثوا به عنهم) اى لم يقل احد ان ما نقلوه من هذه المعجزة انها لا اصل لها ونحوه (انهم فعلوه وشاهدوه) بفتح همزة ان بدل من ما حدثوا وما فعلوه كوضوئهم وتقديمهم الاداوة وصب الماء وغيره مما تقدم وما شاهدوه نبع الماء وتدفقه وكثرته (فصار) ما ذكر من كثرة من نقله من عدول الصحابة وعدم انكار غيره (كتصديق جميعهم له) اى لذلك الخبر والحديث فيتواتر تواترا معنويا وامرا مجمعا عليه وفى نسخة بهم (فصل ومما يشبه هذا) اى من المعجزات المشبهة لنبع الماء من بين اصابعه صلى الله تعالى عليه وسلم (من معجزاته) بيان لما او حال من اسم الاشارة (تفجير الماء ببركته) صلى الله تعالى عليه وسلم والتفجير الشق الواسع يقال فجر الارض فانفجرت وتفجرت ومنه الفجر بمعنى الصبح فاضافته

للماء اضافة مجازية من اضافة ما للمحل الى الحال قال عز وجل وفجرنا الارض عيونا او التفجير مجاز بمعنى الاخراج وهو شايع فيه وقوله ببركته اى بيمنه وجوده فى مكان اخرج منه الماء والبركة الخير الدائم وهى فى الاصل من البرك وهو الموضع الذى يضعه البعير على الارض اذا برك ومنه البركة وهو الموضع الذى يحبس فيه الماء وقوله تبارك وتعالى * رب انزلنى منزلا مباركا * اى كثير الخير وتبارك الله بمعنى زاد خيره الذى افاضه على عباده وهو لا يتصرف ولا يستعمل فى غير الله (وابتعاثه) وهو افتعال من البعث وهو الاثارة والاخراج للماء حتى يجرى (بمسه ودعوته) اى بلمسه لمحله ودعائه لله واخر هذا عن نبعه من بين اصابعه لان الاول اقوى من المعجزة لاحتمال هذا لكونه من الاتفاقيات كغيره من الماء الجارى وفى بعض النسخ انبعاثه من الانفعال بالنون وهما بمعنى واحد مطاوع بعثه فابتعث وانبعث كانشوى واشتوى وجعل هذا مشبها بذلك لما تقدم (مما روى مالك فى الموطأ) ومسلم فى صحيحه وعزاه المصنف للموطأ دونه لان روايته له اعلى سندا عنده او لترجيح روايته (عن معاذ بن جبل) الصحابى المشهور رضى الله تعالى عنه (فى قصة غزوة تبوك) بفتح المثناة الفوقية اسم مكان بين الشام والمدينة غزاه صلى الله تعالى عليه وسلم فى غزوة مبينة فى السير (وانهم) اى الجيش الذى كانوا معه صلى الله عليه وسلم (وردوا العين) تعريفها للعهد اى عينا بتبوك نزلوا عليها فى سفرهم هذا (وهى تبض) مضارع بض بزنة رد بموحدة وضاد معجمة مشددة من بض الماء اذا سال سيلانا قليلا ويجوز ان يكون بصاد مهملة من بص اذا لمع وبرق وهو رواية فيه وهو كناية عن قلة الماء ولذا قال (بشئ من ماء مثل الشراك) بكسر الشين المعجمة وفتح الراء المهملة والف وكاف وهو سير النعل الذى يكون على وجهه وشبهه به لقلته وضعف جريانه وليس بمعنى اخدود فى الارض كما قيل (فغرفوا من العين بايديهم حتى اجتمع) الماء الذى غرفوه (فى شئ) من الاوانى التى كانت معهم وليس فيه قلب وان الاصل غرفوا فى شئ حتى اجتمع ماء كثير كما توهم (ثم غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وجهه ويديه) ضمير فيه للشئ بمعنى الاناء او للماء وكان الظاهر منه ولكنه لمشاكلة قوله (واعاده فيها) اى فى العين التى غرفوا منها وضمير اعاده للماء لا للوجه كما توهم (فجرت بماء كثير) اى جرى من تلك العين ماء كثير (فاستقى الناس) اى شربوا وسقوا دوابهم (قال) اى معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه (فى حديث ابن اسحق) صاحب السير فيما رواه عن معاذ فى سيرته (فانخرق) بنون وخاء معجمة وراء مهملة وقاف اى انفجر انفجارا بشدة (من الماء ماله حس كحس الصواعق) الحس بحاء وسين مهملتين بمعنى الصوت المحسوس بحاسة السمع وهو مجاز مشهور يقال لما له حس اى يسمع حركته والصواعق يكون معها الصوت شديدة من الصعقة

وهى الصبحة وهو من تشبيه المحسوس بالمحسوس وهذا كان فى رجعته صلى الله تعالى عليه وسلم من تبوك كما قال ابن اسحق ثم انصرف قافلا من تبوك الى المدينة وكان فى الطريق ما يخرج من وشل ما يروى الراكب والراكبين والثلاثة بواد يقال له وادى المشقق فذكر القصة (ثم قال) النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بعد جرى الاستقاء (يوشك) بضم الياء المثناة التحتية وواو وشين معجمة مكسورة وكاف مضارع اوشك وفتح شينه لغة ردية كما فى القاموس وغيره ومعناه يقرب ويسرع من غير بطؤ (يامعاذ ان طالت بك حياة) اى ان اطال الله عمرك ورأيت هذا المكان (ان ترى) بعينك وهو فاعل يوشك وان بالفتح مصدرية (ما ههنا) ما موصولة اى الذى ههنا وهو اشارة للمكان (قدملئ) بالبناء للمجهول (جنانا) منصوب على التمييز وهو بكسر الجيم جمع جنة بفتحها وهى البستان اى يكثر ماؤه ويخصب ارضه فيكون بساتين ذات ثمار وشجر كثيرة والحديث طويل اقتصر المصنف منه على بعضه المراد منه اختصارا (وفى حديث البراء) ابن عازب بفتح الباء الموحدة كما تقدم (وسلمة بن الاكوع) افعل من الكوع بفتحتين وهو اعوجاج اليد وحديث البراء فى صحيح البخارى وحديث سلمة بفتحتين فى مسلم (وحديثه) اى حديث سلمة الذى رواه مسلم (اتم) من حديث البراء كما سيأتى (فى قصة الحديبية) التى قدمناها وفيها بيعة الرضوان (وهم اربع عشر مائة) رجل من الصحابة كما تقدم (وبئرها) اى وماء بئرها (لاتروى) بضم المثناة الفوقية (خمسين شاة) الشاة معروفة وروى اشاءة بهمزة مكسورة فى اوله ومفتوحة فى آخره وهى النخلة الصغيرة (فنزحناها) اى اخرجنا جميع ما فيها من الماء بطيئه (فلم يترك فيها قطرة) من مائها (فقعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على جباها) بفتح الجيم والباء الموحدة مقصور وهو فم البئر وما حولها وبالكسر ما جمع فيها من الماء ويروى شفاها بشين معجمة وهما بمعنى هنا (قال البراء واتى) بالبناء للمفعول (بدلو منها) اى من تلك البئر اى بماء دلو مما نزحوه منها (فبصق) اى القى ريقه (ودعا) بعد بصاقه اوهو شك من الراوى هل بصق فيها اودعا الله لتكثير مائها كما اشار اليه بقوله (وقال سلمة) راوى الحديث (اما دعا واما بصق فيها) بكسر همزة اما فيهما بيان للشك فى الرواية وفى نسخة فاما دعا الى آخره وضمير فيها راجع للبئر لا للدلو كما قيل (فجاشت) البئر اى فار ماؤها حتى ارتفع لفمها من جاشت القدر اذا غلت (فارووا انفسهم وركابهم) اى شربوا منها حتى ارتووا وسقوا ركابهم حتى رويت والركاب بكسر الراء المهملة الابل جمع لا واحد له من لفظه وقد علم ان حديث البراء رواه البخارى ولفظه قال تعدون انتم الفتح فتح مكة وقد كان فتح مكة فتحا ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية كنا مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اربع عشر مائة والحديبية بئر فنزحناها

فلم نترك فيها قطرة فبلغ ذلك النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاتاها فجلس على شفيرها ثم دعا باناء من ماء فتوضأ فتمضمض ودعا ثم صبه فيها فتركناها غير بعيد ثم انها اصدرتنا نحن وركابنا اى صرفتنا ونحن وابلنا رواء ولم يحتج للمقام بها لاجل الماء وان حديث سلمة فى صحيح مسلم وهو انه قال قدمنا الحديبية مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ونحن اربع عشر مائة وعليها خمسون شاة لاترويها قال فقعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على الركية فاما دعا واما بصق فيها قال فجاشت فسقينا واستقينا قال ثم ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم دعانا للبيعة فى اصل الشجرة فبايعته اول الناس ثم بايع حتى اذا كان فى وسط الناس قال بايع ياسلمة فقلت قد بايعتك يارسول الله فى اول الناس قال وايضا ورآنى رسول الله صلى الله عليه وسلم اعزل اى ليس معى سلاحا واعطانى جحفة اودرقة ثم بايع حتى كان فى آخر الناس قال الا تبايعنى ياسلمة قلت قد بايعتك يارسول الله اول الناس واوسط الناس قال وايضا فبايعته الثالثة الحديث ومنه تعلم ما قدمه المصنف من ان حديث سلمة اتم لما فيه من تفصيل القصة وانه كان عليها من يستقى للشاحين قدموا ولذكره كيفية المبايعة وما جرى له معه صلى الله تعالى عليه وسلم (وفى غير هذه الروايتين) كذا فى اكثر النسخ بتوحيد هذه وفى بعضها هاتين الروايتين قيل وهو الصواب لتثنية المشار اليه ووجه الاول بانه وحد اسم الاشارة لاتحاد الروايتين معنى لان القصة فيهما واحدة لكنه لا يخلو من التكلف والروايتان رواية البراء ورواية سلمة (فى هذه القصة) اى قصة الحديبية (من طريق ابن شهاب) الزهرى وقد تقدمت ترجمته مرارا (فى الحديبية) تفسير للقصة (فاخرج سهما من كنانته) هى ما يوضع فيه السهام لانها تكنها اى تسترها (فوضع) للبناء للمجهول وفى بعض النسخ فوضعه اى امر بوضعه (فى قليب ليس فيها ماء) القليب البئر المحفورة من غير بناء فان بنيت فهى طوى ويذكر ويؤنث وهو مخالف للرواية السابقة انه كان ماء قليل والذى وضع السهم البراء وقيل ناجية على ما يأتى (فروى الناس) بفتح الراء المهملة والمثناة التحتية وبينهما واو مكسورة اى شبعوهم ودوابهم لقوله (حتى ضربوا بعطن) هو بفتح العين والطاء المهملتين ونون محل تبرك فيه الابل عند الماء بعد شربها لتعود لعلل بعد نهل وضربوا بمعنى اقاموا من ضرب الخيمة اذا نصبها يقال ضربت الابل بعطن اذا بركت يعنى انهم اذا رأوا كثرة الماء نزلوا عنده وهذا الحديث رواه البيهقى مسندا لمروان بن الحكم والمسور بن مخرمة قال فيه خرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لزيارة البيت لا يريد حربا فذكر الحديث وفيه انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال ايها الناس انزلوا فقالوا ما بالوادى ماء ينزل عليه فاخرج سهما من كنانته اعطاه رجلا من اصحابه فقال انزل للقليب واغرزه فيه

ففعل فجاش الماء حتى ضرب الناس بعطن وفيه ان الذى نزل فى البئر خلاد الغفارى دلاه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعمامة وقيل هو ناجية السلمى وكان البراء ابن عازب رضى الله تعالى عنه يقول انا الذى نزلت كذا فى دلائل النبوة (وعن ابى قتادة) هو الحارث بن ربعى وقيل النعمان بن ربعى وقيل اسمه عمرو وهذا الحديث رواه البيهقى ايضا فلذا عطفه فقال (وذكر ان الناس شكوا الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم العطش فى بعض اسفاره) لانه كان يوما شديد الحر (فدعا بالميضاة) بكسر الميم وياء منقلبة عن واو لانها آلة الوضوء وهى مقصورة ووزنها مفعلة وقد تمد فوزنها مفعالة ودعى بمعنى طلب مطهرة ماء الوضوء فاتى بها (فجعلها فى ضبنه) بكسر الضاد المعجمة وسكون الباء الموحدة والنون وهو ما تحت الابط قريب من الحضن يقال اضبنته اذا جعلته فى ضبنك وبه سمى العيال كما فى الغريبين والمراد انه امسكها وضمها اليه (ثم التقم فمها) اى ادخل فمها فى فيه كما يدخل اللقمة (فالله اعلم) اى قال الراوى انى لا اعلم (نفث فيها ام لا) اى انفث فى تلك الميضاة ام لا والنفث بنون وفاء وثاء مثلثة نفخ لطيف بغير ريق كالنفخ واقل من التفل (فشرب الناس) من تلك الميضاة (حتى رووا) اى حصل لهم الرى المزيل للعطش (وملؤا كل اناء معهم) مما فضل عن شربهم (فخيل) بالبناء للمجهول (الى انها كما اخذها منى) اى مثل ما اخذها منى لم تنقص شيئا مما كان فيها حين اخذها منى وانما قال خيل لانه بالحدس اذ لم يتحقق مقدار ما كان فيها (وكانوا اثنين وسبعين رجلا وروى مثله عمران بن حصين وذكر الطبرى) محمد بن جرير الامام المشهور (حديث ابى قتادة) المذكور (على غير ما ذكره اهل الصحيح) اى فيه مخالفة لما رواه اصحاب الحديث المعتنون بتصحيحه (وان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم خرج بهم) اى بهؤلاء المذكورين من الصحابة رضى الله تعالى عنهم (ممدا لاهل موتة) بضم الميم وسكون الواو وجوز بعضهم همزها ساكنة ثم مثناة فوقية وهى ارض من البلقا وقرية من تبوك وحوران من الشام وممدا بمعنى مقويا ومعينا (عند ما بلغه قتل الامراء) ما مصدرية والامراء جمع امير وهم زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وجعفر ابن ابى طالب وعبد الله بن رواحة وذلك انه صلى الله تعالى عليه وسلم ارسل حارث بن عمير الازدى بكتاب الى ملك بصرى فلما نزل بموتة عرض له شرحبيل بن عمرو الغسانى فقتله ولم يقتل رسول له قبله فامر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم زيد بن حارثة على ثلاثة الاف وارسلهم لقتال شرحبيل وقال ان قتل زيد فاميركم جعفر فان قتل جعفر فاميركم عبد الله بن رواحة فان قتل فليرض المسلمون برجل منهم وعقد للسرية لواء دفعه لزيد واوصاهم كما ذكره اهل السير فلما التقوا قتل زيد ثم جعفر ثم عبد الله كما اخبرهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

فدفعت الراية لخالد بن الوليد الى آخر الحديث وفيه معجزات له صلى الله تعالى عليه وسلم من اخباره بالغيب كما اشار اليه بقوله (وذكر) اى ابن جرير (حديثا طويلا فيه معجزات وآيات للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم) كما ذكر وما شاهده من جعفر وطيرانه فى الجنة بجناحين وغير ذلك مما فضله الله تعالى به وعظم قدره (وفيه اعلامهم انهم يفقدون الماء فى غد وذكر) ابن جرير (حديث الميضاة) السابق (قال والقوم زهاء ثلاثمائة) اى قريب من ذلك بطريق الحزر والتخمين كما تقدم آنفا (وفى كتاب مسلم انه) صلى الله تعالى عليه وسلم (قال لابى قتادة) وقد رأى معه ميضاته (احفظ على) وفى نسخة علينا (ميضاتك) هذه وامسكها عندك (فانه) ضمير شان (سيكون لها نبأ) اى خبر عظيم وقصة عجيبة فى امر مائها وكفايته القوم وما يظهر بها من المعجزة العظيمة (وذكر نحوه) اى مثل ما تقدم (ومن ذلك) اى من قبيل المعجزة السابقة فى تفجير الماء (حديث عمران بن حصين حين اصاب النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه عطش فى بعض اسفارهم فوجه رجلين من اصحابه) اى ارسلهما لجهة من الجهات (واعلمهما انهما يجدان امرأة بمكان كذا) الرجلان عمران بن حصين الراوى وعلى بن ابى طالب كرم الله وجهه وقيل انهما على والزبير ابن العوام وفى البيهقى ان عليا خرج فى نفر من اصحابه ولم يسم احد هذه المرأة الا انه وقع فى السير انها اسلمت ولم يذكروا اسم المكان الان فى الحديث انه بروضة خاخ ان كانت القصة واحدة (معها بعير) قال اهل اللغة انه يطلق على الذكر والانثى (عليه مزادتان) المزادة بفتح الميم ظرف من جلد يحمل فيه الماء كالقربة وهو من الزيادة لانه زيد فيه جلد مع جلد لا من الزاد كما توهمه بعضهم فقال تثنية المزود (الحديث فوجداها) اى المرأة (واتيا بها الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فجعل فى اناء من مزادتيها) اى جعل ماء من مائها فى اناء عنده اى وضع فيه بعض ماء المزادتين (وقال فيه) اى فى الماء الموضوع فى الاناء (ما شاء الله ان يقول) المراد دعاؤه وذكر اسم الله عليه ونحوه مما لم يسموه ولذا ابهموه (ثم اعاد الماء) الذى اخذه فى انائه من المزادتين فرده بعد ما دعا له (فى المزادتين) اللتين للمرأة (ثم فتحت عزاليهما) ببناء الفعل للمجهول وعزاليهما بكسر اللام جمع عزلاء وهو فم القربة كما تقدم والتأنيث والجمع وليس للقربة الا فم واحد قيل لانها كانت تعدد فى قربهم عزلاء وان من اسفل وعزلاء وان من فوق وما كان من اسفل تخص باسم العزلاء والاحسن ان الجمع قد يطلق على الواحد وليس على حد قوله قد صغت قلوبكما لاختصاصه بما اذا كان المضاف مثنى وانما جنى على مائها لانها كانت جاريته ولضرورة العطش وقد قيل ان هذه المرأة اسلمت لما شاهدت هذه المعجزة العظيمة عنه صلى الله تعالى عليه وسلم (وامر) صلى الله تعالى عليه وسلم (الناس) ان يملؤا

منه (فملؤا اسقيتهم) جمع سقاء وهو اناء من جلد يوضع فيه الماء (حتى لم يدعوا شيئا) من اوانيهم (الا ملؤه) ماء (قال عمران) بن حصين رضى الله عنه (و) انا (يخيل الى) بالبناء للمجهول (انهما لم يزداد الامتلاء) فالجملة حالية بتقدير مبتدأ اى حال كونى وقع فى مخيلتى ان المزادتين بعد اخذ الناس منهما الماء انهما لم ينقصا بل زادا عما كانا عليه (ثم امر) صلى الله تعالى عليه وسلم ان يعطوها من زادهم شيئا بدلا مما اخذ من مائها تفضلا منه فان مائها لم ينقص (فجمع) بالبناء للمفعول اى جمع الناس للمرأة (حتى ملؤا ثوبها) وحملوه على بعيرها (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم للمرأة (اذهبى فانا لم نأخذ من مائك شيئا ولكن الله تعالى سقانا) من فضله واختلفت الروايات هنا ففى بعضها ما ذكره المصنف فقط وفى بعضها انهم ملؤا اسقيتهم وسقوا ابلهم وانه امرهم بذلك واستعماله صلى الله عليه وسلم من ماء القربة التى للكافرة لاينافى لنهى منه عن استعمال اوانيهم وانهم نجس وامره بغسلها اذا اضطروا لاستعمالها لاختصاصه بما يحتمل النجاسة كقدورهم واوانيهم التى تضعون فيها الخمر والخنزير وقرب الماء لايتوهم فيها ذلك (الحديث بطوله) اى اقرأ الحديث بطوله وتمامه ان اردت الوقوف عليه وفيه اشارة الى انه حديث طويل مروى فى كتب الحديث كالبخارى وغيره لاشتماله على رجوعها لقومها وذكرها لهم القصة بتمامها وتعجبها مما رأته من المعجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم لكن المصنف اقتصر على محل الشاهد منه (وعن سلمة بن الاكوع) رضى الله تعالى عنه تقدم بيانه انه قال (قال نبى الله صلى الله تعالى عليه وسلم) فى يوم من الايام (هل من وضوء) بفتح الواو كما تقدم وانه الماء الذى يتوضؤ به وبالضم نفس الفعل ومن زائدة فى المبتدأ المقدر خبره اى هل معكم وضوء وسوغ الابتداء بالنكرة وقوعه بعد الاستفهام (فجاء رجل باداوة) بكسر الهمزة ودال مهملة اى اناء من جلد صغير (فيها نطفة) اى ماء قليل وقد تطلق على غيره لتنزيله منزلته انكتة واصل معناها القطرة ومنه نطفة الرجل لمنيه (فافرغها فى قدح) اى صبها فى اناء (فتوضأنا كلنا) بالرفع توكيد لضمير الفاعل (ندغفقه دغفقة) مفعول مطلق وندغفقه بضم النون وفتح الدال المهملة وسكون الغين المعجمة ثم فاء مكسورة وقاف اى نصبه صبا كثيرا فى قولهم عيش دغفق اى واسع (اربع عشرمائة) من الرجال واربع بالرفع خبر مبتدأ مقدر اى ونحن اربع الى آخره او بدل من ضمير ندغفقه او توضأنا لانه بيان لعدد من توضأ وكثرتهم مع قلة الماء وصغر الاناء ونصبه على الحالية عن احد الضمائر (وفى حديث عمر) بن الخطاب رضى الله تعالى عنه الذى رواه البيهقى والبزار وابن خزيمة فى مسنده بسند صحيح (فى جيش العسرة) بضم العين فسكون

السين المهملتين وهى غزوة تبوك الواقعة فى سنة تسع من الهجرة وسميت بذلك لانها اتفقت فى زمان كانت النفقة والزاد فى غاية القلة عندهم ولذا لم يور النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيها كما كانت عادته فى اسفاره ولعثمان ابن عفان رضى الله تعالى عنه فيها اليد البيضاء لما جهزهم بماله كما بين فى السير وتسمى الفاضحة لافتضاح المنافقين فيها والعسرة هى الشدة والضيق (وذكر) عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه (ما اصابهم) اى جيش العسرة (من العطش) لقلة الماء (حتى ان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه) هو ما فى كرشه (فيشربه) اى يشرب ما عصره منه مع بعيره وقلته وهم كانوا يفعلون ذلك فى ضرورتهم (فرغب ابو بكر) رضى الله تعالى عنه (الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) والرغبة طلب ما يحبه ويتعدى للمطلوب بفى فيقال رغب فى كذا ولضده بعن فيقال رغب عنه ويكون بمعنى التضرع فيتعدى بالى لمن طلب منه اى تضرع وتذلل (فى الدعاء) اى فى دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم وتوجهه لربه ليزيل ما بالناس من البأس الذى علمه منهم (فرفع يديه) نحو السماء التى جعلها الله تعالى قبلة للدعاء ورفع اليدين نحوها سنة كمسح الوجه بهما بعده كما ذكره ابن حجر اى ودعا ربه وتضرع اليه كما ورد انه طفق يهتف بربه اى يدعوه ويناشده فى سرعة اجابته (فلم يرجعهما) بفتح الياء اى لم يرد يديه من دعائه ويرجع متعد كما فى قوله تعالى * فان رجعك الله * ويكون لازما ايضا (حتى قالت السماء) اى غيمت وظهر فيها سحاب من قولهم قال كذا اذا تهيأ له واستعد كما فى القاموس وفى بعض الحواشى يقال قالت السماء اذا ارعدت وغيمت وتفسيرها بامطرت لايناسب قوله (فانسكبت) اى انسكب ماؤها فالاسناد مجازى وكون السماء بمعنى المطر بعيد هنا وكذا كونه استخداما كقوله

* اذا نزل السماء بارض قوم * رعيناه وان كانوا غضابا *

فملؤا ما معهم من آنية) جمع اناء كاوان وبعضهم يظنه مفردا وهو وهم كما هو والاناء معروف (ولم يجاوز العسكر) فى يجاوز ضمير مستتر راجع للسماء بمعنى السحاب او للمطر المعلوم من السياق وهذه معجزة اخرى (وعن عمرو بن شعيب) بن محمد بن عبد الله ابن عمرو بن العاص السهمى الصحابى المشهور وفى الاحتجاج بعمرو هذا اختلاف واقوال والاكثر على الاحتجاج به وهو يروى عن ابيه وغيره واخرج له اربعة من اصحاب السنن وهذا الحديث ليس فيها وتوفى فى سنة ثمان عشرة ومائة ودفن بالطائف (ان اباطالب قال للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو رديفه) اى راكب خلفه وضمير هو للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وضمير رديفه لابى طالب (بذى المجاز) بفتح الميم والجيم والف ثم زاى معجمة وذى بمعنى صاحب اى محل الجواز وذو المجاز اسم سوق بقرب عرفة كانوا يجتمعون فيه فى الجاهلية كما كانوا يجتمعون بعكاظ وهذا الحديث

رواه ابن سعد عن اسحق بن الازرق عن عبد الله ابن عون عن عمرو (عطشت وليس عندي ماء فنزل النبي صلى الله عليه وسلم) عن الدابة التي اردف عليها (وضرب بقدمه الارض فخرج الماء فقال) صلى الله تعالى عليه وسلم لابي طالب (اشرب) قيل هذا كان قبل البعثة قيل ولم يذكره على سبيل الاحتجاج لان اباطالب كافر لايستدل بقوله (والحديث في هذا الباب) اي باب نبع الماء وخروجه ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم (كثير ومنه الاجابة بدعاء الاستسقاء) اي دعاؤه صلى الله تعالى عليه وسلم بطلب السقياء وايجاد الماء عند الحاجة له (وماجانسه) اي شابه الاستسقاء من السماء كما ذكرهنا وهو مأخوذ من الجنس وهو معروف

﴿فصل﴾ مناسب لماقبله لان الاكل والشرب توأمان (ومن معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم تكثير الطعام ببركته ودعائه) النافعين عند الحاجة وبدأه بحديث رواه مسلم في صحيحه بسند صحيح وهو (حدثنا القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله) هو الحافظ ابن سكرة وتقدمت ترجمته (قال حدثنا العذري قال حدثنا الرازي) تقدمت ترجمتهما وبيان نسبتهما (قال حدثنا الجلودي) تقدمت ترجمته ونسبته وانه يجوز ضم الجيم وفتحها (قال حدثنا ابن سفيان) هو ابراهيم بن محمد بن سفيان راوي صحيح مسلم وقد تقدمت ترجمته (قال حدثنا مسلم بن الحجاج) صاحب الصحيح المشهور كما تقدم (قال حدثنا سلمة بن شبيب) ابو عبد الرحمن النيسابوري الحافظ الثقة اخرج له اصحاب السنن وتوفي سنة سبع واربعين ومائتين (قال حدثنا الحسن بن اعين) افعل تفضيل من العين وهو الحسن بن اعين بن محمد الحراني الثقة (قال حدثنا معقل) بفتح الميم وسكون المهملة والقاف المكسورة (عن ابن الزبير) محمد بن مسلم الثقة وترجمته مشهورة (عن جابر) الصحابي المشهور رضي الله تعالى عنه (ان رجلا اتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يستطعمه) اي يطلب منه طعاما له ولاهله لشدة احتياجه وهذا الرجل لم يعرفوا اسمه لانه من اهل البادية والطعام مايؤكل وبه قوام البدن ويطلق على غيره مجازا (فاطعمه) اي اعطاه لان الاطعام يكون بمعنى الاعطاء كثيرا حتى انه لكثرته يستعمل فيما لم يكن مأكولا فيقال اطعمه السلطان بلدة وهو مجاز مرسل او استعارة (شطر وسق شعير) الشطر هنا بمعنى النصف وهو اصله ويكون بمعنى البعض مطلقا وبمعنى الجهة كقوله تعالى *فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ماكنتم فولوا وجوهكم شطره* والمراد جهته والوسق بفتح الواو وكسرها وسكون السين المهملة وقاف بمعنى الحمل فيقال وسق بعير اي حمله ثم خص وصار حقيقة عرفية في ستون صاعا بصاعه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو ثلاث مائة وعشرون رطلا حجازية واربعمائة وثمانون رطلا عراقية على الاختلاف في قدر الصاع والمد فشطره ثلاثون صاعا وعلى الاول مائة وستون رطلا وعلى

الثاني مائتان واربعون رطلا والكلام في المقادير الشرعية مفصل في كتب الفروع (فمازال يأكل منه وامرأته) بالرفع معطوف على الضمير المستتر في يأكل من غير فصل مؤكد كاسكن انت وزوجك الجنة وهو الافصح وقد يعطف بفاصل من غير ضمير كما هنا فانه فصله بقوله منه وهو فصيح ايضا وقد يعطف من غير فاصل اصلا كما في قول علي كرم الله وجهه كنت وابو بكر وعمر لكنه قليل (وضيفه) اي من ينزل عليه من غير اهله وهو يطلق على الواحد وغيره وقد يختص بالمفرد فيقال ضيفه وضيفان وضيوف اي لم يزالوا يأكلون منه وهو باق بحاله من غير نقص لانه لايزال يكثر ببركة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو محل استشهاد المصنف وفي نسخة وضيف (حتى كاله) غاية لاكله اي استمرار اكلهم منه من غير نقص شئ منه الى ان كاله فظهر نقصه بعد الكيل بما يأخذه منه فكانت البركة في ترك كيله حتى لولم يكله لم ينفذ وترك الكيل والعد فيه بركة لمافيه من الاتكال على الله وهو اكثر بركة وهكذا جرت عادة الله واما ماورد في الحديث من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم كيلوا طعامكم يبارك لكم فيه فهو بالنسبة لمن كان يخشى خيانة فيه وقيل المراد كيلوا ماتخرجونه للنفقة منه لئلا يخرج اكثر من الحاجة او اقل بشرط ان تبقى الباقي مجهولا غير مكيل وقيل انه انما كان كذلك لافشائه سرا من اسرار الله تعالى ينبغي كتمه (فاتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واخبره) بتكثير مااعطاه له صلى الله تعالى عليه وسلم ببركته (فقال لولم يكله لاكلتم منه) اي لاستمرار اكلكم منه الى غير النهاية (ولقام بكم) اي لكفاكم مدة حياتكم وكان فيه قوام لكم من غير نقص وهذا الرجل هو جد سعيد بن الحارث وكان استعان به صلى الله تعالى عليه وسلم في نكاحه فانكحه امرأة فطلب منه طعاما يقوم به وبزوجته ولم يكن عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شئ فبعث ابا رافع وابا ايوب الانصاريين بدرعه فرهناه عند يهودي في شطر وسق من شعير ودفعه اليه قال فاكلنا منه سنة وبعض سنة ثم كلناه فوجدناه كما ادخلناه (ومن ذلك) اي تكثير الطعام ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم (حديث ابي طلحة المشهور) في قصته التي رواها الشيخان عن انس رضي الله تعالى عنه وهو زيد بن سهل بن الاسود الانصاري الصحابي رضي الله تعالى عنه توفي سنة احدى وثلاثين وقيل غير ذلك والمشهور بمعنى انه كثرت روايته في كتب الحديث وتعددت طرقه ويحتمل ان يريد بالمشهور معناه المعروف في مصطلح الحديث (واطعامه صلى الله تعالى عليه وسلم) مرفوع عطف على حديث (ثمانين اوسبعين رجلا) وجزم مسلم بالثمانين (من اقراص من شعير) جمع قرص وهو رغيف صغير (اتى بها انس) ابن مالك وفي نسخة جاء وهو عم ابي طلحة (تحت يده اي ابطه) بكسر الهمزة والباء وتسكينها والابط ماتحت المنكب وفسره به لان اليد

تسلمه وغيره والابط يذكر ويؤنث (فامر بها) اي بالاقراص (ففتت) يقال فتته اذا قطعه باصابعه قطعا صغيرة بمقدار اللقمة وقد يطلق بمعنى التكسير مطلقا (وقال فيها) اى فى شانها بان دعا ببركتها وذكر اسماء الله عليها وقيل فى بمعنى على كقوله تعالى * ولاصلبنكم فى جذوع النخل * (ماشاء الله ان يقول) اى ماقدره وعلمه من الذكر الذى لم يطلع عليه وهو حديث طويل فى الصحيحين اقتصر المصنف على بعضه اعتمادا على شهرته وفيه ان ابا طلحة رضى الله تعالى عنه قال لام سليم لقد سمعت صوت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ضعيفا اعرف به الجوع فهل عندك شئ فقالت نعم فاخرجت اقراصا من شعير وفيه انه دعا القوم عشرة عشرة وحكمته ان لايزدحموا على قصعة واحدة كانت صغيرة وهذا كان بالمدينة لابالخندق كما توهمه القسطلانى وقد علمت ان الحديث طويل والكلام عليه مفصل وفيه انهم بعدما اكلوا دفعة لاهل المنزل فاكلوا واطعموا جيرانهم (وحديث جابر) رضى الله تعالى عنه الذى رواه البخارى (فى اطعامه) صلى الله تعالى عليه وسلم (يوم الخندق) اى قصة الخندق المشهورة فى السير ومعناه معروف وهو معرب كندة بمعنى الحفر (الف رجل) بالنصب مفعول اطعام ويوم الخندق منصوب على الظرفية وحديث مبتدأ خبره مقدر اى من ذلك وقوله (من صاع شعير) بالاضافة وفى نسخة من صاع من شعير وتقدم معنى الصاع (وعناق) بفتح العين وهى الانثى من اولاد المعز لم يتم لها سنة وقيل هى التى قاربت الحمل ولم تحمل (قال جابر فاقسم بالله لاكلوا) وفى نسخة لقد اكلوا ولما كان هذا امرا غريبا خارقا للعادة اكده بالقسم لانه مظنة الانكار (حتى تركوه وانحرفوا) اى اكلوا كلهم حتى شبعوا وقاموا وانصرفوا والانحراف الميل الى جهة اخرى غير التى كان متوجها لها من الحرف وهو الطرف ومنه قوله تعالى * ومن الناس من يعبد الله على حرف * اى على طرف غير متمكن (وان برمتها لتغط) البرمة بضم الباء الموحدة وسكون الراء المهملة ثم ميم وهاء القدر مطلقا اومن حجارة وهو المعروف وجمعها برام وتغط بفتح المثناة وفتح اوكسر الغين المعجمة وبعدها طاء مهملة مشددة اى تغلى غليانا شديدا يسمع لها صوت كهدير النائم والمجنون (كما هى) اى هى على حالها الاول لم ينقص منها شئ مع كثرة من اكل منها وهذا محل الشاهد (وان عجيننا ليخبز) اى انهم استمروا على خبز العجين واتصاله شيئا فشيئا لم يأكل منه ولم ينقص ببركة النبى صلى الله عليه وسلم لانه بصق فى البرمة والعجين وبارك عليه كما ذكره المصنف بقوله (وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بصق فى العجين والبرمة وبارك) فيهما ومعنى بارك دعاء فيهما بالبركة كما مر اى الزيادة والنمو (رواه) اى روى هذا الحديث (عن جابر سعيد بن مينا) بكسر الميم وسكون المثناة التحتية والنون

والمد والقصر والصرف وعدمه على ان وزنه فعلاء اومفعال وسعيد هذا اخرج له البخارى ومسلم ومينا علم منقول من المينا وهى مرسى السفن وجوهر الزجاج (وايمن) بزنة افعل من اليمن وهو ايمن الحبشى المكى والد عبد الواحد ابن ايمن مولى عمرة المخزومى الثقة وقال ابن حبان انه ايمن بن ام ايمن مولاة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واخو اسامة لامه قال البرهان وفيه نظر لان ابن ام ايمن هذا قتل بحنين فقد خلط ترجمة بترجمة وتبعه التلمسانى (وعن ثابت مثله) اى مثل حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنهما (عن رجل من الانصار وامرأته ولم يسمها قال وجئ بمثل الكف) وفى نسخة بملئ الكف (فجعل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يبسطها فى الاناء ويقول ماشاء الله) ان يقول (فاكل من فى البيت والحجرة والدار وكان ذلك) اى ماذكر من الثلاثة (قد امتلأ ممن قدم معه صلى الله تعالى عليه وسلم لذلك وبقى بعدما شبعوا مثل ما كان فى الاناء) وقد علم ان ذلك ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم (وحديث ابى ايوب) اى ومن ذلك حديث ابى ايوب الانصارى رضى الله عنه الذى رواه عنه الطبرانى والبيهقى وهو (انه صنع لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولابى بكر) حين قدما المدينة فى الهجرة (من الطعام زهاء) اى مقدار (مايكفيهما) اى طعاما يكفى رجلين فقط وهو بيان لقلته (فقال له النبى صلى الله عليه وسلم) لما اخبره بذلك ودعاه (ادع ثلاثين من اشراف الانصار) انما خصهم قيل لتأليفهم كى يسلموا فان ذلك كان فى اول الهجرة وسماهم انصارا لعلمه صلى الله عليه وسلم بانهم سينصرونه وتفأولا بذلك (فدعاهم فاكلوا حتى تركوه) اى شبعوا وتركوا الطعام اوالاكل منه (ثم قال) صلى الله عليه وسلم (ادع ستين) اى من اشراف الانصار (فكان مثل ذلك) اى اكلوا حتى تركوه (ثم قال) صلى الله تعالى عليه وسلم له (ادع سبعين) فدعاهم (فاكلوا حتى تركوا) الطعام والاكل كما مر (وماخرج احد منهم) اى ممن دعاه واكل حتى شبع و (حتى اسلم وبايع) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على الجهاد معه ونصرته لما رأوا من تلك المعجزة ولطفه بهم وفى نسخة الاحتى اسلم قبل وصوابه اسقاط الا ولا وجه له (قال ابو ايوب) رضى الله تعالى عنه (فاكل من طعامى مائة وثمانون رجلا) ذكر بعضا منهم وترك الباقى كانه لكونهم لم يدعهم بامره والمذكور مائة وستون غير ابى بكر والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم (وعن سمرة ابن جندب) تقدمت ترجمته وانه بضم الدال وفتحها (اتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) بالبناء للمجهول اذ لايتعلق غرض ببيان الآتى هنا (بقصعة) بفتح القاف ولاتكسر القصعة (فيها لحم) مطبوخ (فتعاقبوها) اى دخل جماعة من الصحابة بعد جماعة لان كلا منهم اتى على عقب بعض اى من غير فاصل بينهم لانه محل الاعجاز (من غدوة حتى الليل) بالجر ويجوز رفعه ونصبه (يقوم قوم ويقعد آخرون) تفسير

لماقبله من تعاقب القوم وقيل عليه المعروف من حديث سمرة بن عدوة الى الظهر فيقوم
قوم و يقعد قوم آخرون قال فقيل لسمرة هل كان يمد قال فمن اى شئ تعجب ما كان
الامن هنا واشار الى السماء (ومن ذلك حديث عبد الرحمن بن ابى بكر) الصديق
رضى الله تعالى عنهما اى من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم فى تكثير الطعام ببركته
وهذا الحديث رواه الشيخان فى صحيحيهما (كنا مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم)
ضمير كنا له مع غيره من الصحابة وخبر كان (ثلاثين ومائة) ومع النبى حال من اسم
كان اوهما خبران اى خبر بعد خبر (وذكر فى الحديث انه عجن صاعا من طعام)
روى ببناء عجن للفاعل ونصب صاعا و ببنائه للمفعول ورفعه وصنعت بمعنى طبخت
فى قوله (وصنعت شاة فشوى) ببناء المفعول (سواد بطنها) المراد به الكبد خاصة
او حشوها مطلقا والاول اظهر (قال) اى عبد الرحمن بن ابى بكر رضى الله تعالى
عنهما (وايم الله) قسم كعهد الله وهو مبتدأ خبره محذوف تقديره قسمى فهو
مرفوع و جوز بعضهم جره بواو القسم وفيه لغات كثيرة وهمزته همزة وصل
وهو اسم وقيل حرف وقيل انه فى الاصل جمع يمين والكلام عليه مفصل فى باب
القسم ولا يجر بالاضافة بعده الا لفظ الله وجوز ابن مالك جر غيره (مامن الثلاثين
ومائة) احد (اولاقد حزله حزة) بفتح الحاء المهملة والزاى المعجمة المشددة والحز
هو القطع بالسكين والحزة بالضم القطعة من اللحم (من سواد بطنها) اى كبدها
كما مر والخبر بعينه بحسب الظاهر وهو انسب بمحل الاستشهاد لكفاية الكبد لهم
فى تفريقها عليهم (ثم جعل منها) اى طبخ من الشاة ما جعل ملئ (قصعتين
فاكلنا اجمعون) بالرفع تأكيد لاسم كان من غير ان يكون تابعا لكل كقوله
لاغوينهم اجمعين (وفضل فى القصعتين) اى فضل من لحمها مقدار فى القصعتين
بعد ما اكلوا حتى شبعوا وقد صرح به فى الصحيحين قيل ولو ذكره المصنف رحمه
الله تعالى كان اولى لانه محل الشاهد وفضل بمعنى بقى فيه ثلاث لغات كدخل
يدخل وعلم يعلم وبالكسر فى الماضى وضم عين المضارع وهى شاذة او من التداخل
فان كان من الفضيلة فبالفتح والضم لاغير (فحملته على البعير) فيه اشارة لكثرة
مابقى بعد اكلهم كلهم (ومن ذلك) اى من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم فى
تكثير الطعام ببركته صلى الله عليه وسلم مارواه ابن سعد والبيهقى وصححاه (حديث
عبد الرحمن ابن ابى عمرة) بفتح العين وسكون الميم وراء مهملة (الانصارى عن ابيه)
ابى عمرة بشير بن عمرو بن محصن الانصارى البخارى الصحابى البدرى قتل مع على
كرم الله وجهه بصفين وفى اسم ابى عمرة اختلاف وابنه عبد الرحمن اخرج له اصحاب
الكتب الستة لا الدارقطنى فقط وهو ثقة وهذا الحديث مروى فى بعض غزواته
صلى الله تعالى عليه وسلم (ومثله) اى مثل حديث عبد الرحمن (لسلمة بن الاكوع

وابى هريرة) فى مسلم (وعمر بن الخطاب) ورواه ابو يعلى بسند جيد (فذكروا) اى
هؤلاء (مخمصة) بفتح الميمين بينهما خاء معجمة ساكنة ثم صاد مهملة وهى الجوع
من الخمص وهو خلو البطن من الطعام اى مجاعة (اصابت الناس مع النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم فى بعض مغازيه) جمع مغزاة بمعنى موضع الغزو او هو بمعنى الغزو
نفسه واختلف فى هذه الغزوة والذى كما فى مسلم خرجنا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم فى غزوة وفى دلائل النبوة انه فى غزوة غطفان وفى غيره عن ابن عباس انه
فى مرجعهم من الحديبية كلمه بعض اصحابه وقالوا جهدنا وفى الناس فانحره لنا
الحديث فالقصة وقعت مرتين (فدعا ببقية الازواد) اى طلب من كل رجل منهم
ان يأتى بما بقى عنده من زاده (فجاء الرجل بالحثية) بفتح الحاء المهملة وسكون الثاء
المثلثة والمثناة التحتية و يقال حثوة بالواو لانه يقال حثى يحثى وحثى يحثو وهى
والجفنة بالفاء والنون بمعنى وهو ما يملؤ اليدين معا وقيل بالفاء فى اليدين و بالثانى
احدهما وروى بالخبنة بخاء معجمة مضمومة و بعدها موحدة تحتية ساكنة
ونون وهى ما يحمل فى الحضن تحت الكشح والاول اشهر واظهر وتعريف الرجل
هنا للعهد الذهنى كادخل السوق وليس المراد به رجل معين (من الطعام) اليسير
الذى بقى عنده (وفوق ذلك) اى ازيد منه يسير (واعلاهم) اى اكثرهم زادا وبقية
(الذى يأتى بالصاع من التمر فجعله) اى وضع ما اجتمع من الازواد (على نطع)
بكسر النون وفتح الطاء المهملة بزنة عنب بساط من ادم وفيه لغات اربع هذه
افصحها وبفتح نونه مع فتح الطاء وسكونها و بكسر نونه مع سكون الطاء (قال سلمة
فحزرته) بحاء مهملة وزاى معجمة وراء مهملة اى قدرته بطريق الحس والتخمين
(كربضة العنز) براء مهملة مفتوحة وقيل انها مكسورة لاغير لان المراد بيان
الهيئة وموحدة وضاد معجمة من الربوض وهو كالجلوس فى الانسان والبروك للابل
والجثوم للطير اى مقداره مقدار جثة عنز باركة على الارض او هو تقدير لموضع
من النطع بموضع ربوضها (ثم دعا الناس باوعيتهم) اى طلب مجيئهم ومعهم
اوعيتهم ليأخذوا مما اجتمع عنده فى الحديث حتى ملؤا ازودتهم قال المصنف فى الاكمال
كذا الرواية عن جميع شيوخنا فالازودة بمعنى الاوعية كما سميت الاسقية روايا وورد ايضا
جاؤا باوعيتهم (فمابقى فى الجيش وعاء الاملؤه) مما اجتمع عنده (و بقى منه) اى فضل
منه بقية بعد ما اخذ الجميع كفايتهم والمصنف اقتصر على محل الشاهد من الحديث
لطوله وفيه انهم اكلوا حتى شبعوا ثم حثوا فى اوعيتهم وقبله انهم لما اصابهم
الجوع قال له بعضهم لو امرتنا نحرنا نواضحنا اى ابلنا فقال افعلوا فقال عمر
رضى الله تعالى عنه ان فعلوا قل الظهر يعنى ما يركب ولكن ادع بفضل ازوادهم
فجعل الرجل يجئ بكف ذرة والآخر بكف تمر والآخر بكسرة حتى اجتمع على النطع

فدعا بالبركة وقال خذوا فاخذوا كلهم وفضلت فضلة فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اشهدوا ان لااله الاالله وانى رسول الله الحديث (وعن ابى هريرة) فى حديث رواه ابن ابى شيبة والطبرانى بسند جيد (امرنى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان ادعوله اهل الصفة) تقدم ان الصفة محل مرتفع فى الدار والمسجد وغيره مفرز عن غيره وللجلوس فيه وكان فى مسجده صلى الله تعالى عليه وسلم محل كذلك فيه المنقطعين عنده صلى الله تعالى عليه وسلم من فقراء الصحابة الاعراب وغيرهم كسلمان وابى ذر قال ابو نعيم فى الحلية كانوا نيفا ومائة وفى عوارف المعارف انهم كانوا نحو الاربعمائة ونحوه فى الكشاف ولاينافيه ماروى انه روى منهم نحو ثلاثين رجلا يصلون مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بلا اردية وهؤلاء هم صفوة خلق الله هنيئا لهم وانا نتوسل الى الله تعالى بهم ان يجعلنا فى بركتهم (فتتبعتهم) اى ذهبت لكل واحد منهم فى مكان كان فيه لانهم فى النهار يتفرقون فى المدينة لان كل احد لايخلو من حاجة يذهب لها (حتى جمعتهم) عند النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (فوضعت) بالبناء للمجهول (بين ايدينا صحفة) بالرفع نائب الفاعل وهى اناء بين الصغير والكبير يعد للطعام (واكلنا ماشئنا وفرغنا) حتى شبعنا وانتهت ارادتنا للاكل (وهى مثل ماوضعت) جملة حالية اى وهى مملوءة بمافيها كما كانت حين وضعت بين ايدينا (الاان فيها اثر الاصابع) اى اصابع من اكل منها وهذا تشبيه لحالها بعد الاكل بحالها قبله فليس فيه تشبيه الشئ بنفسه كمالايخفى وكان اهل الصفة يسمون اضياف الاسلام لان اكثرهم اغراب وقال اكلنا بضمير المتكلم مع الغير لان اباهريرة منهم (وعن على بن ابى طالب) فى حديث رواه احمد والبيهقى بسند جيد (جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى عبد المطلب وكانوا اربعين) رجلا وهذا كان بمكة فى ابتداء البعثة (منهم قوم) هو فى الاصل مصدر قام ثم صار اسم جمع للرجال خاصة لقيامهم بالامور (يأكلون الجذعة) بفتح الجيم والذال المعجمة والعين المهملة وهى من البقر والغنم ماتم له سنة وقيل انه فى البقر ماداخل فى الثالثة والمراد هنا الاول اى اقل مايكفيهم كما يقال لمن دونهم اكلة رأس (ويشربون الفرق) بفتح الفاء والراء المهملة ويجوز تسكينها وهو مكيال تسع ثلاثة اصبع وهو ستة عشر رطلا كما تقدم اى يرويهم مافيه وفى النسخ هنا اختلاف ففى بعضها بنى عبد المطلب منهم من يأكل جذعة بنى عبد المطلب منهم قوم من يأكل الجذعة وفى بعضها منهم قوم يأكل وفى بعضها منهم قوم يأكلون وهذه اقرب وفى التى قبلها قلق ماء وقال التلمسانى المراد بالجذعة جذعة الابل كما ورد مفسرا فى بعض الروايات وهى التى تدخل فى الخامسة (فصنع لهم مدا من طعام) اى طبخه وسواه (فاكلوا حتى شبعوا وبقى كما هو) ماموصولة وهو مبتدأ خبره محذوف اى قبل الاكل والجملة صلة والمراد

انه لم ينقص كانه ما اكل منه شئ (ثم دعا بعس) بضم المهملة وتشديد السين المهملة وهو قدح من خشب يروى الثلاثة والاربعة والمعنى بعس من لبن طلبه من اهله لهم (فشربوا) من العس (حتى رووا) اى تم شربهم منه (وبقى كانه لم يشرب) منه شئ وتفصيله كما فى الدلائل للبيهقى وغيره بسند صحيح انه لما نزل عليه صلى الله تعالى عليه وسلم قوله تعالى * وانذر عشيرتك الاقربين * الآية قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان بدأت قومى بها رأيت منهم مااكره فصمت فجاءه جبريل عليه الصلوة والسلام فقال يامحمد ان لم تفعل ماامرك به ربك عذبك فدعا عليا رضى الله تعالى عنه واخبره بذلك وبما قاله جبريل له ثم قال له فاصنع طعاما واعدلنا عس لبن ثم اجمع بنى المطلب وهم نحو اربعين من اعمامه فلما اجتمعوا قدم لهم الطعام وقال كلوا بسم الله فاكلوا ثم شربوا فلما اراد ان يكلمهم قال ابولهب سحركم محمد فتفرقوا ولم يكلمهم فلما كان الغد فعل مثل ذلك فلما اراد ان يكلمهم تفرقوا وفى الثالثة قال لهم يابنى عبد المطلب انه لم يجئكم احد بافضل مما جئتكم به انى قد جئتكم بامر الدنيا والآخرة الى آخر الحديث والذى فى البخارى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انها لما نزلت صعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على الصفاء ونادى يابنى فهر يابنى عدى ويابطون قريش حتى اجتمعوا الى آخره واول ذلك تكرر فخصص اولا ثم عمم (وقال انس) رضى الله تعالى عنه فى حديث رواه الشيخان واللفظ لمسلم (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما) وفى نسخة حين (ابتنى بزينب) بنت جحش ام المؤمنين رضى الله تعالى عنها وهو افتعال من البناء وهو التزوج هنا ويقال بنى بها وعليها (امره) اى امر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انسا (ان يدعوله قوما سماهم) اى عينهم باسمائهم (وكل من لقيت) بتاء الخطاب ومن منصوبة محلا بمقدر اى قال له صلى الله تعالى عليه وسلم ادعهم وادع كل من لقيته من غيرهم فهو تعميم بعد تخصيص لمن اعتنى به فدعاهم اوفقال فدعوتهم (حتى امتلأ البيت) بالناس المراد به المنزل كله وقيل انه اراد به الصفة التى فيه كما ورد مصرحا به (والحجرة) هى بمعنى البيت والغرفة وكان لكل زوجة من ازواجه صلى الله تعالى عليه وسلم حجرة تخصها واصل معنى الحجرة بقعة تفرز ببناء الحجر ثم عم (وقدم اليهم تورا) بمثناة فوقية مفتوحة وواو ساكنة وراء مهملة وهو اناء من صفر او حجارة كالاجانة او كالقدح الذى يشرب فيه (فيه قدر مد من تمر) بيان للمد وقد تقدم تفسيره (جعل) بالبناء للمفعول (حيسا) مفعوله الثانى وهو بفتح الحاء المهملة وسكون المثناة التحتية والسين المهملة وهو تمر خلط بسمن واقط اودقيق * قال التمر والسمن يقال الاقط * او الدقيق الحيس لما يختلط * وقال ابن قرقول انه قيل انه تمر ينزع نواه ويخلط بالسويق والاول اعرف واصل معنى الحيس الخلط (فوضعه) صلى الله تعالى عليه وسلم والضمير للتور (قدامه)

بين يديه (وغمس ثلاث اصابعه) اى ادخلها فيه لتحصل البركة وليطيب قلوبهم باكله معهم والسنة ان يأكل بثلاث اصابع ففيه تعليم لهم (وجعل القوم يتغذون) بذال معجمة من الغذاء بمعجمتين وهو اعم من الغداء بالدال المهملة وفى مسلم انه دعا الناس بعد ارتفاع النهار فيصح ان يكون بالمهملة ايضا كما فى المقتفى (ويخرجون من الحجرة (وبقى التور نحوا) تمييز اوحال (مما كان) قبل الاكل منه لم ينقص نقصا كثيرا وكان القوم احد (اواثنين وسبعين) رجلا وهوشك من الراوى وقيل ان هذه القصة فى بنائه صلى الله تعالى عليه وسلم بصفية والراوى ادخل قصة فى قصة وقيل يحتمل انه اتفق البنيان من الشاة والحيس الذى لام سليم وفى قوله بقى التور تجوز اى بقى ما فيه (وفى رواية اخرى فى هذه القصة) اى قصة وليمة زينب رضى الله تعالى عنها (اومثلها) فيما ذكر من الطعام (ان القوم كانوا زهاثلاثمائة) اى مقدارهم (وانهم اكلوا حتى شبعوا وقال) لى بعدما شبعوا (ارفع التور من مكانه (فمادرى حين وضعت) بضم التاء للمتكلم اى حين وضعته او بتاء التأنيث الساكنة كالتى فى قوله (كانت) بالتأنيث باعتبار انه انية (اكثرام حين رفعت) بالوجهين (وروى لترفع بدل ارفع بلام الامر والخطاب والاول اولى وافصح وهذا حديث طويل فى مسلم اختصره المصنف رحمه الله تعالى اقتصارا على محل الشاهد منه (وفى حديث جعفر) الصادق (عن ابيه محمد) الباقر (عن على) بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه جد والد محمد اعنى زين العابدين بن على بن الحسين ابن على فهوحديث منقطع كما رواه ابن سعد رضى الله تعالى عنه فان كان عليا المذكور على الاصغر فالحديث مرسل اومعضل فهوضعيف (ان فاطمة) الزهراء (طبخت قدرا) اى طعاما فى قدر ففيه تجوزا وهو بتقدير مضاف اى طعام قدر (لغذاء) بالمعجمة وهو كل مايؤكل فى اى وقت او بمهملة وهومايؤكل اول النهار اى لاجل غدائها وفى نسخة تتغذى به وفى نسخة لغدائهما (ووجهت عليا) اى ارسلته (الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى لجهته والمراد بيته (ليتغدى معها) وفى نسخة معهما (فامرها) اى قال لها اغرفى من القدر (فغرفت) بالغين المعجمة (لجميع نسائه) التسع المعروفة (صحفة صحفة) منصوب كتعلمت النحو بابا بابا والصحفة اناء صغير معروف (ثم له ولعلى) اى ثم غرفت له صلى الله عليه وسلم ولعلى (ثم لها) اى ثم غرفت لنفسها ماتتغدى به رضى الله عنها (ثم رفعت القدر) بعد ماغرفت لجميع من ذكر (وانها تفيض) جملة حالية وتفيض بفاء وضاد معجمة من الفيض والمراد انه بعد ما غرف منه بقى نماوا بطعام كثير يسيل من جوانبه ببركته صلى الله عليه وسلم وكانها بعثت له صلى الله تعالى عليه وسلم ليجيئها ويأكل معها وحده فلم يأت وامرها بما ذكر فيه لما فيه من مكارم الاخلاق والايثار (قالت) فاطمة رضى الله تعالى عنها

(فاكلنا منها) اى اكلنا كانا من طعامها والضمير للقدر لانها مؤنث وقيل يجوز تذكيرها وتأنيثها فالمراد انا اهله فاطمة رضى الله تعالى عنها واهل بيتها اكلوا مما بقى فى القدر بعد مافرقته (ماشاء الله تعالى) اى الذى اراده الله لنا اومدة ارادة الله تعالى ذلك وهوكناية عن كثرة ذلك (وامر) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث آخر (عمر بن الخطاب رضى الله عنه ان يزود اربع مائة راكب) اى يعطيهم مايكفيهم من الزاد (من احمس) بزنة احمر بحاء وسين مهملتين بينهما ميم اسم قوم من العرب وهم بطن من ضبيعة يقال لهم بنو احمس وهم من الحماسة وهى الشدة والصلابة ويقال لقريش الحمس لتصلبهم فى دينهم فى الجاهلية (فقال) عمر رضى الله تعالى عنه (يارسول الله ماهى الاصوع) بفتح الهمزة وضم الواو ويجوزان تبدل همزة كما فى الصحاح وهواناء يشرب فيه ومكيال معلوم وهو جمع صاع قال ابن قرقول فيه لغات صاع وصوع وصواع ويجمع على اصوع وصيعان وفى كثير من الروايات اى فى الحديث آصع بالمد والصواب اصوع انتهى وقوله والصواب اصوع غيرمسلم واذا جاء نهر الله بطل نهر معقل وهومبنى على عدم صحة الاستدلال بالحديث فى العربية وهوعلى الاطلاق فاسد اى قال عمر رضى الله تعالى عنه ليس التمر الذى عندى يكفى فانه اصوع قليلة فان الصاع مكيال يسع اربعة امداد والمد رطل وثلث اورطلان عراقيان على الاختلاف فيه كما تقدم والضمير اعنى هى راجع للاصوع وان تأخر لا للوديعة كما فى قوله تعالى * ان هى الاحياتنا الدنيا * قال الزمخشرى هذا ضمير لايعلم مايعنى به الاممايتلوه واصله ان الحياة الاحياتنا الدنيا ثم وضع الضمير موضع الحياة لان الخبر يدل عليها ويبينها ومنه قوله * هى النفس ماحملتها تتحمل * وهى العرب تقول ماشاءت * انتهى قال ابن مالك وهذا من جيد كلامه وفيه كلام فى شرح التسهيل لايسعه المقام قال صلى الله تعالى عليه وسلم لعمر رضى الله تعالى عنه (اذهب) وافعل ماامرتك به ولاتبال بقلة ماعندك (فذهب) عمر (فزودهم منه) اى اعطاهم مايكفى لهم من التمر الذى عنده (وكان) اى التمر (قدر الفصيل) وهو ولد الناقة الصغير (الرابض) اى البارك على الارض وهو بيان لمقداره تخمينا (من التمر) بيان لقدر (وبقى بحاله) اى لم ينقص شيئا مع ما اعطاهم منه وهو من المعجزات من رواية دكين خبر مبتدأ مقدر اى وهذا الحديث من رواية دكين وهو بضم الدال المهملة وكاف مفتوحة ثم ياء تصغير ونون ورواه العز فى بالراء بدل الدال وقال انه الصحيح ودكين هوابن سعيد بالتصغير وقيل سعد وقيل مسعد المزنى وقيل الخثعمى وله صحبة وهذا الحديث رواه ابوداود فى الادب قال اتينا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فسألناه الطعام فقال ياعمر اذهب فاعطهم فارتقى بنا الى علية فاخذ المفتاح من حجرته ففتح وليس له غيرهذا الحديث ولم يروه غير ابى داود

(الاحمسى) نسبة لبنى احمس قبيلة كما تقدم وهو صفة دكين (ومن رواية جرير) اى مثل رواية دكين ولم يخرجه (ومثله) اى مثل المروى المذكور ما اخرجه احمد والبيهقى بسند صحيح (من رواية النعمان بن مقرن) بضم الميم وفتح القاف وكسر الراء المهملة المشددة وقيل القاف ساكنة والراء مخففة مكسورة وهى احمسى ايضا واحمس فخذ من مزينة وتقدم انهم من ضبيعة من نسل اد بن طابخة وللنعمان سبعة اخوة كلهم صحابة هم النعمان ومعقل وعقيل وسويد وسنان وعبد الرحمن ولم يسم السابع قال السهيلى بنو مقرن المزنى هم البكاؤن الذين نزل فيهم ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم الآية (الخبر بعينه) بالرفع والنصب والباء مزيدة فى التأكيد يقال هذا عينه وبعينه كما ذكره وتلطف القائل متغزلا * فقلت فهذا قاتلى * بعينه وحاجبه * وزيادة حاجبه فيه من كلام المولدين لتوهمهم اولايهامهم انها الباصرة (الا انه قال) فى هذه الرواية (اربعمائة راكب من مزينة) فزاد قوله من مزينة وكذا رواه ابو داود فى سننه قيل واختلاف الروايات يدل على تعدد القصة وفيه شئ (ومن ذلك) اى من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم فى جعل القليل كثيرا (حديث جابر ابن عبد الله الانصارى رضى الله تعالى عنهما وهذا الحديث رواه البخارى (فى دين ابيه بعد موته) اى فى قصته لما مات ابوه وعليه دين ارادا داءه لغرمائه (وكان قد بذل) بموحدة وذال معجمة اى اعطى وهو مجاز بمعنى اراد بذله (لغرماء ابيه) جمع غريم وهو صاحب الدين الطالب له من الغرام وهو اللزوم كما قال الله تعالى ان عذابها كان غراما (اصل ماله) اراد باصل ماله بستانا ونخلا له كان يتقوت منه والمال فى لسان العرب لا يختص بالنقود كما فى العرف وشاع اطلاقه على الابل قديما كما يشير اليه قوله (فلم يقبلوه) امالانه لا يفى بدينهم اولعدم احتياجهم اولانه لم يكن مرضيا لهم (ولم يكن فى ثمرها) انث الضمير الراجع للمال نظرا لمعناه لان المراد بها هنا النخيل جمع نخل وهى تؤنث والثمر بالمثلثة واحده ثمرة ولا حاجة لجعله راجعا لاموال المعلومة من قوله مال ولا الى تفسيره بالفوائد مطلقا فيشمل الالبان والنتاج كما قيل ولا وجه له لما ستسمعه فى الحديث وقوله (سنتين) مثنى سنة وفى نسخة سنين بصيغة الجمع والاول هو الصحيح (كفاف دينهم) بفتح الكاف بمعنى ما يفى به ويكفيه ومنه اللهم اجعل رزقى كفافا اى بقدر الكفاية وبفتحها معناه الخيار وهو غير مناسب هنا كقراءة تمر بمثناة فوقية وان صح معنى وسنتين ظرف مستقر لا انه متعلق بثمر بالمعنى المصدرى حال من ثمر (فجاءه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بعد ان امره بجذها) بفتح جيم وذال معجمة ويجوز اهمالها وكلاهما بمعنى قطع الثمار (وجعلها) بصيغة المصدر (بيادر) بمثناة تحتية ودال وراء مهملتين جمع بيدر بزنة حيدر وهو الموضع الذى يوضع فيه الثمر ليتنشف والبر ونحوه ليخلص من تبنه والكوم من الطعام كالتمر والحنطة

ويصح ارادة كل منهما هنا والظاهر الثانى والبيدر هو الجرين والجرن واهل العراق يسمونه اندر وجمعه انادر وفى المغرب يسمونه نادر وكانه غلط من الاندر (فى اصولها) اى جعلها كوما كوما فى اصول الثمار وهى النخل والمراد انه كومه فى حديقة نخلة حتى يعلم مقدارها (فمشى فيها) النبى صلى الله عليه وسلم وفيه مضاف مقدر اى فى ارضها المراد ما بينها اوفعل ذلك لتحصل البركة وينمو ما فيها (ودعا) الله تبارك وتعالى ان يبارك فيها فنمت وزادت (فاوفى منه جابر غرماه) اى اعطاهم مما فى البيدر مقدار حقهم بتمامه من قولهم اوفاه حقه ووفاه فاستوفاه وتوفاه اخذه بتمامه وضمير غرماه لابيه لعلمه مما تقدم اوله لقيامه مقامه فى اداء دينه وفى نسخة غرماء ابيه وهى ظاهرة (وفضل) اى بقى منه بعد ما ادى كل ذى حق حقه وهو مثلث الضاد المعجمة والفتح افصح (مثل ما كانوا يجدون) بفتح المثناة التحتية وضم الجيم وتشديد الذال معجمة او مهملة اى ما كانوا يقطعونه من ثمارها (كل سنة) اى فيها (وفى رواية مثل ما اعطاهم) اى بقى مثل ما اعطى غرماء ابيه وفيه زيادة كثيرة على ما فى الرواية الاولى من ان ثمرها لا يفى بدينهم فى سنتين اوسنين (قال) اى جابر رضى الله تعالى عنه (وكان الغرماء يهود) بالنصب خبر كان وهو ممنوع من الصرف لانه علم لهذه الطائفة وقد ينكر وينون (فعجبوا من ذلك) اى مما رأوه من كفاية ثمرها وزيادته مع انه كان لا يكفى فى سنين وهو من معجزاته صلى الله عليه وسلم العظيمة وهذا الحديث قد علمت انه فى البخارى وكذا فى غيره واقتصر المصنف رحمه الله على محل الشاهد منه وكان ابو جابر عبد الله استشهد باحد وترك عليه دينا كثيرا وله ست بنات وكان الدين لرجل من اليهود كان على ثلاثين وسقا فاستظهره جابر فلم ينظره فكلم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى ذلك فكلم اليهودى فلم يرض فامره رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بما مر فاتاه وطاف ببيدره ثلاث مرات وامره بان يكيل لهم فكال حتى وفى لهم ثلاثين وفضل سبعة عشر وفيه فلما حضر جذاذ النخل اتيته صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه تصريح بان ماله حديقة نخل وهذا ما وعدناك به فلا تكن من الغافلين (وقال ابو هريرة) رضى الله عنه فى حديث رواه البيهقى مسندا (اصاب الناس مخمصة) اى جوع كامر (فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم هل) عندك (من شئ) من جنس الطعام ومن زائدة هنا لاطراد زيادتها بعد النفى والاستفهام وشئ مبتدأ خبره مقدر كما ذكرناه (قلت نعم شئ من التمر) قليل (فى المزود) بكسر الميم وهو وعاء الزاد (قال فأتنى به) فاتاه به اى بالمزود او التمر (فادخل يده) الشريفة فى المزود (فاخرج منه (قبضة) بفتح القاف وهى المرة كالضربة اريد بها المقبوض من القبض وهو الاخذ بالكف وبالضم اسم المقبوض (فبسطها) اى وضعها مبسوطة متفرقة ليعلم قلتها (ودعا بالبركة) اى بان يبارك الله فيها حتى تزيد (ثم قال) صلى الله تعالى عليه وسلم

بعد مادعا (ادع عشرة) من الناس فدعاهم (فاكلوا حتى شبعوا) من ذلك التمر (ثم) قال ادع (عشرة كذلك) اى فدعوتهم فاكلوا حتى شبعوا وهكذا (حتى اطعم الجيش كلهم وشبعوا) وهذا يقتضى انه كان فى بعض غزواته وقد صرح به فى بعض الروايات وسيأتى (وقال) لى (خذ ماجئت به) لانه اطعمهم كلهم وابقى ماجاء به كما كان وهو محل الاستشهاد فانه امره برفعه وان يأخذ كل مااراد وقال له ولا تكله ليبارك فيه كامر (وادخل يدك واقبض منه ولا تكبه فقبضت على اكثر مما جئت به) قال (فاكلت منه واطعمت) اهلى ومن اردت اطعامه (حياة رسول الله) اى مدة حياته (صلى الله تعالى عليه وسلم) فى مدة حيات (ابى بكر وعمر الى ان قتل عثمان) ابن عفان رضى الله تعالى عنهم (فانتهب منى) بالبناء للمجهول اى نهبه النار واغار واعليه فاخذوه فى زمن الفتنة (فذهب) اى عدم ولم يبق منه شئ ولولا ذلك لكفاه مدة حياته لما فيه من البركة (وفى رواية) رواها الترمذى فى سننه وحسنها عن ابى هريرة رضى الله عنه (فقد حملت من ذلك التمر) الذى اعطانيه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اى جعلته محمولا معى فى اسفارى (كذا وكذا) كناية عن مقدار ماحمله (من وسق) بيان لكذا وكذا والوسق حمل بعير كامر (فى سبيل الله) اى من اسفارى غازيا وسبيل الله الطريق الموصلة اليه فاذا اطلق فالمراد به ماذكر وفى رواية فلقد حملت بلام القسم وكان يعلقه خلف رحله وكان يقول اصبت بثلاث مصائب لم اصب بمثلهن موت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقتل عثمان وذهاب مزودى وروى هذا الحديث بطريق آخر قريبة مماهنا (وذكرت مثل هذه الحكاية) بالبناء للمجهول وانث لانه اكتسب التأنيث من المضاف اليه وفى نسخة وذكر (فى غزوة تبوك وان التمر كان بضعة عشر تمرة) ذكره لانه ابلغ فى المعجزة لغاية قلته (ومنه) اى من تكثير الطعام ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم (ايضا حديث ابى هريرة) رضى الله تعالى عنه الذى رواه البخارى (حين اصابه الجوع) وعلمه منه صلى الله تعالى عليه وسلم (فاستتبعه النبى صلى الله عليه وسلم) اى طلب منه ان يتبعه فقال له اتبعنى وكن ماشيا معى فتبعه (فوجدلبنا فى قدح) فى بيته (قد اهدى اليه) صلى الله تعالى عليه وسلم وامره ان يدعو اهل الصفة ليكونوا تابعين معه وهم فقراء المهاجرين الذين تقدم بيانهم (قال فقلت ما) موقع هذا اللبن فيهم ومامقداره القليل كاف لهم (كنت احق) منهم لشدة جوعى وماعلمه الرسول من حالى (ان اصيب منه شربة) اى من ذلك اللبن (اتقوى بها) اى يكون فيها تقوية لضعفى بجوعى وليس هذا انكارا على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لانه لايليق بمثله فهو اما تعجب منه لما استقر به قبل مشاهدة الحقيقة ومثله من الخواطر لايؤاخذ بها وقيل غايته انه ارتكب خلاف الاولى ولاحاجة لمثله (فدعوتهم) الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (و) بعد حضورهم (امرنى ان اسقيهم) وفى

نسخة وذكر امر النبى صلى الله عليه وسلم ان يسقيهم (فجعلت) اى شرعت (اعطى الرجل) منهم (فيشرب) بالنصب (حتى يروى) بفتح المثناة اى يروى عطشه ثم يأخذه الآخر) اى فيشرب حتى يروى وهكذا (حتى روى جميعهم) اى جميع اهل الصفة (قال) ابوهريرة رضى الله تعالى عنه (فاخذ النبى صلى الله تعالى عليه وسلم القدح) الذى فيه اللبن وهذا القدح يحتمل ان يكون لصاحب اللبن الذى اهداه له او هو من اقداحه صلى الله تعالى عليه وسلم صب فيه اللبن الذى جاءه (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم لابى هريرة رضى الله تعالى عنه (بقيت انا) تأكيد لضمير الفاعل ليعطف عليه قوله (وانت اقعد فاشرب) امره بالقعود لان الشرب قائما من غير ضرورة مكروه (فشربت ثم قال اشرب) مرة اخرى (ومازال يقولها) اى كلمة اشرب (واشرب) بالرفع اى وانا اشرب والجملة حالية (حتى قلت لا) اشرب بعد هذا نفى للشرب المأمور به واعتذر عن رده بقوله (والذى بعثك بالحق لا اجدله) اى اللبن (مسلكا) اى لم يبق فى جوفى محلا خاليا يدخل وهو جواب القسم ان لم يكن تأكيدا للنفى قبله ومابعده استئناف او تعليل له (فاخذ) صلى الله عليه وسلم اى تناول من يد ابى هريرة رضى الله تعالى عنه (القدح فحمد الله تعالى) على ما انعم به من الزيادة (وسمى) فقال بسم الله (وشرب الفضلة) اى مابقى منهم بعد شربهم كلهم والحديث بتمامه فى صحيح البخارى اقتصر المصنف رحمه الله تعالى منه على محل الشاهد منه كما هودأبه (وفى حديث خالد بن عبد العزى) الذى رواه البيهقى مسندا عنه ولم يذكره اصحاب الكتب الستة وخالد هذا كما قاله البرهان هو ابن سلامة ابوخناش بخاء معجمة مضمومة ونون وآخره شين معجمة ونونه مخففة وهو خزاعى وله صحبة وروى عنه ابن مسعود رضى الله تعالى عنه وقال التلمسانى انه خالد بن حزام بن خويلد بن اسد ابن عبد العزى ابن قصى هاجر الى الحبشة فى المرة الثانية فمات فى الطريق وهو ابن اخى خديجة ام المؤمنين رضى الله تعالى عنها (انه اجزر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم شاة) بالنصب مفعول اجزر بمعنى اعطى والنبى بالنصب ايضا مفعول اول واجزره اعطاه جزرة وهى شاة او نعجة او كبش او عنز تعطى لتجزر اى تذبح ولا تكون فى الناقة فانه يقال اجزره او جزره اذا اعطاه جزورا لغير الذبح كالركوب وهو معنى قول الجوهرى يقال اجزرت القوم اذا اعطيتهم شاة يذبحونها او كبشا او عنزا ولا تكون الجزرة الامن الغنم ولا يقال اجزرهم ناقة لانها قد تصلح لغير الذبح انتهى وفى القاموس هنا كلام غير مهذب وقصة خالد هذه كانت بالجعرانة لما نزل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وامسى ثم بدت له صلى الله تعالى عليه وسلم العمرة فارسله الى رجل من تهامة كما فى بعض الشروح هنا (وكان عيال خالد كثيرا يذبح الشاة) لاجلهم

واطعامهم (فلا تبد عياله) بفتح المثناة الفوقية وضمها وضم الموحدة وكسرها وفاعله ضمير الشاة يقال بده بموحدة ودال مهملة مشددة يبده اذا فرقته وقال ابن القطاع بددت الشئ فرقته وابددتهم العطاء فرقته فيهم وفي المحكم ابد الطعام بينهم اذا اعطى كل واحد منهم نصيبه على حدة وهو بيان لكثرتهم يعني ان الشاة اذا فرقت عليهم لا تكفيهم وقوله (عظما عظما) اذا فرقته عليهم قطعة قطعة وعظمة بعد عظمة لا تكفيهم لكثرتهم (وان النبي صلى الله عليه وسلم) بفتح همزة ان بالعطف على قوله انه اجزر الى آخره الذي هو مبتدأ مقدم خبره وهو قوله في حديث خالد (اكل من هذه الشاة) التي اجزرها له خالد (وجعل فضلتها) اي ما بقي منها بعد اكلهم (في دلو خالد) هو وعاء من ادم وجلد يستقى به الماء فالمراد به هنا جراب يشبه الدلو ويجوز ان يراد حقيقته لانه لم يكن معه وعاء غيره (ودعا له) اي لخالد ويجوز ان يعود للدلو (بالبركة) اي بالزيادة ولفظه اللهم بارك لابي خناش (فنثر ذلك) الطعام الذي في الدلو اي رماه (لعياله) بكسر العين قال الصاغاني في التكملة انه جمع عيل كجياد جمع جيد وهو من يلزمه الانفاق عليه ويكون اسما للواحد كما استعمله الحريري في مقاماته وذكره المطرزي في شرحه (فاكلوا وافضلوا) اي ابقوا بقية زادت عن كفايتهم ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم وبركة دعائه (ذكر خبره) اي خبر خالد او خبر ما ذكر من الاكل والزيادة (الدولابي) فاعل ذكر وهو بضم الدال المهملة وواو ساكنة ولام والف وباء موحدة وهو اسم بلدة نسب اليها وهو منقول من الدولاب بضم الدال وفتحها معرب دولب وهو الحافظ ابو بشر محمد بن احمد بن حماد بن سعيد بن مسلم الانصاري الرازي الوراق المحدث الجليل صاحب التصانيف روى عنه الكبار كالطبراني وابو حاتم وتوفي بين مكة والمدينة بالعرج في ذي القعدة سنة عشر وثلاث مائة ومولده سنة اربع وعشرين وفيه كلام مفصل في الميزان في ترجمته وله ذرية مشهورة ولهم دولابي آخر وهو ابو جعفر بن الصباح صاحب السنن والمراد الاول كما ذكره البرهان وغيره (وفي حديث الاجري) بالمد وضم الجيم وتشديد الراء المهملة منسوب للاجر المعروف بالطوب نسب لعمله وهو ابو بكر بن محمد الامام البغدادي كما تقدم تفصيله في ترجمته (في انكاح النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاطمة لعلي رضي الله تعالى عنهما) اي عقده نكاحها واللام مزيدة للتقوية (ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم امر بلالا) ان يأتي (بقصعة) مملوة (من اربعة امداد او خمسة) من حنطة او غيرها (ويذبح جزورا) بنصب يذبح بان مصدرية مقدرة وجزورا مفعول اي ان يذبح او معطوف على مقدر كما اشرنا اليه او على امر بتقدير وامره ان يذبح والجزور بوزن الشكور رأس من الابل ناقة او جملا سميت بها لانها مما يجزر اي وهي مؤنثة سماعية وان عمت ففيها شبه تغليب فافهم (لوليمتها) الوليمة هي الدعوة

اطعام يصنع في النكاح خاصة ويجمع على ولائم وهو مستحب (قال) بلال رضي الله تعالى عنه (فاتيته بذلك) اي امرني به من القصعة والجزور (فطعن في رأسها) ان كان الضمير للقصعة فرأسها بمعنى اعلاها وان كان للجزور فهو ظاهر وطعنه فيها ادخال يده فيها او مسكها لتحصيل البركة فيها (ثم ادخل الناس) اي امر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بدخولهم ليأكلوا (رفقة رفقة) بالنصب اي حال كون دخولهم جماعة بعد جماعة والرفقة بضم الراء وكسرها بمعنى الجماعة المترافقين المتصاحبين (يأكلون منها) جملة مستأنفة او حال مقدرة (حتى فرغوا) اي اكلوا جميعا الى ان شبعوا وفرغوا من اكلهم (وبقيت منها فضلة) اي فضل منها ما زاد على اكلهم (فبرك فيها) وفي نسخة بها وبرك بتشديد الراء المهملة اي دعا بان يبارك فيها ويجعل فيها البركة وهو الزيادة والنمو كما مر (وامر بحملها) اي بحمل القصعة بما فيها او بحمل الفضلة (الى ازواجه) اي الى بيوتهن (وقال) لازواجه (كلن واطعمن من غشيكن) بفتح الغين وكسر الشين المعجمتين اي كل من يأتي اليكن من غير اهل البيت يقال غشيه غشيا وغشاه اذا اتاه اتيان ما قدر غشيه اي ستره (وفي حديث انس) الذي رواه الشيخان مسندا (تزوج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) بعض ازواجه وهي صفية بنت حيي رضي الله تعالى عنها في مرجعه من خيبر بمحل يسمى سد الصهباء قال انس رضي الله تعالى عنه (فصنعت امي) وكنية والدة انس (ام سليم) بضم السين مصغرا واسمها سهلة وهي زوجة ابي طلحة الخزرجية الصحابية الصالحة القانتة وكان لها منزلة عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (حيسا) وقد تقدم انه طعام يصنع من لبن واقط وتمر وسمن يحاش اي يخلط بعضه ببعض (فجعلته) اي وضعته (في تور) بفتح المثناة الفوقية وواو ساكنة وراء مهملة وهو اناء من صفر او حجارة واسع رحراح كالصينية القريبة القعر (فذهبت) بضم التاء وهو ضمير انس المتكلم (به الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ضعه) على الارض (وادع لي فلانا وفلانا) ممن كان معه ثمة من كبار الصحابة وخصهما تشريفا لهما ثم عمم فقال (ومن لقيت) اي وادع كل من صادفته (فدعوتهم) اي دعوت من عينه اولا ولم يقل دعوتهما اما لان قوله فلانا فلانا مختصر كناية عمن عينه من القوم او لان الاثنين جمع على قول (ولم ادع) اي لم اترك (احدا) اي دعوته (لقيته الا دعوته) كما امرني به (وذكر) انس (انهم) اي من دعاهم (كانوا زهاء) اي مقدار (ثلاثمائة) رجل فاجتمعوا ثمة (حتى ملؤا الصفة) وهي موضع مظلل قدام البيت او دكة عليه فيه وليس المراد صفة المسجد المعهودة (والحجرة) وهي البيت الصغير المفرز من الدار (فقال لهم صلى الله تعالى عليه وسلم) بعد اجتماعهم (تحلقوا) تفعل اي استديروا حول الطعام كالحلقة طائفة بعد طائفة من غير ازدحام (عشرة عشرة) يسعهم مكان الطعام

(ووضع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يده على الطعام) الموضوع وهو الطعام الذى جاءه (فدعا فيه) بالبركة (وقال ماشاء الله ان يقول) اى ماارادالله من دعائه الذى علمه وابهمه لانه اسره فلم يسمعوه لانه من الاسرار التى خصه الله تعالى بها (فاكلوا حتى شبعوا كلهم فقال) صلى الله تعالى عليه وسلم (لى) اى لانس (ارفع) التور بما فيه (فما ادرى حين وضع) عنده قبل الاكل منه (كان) الطعام (اكثر ام حين رفع) بالبناء للمجهول وفى بعض النسخ وضعت ورفعت واعلم ان هذا الحديث ذكره بعينه عن انس قبل هذا فاعادته هنا تقتضى ان القصة صح تكررها وانه وقع مرة فى تزوجه صلى الله تعالى عليه وسلم بزينب بنت جحش واخرى حين تزوج صفية وقد استشكله المصنف رحمه الله تعالى فى شرح مسلم فقال ماوقع فى الحديث من ان تكثير الطعام وكان فى وليمة زينب يخالف الروايات المشهورة من ان وليمتها كانت بالخبز واللحم ولم يذكر فيها تكثير الطعام وانما فيه انهم شبعوا من الخبز واللحم ففيه وهم من الراوى ادخل فيه قصة فى قصة فان التكثير فى قصة صفية لافى وليمة زينب التى نزلت فيها آية الحجاب وتعقبه القرطبى بانه لاوهم فيه وانه لامانع من الجمع بين الروايتين بان الذين دعوا للخبز واللحم اكلوا وذهب منهم جمع و بقى آخرون يتحدثون فجاء انس بالحيس ودعا الناس كما ذكره المصنف رحمه الله هنا وقال ابن حجر ايضا لاوجه لانكاره تكثير الطعام فى حديث الخبز واللحم فان انسا قال انه اولم بشاة اشبعت الناس وماقدرها حتى تشبعهم وهم نحو الالف فالظاهر ان المصنف رحمه الله تعالى رأى هنا تعدد القصة ولذا صرح بزينب اولا ولم يسمها اشارة الى انها صفية الان فيه توقفا عندى من جهة اخرى فان وليمة صفية كانت فى السفر وذكر القصعة والحجرة ينافيه والحيس فيها صنعه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لام سليم وما قبل من ان ام سليم اهدته له صلى الله تعالى عليه وسلم بعد قدومه المدينة فرحا بتزوجه لايخفى مافيه من البعد و بعد كل كلام فكلام المصنف رحمه الله تعالى فيه اضطراب يحتاج للتحرير (واكثراحاديث هذه الفصول الثلاثة) اى نبع الماء من بين اصابعه وانفجاره بدعوته وتكثير الطعام ببركته (فى الصحيح) من الاحاديث وكتبها المعتمدة وقوله اكثر اشارة لضعف بعضها (وقداجتمع على معنى هذا الفصل بضعة عشر من الصحابة) يعنى توافقوا على مايفيده المجموع بقطع النظر عن كل واحدة على حدة وتقدم ان البضع بكسر الباء من الثلاثة الى التسعة مع اختلاف فى استعماله فيما فوق العشرين والصحيح جوازه لوروده فى الحديث وقوله بضع وعشرين درجة فى فصل الصلاة وتفصيله مشهور (رواه عنه اضعافهم من التابعين ثم) رواه عن الاضعاف من التابعين وتبع التابعين (من لايعد بعدهم) بصيغة المجهول وفى بعض النسخ من لانعد بالنون (واكثرها) اى اكثر احاديث الفصول الثلاثة

(فى قصص مشهورة) بحسب الرواية (ومجامع مشهودة) جمع مجمع وهو محل يجتمع فيه الناس بكثرة قال الفرزدق * اذا جمعتنا ياجرير المحافل * والمشهد من الشهود بمعنى الحضور وفيه تجنيس وتورية بديعة ومايقع بين كثير من الناس لايمكن ان يكون غير واقع او منتقل (ولايمكن التحدث عنها الا بالحق) اى لاينتقل عن مثلها الا الامور الصادقة المحققة (ولا) يمكن ان (يسكت الحاضر) فى مجالس وقوعها والتحدث بها وضمن الحاضر معنى السامع فعداه باللام فى قوله (لها على ماانكره) منها مما يخالف الواقع

﴿فصل فى كلام الشجر﴾

الآتى بيانه والشجر ماقام على ساق واحدة شجرة وماعداه نبات وقديطلق على بعض النبات شجر كاليقطين والحنطة والكلام مايتلفظ به اسم ويجيء بمعنى التكليم وتكليمه له صلى الله تعالى عليه وسلم بان يخلق الله تعالى فيه نطقا ولما كان هذا امرا خارقا للعادة لم يقل ومن معجزاته فلا حاجة لذكره كما قيل (وشهادتها له بالنبوة) من عطف الخاص على العام (واجابة ما دعوته) اى طلبه صلى الله تعالى عليه وسلم منها ان يجيء نحوه كما سيأتى وله منها حديث رواه البيهقى والبزار والدارمى مسندا عن ابن عمر وهو ماذكره بقوله (حدثنا احمد بن محمد بن غلبون) بفتح الغين المعجمة وسكون اللام وموحدة ممنوع من الصرف للعلمية وشبه العجمة كزيدون وسعدون ومثله كثير فى لسان اهل المغرب (الشيخ الصالح فيما اجازنيه) عداه بنفسه لمفعولين وهو لغة حكاها ابن فارس فى المجمل ويتعدى باللام والباء والاجازة الاذن فى الرواية عنه والكلام على انواعها ولغتها مفصل فى ابن الصلاح وحواشيه فلا حاجة لذكره هنا (عن ابى عمرو الطلمنكى) بالطاء المهملة واللام والميم المفتوحات ونون ساكنة وكاف تقدم الكلام عليه وعلى نسبته (عن ابى بكر بن المهندس) المعروف بابن ابى طاهر والمهندس بوزن اسم الفاعل ويقال مهندز بالزاى وهو معرب وليس فى لغة العرب دال بعدها زاى والهندسة اسم علم معروف من الرياضيات وفى العرف العارف باحوال البناء (عن ابى القاسم البغوى) نسبة الى بغو ويقال بغا وهى قرية بين مرو وهراة واصلها بغشور مخفف وهذا هو عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز بن المرزبان الامام الحافظ الجليل البغدادى بنت احمد بن منيع وليس هو البغوى المشهور صاحب المصابيح والتفسير محيى السنة ومولد هذا فى رمضان سنة اربع عشر ومائتين وتوفى ليلة عيد الفطر سنة سبع عشرة وثلاثمائة وترجمته فى الميزان (قال حدثنا احمد بن عمران الاخنسى) بياء النسبة لاخنس بخاء معجمة ونون وسين مهملة بوزن افعل وقيل انه الاخنس بغير نسبة لقب له وهو كذلك فى بعض النسخ وقيل هما واحد وقيل اسمه محمد وتوفى فى حدود الثلاثين ومائتين وكان ببغداد وفيه كلام (قال حدثنا ابوحيان التيمى) بحاء مهملة مفتوحة ومثناة تحتية مشددة منسوب

لانيم قبيلة مشهورة وهو امام ثقة اخرج له الستة وتوفى سنة خمس وار بعين ومائة وهذا الحديث منقطع فانه سقط بين ابن عمران وابى حيان راو وهو محمد بن فضيل كما سيأتى فى كلام المصنف فى بعض النسخ وترد د فى تعيينه البرهان ومثله لا يكون رجما بالغيب (وكان صدوقا) وثقة ردا على بعض من طعن فيه (عن مجاهد) تقدمت ترجمته (عن ابن عمر) الصحابى المشهور رضى الله تعالى عنهما (قال كنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى سفر فدنا منه) اى قرب منه من الدنو اعرابى نسبة الى الاعراب وهم سكان البادية من العرب وفى النسبة اليه وهو جمع حقه ان يرد لمفرده كلام مشهور (فقال) له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (يا اعرابى اين تريد) اى تقصد بسيرك وسفرك هذا (قال الى اهلى) اى اريد مكانا فيه اهلى ولم يعينه لانهم نزالة رحالة وعداه بالى لتضمنه معنى التوجه والارادة متعدية بنفسها وانما قدم سؤاله تأنيسا له وازالة لما فى نفسه من مهابته صلى الله تعالى عليه وسلم فانه كان مهيبا لمن رآه وتوطئة لقوله (قال هل لك الى خير) اى هل تنقاد وتذعن لخير مما انت فيه (قال وما هو) اى الخير الذى دعوتنى له (قال تشهد ان) مخففة من الثقيلة (لا اله الا الله وحده) حالة لازمة اى متوحدا منزها عما يشاركه فى ذاته وصفاته وفى كونه معبودا بحق وقوله (لا شريك له) تأكيد لوحدانيته بعد تأكيد (وان محمدا عبده ورسوله) قدم العبودية تنزيها لنفسه عن الاطراء فى مدحه (قال) الاعرابى (من يشهد لك على ما تقول) من دعوى الرسالة (قال هذه السمرة) بفتح السين المهملة وضم الميم وراء مهملة مفتوحة وهى شجرة عظيمة ذات شوكة من الطلح واشار اليها لقربها منه وفى نسخة بعد ما تقدم فادعها فانها ستجيبك قال فدعوتها (وهى) اى السمرة (بشاطى الوادى) بشين معجمة والف وطاء مهملة وهمزة بمعنى جانب وطرف الوادى الارض الواسعة المستوية من ودى بمعنى سال لما فيها من المياه السائلة (فاقبلت) الفاء فصيحة اى فدعاها لتشهد له فاقبلت (تخد الارض) بمثناة فوقية وخاء معجمة مضمومة ودال مهملة مشددة اى تشقها ومنه الاخدود وشقها لتسعى بعروقها التى فى جوف الارض ولولا ذلك لم تتحرك (حتى وقفت بين يديه) صلى الله تعالى عليه وسلم بان قامت محاذية له قريبا منه (فاستشهدها ثلاثا) اى قال لها ثلاث مرات وطلب منها ان تشهد له بانه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وجملة تخد الارض حالية او مستأنفة وانما كرر استشهادها تأكيدا ليقرر ذلك فى قلب الاعرابى (فشهدت) له بانه رسول الله حقا ارسله الله الذى لا شريك له ولم يبين ما نطقت به لانه معلوم من السياق (ثم رجعت الى مكانها) الذى كانت فيه وفى هذه القصة معجزات له صلى الله تعالى عليه وسلم خلق الله فى الجماد ادراكا ونطقا وحركة ارادية يجئ بها ويذهب وقد وقعت على سبيل التحدى لخد المعجزة

منطبق على كل واحدة منها (و) فى حديث رواه البزار مسندا (عن بريدة) بضم الموحدة وفتح الراء المهملة ومثناة تحتية ودال مهملة علم منقول من مصدر البردة المعروفة وهو ابو عبد الله بن الحصيب مصغر حصب بمهملتين وموحدة وهو صحابى اسلم قبل بدر وشهد الحديبية ومات بمرو خراسان غازيا فى ايام معاوية او يزيد سنة اثنين او ثلاث وستين من هجرته صلى الله عليه وسلم (سأل اعرابى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم آية) اى علامة ومعجزة تدل على انه رسول حتى يؤمن به (فقال له قل لتلك الشجرة) مشيرا لسمرة كانت ثمة وهى تلك السمرة المذكورة فى الحديث الذى قبله او غيرها (رسول الله يدعوك) بكسر الكاف اى يطلب منك المجئ اليه والحركة نحوه (قال) اى بريدة فدعاها (فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها) اى مالت ميلا شديدا وتحركت فى جهاتها الاربع حتى تخلص عروقها من الارض وتمكنها الحركة نحوه صلى الله تعالى عليه وسلم (فتقطعت عروقها) المتمكنة فى مغرسها وهو اما على ظاهره او المراد انها تخلصت وهذا هو الظاهر من قوله (ثم جاءت تخد الارض) وتشقها (تجر عروقها) من خلفها وهذا يدل على انها لم تقطع ولو تقطعت فسدت ولم تبق نابتة بحالها وقيل انه معجزة اخرى مخالفة للعادة من بقائها بعد تقطع عروقها التى هى سبب حياتها والجملتان حالان مترادفتان او متداخلتان والثانية مؤكدة للاولى ولذا لم تعطف عليها (مغبرة) اى مسرعة فى مشيها قال الله تعالى * فالمغيرات صبحا * ومنه المغارة على العدو وهو منصوب على الحال ايضا ومغيرة اسم فاعل من المغارة وبعد الغين المعجمة مثناة تحتية ساكنة وقيل انه بباء موحدة مشددة مكسورة وراء مهملة مخففة وقيل الغين ساكنة والباء مفتوحة مخففة والراء مفتوحة مشددة من الغبار وهو حال من الفاعل المستتر او من العروق واكل منها ذهب بعض (حتى وقفت بين يدى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) قريبا منه مواجهة له (فقالت السلام عليك يا رسول الله) وفيه شهادة برسالته وتوقيره ولم يذكر انه رد عليها السلام لان السلام انما شرع تحية موجبة للرد فى حق البشر لانه امان وليست من اهله فاقيل من انه صلى الله عليه وسلم رد عليها السلام مكافاة لها لا وجوبا اذ ليست مكلفة امر يحتاج للنقل فكان عليه بيانه والسلام دعاء بالسلامة وقيل انه هنا اسم لله اى الله معك حفيظ لك وفيه كلام ليس هذا محله (قال الاعرابى مرها) بضم الميم امر اصله اومرها فخفف (فلترجع الى منبتها) تفسير للامر ومنبتها بكسر الباء موضع نباتها ويجوز فتحها فامرها (فرجعت) لمحلها (فدلت عروقها) اى ادخلتها فى الارض اصلها (فاستوت) اى انتصبت قائمة من غير ميل بها (فقال الاعرابى) لما رأى هذه المعجزة وآمن به صلى الله تعالى عليه وسلم (ايذن لى) امر من الاذان بكسر الهمزة

الاولى وسكون الثانية ويجوز ابدالها ياء (اسجدلك) مجزوم فى جواب الامر اوجواب شرط مقدر اى ان تأذن لى فى السجود اسجدلك فابى صلى الله عليه وسلم ذلك و (قال) له (لو امرت احدا ان يسجد لاحد) اى لو جاز لى امر مخلوق بالسجود لمخلوق مثله (لامرت المرأة ان تسجد لزوجها) لوجوب طاعته عليها ولماله عليها من الحقوق الموجبة للتعظيم والخضوع والركوع والسجود والركوع لايجوز لغير الله تعالى فى ملتنا وقد قيل انه كان جائزا فى الشرايع التى قبل شريعتنا بقصدا لتعظيم لا العبادة ولذا قال الله تعالى * ورفع ابويه على العرش وخرواله سجدا اذا كان الضمير ليوسف عليه الصلوة والسلام ولذلك جاز سجود الملائكة لآدم عليه الصلوة والسلام ثم نسخ هذا فى شريعتنا وكان ذلك تحية الملوك عندهم ولذا طلب الاعرابى الاذن فى تعظيمه عليه الصلاة والسلام لذلك فنهاه عنه وكذلك الانحناء على هيئة الركوع نهينا عنه وعوضنا عن ذلك تحية الناس بالسلام والمصافحة (وقال) الاعرابى لما نهاه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عن السجود (فاذن لى اقبل) مجزوم فى جواب الامر (يديك ورجليك) تعظيما لك (فاذن له) فى تقبيل يديه ورجليه فقبلهما وفيه دليل على جواز تقبيل اليد والرجل من الفاضل للمفضول اذا كان لزهده وصلاحه او علمه وشرفه وليس بمكروه بل يستحب اذا كان تعظيمه لامر دينى كما قاله النووى فى الاذكار فان كان لامر دنيوى فهو مكروه وقد ورد فى احاديث كثيرة صحيحة تقبيل يد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وبهذا رد على التولى من ائمة الشافعية حيث اطلق القول بعدم جوازه (وفى الصحيح) اى الحديث الصحيح او المراد به صحيح مسلم لانه روى هذا الحديث مسندا فيه (فى حديث جابر بن عبد الله الطويل) بالجر صفة الحديث ووصفه به لتوجيه عدم ايراده بتمامه هنا (ذهب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) الى الصحراء (يقضى حاجته) لانه لم يكن فى بيته خلاء وهكذا سائر بيوتهم وهو كناية عن التغوط اى ذهب لاجل ذلك (فلم ير شيئا يستتر به) اى حائلا بينه وبين رؤية عورته بعد كشفها (فاذا بشجرتين) اذا الفجائية والباء زائدة اى فاجاه بغتة من غير ترقب منه اى فاذا هو فالمبتدأ مقدر هنا (فى شاطئ الوادى) بالهمزة اى طرفه وجانبه (فانطلق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى احداهما) اى توجه الى احدى الشجرتين حتى قرب منها (فاخذ بغصن من اغصانها) اى امسكه صلى الله تعالى عليه وسلم بيده (فقال) للشجرة (انقادى على) اى طاوعينى وميلى على لتكونى ساترة له عن الاعين (باذن الله) اى بتيسيره وتسهيله وارادته لابقوة جذبى واذن الله يتجوز به تجوزا مشهورا (فانقادت معه) اى طاوعته ومالت حتى سترته كما اراد وانما امسك غصنها ولم يكتف بمجرد دعوتها كما فى الحديث الذى قبله لان ذلك كان لاظهار المعجزة حتى يسلم الاعرابى وهنا لم يقصد ذلك (كالبعير المخشوش) اى

كما ينقاد البعير المخشوش لمن يقوده بسهولة وهو اسم مفعول بخاء وشينين معجمتين وهو الذى يوضع فى انفه خشاش بكسر الخاء والبعير الذى يعسر قوده يخرق انفه ويوضع فيه شئ يذلل به فان كان عودا من خشب فهو خشاش وان كان مفتولا من وبر ونحوه فهو خزام وان كان من نحاس ونحوه من المعدنيات فهو برة كما قاله الخطابى وبهذا علمت موقع قوله المخشوش هنا لان الغصن من جنس العود فلذا لم يقل المخزومى وهى نكتة سرية لم ينبهوا عليها والتشبيه فى السرعة والسهولة وفيه تشبيه الشجرة بالبعير وهو واقع فى كلامهم كعكسه فى قوله فى الابل * لمن شجر قد اثقلتها ثمارها * سفائن بر والسراب بحارها * والخشاش مأخوذ من قولهم خش بمعنى دخل لادخاله فى الانف وقوله (الذى يصانع قائده) صفة البعير وهو يطلق على الذكر والانثى كما مر والمصانعة مفاعلة من الصنع وهو العمل والمراد به الملاينة وسهولة الانقياد مستعار من المصانعة وهى المداراة والاعطاء ولذا قيل للرشوة مصانعة كما قاله الراغب (وذكر) اى جابر رضى الله تعالى عنه فى حديثه هذا (انه) صلى الله تعالى عليه وسلم (فعل بالاخرى) اى بالشجرة الاخرى التى كانت بالوادى (مثل ذلك) اى مثل مافعل بالاولى بان امسك غصنا منها حين انقادت له صلى الله عليه وسلم بسهولة (حتى اذا كان) صلى الله تعالى عليه وسلم اى حل ووجد بالمنصف بفتح الميم وسكون النون وفتح الصاد المهملة المخففة اى حل فى وسط المكان (بينهما) اى بين الشجرتين وهذا استرله (قال التئما) بفتح المثناة الفوقية وكسر الهمزة اى انضما واجتمعا (على باذن الله) بتيسيره وارادته والالتئام الاجتماع ومنه التئام الجرح والاستتار من رؤية العورة واجب اذا كان عنده من لايغض بصره ممن يحرم نظره اليها وهذا لاينافى كون هذا معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم فان اللازم التستر باى وجه كان (وفى رواية اخرى) لحديث جابر رضى الله تعالى عنه من غير طريق مسلم (فقال) صلى الله عليه وسلم (ياجابر قل لهذه الشجرة) التى بشاطئ الوادى (يقول لك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الحقى بصاحبتك) اى تحركى واذهبى حتى تكونى مع الشجرة الاخرى وسماها صاحبة لكونهما فى واد واحد او باعتبار مايؤل بعد اللحوق والانضمام (حتى اجلس) لقضاء الحاجة مستترا (خلفكما فزحفت) بزاى معجمة وحاء مهملة وفاء وفى نسخة فرجعت براء وعين مهملتين بينهما جيم (حتى لحقت بصاحبتها فجلس خلفهما) اى بان جعلهما بينه وبين الناس قال جابر رضى الله تعالى عنه (فخرجت احضر) بضم الهمزة وسكون الحاء المهملة وكسر الضاد المعجمة والراء المهملة اى اسرع فى العدو من الحضر بالضم والسكون قال الجوهرى الحضر بالضم العدو ويقال احضر الفرس احضارا واحتضر اذا عدا انتهى فهو مضارع

المزيد للمتكلم كاكرم يكرم (وجلست احدث نفسى) حديث النفس مجاز عما يخطر بالبال من هذه الامور العجيبة والمنقبة الشريفة التى شاهدها رضى الله تعالى عنه من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم وانما اسرع وعدا لما كان يعلمه منه من المبالغة فى التستر والابعاد عن الناس اذا قضى حاجته لشدة حيوته صلى الله تعالى عليه وسلم حتى انه كان يذهب وهو بمكة لقضاء حاجته الى المعمس وهو مكان بينه وبين مكة نحو ميلين ولذا تأدب ولم يمش على تؤدته حتى يقف صلى الله تعالى عليه وسلم منتظرا لبعده عنه (فالتفت) اى حولت وجهى وانا جالس الى جانبه لانظر ما حدث بعد الحدث (فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبل) اذا الفجائية اى فاجانى بغتة بعد التفاتى فابصرته ومقبلا اسم فاعل من الاقبال مرفوع خبر رسول وفى نسخة مقبلا بالنصب على الحالية من مقدر اى جاء مقبلا والجملة خبر المبتدأ والحال مؤكدة كولى مدبرا (والشجرتان قد افترقتا) وعادت كل واحدة منهما لمحلها وهى جملة اسمية حال من الضمير المستتر فى قوله مقبل (فقامت كل واحدة منهما على ساق) منتصبة فى منبتها مفارقة لصاحبتها والساق حقيقة فيما قام عليه الشجر وما لا ساق له فهو نجم ونبت فاذا ظهر على وجه الارض فهو عشب فاذا غطى الارض فهو كلاء كما فصله اهل اللغة (فوقف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقفة) يسيرة ينتظر لما اكرمه الله تعالى به من مشى الشجر لاجله (فقال برأسه) اى حركه (هكذا) وفسره بقوله (يمينا وشمالا) منصوبان على الظرفية اى فى جانب اليمين والشمال وقال هنا بمعنى مال اى ميل رأسه الشريف فى الجهتين قال فى القاموس قال ابن الانبارى يجئ قال لمعان يقول قال فاكل وقال فضرب وقال لتكلم ومال واقبل الى آخر ما فصله وقيل قال هنا مجاز من الاشارة لاشتراكهما فى الافهام وقيل انه اذن لهما فى الرجوع الى مكانهما وهو لا يوافق قوله فقامت كل واحدة منهما على ساق فتدبر (وروى اسامة بن زيد) فى حديث اخرجه البيهقى فى الدلائل وابو يعلى بسند حسن عنه (نحوه) اى يعنى الحديث الذى قبله (قال) اسامة (قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض مغازيه) جمع مغزاة بمعنى الغزاة او محلها كما مر (هل) استفهام حذف المستفهم عنه للعلم به او استهجان ذكره او لانه لم يسمعه او لم يفهمه او لم يجده فى اصله اى هل ترى مكانا لائقا بقضاء الحاجة واليه اشار بقوله (يعنى مكانا لحاجة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) الحاجة هنا كناية عن البول والغائط (فقلت ان الوادى ما فيه موضع بالناس) الباء سببية وما نافية اى ما فيه موضع خال بسبب نزول الناس فيه فهو مملو بهم (فقال هل ترى من نخل او حجارة) مرتفعة يمكن ان يستتر بها كالنخل الذى يقضى الحاجة خلفه ويكون فيه سترة ومن زائدة بعد الاستفهام (قلت ارى نخلات) جمع نخلة (متقاربات) اى قرب بعضها من بعض

وهو مناسب للسترة بها للجلوس بينها وروى متكاربات بالكاف وهو لغة بمعنى متقاربات والقاف تبدل كافا كثيرة وقرئ فى الشواذ لا تكهر فى لا تقهر ورأى بصرية وكونها علمية بعيد فهى صفة نخلات منصوبة (قال انطلق وقل لهن) اى للنخلات (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يأمركن ان تأتين) اى تجتمعن وتتزائد قربكن ليكون استره (لمخرج رسول الله) صلى الله تعالى عليه وسلم اى لمكان خرج اليه لقضاء حاجته فيه (وقل للحجارة مثل ذلك) اى مثل قولك للنخلات من امره صلى الله تعالى عليه وسلم لها ان تأتين لمخرجه وفى كلام اسامة لم يأمر الحجارة اما لعدم الحاجة اليها مع النخيل او لانها لم تكن مرفوعة حتى تعد سترة (فقلت ذلك لهن) الفاء فصيحة اى فذهبت فقلت ما امرنى به لهن (فوالذى بعثه بالحق) قسم اى بالدين الحق (لقد رأيت النخلات تتقاربن) اى يدنو بعضها من بعض (حتى اجتمعن) فى مكان واحد (والحجارة) بالنصب (تتعاقدن) اى ينضم بعضها الى بعض حتى يصرن كالبنيان المعقود بعضه ببعض (حتى صرن ركاما) بضم الراء المهملة اى بعضها فوق بعض (خلفهن) متعلق بركاما والضمير للنخلات يعنى ان الحجارة اجتمعت مع النخل وفى نسخة فجلس خلفهن فالضمير للنخلات والحجارة (فلما قضى حاجته قال لى قل لهن يفترقن) اى يرجع كل نخلة وحجر الى موضعه الذى كان فيه اولا (فوالذى نفسى بيده) اى الله الذى روحى فى قبضة تصرفه وارادته ان شاء ابقاها وان شاء اماتها والنفس لها معان مشهورة منها الروح وغاير بين القسمين تفننا مع مناسبة الاولى للمقسم عليه من ان له دينا حقا وهو رسول له معجزات منها ما ذكر ومناسبة الثانى لحاله من ان من آمن بالله وخشية لا يتكلم الا بالحق لا سيما فيما ذكر (لرأيتهن والحجارة) بالنصب عطف على الضمير وهو مفعول معه والضمير للنخلات واللام فى جواب القسم (يفترقن حتى عدن الى مواضعهن) وفيه معجزات له صلى الله تعالى عليه وسلم فى سعى النخل والحجارة بامره مرتين وخلق الله تعالى فيها قوة تسمع وتأتمر بامره والحديث طويل وفيه معجزات اخر من اتيان امرأة له صلى الله تعالى عليه وسلم بولد لها صغير كان يصرع فتفل فى فمه فلم يعد له ذلك وان امرأة اتت له صلى الله تعالى عليه وسلم بشاة فسواها اسامة له فقال له ناولنى منها ذراعا فناوله ثم قال ذلك فناوله ثم قال فقال اسامة الها غير ذراعين فقال لو سكت لم تزل تناولنى منها وكان ذلك فى سفره للحج بمحل يقال له الروحاء (وقال يعلى ابن سيابه) فى حديث صحيح رواه احمد والبيهقى والطبرانى ويعلى بزنة يرضى علم منقول من المضارع وسيابة بفتح السين المهملة وتشديد المثناة التحتية والف وموحدة تليها هاء اسم امه فيرسم ابن بالالف وابو مرة بن مرازم وقيل مرة ابن وهب الثقفى وقيل انهما اثنان وهو صحابى بصرى او كوفى وترجمته مفصلة فى الاصابة والرواية عنه نادرة وهو من اهل

الشجرة (كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم فى مسير) بفتح الميم مصدر ميمى او اسم
زمان اومكان قيل والاول اولى (وذكرنحوا من هذين الحديثين) اللذين قبله فى ذهابه
لقضاء حاجته وامره للشجرتين غيرانه قال (وذكرفامرو ديتين) تثنية ودية بفتح الواو
وكسر الدال المهملة والمثناة المشددة قبل الهاء وهى صغار النخل التى تخرج من
اصول كبارها فتنقل وتغرس وتسمى فسيلا وفراحا (فانضمتا) اى انضمت احداهما
للاخرى كالذى مر (وفى رواية اشائين) بفتح الهمزة وكسرها فى بعض النسخ
خطأ وشين معجمة والف ممدودة وهمزة وتاء تأنيث مثنى اشاة وهى من صغار النخل
ايضا لكنها اكبرمن الودية وهمزته الثانية منقلبة عن ياء وقيل اصلية (وعن غيلان
ابن سلمة الثقفى فى شجرتين) وغيلان بفتح الغين المعجمة وتحتية مثناة ولام ونون
وهو غيلان بن سلمة ابن معتب بوزن معلم بالتشديد ابن مالك بن كعب ابن عمرو بن
سعد بن عوف بن ثقيف الصحابى الشاعر اسلم بعد الطائف وتوفى فى آخر خلافة
عمر وهوالذى اسلم على عشر نسوة و فى هذه الرواية لم تعين الشجرتان (وعن ابن
مسعود مثله فى غزاة حنين) اسم موضع معروف وغزوة حنين كانت بعد الفتح بسنة
كما فصل فى السير وضمير مثله راجع الماذكر من امر الشجرتين (وعن يعلى بن مرة وهو
ابن سيابة ايضا) اشارة الى مامرمن الاختلاف فى اسم ابيه كما سمعته آنفا وان سيابة
اسم امه (وذكر اشياء رأها من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى ذكر ابن
سيابة امورا خارقة للعادة من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم شاهدها منه
صلى الله تعالى عليه وسلم فى تلك الغزوة (فذكران طلحة رضى الله تعالى عنه او سمرة
رضى الله تعالى عنه) بفتح المهملة وضم الميم كامر نوعان من شجر البرية ذات شوك
تسمى العضاة واو للشك من الراوى فى تلك الشجرة (جاءت فطافت به) صلى الله
تعالى عليه وسلم اى دارت حوله وفى بعض النسخ فاطافت بهمزة قبل الطاء المهملة
وهو بمعناه يقال طاف واطاف ويطوف واستطاف بكذا اذا الم به ودار حوله واما كونه
من الطوف بمعنى الغائط ويقال منه ايضا طاف واطاف اذاذهب الى البراز ليتغوط
وانه اسند الى الشجرة مجازا فتكلف لاحاجة اليه ولبس فى هذا التجوز معنى حسن
يرتكب لاجله وان كان صحيحا بحسب اللغة ولايناسب قوله بعده (ثم رجعت الى
منبتها) اى موضعها الاول الذى نبتت فيه (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم انها) اى تلك الشجرة استأذنت (ان تسلم على) اى استأذنت ربها ويجوز
ان يكون هذا مجازا والمعنى انها طلبت من الله تعالى ان يعطيها قدرة كقدرة العقلاء
من المشى اليه صلى الله تعالى عليه وسلم والسلام عليه بالمقال لا بلسان الحال
وهذا صريح فى انه لم يكن للتغوط كما قيل (وفى حديث عبدالله بن مسعود رضى الله
تعالى عنه) الذى رواه الشيخان مسندا (اذنت) بالمد بمعنى اعلمت وفاعله شجرة الآتى

وقوله (النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) بالنصب مفعوله و (بالجن) متعلق به اى
بحضورهم عنده صلى الله تعالى عليه وسلم واستماعهم منه القرأن (ليلة استمعوا له)
منصوب على الظرفية اى فى الليلة التى استمعوا قرأته صلى الله تعالى عليه وسلم
للقرأن (شجرة) وفيه دلالة على انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يرهم عيانا فى هذه القصة
وانما كانوا عنده وهو لم يرهم وانما نطقت الشجرة واعلمته بحضورهم واستماعهم
وفى هذه القصة كلام سنفصله (وعن مجاهد عن بن مسعود فى هذا الحديث) الذى
رواه الشيخان (ان الجن قالوا) له صلى الله تعالى عليه وسلم لما اجتمعوا به (من يشهد لك)
بانك رسول الله (قال هذه الشجرة) ثم دعاها للشهادة فقال (تعالى يا شجرة)
بفتح اللام وسكون الياء التحتية وهو امر من تعالى يتعالى بالطلوع لمكان عال ثم
عم و صار بمعنى اقبل مطلقا وكسر اللام قال كثير من النحاة انه لحن ولم
يرتضه الزمخشرى وقال انه قرئ به فى الشواذ وانه لغة وعليه قول ابى فراس
وهو اسير يسمع * تغريد حمامة شوقته لاوطانه * ومعاهد الفه واخوانه *

* اقول وقد ناحت بقربى حمامة * اياجارتى هل بات حالك حالى *
* معاذ الهوى ما ذقت طارقة النوى * ولاخطرت منك الهموم ببالى *
* اتحمل محزون الفؤاد قوادم * الى غصن نائى المسافة عالى *
* ايا جارتى ما انصف الدهر بيننا * تعالى اقاسمك الهموم تعالى *
* تعالى ترى روحا لدى ضعيفة * تردد فى جسم يعذب بالى *
* ايضحك ماسور ويبكى طليقة * ويسكت محزون ويندب سالى *
* لقد كنت اولى منك بالدمع مقلة * ولكن دمعى فى الحوادث غالى *

(فجاءت) امتثالا لامره صلى الله تعالى عليه وسلم اذقال تعالى (تجر عروقها) لانها
لما خرجت من محلها اخرجت عروقها التى كانت فى داخل الارض فلما مشت انجرت
خلفها (لها) اى لعروقها اوللشجرة نفسها (قعاقع) اى صوت قوى كصوت
الرحاء وهو جمع قعقعة وهى حكاية صوت الحركة من الاجرام الصلبة وقيل
يجوزان يراد به صوت كلام جوهرى لها اذانطقها الله تعالى اوالصوت من شق
الارض كامر انها جاءت تخد الارض وصوت اصطكاك اعضائها وقال الحافظ
العراقى حديث مجاهد عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه مرسل نقلا عن شيخه
العلاى وابن الصلاح (وذكر) مجاهد (مثل الحديث) اى مايشابهه لفظا ومعنى
(او نحوه) اى قريبا منه وان لم يكن بينهما شبه تام ونحوه يكون بمعنى مثل مطلقا
ويكون بمعنى مايقرب منه وان لم يكن مثله وهو المراد هنا لجمعه بينهما وقوله
فى اول الحديث ان الشجرة اعلمته بالجن يقتضى انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يرهم
وقوله بعده انهم قالوا له من يشهد لك يقتضى انه رأهم وخاطبهم ولا تناقض

فيه لان القصة تعددت وتحقيقها كما فى كتاب آكام المرجان فى احكام الجان انه صلى
الله تعالى عليه وسلم لما ايس من ثقيف رجع من الطائف لمكة فقام بنخلة يصلى
جوف الليل فمر به نفر من الجن جن نصيبين وسمعوا قراءته فآمنوا به واتوا قومهم
منذرين كما اخبر الله تعالى عنهم بقوله واذ صرفنا اليك نفرا من الجن الى آخره وفى
هذه القصة كما فى الصحيحين لم يقرأ عليهم ولا رأهم وانما كانت الشياطين لما حيل بينهم
و بين خبر السماء تفرقوا فى الارض ليعلموا سبب ما حدث فمر به صلى الله تعالى عليه
وسلم منهم من جاء تهامة وهو راجع من عكاظ وقد قام يصلى الفجر باصحابه فلما سمعوا
قراءته صلى الله عليه وسلم قالوا اهذا الذى حال بيننا و بين خبر السماء فرجعوا
واخبروا قومهم وانزل الله عليه قل اوحى الى السورة كما قاله ابن عباس رضى الله عنهما
قال البيهقى وهذا كان فى اول امره ولم يرهم واتاه مرة اخرى داعى الجن فرأهم
وقرأ عليهم كما رواه ابن مسعود وفى القصة الاولى لم يرهم وانما الذى اعلمه بهم الشجرة
وروى انه صلى الله عليه وسلم قرأ عليهم سورة الرحمن فكانوا كلما قال فبأى الاء ربكما
تكذبان قالوا ولا بشئ من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد وابن مسعود اعلم بقصة الجن
من ابن عباس لانها كانت قبل الهجرة سنة احدى عشرة من النبوة وابن عباس طفل
وقال السهيلى رحمه الله تعالى انهم كانوا يهود لقولهم من بعد موسى دون عيسى
كما ذكره ابن سلام واختلف فى عددهم فقيل سبعة وقيل تسعة وفى مسلم انه قيل
لابن مسعود هل صحب احد منكم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة الجن قال لا وكنا
فقدناه ليلة فالتمسناه فى الاودية فلم نجده وبتنا بشر ليلة فلما اصبحنا جاء من قبل حراء
وقال اتانى الليلة داعى الجن فذهبت معه وقرأت عليهم القرأن وانطلق بنا وارانا
آثار نيرانهم وذكر لنا ما امرهم به من ازاد وهذه غير الليلة التى اعلمهم بها وذهب معه
ابن مسعود وخط له خطا وغاب عنه ثم عاد اليه وكانت بمكة وقد قال صلى الله تعالى
عليه وسلم لاصحابه من احب منكم ان يحضر الليلة امر الجن فليفعل فلم يحضر احد
منهم غيرى فانطلقنا حتى اذا كنا باعلى مكة خط لى برجله خطا امرنى ان اجلس
فيه ثم انطلق حتى قام يقرأ فغشيته اسودة حالت بينى و بينه صلى الله تعالى عليه وسلم
ثم انصرفوا مثل قطع السحاب الى الفجر ثم اتانى وفى هذه الرواية ان ابن مسعود قال
سمعتهم يقولون من يشهد انك رسول الله الى آخر ما ذكر من قصة الشجرة
وما هنا من اعلامه لهم وخروجه معه الى آخره وما روى عنه من انهم التمسوه
وباتوا بشر ليلة يدل على ان قصة الجن تعددت وقول البيهقى انها واحدة لا يمكن
فيه الجمع بين الروايتين ويعينه ما رواه ابونعيم فى دلائله من ان القصة كانت بالمدينة
بالبقيع وروى ابن الزبير انه حضرها بالمدينة فهذه مرة ثالثة وذكر مثله عن بلال
باحاديث مفصلة ثم قال دل مجموع الاحاديث ان وفادة الجن عليه صلى الله عليه

وسلم كانت ست مرات الاولى لم يشعروا بها والتمسوه فيها فلم يجدوه والثانية كانت باعلى
مكة فى الجبال والثالثة ببقيع الغرقد قد حضرها ابن مسعود رضى الله عنه وخط
عليه الخط والرابعة كانت مع ابن مسعود ايضا والخامسة خارج المدينة مع ابن الزبير
والسادسة فى بعض اسفاره مع بلال رضى الله تعالى عنه ولكل منها حديث مسند
ان اردته فانظر الكتاب المذكور فانه لم يصنف فى معناه مثله (اقول وفيما ذكرناه
معجزات اخر منها انقياد الجن له صلى الله تعالى عليه وسلم باختيارهم وهى اعظم
من تسخيرهم لسليمان عليه الصلوة والسلام ومنها كلام الشجرة له ومنها سعيها له
وعودها لمحله بعد خروج عروقها من منبتها وهو امر خارق للعادة وفى الحديث
فوائد منها كراهة الاستنجاء بالعظم فانه صلى الله تعالى عليه وسلم نهى عن ذلك
فيه ومنها ان غيره صلى الله تعالى عليه وسلم من الانبياء بعث للجن كموسى عليه
الصلوة والسلام وانهم مكلفون وقد اختلف هل بعث منهم رسول ام لا فقيل منهم
رسول يسمى يوسف وثمة فوائد اخر لا يسعها نطاق البيان هنا (قال القاضى
ابو الفضل) هو عياض المصنف (رضى الله تعالى عنه) وهذا فذلكة لما تقدم
بقوله (فهذا ابن عمر) رضى الله تعالى عنهما (و بريدة وجابر) بن عبدالله رضى الله
عنهما (و) عبدالله (ابن مسعود و يعلى بن مرة واسامة بن زيد وانس ابن مالك وعلى
بن ابى طالب و) عبدالله (بن عباس) رضى الله تعالى عنهما (وغيرهم) الى قوله
(قد اتفقوا على هذه القصة نفسها) يعنى كلام الشجر (اومعناها) مما يدل على ذلك
(وقد رواها عنهم) اى عمن ذكر من الصحابة (من التابعين اضعافهم) لتعدد
طرقهم والضعف هو المثل او المثلان (فصارت فى انتشارها) اى اشتهار روايتها
عنهم (من القوة حيث هى) يعنى انها نقلت عن كثير من الصحابة والتابعين
حيث بلغت التواتر المعنوى وصارت فى مرتبة قوية لا يشك فيها احد من العقلاء
فحيث ظرف مكان مضاف لجملة وهى ضمير القصة مبتدأ خبره محذوف تقديره هى
معروفة مشهورة (وذكر ابن فورك) تقدم الكلام عليه وعلى صرف فورك وعدمه
وانه امام ثقة جليل القدر (انه صلى الله تعالى عليه وسلم سار فى غزوة الطائف)
اسم بلدة قريبة من مكة كثيرة المياه والاشجار يقال ان جبريل اقتطعها من ارض
صنعاء وهى المذكورة فى سورة ن فى قوله تعالى *فطاف عليها طائف من ربك وهم
نائمون* والطائف هو جبريل عليه الصلوة والسلام اقتلعها وطاف بها حول
البيت ثم انزلها حيث هى كما نقله السهيلى عن بعض المفسرين قال فلذا سميت
بالطائف وهذه الغزوة كانت فى السنة الثامنة من الهجرة (ليلا) متعلق بسار
(وهو وسن) بزنة حذر والوسن قريب من النعاس وفى فقه اللغة فى مراتب النوم
اوله النعاس ثم الوسن ثم الترنيق ثم الكرى والغمض ثم التغفيف ثم الاغفاء ثم التهويم

ثم الضرار ثم التهجاج وهو الهجوج يعني انه صلى الله عليه وسلم نعس وهو سائر على دابته بحيث لايرى مافى طريقه (فاعترضته سدرة) اى وقع اتفاقا ان شجرة فى طريقه اتت دابته بحيث كادت تمنعه عن سيره لسدها طريقه وهو صلى الله عليه وسلم لنومه لم يعدل عنها الطريق اخرى (فانفرجت له نصفين) اى انشقت وتباعد بعضها عن بعض بحيث صار بينهما فرجة يمر فيها الراكب (حتى جاز بينهما) اى بين النصفين (وبقيت) الشجرة بشجرتين (على ساقين) قائمة (الى وقتنا) اى الى زمن ادركه ابن فورك (وهى هناك) اى فى الارض التى فيها من الطائف (معروفة معظمة) لانها من آثار معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم (ومن ذلك) اى من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم فى الشجر ماورد فى حديث رواه الدارمى وابن ماجة والبيهقى كما قاله السيوطى وهو (حديث انس ان جبريل عليه الصلوة والسلام قال للنبى صلى الله عليه وسلم ورآه حزينا) جملة حالية اى وقد رآه محزونا لعدم اطاعة قومه له فى اول البعثة اذ عرض نفسه على القبائل (اتحب ان اريك آية) اى معجزة تزيل حزنك لانه اذا اطاع دعوته الجماد دل ذلك على ان الناس ستطيعه ولكن تأخيره لحكم خفية (قال نعم) احب ذلك ليزول حزنى واعلم ان الله سينصرنى ويلين قلوب قومى لاجابة دعوتى (فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى شجرة من وراء الوادى) الذى كان فيه مع جبريل (فقال) جبريل له صلى الله تعالى عليه وسلم (ادع تلك الشجرة) اى مرها بان تأتى اليك ولم يدعها هو ليكون معجزة له لا لجبريل كما توهم فامرها (فجاءت تمشى حتى قامت بين يديه) صلى الله تعالى عليه وسلم بمكان قريب منه (ثم قال مرها فلترجع) الى مكانها الذى كانت فيه فامرها (فعادت الى مكانها) كما كانت (وعن على) كرم الله وجهه (نحوه) قال السيوطى لم اجده عن على وانما هو عن جابر رضى الله تعالى عنه (ولم يذكر فيها) اى فى هذه الرواية (جبريل) وكلامه له (وانما) الذى فيه انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال (اللهم ارنى آية) اى معجزة ملزمة لمن رآها دالة على انى مستجاب دعوتى وينفذ بلاغى او اللهم معناه يا الله كما فصل فى النحو وتقدم منه مافيه الكناية (لاابالى من كذبنى بعدها) لانها معجزة قطعية لايفيد انكارها وجحدها عنادا ولاابالى بمعنى لااعتد ولا التفت لمن خالفها قال ابن فارس رحمه الله تعالى فى المجمل اشتبه على اشتقاق لاابالى فرأيت قول ليلى الاخيلية * تبالى رواياهم هبالة بعد ما * وردن الماء بالجم يرتمى * اذ فسر التبالى بالمبادرة للاستقاء يقال تبالى القوم اذا تبادروا للماء عند قلته وانتظار بعضهم لبعض فقولهم لاابالى معناه لا بادر الى اقتنائه بل انبذه ولااعتد به انتهى (فدعى شجرة وذكر مثله) من مجيئها ورجوعها (وحزنه) بالنصب اى التعب والكد ركما (لتكذيب قومه) له فى اول امره (وطلبه الآيات لهم) اى لقومه المكذبين (لاله) صلى الله تعالى عليه وسلم لانه على يقين من امره وعلمه بقدرته (وذكر ابن اسحق) مما رواه فى سيره ورواه ابو نعيم

والبيهقى عن ابى امامة بسند من طريقين مرفوعا ومرسلا (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ارى ركانة مثل هذه الآية فى شجرة دعاها فاتت حتى وقفت بين يديه ثم قال ارجعى فرجعت) كما ستسمعه قريبا فى الحديث الذى اذكره لك وركانة بضم الراء المهملة وفتح الكاف المخففة والف تليها نون وهاء وهو ركانة بن عبد يزيد بن هاشم ابن المطلب ابن عبد مناف القرشى المكى الصحابى الذى اسلم عام الفتح وتوفى بالمدينة فى خلافة معاوية رضى الله عنه سنة اثنين واربعين وكان شديد البأس قويا جسيما معروفا بالقوة فى المصارعة بحيث انه لم يصرعه احد قط ولايمس جنبه الارض مغلوبا قط وقد صح انه صلى الله تعالى عليه وسلم صارعه فصرعه واما مصارعته لرجل آخر يقال له ابو جهل فلم تصح كما قاله المقدسى وكان ركانة قبل اسلامه يرعى غنما له بوادى اضم بالمدينة وهو من افتك الناس واشدهم فخرج صلى الله عليه وسلم يوما من بيته وتوجه لذلك الوادى فلقيه ركانة وليس ثمة احد غيرهما فقال له انت الذى تشتم آلهتنا وتدعوا الهك العزيز ولولا رحم بينى وبينك قتلتك ولكن ادع الهك ان ينجيك منى اليوم وانا ادعوك لامر وهو ان يصارعنى وتدعو الهك وادع اللات والعزى فان غلبتنى فلك من غنمى هذه عشرة تختارها فصارعه صلى الله تعالى عليه وسلم فغلبه فقال لم تصرعنى وانما غلبنى الهك وخذلنى اللات والعزى وماوضع جنبى على الارض احد قبلك ولكن عد فان صرعتنى فلك على عشرة اخرى فعاد فصرعه فقال له كما قال اولا ثم دعاه ثالثة فصرعه فقال له دونكها ثلاثين من غنمى تختارها فقال له لااريد ذلك ولكن ادعوك الى الاسلام فاسلم تسلم من النار فقال لا الا ان تريني آية فقال له ان اريتك آية تسلم قال نعم وكان بقربه شجرة سمرة فقال لها اقبلى باذن الله تعالى فانشقت اثنين واقبل نصفها حتى كان بين يديه صلى الله تعالى عليه وسلم ويدى ركانة فقال اريتنى امرا عظيما فمرها فلترجع فقال ان امرتها فرجعت تسلم قال نعم فامرها فرجعت والتأمت بقضبانها وفروعها مع نصفها الآخر فقال له اسلم فقال اكره ان يتحدث نساء المدينة وصبيانها بانى اجبتك لرعب قلبى منك ولكن الغنم لك فقال لا حاجة لى بها وانطلق فلقيه ابو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه فقال له تخرج الى الوادى وبه ركانة فضحك صلى الله تعالى عليه وسلم فقال اليس الله عصمنى وحدثه الحديث المار والحديث يقتضى جواز المصارعة الا انهم قالوا انها بالمال حرام كالمسابقة عليه والجواب انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يطلبه منه ذلك وانما اقره على مقالته ليريه آية رجى بها اسلامه اوانه من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم او تحريمه ورده الغنم عليه قيل انه كان بعد اسلامه وصارعه هنا ثلاثا كما علم وقيل مرتين وقيل انه كان صارعه بمكة ولم يسلم الا يوم الفتح (وعن الحسن) فى حديث رواه البيهقى مرسلا وهو الحسن بن على رضى الله عنهما وقيل يحتمل انه الحسن البصرى رحمه الله تعالى (انه صلى الله عليه وسلم شكى الى

ربه من قومه) فى اوائل البعثة قبل قوة الاسلام واهله (وانهم يخوفونه) كما قال الله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك وهو عطف تفسيرى لان المراد انه صلى الله تعالى عليه وسلم شكى له تعالى تخويفهم له وانما شكى ذلك لانه خاف القصور فى تبليغ ما ارسل به فلا ينافى كونه صلى الله تعالى عليه وسلم على كمال يقين من الله فى رسالته كما توهم وهذا كان قبل الهجرة وقبل نزول قوله تعالى والله يعصمك من الناس (وسأله آية) ومعجزة (يعلم بها ان لا مخافة عليه) ان هنا مخففة من الثقيلة واصلها انه (فاوحى الله اليه ان ائت وادى كذا) من اودية مكة فان فيه شجرة فادع غصنا منها اى غصنا وطرفا من اطرافها (يأتك) مجزوم فى جواب الامر (ففعل) اى اتى الوادى ودعا الغصن كما امر (فجاء يخط الارض خطا) اى يشقها شقا وهذا يدل على انه غصن مع بعض ساقه منها وهو بمعنى قوله فيما تقدم يخد ويحتمل ان الطاء مبدلة من الدال المهملة وقيل المراد بالخط اثر مشبه الذى يشبه خط الكتابة كقول الابوصيرى

* جاءت لدعوته الاشجار ساجدة * تمشى اليه على ساق بلا قدم *

* كانما سطرت سطرا لما كتبت * فروعها من بديع الخط فى اللقم *

(حتى انتصب بين يديه) اى قائما عنده (فحبسه ماشاء الله) اى جعله مدة من الزمان ارادها الله قائما عنده (ثم قال ارجع كما جئت فرجع) الى مكانه الذى كان فيه والتأم باصله (فقال) صلى الله تعالى عليه وسلم (علمت ان لا مخافة على) بتسخير الجمادات لامتثال امرى بالدال على ان من عصاه سيرجع عما كان عليه (ونحو منه) اى فيما رواه البزار وابو يعلى والبيهقى بسند حسن ما هو قريب مما ذكر فى هذا الحديث مروى (عن عمر) بن الخطاب رضى الله تعالى عنه (وقال) عمر (فيه) اى فيما رواه (ارانى اية لا ابالى من كذبنى بعدها) اى لا اعتد واهتم به لاطمئنان قلبى وذهاب خوفى (فذكر نحوه وعن ابن عباس) رضى الله تعالى عنهما فى حديث رواه البخارى فى تاريخه والدارمى والبيهقى مسندا (انه صلى الله عليه وسلم قال لاعرابى ارأيت) بهمزة الاستفهام وتاء الخطاب بمعنى اخبرنى وقل لى وهو مجاز مشهور ورأى فيه علمية او بصرية فاريد به لازمه كما بينه النحاة (ان دعوت) ان شرطية اى امرت (هذه العذق) اشارة لعذق كان عنده وهو بكسر العين المهملة وسكون الذال المعجمة والقاف وهو العرجون من النخلة وشماريخها كما بينه بقوله (من هذه النخلة) وقد يطلق على النخلة نفسها ولا يناسبه قوله من هذه النخلة فلا وجه لتفسيره به هنا وقيل ان النخلة يقال لها عذقا بفتح العين (اتؤمن بانى رسول الله) اى اتؤمن بى وبما ارسلت به وتقر بذلك (قال نعم) اشهد بانك رسول الله (فدعاه) اى العذق بان امره بالمجئ اليه (فجعل) اى طفق وصار العذق (ينقز)

بفتح المثناة التحتية وسكون النون وضم القاف وكسرها كما فى المحكم فى الاقتصار على الضم قصور وآخره زاى معجمة ومعناه يثب صعدا وروى هذا الحديث مفصلا البيهقى وقال ان الاعرابى من بنى عامر (حتى اتاه) ووصل الى مكان عنده بقربه (فقال) له (ارجع فعاد الى مكانه) الذى كان فيه (وخرجه) بالتشديد اى رواه بسند (الترمذى وقال هذا حديث صحيح) متنا وسندا ﴿فصل﴾ من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم ما اشتهر (فى قصة حنين الجذع) الحنين بفتح الحاء المهملة ونونين بينهما ياء تحتية وهو صوت كالانين يكون عند الشوق لمن يهواه اذا فارقه وتوصف به الابل كثيرا قال الجوهرى الحنين الشوق وتوقان النفس يقال حن اليه يحن حنينا وحنين الناقة صوتها فى نزاعها الى ولدها والجذع بكسر الجيم وسكون الذال المعجمة وعين مهملة وهو ساق النخلة اليابس وقيل انه لا يختص به لقوله تعالى وهزى اليك بجذع النخلة وتعريف الجذع للعهد والمراد به جذع كان قائما بالمسجد النبوى كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذا خطب يستند اليه ويخطب قائما ولم يكن له منبر فلما وضع له المنبر وخطب عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع للجذع حنين لمفارقته له كما يأتى قال البرهان وغيره ان الخبر به متواتر وكذا قال المصنف رحمه الله تعالى هنا وهذا الجذع من سوار المسجد النبوى وهكذا كانت سواريه كلها وسقفه من جريد النخل كما يأتى فى رواية جابر رضى الله تعالى عنه ولا بدع فى ان يخلق الله تعالى فيه حياة وصوتا فما قيل انه لا يلزم من سماع صوته عنده ان يكون منه مما لا ينبغى ذكره (و يعضد هذه الاخبار) المذكورة فى الفصل الذى قبل هذا من كلام الشجر ومشيها اليه صلى الله تعالى عليه وسلم اى يقويها ويريدها وهو بعين مهملة وضاد معجمة من عضد اليد وساعدها (حديث انين الجذع) الانين صوت المريض والانين والحنين متقاربان وقيل الانين فيه زيادة امتداد الصوت وفى تعبيره به اشارة الى انه لحقه الم كما يلحق المريض ولله در الشهاب المنصورى فى قوله

* يا السنا فصحاء قد خرست * ان الجماد بفضله نطقا *

واعلم ان المصنف رحمه الله تعالى انما عطف الانين على الحنين لنكتة وهى ان حقيقة الحنين فى الابل فتحن اذا فارقت اولادها ثم شاع فى مطلق الشوق ولو بالكلام كقوله

* والمرء يشتاق الديار واهلها * وحنينه ابدا لاول منزل *

واما الانين فانه مما لا يفهم كالتأوه ففيه اشارة الى ان حنين الجذع لم يكن بكلام يفهم وانما كان بصوت يفهم منه الحزن بدلالة طبيعية كانين المريض فهو من عطف الخاص على العام فتنبه (وهو) اى حديث الجذع (فى نفسه) بقطع النظر عن غيره مما يؤيده فانه غير محتاج لذلك لانه (مشهور منتشر) اى شايع بين الخلف والسلف (والخبر به متواتر) لكثرة طرقه الصحيحة ونقل جماعة له عن جماعة لا يمكن

بواطئهم على الكذب (خرجه اهل الصحيح) اى رواه مسندا اصحاب الكتب الستة الصحيحة كالبخارى ومسلم وابن حبان وابن خزيمة وماوصل الى مثلهم بطرق متعددة صحيحة يكون متواترا حقيقة لاجماع من بعدهم على صحتها كما قاله ابن حجر ردا على ابن الصلاح فى قوله ان التواتر لايكاد يوجد كما بينه فى شرح النخبة والمراد باهل الصحيح من التزم ان يورد فى كتابه الاحاديث الصحيحة عنده (ورواه من الصحابة بضعة عشر) تقدم ان البضع من الثلاثة الى تسعة فازاد على العقود مطلقا كبضعة وستين ونحوه على الصحيح عند اهل اللغة وهو كما مر بكسر الباء وفتحها (منهم) اى من الصحابة الذين رووه مرفوعا (ابى ابن كعب) كما رواه عنه الشافعى فى مسنده وابن ماجة والدارمى والبيهقى (وجابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنه) كما رواه عنه البخارى (وانس بن مالك رضى الله تعالى عنه) كما رواه عنه الترمذى وصححه (وعبد الله بن عمر) كما رواه عنه البخارى (وعن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما) كما رواه عنه احمد فى مسنده باسناد صحيح على شرط مسلم والدارمى والبيهقى (وسهل ابن سعد) كما رواه عنه الشيخان (وابو سعيد الخدرى) بالدال المهملة كما تقدم فى ترجمته رواه عنه الدارمى (وام سلمة) ام المؤمنين كما رواه عنها البيهقى (والمطلب ابن ابى وداعة) بفتح الواو والدال المهملة والف وعين مهملة بعدها هاء ابن حارثة ابن صبرة بن سعيد القرشى السهمى الصحابى ممن اسلم عام الفتح رواه عنه احمد والزبير بن بكار (كلهم يحدث بمعنى الحديث) فجميع رواياتهم متفقة بحسب المعنى وكانه اشارة الى ان تواتره معنوى لا اصطلاحى لما مر عن ابن الصلاح وقد علمت ما فيه (قال الترمذى) صاحب السنن الامام المشهور وقد تقدمت ترجمته (وحديث انس صحيح) انما نص على صحته لرجحانه عنده على غيره لا لنفى صحة غيره حتى ينافى مامر من رواية اهل الصحيح له اولان فى بعض رجاله شئ (وقال جابر ابن عبد الله رضى الله تعالى عنه) روايته (كان المسجد) اى مسجد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالمدينة (مسقوفا) اسم مفعول من سقفت البيت ونحوه اذا جعلت عليه سقفا وهو معروف (على جذوع نخل) جمع جذع وقد تقدم يعنى ان له سوارى وضع السقف عليها من النخل والاضافة بيانية (فكان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذا خطب) اى قام للخطبة (يقوم) مستندا (الى جذع منها) وكان هنا تفيد تكرار ذلك كثيرا منه صلى الله تعالى عليه وسلم لان كان اذا كان خبرها مضارعا تفيد ذلك فى استعمالهم لقولهم كان حاتم يقرئ الضيف وقال الله تعالى وكان يأمر اهله بالصلاة والزكاة وهو مما صرح به فى كتب العربية والاصول وفى وجه دلالتها على ذلك كلام مقرر مشهور لاحاجة لنا به هنا (فلما صنع) بالبناء للمجهول وفى نسخة وضع (له) صلى الله تعالى عليه وسلم (المنبر) بكسر الميم من نبره بمعنى

رفعه ورقاه لانه يرتفع القائم عليه به عن غيره (سمعنا لذلك الجذع) الذى كان يستند اليه صلى الله تعالى عليه وسلم فى خطبه (صوتا كصوت العشار) بكسر العين المهملة وشين معجمة والف وراء مهملة جمع عشراء كنفساء وهى الناقة التى اتى عليها الفحل عشرة اشهر وزال عنها اسم المخاض ثم لايزال ذلك اسمها حتى تضع وبعد وضعها ايضا والمراد خوارها حين وضعها او عقبه نزاعا لولدها اذا لم تره وفيه مناسبة تامة هنا لما عرفته من ان الحنين اصله فى النوق والتشبيه به لشدته وانه لحزنه على مفارقته صلى الله تعالى عليه وسلم كانه فى النوق كذلك ويزيده حسنا ان النوق تشبه بالنخل فليس المقصود تشبيه مسموع بمسموع فقط كما قيل (وفى رواية انس) انه صلى الله عليه وسلم لما قعد على المنبر خار الجذع (حتى ارتج المسجد) بهمزة الوصل وسكون الراء المهملة وفتح التاء الفوقية وتشديد الجيم مطاوع رجه فارتج اذا تحرك حركة شديدة واضطرب وهو بتقدير مضاف اى اهله او هو على ظاهره بان تحرك حيطانه وجدرانه لشدة صوته اما حقيقة او لظن ذلك ممن هو فيه (لخواره) بضم الخاء المعجمة وفتح الواو بعدها الف وراء مهملة بوزن فعال وهو بناء مطرد فى اسماء الاصوات والخوار فى الاصل كما قاله الراغب يختص بصياح البقر ثم توسعوا فيه فى اصوات جميع البهائم وفى بعض النسخ جوار بضم الجيم وفتح الهمزة والراء المهملة وهو بمعنى الاول وقال الراغب قال تعالى اليه يجأرون من جار اذا افرط فى الدعاء تشبيها له بجوار الوحشيات كالظباء ونحوها انتهى والمعنى فيهما واحد اى صاح (وفى رواية سهل وكثر بكاء الناس لما رأوا به) البكاء بمد ويقصر معروف وما موصولة والعائد محذوف اى رأوا بالجذع ورأى بصرية وكونها قلبية يجوز على بعد والمرئى حركته ونحوها والباء بمعنى فى او سببية وفيه تجوز اى الذين رأوا آثاره بسببه اذ الصوت لايرى ويجوز كونها مصدرية (وفى رواية المطلب) ابن ابى وداعة (وابى) بن كعب (حتى تصدع وانشق) عطف تفسيرى لان حقيقة الصدع شق الاجسام الصلبة كالزجاج والحديد يقال صدعته فانصدع وصدعته فتصدع ثم استعير منه صدع الامر اذا فصله كقوله تعالى فاصدع بما تؤمر ومنه صداع الرأس لوجعه وانصداع الفجر وهو مبالغة فى شدة صياحه كما يقال صاح حتى انفلق ويجوز بقاؤه على ظاهره ويؤيد الاول قوله (حتى جاء النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى نزل عن منبره واتى له (فوضع يده عليه فسكت) اى ترك جواره لما زال المه بقربه صلى الله تعالى عليه وسلم منه ومسه له (زاد غيره) اى غير المطلب وهو فى رواية ابى ابن كعب (فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان هذا بكاء لما فقد من الذكر) فقد كقتل من الفقد وهو العدم بعد الوجود فهو اخص من العدم والمراد بالذكر ذكر الله او الموعظة او القرآن وجوزان يكون نفس النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لانه اطلق عليه الذكر ايضا (وزاد غيره) اى

غير الغير او من ذكر (والذى نفسى بيده) قسم بالله على عادته صلى الله تعالى عليه وسلم والنفس الروح هنا و بيده معناه بقبضة قدرته وتصرفه حيوته ومماته متى اراد (لو لم التزمه) هو افتعال من اللزوم وعدم الفراق ثم استعير للعناق كما فى الاساس يقال التزمه اذا اعتنقه وضمه اليه (لم يزل هكذا) اى له صراخ وخوار (الى يوم القيمة تحزنا على) مفارقة (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) والتحزن تفعل من الحزن والمراد به الزيادة لا التكلف (فامر به نبى الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى امر بعض الصحابة باخذه او بدفنه (فدفن تحت المنبر) وانما امر بذلك لئلا يشتغل به الناس و ربما افتتن به بعد العصر الاول وفيه اشارة الى انه سينبت فى الجنة كما سيأتى وان بعض اغصان الاشجار بعد قطعها اذا دفن نبت وطلع من الارض واعلم ان سوارى المسجد فى زمنه صلى الله تعالى عليه وسلم معدودة مفصلة فى تاريخ المدينة كهيئة حرمه ومنبره صلى الله تعالى عليه وسلم كان من خشب اثل الغابة والاثل بالمثلثة شجر معروف والغابة اسم موضع بالمدينة فيه اشجار وفى النجار الذى صنعه له صلى الله تعالى عليه وسلم فيه اقوال كثيرة فقيل انه قبيصة المخزومى وقيل انه غلام للعباس اسمه صباح وقيل هو غلام اسمه باقوم او باقول باللام غلام سعيد بن العاص وقيل هو تميم الدارى وقيل غلام لسعد بن عبادة وقيل انه غلام امرأة انصارية وقول الكرمانى رحمه الله تعالى انه غلام لعايشة رضى الله تعالى عنها لامستند له فيه وقيل انها عايشة الانصارية وقيل هى من بنى سعد وكان وضع منبره صلى الله تعالى عليه وسلم فى السنة السابعة وقيل الثامنة من الهجرة وعلى القول بانه تميم يكون التاسعة لانه اسلم سنة تسع الا ان يقال عمله قبل اسلامه وهو اول منبر فى الاسلام وكان له درجة ثلاثا ومن قال اثنتين اسقط محل قيامه صلى الله عليه وسلم عليه وقيل انه كان اكثر من ثلاث وكان طوله اكثر من ذراعين وعرضه ذراع وطول صدره وهو مستنده ذراع و رمانتاه اللتان يمسكهما بيده الكريمة فى قيامه ولما حج معاوية رضى الله تعالى عنه كساه قباطى ثم لما رجع الى الشام كتب لمروان وهو عامله على المدينة فرفعه وزاد عليه ست درجات فصارت تسعا ثم لما قدمه جدده بعض بنى العباس واتخذ من اعواده القديمة امشاطا يتبرك بها الى آخر ما فصل فى تاريخ المدينة (كذا فى حديث المطلب وسهل بن سعد واسحق عن انس) وفى بعض النسخ هنا وفى بعض الروايات عن سهل فدفنت تحت منبره او جعلت فى السقف انتهى وضمير دفنت وجعلت على هذه الرواية لاعواده اولتأويل الجذع بالخشبة واسحق المذكور هو ابن عبد الله بن ابى طلحة الانصارى اخرج له الستة وتوفى سنة اثنين وثلاثين ومائة من الهجرة وكونه دفن تحت المنبر على ظاهره او تسمح فيه لانه قيل انه دفن فى يسار المنبر وروى دفن فى المسجد (وفى حديث ابى فكان اذا صلى النبى صلى الله عليه وسلم

صلى اليه) اى استقبله وجعله كالسترة للمصلى من المارين (فلما هدم) بناء المجهول والهدم والهد نقض البناء ونحوه (المسجد) اى مسجده صلى الله تعالى عليه وسلم وهدمه فى زمن عمر رضى الله تعالى عنه لان بنائه فى عهده صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكن بالحجارة ثم هدمه عثمان رضى الله تعالى عنه وزاد فيه كما ذكر فى تاريخ المدينة (اخذه ابى رضى الله تعالى عنه) هذا لاينافى ما مر من انه جعل فى السقف اودفن تحت المنبر او فى المسجد قريبا منه لجواز وضع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم تحت المنبر ثم رفع فى السقف لئلا يداس بالارجل تكريما لاثر الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ثم حين الهدم اخذه ابى تبركا به (وكان عنده الى ان اكلته الارض) ووقع فى رواية الارضة بفتحات وهى دويبة صغيرة تأكل الخشب وغيره من الثياب والكتب وهى العثة وقال الامام المزنى ان هذه الرواية المشهورة عند المحدثين وماذكره المصنف رحمه الله تعالى صحيح والارض فيه امامعناها المشهور لانها تبلى ما يدفن فيها فاستعيرله الاكل اوهو بتقدير اى دابة الارض وهى تلك المتقدمة بعينها اومصدر ارض يأرض ارضا اذا اكلته الارضة وبه فسر قوله تعالى * دابة الارض تأكل * من سأته كما ذكره السيوطى ولابن عنين * يا اهل مصر وجدت ايديكم * عن بسطها بالنوال منقبضة * لما عدمت النوال عندكموا * اكلت كتبى كانى ارضه * فليس فى كلامه مايعترض به عليه كما توهم قاله القسطلانى فان قلت هذا يخالف قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لو لم التزمه بقى هكذا الى يوم القيامة وكيف يتصور هذا مع قوله تعالى * كل من عليها فان * قلت هذا وقع على طريق المبالغة كقوله تعالى * حتى يلج الجمل فى سم الخياط * وان لم يقع وهذا مما لاحاجة اليه وبقاؤه على ظاهره لامانع منه فانه علق بقاءه على عدم فعله به فافعله فاذا فعله تغير وفنى وقد علم الله بما ذكر (وعاد رفاتا) عاد هنا بمعنى صار لابمعنى رجع لامر كان عليه وهو احد معنيه كما بين فى كتب اللغة وغيرها والرفات بوزن غراب براء مهملة وفاء ومثناة فوقية كالفتات وهو ما تكسر وتفرق (وذكر الاسفرائنى) بكسر الهمزة وسكون السين المهملة وفتح الفاء والراء المهملة والف بعدها همزة مكسورة ونون بلدة بالعجم نسب اليها هذا الاستاذ الامام الاصولى المتبحر فى سائر العلوم المعروف بالزهد والورع وهو ابو اسحق لانه اذا اطلق فالمراد هو وان نسب لهذه البلدة غيره من الائمة كابى حامد وطاهر بن محمد ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (دعاه) اى دعا الجذع المذكور (الى نفسه) اى امره بان يأتيه ويقبل ساعيا اليه وزاد لفظ نفس هنا لئلا يتحد ضمير الفاعل والمفعول بواسطة ودونها فانه ممتنع فى غير افعال القلوب وما الحق بها كما مر وقد اورد عليه نحو قوله وهزى اليك بجذع النخلة وصرهن اليك وقد اجيب عنه بما يطول وقد فصلناه فى السوانح والمقام

يضيق عنه هنا (فجاء يخرق الارض) اى يشقها بمشيه فيها (فالتزمه) واعتنقه (ثم امره) بالرجوع لمحله (فعاد الى مكانه) الذى كان فيه من المسجد وهذه زيادة منه لايقال مثلها من قبيل الراى وهو امام ثقة على ان هذا رواه الامام البيهقى فى دلائله والحافظ ابو القاسم فى تاريخه عن العباس كما فى الشرح الجديد ولو وقف عليه المصنف غزاه له (وفى حديث بريدة) علم منقول من تصغير البردة المعروفة وهو بريدة ابن الحصيب بن عبد الله بن الحارث ابن الاعرج السلمى واختلف فى كنيته فقيل هو عبد الله وقيل ابو سهل وقيل غير ذلك وهو صحابى اسلم حين مر به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مهاجرا ثم قدم المدينة قبل الخندق ثم نزل البصرة واخرج له احمد فى مسنده وغيره وليس هو بريدة الاسلمى كما توهم فانه تابعى روى احاديث مرسلة فظن انه صحابى وله ترجمة فى الميزان (فقال يعنى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) للجذع حين سمع حنينه (ان شئت) بتاء الخطاب خاطبه لما علم ان الله خلق فيه حياة وادراكا (ان اردك الى) مكانك (الحائط الذى كنت فيه) هو فى الاصل اسم فاعل من حاطه اذا احاط به ودار عليه ثم نقل للبستان نفسه الذى فيه الشجر والنخل وهو المراد هنا ولذا قال الذى كنت فيه (ينبت لك عروقك) بدل من قوله اردك او مستأنف لبيان علة الرد الى مكانه الذى نبت فيه (ويكمل خلقك ويجدد لك خوص وثمرة) الخوص بضم الخاء المعجمة وواو ساكنة وصاد مهملة واحده خوصة وهى كالورق للنخلة والثمر بمثلثة واحده ثمرة اى تعود لك خلقتك بتمامها ونظارتها (وان شئت) مفعوله مقدر اى غرسك فقوله (اغرسك فى الجنة) جواب الشرط مجزوم (فيأكل اولياء الله من ثمرك) معطوف على الجواب وهو مرتبط بقوله فالتزمه فى الكلام الذى قبله فخيره صلى الله تعالى عليه وسلم بين الحياة الدنيوية والحياة الاخروية (ثم اصغى له) صلى الله تعالى عليه وسلم بصاد مهملة وغين معجمة اى امال رأسه وقربها منه (يستمع ما يقول) اى ليسمع قوله وما يجيب به وهو من الصغى بمعنى الميل كما علم يقال صغت الشمس اذا مالت للغروب وصغيت الاناء واصغيته اذا املته واصغيت الى فلان ملت بسمعى نحوه وحكى صغوت اليه اصغو صغوا وصغيت اصغى قاله الراغب (فقال) اى الجذع (بل تغرسنى فى الجنة) اى تصيرنى من غراس الجنة هلا تغرسنى بيدك (فيأكل منى) اى من ثمرى (اولياء الله واكون فى مكان لا ابلى فيه) ابلى كافنى لفظا ومعنى من البلاء بالكسر وهو الفناء فاختار الحياة الباقية كسائر اهل الجنة واشجارها وابلى بفتح الهمزة وضمها خطأ (فسمعه من يليه) اى سمع كلام الجذع والضمير الاول له والثانى يحتمل عوده له وللنبى صلى الله تعالى عليه وسلم ويليه بمعنى يقرب منه (فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قد فعلت) بضم التاء للمتكلم اى اجعلك من غراس الجنة (ثم قال) صلى الله

تعالى عليه وسلم (اختار دار البقاء) وهى الجنة كما تقدم (على دار الفناء) وهى الدنيا (فكان الحسن) البصرى التابعى الامام المشهور (اذا حدث بهذا بكى وقال يا عباد الله الخشبة) يعنى الجذع (تحن الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) تقدم تفسير الحنين (شوقا اليه) مفعول مطلق لقوله تحن كجلست قعودا او مفعول له والاول اولى لان قوله (لمكانه) لامه للتعليل ان لم يكن بدلا من قوله اليه وقيل انه علة متداخلة فشوقا علة لتحن ولمكانه علة لقوله شوقا اى الخشبة اشتاقت لعلو مقامه وجلالة قدره وهى جماد وهذه معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم اعظم من معجزة موسى عليه الصلوة والسلام فى العصاء واحياء عيسى عليه الصلوة والسلام للموتى لان الشوق والكلام يستلزمان الاحياء عند الاشعرى وان قيل ان مجرد الصوت المسموع لايستلزمه كما تقرر فى محله فالمكان على حقيقته وهو الجنة او بمعنى علو قدره وشرفه صلى الله تعالى عليه وسلم كما اشرنا اليه (فانتم احق) من الجماد (ان تشتاقوا الى لقائه) ونقل عن صاحب القاموس انه استأذن سلطان اليمن فى الحج وزيارة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فكتب اليه بكلام قال فيه انه صح فى الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لايجمل بالمؤمن ان يمر عليه اربع سنين ولا يجدد له شوق للحج او زيارة سيد المرسلين وقد تجدد لى من الشوق ما شب عمره عن الطوق وقد تضعضع السن وتقعقع الشن فاهو الاعظم فى جواب * وقد بلغت دقاقة الرقاب * الى آخر ما قاله وقلت انا حين وقفت على ما كتبه * لم لا احن الى المختار من اضم * والجذع حن اشتياقا بعد فرقته * انى لاعجب من خشب مسندة * ما هزها الشوق احيانا لروضته * والشوق نزاع النفس للشئ * والهيجان اليه ونقل ابن عطية فى سورة الكهف انه سمع الجوهرى الواعظ يقول كلب احب اهل الخير نال ببركتهم وشرف صحبتهم حتى ذكره الله فى كتابه فالخشبة تحن والكلب يحب وهذا عبرة لاولى الالباب وفقنا الله لما يقربنا اليه (ورواه عن جابر حفص بن عبيد الله ويقال عبيد الله بن حفص) بتصغير عبيد فيهما وقيل انه حفص ابن عبد الله بلا تصغير قال البرهان والصواب الاول وهو حفص بن عبيد الله بن انس بن مالك وهو يروى عن جده وروى عنه اصحاب السنن وقال ابو حاتم انه لم يثبت له سماع الا عن جده (وايمن) الحبشى والد عبد الواحد بن ايمن مولى بن ابى عمرة المخزومى وقد وثقه ابو زرعة وقد تقدم فيه كلام وان ابن حبان خلط فى ترجمته وايمن منقول من افعل التفضيل من اليمن وهو البركة (وابو نضرة) بفتح النون وسكون الضاد المعجمة وراء مهملة ووقع فى بعض النسخ بصرة بباء موحدة وصاد مهملة وهو تحريف وليس انا ابو بصرة غير ابى نصر واسمه جميل وليس له رواية عن جابر كما قاله الحافظ الحلبى وابو نضرة الاول اسمه المنذر ابن مالك بن قطعة العبدى النضرى له رواية عن ابن عباس وغيره واخرج له اصحاب السنن وله ترجمة فى الميزان وكان فصيحا ثقة توفى

سنة تسع ومائة (وابن المسيب) سعيد الامام المعروف تقدمت ترجمته وان يائه تفتح
وتكسر (وسعيد بن ابى كرب) بكاف وراء مهملة وباء موحدة الهمدانى وله ترجمة
فى الميزان (وكريب) مثله الا انه مصغر وهو ابن رشد مولى ابن عباس (وابو صالح)
وهو ذكوان السمان وتقدمت ترجمته ورواه عن انس بن مالك (الحسن) البصرى
وقد تقدمت ترجمته (وثابت) البنانى وقد تقدمت ترجمته (واسحق ابن ابى طلحة)
السابق بترجمته (ورواه عن ابن عمر نافع) ابو عبد الله مولى ابن عمر الامام الثقة المشهور
توفى سنة سبع عشرة ومائة واخرج له الستة (وابو حية) بفتح الحاء المهملة وتشديد
المثناة التحتية واسمه حيى الكلبى الكوفى الامام الثقة والد ابى حناب يروى عن ابن عمرو
لهم ابو حية آخر يروى عن على وترجمته فى الميزان (ورواه ابو نضرة) السابق ذكره
قريبا (وابو الوداك) بفتح الواو وتشديد الدال المهملة ثم الف وكاف وهو جبر بن
نوف البكالى له ترجمة فى الميزان (عن ابى سعيد) الخدرى رضى الله تعالى عنه وقد
قدمنا ترجمته (وعمار بن ابى عمار) مولى ابى هاشم وهو ثقة اخرج له مسلم (عن ابن
عباس وابو حازم) بحاء مهملة وزاى معجمة وهو سلمة بن دينار الاعرج المدنى الثقة
احد الاعلام اخرج له الستة (وعباس) بعين وسين مهملتين بينهما موحدة
مشددة والف (ابن سهل بن سعد عن سهل بن سعد) الساعدى توفى سنة بضع
عشرة ومائة وقد زاد على التسعين واخرج له اصحاب السنن (عن سهل ابن سعد)
ابو عباس المذكور روى عنه ابنه وغيره (وكثير) بفتح الكاف ومثلثة وراء
مهملة (ابن زيد) الاسلمى ابو محمد المدنى وله ترجمة فى الميزان (عن المطلب)
السابق ذكره ورواية كثير عنه لبس لها ذكر فى الكتب الستة كما قاله البرهان
(وعبد الله ابن بريدة عن ابيه) عبد الله قاضى القضاة بمرو وعالمها الثقة وترجمته
فى الميزان (والطفيل) بصيغة تصغير طفل (ابن ابى عن ابيه) ابى بن كعب وكنيته
ابو بطن لعظم فى بطنه (قال القاضى ابو الفضل) وهو عياض المصنف (رضى الله
تعالى عنه فهذا) يعنى حديث حنين الجذع (حديث كما تراه) يعنى انه علم مما ذكره
من كثرة طرقه عن الصحابة والتابعين وغيرهم انه (خرجه اهل الصحة) اى الثقات
من المصنفين الذين التزموا فى كتبهم رواية الاحاديث الصحيحة (ورواه من الصحابة
من ذكرناه) فى هذا الفصل (وغيرهم من التابعين ضعفهم) بكسر الضاد المعجمة
لان كل صحابى روى عنه من طرق كما فصله فاذا ضممتهم (الى من لم نذكره) فاذا علمت
هذا تحقق عندك القطع بصحته لتواتره (و) من (دون) وفى نسخة وبدون (هذا العدد)
الذى ذكره (يقع العلم) اى يوجد العلم وتتحقق صحته فكيف به (لمن اعتنى) اى اهتم
به وتقيد (بهذا الباب) من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم (والله المثبت) بضم
الميم وبالمثلثة المفتوحة وتشديد الموحدة قبل المثناة اى توفيق الثبات وعدم
تقلب القلب نعمة من الله على عبده المؤمن فيثبته (على الصواب) وهو ضد الخطأ

فصل

﴿فصل﴾ ومثل هذا) من حنين الجذع واشتياقه ونطقه (فى سائر الجمادات)
اى جميعها او بقيتها والجماد ما لا روح له ومثل مرفوع خبره ما بعده او فاعل فعل
مقدر اى ورد مثله وهذا يحتمل انه اشارة لجميع ما سبق من كلام الشجر وغيره واستشهد
بالحديث رواه البخارى وهو ما اشار اليه بقوله (حدثنا القاضى ابو عبد الله محمد بن
عيسى التميمى) تقدم بيانه وترجمته (قال حدثنا القاضى ابو عبد الله محمد بن المرابط)
بصيغة اسم الفاعل من المرابطة وهى الاقامة بالثغور بنية الجهاد وهو محمد بن خلف
ابن سعيد ابن وهب المرى توفى بالمدينة قاضيا بها سنة ثمانين واربعمأة وكان متفننا
فى العلوم سمع من المهلب والدانى وغيرهما (قال حدثنا المهلب ابو القاسم)
والمهلب بصيغة المفعول هو ابن ابى صفرة وفى التكنية بابى القاسم وجوازه على
الصحيح كلام مشهور تقدم وسيأتى بيانه ايضا (قال حدثنا ابو الحسن القابسى)
على بن محمد بن خلف الحافظ المغافرى كما تقدم (قال حدثنا المروزى) ابو زيد
كما تقدم (قال حدثنا الفربرى) تقدم بيانه وبيان نسبته على اللغتين
فى اسم بلده (قال حدثنا البخارى) صاحب الصحيح وقد تقدم بيانه (قال حدثنا
محمد بن المثنى) وهو محمد بن المثنى ابو موسى العنزى الحافظ الثقة الورع توفى سنة اثنين
وخمسين ومائتين وترجمته مفصلة فى الميزان (قال حدثنا ابو احمد الزبيرى) بضم
الزاى المعجمة وهو محمد بن عبد الله بن الزبير ابن عمر الزبيرى نسبة لجده وليس هو
الزبير بن العوام بل هو كوفى مولى لبنى اسد توفى سنة ثلاث ومائتين (حدثنا اسرائيل)
ابن يونس ابن اسحق السبيعى الكوفى ابو يوسف الثقة اخرج له الستة وتوفى سنة اثنين
وستين ومائة وترجمته فى الميزان (عن منصور) ابو عتاب بن المعتمر السلمى من ائمة الكوفة
(عن ابراهيم) بن يزيد النخعى (عن علقمة) بن قيس تقدم بيانه (عن عبد الله) بن
مسعود (قال) اى ابن مسعود (لقد كنا) معاشر الصحابة (نسمع تسبيح الطعام وهو
يؤكل) جملة حالية اى فى حال اكلنا (مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفى غير
هذه الرواية) يعنى رواية البخارى وهو رواية الترمذى (عن ابن مسعود) ايضا
(كنا نأكل مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الطعام ونحن نسمع تسبيحه) اى
قوله سبحان الله وهذا مما يستأنس به لان معنى قوله تعالى وان من شئ الا يسبح بحمده
تسبيح حقيقى بلسان القال لا بلسان الحال وانه يشهد له من تذييله بقوله ولكن
لا تفقهون تسبيحهم وهو حديث صحيح حسن اخرجه الترمذى عن ابن يسار
ايضا من طريق آخر وفى قوله كنا الى آخره دليل على تكرره وانه وقع مرارا عديدة
كما تقدم وفى هذا معجزة للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وكرامة للصحابة اذا سمعوا
ما لم يسمعه غيرهم وهذه المعجزة اعظم من معجزة فهم منطق الطير والجبال لسليمان
وداود عليهما الصلوة والسلام وفى الدر المنثور للسيوطى ان كل شئ يسبح الا الكلب

والحجار وتقدم ان التسبيح معناه تنزيه الله عما لا يليق به واهل الظاهر اولوا الاية بلسان
الحال كالزمخشرى وجعلوه خطابا للمشركين ولذا قال لا تفقهون ولم يقل لا تسمعون
وذكر المصنف رحمه الله هذه الرواية لما فيها من التصريح بانه كان منه صلى الله
عليه وسلم ولبعض الشراح هنا كلام طويل لا طائل تحته (وقال انس) فى حديث
اخرجه ابن عساكر فى تاريخه (اخذ النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كفا) اى مقدارا
بملوء الكف وهو باطن اليد وقيل فيه مضاف مقدر اى مل‌ء كف (من حصى) جمع
حصاة وهى صغار الحجارة (فسبحن فى يد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) من
وضع الظاهر موضع المضمر تعظيما واشارة الى انه معجزة وفى نسخة فى يده (حتى سمعن
التسبيح ثم صبهن) اى وضعهن وهو استعارة شايعة فى الاجرام الصعبة كصببنا
الصبرة من المكيل واصله فى المايعات كالماء (فى يد ابى بكر فسبحن) جملة حالية (ثم
صبهن (فى ايدينا فما سبحن) وفى قوله حتى سمعنا اشارة الى خفاء صوتهن وفيه دليل
ظاهر على فضل ابى بكر رضى الله تعالى عنه على غيره وايماء الى خلافته ومعنى قوله
فما سبحن انه ما سمع تسبيحهن او ان التسبيح لم يكن من الجمادات دائما والاول اولى
(وروى مثله ابوذر) رضى الله تعالى عنه رواه الطبرانى والبيهقى والبزار والمثلية
فى مجرد تسبيح الحصى فلا ينافى قوله (وذكر انهن سبحن فى كف عمر وعثمان) رضى الله
تعالى عنهما ولفظ هذا الحديث عن ابى ذر فى دلائل البيهقى قال كنت اتتبع خلواته
صلى الله تعالى عليه وسلم فرأيته يوما خاليا فاغتنمت خلوته وجئته حتى جلست اليه
فجاء ابو بكر رضى الله تعالى عنه فسلم ثم جلس عن يمين رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم ثم جاء عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فسلم وجلس عن يمين ابى بكر
رضى الله تعالى عنه ثم جاء عثمان فسلم وجلس عن يمين عمر وبين يدى رسول الله صلى
الله عليه وسلم سبع حصيات فاخذهن فوضعهن فى كفه فسبحن حتى سمعت لهن
حنينا كحنين النحل ثم وضعهن فخرسن ثم اخذهن فوضعهن فى يد ابى بكر رضى الله
تعالى عنه فسبحن حتى سمعت لهن حنينا كحنين النحل ثم وضعهن فخرسن ثم تناولهن
فوضعهن فى يد عمر فسبحن حتى سمعت لهن حنينا كحنين النحل ثم وضعهن فخرسن
ثم تناولهن فوضعهن فى يد عثمان فسمعت لهن حنينا كحنين النحل ثم وضعهن فخرسن
فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هذه خلافة النبوة وهكذا اخرجه الحافظ
ابو القاسم فى تاريخه مسندا عن انس رضى الله عنه وزاد فيه بعد عثمان ثم وضعهن
فى ايدينا رجلا رجلا فما سبحت حصاة منهن وفى رواية صبهن فى ايدينا رجلا رجلا
الى آخره وفى الشرح الجديد انه لم يذكر عليا رضى الله تعالى عنه وكرم وجهه فانه كان
تسبيحها فى يد غيره مخصوصا بالخلفاء فهو خليفة كابنه الحسن ايضا واجاب بانه
لم يكن حاضرا ثمة اولان خلافته ادركت الفتنة على ان مثله لا يشين مقامه رضى الله
تعالى عنه مع ماله من المناقب (اقول الظاهر ان هذه الواقعة تعددت لان رواية

ابى ذر انه لم يكن ثمة غيره ومافى رواية البيهقى يقتضى انه حضرها جماعة من الصحابة
لقوله رجلا رجلا وعلى كليهما لم يكن معهم على بن ابى طالب كرم الله وجهه وفيهما
اشارة الى عدم امتداد خلافته استقلالا (وقال على) كرم الله وجهه فى حديث
رواه الدارمى والترمذى بسند حسن (كنا بمكة مع رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم فخرج صلى الله تعالى عليه وسلم الى بعض نواحيها فما استقبله) وفى بعض
النسخ فما استقبلته (شجرة) اى وقعت فى مقابلة وجهه قريبا منه (ولا جبل الا قال له)
كل واحد منهما (السلام عليك يارسول الله) بان خلق الله تعالى فيه نطقا وان لم يكن
معه حياة لانه لا تلازم بينهما ولكن الظاهر انه كان فيه حياة ايضا وهذا كما قاله
ابن اسحق رحمه الله تعالى كان فى بدء النبوة تطمينا لقلبه صلى الله تعالى عليه وسلم
وتبشيرا له بانقياد الخلق له بعده واجابتهم لدعوته (وعن جابر بن سمرة) رضى الله تعالى
عنه (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم) فى حديث صحيح رواه مسلم (انى لاعرف حجرا
بمكة كان يسلم على) اى يقول السلام عليك يارسول الله ونحوه (قيل انه الحجر الاسود)
فقد قال السهيلى وغيره روى فى المسندات ان هذا الحجر هو الحجر الاسود وهذا هو
المأثور وقد قيل انه حجر غيره وانه معروف الى الآن بمكة فى محل يقال له زقاق
المرفق والناس يتبركون به الآن ويقولون انه الذى كان يسلم على النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم وهذه المعجزة اعظم من معجزة داود عليه الصلوة والسلام فى قوله انا سخرنا
الجبال معه يسبحن لانها لم تسبح بيده وفى يد من اراد من امته وتسبيح الطعام اعظم
منهما لانه لم يعهد مثله والجبال قد وصفت بالخضوع والخشوع وتأكيده بان وتنكيره
اشارة اى ان له شانا خاصا به وانه حجر ليس كسائر الحجارة ولذا فسر بالحجر الاسود فلا
يقال ما الفائدة فى ذكر حجر واحد وهو صلى الله تعالى عليه وسلم كان لا يمر بحجر
ولا شجر الا سلم عليه كما اشار اليه بقوله (وعن عايشة) رضى الله تعالى عنها عنه صلى
الله تعالى عليه وسلم فى حديث صحيح رواه البزار فى مسنده (لما استقبلنى جبريل
عليه الصلوة والسلام اى نزل على واتانى (بالرسالة جعلت) اى صرت (لا امر بحجر
ولا شجر الا قال السلام عليك يارسول الله) تبشيرا بفاله وتطمينا وانها لعموم رسالته
وامر يقر به الحجر كيف ينكره البشر (وعن جابر بن عبد الله) رضى الله تعالى عنه فى
حديث رواه البيهقى (لم يكن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) فى ابتداء بعثته
(يمر بحجر ولا شجر الا سجد له) اى انخفض حتى مس الارض على هيئة السجود
تواضعا له صلى الله تعالى عليه وسلم وتعظيما له وتكريما كما سجدت الملائكة لادم
عليه الصلاة والسلام والسجود لغير الله سبحانه وتعالى انما يمتنع من البشر وهذا
محمول على السماع منه صلى الله تعالى عليه وسلم كما ورد التصريح به فى الحديث
السابق ومثله لا يقال من قبل الرأى فلا حاجة الى ان يقال انه علم من باب الكشف

ويحتمل ان الراوى شاهد ذلك فى حال مروره معه صلى الله تعالى عليه وسلم (وفى حديث العباس) رضى الله تعالى عنه الذى رواه البيهقى رحمه الله تعالى عن اسيد الساعدى (اذا اشتمل عليه) الضمير للعباس رضى الله تعالى عنه اى الحديث الذى ذكره فيه انه كان فى وقت اشتمل اى ضمه (صلى الله تعالى عليه وسلم) فى رداء له (وبنيه) وهم عبدالله وعبيدالله والفضل وقثم (بملاءة) بميم مضمومة ولام وهمزة ممدودة وهاء وهى الازار والملحفة وقيل الملاءة الازار الذى له شقتان فان كان له شقة واحدة فهى ريطة براء وطاء مهملتين والجمع ملاء وريط (ودعا لهم) اى للعباس وبنيه (بالستر من النار) الستر ما يمنع المستور ويحجبه فهو مجاز واستعارة لما يمنعهم من دخولهم للنار وعن ارتكاب ما يوجب العذاب بها وهو بفتح السين مصدر ستره ثم شبه بعد التجوز فى قوله (كستره) صلى الله تعالى عليه وسلم (اياهم بملاءته) اذ قال يارب هذا عمى وصنوابى وهؤلاء بنوه فاسترهم من النار كسترى اياهم بملاءتى هذه (فامنت) بفتح الهمزة والميم المشددة والنون اى قالت آمين طلبا لاجابة دعائه (اسكفة الباب) بضم الهمزة وسكون السين المهملة وضم الكاف وفاء مشددة مفتوحة وهاء وهى العتبة وما يعلوه الداخل من الباب ومن المجاز وقعت الدمعة على اسكفة عينه اى جفنه الاسفل وهذا محل الشاهد من الحديث لنطق الجماد فيه (وحوائط البيت) جمع حائط وهو معروف اى جدرانه المحيطة بجوانبه ونواحيه (امين امين) هو اسم فعل امر بمعنى استجب وفيه لغات اشهرها مد الهمزة وتخفيف الميم وروى قصرها وتشديد الميم وفيه كلام فى التفسير واللغة مشهور وآمين اما معمول لمقدر اى وقالت آمين اولامنت لتضمنه معنى القول وتكريره اما على التوزيع اى قالت الاسكفة آمين والحوايط آمين ويحتمل ان كل واحد منهما كرر قوله آمين تأكيدا وتخفيفا للمقال اذ قد يعقل عن مثله وهذا الحديث بتمامه فى دلائل البيهقى وفيه انه قال للعباس يا ابا الفضل لاتفارق انت وبنوك بيتك حتى اتيك فان لى بكم حاجة فانتظروه فلما اتاهم قال كيف اصبحتم فقالوا بخير فقال تقاربوا تقاربوا فاجتمعوا فجمعهم معه فى ملاءته وقال يارب هذا عمى وصنوابى وهؤلاء بنوه فاسترهم من النار الى آخر ماذكره المصنف رحمه الله وفى دلائل ابى نعيم انهم كانوا سبعة الفضل وعبدالله حبر الامة ابو الخلفاء وعبيدالله وعبدالرحمن وقثم وسعيد وام حبيبة اختهم وفيهم يقول عبدالله الهلالى

* ما ولدت نجيبة من فحل * بجبل نعلمه اوسهل *

* كستة من بطن ام الفضل * اكرم بها من كهلة وكهل *

* عم النبى المصطفى ذى الفضل * وخاتم الرسل وخير الرسل *

ومثل هذه القصة حديث اهل الكساء فى المباهلة المتقدم وهو جمع النبى صلى الله عليه وسلم لخمسة من اهل بيته وهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى وفاطمة

والحسنان فى كساء له ويقال ان جبريل عليه الصلوة والسلام كان معهم كما قيل

* افضل من تحت الفلك * خمسة رهط وملك * وقال الخالدى

* عاذلى ان كساء النقا * كسانيه حب لآل الكساء *

﴿ وقال ابو على الضرير لما وعده بكساء ثم اخلف ﴾

* من غزل هذا الكساء ونسج من * هل فى عمان طرزه ام فى عدن *

* ولاى وقت بعد ريح قرة * هبت وامطار المت تختزن *

* ام ذا الكساء العز آل محمد * فالضن عن بذل له امر حسن *

وهذا من تشبيه المعقول بالمحسوس المشاهد فلا يقال عليه ان المشبه هنا اعظم من المشبه به والمعهود فى التشبيه عكسه كما قيل (وعن جعفر بن محمد عن ابيه) محمد الباقر بن زين العابدين وقال السيوطى لم اجد هذا فى كتب الحديث يعنى المشهورة فلاينافى اطلاع المصنف رحمه الله تعالى عليه (مرض النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاتاه جبريل عليه الصلوة والسلام بطبق فيه رمان وعنب) المذكور فى اللغة ان الطبق بمعنى الغطاء والمراد به هنا الوعاء مجازا لانه على هيأته والظاهر انهما من ثمرات الجنة وكونه من ثمرات الدنيا وانه لو كان من الآخرة لم يغن لقوله اكلها دائم لايلتفت اليه كالبحث عن كونهما فاكهة اولا (فاكل منه صلى الله عليه وسلم فسبح) اى فاراد الاكل منه اذ تناوله بيده لا بعد الاكل كقوله تعالى * اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم * الآية ولم يذكر هذا مع الطعام لكونه ليس من طعام الدنيا المعقود له فصله فلذا ذكره مع الجماد وهو ما لاروح له مطلقا (وعن انس) بن مالك رضى الله تعالى عنه فى حديث رواه احمد والبخارى والترمذى وابن ماجة (صعد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وابو بكر الصديق وعمر وعثمان احدا) بضمتين وقد يسكن ثانيه وقيل ان تسكينه ضرورة وهو جبل معروف بقرب المدينة وقد قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيه انه جبل يحبنا ونحبه واخبر انه سيكون فى الجنة (فرجف) الجبل (بهم) اى تحرك حركة شديدة واضطرب واضطرابه اما لمهابته صلى الله تعالى عليه وسلم او لخوفه من الله تعالى او انه زلزلة اتفقت عند صعودهم عليه (فقال اثبت احد) بضم آخره من غير تنوين اى يا احد فامره صلى الله تعالى عليه وسلم بالثبات وعدم الحركة وقد خلق الله فيه ادراكا وحياة اذ فهم كلامه وامتثل امره وهذا محل الشاهد فى هذا الحديث اى ينبغى ان يكون فيك وقار وسكون لشرف من علا عليك ممن ينبغى عدم الاضطراب المشوش عليهم فاذا قال (فانما عليك نبى) يعنى نفسه صلى الله تعالى عليه وسلم (وصديق) يعنى ابا بكر رضى الله تعالى عنه (وشهيدان) يعنى عمر وعثمان رضى الله عنهما لانهما قتلا ظلما كما لايخفى ورواه بعضهم وشهيد بالافراد وقال لم يصف عثمان بالشهادة اختصارا

واقتصارا ولا وجه له وكل الشراح على خلافه وروى انه صلى الله تعالى عليه وسلم ضرب به برجله اى ركضه بها (ومثله) اى مثل الحديث الذى فى احدهما رواه مسلم (عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه فى حراء) بالمد والقصر والتذكير والتأنيث والصرف وعدمه وهو جبل معروف على ثلاثة اميال من مكة وقد تقدم الكلام عليه (وزاد) فى هذه الرواية على ما تقدم من ذكر عمر وعثمان وابى بكر رضى الله تعالى عنهم (ومعه على وطلحة والزبير) وفى رواية سعد بن ابى وقاص رضى الله تعالى عنه بدل على (وقال) فى هذه الرواية (فانما عليك نبى او صديق او شهيد) او هنا بمعنى الواو للتقسيم وبها عبر المصنف رحمه الله تعالى عند سياقه هذه الرواية فيما يأتى فقال اثبت انما عليك نبى وصديق وشهيد ويأتى الكلام عليها ثم واراد بالشهيد ما يشمل ما فوق الواحد وبالشهيد المقتول ظلما مطلقا لان عمر رضى الله تعالى عنه قتله ابو لؤلؤة غلام المغيرة الكافر وعثمان قتل يوم الدار واختلف فى قاتله وعلى رضى الله تعالى عنه قتله ابن ملجم الخارجى الشقى والزبير رضى الله تعالى عنه قتل بوادى السباع ظلما وطلحة رضى الله تعالى عنه اعتزل الناس فاصابه سهم فقتله فكلهم قتلوا ظلما فهم شهداء حقيقة وحكما وروى انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال اسكن حراء او اهدأ حراء الى آخره كما رواه مسلم والترمذى ولم يذكر سعدا كما سيأتى (والخبر) الذى رواه مسلم والترمذى عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه رواه الترمذى والنسائى (فى حراء ايضا عن عثمان) ابن عفان رضى الله تعالى عنه (قال) عثمان رضى الله تعالى عنه فى هذه الرواية (ومعه عشرة من اصحابه انا فيهم وزاد) فى رواية عثمان (عبد الرحمن) بن عوف (وسعد) ابن ابى وقاص (قال ونسيت الاثنين) تتمة العشرة وهما طلحة والزبير (وفى حديث) آخر رواه ابو داود والترمذى والنسائى وابن ماجة (سعيد بن زيد ايضا) ابن عمرو ابن نفيل احد العشرة المبشرة (مثله) اى مثل حديث عثمان وفى الصحابة سعيد بن زيد انصارى اسلمى وهو غير هذا لانه لا يعرف له رواية (وذكر) فى هذه الرواية ايضا (عشرة وزاد نفسه) فيهم (وقد روى) فى حديث الهجرة المذكور فى السير ولم يسنده السيوطى هنا (انه) صلى الله تعالى عليه وسلم (حين طلبته قريش) لما خرج مهاجرا وارسلوا خلفه من يطلبه منهم (قال له ثبير) بثاء مثلثة مفتوحة وموحدة مكسورة ومثناة تحتية ساكنة وراء مهملة جبل بالمزدلفة عن يسار الذاهب الى منى ولهم جبال آخر تسمى ثبيرا كلها حجازية وسمى ثبيرا من الثبور باسم رجل كان يسمى ثبيرا دفن به فسمى باسمه (اهبط يا رسول الله) اى انزل من على ظهرى واذهب الى مكان آخر تختفى به عنهم ثم علل امره بالهبوط والنزول منه الى مكان آخر بقوله (فانى اخاف ان يقتلوك على ظهرى فيعذبنى الله) بالنصب معطوف على يقتلوك فانما

خاف العذاب بسبب قتله لانه لو لم يذكر له ذلك مع علمه بانه ليس فيه مكان يستره كان غشاء منه يستحق به العذاب اولانه لو قتل على ظهره غضب الله على المكان الذى يقع فيه مثل هذا الامر العظيم كما غضب على ارض ثمود فلا يقال انه كيف يعذب بذنب غيره ولا تزر وازرة وزر اخرى حتى يوجه بان خوفه بمعنى حزنه وتأسفه عليه ونحوه من التخيلات التى لا وجه لها كما قيل (فقال له حراء) اسم جبل كما تقدم (الىّ يا رسول الله) بتشديد الياء المفتوحة تقديره ايت الىّ او هو اسم فعل بمعنى اقبل وقال له ذلك لانه الهمه الله انه يقدره على ان ينشق له ويستتر فى جوفه ونحو ذلك مما تقع به سلامته صلى الله تعالى عليه وسلم وكان هذا قبل توجهه صلى الله تعالى عليه وسلم الى غار ثور الذى اختفى فيه عند الهجرة (وروى ابن عمر) فى حديث رواه مسلم والنسائى واحمد فى مسنده وما ذكره المصنف هو رواية احمد بلفظه (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قرأ على المنبر) آية (وما قدروا الله حق قدره) اى ما عظموه حق تعظيمه وما عرفوه حق معرفته قيل ان بعض احبار اليهود قال له يا محمد ان الله يمسك السموات يوم القيمة على اصبع والارضين على اصبع والجبال على اصبع والماء والثرى على اصبع وسائر الخلق على اصبع ويقول انا الملك انا الله فضحك صلى الله تعالى عليه وسلم تصديقا له وتعجبا ثم قرأ وما قدروا الله الآية ونحوه فى جامع الترمذى وقال الخطابى انه انكار لمقالته لتوهمه ان لله يدا حقيقية ذات اصابع وهو منزه عن مثله ولذا قال (ثم قال) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بعد ما تلى الآية (يمجد الجبار نفسه) اى يعظم وينزه ذاته وروى يحمد بالحاء المهملة من الحمد والثناء الجميل وفى ذكره الجبار موافقة القرآن وهو صيغة مبالغة من الجبر وهو القهر ونفوذ الامر والنهى وفيه دليل على جواز اطلاق النفس بمعنى الذات على الله وان لم يكن بطريق المشاكلة كما ورد فى القرآن ايضا وليس من قبيل قوله تعلم ما فى نفسى ولا اعلم ما فى نفسك فانه يشترط فيه المشاكلة لانه اطلاق آخر ومن اشترط ذلك مطلقا فقد وهم وهذا مما خفى على كثير من الفضلاء يعنى المقصود من الآية تعظيم كبريائه توفيقا لعباده على كنه ذاته فلذا قال (انا الجبار انا الجبار) وكرره للتأكيد والتهويل (انا الكبير المتعال) اى المتعالى فى عظمته عما يخطر بالعقول وحذف الياء فى الوقف وهو جائز اى انا الجليل المتكبر العلى الاعلى المنزه عن الجارحة وفيه اشارة الى ان ما ذكر من الاصبع واليد والقبضة تمثيل لجلالة قدره وعظم ذاته (فرجف المنبر) اى اهتز واضطرب من مهابة مقاله صلى الله تعالى عليه وسلم (حتى قلنا) اى قال من كان حاضرا (ليخرن عنه) اى ليقع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من شدة اضطراب المنبر من عليه او لينهد المنبر وهذا وما قبله من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم لنطق الجبل له وفهم المنبر كلامه وتحركه وهو

محل الشاهد (وعن ابن عباس) فى حديث اخرجه الشيخان والبزار والطبرانى وابو يعلى عن جابر وابن مسعود ايضا (كان حول البيت) فى الجاهلية وقبل الفتح (ستون وثلاثمائة صنم) اتخذها قريش الهة يعبدونها من دون الله (مثبتة الارجل بالرصاص فى الحجارة) اى قيدت ارجلها ومكنت فى الارض برصاص جعل عليها حتى لاتسقط وتزول من مكانها والرصاص معروف قال الجوهرى بفتح الراء والعامة تكسره انتهى فكسره كضمه لحن من العامة وكون الاصنام حول الكعبة لاقوقها ورد فى كثير من الروايات (فلما دخل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المسجد) اى مسجد مكة المشرفة (عام الفتح) اى فتح مكة (جعل) اى شرع وطفق (يشير بقضيب) وعصا كانت (فى يده اليها) اى الى الاصنام المذكورة واليها متعلق بيشير (ولايمسها) بيده ولابقضيبه لاستكراهه صلى الله تعالى عليه وسلم لها ولانه لومسها توهم ان سقوطها بشدة دفعه لها (ويقول) حال من فاعل يشير لامن فاعل يمسها كما قيل وان جاز بتكلف اى قائلا (جاء الحق وزهق الباطل) والحق التوحيد والاسلام والباطل ضده وزهوقه زواله واضمحلاله وزهقت نفسه خرجت (فما اشار) بالقضيب (الى وجه صنم) اى ماهو على صورة وجه مقابل له (الا وقع) خر ساقطا (لقفاه) اى على قفاه فاللام بمعنى على كقوله * وخر صريعا لليدين وللفم * والاستثناء مفرغ من اعم الاحوال اى فى حال من الاحوال الاحال سقوطه (ولا) اشار (لقفاه الاوقع لوجهه) اى اى جهة اشار صلى الله تعالى عليه وسلم اليها من الصنم وقع على مقابلها (حتى) سقطت كلها او (مابقى منها صنم) قائم اذا سقطت كلها والقفاء مقابل الوجه وهو مقصور وسمع مده فى لغة ضعيفة وقيل انه ضرورة والحاصل انها سقطت كلها باشارته صلى الله تعالى عليه وسلم من غير ان يمسها واختلفت الروايات فقيل اشار بيده وقيل بقوس وقيل بقضيب وقيل بعود وهذا فيما كان حول البيت واما ما كان فى جوفه فامر باخراجه ولم يدخل صلى الله عليه وسلم البيت حتى اخرجت منه ومحيت الصور التى كانت فيه ولم يتعرض له المصنف مع انه فى الصحيحين لان كلامه فى اطاعة الجمادات له صلى الله تعالى عليه وسلم وقد علم ان هذه الاصنام كانت موثقة فى الرصاص لو اراد احد قلعها لم يقلعها الابعلاج شديد وقد سقطت باشارته من بعد فهو كتحريك الشجر من مغرسه له صلى الله تعالى عليه وسلم فلذا اقتصر عليه المصنف رحمه الله واشار اليه بقوله مثبتة بالرصاص (ومثله) اى مثل هذا الحديث وبمعناه (فى حديث ابن مسعود) الذى رواه الشيخان (وقال) اى ابن مسعود فى روايته (فجعل يطعنها) اى الاصنام المذكورة ويطعن بفتح العين كمنع يمنع ويجوز ضمها والاول اشهر وافصح خلافا لمن عكس وقد تقدم اختلاف الروايات فيما طعن به وهى متقاربة والذى مر فى الرواية السابقة انه اشار اليها من غير

ان يمسها بيده ومافيها من عصى ونحوها وهذه الرواية تقتضى انه مسها بالعصا ودفعها بها كالطاعن لها ففيهما اختلاف ولذا فسر بعضهم طعنها باشار اليها من غير مس وهو خلاف الظاهر وقيل انها كانت كثيرة فاشار لبعض منها وطعن بعضا منها فلا تعارض بين الروايات (ويقول) معطوف او حال بتقدير وهو يقول (جاء الحق) اى الدين الحق والتوحيد او وعد الله بفتح مكة (ومايبدئ الباطل ومايعيد) الابداء الايجاد ابتدأ من غير سبق ايجاد آخر والاعادة الايجاد مرة بعد مرة اخرى وماهنا جوز فيها ان تكون نافية اى ان الشرك هلك واضمحل والاستفهامية استفهاما انكاريا وهو بمعنى النفى ايضا فالمعنى واحد وانما ذكر حديث ابن مسعود لانه فى الصحيحين وقدم الاول لانه اوفق بمراده هنا وفيه زيادة ثقة وهى مقبولة (ومن ذلك) اى مما ذكر من امر الجمادات (حديثه) الذى رواه الترمذى والبيهقى (مع الراهب) وهو بحيراء واسمه جرجس ويقال جرجيس بياء ابن عبد القيس نصارى تيما او بصرى وهو ممن آمن به صلى الله تعالى عليه وسلم قبل بعثته صلى الله تعالى عليه وسلم ولذا عده بعضهم من الصحابة كورقة ابن نوفل وفى المسئلة اختلاف ذكره البرهان فى النبراس وغيره وقيل ان بحيراء يهودى واسمه بفتح الباء مقصور ومروى مده وتسميته راهبا تؤيد نصرانيته لان الرهبانية وهى الزهد فى المأكل وغيره لشدة رهبته اى خوفه معروفة فيهم كمالايخفى (فى ابتداء امره) صلى الله تعالى عليه وسلم اى وهو صغير السن لم يبعث (اذخرج تاجرا) اى لاجل التجارة (مع عمه) ابى طالب واعترض عليه بانه لما خرج مع عمه المذكور كان عمره تسع سنين وقيل اثناعشر ولم يكن تاجرا وانما تعرض لعمه وهو خارج وقال له تركنى وليس معى احد فاخذ معه وانما خرج تاجرا بعد ذلك مع ميسرة غلام خديجة رضى الله تعالى عنها وميسرة هذا لم يذكر فى الصحابة وقد مات قبل البعثة وفى هذه الخرجة لقى راهبا آخر وهو نسطورا وقصته مشهورة ايضا ففى كلام المصنف رحمه الله تعالى مالايخفى وماقيل فى الجواب من ان تاجرا حال من ضمير عمه او حال من ضميره صلى الله تعالى عليه وسلم المستتر فى خرج وجعله تاجرا لمجاورته لعمه الذى خرج للتجارة تعسف وتكلف جدا (وكان الراهب لايخرج) من صومعة له كان يترهب فيها (الى احد) ممن يمر عليه من ابناء السبيل لان صومعته كانت على طريق قريش فى ممرهم الشام تجارا فكان يراهم ولايخرج اليهم لانفراده واشتغاله بعبادته على عادتهم (فخرج) على خلاف عادته لما نزل قريبا منه ابو طالب والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم معه وابصرهم (فجعل) اى صار (يتخللهم) بفتح المثناة التحتية والفوقية والخاء المعجمة واللام المشددة بعدها لام مخففة اى يدخل فى خلالهم ويدور بينهم ينظرهم واحد بعد واحد من تخلل القوم اذا دخل بينهم كما فى الصحاح (حتى اخذ بيد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى امسك بده

الشريفة (فقال هذا سيد العالمين) اى اشرف المخلوقات كلهم لما رأى فيه من
الصفات التى علمها من كتبهم (يبعثه الله) اى يرسله لدعوة الكافة بعد ما نبأه (رحمة
للعالمين) اى لاجل رحمتهم جميعا لمجيئه بما يسعدهم فى الدنيا والآخرة كما تقدم
(فقال له) اى للراهب (اشياخ من قريش) جمع شيخ وحقيقته الكبير السن ثم شاع
فى الشريف المتقدم على غيره (ما علمك) بما ذكرته من كونه سيد اورحمة عامة اى
من اين عرفت هذا (فقال انه لم يبق شجر ولا حجر الاخر ساجدا له) وهوشاهد
ذلك من صومعته لما نزلوا عنده ومن معه لم يروا ذلك لاشتغالهم باحوالهم فى السفر
(ولا تسجد الا لنبى)تعظيما له اذا مر بها او نزل عندها والسجود للتحية والاكرام كان
سنة عندهم على ان امتناعه انما هو فى حق العقلاء دون غيرهم كما مر فانهم لا يتصور منهم
شرك فالبحث عنه لا وجه له (وذكر القصة) الى آخرها مفصلة كما فى السير وشهرتها
تغنى عن ذكرها (ثم قال) اى الراهب (فاقبل) صلى الله تعالى عليه وسلم لما نزل
(وعليه غمامة تظله) دون من معه من رفقته (فلما دنا من القوم) المرافقين له
الذين نزلوا قبله (وجدهم سبقوه الى فئ الشجرة فلما جلس) صلى الله تعالى عليه وسلم
(مال الفئ اليه) اى الى جانبه الذى جلس فيه والفئ هو الظل او الظل بالغداة والفئ
بالعشى لانه من فاء اذا رجع وهذا هو اصل معناه لكن توسعوا فيه فاستعملوا كلا
منهما مقام الآخر والغمامة السحابة والبيضاء والمراد الاول وخبر بحيراء صحيح
وروى من طرق صحيحة الا انه طعن فيما رواه الحاكم فيه من ان سبعة من الروم اقبلوا
يقصدون قتله صلى الله تعالى عليه وسلم فاستقبلهم بحيراء وقال لهم ماجاء بكم فقالوا
ان هذا النبى خارج فى هذا الشهر وانا بعثناله فقال لهم ارأيتم امرا اراده الله هل
يستطيع احد رده قالوا لا فصدهم عما ارادوه واقاموا معه وزاده ابو طالب وبعث معه
ابو بكر بلالا رضى الله تعالى عنهما وقال الذهبى انه حديث منكر وانما طعن فيه لان
ابابكر رضى الله عنه كان صغيرا اذ ذاك ولم يملك بلالا وقيل ان هذا مدرج فيه
من حديث آخر والافة فيه من رواية وما آفة الاخبار الا رواتها ﴿ فصل فى الآيات
فى ضروب الحيوانات) الآيات جمع آية وهى العلامة والمعجزة لانها علامة نبوة النبى
والضروب جمع ضرب وهو النوع (حدثنا سراج بن عبد الملك ابو الحسين الحافظ
قال حدثنا ابى قال حدثنا القاضى يونس) رجال هذا السند تقدموا كلهم
مع الكلام عليهم وعلى اسمائهم فلا حاجة للتكرار الممل (قال حدثنا ابو الفضل
الصقلى) بفتح الصاد المهملة والقاف وكسر اللام المشددة وياء نسبة نسبة لصقلية
جزيرة بالاندلس كثيرة الاشجار والثمار قال الشاعر * ذكرت صقلية والاسى *
توجج نيران تذكارها * وكسر صادها خطأ وان ذكره البرهان ظنا من عنده
(قال حدثنا ثابت بن قاسم بن ثابت عن ابيه وجده قالا حدثنا ابو العلاء احمد بن

عمران قال حدثنا محمد بن فضيل قال حدثنا يونس بن عمرو) كذا فى النسخ وقد سقط
منه راو وصوابه حدثنا احمد بن عمران حدثنا محمد بن فضيل قال حدثنا يونس ابن
عمرو كما فى بعض النسخ موصولا وهو من رجال مسلم واصحاب السنن الاربعة وترجمته فى
شروحها كما تقدم ويونس هو ابن اسحق السبعى وهو ثقة صدوق وقيل انه مضطرب
لا يحتج به وترجمته فى الميزان توفى سنة تسع وخمسين ومائة (قال حدثنا مجاهد) وفى
نسخة عن مجاهد (عن عايشة) ام المؤمنين ومجاهد هو ابن جبر كما تقدم وقيل ان مجاهدا
لم يسمع منها والصحيح خلافه (قالت) عايشة (كان عندنا داجن) من المداجنة
وهى لزوم البيوت وسكونها والمراد بها شاة تألف البيوت وتعلف فيها وتطلق
على غيرها من الحيوانات التى ترى فى البيوت كالناقة والحمام والمراد بقولها عندنا منزلة
الذى يسكنه وكذا فى قوله (فاذا كان عندنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
قر وثبت مكانه) اى وقف او ربض فى مكانه لا يتحرك تأدبا معه صلى الله تعالى
عليه وسلم (واذا خرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) من منزله (جاء وذهب)
اى مشى فى البيت وتردد فيه لانه لبس ثمة من يهابه وقيل المعنى انه لم يقر لعدم رؤيته
صلى الله تعالى عليه وسلم اشتياقا لرؤيته وهذا حديث صحيح رواه احمد والبزار
وابو يعلى والبيهقى والدارقطنى وهذا من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم
لالف الحيوانات التى لا تعقل ومهابتها له وروى داجنة بالهاء وراجن بالراء قد علم ان من
قر من القرار وهو السكون وعدم الحركة (وروى عن عمر)ابن الخطاب رضى الله
تعالى عنه فى حديث رواه الطبرانى والبيهقى وروى ايضا عن عايشة رضى الله عنها
وابى هريرة وهو ضعيف كما قاله السيوطى وليس بموضوع كما قيل (ان رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم كان فى محفل) بفتح الميم وسكون الحاء المهملة وكسر الفاء
واللام محل يجتمع فيه ناس كثيرون من حفل بمعنى جمع (من اصحابه اذ جاء
اعرابى) اى دخل بغتة عليهم رجل من اهل البادية غير معروف (قد صاد ضبا)
جملة حالية بفتح الضاد المعجمة وتشديد الباء الموحدة حيوان برى اكبر من الجردون
يبيض والاعراب تصطاده وتأكله (فقال) الاعرابى للصحابة (من هذا) سأل عن
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لانه ينكره اولم يعرفه (قالوا) له جوابا (نبى الله)
اى هو نبى الله ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

* وليس قولك من هذا بضائره * البيت يعرف من انكرت والحرم *

(فقال واللات والعزى) وهما صنمان عبدا فى الجاهلية واصل اللات اللاه فحذفوا
الهاء وادخلوا تاء التأنيث عوضا عنها وهو من لوى سمى به لالتوائهم فى طوافهم
حولها وكان نخلة والطائف لقريش وثقيف والعزى تأنيث الاعز شجرة من السمرة
كانت لغطفان بعث اليها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها

فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها داعية ويلها فقتلها وقال يا اعرابى كفرانك لا سبحانك انى رأيت الله قد اهانك ثم اخبر به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال تلك العزى ولن تعبد ابدا واقسم الاعرابى بهما لانه لم يكن مسلما كما يدل عليه ما بعده من قوله (لا امنت بك) اى بانك رسول الله (او يؤمن بك هذا الضب) بنصب يؤمن اى الان يؤمن هذا الضب فاومن انا بك ايضا بعد رؤية معجزتك من نطق هذا الحيوان واقراره برسالتك واو بمعنى الا او الى غاية لانتفاء ايمانه وهم ما ينصب بعده المضارع بعد النفى ونحوه وفى نسخة حتى بدل او (وطرحه) اى رمى الاعرابى الضب (بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم) اى فى مقابلته قريبا منه (فقال) صلى الله عليه وسلم (له) اى للضب (يا ضب) بالضم لانه منادى مفرد (فاجابه بلسان بين) كلامه او بكلام ظاهر مفهوم (يسمعه القوم) الذين عنده (جميعا لبيك) اى اجابة لك بعد اجابة وهو مثنى منصوب على المصدر به كما بينه النحاة (وسعديك) اى مساعدة وطاعة لك بعد طاعة وهو مثله فى المعنى والنصب وهما عبارة عن سرعة الاجابة والانقياد والطاعة (يا زين من وافى القيامة) اى من تزين وتحسن من كل من جاء الى القيامة والموافاة الحضور والمجئ والقيامة معروفة وانما جعله زينا اى مزينا لاهلها ومن بها لانه صلى الله تعالى عليه وسلم سيدهم وقائدهم والشفيع فيهم وهذه العبارة شايعة فى لسان عامة العرب فيقولون يا زين القوم لاشرفهم واحسنهم (قال) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم للضب (من تعبد) سأله ليقر بعبوديته لله فوصفه بما يعرفه كل احد (قال) اعبد (الذى فى السماء عرشه) وهو فى الاصل سرير الملك والعرش والكرسى اجمالا معلوم وتحقيقه فى كتب التفسير والمراد بالسماء ما يقابل الارض او جهة العلو مطلقا فلا ينافى ما ورد من انه فوق السموات كما قال الله تعالى * وسع كرسيه السموات والارض * والكلام فى هذا مقام آخر لا تحيط به ظروف الحروف (وفى الارض سلطانه) اى فى الارض ومن فيها يظهر عدله وحكمه وقهره لمن فيها من الثقلين وسلطانه وان كان على كل موجود لكن ظهوره فيمن قد يخالف ظاهر فيها والسلطان فى الاصل مصدر من التسلط والقهر (وفى البحر سبيله) اى طريقه التى جعلها مسلوكة لعباده بتسخير الريح ونحوه مما لا يقدر عليه غيره كما قال الله تعالى * وهو الذى يسيركم فى البر والبحر * ولذا كانت الكفرة لا يدعون فيها سواه كما قال الله تعالى * فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين (وفى الجنة رحمته) المختصة به العظيمة الباقية وان كان رحيم الدنيا والآخرة (وفى النار عذابه) وفى نسخة عقابه فلما امن بالله ووصفه بما هو مختص به دال على عظمته (قال) له صلى الله تعالى عليه وسلم ليكمل ايمانه (فمن انا) اى اذا امنت بى فمن انا (قال رسول رب العالمين) اشارة الى عموم رسالته صلى الله تعالى عليه وسلم لكل موجود حتى الجمادات والحيوانات

(وخاتم النبيين) فلا نبى بعدك كما تقدم (وقد افلح) وفاز بسعادة الدارين (من صدقك) واقر برسالتك (وخاب من كذبك) بانكار رسالتك وعدم اجابة دعوتك (فاسلم الاعرابى) لما رأى معجزته صلى الله تعالى عليه وسلم وعلم علما ضروريا بتوحيد الله تعالى والاقرار برسالة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا الحديث طويل رواه البيهقى وفيه ان الاعرابى من بنى سليم وانه كان ذاهبا بالضب ليشويه ويأكله فلما رأى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقع له معه ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى من اسلامه قال لا اتبع اثرا بعد عين والله لقد جئتك وما على ظهر الارض ابغض الى منك وانت اليوم احب الى من نفسى وولدى فلما اسلم وتشهد قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الحمد لله الذى هداك ان هذا الدين يعلو ولا يعلى ولا يقبل الا بصلاة ولا صلاة الا بقرآن ثم اعلمه الصلاة والقراءة وعلمه سورة الاخلاص وكان هذا سببا لاسلام قومه وقدومهم على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد علمت ضعف الحديث وان قال ابن دحية انه موضوع (ومن ذلك) اى من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم فى تسخير الحيوانات وانطاقها (قصة كلام الذئب المشهورة) التى رواها احمد والبزار والبيهقى وصححها (عن ابى سعيد الخدرى) رضى الله عنه هو سعيد ابن مالك الصحابى كما تقدم (بينا راع) تقدم ان بينا من الظروف وان الالف للاشباع فلبس ونحوها وهو معروف وقوله (يرعى غنما له) ذكره ليبان ان الغنم له او كافة عن الاضافة فراع فى محل رفع او جر وهو اسم فاعل من رعى الغنم باجنبى وانه كان يرعى غنما فان الراعى قد يرعى غيرها كالابل والبقر واختلف فى اسم هذا الراعى فقيل انه اهبان ابن اوس وقد جرى عليه المصنف رحمه الله تعالى فيما يأتى وانه وقع مثل هذه القصة لابى سفيان بن حرب وصفوان ابن امية فى ذئب اخذ ظبيا ولابى جهل واصحابه وفى حديث آخر ان الذئب اخذ شاة فتبعه الراعى فقال له الذئب من لها يوم السبع يوم لا راعى لها غيرى وان الذى كلمه الذئب اهبان بن اوس الاسلمى وقيل اهبان بن عقبة عم مسلمة ابن الاكوع احد اصحاب الشجرة وقيل اهبان بن الاكوع وعند السهيلى انه رافع ابن ربيعة وقيل هو اهبان بن عباد الخزاعى وقيل الذى كلمه الذئب سلمة ابن الاكوع ويأتى بيان ذلك كله وقيل اهبان بن صيفى وعن ابن عساكر ان الذى كلمه الذئب رافع ابن عميرة الطائى كلمه الذئب وهو فى ضأن له يرعاها ودعاه الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وامره باللحوق به صلى الله تعالى عليه وسلم فقال

* رعيت الضأن احميها زمانا * من الضبع الخفى وكل ذئب *
* فلما ان سمعت الذئب نادى * يبشرنى باحمد من قريب *
* سعيت اليه قد شمرت ثوبى * عن الساقين قاصدة الركيب *
* فالفيت النبى يقول قولا * صدوقا ليس بالقول الكذوب *
* فبصرنى لدين الحق حتى * تبينت الشريعة للمنيب *

وابصرت الضياء يضيء حولي * امامي ان سعيت وعن جنوبي
* الا ابلغ بني عمرو بن غوث * واخوتهم جذيلة ان اجيبي *
* دعا المصطفى لاشك فيه * فانك ان اجبت فلن تخيبي *

وقد علم ان قصة كلام الذئب وقعت مرارا عديدة على انحاء مختلفة وكلامه وان كان لغيره لكن اقراره به معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم (عرض الذئب لشاة منها) اى اتاها لاختطافها واخذها (فاخذها الراعى منه) اى ادركه وانتزعها من يديها وردها (فاقعى الذئب) اى مكث على عقبيه ناصبا يديه كما هو معروف فى اقعاء الكلب والذئب وللاقعاء معنى آخر كما ذكره الفقهاء فى كتاب الصلوة (فقال) الذئب بعد اقعائه (للراعى الا) حرف استفتاح هنا (تتقى الله) اى تخافه وتحذره (حلت) بضم الحاء المهملة وسكون اللام وفتح تاء الخطاب اى فصلت وفرقت (بينى و بين رزقى) الذى رزقه الله لى (قال الراعى العجب من ذئب يتكلم بكلام الانس) وفى نسخة البشر وهما بمعنى تعجب من نطقه وليس من شانه ذلك (فقال الذئب) مجيبا له (الا اخبرك باعجب من ذلك) اى من كلام حيوان اعجم (رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الحرتين) بفتح الحاء وتشديد الراء المهملتين وتاء تأنيث مثنى حرة وهى ثنية مرتفعة ذات حجارة سود كانها اسودت من الحر والحرتان بالمدينة (يحدث الناس بانباء ما سبق) وفى نسخة من سبق اى الامم السالفة واحوالهم وانما جعله اعجب لانه اخبار بالغيب معجز فلذا عده اعجب من نطق حيوان انطقه الله الذى انطق كل شئ وكون الامر اعجب مختلف باختلاف الاسباب والانباء جمع نبأ وهو الخبر (فاتى الراعى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاخبره) بكلام الذئب وقصته معه (فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم للراعى قم) من عندى فاذهب للحاضرين (فحدثهم) بما شاهدته ليزداد ايمانهم و يسرهم ما ظهر من معجزاته (ثم قال صدق والحديث فيه قصة) لما فيه من الغرابة وانه من اشراط الساعة لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم والذى نفسى بيده لاتقوم الساعة حتى تكلم السباع الناس و يكلم الرجل شراك نعله وعذبة سوطه ويخبره فخذه بما حدث فى اهله ولما لم يكن فى هذا استشهاد لما هو بصدده اسقطه واعتذر عنه بقوله (وفيه) اى فى بعض رواياته (طول) ولذا تركه لعدم الحاجة اليه هنا (وروى حديث الذئب عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه) رواه احمد والبزار والبيهقى وصححه والبغوى وابو نعيم بسند صحيح (وفى بعض الطرق) بضمتين جمع طريق تجوز فيه عن الرواية (فقال الذئب) للراعى (انت اعجب) اى حالك اعجب من حالى فى حال كونك (واقفا على غنمك) اى مراعيا وحافظا لها (وتركت نبيا) اى وقد تركت الى آخره فالجملة حالية بتقدير قد (لم يبعث الله نبيا) من انبيائه السالفة (قط اعظم منه عنده) واجل (قدرا) ومنزلة عند ربه وهو

تمييز لنسبة اعظم (وقد فتحت له ابواب الجنة) بتشديد تاء فتحت وتخفيفها اى هيئت واعدت له والجملة حالية ايضا وقوله (واشرف اهلها) يدل على ان المراد انها فتحت حقيقة لتنظر من فيها من الملائكة والاشراف النظر من مكان عال مأخوذ من الشرف وهو المكان العالى (على اصحابه لينظرون قتالهم) اى ينظرون اليهم وهم صفوف واقفون فى القتال كصفوف الملائكة (ومابينك و بينه الا هذا الشعب) بكسر الشين المعجمة وسكون العين المهملة بعدها موحدة وهو منفرج بين جبلين يعنى انه قريب منك لاعذر لك فى التخلف عنه (فتصير فى جنود الله) اذا ذهبت اليه وتصير من حزب الله المفلحين فتخلفك عنه مع هذا اعجب من نطق الذى تعجبت منه (قال الراعى) للذئب لما اشار عليه بالذهاب لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (ومن لى بغنمى) اى اذا ذهبت اليه من يتكفل لى بحفظ غنمى حتى اجئ (قال الذئب انا ارعاها) اى احفظها واحرسها (حتى ترجع) اليها من عنده صلى الله عليه وسلم (فاسلم الرجل) وهو الراعى اليه غنمه اى سلمها للذئب وتركها عنده (ومضى) الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (وذكر) له (قصته) مع الذئب وما كلمه به وما فعله معه (واسلامه) الغنم له (ووجود النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يقاتل) كما قال له الذئب (فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) بعد ما قص قصته عليه واسلم وآمن به صلى الله تعالى عليه وسلم (عد الى غنمك تجدها بوفرها) بفتح الواو وسكون الفاء اى بتمامها وكمالها لم ينقص منها شئ من قولهم ارض وفرة لم يرع نباتها (فوجدها كذلك) اى تامة غير ناقصة (وذبح للذئب منها شاة) جزاء له على صنيعه وارشاده له (وعن اهبان بن اوس) عطف على قوله عن ابى هريرة وهو بضم همزة اهبان واوس بفتحها علم منقول معناه العطية وهذا الحديث رواه البيهقى والبخارى فى تاريخه عنه (انه قال صاحب هذه القصة) المذكورة فى كلام الذئب (و) انه (المحدث بها والمكلم الذئب) كما فى الروض الانف وانه كان فى غزوة ذى قرد (و) روى ايضا (عن سلمة بن عمرو بن الاكوع وانه) اى ابن الاكوع لا سلمة كما قيل و يجوز فتح همزة انه وكسرها (كان صاحب هذه القصة ايضا) يعنى انها تعددت (و) كانت (سبب اسلامه) وفى مرآة الزمان لسبط ابن الجوزى اهبان ابن الاكوع اسمه عقبة من الطبقة الثالثة من المهاجرين وهو مكلم الذئب فى رواية هشام وقد اختلفوا فقال هشام هو اهبان ابن الاكوع وعن الواقدى هو اهبان ابن اوس الاسلمى الصحابى رضى الله تعالى عنه من اسلم نزل الكوفة وتوفى فى خلافة معاوية وحكى ابن سعد عن ابن الاشعث ان مكلم الذئب اهبان بن عباد بن ربيعة ابن كعب بن امية نقطة بن خزيمة من اسلم وذكر جدى فى التلقيح ان من اسمه اهبان اربعة اهبان بن الاكوع ابو عقبة واهبان بن اوس الاسلمى واهبان بن صيفى الغفارى واهبان بن عباد الخزاعى مكلم الذئب قال وقيل ان مكلم الذئب

اهبان بن اوس انتهى ولم يذكر فى الرواية منهم سوى اهبان بن صيفى والحاصل ان مكلم الذئب على رواية هشام اهبان بن الاكوع وعلى قول الواقدى اهبان بن اوس الاسلمى وعلى قول ابن الاشعث اهبان بن صيفى الغفارى انتهى ففيه اقوال ارتضى المصنف منها قول الواقدى فان كانت القصة تعددت فلا خلاف وليس فى الصحابة من اسمه اهبان عقبة وقد يقال انه غلط من ابى عقبة فليحرر (بمثل حديث ابى سعيد) الخدرى اى روى سبب اسلامه بمثله (وروى) عبد الله (بن وهب) السابق ترجمته (مثل هذا) المذكور من كلام الذئب (انه جرى) اى وقع واتفق (لابى سفيان ابن حرب) والد معاوية وام حبيبة المشهور رضى الله تعالى عنهم (وصفوان ابن امية) الصحابى المعروف وقع هذا لهما قبل اسلامهما وكانا من اشد الناس عداوة له صلى الله تعالى عليه وسلم قبل اسلامهما فلما اسلما صار صلى الله تعالى عليه وسلم احب اليهما من نفسهما (مع ذئب وجداه اخذ ظبيا) اى اراد اخذه فجرى خلفه فى الحل ليأخذه بقرينة قوله (فدخل الظبى الحرم فانصرف الذئب) عنه لانه فى الحرم المحرم صيده اوانه انفلت منه بعد اخذه (فعجبا من ذلك) اى من كون الذئب عرف حرمة الحرم وكف عن صيد امكنه وهو ليس من العقلاء (فقال الذئب) لما سمع تعجبهما او علمه من حالهما (اعجب من ذلك) الفعل الذى صدر منه (محمد بن عبد الله) موجود (بالمدينة يدعوكم الى الجنة) بدعوته للاسلام الذى هو مقتض لدخولها (وتدعونه الى النار) بقولكم له لم لا توافقنا وتعبد آلهتنا مما هو سبب للخلود فى النار وانما كان هذا اعجب لانه مخالف لما يقتضيه العقل ونطق حيوان اعجم لقدرة الله تعالى واقداره ليس بعجيب لهذا فى النظر السديد والعقل السليم وليس باغرب من عبادة الحجارة (فقال ابو سفيان واللات والعزى لئن ذكرت) بضم التاء وفتحها (هذا) اى تكلم الذئب وما قاله (بمكة) اى ذكرته لاهلها (لتتركنها خلوفا) بضم الخاء المعجمة واللام والفاء مصدر او جمع خالف والمراد تركها خالية من اهلها بان يسلموا جميعا ويرحلون له صلى الله تعالى عليه وسلم لان من سمع مثله لا يتردد فى صحة رسالته صلى الله تعالى عليه وسلم وسعادة من اتبعه او المراد يدعها واهلها متغيرة فاسدة لما يقع بين اهلها من الفساد والفتن باختلاف الكلمة فالاول من قولهم اتيت الحى فوجدته خلوفا اى ليس فيه احد من الرجال بل النساء ويقال لهن خوالف لانهن يخلفن الرجال والثانى من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لخلوف فم الصائم اطيب عند الله من ريح المسك اى رائحة تغيره (وقد روى مثل هذا الخبر) الذى وقع لابى سفيان وصفوان (وانه جرى لابى جهل واصحابه) اى انهم شاهدوا مثله وتعجبوا منه ولكن الله اشقاه واشقاهم (وعن عباس ابن مرداس) بكسر الميم وهو من الصحابة شاعر مجيد وشجاع سهم وكان ممن حرم الخمر على نفسه فى الجاهلية

كالصديق رضى الله تعالى عنه وجماعة الا انه كان من المؤلفة قلوبهم ثم حسن اسلامه ونور الله قلبه (لما تعجب) ظرف متعلق بمقدر اى وقع ذلك او شرطية جوابها قوله فاذا طائر الخ فان جواب لما قد يقترن بالفاء لكنه نادر (من كلام ضمار) بكسر الضاد المعجمة وميم وآخره راء مهملة بوزن كتاب كما فى القاموس وفى بعض النسخ الذيل والصلة للصاغانى بالدال المهملة وفيه نظر كما قاله البرهان الحلبى (صنم) بالجر بدل من ضمار فانه اسم صنم كان يعبده مرداس ورهطه (وانشاده) بالجر معطوف على كلام (الشعر) بالنصب مفعول المصدر (الذى ذكر فيه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) صفة الشعر وضمير انشاده للصنم وسبب ذلك ان مرداس لما احتضر قال لابنه يا عباس اى بنى اعبد ضمارا فانه سينفعك ويضرك فتفكر عباس يوما عند ضمار وقال انه حجر لا يضر ولا ينفع ثم صاح باعلى صوته يا الهى الاعلى اهدنى للتى هى اقوم فصاح صائح من جوف الصنم

* اودى ضمار وكان يعبد مرة * قبل البيان من النبى محمد *

* وهو الذى ورث النبوة والهدى * بعد ابن مريم من قريش مهتد *

* قل للقبائل من سليم كلها * اودى ضمار وعاش اهل المسجد *

فحرق عباس ضمارا ولحق بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم (فاذا طائر سقط) اى خر من الجو بغتة عليه (فقال) الطائر (يا عباس اتعجب من كلام ضمار) بالتنوين والصرف الا انه وقع فى الشعر غير مصروف فان لم يكن ضرورة فهو جائز وتعجبه لنطق الجماد بما سمع من جوفه وانكاره لتعجبه لانه كلام شيطان فى جوفه وكلام الطائر اعجب منه (ولا تعجب من نفسك ان رسول الله يدعوا الى الاسلام) حذف مفعوله لتعميم اى كل احد اليه (وانت جالس) فى منزلك متخلف فى اجابة دعوته صلى الله تعالى عليه وسلم التى هى السعادة العظمى (فكان ذلك) المذكور مما سمعه من الصنم والطائر (سبب اسلامه) لانه لما سمع ما ذكرنهض فى ثلاثمائة فارس من قومه وهم سليم فلما رآه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم تبسم وقال له يا عباس حدثنا بما رأيت فقص عليه القصة واسلم وقيل ان ضمارا كان صنما لخزاعة ينحا كمون اليه وان قصة نطقه وقعت لعمر بن الخطاب وكأنه صنم آخر والقصة له ونطق الاصنام واخبارها ببعثة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقعت مرارا وفيها اخبار مذكورة فى السير قيل انما تركها المصنف لان النطق المسموع منها من الجن (وعن جابر بن عبد الله) رضى الله تعالى عنهما فى حديث رواه البيهقى (عن رجل) اسمه اسلم وعن الواقدى ان اسمه يسار وهو رجل اسود كما يأتى قاتل بخيبر حتى قتل كما ذكره ابن سيد الناس فى سيرته فى غزوة خيبر (اتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وامن به وهو على بعض حصون خيبر) قوله وهو جملة حالية اى وهو صلى الله تعالى عليه

وسلم مقيم عنده لفتحه والحصون جمع حصن وهى القلعة التى يتحصن بها لا القصر كما قيل ولا حذف فى هذا الكلام وقيل الضمير للرجل ويبعده قوله (وكان فى غنم يرعاها لهم) اى لاهل خيبر والظرفية بمعنى المعية او هى مجازية لقوله واذا كنت فيهم الآية (فقال يارسول الله فكيف بالغنم) اى كيف افعل بالغنم اذا سلمت وهى ملك غيرى وانا اجير (فقال) له صلى الله عليه وسلم (احصب وجوهها) اى ارمها فى وجوهها بالحصباء وهى صغار الحجارة ودقاقها وما قيل من ان حكمة هذا ان الحصاة وردت بمعنى الفعل فى قوله * وان لسان المرء مالم يكن له * حصاة على عوراته لدليل * ومنه الاحصاء بمعنى العدا واجد العلم والهداية لها الى اهلها هذيان لا معنى له وانما المراد انه اذا ضرب وجوهها ولت مدبرة فهداها الله ببركته صلى الله عليه وسلم للرجوع لمنازل اصحابها حتى يخلص من عهدة ضمانها كما اشار اليه بقوله (فان الله سيؤدى عنك امانتك) وهى الغنم التى سلمت لك اى يوصلها ويبلغها (ويردها الى اهلها) وهم اصحابها المالكون لها فتخرج انت عن عهدة ضمانها (ففعل) ما امره به رسول الله صلى الله عليه وسلم (فسارت كل شاة حتى دخلت الى اهلها) وانما كان هذا لانه كان مستأمنا وفى يده امانة لاهل خيبر قبل فتحها فلذا ردها صلى الله تعالى عليه وسلم لاصحابها مع ما فيه من تطمئن قلبه من خروجه من عهدتها واذا لم يجعلها فيئا مع انه علم انها ستكون كذلك بعد الفتح وقيل ان الراعى كان عبدا اسود رقيقا لبعض اهل خيبر فلما غزاها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وسمع خبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من اليهود جاءه واسلم اى اظهر اسلامه فلا منافاة بينه وبين ما مر وحسن اسلامه واستشهد فى تلك الغزوة بحجر اصابه او سهم ولم يصل صلاة قط فشهد له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالجنة واخبر انه رأى عنده حوريتان من الحور العين كما رواه مفصلا فى دلائل النبوة وهذا من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم الظاهرة كما لا يخفى (وعن انس) فى حديث صحيح مسند رواه احمد والبزار (دخل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حائط انصارى) الحائط معروف ويتجوز به عن البستان وهو المراد هنا (وابو بكر وعمر ورجل من الانصار وفى الحائط) اى البستان (غنم فسجدت له) صلى الله تعالى عليه وسلم تعظيما له لما شاهدت من نور نبوته والهمها الله تعالى نور معرفته (فقال ابو بكر) لما رأى سجودها له صلى الله تعالى عليه وسلم (نحن احق بالسجود لك منها) يعنى لو كان السجود لغير الله تعالى والجار الاول متعلق بالسجود والثانى باحق وفى بعض النسخ تقديم لك على السجود لانه ظرف يتوسع فيه ومعمول المصدر غيره لا يتقدم عليه لضعف عمله (الحديث) وتتمته انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال له لا ينبغى لاحد ان يسجد لاحد واحد المخصوص بالنفى يشمل الواحد وغيره ويختص بالعقلاء كما صرحوا به ففى ذلك اشارة الى ان الغنم ونحوها من غير جنس الناس سجودها

تعظيما ليس ممنوعا كسجود الكواكب ليوسف عليه السلام (وعن ابى هريرة) قال السيوطى هذا الحديث رواه البزار بسند حسن وحديث ثعلبة بن مالك الآتى رواه ابو نعيم وحديث جابر رواه احمد والدارمى والبزار والبيهقى وحديث يعلى ابن مرة رواه احمد والحاكم والبيهقى رحمهم الله تعالى بسند صحيح وحديث عبد الله بن جعفر رواه مسلم وابو داود وحديث عبد الله بن ابى اوفى رواه ابو نعيم والبيهقى (دخل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حائطا) اى بستانا (فجاء بعير) كان فى البستان (فسجد له) صلى الله تعالى عليه وسلم (وذكر مثله) اى مثل الحديث الذى قبله فقالوا هذه بهيمة لا تعقل تسجد لك ونحن نعقل فنحن احق ان نسجد لك فقال صلى الله تعالى عليه وسلم لا يصلح لبشر ان يسجد لبشر ولو صلح لامرت المرأة ان تسجد لزوجها لما له من الحق عليها (و) روى (مثله فى الجمل عن ثعلبة بن مالك) الصحابى وهو ممن استشهد باحد لكن الذى ذكره ابن عبد البر انه ثعلبة بن ابى مالك القرظى وابوه قدم من اليمن على دين اليهودية فنزل على بنى قريظة فنسب اليهم ثم اسلم فقول ابن مالك صوابه ابن ابى مالك (وجابر بن عبد الله ويعلى بن مرة وعبد الله ابن جعفر) لحديث الجمل وسجوده روى من طرق متعددة مروية عمن ذكر والقصة واحدة كما بينه السيوطى (قال) كل منهم او عبد الله بن جعفر (وكان لا يدخل احد الحائط) من غير اصحاب البستان (الا شد عليه الجمل) شد هنا بمعنى اسرع وحمل عليه قال الراغب يقال شد واشتد اذا اسرع وشد عليه حمل يعنى انه كان عقورا هائجا على كل من استقر به (فلما دخل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عليه) اى على الجمل فى البستان (دعاه) وامره بالاقبال عليه (فوضع مشفره فى الارض) بكسر الميم وسكون الشين المعجمة وفتح الفاء وراء مهملة وهو فى الاصل كالشفة للانسان والجحفلة للفرس والخرطومة للسباع والمنقار للطير كما بينه اهل اللغة فى الفروق (وبرك بين يديه) البروك للجمل كالجلوس للانسان من البرك وهو صدر الجمل ونحوه (فخطمه) اى وضع زمامه الذى يقاد به فى رأسه وعلى خده لانه برك عنده صلى الله تعالى عليه وسلم وانقاد له منذ للابعد ما كان لا يطاق (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم لمن عنده (ما بين السماء والارض شئ) من الحيوان والطيور وغيرها والمراد بالارض الجنس فيشمل الاراضى السبع (الا يعلم) وفى نسخة الا و يعلم (انى رسول الله) بعلم خلقه الله فيه ويلهمه له (الا عاصى الجن والانس) اى الا من عصى الله ورسوله وكفر فانه ينكر معرفتى اى معرفة انى رسول الله حقا وعاصى يجوز ان يكون مفردا واصله عاصين فحذفت النون للاضافة والياء لالتقاء الساكنين وقدم الجن لسبقهم خلقا ومعصية لان اول من عصى الله ابليس والاكثر حيث اجتمعا تقديم الجن فى القرآن (ومثله عن عبد الله بن ابى اوفى) هو وابوه صحابيان رضى الله تعالى عنهما شهدا المشاهد مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو الذى دعا له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم

حين اتى اليه بصدقته وقال اللهم صل على آل ابى اوفى وحديثه مذكور فى دلائل النبوة لابى نعيم والبيهقى كما علمت ولفظه قريب مما ذكره اولا (وفى خبر آخر فى حديث الجمل ان النبى سألهم عن شانه) لما ابق منهم و بطش بكل من قرب منه (فاخبروه) وفى نسخة فاخبر بالبناء للمفعول (انهم ارادوا ذبحه) لانه ضعف كما سيأتى (وفى رواية ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال لهم انه شكى كثرة العمل وقلة العلف) وهو بفتحتين فعل بمعنى المفعول والعلوف يطلق على قوت الدواب من الحبوب وغيرها وشكايته الظاهر انها بنطق فهو من المعجزات (وفى رواية انه شكى الى انكم اردتم ذبحه) ونحره واكثر ما يستعمل فى الابل النحر وفى غيرها الذبح والفرق بينهما قريب جدا فلذا استعمل كل منهما بمعنى الآخر ومعرفته ارادتهم ذبحه بالالهام (بعد ان استعملتموه) اى اكثرتم العمل به من التحميل ونحوه (فى شاق العمل) اى فيما يشق اى يصعب عليه من العمل وقولهم عمل مشتق غير مسموع فكانه مبنى على ان التعدية بالهمزة مقيسة وفيه خلاف مذكور فى كتب اللغة (من صغره) اى ان بلغ الكبر وعجز عن العمل (فقالوا نعم) اعترافا بما ذكر فبئس الجزاء الذى ارادوه وهذا الحديث اخرجه الطبرانى وابن ماجة فى سننه فى غزوة ذات الرقاع عن جابر وتميم الدارى وفيه انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لهم ماهكذا اجزاء المملوك الصالح بعينه فابتاعه منه وارسله يرعى فى الشجر حتى قوى والحديث فيه طويل (وقد روى) بالبناء للمجهول قيل وهذه القصة بهذا التفصيل لايعرف راويها (فى قصة) الناقة (العضباء) بفتح العين المهملة وسكون الضاد المعجمة والموحدة والمد وهى اسم ناقة للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم ومعناها المشقوقة الاذن وقد اختلف فى ناقته العضباء والقصوا والجدعاء بالمد فيهما ايضا هل هن ثلاثة او واحدة لها القاب متعددة او اثنتان فذهب التيمى والعراقى فى منظومته الى انها واحدة ولاعضب ولاجدع اى شق اذن فيها وانما هو لقب وقيل كان باذنها عضب اى شق وفى البخارى ان الجدعاء هى التى هاجر عليها وقيل ان التى هاجر عليها القصوا وعن ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم خرج ذات ليلة فمر بناقة باركة فى الدار فقالت السلام عليك يا نبى الله يا زين القيمة يارسول رب العالمين فالتفت لها وقال وعليك السلام فقالت انى كنت لرجل من قريش يقال له اعضب فهربت منه فوقعت فى مغارة فكان اذا غشنى الليل احتوشنى السباع ينادى بعضها بعضا لاتؤذوها فانها مركب محمد فاذا اصبحت رتعت نادتنى كل شجرة الى فانك مركب محمد حتى وقعت ههنا فسميت عضباء باسم صاحبها وفيه انها قالت له صلى الله تعالى عليه وسلم ادع الله ان يجعلنى مركبك فى الجنة فقال قد فعلت وقد قيل ان هذا الحديث كله فى سنده طعن وقد علمت انها واحدة قد سميت عضباء وقصواء

وجدعاء بدال مهملة وصلما ومخصومة والكل متقاربة المعانى والجدع قطع طرف الاذن فاذا بلغ الربع فهو قصو فاذا جاوزه فهو عضب فان استوصل فصلم ونقل ابن الجوزى عن ثعلب انها كلها القاب لناقة له صلى الله تعالى عليه وسلم ولا جدع لها ولا عضب واختاره فى القاموس (وكلامها للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم) كلام بمعنى تكليم مصدر والنبى منصوب به مفعوله (وتعريفها له بنفسها) كما سمعته آنفا (ومبادرة العشب اليها) بالدال المهملة مفاعلة من البدار وهو الاسراع وقد تقدم انه كان يناديها الىّ الىّ فالمراد طلبه منها ان ترعاه قبل غيره والعشب بالضم معروف (فى المرعى) اى مكان رعيها (وتجنب الوحوش لها) اى عدم اذيتها واكلها كما مر (وندائهم لها انك) معدة (لمحمد) ولركوبه وضميرهم للعقلاء وعبر به لصدور فعل العقلاء منها وهو النداء كما فى قوله تعالى رأيتهم لى ساجدين (وانها لم تأكل ولم تشرب بعد موته) صلى الله تعالى عليه وسلم (حتى ماتت) من الحزن والاسف على فراقه صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل انها التى اشتراها ابو بكر رضى الله تعالى عنه من بنى الحريش مع اخرى بثمانمائة درهم فلما هاجر اشتراها صلى الله تعالى عليه وسلم منه باربعمائة درهم وقد ذكر قصتها مفصلة ابو سعيد فى كتاب الشرف وكان له صلى الله تعالى عليه وسلم نوق آخر كما بينه اصحاب السير (وذكر الاسفرائنى) رحمه الله وقد تقدمت نسبته وترجمته (وروى ابن وهب) وهذا الحديث لم يخرجوه واما ابن وهب فقد تقدمت ترجمته (ان حمام مكة) الموجود بحرمها الى الان والحمام كل ذات طوق برى او اهلى وقيل انه مخصوص بالبرى وقيل انه كل ماعب وهدر والعب كرع الماء من غير نفس والهدير ويقال الهديل ترجيع صوت الطائر المعروف (اظلت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى اجتمعت لتجعل ظلها عليه وقاية من الحر قيل ولذا كانت محترمة لاتصاد وقيل انها من نسل حمامتى الغار وسيأتى (يوم فتحها) اى فتح مكة (فدعا لها بالبركة) فاجاب الله دعاءه فيها وكانت محترمة لاتصاد كما تقرر (وروى عن انس) رواه عنه ابن سعد والبزار والطبرانى والبيهقى وابو نعيم (وزيد بن ارقم والمغيرة بن شعبة قال امر الله ليلة الغار) منصوب على الظرفية والغار غار ثور الذى اختفى فيه صلى الله تعالى عليه وسلم لما هاجر وقصته مشهورة فى القرأن غنية عن البيان (شجرة فنبتت) من وقتها والامر هنا مجاز عن التسخير كقوله كونوا قردة فنزلها منزلة المأمور المختار وروى بشجرة بالباء الجارة وهما بمعنى والشجرة كانت من الطلح تسمى الراء كما قاله السهيلى وهى بمقدار القامة ولها زهر ابيض و بها حشى شبه القطن يحشى به المخاد كالريش خفة ولينا واحده راءه كما فى كتاب النبات قال الشاعر * ترى ودكه السديف على لحاهم * كمثل الراء لبده الصقيع *

(تجاه النبى صلى الله عليه وسلم) تقدم ان التجاه بضم التاء المثناة الفوقية المبدلة من الواو واصله وجاه اى فى مقابله وجهة باب الغار (فسترته) عمن ينظره بحيث لايراه من طلبه من كفار قريش (وامر) اى الهم الله (حمامتين) ذكر اوانثى فعششتا و باضتا على تلك الشجرة (فوقفتا بفمه) اى بفم الغار لان مثله لايكون الا بمكان خال من الناس وورد فى الحديث فسمت عليهما صلى الله عليه وسلم اى دعالهما بالبركة فانحدرا الى الحرم فافرخا كل حمام به وفى حديث الاكل سموا الله ودنوا وسمتوا اى اذا بدأتم فالاكل كلوا ممايليكم ودنا منكم واذا فرغتم فسمتو اى ادعوا لمن اكلتم عنده وقيل ان الشجرة جاءت تسعى من مكان آخر تسق الارض كما اشار اليه القائل

* قامت اليه سرحة سترته من * نظرا لعد و باحسن الاغصان *

(وفى حديث آخر) رواه ابن سعد والبزار والطبرانى والبيهقى وابونعيم عن انس وزيد ابن ارقم والمغيرة بن شعبة وفيه فسمت عليهما ودعالهما وانحدرا الى الحرم فافرخ ذلك الزوج كل شئ فى الحرم كما تقدم (وان العنكبوت نسجت على بابه) اى على باب الغار وفيه (فلما اتى الطالبون له) صلى الله تعالى عليه وسلم الذين قصوا اثره واتبعوه ليأخذوه (ورواه ذلك) المذكور من الشجرة والسرحة الحمام والعنكبوت بباب الغار (قالوا لوكان فيه) اى فى هذا الغار (احد) من الناس (لم تكن الحمامتان) بقران (ببابه) الذى منه المرور (والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم يسمع كلامهم) لقربهم منه بحيث لوامعنوا النظر رأوه (فانصرفوا) راجعين ناركين وكانوا فتيان من قريش مضوا خلفه صلى الله تعالى عليه وسلم ومعهم سراقة القائف بقص اثره فلما انتهوا الى الغار رأوا نسج العنكبوت والحمامتين على بيضهما فقالوا انه لو دخل احد لم يكن مثل هذا مع قربهم منه بحيث لوطأطأ احد رأسه رآه صلى الله تعالى عليه وسلم وفى هذا معجزات شاعت حتى بلغت حد التواتر ورواه المحدثون من طرق كثيرة صحيحة وقد قال فيها الشعراء كثيرا ويعجبنى قول ابن النقيب

* ودود القزان نسجت حريرا * يجمل لبسه فى كل زى *
* فان العنكبوت اجل منها * بما نسجت على رأس النبى *

وانظر الى هذا مع قولى

* على غار سور عنكبوت بنسجه * لقد حاز فخرا فاق كل فخار *
* لذلك دود القز يهلك نفسه * وقد غار من نسج له بفم الغار *

وفيه معان اخر لانطيل بها ننبيه قول الابوصيرى فى همزيته

* اخرجوه منها واواه غار * وحمته حمامة ورقاء *
* وكفته بنسجها عنكبوت * ما كفته الجنانة الحصداء *

الجنانة بنونين هى الدرع لانها تجن البدن اى تستره والحصداء المحكمة النسج كما فى كتب اللغة وهذا البيت حرفه شراحه وصاحب المواهب اذ جعلوه الحمامة

الحصداء اى الكثيرة الريش وهذا قول من لم يصل الى العنقود ويفسره قوله فى البردة

* وقاية الله اغنت عن مضاعفة * من الدروع وعن عال من الاطم *

(وعن عبدالله بن قرط) بضم القاف وراء مهملة ساكنة يليها طاء مهملة وهو صحابى ثمالى وكان اميرا على حمص من قبل معاوية وقتل بارض الروم سنة ست وخمسين واخرج له اصحاب السنن واحمد فى مسنده وغيرهم وهذا الحديث رواه الحاكم والطبرانى وابونعيم مسندا (قرب) بالبناء للمفعول اى اتى بعض الصحابة (الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بدنات) جمع بدنة وهى مايعد للنحر من الابل خاصة ولايطلق على البقر وغيرها وان كانت فى حكمها شرعا فى الاجزاء عن سبعة وقال ابن الاثير انها من الابل والبقر حقيقة و بدنات بفتحات وقال العزفى انه بدنات بضم الموحدة وسكون الدال ورد بانه على خلاف القياس الا ان يكون جمع بدن فهو جمع الجمع وهو بعيد الاان تساعده الرواية وسميت بدنة بعظم بدنها (خمس اوست اوسبع) الشك من الراوى (لينحرها يوم عيد فازدلفن اليه) افتعال من الزلف وهى القرب ابدلت تاؤه دالا لاجل الزاى اى تقدمت كل واحدة منهن اليه صلى الله تعالى عليه وسلم رغبة فى ان يذبحها وانقيادا له بالهام من الله تعالى (بايتهن يبدأ) فى الذبح وهذه معجزة باهرة (وعن ام سلمة) فى حديث رواه الطبرانى والبيهقى واسمها هند اورملة كما تقدم (كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فنادته ظبية) اى كلمته بنطق سمعه الناس لابلسان الحال قالت له يارسول الله فالتفت اليها فاذا هى موثقة عندها اعرابى نائم (قال ماحاجتك) حتى ناديتنى (قالت صادنى هذا الاعرابى ولى خشفان) مثنى خشف بوزن طفل بمعجمتين وهو الظبى الصغير الذى ولدته امه (فى ذلك الجبل) تشير لجبل بتلك الصحراء (فاطلقنى حتى اذهب فارضعهما وارجع) بنصب الافعال الثلاثة (قال او تفعلين) اى ترجعين الى ان اطلقتك (قالت نعم فاطلقها) والاعرابى نائم لايشعر بذلك فذهبت وارضعتهما (ورجعت فاوثقها) وربطها كما كانت (فانتبه الاعرابى) ورأى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عنده (فقال لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الك حاجة قال تطلق هذه الظبية فاطلقها من وثاقها فخرجت تجرى وهى (تقول اشهد ان لااله الا الله وانك رسول الله) فالجملة حالية بتقدير مبتدأ وقد ذكرنا من روى هذا الحديث وقد صححه ابن حجر لوروده من طرق اخر فلانلتفت لقول ابن كثير انه لااصل له لان فى سنده مجاهيل وانما استأذنه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى ذلك لانه ملكها بالحيازة واتلاف ملك الغير بغير اذنه ممنوع والواو فى قوله اوتفعلين محركة عاطفة على مقدر اى اتقولين ذلك لى وترجعين الى او استئنافية على القولين فى مثله وفى الحديث معجزات ظاهرة (ومن هذا الباب) اى باب المعجزات باطاعة الحيوانات (ما روى) قال السيوطى

لم اقف على هذا الحديث هكذا واخرج البيهقى انه وقع لسفينة حين ضل عن الجيش بارض الروم الان البخارى ذكره فيها فى تاريخه كما قاله المصنف فلا اعتراض عليه (من تسخير الاسد) اى تذليله وانقياده (لسفينة مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) وهو من خدمة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو الذى لقبه سفينة لانه رآه فى بعض اسفاره حاملا لامتعة فقال له انما انت سفينة فاشتهر بذلك واختلف فى اسمه فقيل رومان وقيل مهران وقيل طهمان وروى عنه مسلم وغيره من اصحاب السنن وفى الحديث مناسبة اتفاقية لاسمه (اذ وجهه الى معاذ) بن جبل حال كونه (باليمن) وهو الاقليم المعروف وسفينة من مولدى العرب وقيل من فارس اشتراه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واعتقه وقيل ان ام سلمة اعتقته فخدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكان صلى الله تعالى عليه وسلم ارسل معاذ ابن جبل لليمن ليجمع الزكاة (فلقى الاسد) فى طريقه (نعرفه) اى قال له (انه مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومعه كتابه) فالهمه الله تعالى فهم كلامه وكنى عنه (فهمهم) الهمهمة صوت لا يفهم وقيل صوت فيه بحة وفى الحديث ان سفينة قال ظننته السلام يعنى عليه او على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (وتنحى عن الطريق) اى تأخر عنه فى ناحية متباعدة عن الطريق اذهابا لخوفه (وذكر) اى سفينة (فى منصرفه) اى انصرافه ورجوعه من اليمن (مثل ذلك) اى مثل ماوقع له فى ذهابه فيكون لقيه فى سفره هذا مرتين (وفى رواية اخرى عنه) اى عن سفينة وهذه الرواية هى التى رواها البيهقى والبزار وصححها السيوطى فى تخريجه (ان سفينة تكسرت به) فى بعض اسفاره (فخرج الى جزيرة فاذا الاسد) اى فاجاه بها اسد لقيه فيها والجزيرة معروفة (فقلت) للاسد (انا مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فجعل) اى طفق وصار (يغمزنى) بسكون الغين المعجمة وكسر الميم وضمها وزاى معجمة واصل الغمز الاشارة بالجفن فتجوز به عن الدفع الخفيف بقرينة قوله (بمنكبه) بفتح الميم وكسر الكاف وهو رأس الذراع وما بين الكتف والعنق (حتى اقامنى على الطريق) اى حتى اتى بى الى الطريق ليعرفه بما يذهب فيه وقال البيهقى قال سفينة وكنت فى البحر فانكسرت السفينة فركبت لوحا منها فاخرجنى الى اجمة فيها اسد فرأيته اقبل الى فقلت يا ابا الحارث انا مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاقبل نحوى حتى ضربنى بمنكبه ثم مشى معى حتى اقامنى على الطريق ثم همهم ساعة وضربنى بذنبه فظننته انه يودعنى فكان آخر عهدى به وفيه معجزة لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بانقياد الاسد له اذ ذكر اسمه وكرامة لسفينة ايضا رضى الله تعالى عنه (واخذ عليه الصلوة والسلام باذن شاة) اى امسكها واخذ المتعدى بالباء بمعنى امسك بخلاف اخذه فهو تضمين (لقوم من بنى عبد القيس) اسم قبيلة مشهورة (بين اصبعيه) بكسر الهمزة مثنى اصبع معروف وفيه لغات عشر تقدمت (ثم خلاها)

اى نحى اصبعيه عنها وتركها (فصار ذلك) اى اخذه باذنها يعنى اثره (ميسما) بكسر الميم اصله موسم فقلبت واوه ياء من الوسم وهو الكى فهو اسم آلة الكى من الحديد فاطلقت على العلامة واثرها مجازا كما يطلق على العضو الذى فيه الاثر كما ورد فى الحديث (فيها) اى الشاة (ونسلها بعد) بالبناء على الضم اى بعدها او بعد اخذه وعهده قالوا وهذا الحديث لا يعلم من رواه من المحدثين (وماروى عن ابراهيم بن حماد بسنده) هذا الحديث رواه ابن حبان لكنهم قالوا انه ضعيف (من كلام الحمار) ونطقه له صلى الله تعالى عليه وسلم صريحا بمقاله (الذى اصابه بخيبر) اى وجده بها لما فتحها (وقال له ما اسمك قال يزيد بن شهاب) وانه من نسل ستين حمارا كلها لم يركبها الا نبى وقال له كنت اتوقع ان تركبنى اذ لم يبق من نسل جدى غيرى ولا من الانبياء غيرك وكنت ليهودى فكنت اعثر به عهدا فكان يجيعنى ويضربنى (فسماه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يعفورا) هو فى اكثر النسخ مصروف منون منصوب لانه مفعول سمى وروى غير منون قيل لمنع صرفه للعلمية ووزن الفعل كيعقوب قاله التلمسانى اقول فيه نظر لان زيادة الواو فيه اخرجته عن شبه الفعل والظاهر صرفه ويعفور لم يمنع من الصرف لذلك بل للعلمية والعجمة الا ترى ان يعفر بضم الياء يصرف لذلك قال فى الصحاح الاسود بن يعفر بضم الياء منصرف لانه قد زال عنه شبه الفعل انتهى ولبس فى اوزان الفعل يفعول وفى هذه المسئلة كلام فى شرح التسهيل واعلم انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان له حماران يعفور وعفير وهو الذى رمى نفسه فى البئر كما سيأتى ويقال هما واحد وقال ابن فورك انه كان من مغانم خيبر وقيل ان عفيركان اشهب وهو مما اهداه له المقوقس ملك القبط وكان له حمار آخر اهداه له فروة كان يركبه وآخر اعطاه له سعد بن عبادة وقصة يعفور هذه نقلها السهيلى فى الروض عن ابن فورك فى كتاب الفصول قال السهيلى وزاد الحوفى فى كتاب الشامل (وان كان يوجهه الى دور اصحابه فيضرب عليهم الباب برأسه ويستدعيهم) ومعنى يوجهه يرسله الى جهة ودور جمع دار ويستدعيهم بمعنى يطلب منهم اجابة دعوة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لانهم كانوا اذا خرجوا لدقه الباب ورأوه علموا انه يطلبهم لانه يكلمهم لكنه يفهم ما امره به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالهام من الله وهو من معجزاته اذ سخره له وفهم مراده (وان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما مات تردى) الحمار اى القى نفسه وطرحها (فى بئر) كانت بالمدينة معروفة لابى الهيثم ابن التيهان فكانت البئر قبره والتردى تفعل من الردى وهو الهلاك وهو مخصوص بهلاك من القى نفسه يقال تردى من الجبل وفى البئر اذا اسقط او القى نفسه فيها (جزعا وحزنا) على فراق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفقده (فمات) وكونه صلى الله تعالى عليه وسلم كان له حمار وانه كان يركبه وان ركوبه سنة لا كلام

فيه وانما الكلام في هذا الحديث فانه رواه ابن حبان بسند ضعيف فيه من طعن فيه حتى قيل انه كذب موضوع كما قاله ابن الجوزي وغيره وقال بعضهم لا اصل له (و) مما ذكر من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم في الجماد والبهائم ونطقها (حديث الناقة) الذي رواه الطبراني عن زيد بن ثابت بسند فيه مجاهيل والحاكم عن ابن عمر وقال الذهبي انه موضوع (التي شهدت) نطق بين (عند النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لصاحبها) ومالكها الذي قيل انه سرقها فقالت (انه ما سرقها وانها ملكه) فحكم له صلى الله تعالى عليه وسلم بها لان للقاضي ان يحكم بعلمه او نقول انه من خصائص الانبياء عليهم الصلوة والسلام والحديث هو ما قال زيد ابن ثابت غزونا معه صلى الله تعالى عليه وسلم حتى اذا كنا بمجمع طرق المدينة بصرنا باعرابي اخذ بخطام بعير حتى وقف صلى الله تعالى عليه وسلم وقال السلام عليك يا نبي الله فرد عليه السلام فجاء رجل وقال انه سرق هذا البعير فرغا البعير وهو منصت له ثم قال للرجل انصرف فان البعير شهد بانك كاذب الى آخره (وفي العنز) اى في حديث العنز الذي اخرجه ابن سعد والبيهقي وابن عدي عن سعد مولى ابي بكر رضي الله تعالى عنه (التي اتت رسول الله) صفة لعنز وفي نسخة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (في عسكره) حال اى وهو في عسكره (وقد اصابهم عطش ونزلوا على غير ماء) اى في مكان لا ماء فيه (وهم زهاء ثلاثمائة) اى قريب عددهم تخمينا من ثلاثمائة رجل وقد تقدم الكلام على زهاء ومعناه وضبطه (فحلبها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) يحتمل انه على ظاهره وان يكون امر بحلبها والاسناد مجازي (فاروى) بلبنها (الجند) باجمعهم لما سقاهم فشربوا حتى زال ما كان بهم من العطش والري ضده ومنه اروى العسكر والجيش والجند بمعنى ففيه تفنن واسنادا روى للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم لانه سببه بحلبه وسقيه فهو مجاز ايضا ايضا ان لم نقل فاعل اروى ضمير يعود على ما حلبه المفهوم مما قبله مع بعده (ثم قال) صلى الله عليه وسلم (لرافع) براء وعين مهملتين بينهما الف وفاء بزنة اسم الفاعل من ارفع علم الصحابي كانت تلك العنز عنده وتقدمت ترجمته (املكها) اى خذها واتخذها ملكا لك لانها لا صاحب لها او وجدت بارض العدو ويحتمل ان يكون معناه شدها واوثقها من ملاك الامر او ملاك العجين ونحوه (وما اراك) مالكا لها اوفا علا ذلك وهم بضم الهمزة مبني للمجهول اى لا اظنك تملكها او تحفظها (فربطها) وشدها بوثاق ثم ذهب ورجع (فوجدها قد انطلقت) اى انحل وثاقها او مضت وغابت عنه فالفاء فصيحة (رواه) اى حديث هذه العنز (ابن قانع) بقاف ونون وعين مهملة (وغيره) من الرواة من غير هذه الطريق فقد رواه البيهقي وابن عدي عن جماعة من الصحابة قالوا كنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

في سفر وكنا اربعمائة فنزلنا في موضع ليس فيه ماء فشق ذلك علينا واعلمناه بذلك فجاءت شويهة بها قرنان وقامت بين يديه صلى الله تعالى عليه وسلم فحلبها وشرب حتى روي وسقانا حتى روينا وقال يا رافع املكها الليلة وما اراك تملكها فاخذت لها وو بدت لها ونمت ثم فقت في بعض الليل فلم اجدها فاخبرت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قبل ان تسألني فقال يا رافع ذهب بها الذي جاء بها وما قيل من انها ليست من جنس حيوان الدنيا وانما هي ككبش الفداء وانما سماها عنزا لكونها على صورتها لا وجه له ومثله من خلاف الظاهر يحتاج للرواية والذي اوهمه ذلك قوله (وفيه فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) لرافع لما اخبره بانطلاقها (ان الذي جاء بها هو الذي ذهب بها) يعني الله او الملك (و) من هذا القبيل ما روي انه عليه الصلوة والسلام (قال لفرسه) الفرس واحد الخيل يطلق على الذكر والانثى الا انه مؤنث سماعي وسمع فرسه وكان له صلى الله تعالى عليه وسلم عدة افراس مذكورة في السير باسمائها ومن ابن ملكها ولا داعي لتفصيلها هنا كما ذكره بعضهم (وقد قام الى الصلوة وفي بعض اسفاره) والفرس غير مربوط ولم يأمر احدا بامساكه بل خاطب الفرس وقال له (لا تبرح) اى لا تزل من مكانك الذي اوقفتك فيه من البراح وهو المكان الواسع وبرح بمعنى ثبت في مكانه وبمعنى زال وهو نفي معنى فاذا دخل عليه صار لنفي النفي وهو اثبات كما هنا فمعناه اثبت والزم كما حققه النحاة واهل اللغة (بارك الله فيك) دعاء له من البركة وقد تقدم تحقيقها ويأتي ايضا مع زيادة (حتى تفرغ من صلاتنا) وتتمها وهو غاية لثباته في مكانه (وجعله قبلته) اى جعله في جهة قبلته ساترا ومانعا لمن يمر بين يديه صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه دليل على جواز الاستتار بالحيوان والكلام عليه مفصل في كتب الفقه لا حاجة لذكره هنا (فما حرك الفرس) (عضوا) من اعضائه وهو بضم العين وكسرها وسكون الضاد المعجمة معروف (حتى صلى) اى تم صلاته (صلى الله تعالى عليه وسلم) وفيه معجزة له عليه الصلوة والسلام لفهم الحيوان كلامه واطاعته له وانقياده لعلمه بانه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفي بعض النسخ هنا زيادة وهي (ويلتحق بهذا) المذكور من معجزاته او من كلام الحيوانات لان فهم لغة لم يعرفها كفهم العربي كلام العجمي قريب منه ومشابه له (ما روى الواقدي) صاحب السير وهو محمد بن عمر بن واقد قاضي العراق وعالمها وقد قيل فيه انه ضعيف ونسب للوضع وقيل انه مجمع على ضعفه ونازع فيه بعضهم وقال كفى برواية الشافعي عنه دليل على صحة ما رواه وترجمته في الميزان مفصلة وكذا في اول سيرة ابن سيد الناس (ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما وجه رسله) جمع رسول (الى الملوك) من العرب والعجم اى ارسلهم لجهتهم وناحيتهم لما فشا الاسلام وقوي (فخرج ستة نفر منهم) اى ستة رجال من الرسل والنفر اسم جمع للثلاثة فما فوقها الا انه يستعمل بمعنى الرجل

الواحد كما بيناه فى شرح الدرة وقد صرح به الكرمانى فى شرح البخارى وهو عربى فصيح ايضا وكان ارساله لهم (فى يوم واحد) خرجوا من عنده صلى الله تعالى عليه وسلم فيه (فاصبح كل واحد منهم يتكلم بلسان القوم الذى بعثه) صلى الله تعالى عليه وسلم (اليهم) من غير مضى زمان يحتمل التعلم فيه وتفصيل الرسل ومن ارسلوا اليه مفصل فى السير ايضا وهذا معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم لشمول بركته لهم (والحديث فى هذا الباب كثير وقد جئنا منه بالمشهور من ذلك وما وقع منه فى كتب الائمة) رضى الله تعالى عنهم ونفعنا ببركاتهم (خاتمة) مما يلتحق بمعجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم فى الحيوانات والجمادات ما ذكر فى بعض الكتب وشاع فى الاقطار ونظمه الشعراء فى فصيح الاشعار من انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان فى بعض الاحيان اذا مشى غاص قدمه فى الحجارة بحيث بقى ذلك الى الآن وارتسم فيها مثاله بعينه والناس تتبرك به وتزوره وتعظمه كما فى القدس ونقل منه لمصر فى اماكن متعددة حتى قبل ان السلطان قايتباى اشتراه بعشرين الف دينار واوصى بجعله عند قبره وهو موجود الى الآن وانه صلى الله تعالى عليه وسلم اذا مشى على الرمل احيانا لا يكون لقدمه اثر فيه الان هذا لم يضبط لان هذا امر عدمى لا يعرفه الا من كان حاضرا ثمة وقد ذكر هذا السبكى فى تائيته وغيره قال الامام القسطلانى فى المواهب اللدنية كان صلى الله تعالى عليه وسلم اذا مشى على الصخر غاصت قدماه فيه كما هو مشهور قديما وحديثا على الالسنة ونطق به الشعراء فى قصائدهم النبوية والبلغاء فى منثورهم مع اعتضاده بوجود اثر قدمى الخليل عليه الصلوة والسلام فى حجر المقام المنوه به فى التنزيل فى قوله تعالى فيه آيات بينات البالغ تعيينه وانه اثره مبلغ التواتر وفيه يقول ابو طالب * وموطئ ابراهيم فى الصخر وطؤه * على قدميه حافيا غير ناعل * وبما فى البخارى من معجزة موسى عليه الصلوة والسلام بتأثير ضربه فى الحجر ستا او سبعا لما فر بثوبه حين اغتسل وقد صح ما من معجزة لنبى الا ولنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فى مسجد بطيبة عرف بها الى الآن يقال له مثلها ويؤيده وجود اثر حافر بغلته صلى الله تعالى عليه وسلم مسجد البغلة وما ذاك الا من سره صلى الله تعالى عليه وسلم السارى فيها ليكون اوضح فى الدلالة على انه اوتى مثل ما اوتى الخليل صلى الله عليه وسلم على وجه اعلى منه ونقل المجد الشيرازى عن ابن بكار فى المغانم المطابة بعد ذكره لحافر البغلة ومسجدها انه فى غربى هذا المسجد اثر كانه اثر مرفق يذكر انه صلى الله تعالى عليه وسلم اتكى عليه بمرفقه الشريف فاثر فيه وفى آخر اثر اصابعه انتهى وممن ذكر اثر البغلة السيد السمهودى فى تاريخ المدينة وقال انه مسجد بنى ظفر بن الاوس شرقى البقيع بطرف الحرة الغربية ويعرف بذلك ونقله ابن النجار فى تاريخه ايضا لكن قال الشيخ محمد بن يوسف الدمشقى فى سيرته ان هذا لا وجود له فى شئ من كتب الحديث وممن انكره الشيخ برهان الدين الناجى وقال السيوطى فى فتاويه لم اقف له

على اصل ولا سند ولا رأيت من خرجه فى شئ من كتب الحديث وتبعه تلميذه العلقمى فى شرح الجامع الصغير وزاد انه لم يوجد فى شئ من التواريخ المعتمدة فلا يسوغ نسبته له صلى الله تعالى عليه وسلم وقد تعقبه من علماء عصره الشيخ الصالح المحدث احمد المتولى شارح الجامع الصغير فقال بعد ما ساق ما قلناه مفصلا سبحان من لا ينسى كيف سها السيوطى وقد قال فى خصائصه الصغرى ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما وطئ على صخر الا واثر فيه وعزاه للحافظ رزين العبدرى انتهى (قلت) لا سهو ولا نسيان فان السيوطى رحمه الله تعالى لم يذكر هذه المعجزة وانما انكر ما يوثر بعينه فى اماكن التى ذكروها وكذا ما قاله صاحب المواهب الا ان ما نقله السيوطى من قوله ما وطئ صلى الله تعالى عليه وسلم على صخر الا واثر فيه لا ينبغى لان الظاهر انه كان فى اول البعثة ككلام الحجر والشجر الذى تقدم واما كونه لا اثر لقدمه صلى الله تعالى عليه وسلم فى الرمل فقد رواه ابن سبع والنيسابورى وغيرهما بسند ضعيف وقال انه صلى الله تعالى عليه وسلم الطف خلق الله واخفهم ولذا لم يوثر مشيه فى الرمل ولا ينافيه تأثيره فى الحجارة فانما هو لبقاء اثره وتبكيت حاسديه وانهم اقسى من الحجارة الا انه وقع فى الاحياء ما يقتضى خلافه لانه نقل فيه اثرا فيه ان بعض الصحابة انكر على ابى موسى رضى الله تعالى عنه دعاءه على المنبر لعمر رضى الله تعالى عنه اذ لم يذكر ابا بكر رضى الله تعالى عنه فقام بين الملاء بالمسجد وقال له اين من كان قبله فشكاه لعمر رضى الله تعالى عنه فامر باشخاصه اليه من البصرة فلما جاءه دق عليه الباب فخرج اليه وقال له ازعجتنى من وطنى فسأله عن سبب شكاية اميره منه فقص عليه القصة فبكى رضى الله تعالى عنه وقال والله ليوم وليلة لابى بكر رضى الله عنه خير من خلافتى يعنى باليوم لما قام على المنبر خطيبا يوم مات النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وبالليلة ليلة ذهابه معه الى الغار فكان يمشى تارة خلفه وتارة امامه وتارة يحمله يقصد بذلك اخفاء اثر اقدامه فى الرمل حتى لا يشعر به من يقص اثره (قلت) وكان هذا هو مستند ابن خلدون فى مقدمة تاريخه اذ ذكر فيها ان الدعاء للسلاطين فى الخطبة سنة وان كان الزركشى قال فى كتاب احكام المساجد انه بدعة لا ينبغى تركها لخوف الفتنة فاعرفه فانه من الفوائد النفيسة الجليلة

﴿فصل﴾ من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم (فى احياء الموتى وكلامهم) له صلى الله تعالى عليه وسلم واحياء مصدر مضاف لمفعوله وفاعله الله والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم لانه سببه وان كان الفاعل الحقيقى هو الله وهو اعظم معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم ولذا قال فى البردة * لو ناسبت قدره آياته عظما * احيى اسمه حين يدعى دارس الرمم * وقد تكلم الناس فى معنى هذا البيت واورد عليه ان من جملة معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم القرآن وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم آية من كتاب الله

خير من محمد وآل محمد فكيف لا يكون فى معجزاته ما يناسب مقداره فى الشرف واجيب بان المراد بمعجزاته ما احدثه الله تعالى على يديه والقرآن صفة لله قديمة ومعناه انه لا يعد شيئا من معجزاته عظيما بالنسبة اليه الا ان يكون منها ان كل احد لو دعا باسمه وتوسل به فى احياء الموتى وقد وقع له ذلك بان يقول اللهم انى اسئلك بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم ان تحيى صاحب هذا القبر وليس عطف الكلام من عطف الخاص على العام كما توهم (وكلام الصبيان) الذين فى المهد لم يصلوا له من يتكلم فيه مثلهم واذا عطف على كلام الموتى لانه ليس من شانهم الكلام وآخره لانهم احياء من شانهم الكلام فهو دونه مرتبة (والمراضع) جمع مرضع اسم مفعول وهو الولد الصغير على القياس وليس جمع راضع على خلاف القياس كما قيل وليس جمع مرضع بكسر الضاد وهو الام لانه ليس فيه خرق للعادة ولا مرضعة بالفتح بمعنى بنت صغيرة ترضع وان الاحسن ان يقول الاطفال لانه عطف تفسير للصبيان بمعنى من ابتدأ رضاعه والاطفال كالصبيان لا تؤدى مؤداه الذى قصده (وشهادتهم له صلى الله تعالى عليه وسلم بالنبوة) اى قول من فى المهد انك نبى الله ورسوله وعطفه على كلام الصبيان من عطف الخاص على العام ثم شرع فى اثبات ما ذكره بحديث اورده ابو داود مسندا عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه فقال (حدثنا ابو الوليد هشام بن احمد الفقيه) اى المتبحر فى معرفة الاحكام الشرعية الفرعية وقيل المراد به العالم بالعلوم الشرعية مطلقا (بقراءتى عليه والقاضى ابو الوليد محمد بن رشد) علم منقول من ضد الغى وهو محمد بن احمد بن رشد الامام فى كل فن الجليل قاضى قرطبة تولى قضاءها بعد ابى القاسم بن احمد فى سنة احدى عشرة وخمسمائة ثم نزل سنة اربع عشرة وولى ابو القاسم وذلك فى سلطنة يوسف ابن تاشفين (والقاضى ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمى) الذى تقدمت ترجمته (وغير واحد سماعا واذنا) يعنى انه سمع منهم واذنوا له فى الرواية عنهم (قالوا حدثنا ابو على الحافظ) الغسانى الذى تقدم (قال حدثنا ابو عمر الحافظ) هو ابن عبد البر الامام المشهور كما تقدم (قال حدثنا ابو زيد عبد الرحمن بن يحيى) بن محمد المعروف بابن العطار (قال حدثنا احمد بن سعيد) تقدمت ترجمته (قال حدثنا ابن الاعرابى) تقدم (قال حدثنا ابو داود) الامام صاحب السنن (قال حدثنا وهب بن بقية) الواسطى ابو محمد ويقال له وهبان توفى سنة تسع وثلاثين ومائتين وروى له مسلم وابو داود والنسائى (عن خالد هو الطحان) هو خالد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن يزيد المعروف بالطحان كان من الزهاد الصالحين يقال انه اشترى نفسه من الله ثلاث مرات فتصدق بوزنه فضة توفى سنة تسع وتسعين ومائة وولد سنة عشر ومائة واخرج له اصحاب الكتب الستة (عن محمد بن عمرو) بن علقمة وله ترجمة

فى الميزان (عن ابى سلمة) احد الفقهاء السبعة كما تقدم (عن ابى هريرة) رضى الله عنه (ان يهودية) من يهود خيبر اسمها زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم صاحب الكنز وهو من بنى النضير وقيل انها زينب اخت عبد الله بن سلام (اهدت للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم بخيبر شاة مصلية) اى مشوية من صلاه بالنار اذا شواه واصلها مصلوية فقلبت الواو ياء وادغمت وكسر ما قبلها (سمتها) اى وضعت فيها السم يقال سممته انا والعامة تقول سميته وهو خطأ كما قال السراج الوراق رحمه الله تعالى * رزقت بنتا ليتها لم تكن * فى ليلة كالدهر قضيتها * فقيل ما سميتها قلت لو * مكنت منها كنت سميتها * ويقال اصله سممتها بثلاث ميمات ابدلت الثالثة ياء على القياس (فاكل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم منها واكل القوم) الذين كانوا معه من الصحابة رضى الله تعالى عنهم اى شرعوا فى الاكل (فقال صلى الله تعالى عليه وسلم (ارفعوا ايديكم) اى كفوها عن الاخذ منها للاكل وابعدوا ايديكم عنها واصل الرفع الاعلاء فكنى به عما ذكر وشاع حتى صار حقيقة فيه (فانها اخبرتنى انها مسمومة) وهو محل الشاهد لانها كلمته صلى الله تعالى عليه وسلم وهى ميتة بكلام لم يسمعه غيره ولو شاء الله اسمعهم كلامها (فمات بشر بن البراء) بفتح الباء الموحدة والراء المهملة والمد ابن معرور بسكون العين المهملة وفتحها خطأ وهو صحابى خزرجى شهد العقبة وبدرا قيل انه مات فى الحال وقيل لم يزل مريضا حتى مات بعد سنة (وقال) صلى الله عليه وسلم (لليهودية ما حملك على ما صنعت) من السم ووضعه حتى حصل له ما حصل وهو مجاز مشهور من الحمل المشهور من قوله حمله كذا وحمله عليه اذا كلفه به قال الله تعالى * مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها اى كلفوا ان يقوموا بحقها فلم يفعلوا فالمعنى ما دعاك لصنعك هذا (قالت) الداعى انى اردت معرفة حالك واختبارك (ان كنت نبيا لم يضرك ما) وفى نسخة الذى (صنعت) من وضع السم واكلك له (وان كنت ملكا) بكسر اللام اى سلطانا (ارحت الناس منك) بموتك فلما لم يضره السم ضررا يظهر لغيره علم بذلك انه نبى وهذه معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم لان الله عصمه من اذى الناس ولم يكن احدا من قتله صلى الله تعالى عليه وسلم باى طريق كان فانما احتجم بعده كما روى هذا بيانا لاستحباب المداواة وتعليما للامة واذا لم تخبره الشاة قبل الاكل ولينال مرتبة الشهادة العظمى من غير اهانة له صلى الله تعالى عليه وسلم واختلف فى السم هل كان فى الشاة كلها وفى الزراع زيادة على غيره لانها سألت ما احبها اليه فقالوا الزراع اوكان فى الذراعين فقط لذلك ذهب الى كل منهما ناس وانما سئلها صلى الله تعالى عليه وسلم لتقر فتتبين القصة ولانه كان بينه وبين اليهود عهد وهذا نقض له (قال) اى ابو هريرة راوى الحديث كما ذكره البيهقى وان كان رواه مرسلا فى محل

آخر (فامر بها) اى بقتلها (فقلت وقد روى هذا الحديث) اى حديث ابى هريرة رضى الله تعالى عنه من طريق آخر فى الصحيحين (عن انس) بن مالك (وفيه) اى فيما رواه انس (قالت اردت قتلك) ان لم يكن نبيا كما مر (فقال) لها (ما كان الله ليسلطك) من التسليط والسلاطة وهى التمكن من القهر والاذية كما قال الله تعالى ولو شاء الله لسلطهم عليكم (على ذلك) اى القتل وروى على مشددا بجر ياء المتكلم والكاف مكسورة لان الخطاب لمؤنث كما قاله التلمسانى (فقالوا انقتلها) وفى نسخة نقتلها بتقدير همزة الاستفهام وفى اخرى الا تقتلها (قال لا) تقتلوها ولعل هذا كان قبل موت بشر بن البراء و بهذا يجمع بين هذه الرواية و بين رواية ابى هريرة انه قتلها و به يجاب عما قيل انه مشكل لانه كيف يعفى عنها مع قتلها للبراء الا ان يقال ان البراء عفى عنها او على انه لا يقتل بالسم وانما يستحق الدية على ما فصل فى كتب الفقه (وكذلك روى) بالبناء للمجهول اى روى هذا الحديث (عن ابى هريرة من رواية غير ابن وهب) ابن بقية شيخ ابى داود انه روى و (قال فاعرض لها) عرض بفتحتين بمعنى تعرض المشدد اى تركها (ورواه ايضا جابر بن عبد الله) كما فى سنن ابى داود والبيهقى (وفيه) اى فيما رواه جابر (اخبرتنى به) اى بالسم الذى فيها (هذه الذراع) اى ذراع الشاة وهو مؤنث سماعى ولذا قال هذه وكذا الفخذ الاتى مؤنث (قال) جابر رضى الله تعالى عنه (ولم يعاقبها) اى لم يقتلها وفى بعض النسخ (وفى رواية الحسن) البصرى (ان فخذه) هو بفتح الفاء وكسر الخاء وسكونها ما فوق الساق (كلمتنى) اى قالت لى (انها) اى الشاة (مسمومة) اما لان السم عمها او فى ذراعها فقط كما مر وهذا لا ينافى ما مر من ان الذراع كلمته لانه لا مانع من ان تكلمه الذراع والفخذ معا و يكون عود الضمير للفخذ بناء على احد الوجهين (وفى رواية ابى سلمة بن عبد الرحمن قالت انى مسمومة وكذلك) اى مثل هذه الرواية (ذكر الخبر) السابق (ابن اسحق) فى سيرته (وقال فيه فتجاوز عنها) اى عفى عنها ولم يقتلها فى اول الامر ثم لما مات بشر ابن البراء قتلها به كما مر فى الجمع بين الروايتين او لم يقتلها بسببه اما لانه لا يوجب القتل او لامر آخر رآه (وفى الحديث الآخر) الذى رواه الشيخان (عن انس انه قال فما زلت اعرفها) اى اعرف الفعلة التى فعلتها اليهودية (فى لهوات رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) بفتح اللام والهاء والواو جمع لهات بوزن فتاة وهى لحمة فى اقصى سقف الفم تنطبق على اخرا نحو اللسان واول الحلق وهى لا ترى الا اذا فتح الفم انفتاحا تاما فكانه يريد بها الفم باطلاق الجزء على الاقل كما فى قولهم اللهى تفتح اللها فكان لها اثر فى ظاهر فمه من بثر ونحوها لان الاطلاع على حقيقتها بعيد وقيل المراد انها اثرت فى صوته تأثيرا قليلا يظهر لمن تأمله فاراد باللهاة الصوت ولا يخفى ما فيه والحديث فى البخارى وفيه كلام

فى شروحه والحاصل انهم اختلفوا فى قتلها كما مر وعن ابن شهاب انها اسلمت فتركها لاسلامها وفى الروض الانف انه تركها اولا لانه كان لا ينتقم لنفسه فلما مات بشر قتلها قصاصا به الا ان فيه ان فقهاءنا والشافعى قالوا ان من قدم لضيفه طعاما مسموما فاكل منه وهو لا يعلم فمات لا يجب القصاص ولذا قيل انه انما قتلها سياسة او لنقض العهد والقصاص يجب فيه المماثلة والذى فى البخارى ان اليهود سموها لا ينافيه لانه كان بامرهم واتفاق منهم (وفى حديث) عن (ابى هريرة) رضى الله عنه الذى رواه عنه ابن سعد بسند صحيح (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى وجعه) يعنى مرضه فعبر عنه بلازمه (الذى مات فيه) اى مات متلبسا به وفى زمنه وروى منه بدل فيه (ما زالت الاكلة) بضم فسكون وهى ما يؤكل كالغرفة لما يغرف لان فعله بالفتح للمرة و بالكسر للهيئة و بالضم للمقدار كما قاله النحاة (خيبر) بمنع الصرف بلدة على اميال من المدينة اهلها يهود (تعادنى) بضم المثناة الفوقية وفتح العين المهملة والف ودال مهملة مشددة ونون الوقاية وضمير المتكلم اى تعود الى مرة بعد مرة اخرى فى اوقات معلومة من العداد وهو كما قال ابن الاثير ما يأتى لوقت كالحمى والسم وقال السهيلى تعادنى بمعنى تعتادنى وقيل هو ما يهيج بعد سنة من الم لدغ ونحوه وليس المراد بالالم نقص فى الذوق لانه لا يعد مثله الما وما قيل من انه المراد مكابرة فى المحسوس لا وجه له مع انه لا ينافى قوله (فالان) مبنى على الفتح لا يستعمل بغير آل وهو الزمن الحاضر (اوان قطعت) اى الاكلة بسمها وتأثيره (ابهرى) بهمزة مفتوحة وموحدة وهاء وراء مهملة بزنة افعل التفضيل وهو عرق كبير متصل بالقلب او داخله وهما ابهران وقيل هو الوريد وهو اذا انقطع يموت صاحبه وقيل انه الاكحل وموته بهذا السم لا ينافى قوله تعالى والله يعصمك من الناس الى آخره لا لانه قبل نزول هذه الآية بل لان المراد عصمته صلى الله تعالى عليه وسلم من قتلهم له بسيف ونحوه مجاهرة بحيث يظهر فى وقته وهذا مع انه سم ساعة لم يظهر فيه صلى الله تعالى عليه وسلم حتى عد من معجزاته لخفاء اثره واما قدر الله تعالى تأثيره فيه بعد زمان ليرزقه الله تعالى الشهادة وهذا مما لا دخل لمخلوق فيه ومرضه الذى مات منه صلى الله تعالى عليه وسلم كان حمى مع صداع وروى ابو يعلى بسند ضعيف انه ذات الجنب واورد عليه انه صلى الله تعالى عليه وسلم لد بقسط وزيت فلما افاق صلى الله تعالى عليه وسلم قال كنتم ترون ان بى ذات الجنب ما كان الله تعالى ليجعل لها على سلطان والله لا يبقى احد فى البيت الا لد ففعلوه واللدود دواء ذات الجنب وقد ورد ان ذات الجنب من الشيطان واجيب بان ذات الجنب قسمان مرض حار يكون فى مستبطن الحشاء وهو المنفى وآخر يكون بين الاضلاع وهو المروى فى الحديث المذكور والحمى المذكورة انما كانت بسبب ذلك السم (وحكى ابن اسحق) بكسر

الهمزة وتخفيف النون الساكنة المخففة من الثقيلة واسمها مقدر اصله انهم (كان المسلمون ليرون) بفتح اللام وهى لام الابتداء ويرون بضم الياء المثناة التحتية اى يجوزون ويجوز فتحها (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مات شهيدا) بسم الشاة ليكرمه الله بنيل الشهادة (مع ما اكرمه الله من النبوة وقال ابن سحنون) بضم السين وفتحها ومنع الصرف وهو محمد بن عبد السلام المالكى الامام المشهور عمدة مذهب مالك كما تقدم (اجمع اهل الحديث ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قتل اليهودية) التى سمته كما مر فى بعض الروايات مع مافته ودعواه الاجماع مع هذا غير مسلمة منه وكون الرواية الاخرى ماولة عنده كما مر لا تصفى كدوره واليه اشار المصنف رحمه الله بقوله (وقد ذكرنا اختلاف الروايات فى ذلك) الدال على خلاف ما قاله ابن سحنون (عن ابى هريرة وانس بن مالك وجابر) وغيرهم من الصحابة رضى الله تعالى عنهم فمع ذلك كيف تصح دعوى الاجماع وماذكر فى الحديث الذى قبل هذا من كون آثار السم تشاهد فى لهواته من تتمة القصة فلا ينافى كون الفصل معقودا لاحياء الموتى كما توهم وكذا ما ذكر فى هذا الحديث (وفى رواية ابن عباس) التى رواها ابن سعد (انه) صلى الله عليه وسلم (دفعها) اى سلم المرأة التى سمته (لاولياء بشر بن البراء) يعنى ورثته الذين لهم دعوى القصاص (وكذلك) اى مثل ما اختلف فى قتل من سمه وحكمه قد (اختلف فى قتل من سحره) وفى نسخة الذى سحره وهو رجل يهودى من بنى زريق يقال له لبيد بن الاعصم كما صرح به بعد سحره صلى الله تعالى عليه وسلم حين كان يخيل له انه يفعل الشئ وفاء بفعله ثم شفاه الله تعالى منه كما سيأتى الكلام على قصته فى كلام المصنف رحمه الله تعالى (وقال الواقدى وعفوه عنه) اى الساحر (اثبت) اى اقوى واصح واصله من ناه اشد ثبوتا ولزوما فاستعير لما ذكر (عندنا) معاشر اهل السنة والحديث (وروى عنه انه قتله) وفى الوفاء عن زيد بن ارقم قال سحر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رجل يهودى فاشتكى لذلك الما فاتاه جبريل عليه السلام فقال له ان رجلا من اليهود سحرك فعقد لك عقدا فى بئر كذا وكذا فارسل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عليا فاستخرجها وجاء بها وحلها فجعل كلما حل عقدة وجد لذلك خفة فقام كانما نشط من عقال فاذكر لذلك اليهودى ولا راه فى وجهه قط وقال الثعلبى انهم قالوا له صلى الله عليه وسلم اما نأخذ الخبيث فنقتله فقال اما انا فقد شفانى الله واكره ان اثير على الناس منه شرا بسببى وقتل الساحر ذكره الفقهاء مفصلا فى الفروع وفى السحر وجواز تعلمه كلام مشهور بيناه فى غير هذا المحل (وروى الحديث) اى حديث الشاة المسمومة السابق لا حديث السحر كما وهم (البزار عن ابى سعيد) الخدرى (فذكر مثله الا انه قال فى آخره فبسط يده) ومدها صلى الله عليه وسلم ليتناول من لحمها (وقال)

لمن عنده من الصحابة (كلوا) متبركين (بسم الله فاكلنا منها فلم يضر منا احدا) وهو مصادم لحديث البراء الصحيح الذى تقدم وقال السيوطى نقلا عن الشيخ ابن حجر ان هذا الحديث منكر (قال القاضى ابو الفضل) عياض مصنف هذا الكتاب (رضى الله تعالى عنه وقد خرج حديث الشاة المسمومة اهل الصحيح) الذين اعتنوا بتصحيح الحديث وروايته (وخرجه الائمة) فى كتبهم كاصحاب السنن (وهو حديث مشهور) بين المحدثين (واختلف ائمة النظر) من المتكلمين وغيرهم من نقاد الحديث (فى هذا الباب) اى باب خلق الله الكلام فى اجسام غير ناطقة ثم بين وجوه اختلافهم بقوله (فمن قائل يقول هو كلام يخلقه الله فى الشاة الميتة) بالتشديد والتخفيف (او الحجر او الشجر) ولما كان الكلام يطلق عند المتكلمين على اللفظى والنفسى بالاشتراك او الحقيقة فى الاول والمجاز فى الثانى او بالعكس اشارة الى ان المراد الاول بقوله (وحروف واصوات) اى هواء يخرج من الجسم متكيف بكيفية مخصوصة ومجموعهما هو الحروف ذات المخارج المعروفة وهو معطوف على قوله كلام (يحدثها) اى يوجد تلك الحروف والاصوات (فيها) اى فى تلك الاجسام بلا حياة مخلوقة فيها لعدم توقفها عليها (ويسمعها) بضم التحتية اى يجعلها مدركة بالسمع لمن شاء من خلقه الاحياء (منها) اى من تلك الاجسام لا من الاصوات والحروف كما قيل (دون تغيير اشكالها) جمع شكل بفتح فسكون وهو الصورة والهيئة ومنه المشاكلة قال الله تعالى وآخر من شكله ازواج اى هو مثله فى الهيئة ومنه قولهم الناس اشكال وآلاف وهو من الشكل بمعنى تقييد الدابة كما قاله الراغب فقوله (ونقلها من هيأتها) اى نقلها من هيأتها الاصلية الى هيئة اخرى لذوات الارواح والنطق (وهو) اى عدم لزوم ماذكر (مذهب الشيخ ابى الحسن) الاشعرى امام اهل السنة (والقاضى ابى بكر) الباقلانى فعندهما الحياة ليست بشرط لخلق الكلام فى الاجسام (و) قوم (آخرون) من اهل السنة (ذهبوا الى) اشتراط ذلك والى (ايجاد الحياة بها اولا) قبل نطقها وصدور الكلام منها (ثم الكلام بعده) اى بعد ايجاد الحياة بها (وحكى هذا ايضا عن شيخنا ابى الحسن) الاشعرى كما حكى القول الاول عنه فله قولان فى هذه المسئلة والضمير لاهل السنة المعلوم من السياق والشيخ هو المسن وشاع بمعنى الاستاذ كما مر ولا يلزم ان يكون المصنف رحمه الله تعالى ادركه وتلمذله كما لا يخفى فى مثله (وكل) من القولين (محتمل) اسم مفعول اى جائز عقلا فيحتمل فيما صدر عنه النطق ان يخلق الله فيه حياة وان ينطقه بدونها ولا تناقض على ما قررناه فى كلام الشيخ حتى يحتاج لحمل احد قوليه على الكلام النفسى لاستلزامه الحياة كاستلزام العلم لها والاخر على اللفظى لعدم استلزام خلقه فى محل خلقها فيه ومثل هذا لا يلتفت له حتى يسود به وجه الصحف كما لا يخفى

(اذا لم نجعل الحياة شرطا لوجود الحروف والاصوات) وحينئذ يحتمل انه تعالى خلق فيها حياة ويحتمل انه انطقها بدون ذلك اذ لا يشترط وجوده وعدمه (اذ لا يستحيل) ويمتنع عقلا (وجودها) اى الحروف والاصوات (مع عدم الحياة بمجردها) اى وحدها من غير جارحة وحياة ونحوها (واما اذا كانت) اى الحروف والاصوات اوهذه العبارة التى هى الكلام فالتأنيث لمراعاة الخبر فى قوله (عبارة) اى معبر بها والظاهر الثانى (عن الكلام النفسى) الذى يعبر به عندهم وتحقيق الكلام النفسى والفرق بينه وبين العلم فيه كلام طويل فى علم الكلام يضيق طرق المقام عنه (ولابد من شرط الحياة لها) لانها العلم او مستلزمة له وعلى كل حال فلابد من الحياة (فيها اذ لا يوجد كلام النفس الا من حى) اذ لابد له من نفس مقوم والنفس لا تكون الا ذات حياة واما الكلام اللفظى فلا يشترط فيه ذلك (خلافا للجبائى) بضم الجيم وفتح الباء الموحدة المشددة والمد وياء نسبة الى الجبا قرية بالسواد وهو ابو على محمد بن عبد الوهاب بن سلام مخفف اللام ابن خالد بن حمدان ابن ابان مولى عثمان بن عفان البصرى رئيس المعتزلة مات سنة ثلاث وثلاثمائة (من بين سائر متكلمى الفرق) اى فرق اهل السنة والمعتزلة فانه تفرد (فى احالته وجود الكلام اللفظى) اى عده محالا عقلا وعادة (والحروف والاصوات الا من حى مركب) قائم بحسب الصورة (على تركيب من يصح منه النطق بالحروف والاصوات) بان يكون جسم له آلة نطق وجوف ثم لما ورد عليه ما تواتر من نطق غيره قال دفعا له ملتزما واليه اشار بقوله (والتزم ذلك) اى وجود التركيب المذكور (فى الحصا) بمهملتين جمع حصاة (والجذع والذراع) الذى نطق له صلى الله تعالى عليه وسلم تواتره (وقال ان الله خلق فيها حياة وخلق لها فما) اى ابدعه وميزه عن غيره من الاعضاء كما خرق سمعه وشقه اذا ابرزه وصوره (ولسانا وآلة) للكلام (امكنها) اقدرها وجعلها متمكنة بها (من الكلام) والنطق (وهذا) اى المذكور من الالة والاعضاء دعوى بلا بينة اذ (لو كان) اى ما ادعاه وقع فى الخارج (لكان نقله) اى وجد نقله وسمع فكان فيهما تامة (والتهمم به) تفعل من الهم اى الاهتمام والاعتناء به (آكد) بالمد واوكد بالواو بمعناه اى اقوى واشد (من التهمم بنقل تسبيحه) اى تسبيح الحصا (وحنينه) اى الجذع كما تقدم والامر بالعكس فانه نقل تسبيحه وحنينه ونطقه نقلا شايعا ولم ينقل انه روى له فم ولا لسان فاذكره مكابرة فى المحسوسات ودعوى شهد الحس بخلافها (ولم ينقل احد من اهل السير) اى رواة الحديث والسير النبوية (والروايات) وفى نسخة الرواية (شيئا من ذلك) المذكور الذى ادعاه (فدل) عدم نقلهم (على سقوط دعواه) اى بطلانها (مع انه لا ضرورة) داعية (اليه فى النظر) والفكر فى الامور المعقولة واما كون الله خلق ذلك

واخفاءه فاوها من دعواه (والله الموفق) الصواب (وروى وكيع) بفتح الواو والكاف المكسورة هو ابو سفيان بن الجراح بن مليح ابن عدى الراسبى (رفعه) اى رواه مرفوعا له صلى الله تعالى عليه وسلم (عن فهد بن عطية) هو بفاء مفتوحة وهاء ساكنة ودال مهملة وفى نسخة وراء مهملة قال لا اعرفه بدال ولا براء والذى فى البيهقى انه عن مسمى ابن عطية عن بعض اشياخه فيحتمل انه تحرف على الناسخ (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اتى بصبى قد شب) اى كبر وصار شابا وهو (لم يتكلم قط) من طفوليته لشبابه لانه خلق اخرس (فقال) له (من انا فقال انت رسول الله) فانطقه الله معجزة له بعد ما كان ابكم وذكر هذا فى الفصل الذى بعده اظهر وان كان هذا بتنزيل الابكم منزلة الميت والجماد لعدم القدرة على النطق (وروى عن معرض بن معيقب) بميم مضمومة وعين مهملة فيهما وضاد معجمة بزنة اسم الفاعل وقيل الراء مكسورة مشددة وروى معيقب بباء وقيل معيقل بلام (رأيت من النبى صلى الله عليه وسلم عجبا) اى امرا عجيبا وقع عنده وهو انه (جئ) بالبناء للمجهول اى جاء اليه بعضهم (بصبى يوم ولد) بمجهول ايضا (فذكر) رواية وهو معرض مثله اى مثل ما مر من انه قال له صلى الله تعالى عليه وسلم من انا فقال له انت رسول الله (وهو) معروف فى المعجزات بانه (حديث مبارك اليمامة) وفى نسخة وكان يسمى اى ذلك الولد مبارك اليمامة لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم له بارك الله فيك واليمامة علم لارض باليمن منقول من اسم طائر وهذا مؤخر فى النسخ كما سيأتى (ويعرف) ذلك الحديث (بحديث شاصونه) بشين معجمة والف وصاد مهملة وواو ساكنة تليها نون وهاء وهو (اسم راويه) اى راوى هذا الحديث وبيانه ما قاله السيوطى فى خصائصه الكبرى قال الخطيب اخبرنى على بن احمد الرزان قال حدثنا ابو عمر محمد بن عبد الواحد ابى هاشم املاء قال حدثنا محمد بن يونس بن موسى الكديمى املاء قال حدثنا شاصونة بن عبيد ابو محمد اليمامى منصرفا من عدن سنة عشر ومائتين بقرية يقال لها الجردة قال حدثنا معرض بن عبد الله اليمامى عن ابيه عن جده قال حججت حجة الوداع فدخلت مكة فرأيت فيها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ووجهه مثل دارة القمر وسمعت منه عجبا جاءه رجل من اهل اليمامة بغلام يوم ولد وقد لفه فى خرقة فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يا غلام من انا فقال انت رسول الله قال صدقت بارك الله فيك ثم ان الغلام لم يتكلم حتى شب قال ابى فكنا نسميه مبارك اليمامة قال شاصونة سمعت هذا الحديث منه منذ ثمانون سنة ولم اسمع منه الا هذا الحديث قال الدارقطنى كان الكديمى يتهم بوضع الحديث ومما تكلم به فيه حديث شاصونة وقيل انه حدث عمن لم يخلق بعد فلما بلغه ذلك قال عقدت بينى وبينه عقدة لا احلها الا بين يدى الجبار فانتهى اليه الخبر

فكان لايذكره الانخير وقال الخطيب ان الكديمى لما املى هذا الحديث استعظمه الناس وقالوا انه كذاب الاانه قد وقع الينا من غير طريق الكديمى ثم ساقه بسنده الى آخره قال السيوطى فقد وقع روايته من طرق فهو حديث حسن وسبب انكاره انه من الامور الخارقة للعادة وقد وقع فى حجة الوداع مع كثرة الناس فكان حقه ان يشتهر انتهى باختصار فقول بعض الشراح تبعا لابن دحية انه موضوع غير مسلم وتبعه السيوطى هنا من غير تعقب له فبين كلاميه تناف (وفيه) اى فى هذا الحديث (فقال النبى صلى الله عليه وسلم له) اى للصبى حين تكلم (صدقت بارك الله فيك ثم ان الغلام لم يتكلم بعد) مبنى على الضم اى بعد ذلك الكلام (حتى شب) اى كبر ووصل سن النطق (فكان يسمى مبارك اليمامة) لدعاء النبى صلى الله تعالى عليه وسلم له بالبركة (وكانت هذه القصة بمكة فى حجة الوداع) بفتح الواو وكسرها سميت بها لانها آخر حجة صلى الله تعالى عليه وسلم وقد ذكر فيها ما يشعر بقرب اجله وانه يوادع فيها امته (وعن الحسن) البصرى وقدمنا ترجمته وهذا الحديث لم يخرجه السيوطى (ان رجلا اتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فذكر انه طرح بنية له) تصغير بنت (فى وادى كذا) لم يعينه راويه اى رماها ثمة فماتت وقيل انه وادها على عادة الجاهلية (فانطلق) اى مشى النبى صلى الله عليه وسلم (معه الى الوادى) الذى ذكره له (وناداها) اى نادى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بنت ذلك الرجل (باسمها يا فلانة احيى باذن الله تعالى) اى بارادة الله تعالى وقدرته والاذن يتجوز به عما ذكر تجوزا مشهورا (فخرجت) حية من قبرها (وهى تقول لبيك وسعديك) اى اجابة لك بعد اجابة واسعادا بعد اسعاد ومعناه سرعة الاجابة والانقياد ولا يستعمل الامثنى والكلام عليه مشهور فى كتب النحو كما تقدم (فقال لها) لما اجابته (ان ابويك قد اسلما فان احببت ان اردك عليهما) بعد استقرار الحيوة فيك رددتك عليهما (قالت لاحاجة لى فيهما) ولا اريد الرجوع اليهما (وجدت الله) وما عنده من الخير (خيرا لى منهما) ومما عندهما وفيه دليل ان صح الحديث على ان اطفال الكفار غير معذبين وهو الاصح وفيه من المعجزات احياء الموتى وكلامهم ونطق الطفل الصغير ايضا وقد نطق فى المهد جماعة منهم من ذكر فى هذه الاحاديث وسيأتى تمامه واعلم ان من تكلم فى المهد من الاطفال كثير عدوا منهم عيسى بن مريم وصاحب الاخدود وابن ماشطة فرعون وصاحب جريج وشاهد يوسف وشاهد الامة والجبار وما ذكره المصنف رحمه الله وقد نظمهم السيوطى فى قوله

* تكلم فى المهد النبى محمد * ويحيى وعيسى والخليل ومريم *
* ومبرى جريج ثم شاهد يوسف * وطفل لذى الاخدود يرويه مسلم *
* وطفل عليه مر بالامة التى * يقال لها تزنى ولا تتكلم *

* وماشطة فى عهد فرعون طفلها * وفى زمن الهادى المبارك يختم *

وقد قدمت الاشارة الى ذلك ايضا (وعن انس) فى حديث رواه البيهقى وابن عدى مسندا (ان شابا من الانصار توفى وامه عجوز عميا) وهذا مما يدل على شدة حزنها لكبر سنها وعجزها المحوج لولدها (فسجيناه) بالسين المهملة والجيم اى غطيناه من قولهم سجا الليل اذا ستر بظلمته الارض او كفناه (وعزيناها) اى صبرناها وسليناها بذكر مالها من الاجر ونحوه كما هو معلوم والتعزية تسلية اهل الميت عنه وهى سنة معروفة (فقالت لهم) لما عزوها (مات ابنى) فيه استفهام مقدر اى مات ابنى وانما قالته اما لانها لم تعلم اولتذكر ما بعده اولذهولها بالمصيبة (قلنا نعم فقالت اللهم ان كنت تعلم انى هاجرت) الهجرة الانتقال من بلد الى آخر وهذا لاينافى كونها من الانصار لانها قد تسكن فى مكان بعيد هاجرت منه (اليك والى نبيك) الهجرة الى الله بالهجرة لرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم والا فالله معها انما كانت (رجاء ان تعيننى) بالفوقية خطاب لله لانه هو المعين (على كل شدة) الشدة بمعنى الصعوبة هنا اى على كل امر شاق يصعب على ويعسر تحمله لاسيما فقد الولد مع كبر السن وعدم البصر وعلقته بان المشعرة بعدم الجزم باعتبار ان خلوصها فى هجرتها لله ورسوله مما يخفى على غيرها ومن شانها ان يشك فيه لا لانها لاتعلم ذلك لانه ينافى توسلها به الى الله او باعتبار القبول او تجاهلا رجاء للاجابة ورجاء منصوب مفعول له (فلا تحملن) بالحاء المهملة وتشديد الميم ونون التوكيد بمعنى لاتكلفن لان التكليف كالحمل الثقيل فاستعير له كقوله تعالى لا تحملنا ما لا طاقة لنا به (على) بجرياء المتكلم (هذه المصيبة) يعنى موت ولدها فى هذه الحالة (فابرحنا) اى ماذهبنا من مكاننا الذى كنا فيه (حتى كشف) ولدها (الثوب عن وجهه) بعد ما غطى به (فطعم وطعمنا) اى قدم لنا طعام اكل منه ولدها واكلنا معه وذكروا انه عاش الى وفات النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل بقى بعده كما ذكره ابن ابى الصيف وفيه معجزة حيث انه احيى الميت للدعاء باسم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فلا يقال ان هذا كرامة لام الصبى (وروى) الراوى له البيهقى رحمه الله تعالى (عن عبد الله بن عبيد الله الانصارى) بتصغير الثانى (كنت فيمن دفن ثابت بن قيس) اى حضر دفنه وهو ابن مالك بن زهير ابن امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الحرز الانصارى المدنى الصحابى وكان خطيب الانصار وشهد له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالجنة (وكان قتل باليمامة) وروى له البخارى والنسائى وابو داود وكان جهورى الصوت فلما نزل يا ايها الذين آمنوا لاترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى احتبس عن الحضور عنده لانه كان يرفع صوته اذا تكلم فسئل عن سبب ذلك فقال قد علمتم انى ارفعكم صوتا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاخشى ان اكون من اهل النار فذكر ذلك لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال بل هو من اهل الجنة وقال التلمسانى انه كان باذنه صمم

فلذا كان يرفع صوته وفيه ان الاصم لايحتاج لرفع صوته وقدقال ابن حجر ان الصحابة
لم يكن فيهم اصم وكانت وقعة اليمامة فى ربيع الاول سنة اثنتى عشرة فى خلافة
الصديق واليمامة اسم بلدة من جانب اليمن كامر وهى بلدة مسيلمة الكذاب وهى على
ستة عشر مرحلة من المدينة وقدقالوا انه اوصى بعدموته ونفذت وصيته ولم تنفذ وصية
احد بعد موته الاهو وذلك انه لماقتل كان له درعان فسرقت احداهما وجعلت تحت
قدر وكانت انفس درعيه فرأى رجل ثابتا فى منامه فقال اوصيك بوصية فاياك
ان تقول انها حلم فتضيعها انى قتلت امس فمر بى رجل فاخذ درعى ومنزله فى اقصى
الناس وعند خبائه فرس يستن فى طوله وقد كفى على الدرع برمة وفوق البرمة
رجلا فأت خالدا يعنى اميرهم فمره فليأخذها واذاقدمت المدينة فقل لابى بكر ان
على دينا لفاس مقداره كذا والدائن فلان وفلان وان رفيقى فلانا حر فأتى الرجل خالدا
فاخبره فبعث الى من عنده الدرع فوجدها كما وصف واخبرابو بكر بوصيته
فاجازها (فسمعناه حين ادخلناه القبر يقول) اى سمعنا كلامه ففيه مضاف مقدر
اوالضمير مفعوله الاول وقوله يقول مفعوله الثانى على ماذهب اليه ابوعلى الفارسى
من ان سمع اذا تعدى لغير مسموع نصب لمفعولين وغيره يقول انه متعد لواحد مقدر
والجملة حالية اومستأنفة وقد خطأ ابن السيد اباعلى فى هذه المسئلة فى كتاب الحلل
كما فصلناه فى غيرهذا المحل واجبنا عنه (محمد رسول الله ابو بكر الصديق) مبتدأ
اوخبر اى الكامل فى التصديق والصدق لانه لم يرتب فى تصديقه صلى الله تعالى
عليه وسلم وقد سبق الناس فى ذلك فلذا خص بالصديقية وسيأتى تحقيقها (عمر
الشهيد) اى المخصوص بالشهادة الكاملة من بين الخلفاء لان قاتله كافر مجوسى
وهوابولؤلؤة غلام المغيرة بخلاف قاتل عثمان فانه من رعاع الناس وهوشهيد ايضا
(عثمان) بن عفان (البر الرحيم) ذوالبر والاحسان لشهرته بالكرم وهو رحيم ايضا
اى ذو رحمة ورأفة بالمسلمين لحسن اخلاقه وشفقته (فنظرنا اليه) لماتكلم بعد موته
لتوهمنا انه عادت اليه حيوته (فاذاهوميت) اى فاجانا بغتة معرفة كونه ميتا على
حاله وانما انطقه الله الذى انطق كل شئ لتحقق حيوة الشهداء قيل وقوله هذا
كان عند سؤال الملكين له ان قلنا ان الشهداء يسئلون وفيه نظر (وذكر)
بالبناء للمجهول وهذا مما رواه الطبرانى وابونعيم وابن منده ورواه ابن ابى الدنيا
عن انس ايضا (عن النعمان بن بشير) الصحابى الانصارى الخزرجى البدرى
وهو اول من بايع ابا بكر واستشهد مع خالد بن الوليد بعين النهر بعد انصرافه
من اليمامة والنعمان اول مولود بعد الهجرة ولد بعد اربعة اشهر منها ومات بقرية
من قرى حمص فى ذى الحجة سنة اربع وستين وولاه معاوية حمصا والكوفة
(ان زيد بن خارجة) هذا اصح مما وقع فى بعض النسخ ابن حارثة وان كان

من بنى الحارث بن الخزرج لانه زيد بن خارجة ابن زيد بن ابى زهير بن مالك من بنى الحارث
ابن الخزرج قال فى الاستيعاب ولم يختلفوا فى انه هو الذى تكلم بعد الموت وقال ابن سيد
الناس قال ابونعيم الاصبهانى خارجة بن زيد هو الذى تكلم بعد الموت على اختلاف
فيه والصحيح انه زيد بن خارجة كما قاله ابن عبد البر وابن الاثير فى اسد الغابة وكذا قال
الذهبى وقيل المتكلم ابوه وهووهم لانه قتل باحد وجزم به ابن الجوزى ولم يحك فيه
خلافا ولابن ابى الدنيا جزء وافرده لمن تكلم بعد الموت ولم يقف عليه (خرميتا) اى
سقط من قيام فى حال كونه ميتا واصل معنى خر سقط سقوطا يسمع معه خرير وتقدم
ان الخرير صوت الماء والريح ونحوه مما سقط من علو قال الله وخروا له سجدا (فى بعض
ازقة المدينة) جمع زقاق كغراب وهو الطريق (فرفع) بالبناء للمجهول اى اخذ
من مكانه الذى سقط فيه (وسجى) بالبناء للمجهول اى غطى (اذ سمعوه بين العشائين)
اذهنا فجائية والتقدير فبينما هو كذلك اذ سمعوه الخ والعشائين يعنى المغرب والعشاء
على التغليب (والنساء يصرخن) بالصاد المهملة والخاء المعجمة وبنون النسوة (حوله
يقول) مفعول ثان لقوله سمعوه اوحال اوهو جملة مستأنفة كامر ومقول القول (انصتوا
انصتوا) اى اسمعوا وكرره للتأكيد (فحسر عن وجهه) بضم الحاء وكسر السين
والراء المهملة اى كشف عنه بعد ماكان عليه غطا (فقال) لما كشف عن وجهه
(محمد رسول الله النبى الامى وخاتم النبيين) اى اخرهم بعثا كما مر (كان ذلك)
المذكور من كونه رسولا ونبيا اميا خاتما للرسل (فى الكتاب الاول) اى فى جنسه
من الكتب المتقدمة اواللوح المحفوظ المكتوب فيه كل ماقدره الله تعالى (ثم قال)
زيد بن خارجة مخاطبا لمن كان عنده اولمن يصح ان يتوجه الخطاب اليه اومجردا
من نفسه مخاطبا مأمورا ان كان قوله (صدق صدق) امر كما ذهب اليه بعض
الشراح فان كان ماضيا كما رأيناه بضبط القلم واعتمد عليه فى الشرح الجديد وقال
فاعله ضمير مستتر عائد للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فالامر ظاهر اى صدق محمد
صلى الله تعالى عليه وسلم فيما بلغ عن الله (وذكر) بعد رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم (ان ابا بكر وعمر وعثمان) وكانه لم يذكر عليا رضى الله تعالى عنه لعدم
ادراكه خلافته لانه توفى فى زمن عثمان كما ذكروه ومراده الثناء عليهم رضى الله
تعالى عنهم بما فعلوه وايدوا به الدين الذى بلغه رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم عن ربه (ثم قال السلام عليك يارسول الله) دعا له صلى الله تعالى عليه وسلم
واصله سلمت سلاما فاقيم المصدر مقام فعله ثم عدل الى الرفع وجعل مبتدأ للدلالة
على الثبوت ثم عرف ليدل على استغراق انواع السلام الذى يوجه للانبياء وزيادة
ومعناه السلامة من النقايص والتكريم والتشريف له بما يليق بجنابه كما ينوه وخص
وصف الرسالة بالذكر لانتفاع الامة بها الذى هو من جملتهم (ورحمة الله وبركاته)

والرحمة بمعنى الانعام والاحسان اوارادة ذلك وفيه دليل على جواز الدعاء بالرحمة للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم خلافا لمن اباه لورودها فى حديث الشهداء كما مر ويأتى بيانه ايضا والبركات جمع بركة وهى الخير الالهى وكثرته قال الراغب اصل البركة صدر البعير وغيره و برك البعير التى بركه واعتبر فيه معنى اللزوم فقيل ابتركوا فى الحرب و بركا القتال مكان يلزمه الابطال وسمى محبس الماء بركة والبركة ثبوت الخير الالهى فى الشئ قال الله تعالى لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ولما كان الخير الالهى يصدر من حيث لايحس على وجه لايحصى ولايحصر قيل لكل من يشاهد منه زيادة غير محسوسة مبارك وفيه بركة (ثم عاد ميتا كما كان) قبل تكلمه حين سجى وكفن فان قلت المقام والفصل معقود لذكر معجزاته صلى الله عليه وسلم باحياء الموتى وانطباق من ليس من اهل النطق وما فى هذا الحديث ليس كذلك قلت هو من امته صلى الله تعالى عليه وسلم وصحابته وكلامه بعد موته كرامة له وكرامات الامة من جملة كراماته وقد يقال انه دليل على ماقبله ومؤكد له لانه اذا كان فى امته من يصدر عنه مثله فكيف لايصدر عنه صلى الله تعالى عليه وسلم

﴿فصل﴾

من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم (فى ابراء المرضى) جمع مريض كقتلى وقتيل وابراؤهم زوال مرضهم وحصول شفاء لهم واصل البرء والبرأة والتبرى التفصى ممايكره ولذلك قيل برئت من المرض اذا خلصت منه (وذوى العاهات) جمع عاهة وهى الآفة ويقال عاه الزرع اذا اصابته العاهة والعاهة قد تخص بالامراض المزمنة وقد لاتخص بها فتكون الامراض مايعرض مما لم يزمن كالحميات ونحوها فتكون اتم فائدة وهو المراد هنا فليس من عطف المترادفين وتطلق العاهة على بعض الاعضاء كالشلل والعرج والعمى وقد يكون بعضها خلقيا ايضا وهذا هو المعروف (اخبرنا ابو الحسن على بن مشرف فيما اجازنيه وقراءته على غيره) تقدم الكلام على هذا وعلى معنى الاجازة (قال حدثنا ابو اسحق الحبال) بحاء مهملة وموحدة مشددة كما تقدم فى ترجمته (قال حدثنا ابو محمد بن النحاس) بحاء مهملة ايضا كما تقدم (قال حدثنا ابن الورد) عبدالله بن جعفر بن محمد بن الورد بن زنجويه راوى سيرة ابن هشام (عن البرقى) هو ابو سعيد عبدالرحيم بن عبدالله بن عبدالرحيم بن ابى ذرعة البغدادى الزهرى مولاهم المعروف بابن البرقى نسبة لبرقة اسم مكان (عن ابن هشام) ابو محمد عبدالملك بن هشام ابن ايوب الامام الاديب النحوى صاحب السير وهو حميرى معافرى بصرى وسكن مصر وتوفى بها سنة ثلاث عشرة ومأتين وله تآليف نفيسة ككتاب الانساب وغريب اشعار السير وغيره كما فصله ابن خلكان وفى تاريخ وفاته اختلاف (عن زياد البكائى) بفتح الموحدة وتشديد الكاف والمد وهو من بنى ربيعة بن عامر بن صعصعة سمى البكائى لانه دخل على امه فرآها تحت ابيه وهو صغير فخرج يصيح و يقول ان ابى قتل

امى توفى سنة ثلاث وثمانين ومائة وروى له اصحاب السنن وترجمته فى الميزان مفصلة (عن محمد بن اسحق) الامام صاحب المغازى والسير كما تقدم (قال حدثنا ابن شهاب) محمد بن مسلم بن عبيدالله بن عبدالله بن شهاب الزهرى شيخ ابن اسحق الامام المشهور كما تقدم ووقع فى بعض النسخ هنا ابن هشام وهو غلط من الناسخ كما فى المقتفى (وعاصم بن عمر بن قتادة) بن النعمان الظفرى الثقة الامام رواة المغازى توفى سنة تسع اوسبع وعشرين او عشرين فقط ومائة اخرج له الستة وترجمته فى الميزان (وجماعة ذكرهم) لابن شهاب الزهرى (بقضية احد بطولها) متعلق بذكرهم والباء بمعنى فى وقضية احد غزاتها وماوقع فيها (قال قالوا) اى الجماعة المذكورون الذين رووا هذا الحديث من طريق ابن اسحق التى اسندها المصنف رحمه الله عنهم ورواه البيهقى ايضا (قال سعد بن ابى وقاص) الصحابى المشهور رضى الله تعالى عنه فى قصة احد التى رواها بطولها (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليناولنى) اى يعطينى بيده وهو معنى المناولة ومنه النوال بمعنى العطية (السهم الذى لانصل له) بفتح النون وسكون الصاد المهملة قبل لام وهو حديدة فى طرف السهم والرمح وفى بعض النسخ نضل بضاد معجمة بدل الصاد البرهان والصحيح الاول والثانى لايتضح معناه ولايستعمل قلت هو بعيد هنا رواية ودراية وكانه من تحريف النساخ الان معناه صحيح ايضا لان النضل رمى السهام فالمعنى انه ليس مما يرمى به لانه لانصل له فيؤل الى الرواية الاخرى وان كان لاوجه له هنا (فيقول) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لسعد بعد مناولته السهم له (ارم به) بكسر الهمزة والميم امر من الرمى والضمير للسهم وفى الكلام مقدر اى فيرمى به و يقتل من اصابه سهمه مع انه لانصل له ومثله لايقتل عادة وهذه معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم ولذا ذكره المصنف رحمه الله تعالى وان لم يكن محل الشاهد (وقد رمى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يومئذ) اى يوم احد (عن قوسه) يقال رمى عن قوسه و بقوسه لا قوسه (حتى اندقت) اى انكسرت والقوس مؤنثة سماعية واصل معنى الدق الرض بجرم صلب (واصيبت يومئذ عين قتادة بن النعمان) اصيبت مبنى للمجهول اى اصابها سهم فاخرجها واذهبها وروى اصيب بدون تأنيث للتأويل بالعضو او للفاصل بينهما (حتى وقعت) عينه (على وجنته) الوجنة اعلى الخد ومايلى العين من الوجه ويطلق على الخد كله (فردها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بيده) اى اعاد حدقة عينه التى سالت لمكانها (فكانت) العين المردودة بيده صلى الله تعالى عليه وسلم (احسن عينيه) اى اجملهما واقواهما حسنا اى احسن من عينيه اللتين كانتا له قبل ما اصيب وردت عينه فلا يرد عليه ان الشئ لايكون احسن من نفسه وقوله اصيبت عينه ظاهره انما اصيبت عين واحدة وهو كذلك عند الاكثر وروى

ان عينيه اصيبتا فيكون من التعبير عن العضوين المتفقين ذاتا وصفة واسما باحدهما
وهو فصيح مشهور كما يقال نظر بعينه ومشى بقدمه كما قرره النحاة وقالوا انه حقيقة
مشهورة وروى ان عاصم بن عمر بن قتادة وفد على عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى
عنه فقال له من انت فقال بديهة

* انا ابن الذى سالت على الخد عينه * فردت بكف المصطفى ايما رد *

* فعادت كما كانت لاول امرها * فياحسن ما عين وياحسن ما رد *

فقال عمر * تلك المكارم لا قعبان من لبن * شيبا بماء فعادا بعد ابوالا *

وروى انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال له ان شئت رددتها لك وان شئت فاصبر ولك
الجنة فقال يارسول الله ان الجنة لعطاء جزيل جميل ولكنى اكره العور فردها واسأل
الله تعالى لى الجنة فردها ودعا له وكان لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قسى
اختلف اهل السير فى عددها فقيل سبع وقيل ست وهى الروحاء والصفراء من
نبع والبيضاء من شرحط والزوراء والكتوم سميت به لعدم صوت لها والسداد وزيد
المرنان لصوتها والتى انكسرت باحد هى الكتوم كما فى الهدى النبوى والكلام على
قسيه صلى الله تعالى عليه وسلم ومن اين صارت وتوجيه تسميتها مذكور فى السير
وشروحها (وروى قصة قتادة) المذكور فيها رد عينه وهى قصة فيها طول اقتصر
المصنف منها على محل الشاهد وذكر اولها لما فيه من المعجزة ايضا (عاصم بن عمر بن
قتادة) صاحب القصة (ويزيد بن عمر بن قتادة) كذا فى اكثر النسخ كما قاله البرهان الحلبى
والصواب يزيد ابن عياض عن ابن عمر بن قتادة ففيه سقط لان عاصما شيخ يزيد
اوسقط عن عاصم ويزيد بن عياض الليثى الحجازى حدث عن نافع الى آخره وكذا
وقع فى نسخة على الصواب (ورواها ابو سعيد الخدرى عن قتادة) رضى الله تعالى عنه
وابو سعيد هو اخو قتادة لامه وقتادة بن النعمان انصارى اوسى وشهد مع النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم بدرا واحدا وغيرهما من المشاهد وكانت واقعته يوم احد وقيل يوم
بدر وقيل يوم الخندق والصحيح الاول كما قاله ابن عبد البر وقد اختلف كما مر هل
قلعت عينه او عيناه والمشهور الاول ووقع الثانى مصرحا به فى بعض الروايات
ايضا كما رواه ابو نعيم الاصبهانى ونقله السهيلى وقال الدارقطنى انه غريب
تفرد به عمار بن نصر عن مالك وهو ثقة قال ابن حجر فى شرح الهمزية وهى
زيادة ثقة فتقبل وترجح به رواية الثنتين وهو رد على من قال ان هذه الرواية غلط وفيه
نظر وقد اختلف ايضا هل انفصلت اولا فقيل انها بقيت معلقة وقيل سقطت فاتى
بها او بهما فى كفه فقال له رسول الله ان شئت فاصبر ولك الجنة وان شئت رددتها فقال
يارسول الله انى محب للنساء وعندى امرأة احبها فاخشى ان تعذرنى فردها وادع
الله لى بالجنة ففعل فكانت اقوى عينيه واحسنهما وتوفى وهو ابن خمس وستين

سنة ثلاث وعشرين وصلى عليه عمر رضى الله تعالى عنهما (و) روى البيهقى انه
صلى الله تعالى عليه وسلم (بصق على اثر سهم) اى جعل ريقه ومافيه على جراحة
(فى وجه ابى قتادة) الحارث ربعى الانصارى السلمى الصحابى توفى بالمدينة وهو
ابن اربع وخمسين وقيل ابن سبعين وفى وجه ظرف لغو متعلق بقوله بصق او مستقر
حال اوصفة لسهم (فى يوم ذى قرد) بقاف وراء مفتوحتين ودال مهملتين وروى
بضمتين كحبك وهو اسم ماء بينه وبين المدينة مسافة يوم وليلتين من جهة خيبر
والقرد الوبر والصوف الردى المتجعد فسمى به لانه معاطن فيها ذلك اولكثرة طحلبه
الشبيه به واليوم هنا بمعنى الغزو كما يقال ايام العرب وقد تقدم ويقال ذو القرد معرفا
وهى غزوة تسمى ايضا غزوة الغابة وكانت قبل الحديبية وقيل بعدها ورده
فى الهدى النبوى والقرطبى فى شرح مسلم وسببها انه كان لرسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم لقاحا يرعى بالغابة فيها ابن ابى ذر وامرأة من غفار فاغار عليها عيينة
ابن حصن الفزارى فى اربعين فارسا فاستاقوها وقتلوا ابن ابى ذر وسبوا المرأة فركبت
المرأة ناقة لرسول الله صلى الله عليه وسلم على غفلة منهم ونذرت ان نجت لتنحرنها
فنجت فاخبرت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك فقال لا نذر فى معصية الله
ولا لاحد فيما لا يملك وركب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ونودى ياخيل الله
اركبى وكان اول مانودى به فادركهم فى خمسمائة وقيل سبعمائة فاستنقذ منهم
عشرا وفروا بباقيها كما فصل فى السير (قال) ابو قتادة (فما ضرب) الجرح واثر
السهم (على) اى ما المنى ولا اوجعنى ضربانه ولا سلط على ضربانه من الضربان
بفتح ل ضرب الدهر بمعنى الم (ولا قاح) اى سال منه قيح ومدة يقال قاح يقيح وتقيح
والقيح صديد وهو شىء كالماء اصفر يخالطه قليل دم وهذا حديث حسن صحيح
رواه الترمذى والبيهقى (وروى النسائى) والترمذى والحاكم والبيهقى وصححوه
والنسائى بالهمزة نسبة لنساء بلدة ويقال نسوى بالواو ايضا وابو عبد الرحمن بن
شعيب بن على بن سنان الامام المشهور صاحب السنن توفى سنة ثلاث وثلاثمائة
على الاصح وله ثمان وثمانون ولم يتأخر عن الثلاث مائة من اصحاب السنن غيره
(عن عثمان بن حنيف) بضم الحاء المهملة ونون وفاء مصغر وهو اخو عباد وسهل
ابنا وهب وله صحبة ورواية وروى عنه احمد واصحاب السنن وهو من الاشراف
ولى سواد العراق والبصرة وعاش الى زمن معاوية وسنقرر هذا الحديث قريبا الا
ان البرهان قال كان ينبغى للقاضى ان يذكر سنده ليعلم انه صحابى لئلا يتوهم ان
النسائى سمع منه ومثله سهل (ان اعمى) لم يذكروا اسمه (قال يارسول الله ادع الله لى
ان يكشف عن بصرى) المعنى ان يدعو له بان يصح بصره ويزيل الله عنه العماء
فعبر عنه بالكشف وهو ازالة الغطاء فاما ان يكون على بصره غشاوة وجلده رقيقة

طلب ازالتها اوشبه عدم الرؤية بحجاب حائل بينه و بين المبصرات والرؤية بازالته ففيه استعارة (فقال) له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم امراله (انطلق) اى قم من مجلسك هذا (فتوضأ) امر بالوضوء (ثم صل ركعتين) نافلة وتسمى صلاة الحاجة ومنه اخذ ان كل من اهمه امر ينبغى له ويستحب ان يصلى قبل الدعاء تقربا الى الله (ثم قل اللهم) اى يا الله والكلام عليه مشهور ذكرناه فى غير هذا المحل (انى اسألك) واطلب منك حاجتى هذه (واتوجه اليك) اصل معنى التوجه المقابلة بالوجه فاريد الاخلاص فى القصة للدعاء والتوسل (بنبيك) وفى بعض النسخ بنبيى بالاضافة الى ياء المتكلم (محمد نبى الرحمة) بدل من نبيك اوعطف بيان وقد تقدم معناه ثم التفت من خطابه لله تعالى الى خطاب نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم لانه واسطة فى كل مايصل من الاحسان والفيض الالهى (يامحمد انى اتوجه بك الى ربك) اى اتوسل بك فيما طلبته من الله وهو (ان يكشف عن بصرى) حجابه المانع له عن الرؤية وفيه مقدراى فدعا فابصر ونداؤه صلى الله تعالى عليه سلم باسمه انما يحرم اذا كان بحضرته واذا لم يكن فى الدعاء مأثورا مربه كما هنا لقوله تعالى * قل اللهم * الى آخره فان امتثال الامر هوعين الادب كما ذكره ابن حجر فما قيل ان نداءه صلى الله عليه وسلم باسمه لعله كان قبل علمه تحريمه اوقبل تحريمه بقوله تعالى لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا لبس بظاهر وعدل صلى الله تعالى عليه وسلم عن دعائه له بامره ان يدعو لنفسه تعليما وارشادا لامته وتواضعا وتأدبا مع الله تعالى وهذا الحديث مسند صحيح اخرجه الترمذى والحاكم وغيرهما وكان ابن حنيف وبنوه يعلمونه الناس وقد حكى فيه حكايات فيها اجابة دعاء من دعا به من غير تأخر وقد اخرجه البرهان الحلبى من طرق متعددة فلم يبق فيه شبهة فاحفظه (اللهم شفعه) اى اقبل شفاعته (فى) وهو يحتمل ان يريد شفاعته صلى الله تعالى عليه وسلم فيه فى الدنيا برد بصره اوشفاعته له فى الآخرة اوما يشملهما وهذا اولى ومنه علم استحباب الدعاء عقب الصلاة (وروى) بالبناء للمجهول والراوى له الواقدى وابو نعيم عن عروة (ان ابن ملاعب الاسنة) قال البرهان الحلبى ان ابن ملاعب الاسنة لايعرف اسمه ولا ترجمته واما ملاعب الاسنة فهو عامر ابن مالك ابن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة سمى ملاعب الاسنة جمع سنان وهو حديد فى طرف الرمح يعد للطعن ويقال له ملاعب الرماح سمى بذلك لانه فى يوم سوبان بزنة طوفان وهو يوم كان فيه بين قيس وتميم وقعة وكان اخوه طفيل ابن مالك فارس قرزل وهو اسم فرس له فرفى ذلك اليوم فقال فيه الشاعر

فررت واسلمت ابن مالك عامرا * يلاعب اطراف الوشيج المزعزع *

فسمى بذلك ملاعب الرماح وملاعب الاسنة وهو عم لبيد وهو ابو براء عامر وذكره بعضهم فى الصحابة

وقال الذهبى الاصح انه لم يسلم لانه قدم المدينة وعرض عليه النبى صلى الله عليه وسلم الاسلام فلم يسلم وهو عم لبيد بن ربيعة المسمى بربيعة المعتر (اصابه استسقاء) اصل معناه طلب السقى وهو اسم مرض معروف قال فى الاساس سقى بطنه واستسقى وبه سقى بكسر السين وهو ان يقع الماء الاصفر فى بطنه انتهى وهو مرض علاجه صعب لايكاد ينجو من اصابه منه (فبعث الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) قاصدا يلتمس منه الدعاء وان يشفيه الله ببركته وهذا يدل على انه اسلم بخلاف ابيه كما مر (فاخذ) صلى الله عليه وسلم لما قص عليه قاصده امره (بيده الشريفة حثوة من الارض) بفتح الحاء المهملة وسكون المثلثة ويقال حثية بالياء ايضا وهو ملء يده او يديه وهو من التراب هنا (فتفل) بفتح المثناة الفوقية والفاء وفى نسخة بصق (عليها) اى الحثوة من ماء فمه المبارك (ثم اعطاها) اى حثوة التراب (رسوله) الذى ارسله للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم (فاخذها متعجبا) مما اعطاه وان مثله لايداوى به الاستسقاء بل يزيده لان مبدأه شدة فى الجوف والتراب يزيدها كما يشاهد ممن يأكل الطين (يرى) بفتح الياء وضمها اى يظن (ان قد هزى به) الضمير للرسول اوارسله وهزى بالبناء للمجهول ويجوز فيه بناء الفاعل ايضا (فاتاه بها) اى بالحثوة (وهو) اى ابن ملاعب الاسنة على (شفا) بفتح الشين المعجمة والفاء مقصور اى قريب من الموت واصل الشفا مكان متصل بحفرة كالبئر قال الله تعالى على شفا جرف هار ويجوز ان يراد به الكناية عن الموت ويراد بالحفرة القبر والجملة حالية وبينه وبين قوله (فشربها فشفاه الله) تجنيس بديع اى وضعها فى ماء وشربها فشفاه الله ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم (وذكر العقيلى) بالتصغير وهو الامام الحافظ ابو جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد المكى صاحب كتاب الضعفاء الذى رتبه الهيثمى وهو ثقة جليل توفى سنة اثنين وعشرين وثلاثمائة (عن حبيب بن فديك) حبيب بفتح الحاء المهملة وبموحدتين بينهما ياء مثناة تحتية وقيل انه بخاء معجمة مضمومة وفديك وقيل فويك بضم الفاء ودال مهملة مفتوحة مصغر وكاف وقيل انه بواو بدل الدال وقيل براء مهملة ذكره الذهبى فى الصحابة وقيل انه حبيب بن عمرو بن فديك السلامانى وقد اضطرب فيه وفى اسمه واخرج حديثه هذا البيهقى والطبرانى وابن ابى شيبة فى مسنده عن رجل من بنى سلامان عن امه ان خالها حبيب بن فديك حدثها ان اباه خرج به الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعيناه مبيضتان فسأله ما اصابه فقال كنت اقود جملا لى فوقعت رجلى على بيض حية فاصبت فى بصرى فلا ابصر شيئا والى بعض ماذكر من الاختلاف فى اسمه اشار بقوله (ويقال فويك) بواو وبراء بدل الدال (ان اباه ابيضت عيناه) لغشاوة عظمتها اوهو عبارة عن العمى (فكان لايبصر بهما شيئا فنفث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) بالمثلثة اى تفل ريقه

(فى عينيه فابصر) بهما وذهب عنه عماه فى ساعته (فرأيته يدخل الخيط فى الابرة) لقوة بصره وصحته (وهو ابن ثمانين سنة) وهو من يضعف فيه بصر مثله وان لم يعرض له عارض وليس فى الحديث ان البياض لم يزل بعينيه مع شدة نظره وقوته وانه اعظم فى المعجزة كما قيل لاحتمال ان البياض زال ببركته صلى الله عليه وسلم ولم يصرح به لانه معلوم (ورمى) بالبناء للمجهول (كلثوم بن الحصين) بضم الحاء وفتح الصاد المهملتين ونون مصغر حصن وهو ابو دهم الغفارى الصحابى وهو من اصحاب الشجرة وشهد احدا واستخلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح (يوم احد) لما وقع السهم فى نحره وخشى الموت من وقوع السهم (فى نحره) اى مقدم عنقه عند حبل الوريد الذى لا يعيش من جرح به (فبصق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيه) اى فى نحره ومحل جراحته (فبرأ) بفتحات وهمزة مقصورة اخره ويقال برئ ايضا بزنة علم وضرب كما قاله ابن السكيت اى حصل له البرء من حينه وهذا الحديث لم يخرجوه (و) روى الطبرانى حديثا مسندا فيه انه صلى الله تعالى عليه وسلم (تفل) بتاء مثناة وفاء ولام مفتوحات اى بصق (على شجة عبد الله بن انيس) الشجة بفتح الشين المعجمة والجيم المشددة جراحة ضربة فى الوجه او الرأس وقد تطلق على ما فى غيرهما من الجسد والمعروف الاول وانيس مصغر ابن اسعد بن حرام بن مالك بن غنم بن كعب الجهنى الانصارى الصحابى شهد احدا وكان صلى الله تعالى عليه وسلم بعثه مع عبد الله بن رواحة ونفر من الصحابة الى يسير بن رزام بخيبر لما جمع جمعا من غطفان لغزو رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا له ان قدمت على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اكرمك فلم يزالوا به حتى خرج معهم فحمله ابن انيس على بعيره حتى اذا كانوا بالقرقرة بقرب خيبر ندم ففطن له ابن انيس وضربه بسيفه فقطع رجله وضرب اليسير ابن انيس بعصاه فشجه فلما قدم على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تفل فى شجته (فلم تمد) بضم المثناة الفوقية وكسر الميم وتشديد الدال المهملة المفتوحة اى لم يبق فيها مدة وقيح يقال امد الجرح اذا صارت فيه مدة وهى القيح كما فى الصحاح وغيره والمدة بكسر الميم (وتفل فى عينى على) ابن ابى طالب رضى الله تعالى عنه فى حديث رواه الشيخان عن سهل بن سعد (يوم خيبر وكان رمدا) بزنة حذر منصوب منون اى به رمد والرمد وجع العين (فاصبح بارئا) اى صار بارئا فى الحال لا انه تأخر برؤه الى وقت الصباح واصبح له معنيان هذا احدهما والحديث بتمامه فى الصحيحين وغيرهما وفى دلائل البيهقى عن بريدة كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ربما اخذته الحمى فيمكث اليوم او اليومين لا يخرج فلما نزل خيبرا اخذته فلم يخرج فاخذ ابو بكر رضى الله تعالى عنه الراية وقاتل قتالا شديدا ثم اخذها عمر رضى الله تعالى عنه وقاتل فلما خرج واخبر بذلك قال لاعطينها غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله فتطاول

الناس لذلك فاصبح وجاء على وقد عصب عينيه فقال ادن الى وتفل فى عينيه ففتحهما واعطاه الراية وروى انه وضع رأسه فى حجره ثم بصق فى راحتيه ودلك بهما عينيه والحديث طويل والكلام عليه وعلى الاستدلال به لتفضيل على مشهور غير محتاج للبيان (و) فى صحيح البخارى انه صلى الله تعالى عليه وسلم (نفث على ضربة بساق سلمة بن الاكوع يوم خيبر فبرئت) من حينها والضمير للساق لانها مؤنث سماعا او للضربة وبرءها بذهاب اثر الجراحة والتحامها (و) روى عبد بن حميد فى تفسيره انه صلى الله تعالى عليه وسلم (نفث فى) جراحة (رجل زيد بن معاذ) اى جعل ريقه عليها (حين اصابها السيف الى الكعب حين قتل ابن الاشرف فبرأت) رجله او جراحتها واعترض البرهان الحلبى على المصنف بان قصة كعب بن الاشرف مقررة فى السير ورواها مسلم فى الجهاد كغيره وذكروا الجماعة الذين اشتركوا فى قتله باسمائهم وليس فيهم من اسمه زيد بن معاذ بل لا يعرف فى الصحابة من اسمه زيد بن معاذ الا ان يكون نسبه الى احد اجداده والى جد اعلى له وهو خلاف الظاهر والجرح الذى فى رأسه او رجله على الشك من الراوى فى قصة كعب انما هو الحارث بن اوس بن معاذ بن النعمان بن اخى سعد بن معاذ الاشهلى وقد سمى البخارى الذين قتلوا كعبا وسمى منهم الحارث بن اوس بن سعد بن النعمان وهو الذى تفل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على جرحه وقيل هو الحارث بن اوس بن النعمان وقيل هما واحد وقال التلمسانى ان العزيزى نقل فى تفسيره فى سورة الحشر ما ذكره المصنف بعينه وقال انه زيد بن معاذ وهو ابن اخى سعد بن معاذ فالمصنف لم يقل ما قاله الا عن تحقيق وقع له ولا يخفى ما فيه فانه مصادم للنقول الصريحة ومثله لا يقال بسلامة لامير وكعب بن الاشرف بزنة افعل التفضيل من الشرف يهودى من بنى نبهان وقصته كما فى السير انه لما اصيب اصحاب القليب من كفار قريش وبلغه الخبر قال ان كان محمد اصاب هؤلاء لبطن الارض خير من ظهرها فلما تحقق الخبر خرج لمكة يحرض الكفار على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويبكى اصحاب القليب ويرثيهم بشعره تارة وتارة يشبب بنساء المسلمين حتى اذاهم فقال صلى الله تعالى عليه وسلم من لابن الاشرف فانه اذى الله ورسوله فقال محمد بن مسلمة اخو بنى عبد الاشهل انا لك به يا رسول الله قال فافعل ان قدرت فرجع واقام ثلاثا لا يأكل الطعام ولا يشرب فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم لم تركت الطعام والشراب قال قلت قولا لا ادرى افى به ام لا فقال عليك الجهد فقال لابد ان نقول فقال صلى الله تعالى عليه وسلم قولوا ما بدا لكم فانتم فى حل من ذلك فاجتمع فى قتله محمد بن مسلمة وسلكان بن سلامة ابو نائلة الاشهلى وكان اخا ابن الاشرف من الرضاعة وعباد بن بشر وقيس وابو عبس بن جبير ثم قدموا الى عدو الله فتقدم ابن سلامة رضيعه

وتحدث معه وناشده الاشعار وكان شاعرا ثم قال له ويحك يا ابن الاشرف انى جئتك لحاجة اذكرها لك فاكتمها قال افعل قال كان قدوم هذا الرجل علينا بلاء من البلاء عادتنا العرب ورمتنا عن قوس واحدة وانقطعت عنا السبل حتى ضاعت العيال وجهدت الانفس فقال كعب قد اخبرتك ان الامر سيصير لما اقول فقال انا لانحب ان ندعه حتى ننظر لم يصير شانه وانى قد جئتك استسلفك وقال الدمياطى الذى تحدث معه ابونائلة وهو الذى نزل له كعب من حصنه فلما استسلفه وقال له نرهنك ما تثق به قال ارهنوا ابناءكم ونساءكم قال اردت ان تفضحنا فانت اشب اهل يثرب واعطرهم ولكن نرهنك الحلقة والسلاح فقال ان فيها الوفاء وان اراد ان لا ينكر مجيئهم مسلحين ولى اصحاب جاؤا لذلك فرجع الى اصحابه وامرهم ان يأخذوا السلاح ويجتمعوا اليه فلما قفلوا شيعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى البقيع فى ليلة مقمرة فلما انتهوا الى حصنه هتف به ابونائلة وكان كعب حديث عهد بعرس فقال له امرأته انك رجل محارب لا ينبغى لك الخروج فى مثل هذا الوقت وان فى الصوت لسواء وانه صوت يقطر منه الدم فقال ان الكريم لو دعى لطعنة ليلا اجاب * والبلاء موكل بالمنطق * فقال لها انه ابونائلة لو وجدنى نائما ما ايقظنى و برز لهم فى ملحفة فتحدثوا معه ثم قالوا نمشى لشعب العجوز نتحدث بقية ليلتنا قال ان شئتم فتماشوا ساعة ثم وضع ابونائلة يده على رأسه ثم شمها وقال ما رأيت كالليلة طيبا اعطر من هذا ثم تماشى ساعة وفعل مثل ذلك ثم اخذ نعود رأسه وقال اضربوا عدو الله فصاح صيحة اشرف عليه اهل الحصون فلما قتلوه اتوا برأسه ويقال انها اول رأس حملت فى الاسلام وقيل بل هى رأس ابى عزة الجمحى وقيل رأس عمرو بن الحمق فاصاب الحارث ابن اوس سيف من اصحابه برجله فابطأ عليهم ثم اتاهم يتحامل فحملوه آخر الليل واتوا به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يصلى فاخبروه بقتله وجراحة صاحبهم فتفل على جراحته كما ذكره المصنف على ما فيه وفى هذه القصة اشكال مشهور وهو انهم تكلموا فى حقه صلى الله تعالى عليه وسلم بما لا يجوز مما ظاهره ومثله كفر ولا اكراه فيه وقد اجاب عنه الفقهاء وغيرهم بانه لم يقصد ظاهره وهو من المعاريض التى تجوز لمصلحة واذا تأملت ما قالوه تجده يحتمل المدح وقد اذن لهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيه وسيأتى تفصيله فى محله آخر الكتاب ان شاء الله تعالى وفى قوله الى الكعب نكتة يعنى ان صدمة السيف امتدت الى ان وصلت الى كعبه وكأنه قصد تجنيسا لان ابن الاشرف اسمه كعب كما علمت فكأنه قال جرح الى الكعب فى قصة كعب وعلى كل حال فكلامه هنا فيه ما فيه فتأمل (و) نفث (على ساق على بن الحكم يوم الخندق) على هذا صحابى وهو اخو معاوية ابن الحكم السلمى وهذا الحديث اخرجه ابو القاسم البغوى فى معجمه كما قاله السيوطى ويوم الخندق هذا كان فى غزوة الاحزاب سمى به

لان سلمان رضى الله تعالى عنه اشار على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بحفر خندق حول المدينة ولم تكن العرب تعرف ذلك وانما كان يعمله ملوك الفرس قال الطبرى ان اول من عمله نوشهر بن ايدج بن فريدون وهم يزعمون ان فريدون بن اسحق واكثرهم على خلافه وخندق معرب كندة ومعناه الحفر وهو من الالفاظ الاسلامية (اذا انكسرت) اى ساقه لانها مؤنثة وهى ما بين القدم والركبة (فبرئ) اى صح وزال ما به من الكسر ويقال برئ كعلم وبرأ كضرب وآخره مهموز (مكانه) بالنصب على الظرفية اى كائنا فى مكانه وسرجه الذى ركب عليه (وما نزل عن فرسه) الذى كان عليه لما جاءه يستشفيه قال ابو القاسم البغوى باسناده عن معاوية بن الحكم عن ابيه قال كنا مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فانزى اخى على ابن الحكم فرسه الخندق فاصاب رجله جدار الخندق فدقها فاتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وما نزل عن فرسه فمسحها وقال بسم الله فما اذاه شئ منها وقد عده ابو حاتم البغوى فى الثقاة (و) روى البيهقى فى الدلائل عن على بن ابى طالب كرم الله وجهه ورضى الله تعالى عنه قال (اشتكى على بن ابى طالب) رضى الله تعالى عنه مرضا والمرض يسمى شكاة (فجعل يدعو) الله تعالى لما ضجر كما سيأتى (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) لما سمعه (اللهم اشفه او عافه) شك من الراوى فى لفظه والمعنى واحد (ثم ضرب به برجله) ليقوم من مضجعه (و) قام و (ما اشتكى ذلك الوجع بعد) مبنى على الضم اى بعد ضربه او دعائه او هما ولفظ البيهقى عن عبد الله بن سلمة قال سمعت عليا رضى الله تعالى عنه يقول اتيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وانا شاك اقول اللهم ان كان اجلى قد حضر فارحنى وان كان متأخرا فاشفنى وان كان بلاء فصبرنى فضربنى برجله وقال كيف قلت فاعدت عليه فقال اللهم اشفه او قال اللهم عافه قال على رضى الله تعالى عنه فما اشتكيت وجعى ذلك بعد (وقطع ابو جهل يوم بدر) اعترض على المصنف رحمه الله تعالى بان المعروف ان القاطع عكرمة ابن ابى جهل لا هو وان المقطوع معاذ بن عمرو بن الجموح حين ضرب اباه وقد نقله ابن سيد الناس عن المصنف رحمه الله (يد معوذ) بضم الميم وفتح العين المهملة وتشديد الواو المكسورة وتفتح وذال معجمة (بن عفراء) بعين مهملة وفاء ساكنة وراء مهملة ومده اسم امه وهو من جملة شهداء بدر وهم اربعة عشر ومعوذ بن الحارث بن رفاعة النجارى الانصارى رضى الله تعالى عنه وعفراء بنت عبيد بن ثعلبة النجارية وعرف بامه هو واخوه معاذ وعوف شهدوا بدرا فاستشهد عوف ومعوذ بها وبقى معاذ بن عفراء الى زمن عثمان ابن عفان رضى الله تعالى عنه والذى فى سيرة ابن سيد الناس ان معاذ بن عفراء قتل اباجهل فضربه ابنه عكرمة على عاتقه وطرح يده وتعلقت بجلدة من جنبه واجهض القتال فقاتل يومه وهو يسحب يده خلفه فلما ادته وضع

عليها قدمه فقطعها (فجاء يحمل يده فبصق عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم والصقها فلصقت) كما كانت فى مكانها ببركته و بركة ريقه الشريف الذى نقله عليها وهذا لا ينافى كونه فعل الله تعالى ولا حاجة لذكر مثله (رواه ابن وهب) وقد علمت ما يخالفه مما رواه ابن اسحق وصححه ابن سيد الناس والمصنف رحمه الله تعالى فى غير هذا الكتاب وقيل ان ابن وهب لا شك فى جلالته فما رواه لا يخالف ما قاله ابن اسحق لجواز كون معاذ قطعت يده ايضا وعكرمة قطع يد اخيه معاذ وابو جهل نفسه قطع يد معوذ والصقها له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قتل وهذا من غير نقل صريح لا يقبل مثله بمجرد الاحتمال فلا ينبغى ذكره من غير تثبت (ومن روايته) اى رواية ابن وهب التى رواها ابن اسحق والبيهقى عنه كما نقله السيوطى (ايضا) كروايته الاولى (ان خبيب) بالتصغير وخاء معجمة وموحدتين تصغير خب وهو المغفل (ابن يساف) بكسر الياء آخر الحروف وسين مهملة والف وفاء ويقال اساف بهمزة مكسورة (اصيب) بالبناء للمجهول اى اصابته ضربة سيف (يوم بدر مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بضربة على عاتقه) وكتفه (حتى مال شقه) الذى اصابته الضربة بقطع يده وانفصالها عن عاتقه من غير انفصالها (فرده رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى رد عضوه الى مكانه الذى كان فيه (ونفث عليه حتى صح) اى التأم وعاد كما كان فيه و يساف هو ابن عينة بن عمرو الخزرجى شهد ابنه حبيب بدرا واحدا وكان بالمدينة حين قدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وتأخر اسلامه حتى سار رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى بدر فلحقه واسلم وشهد بدرا فضربه رجل على عاتقه يومئذ فمال شقه فاتاه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فتفل عليه ورده فالتأم فانطلق وقتل الذى ضربه وتزوج ابنته بعد ذلك فكانت تقول لا عدمت رجلا وشحك هذا الوشاح يعنى الضربة التى فى محل الوشاح فيقول لا عدمت رجلا عجل اباك الى النار والى ذلك اشار المصنف بما ذكر (و) روى ابن ابى شيبة عن ام جندب انه صلى الله عليه وسلم (اتته امرأة من خثعم) بخاء معجمة ومثلثة وعين مهملة وميم بزنة جعفر اسم جبل واسم قبيلة نزلت عنده منها هذه المرأة لانها كانت نازلة بالجبل كما توهم (معها صبى) وهو ابناء (به بلاء) وهو ما يبتلى به الناس وفسره بقوله (لا يتكلم) فان كان بمعنى لا يقدر على الكلام فبلاؤه انه كان اخرس اوابكم وان كان بمعنى انه به ذهول وعدم عقل للكلام فهو مستأنف وهذا هو المراد كما سيأتى (فاتى بماء) بالبناء للمجهول اى امر من يأتيه بماء فى اناء فاتاه به (فمضمض فاه) مضمض متعد وفاه مفعول و المضمضة ادارة الماء فى الفم فذكر الفم بعده تجريدا وهو لازم ضمن معنى غسل (وغسل يديه) بذلك الماء (ثم اعطاها اياه) اى اعطاء المرأة ذلك الماء الذى رده فى انائه بعد المضمضة وغسل اليدين منه (وامرها بسقيه)

اى امر المرأة بان تسقى الصبى من ذلك الماء (ومسه به) مصدر مضاف للمفعول اى مسحه بالماء (ف) لما فعلت ما امرها به (برء الغلام وعقل عقلا يفضل) بزنة يقعد و يرقد (عقول الناس) اى يزيد على عقول الناس الذى من امثاله وهذا الحديث رواه احمد فى مسنده بسند متصل بابن عباس قال ان امرأة جاءت بولدها الى رسول الله وقالت يا رسول الله ان به لمما اى جنونا يأخذه عند طعامنا فيفسده علينا قال فمسح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صدره ودعا له فثع ثعة اى تقيأ فخرج من فيه مثل الجرو وهو الكلب الصغير جدا وفى كون هذه القصة ما ذكر القاضى بعينه نظر لما بينهما من الخلاف مع احتمال تعدد القصة وهو الظاهر فلا وجه لجعلهما قصة واحدة بل هذه التى رواها احمد والبيهقى وابن ابى شيبة ما اشار اليه المصنف رحمه الله تعالى بقوله (وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما جاءت امرأة بابن لها به جنون فمسح صلى الله عليه وسلم صدره) بيده المباركة الشريفة (فثع ثعة) بفتح المثلثة وتشديد العين المهملة اى قاء مرة واحدة كذا قاله اهل اللغة وقال بعض اهل اللغة ثع بمعنى سعل وروى الحديث من طرق متعددة (فخرج من جوفه) و بطنه (مثل الجرو الاسود) بجيم مثلثة وراء مهملة ساكنة وواو وهو الصغير من اولاد الكلاب والسباع ويطلق على صغار الحنظل والقثاء ايضا وهو يحتمل هنا وجمعه اجرو كادل بكسر آخره وحذف الواو بعد قلبها ياء (فشفى) بالبناء للمجهول اى شفاه الله (و) فى حديث رواه البيهقى والنسائى والطبرانى مسندا صحيحا فيه انه (انكفأت) بنون وكاف وفاء وهمزة مفتوحة بعدها تاء تأنيث ساكنة اى انقلبت (القدر) التى يطبخ فيها اى وقع ما فيها من طعام حار كالنار المحرقة (على ذراع محمد بن حاطب) ابن الحارث ابن معمر القرشى الجمحى الصحابى الذى ولد بالحبشة وهو اول من سمى محمدا فى الاسلام وحاطب بزنة فاعل بحاء وطاء مهملتين وموحدة علم منقول من جامع الحطب وسمى لذلك (وهو طفل) صغير والجملة حالية وفيه تقدير اى فحرق ذراعه (فمسح عليه) اى انه صلى الله تعالى عليه وسلم مسح على ذراع محمد او على محمد نفسه (ودعا له وتفل عليه) اى نفخ نفخا فيه ريقه الشريف وفى نسخة وتفل فيه (فبرأ لحينه) من غير بطء ومثله يكون فى ايام عديدة و محمد بن حاطب هذا صحابى ابن صحابى توفى عام اربع وسبعين بمكة وقيل بالكوفة (و) فى حديث رواه الطبرانى والبيهقى مسندا (كانت فى كف شرحبيل) بضم الشين المعجمة وفتح الراء وسكون الحاء المهملتين وموحدة مكسورة ومثناة تحتية ساكنة ولام قال ابن السيد فى شرح ادب الكاتب عن الاصمعى شرحبيل اعجمى وكذا شراحيل وايل معناه الله ومعنى شراحيل وديعة الله عند اهل اليمن ورأى اكثر البصرية خلافه بل شرحبيل كقذعميل وشراحيل كسرا ويل جمع سمى به او بزنة الجمع انتهى وهو عند سيبويه اسم عربى غير منصرف (الجعفى) بضم

الجيم نسبة الجعفة مكان معروف وشرحبيل صحابى ذكره الذهبى (سلعة) بكسر
السين وسكون اللام وعين مهملة زيادة بين الجلد واللحم كالغدة وفيها لغات
فتفتح سينها مع سكون اللام وفتحها ويقال سلعة بزنة عنبة وقول البرهان هنا
من فتح اراد الشجة لاوجه له فانها لغة والكل بمعنى ولاينا فى كون السلعة بمعنى
الشجة كما فى القاموس والسلعة المتاع الذى يباع ايضا (تمنعه) اى تلك السعلة
لكونها فى داخل كفه (القبض على السيف وعنان الدابة) بكسر العين المهملة
وهو ما يقاد به الفرس ونحوه (فشكاها) اصله شكى منها لضررها له (للنبى صلى
الله تعالى عليه وسلم فمازال يطحنها) اى يدير كفه الشريفة عليها بقوة كما تدور الرحا
وهو بفتح الحاء ونون كسأل يسأل (حتى رفعها) اى حتى ازالها من كفه (ولم يبق
لها اثر) فى كفه يضره ويمنعه ففى قوله يطحنها استعارة (و) فى حديث رواه
الطبرانى عن ابى امامة انه صلى الله عليه وسلم (سألته جارية) اى امرأة صغيرة السن
اوخادمة لبعض اهل المدينة (وهو يأكل) جملة حالية اى حال تناوله من طعامه
(فناولها) اى اعطاها (من بين يديه) اى من طعامه صلى الله عليه وسلم الذى كان
بين يديه (وكانت) الجارية (قليلة الحياء) من الناس لوقاحتها (فقالت) الجارية له
صلى الله تعالى عليه وسلم (انما اريد) بسؤالى ان تناولنى (من الذى) وضعته من
الطعام (فى فيك) وقصدت التبرك والتلذذ بما فيه ريقه الشريف لكن فيه من
ترك الادب ما لا يخفى (فناولها ما فيه) ولم يحرمها ويردها بعنف (ولم يكن) صلى الله
عليه وسلم (يسأل) بالبناء للمفعول اى يسأله احد شيئا (فيمنعه) بالنصب فى جواب النفى
(فلما استقر) الطعام الذى ناولها من فيه (فى جوفها القى) بالبناء للمفعول اى القى الله
(عليها من الحياء) بالمد واما بالقصر فهو المطر (مالم تكن امرأة بالمدينة اشد حياء
منها) اى حياء لم يكن فى امرأة غيرها اشد منه ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم فما موصولة
او موصوفة فى محل رفع نائب فاعل القى والجملة صلة او صفة بتقدير العائد اى مالم يكن به
اى بسببه وذكر هذا لان قلة الحياء من العاهات النفسية والجبلة الخبيثة التى يصعب
زوالها فمناسبة الحديث ظاهرة هنا وفى هذا الباب من امثال ماذكر احاديث كثيرة
من ارادها فعليه بالنظر فى مطولات كتب الحديث

﴿فصل﴾ فى اجابة دعائه صلى
الله تعالى عليه وسلم) اى دعائه للناس وعليهم (وهذا) الامر المذكور هنا والاجابة
وذكرها رعاية للخبر فى قوله (باب واسع جدا) بكسر الجيم منصوب على المصدرية
فهو فى الاصل ضد الهزل ثم استعمل فى معنى الزيادة المفرطة المحققة هنا وهو
ظاهر (واجابة دعوة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لجماعة) اى لاجل ناس
استحقوا ذلك سواء كان ذلك لهم اوعليهم كما اشار اليه بقوله (دعا لهم وعليهم)
فان دعا اذا تعدى باللام كان للنفع لانه اوصل لهم بدعائه ما ينفعهم واذا تعدى بعلى كان

للضرر كانه انزل عليهم البلاء وصبه عليهم وهذا مخصوص بلفظ دعا الا ترى
صلى الله على محمد فانه تعدى بعلى للرحمة لما فيه من الحنو والشفقة قيل انما اعاده
بلفظ الافراد دون الجمع المعنوى كدعائه كما تقدم لارادة التنصيص على ما وقع منه
فردا فردا فالاول على الاجمال المطلق والثانى على الاجمال التشخيصى وقد ادرج
شيئا مما عقد له هذا الفصل فى الفصل الذى قبله انتهى (متواتر على الجملة) اى متواتر
تواترا معنويا باعتبار معناه الاجمالى وان لم تتواتر افراده (معلوم ضرورة) اى بعلم ضرورى
غير محتاج لدليل (وقد جاء) اى ورد فى حديث رواه احمد بن حنبل (فى حديث
حذيفة) ابن اليمان الصحابى المشهور رضى الله تعالى عنه (كان) النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم (اذا دعا لرجل ادركت) اى وصلت واثرت دعوته المستجابة له (ولده وولد
ولده) فوصل اثرها لهم وظهر فيهم ثم استشهد لما ذكره بقوله فيما رواه من حديث
الصحيحين عن انس رضى الله تعالى عنه (حدثنا ابو محمد العتابى) هو بفتح العين
المهملة وتشديد المثناة الفوقية نسبة لعتاب كما تقدم (بقراءتى عليه) من صحيح
البخارى (قال حدثنا ابو القاسم حاتم بن محمد) الذى تقدمت ترجمته وتقدم ويأتى انه
يجوز التكنى بابى القاسم على الصحيح من ان النهى مخصوص بعصره صلى الله تعالى
عليه وسلم او بالجمع بين الاسم والكنية (قال حدثنا ابو الحسن القابسى) الحافظ
السابق ترجمته (قال حدثنا ابو زيد المروزى) نسبة لمروز كما تقدم (قال حدثنا محمد
ابن يوسف) العزيزى كما تقدم (قال حدثنا محمد بن اسمعيل) الامام البخارى (قال
حدثنا عبد الله بن ابى الاسود) واسمه حميد البصرى الحافظ روى عنه البخارى
وغيره وتوفى سنة ثلاث وعشرين ومائتين وترجمته فى الميزان (قال حدثنا حرمى)
بفتح الحاء والراء المهملتين وهو حرمى بن عمارة بن ابى حفصة العتكى توفى سنة احدى
ومائتين (قال حدثنا شعبة بن قتادة عن انس) رضى الله تعالى عنه تقدم تراجم
هؤلاء كلهم (قال) انس رضى الله تعالى عنه (قالت امى) لرسول الله صلى الله عليه
وسلم واسم امه رميلة وقيل الرميصاء وهى انصارية صحابية وهى ام سليم (يا رسول
الله خادمك انس) بن مالك بن ضمضم بن زيد الانصارى النجارى وكنيته
ابو حمزة وكان لما قدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المدينة صغيرا فخدمه
وشهد معه المشاهد وفى عمره اختلاف والاصح انه عمر مائة الا سنة وقيل احدى وتسعين
وقيل مائة وعشرين وقال النووى الاصح انه جاوز المائة ومات بمكان يسمى الطف
على فرسخين من البصرة ودفن به وقيل انه اخر من مات بالبصرة من الصحابة
رضى الله تعالى عنهم وقال ابن عبد البر لا اعلم احدا مات بعده غير ابى الطفيل وخدم
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مدة اقامته بالمدينة وروى عنه كثيرا
فروى عنه الفى حديث ومائتين وستة وثمانين حديثا (ادع الله تعالى له) ولم تعين

الدعوة بل فوضتها له صلى الله تعالى عليه وسلم (قال اللهم اكثر ماله وولده) اكثر وكثر بمعنى (وبارك له فيما اتيته) اى فيما اعطيته من المال والولد فاجاب الله تعالى دعوته حتى مات له فى الطاعون الجارف من نسله سبعون ولدا قيل وفى هذا دليل على فضل الغنى على الفقير وارتضوا ان الغنى الشاكر خير من غيره والفقير الصابر خير من غيره والظاهر انه يتفاوت بحسب الناس كما ورد فى الحديث القدسى ان من عبادى من لا يصلحه الا الغناء وان من عبادى من لا يصلحه الا الفقر ودعاله صلى الله عليه وسلم بالبركة لان من بورك له فيما اوتى لم يكن فيه ضرر ولا تقصير فى الحقوق وهو غنى محمود (ومن رواية عكرمة) عن انس بن مالك رضى الله تعالى عنه كما اخرجه مسلم (قال انس فوالله ان مالى لكثير) ببركة دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم (وان ولدى وولد ولدى) لكثير لما مر (ليعادون اليوم) المراد باليوم الزمن الحاضر مطلقا ويعادون بضم الياء المثناة التحتية وفتح العين المهملة المخففة الف بعدها دال مشددة وواو جماعة ونون اى يزيدون (على نحو المائة) وهو مفاعلة من العدد وروى فى الصحيحين وغيرهما ليتعادون بزيادة تاء فوقية والمعنى واحد وقد وقع فى نسخ الشفاء بالروايتين ايضا وفى الاساس بنو فلان يتعادون على بنى فلان اى يزيدون انتهى كان بعضهم يعد بعضا ثم عبر به عما ذكر والحم والمعنى انهم يزيدون على ما يقرب من المائة اقتصارا على المتيقن المتحقق (وفى رواية) قالوا هذه الرواية لا يعرف من رواها (وما اعلم احدا اصاب) اى وجد عنده (من رخاء العيش) اصل الرخاء بفتح الراء المهملة وخاء معجمة ومد بمعنى اللين ثم استعير للسعة والعيش بمعنى المعيشة (ما اصبت) اى كالذى اصبته انا (ولقد) جواب قسم مقدر وقد هنا للتحقيق وكثيرا ما يقترن بها جواب القسم (دفنت بيدى) بالتثنية (هاتين) اشارة ليديه ليبين انه على ظاهره وحقيقته فى الجارحة لا بمعنى القدرة والتصرف (مائة من ولدى) ثم بين ان المراد بالولد اولاده الكبار لصلبه فقال (لا اقول) اى الولد كان (سقطا) بتثليث السين المهملة وهو ما سقط من بطن امه قبل مدة تمام حمله واوان ولادته (ولا ولد ولد) نفاه لان الولد قد يطلق عليه مجازا وعلى ما يشمل الولد الصلبى وغيره بعموم المجاز وهو منصوب بمقدر اى لا اقول دفنت سقطا الى آخره والجملة مقول القول وحديث انس هذا صحيح روى من طرق مختلفة فى الفاظها اختلاف يحتاج للتوفيق ان لم تكن القصة متعددة وفى الوفاء لابن الجوزى انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال فى دعائه له واطل حياته وان انسا قال فاكثر الله مالى حتى ان لى كرما يحمل فى السنة مرتين وولد لصلبى مائة وستة وفى مسلم انه قال دخل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم علينا وما هو الا انا وامى وام حرام خالتى فقالت امى يا رسول الله خويدمك انس ادع الله له فدعا لى بكل خير وكان فى آخر ما دعا لى اللهم اكثر ماله وولده وبارك له فيه وفيه ايضا جاءت امى الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد ازرتنى بنصف خمارها

وردتنى بنصفه فقال هذا ابنى اتيتك به يخدمك فدعا له وفيه انه صلى الله تعالى عليه وسلم مر بامى فسمعت صوته فقيل يجوز ان يكون مر فعرفت صوته فدعته لدخول دارها فدخلها (تنبيه) قال ابن قتيبة ان ثلاثة من اهل البصرة رزق كل منهم مائة ولد صلبى انس وابو بكرة وخليفة ابن بدر وفى تاريخ ابن خلكان ان تميم ابن المعز بن باديس خلف مائة ذكر وستين انثى (ومنه) اى من دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه البيهقى (دعاؤه لعبد الرحمن بن عوف) الصحابى احد العشرة المبشرين بالجنة وهو من اغنياء الصحابة رضى الله تعالى عنهم وترجمته معروفة (بالبركة) اى بان يبارك الله تعالى له فيما رزقه (قال عبد الرحمن فلو رفعت حجرا) من مكانه بيدى (لرجوت) ببركة دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم (ان اصيب تحته ذهبا وفتح الله عليه) اى يسر له امور الدنيا بسهولة وتقدم ان اصل واحد الفتح ازالة الاغلاق والاشكال قال الله تعالى فتحنا عليهم ابواب كل شئ اى وسعنا عليهم باقبال انواع الخيرات عليهم وهذا ببركة دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم له فانه لما قدم المدينة اخا بينه وبين سعد بن الربيع وتعاطى التجارة فرزقه الله تعالى مالا كثيرا (ومات) فى سنة احدى وثلاثين وقيل اثنين وثلاثين وهو ابن خمس اوثلاث اواثنين وسبعين سنة ودفن بالبقيع (وحفر الذهب من تركته بالفؤس) الحفر معروف وهو فى الاصل اخراج تراب الارض قيل المراد به هنا قطعه لانه فى صدر الاسلام لم يكن تضرب الدنانير وانما كانت تأتى من غير ديارهم وتجعل الذهب والفضة سبائك وقطع توزن فكان عنده منها قطعا كثيرة لما اريد قسمتها كسرت والتركة بفتح اوله وكسر ثانيه ما تركه الميت خاصا من حق الغير والفؤس بضم الفاء والهمزة تليها واو ساكنة بزنة كؤس جمع فاس بفتح همزة ساكنة وتبدل الفا (حتى مجلت فيه الايدى) بفتح الميم والجيم ويجوز كسرها وفى آخره لام وتاء تأنيث وضمير فيه للحفر المعلوم مما قبله والمجل تغير يكون فى اليد من كثرة العمل حتى خرج فى ايديهم تعاطات وجراحات من كثرة عملهم (واخذت كل زوجة واحدة) من زوجاته (ثمانين الفا) لم يبين هل هى ذهب او فضة وهل هى مثاقيل او دراهم الا انه وقع التصريح فى رواية بانها دراهم والعادة ان يعد الذهب بالمثاقيل والفضة بالدراهم (وكن) اى زوجاته التى مات عنهن ورثته (اربعا) من النسوة (وقيل) ان نصيب كل واحدة من هؤلاء الزوجات الاربع (مائة الف وقيل بل صولحت) بالبناء للمجهول (احداهن) اى صالحها بعض ورثته بعد موته على طريق الخارج من التركة (لانه طلقها فى مرضه) الذى مات فيه والمطلقة فى مرض الموت ترث اذا مات وهى فى العدة ولم يكن الطلاق بطلب منها بشروط مفصلة فى كتب الفقه وهو مذهب ابى حنيفة رحمة الله عليه وخالفه فى ذلك الشافعى رحمة الله تعالى عليه

فى احد قوليه وذهب الى كل من المذهبين كثير من الصحابة كما فصل فى كتب الفقه وليس هذا محله (عن نيف) بفتح النون وتشديد الياء المكسورة بوزن كيس وهو كل مازاد على عقد الى ان يبلغ مافوقه من العقود من ناف بمعنى زاد ويجوز تخفيفه (وثمانين الفا) من الدنانير (واوصى بخمسين الفا) من الدنانير كما ذكره الطبرانى فى الرياض النضرة قال اوصى عبد الرحمن بن عوف بخمسين الف دينار فى سبيل الله واوصى بحديقته لامهات المؤمنين فبيعت بار بعمائة الف واوصى لمن بقى من اهل بدر لكل رجل بار بعمائة دينار و بالف فرس فى سبيل الله وهذا كله (بعد صدقاته الفاشية) اى الظاهرة المشهورة من فشى السر اذا شاع (فى حيوته وعوارفه العظيمة) جمع عارفة وهى مايعتاد من الاحسان والعطايا بجعل المعروف عارفا مبالغة وتمليحا وهو من لطائفهم المشهورة ثم اشار الى شئ مما ذكر فقال (اعتق يوما ثلاثين عبدا وتصدق) يوما (بعير) بكسر العين المهملة وهى الجمال التى تحمل الميرة اسم جمع لا واحد له وقد يقال لكل ماتحمل الميرة من الابل وغيرها والمراد الاول لقوله (فيها سبعمائة بعير وردت عليه) اى جاءته مع قافلة ارسلها للتجارة (تحمل من كل شئ) اى عليها احمال من امور مختلفة كالبر والتمر والثياب والاستغراق عرفى اى من كل ماعهد حمله للتجارة (فتصدق بها) اى بالابل (وبما عليها) من طعام وغيره (باقتابها) جمع قتب بفتحتين ويجوز اسكان ثانيه وهو اكاف صغير يوضع على سنام البعير ليقيه من الاذى (وباحلاسها) جمع حلس بكسر الحاء المهملة وسكون اللام وسين مهملة وهو كساء يوضع تحت الاكاف على ظهر البعير وهذا قليل مما ذكر فى مناقب بن عوف وصدقاته فانه لايعد ولا يحصى وكان اهل المدينة عيالا عليه يصلهم دائما ويقضى ديونهم ويقوم بمونة فقرائهم وليس هذا محل تفصيله (ودعا) صلى الله تعالى عليه وسلم (لمعاوية) ابن ابى سفيان رضى الله تعالى عنهما (بالتمكن فى البلاد) التمكن تفعل من المكان والمراد به القدرة على التصرف فيها يقال مكنته ومكنت له قال الله تعالى ولقد مكناكم فى الارض (فنال الخلافة) اى صار خليفة وسلطانا مالكا للبلاد بدعائه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو اشارة الى حديث رواه ابو سعد فيه انه قال له اللهم علمه الكتاب ومكن له فى البلاد وقه العذاب ومعاوية رضى الله تعالى عنه اسلم هو وابوه وامه هند واخوه يزيد فى فتح مكة وقال معاوية انه اسلم فى يوم الحديبية وكتم اسلامه عن ابويه وشهد مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حنينا فاعطاه من غنائم هوازن اربعين اوقية ولما بعث ابو بكر رضى الله تعالى عنه الجيش الى الشام سار هو واخوه يزيد معهم فاستخلفه ابو بكر على دمشق ثم اقره عمر عليها ثم اقره عثمان عليها فلما قتل لم يبايع على الطلبه بدم عثمان ممن كان معه ممن باشر قتله وجرى بينهما ماجرى فى وقعة صفين مما ينبغى الكف عنه وقال صلى الله

تعالى عليه وسلم لمعاوية اللهم اجعله هاديا مهديا وورد فى فضائله احاديث اخر فكان فى اول امره اميرا لابى بكر وعمر وعثمان رضى الله تعالى عنهم فلما قتل عثمان استقر مكانه ولم يمتثل امر على كرم الله تعالى وجهه لاجتهاد اداه لذلك فلما قتل على واستخلف ابنه الحسن رضى الله تعالى عنه سار معاوية الى العراق وسار اليه الحسن ثم رأى ان الخطب عظيم تراق فيه دماء المسلمين فسلم الامر الى معاوية باختيار منه فرجع الى المدينة فتسلم منه معاوية الخلافة واتى الكوفة فبايعه الناس واجتمعوا عليه فسمى ذلك العام عام الجماعة وصار معاوية خليفة حقيقة بعد ماكان الحق مع على كرم الله وجهه كما ارتضاه القاضى ابو بكر ابن العربى لامتغلبا كما اشار اليه المصنف بقوله نال الخلافة فاندفع ماقيل من ان الصواب ان يقول نال الامارة او الملك لقوله صلى الله عليه وسلم الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم يكون ملكا عضوضا وسيأتى الكلام على ذلك كله وكملت الخلافة بمدة الحسن بعد ابيه ستة اشهر وقيل الخلافة بالمعنى اللغوى لانه خلف من قبله اوالخلافة اتباع السنة (و) دعا صلى الله تعالى عليه وسلم (لسعد بن ابى وقاص) اى دعى دعاء مستجابا لسعد بن ابى وقاص رضى الله تعالى عنه كما ورد فى حديث رواه الترمذى مسندا متصلا عن سعد والبيهقى عن قيس بن ابى حازم مرسلا حسنا وابو وقاص كنية ابيه وهو مالك بن وهيب ابن عبد مناف الزهرى القرشى احد العشرة المبشرة بالجنة وهو اول من اراق دما فى الاسلام وهو من الشجعان الذين كانوا يحرسون رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وآخر العشرة موتا مات سنة خمس وخمسين وله بضع وستون اوسبعون سنة وثمانون ودفن فى البقيع ومناقبه مشهورة (ان يجيب الله دعوته) اى كل دعوة له (فادعى على احد الا استجيب له) بالبناء للمجهول والاستجابة بمعنى الاجابة قال

* وداع دعايا من يجيب الى الندا * فلم يجبه عند ذاك مجيب *

واصل معناه الاجابة قال الترمذى قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم استجب لسعد اذا دعاك وعن المقداد رضى الله تعالى عنه ان سعدا قال يا رسول الله ادع الله ان يستجيب دعائى فقال ياسعد ان الله لايستجيب دعاء احد حتى يطيب طعمته فقال ادع الله ان يطيب طعمتى فانى لا اقوى الا بدعائك فقال اللهم اطب طعمة سعد الحديث ودعواته مشهورة مأثورة وقد اجيب له دعوات مخرجة فى الصحيح وغيره (ودعا) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه الترمذى عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما (بعز الاسلام) بان الله يعز الاسلام اى يقويه وينصره ويظهره باحد الرجلين (بعمر) رضى الله تعالى عنه (اوبابى جهل) لما كان يعلم من شدتهما وشجاعتهما وبتفرسه فيهما لاعلى التعيين وكان هذا بمكة قبل الهجرة وتمكن المسلمين من اظهار الدين (فاستجيب له فى عمر) بان هداه الله تعالى واعز به دينه

فسبقت له السعادة وسبقت الشقاوة لابى جهل عمرو بن هشام فرعون هذه الامة لعنه الله فقتل كافرا يوم بدر فى السنة الثانية من الهجرة والمراد بعز الاسلام عز اهله والافهو دائما عزيز لانهم كانوا قبل اسلام عمر لايظهرون صلاتهم عند البيت خوفا من المشركين فلما اسلم رضى الله تعالى عنه قاتلهم حتى صلوا معه عند الكعبة ولذا قال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه كان اسلام عمر فتحا وهجرته نصرا وخلافته رحمة وتشريكه صلى الله تعالى عليه وسلم له فى الدعاء مع ابى جهل لانه لم يتعين عنده احدهما اولم يعينه لامر ما وقد روى من طرق انه صلى الله تعالى عليه وسلم خص عمر بالدعاء فقال اللهم اعز الاسلام بعمر بن الخطاب اللهم ايد الاسلام بعمر وجمع بين الروايتين بانه لما تفرس فيهما الشهامة ونفوذ الكلمة بحيث لايعصى امرهما دعا بذلك ثم لما تبين له باعلام من الله تعالى والهام منه ان اللايق بذلك عمر خصه بدعائه ثانيا وكرره حتى استجيب له وقصة اسلامه مفصلة فى السير (قال ابن مسعود مازلنا اعزة منذ اسلم عمر) لانه اظهر ذلك وقاتلهم فى بلدهم كما فعل حمزة ايضا رضى الله تعالى عنه فكان ذلك ابتداء الظهور وكان ماكان مما لم يجل فى خواطر الامكان (و) مما وقع له صلى الله تعالى عليه وسلم من اجابة دعائه ما رواه البيهقى والحاكم وصححه عن عمر رضى الله تعالى عنه (اصاب الناس فى بعض مغازيه) صلى الله تعالى عليه وسلم (عطش فسأله عمر الدعاء) للناس ان يسقيهم الله من فيض فضله (فدعا فجاءت سحابة) اى ظهرت سحابة عقب دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه استعارة لتشبيهها برجل يسمع نداءه فجاءه فهى تصريحية تبعية اوتخييلية كما فى قوله (فسقتهم) اى شربوا من ماء مطرها وقوله (حاجتهم) مفعوله لتضمينه معنى اعطتهم حاجتهم وهى الماء الذى يزيل عطشهم (ثم اقلعت) اى انجلت وكفت عن المطر بعد قضاء حاجتهم من مائها قيل هذه الغزاة هى غزاة بدر المشار اليها بقوله فى سورة الانفال وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به كما ذكره ابن الجوزى فى الوفاء وساق الحديث بتمامه (ودعا) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه الشيخان عن انس رضى الله تعالى عنه (فى الاستسقاء) اى فى دعائه وطلبه ان يسقيهم (فسقوا) بالبناء للمجهول اى سقاهم الله تعالى عقب دعائه ودام السحاب بمطر (ثم شكوا اليه المطر) اى من كثرته ودوامه المضر بهم (فدعا) الله بان يكف المطر ويقلع السحاب (فصحوا) اى صحت السماء وانكشف غيمها فاسناد الصحو اليهم مجازى وهو بفتح الحاء بزنة رموا وروى بضمها واصله صحووا فنقل وحذف (ودعا لابى قتادة) الحارث بن ربعى الصحابى وقد تقدمت ترجمته وهذا الحديث رواه البيهقى فى الدلائل وبين دعاءه بقوله (افلح وجهك) الفلاح الظفر وادراك البغية وهو دنيوى وهو نيل مايطيب به حيوة الدنيا و البقاء فى عز وغنى واخروى وهو النعيم المخلد والوجه معروف وقد يعبر به

عن الذات كما فى قوله تعالى ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام (اللهم بارك له) اى لابى قتادة رضى الله تعالى عنه وتقدم معنى البركة (فى شعره و بشره) والشعر معروف والمراد به مايستحسن و يعد زينة والبشر ظاهر الجلد والبدن وكنى بذلك عن جملته وجميع بدنه فدعا له صلى الله تعالى عليه وسلم بان يبقى معمرا على احسن تقويم كاملا جميع اعضائه (فمات وهو ابن سبعين سنة وكانه ابن خمس عشرة سنة) فى نضارته وقوته لم يتغير بدنه ولم يشب شعره ببركة دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم له وتوفى بالمدينة سنة اربع وخمسين وقد تقدم ان الفلاح دنيوى واخروى وماذكره من تمام خلقته دنيوى فتمامه يدل على فوزه بالفلاح الاخروى لان الكريم اذا طلب منه امران فعجل احدهما دل على انه يعطى الآخر وانما اقتصر على هذا لانه معلوم مشاهد دال على غيره كما قيل * كما احسن الله فيما مضى * سيحسن الله فيما بقى (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم (للنابغة) الجعدى وهو قيس وقيل حبان بن عبدالله بن عمر بن عدس بوزن عمر وفى الشعراء من لقب بالنابغة غيره كالنابغة الذبيانى ولكنه اذا اطلق يراد به هذا وهو احد المخضرمين المعمرين قيل انه عاش مائتين وثمانين سنة وقيل مائتين واربعين وقيل مائة وعشرين سنة كما يأتى واجتمع بالنبى صلى الله عليه وسلم واخرج له بقى بن مخلد حديثا ومدح النبى صلى الله عليه وسلم بقصيدته الرائية وهى نحو مائة بيت فى غاية البلاغة انشدها بين يديه صلى الله عليه وسلم فدعا له بما ذكره المصنف ولما بلغ قوله فيها * بلغنا السماء مجدنا وسناؤنا * وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا * قال الى اين يا ابا ليلى قال الى الجنة قال نعم ان شاء الله ثم لما انشده صلى الله تعالى عليه وسلم قوله * ولا خير فى علم اذا لم يكن له * بوادر تحمى صفوه ان يكدرا * ولا خير فى جهل اذا لم يكن له * حليم اذا ما اورد الامر اصدرا * قال له صلى الله تعالى عليه وسلم (لايفضض الله فاك) وروى لايفضى الله فاك بضم اوله وسكون ثانيه وكسر الضاد يليها ياء ساكنة مضارع افضى كاعلى يعلى قال المرزوقى فى شرح الفصيح تقول العرب فى الدعاء عليه فض الله فاه وفى الدعاء له لايفضض الله فاه ومصدره الفض ومعناه الكسر و بعض العرب تقول لايفضى الله فاك اى لايجعله فضاء خاليا من الاسنان وهذا كقوله * قد ترك البرنى فاه بلدا انتهى * فعلى الاول الفم مجاز عما فيه من الاسنان وعلى الثانى على حقيقته والنابغة لقب له لانه نبغ فى الشعر اى فاق اقرانه والهاء للمبالغة كعلامة (فما سقطت له سن) ببركة دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم له والسن واحدة الاسنان المعروفة وقد قالوا زيادة السن نقص فى السن فالسن الاول العمر والثانى واحد الاسنان (وفى رواية) لحديث النابغة المذكور (فكان احسن الناس ثغرا) بثاء مثلثة مفتوحة وغين معجمة ساكنة وراء مهملة وهو ما تقدم من الاسنان ويقال اثغر الغلام بتشديد المثلثة واثغر

بتشديد المثناة و يطلق الثغر على الفم و يصح ارادته هنا وثغرا منصوب تمييز (اذا سقطت له سن نبتت له اخرى) مكانها لئلا يخلو فمه من الاسنان (وعاش عشرين ومائة وقيل اكثر من هذا) فقيل مائة واربعين وقيل مائتين واربعين وقيل مائتين وثمانين لان دعائه صلى الله عليه وسلم له بان لا تسقط اسنانه يتضمن الدعاء له بطول العمر وفيه معجزة له صلى الله عليه وسلم باجابة دعوته فيه واكثر اعمار هذه الامة مابين الستين والسبعين ومازاد لا يزيد غالبا على مائة وعشرين و يزعم الاطباء انه العمر الطبيعي وقد زاد بعضهم على ذلك كما استقصاه الاصمعي فى كتاب المعمرين ومنهم سلمان الفارسي وقد اختلفوا فى مدته كما هو مفصل فى ترجمته وفى الحديث ما يدل على ان مدح الشعراء للاشراف غير مكروه وان الاحسان لمن مدحهم بعطية وجائزة او بدعاء وجميل من القول سنة وقصيدة النابغة هذه طويلة بليغة رواها ابن حجر بتمامها فى بعض كتبه ولولا خوف الاطالة اوردناها هنا (ودعا) صلى الله تعالى عليه وسلم (لابن عباس) فى حديث صحيح رواه الشيخان وابن عباس هو عبدالله بن العباس ابن عبد المطلب غلب عليه حتى صار علما بالغلبة له دون سائر بنيه وقوله (اللهم فقهه فى الدين) معمول مقدر اى فقال اوقائلا الى آخره اى فهمه وعلمه قال الراغب الفقه التوصل الى علم غائب بعلم شاهد فهو اخص من العلم قال الله تعالى * ذلك بانهم قوم لا يفقهون * والفقه العلم بالاحكام الشرعية يقال فقه اذا صار فقيها وفقه بمعنى فهم وفقهه فهمه وتفقه اذا طلبه فيخص به كما قال تعالى ليتفقهوا فى الدين انتهى (وعلمه التأويل) اى التفسير وقد يفرق بينهما فيقال التفسير بيان معنى القرآن بما هو مأثور عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اوكبار الصحابة والتأويل بيانه بما تقتضيه قواعد العربية وهو تفعيل من الاول بمعنى الرجوع الى الاصل ومنه الموئل لموضع الرجوع فهو رد الشئ الى الغاية المرادة منه علما كان اوفعلا فالعلم كقوله تعالى وما يعلم تأويله الا الله والفعل كقوله * وللنوى قبل يوم البين تأويل * وقوله تعالى يوم يأتي تأويله اى بيان غايته المقصودة منه وقوله ذلك خير واحسن تأويلا بمعنى احسن معنى وترجمة وقيل احسن ثوابا فى الآخرة فدعاؤه له صلى الله تعالى عليه وسلم بان يعلمه الله الشريعة المحمدية وان يهديه للوقوف على معانى كلامه فاجاب الله دعاءه حتى كان معول الناس عليه فى ذلك (وسمى بعد) بالبناء على الضم اى بعد دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم له او بعد موته صلى الله تعالى عليه وسلم (الحبر) مفعول سمى وهو بكسر الحاء وفتحها ومعناه العالم المتقن الذى تبقى آثاره بعده فاصل معنى الحبر الاثر المستحسن ومنه ذهب حبره وسبره اى جماله و بهاؤه اى كان الصحابة وسائر الناس يسمونه بذلك لان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم توفى وابن عباس ابن عشر اوثلاث عشر اوخمس عشر

سنة على اختلاف فيه (وترجمان القرآن) ترجمان بالضم كعنوان والفتح كزعفران وبفتح اوله وضم الجيم وهو من يفسر لسانا بلسان ويطلق الترجمان على من يبلغ الكلام وللترجمة اطلاقات اخر وفى كلام المصنف رحمه الله تعالى شبه اللف والنشر فان كونه حبر الامة ناظر لقوله فقهه فى الدين وكونه ترجمان القرآن ناظر لعلم التأويل والتفسير ودعاؤه صلى الله تعالى عليه وسلم لابن عباس وقع مرارا وروى من طرق صحيحة منها ماروى عنه انه قال اتى صلى الله تعالى عليه وسلم الخلاء فوضعت له وضوءا اى ماء يتطهر به فقال من صنع هذا فقالوا ابن عباس فقال اللهم الى آخره قال ابن المنير مناسبة الدعاء لما فعله انه يدل على ذكائه لعلمه بانه محتاج لطلب الماء فبادر لذلك وكان عند خالته ميمونة ليلا وهو المخبرة له صلى الله تعالى عليه وسلم بما صنعه وفى رواية علمه الكتاب وزده علما وفهما ووضع يده الشريفة على كتفه وفى رواية انه صلى الله تعالى عليه وسلم ضمه لصدره واول من لقبه بترجمان القرآن ابن مسعود وكان اعلم الناس بالفقه والفرائض واشعار العرب وايامها وكان يجلس لافادته فكان لا يسأل عن شئ الا وجد عنده علم منه كل ذلك ببركة دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم (ودعا) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه البيهقي عن عمر ابن حريث (لعبدالرحمن بن جعفر) بن ابى طالب بن عبد المطلب فعبدالله هاشمى مدنى صحابى ولد بالحبشة وتوفى سنة تسعين اوثمانين وروى عنه احاديث عدة وجعفر هو الطيار ذو الجناحين وكان عبدالله ولده من اسخى الناس حتى لقب بحر الجود وقطب السخاء (بالبركة) اى الزيادة والنماء (فى صفقة يمينه) اى فى بيعه وشرائه ومعاملته وسمى ذلك صفقة لانهم كانوا اذا تبايعوا يصفق احدهم يده بيد الآخر والصفقة ضرب اليد بصوت وذكر اليمين لان الاكثر فى الاخذ والعطاء بهما تيمنا (فما اشترى شيئا الا ربح فيه) اى وجد فيه ربحا وفائدة (ودعا) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه البيهقي فى الدلائل وابو نعيم (للمقداد) بن الاسود والمقداد هو ابن عمرو بن ثعلبة و يأتى انه اشتهر بابن الاسود لانه تربى فى حجره وهو صحابى مشهور توفى فى خلافة عثمان رضى الله تعالى عنه (بالبركة) اى الزيادة فى ماله (فكان عنده غرائر من المال) ببركة دعائه صلى الله عليه وسلم له والغراير جمع غرارة بكسر الغين المعجمة وهى معروفة وقال الجوهرى اظنها معربة قال ابو نعيم قالت ضباعة بنت الزبير وهى زوجة المقداد خرج المقداد يوما لقضاء حاجته فبينما هو جالس خرج جرذ من جحره بدينار ولم يزل يخرج دينارا دينارا حتى بلغ سبعة عشر فجاء بها المقداد للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم واخبره بخبره فقال له ادخلت يدك فى الجحر قال لا والذى بعثك بالحق فقال صدقة تصدق الله بها عليك بارك الله لك فيها قالت ضباعة فما فنى اخرها حتى رأيت غراير الورق فى بيت المقداد انتهى (ودعا

بمثله اى بمثل ما دعى للمقداد وغيره فى حديث رواه البخارى والدار قطنى واحمد فى مسنده (لعروة بن ابى الجعد) البارقى وقيل الازدى واختلف فيه فقيل عروة بن ابى الجعد وقيل ابن الجعد وهو صحابى مشهور اخرج له الستة واحمد وبارق بطن من الازد نزلوا عند جبل يقال له بارق فنسبوا اليه قيل من قال ابن الجعد فقد اخطأ وولاه عمر قضاء الكوفة (قال) عروة (فلقد كنت) جواب قسم مقدر (اقوم بالكناسة) بضم الكاف معناها القمامة ثم صارت علما لسوق مشهور بالكوفة وقيل انه يجوز ان يراد به حقيقته اى اقوم بمقام حقير يستبعد الكسب فى مثله وهو بعيد (فما ارجع) اى اعود من المحل الذى قمت فيه (حتى اربح اربعين الفا) لما يبيعه ويشتريه (وقال البخارى فيه) اى فى حديث عروة (فكان) عروة رضى الله تعالى عنه (لو اشترى التراب ربح فيه) ببركة دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم (وروى مثل هذا) اى مثل حديث عروة المذكور (لغرقدة ايضا) بفتح الغين المعجمة وسكون الراء المهملة وقاف ودال مهملة واحدة الغرقد وهو شجر معروف له شوك يسمى العوسج والعضاة وبه سمى بقيع الغرقد وهو مقبرة اهل المدينة وغرقدة صحابى يسمى اباسبيب روى عنه ابنه (وندت له ناقة) الضمير للنبى صلى الله عليه وسلم وند ماض بفتح النون وتشديد الدال المهملة بمعنى نفرت وشردت حتى غابت عن نظره فلا يراها واصل معناه انفردت عن اندادها وهذا يختص بالابل ونحوها فلا يقال ند الرجل وليس ضميره لعروة كما توهمه بعضهم (فجاء بها اعصار ريح) الاعصار بحروف مهملة ريح شديدة تثير غبارا ويرتفع الى السماء كانها عمود وهى الزوابع وقيل ريح تثير سحابا ذات رعد وبرق والمراد الاول هنا (حتى ردها) الاعصار (عليه) اى على النبى صلى الله عليه وسلم وهذا الحديث لم يخرجوه وكون الضمير لغرقدة لايناسب المقام وان اتفقوا عليه والظاهر ماقلناه وليس من هذا ايضا كما فى الشرح الجديد ماوقع فى غزوة بنى المصطلق لانها هاجت فيها ريح شديدة فاذتهم وكانت ناقته صلى الله تعالى عليه وسلم ضلت ليلا فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم انها هبت لموت عظيم من الكفار وهو رفاعة بن زيد فقال بعض المنافقين ايزعم محمد انه يعلم الغيب وهو لايعلم مكان ناقته فاتاه جبريل واخبره بما قاله وبمكان ناقته بالشعب الى آخر القصة اذ ليس فيها ان الريح ردت الناقة عليه فلعل المصنف وقف عليه من طريق آخر فيه رد الريح (ودعا) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه مسلم فيه انه دعا (لام ابى هريرة) رضى الله تعالى عنهما بان يهديها الله للاسلام وكانت مشركة (فاسلمت) وهداها الله للاسلام وحازت شرف الصحبة واسمها امية بنت صبيح بن الحارث ابن دوس كما ذكره ابن شكوال وابوها صبيح بالموحدة وقيل صفيح بالفاء وقيل اسمها ميمونة وحكى القولين ابن الاثير فى اسد الغابة واما ابو هريرة فقد تقدم الكلام على

اسمه والخلاف فيه وكان رضى الله عنه حريصا على اسلامها فدعاها للاسلام فاسمعته مايكره حق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاتاه وهو يبكى وقال له انى كنت ادعوها للاسلام فتأبى فدعوتها اليوم فاسمعتنى فيك ما اكره فادع الله ان يهديها فقال اللهم اهد ام ابى هريرة فخرج مستبشرا بدعائه صلى الله تعالى عليه وسلم فلما اتى الباب سمعت خشف اقدامه فقالت مكانك يا اباهريرة فسمع صب الماء فاغتسلت ولبست درعها وخمارها وفتحت له الباب فلما دخل قالت يا اباهريرة انى اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فرحا وقال ابشر يارسول الله فقد اجيبت دعوتك وهدى الله تعالى امى للاسلام فحمد الله تعالى فقال يارسول الله ادع الله ان يحببنى انا وامى الى عباده المؤمنين ويحببهم الينا فقال اللهم حبب عبدك هذا وامه الى عبادك وحببهم لهما فكان لايسمع به احدا ويراه الا احبه كما ذكره مسلم والبيهقى فى دلائله (ودعا) صلى الله عليه وسلم (لعلى) بن ابى طالب فى حديث رواه البيهقى وابن ماجة بسند صحيح متصل بعلى رضى الله تعالى عنه (ان يكفى) بالبناء للمجهول اى ان يكفيه الله تعالى بفضله (الحر والقر) اى المهما وهو بفتح الحاء وتشديد الراء المهملتين وهو ضد البرد والحرارة سخونة تعرض للهواء من نحو الشمس والنار ومنها مايعرض للبدن من الطبيعة كحرارة المحموم والقر بضم القاف وتشديد الراء هو البرد ويخص ببرد الشتاء كما يخص الحر بحرارة الصيف وهو المراد وحكى ابن قتيبة تثليث قافه فيجوز فتحها هنا للازدواج واصله من القرار لان البرد يقتضى السكون والحر يقتضى الحركة كما قاله الراغب (فكان) على رضى الله تعالى عنه بعد دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم له (يلبس) فى زمن (الشتاء ثياب الصيف) الخفيفة كالقميص الواحد (وفى) زمن (الصيف ثياب الشتاء) وهى المضربات المحشوة والثياب الثخينة (ولا يصيبه) اى لايجد ويحس (حر ولا برد) اى المهما ويقصد باظهار ذلك انه اختص بامر يخالف به غيره لدعائه صلى الله تعالى عليه وسلم له فاذا كان لايضره شدة حر الصيف لاسيما فى الحجاز ولا شدة برد فصل الشتاء فغيره بالطريق الاولى وكان دعاؤه صلى الله تعالى عليه وسلم له بخيبر لما اصابه بها رمد شديد قال عبد الرحمن ابن ابى ليلا كان على رضى الله تعالى عنه يلبس فى الحر القباء المحشو الثخين ولايبالى بشدة الحر ويخرج فى البرد الشديد بثوب خفيف ولا يبالى فسئل عن ذلك فقال صلى الله عليه وسلم انه اعطى الراية يوم خيبر ابابكر ثم عمر فلم يحصل فتح على يديهما فقال لاعطين الراية اليوم رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله خيبر على يديه فدعانى واعطانى الراية وكان بى رمد شكوته له صلى الله تعالى عليه وسلم فقال اللهم اكفه الحر والبرد فما وجدت لهما الما بعد ذلك وانما دعا له برفع الحر والبرد مع ان تألمه رضى الله تعالى عنه كان من الرمد ووجع العين لانه صلى الله تعالى عليه وسلم علم ان رمده كان من

زيادة الدم الذى حصل له من الحر فدعاله بدفع سبب ذلك وزاد عليه دفع ألم البرد لانه ضده فربما اذاه لقوته بعدم ضده وروى يسبئه من الاساءة ويسوءه من السوء بدل قوله يصيبه والمعنى واحد (ودعا) صلى الله تعالى عليه وسلم (لفاطمة ابنته) رضى الله تعالى عنها فى حديث رواه البيهقى عن عمران بن حصين (الله) مفعول دعا وفى نسخة ان الله (ان لايجيعها) اى ان لايجعلها متألمة من الجوع وترك الطعام واكله (قالت) فاطمة رضى الله تعالى عنها (فاجعت) بضمير المتكلم (بعد) مبنى على الضم اى بعد دعائه وبركته قال عمران بن حصين كنت معه صلى الله تعالى عليه وسلم فاقبلت فاطمة ووقعت بين يديه فنظر اليها وقد اصفر وجهها من الجوع فوضع يده على صدرها وقال اللهم مشبع الجاعة ورافع الوضيعة ارفع فاطمة بنت محمد قال عمران فرأيت وجهها وقد احمر وذهبت صفرته ثم جئتها فقالت ماجعت ياعمران قال البيهقى بعد ماذكر الحديث هذا كان قبل نزول آية الحجاب وذكر دفع الجوع عنها بعد رفع الحر والبرد عن على لمابينهما من المناسبة ممالايخفى (وسأله) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه ابن اسحق بلاسند والبيهقى عنه وابن جرير من طريق الكلبى (الطفيل ابن عمرو) بضم الطاء المهملة المشددة والفاء المفتوحة وسكون المثناة التحتية واللام كتصغير عقيل بن عمرو بن طريف بن العاص بن ثعلبة ابن سليم الازدى الدوسى ويقال له ذوالنور وقتل فى وقعة اليمامة وتقدم ان وقعتها كانت فى ربيع الاول سنة اثنى عشرة فى خلافة ابى بكر رضى الله تعالى عنه وقيل فى عام اليرموك فى خلافة عمر رضى الله تعالى عنه وهو من كبار الصحابة ومن اصحاب النور وهم ستة اسيد بن حضير بضم الهمزة وعباد بن بشر وحمزة بن عمرو الاسلمى وقتادة ابن النعمان كما يأتى والطفيل هذا والحسن بن على رضى الله تعالى عنهم ولكل منهم قصة مذكورة فى محلها (آية لقومه) مفعول سأل اى سأله صلى الله تعالى عليه وسلم معجزة تكون معه يؤمن بها قومه اذادعاهم للاسلام وكان آمن بالنبى صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة ودعا قومه فلم يطيعوه فقال يارسول الله ان دوسا قد عصت وابت فادع عليها فقالوا هلكت دوس ان دعا عليها فقال اللهم اهد دوسا فعلم ان الله تعالى سيهديهم ببركة دعائه فطلب الطفيل منه صلى الله تعالى عليه وسلم ان يريهم آية يهتدوا بها (فقال اللهم نور له) الضمير للطفيل اى اجعل معه نورا يكون آية لصدقه رضى الله عنه (فسطع له نور بين عينيه) اى ظهر بين عينيه نور ساطع واصل معنى السطوع الارتفاع والظهور وهو المراد هنا (فقال) اى الطفيل لما علم بذلك النور الذى بين عينيه (يارب انى اخاف) من قومى اذا رأوا ذلك النور (ان يقولوا مثلة) خبر مبتدأ مقدر اى هو وهذا مثلة بضم الميم وسكون المثلثة ولام بعدها هاء وهو التنكيل والعقوبة وتغيير الخلقة الاصلية بقطع بعض الاعضاء وتسويد الوجه

ونحوه وهذا هو المراد هنا اى خشى ان يعدوه عارا لتوهم انه برص ونحوه وجوز بعضهم نصبه وفتح ميمه وكسرها وهو تكلف لاداعى له (فتحول) ذلك النور (الى طرف سوطه) اى لما شكى الى الله تعالى مايخافه وتضرع اليه انتقل ذلك النور من بين عينيه الى سوط كان معه والسوط فى الاصل بمعنى الخلط فسمى به مايعد للضرب من جلد ونحوه وهو معروف (فكان) اى سوطه (يضئ فى الليلة المظلمة) كالشمع والمصباح (فسمى) الطفيل (ذاالنور) اى صاحب النور لذلك وروى الظلماء بدل المظلمة ولا اشكال فى شئ من ذلك كما توهمه بعضهم واغرب منه انه قال روى صوته بصاد مهملة ومثناة فوقية ثم تكلم فى تأويله بخرافات لاينبغى تسويدها لوجه الصحف وقصة الطفيل كما نقله ابن عبد البر عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال كان الطفيل سيدا مطاعا فى قومه وشاعرا بليغا فقدم مكة ومشى لقريش فقالوا له انك سيد قومك وانا نخشى ان يلقاك هذا الرجل يعنون رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيصيبك فانه يفرق بين المرء وزوجه وولده فمازالوا ينهونى ويحذرونى منه حتى قلت لهم لا ادخل المسجد الا سادا اذنى فحشوتهما كرسفا اى قطنا ودخلت المسجد فاذا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قائما قريبا منى وابى الله الا ان يسمعنى قوله فقلت فى نفسى ان هذا العجز وانا امرؤ ثبت لايخفى على الحسن والقبيح والله لاسمعنه فان كان رشدا اخذته اوغيا تركته فنزعت مابأذنى واستمعت له فلم اسمع باحسن واحلى مما قاله وانتظرته صلى الله تعالى عليه وسلم حتى انصرف وتبعته فدخلت منزله معه وقلت له يامحمد ان قومك قالوا كذا وكذا وقد سمعت ماقلت ووقع فى نفسى انه حق فاعرض على دينك وما تأمر به وتنهى عنه ففعل فاسلمت ثم قلت يارسول الله انى راجع الى دوس وانا فيهم سيد مطاع وانا داعيهم الى الاسلام فادع الله تعالى ان يجعل لى آية تكون عونا لى عليهم فقال اللهم اجعل له آية قال فخرجت حتى اشرفت على حاضرة دوس ولى هناك اب شيخ كبير وامرأة وولد فلما علوت الثنية ظهر بين عينى نور كالشهاب فقلت اللهم فى غير وجهى فانى اخشى ان يظنوه مثلة لفراق دينهم فتحول فى رأس سوطى فلقد رأيتنى اسير وانه على رأس سوطى كأنه قنديل معلق فيه فلما قدمت عليهم اتانى ابى فقلت اليك عنى فلست منك ولست منى فانى اسلمت واتبعت دين محمد فقال اى بنى ان دينى دينك فاسلم وحسن اسلامه ثم اتتنى صاحبتى فقلت لها كما قلت لابى فاسلمت وحسن اسلامها واغتسلت ثم دعت دوسا فابت وتعاصت على فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة فقلت يارسول الله ان دوسا غلب عليها الزنا والربا فادع عليهم فقال اللهم اهد دوسا فرجعت اليهم واقمت بين ظهرانيهم ادعوهم الى الاسلام حتى استجاب لى منهم من استجاب ثم قدمت المدينة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم بعد احد والخندق بثمانين

اوسبعين من اهل يمنى حتى فتحت مكة وارسله رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لاحراق صنم عمرو بن حممة فاحرقه واقام معه حتى قبض ثم بعثه ابو بكر الصديق رضى الله عنه الى مسيلمة فاستشهد باليمامة وقيل باليرموك فى خلافة عمر رضى الله عنه كما تقدم (ودعا على مضر) اى انه صلى الله تعالى عليه وسلم كما ورد فى حديث صحيح رواه الشيخان والنسائى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما والبيهقى عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه دعا عليهم ومضر اسم قبيلة عظيمة سميت باسم الجد وهو مضر بن معد بن عدنان وفى وجه تسميته اختلاف وتسمى مضر الحمراء وتسمى مضر ربيعة وقبيلة ربيعة الفرس لان نزارا ابوهم اوصى لمضر بالذهب وهو قد يؤنث فيوصف بالحمرة ويقال ذهب حمراء واعطى ربيعة الخيل فقال لها ربيعة الخيل وكان شعارهم فى الحرب العمايم والرايات الحمر وشعار اهل اليمن الصفر وبه فسر قول ابى تمام فى الربيع

*محمرة مصفرة فكانما *عصبت تمن فى الوغى وتمضر*

ومضر ابو قريش (فاقحطوا) بالبناء للمجهول اى اصابهم القحط لاحتباس المطر عنهم حتى كادوا يهلكون ويهلك دوابهم فيكون بناؤه للفاعل قيل وهو الافصح لانه لازم والهمزة للصيرورة لا للتعدية (حتى استعطفته قريش) اى سألوه صلى الله تعالى عليه وسلم ان يعطف عليهم ويرحمهم بدفع القحط عنهم وما حل بهم من البلاء (فدعا) الله (لهم) ان يمطرهم ويزيل قحطهم (فسقوا) اى سقاهم الله تعالى عز وجل وامطر ارضهم فزال عنهم القحط بدعائه صلى الله تعالى عليه وسلم سريعا وكان دعاؤه صلى الله تعالى عليه وسلم لما لم يجيبوا دعوته انه قال اللهم اجعلها عليهم سنينا كسنى يوسف فاقحطوا حتى اكلوا الجراد والدم والعظام فقال له ابو سفيان اوكعب بن مرة انك تأمر بصلة الرحم وان قومك قد هلكوا فادع الله لهم فقال اللهم اسقنا غيثا مريعا طبقا غدقا عاجلا غير رائث نافعا غير ضار فما اتى عليهم جمعة حتى مطروا كما رواه ابو نعيم فى الدلائل (ودعا) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه الشيخان عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما (على كسرى) بكسر الكاف وقد تفتح كما مر وهو معرب خسرو وهو لقب لكل من ملك الفرس واسم هذا الذى كتب اليه النبى صلى الله عليه وسلم كتابا يدعوه فيه الى الاسلام ابرويز بن هرمز وهو من اولاد انوشروان قيل ابرويز معناه المظفر وانوشروان معناه مجدد الملك كما قاله السهيلى رحمه الله (حين مزق كتابه) الذى بعثه صلى الله عليه وسلم اليه يحثه فيه على الاسلام وسعادة الدارين وكان بعثه صلى الله عليه وسلم مع عبد الله بن حذافة السهمى قيل مع غيره فقطعه تحقيرا به وقيل جعله هدفا ورماه بالسهام حتى تمزق تحبرا منه وقيل لانه كتب اسمه فوق اسمه وصورة الكتاب * بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله

وشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ارسله الى الناس كافة لينذر من كان حيا ويحقق القول على الكافرين اسلم تسلم فان توليت فان عليك اثم المجوس وقوله حين مزق كتابه وان كان الدعاء بعده حين بلغه خبره بعد زمان اما لان المراد زمان ممتد لان الحين يطلق على مطلق المدة كما فى قوله هل اتى على الانسان حين من الدهر او المراد حين بلغه تمزيقه ففيه تقدير فما قيل انه كان ينبغى ان يقول من اجل تمزيقه كتابه ليس بشئ (ان يمزق الله ملكه) معمول دعا اى بان يمزق الى آخره باهلاكه وانتقال ملكه لغيره فمزق كل ممزق (فلم يبق له) اى لكسرى او لملكه (باقية) اى نفس باقية من عقبه او مصدر بمعنى بقية وبقاء والمصدر يكون بوزن فاعلة قليلا (ولا بقيت لفارس) هو معرب بارس بالباء المعجمة ويطلق على القبيلة وعلى بلادهم (رياسة) اى ملك ونفاذ كلمته (فى اقطار الدنيا) وفى نسخة البلاد اى فى جميع نواحيها فقطع الله دابرهم وافناهم بدعائه صلى الله تعالى عليه وسلم عليهم لما عصوه وتجبروا فلم يزل امره فى انحطاط حتى قتله ابنه شيرويه ثم مات ابنه بعده بزمن يسير ومالت دولتهم حتى انقرضوا كما فصل فى التواريخ والحديث فى البخارى والكلام عليه مبسوط فى شروحه (ودعا) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه ابو داود والبيهقى انه دعا (على صبى) صغير قال ابن حبان اسم الصبى يزيد بن بهرام وقيل انه لا يعرف اسمه وحديثه ضعيف وقال الذهبى اظنه موضوعا لانه اشكل عليهم بان الصغير غير مكلف فكيف يدعو صلى الله عليه وسلم مع رأفته به وما اجاب به البرهان الحلبى من ان الاحكام انما تعلقت بالبلوغ بعد احد كما قال التقى السبكى او بعد الهجرة كما قاله غيره او هو من باب خطاب الوضع المتعلق بالاتلاف وهو لا يشترط فيه التكليف لا يخفى ما فيه على بعده وابعد منه واغرب ما قيل ان الله اطلعه صلى الله تعالى عليه وسلم على حال هذا الصبى وانه سيصير متعديا وانه لو لم يكن كذلك اضر بالناس فلذا دعا عليه كما اطلع الخضر عليه الصلاة والسلام على حال الغلام الذى قتله وانه لو عاش كان كافرا وقد قرر ائمة الحديث انه صلى الله عليه وسلم له ان يحكم بالباطن احيانا كما يحكم بالظاهر وانه من خصائصه صلى الله عليه وسلم وقد افرده السيوطى بجزء الفه فيه الا انه هنا تعسف لا يلتفت اليه (قطع عليه صلاته) بمروره بين يديه صلى الله تعالى عليه وسلم وقطع الصلاة مجاز عن افسادها قبل تمامها حتى يحتاج للاعادة والمصلى اذا صلى فى غير العمران يستحب له ان يجعل بين يديه سترة تمنع المار عن المرور بينه وبين القبلة وينبغى ان تكون مرتفعة ارتفاعا ما فكانه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكن له سترة فى هذه الصلاة اوكانت ومر الصبى بينه وبين السترة وحينئذ فلو مر انسان او حيوان لا يقطع صلاته عند الجمهور من المحدثين والفقهاء ولا يفسدها كما صرحوا به وذهب بعضهم الى انه يقطعها لانه ورد فى احاديث صحيحة منها ما رواه ابو ذر انه صلى الله تعالى عليه وسلم

قال اذا قام احدكم يصلى بسترة مايضعه بين يديه مثل آخرة الرجل فاذا لم يكن ذلك فانه يقطع صلاته الحمار والمرأة والكلب الاسود وخصه لانه ورد فى الحديث الكلب الاسود شيطان وقد علمت ان الجمهور على خلافه فقيل انه منسوخ وقيل انه مأول والمعنى يقطع خشوعه فى صلاته وهو صلى الله تعالى عليه وسلم واذا كان لايشغله عن الله شئ فعله تشريعا لامته (ان يقطع الله اثره) معمول دعا اى دعا صلى الله تعالى عليه وسلم على ذلك الصبى بان يقطع الله اثره والاثر بفتحتين مايؤثره بمشيه وغيره ويبقى بعده علامة عليه وقطع الاثر يكنى به عن الاكثر عن الفناء والذهاب بالكلية فيقال مابقى له عين ولااثر كما قيل * الدهر يفجع بعد العين بالاثر * فما البكاء على الاشباح والصور * وهو هنا كناية عن كونه زمنا مقعدا لان الاثر انما يكون من المشى فاذا انقطع مشيه انقطع اثره كما تقرر ويجوز ان يراد المعنى الحقيقى فلذا قيل انه كناية لامجاز كما اشار اليه بقوله (فاقعد) الصبى وصار مقعدا زمنا لايمكنه المشى ليبس اعصاب رجله التى يتحرك بها وروى ان يقطع الله دابره والدابر فى الاصل الآخر كما فى قوله فقطع دابر القوم الذين ظلموا اى آخرهم فلم يبق منهم احد فاستعير هنا للزمانة بان يسلبه الله قوة مشيه وهذا رواه ابن حبان عن ابن مهران قال رأيت مقعدا بتبوك يسمى يزيد بن بهرام يقول مررت بين يدى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يصلى فقال اللهم اقطع اثره فما مشيت بعد وقد سمعت مافيه (وقال) صلى الله عليه وسلم فى حديث رواه مسلم عن سلمة ابن الاكوع انه صلى الله عليه وسلم قال (لرجل) قال البرهان الحلبى اسم هذا الرجل بسر بضم الموحدة وسكون السين وراء مهملتين ومن اعجمه فقد صحف وهو بسر بن راعى العير الاشجعى (رآه يأكل بشماله كل بيمينك) ارشاد له للسنة فان الاكل بغير اليمين مكروه وقوله كل الخ مقول القول (فقال لااستطيع) اى لااقدر على الاكل بيمينى (فقال) له صلى الله تعالى عليه وسلم (لا استطعت) بتاء الخطاب وهو دعا عليه بان يسلبه الله القدرة على الاكل باليمين (فلم يرفعها) اى يده اليمنى لانها مؤنثة سماعا اى لم يقدر بعد دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم عليه ان يرفع يده اليمنى (الى فيه) ويحركها لانها شلت وبطل عملها بها لانه صلى الله تعالى عليه وسلم امره بالتيمن وهو سنة بالاكل والشرب لقوله اذا اكل احدكم فليأكل بيمينه واذا شرب فليشرب بيمينه فلايتركه الالعذر وقد علم صلى الله عليه وسلم انه لاعذر له وانه انما لم يمتثل امره الالتكبره ولذا قال المصنف فى شرح مسلم انه كان منافقا الا ان الذهبى قال انه صحابى جليل فيحتمل انه كان كذلك فى اول امره ثم لما ظهرت له هذه الآية تاب واخلص لله فلااشكال فيه وماقيل من ان ترك المندوب لايقتضى استحقاق العقاب ليس بشئ لان مخالفة امره صلى الله تعالى عليه وسلم مشافهة بغير عذر لاتجوز

ولبس هذا الرجل جاهليا كما توهم هذا القائل خبط وخلط هنا على عادته ولبس فى قوله قال دون دعا اشارة لما توهمه (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه الحاكم والبيهقى وابن اسحق من طرق صحيحة مسندة (لعتبة بن ابى لهب) الجهنى عدو الله ورسوله واسمه عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم المشهور وكان له ثلاثة اولاد عتبة وعتيبة بالتصغير ومعتب اسلم منهم اثنان يوم الفتح ولم يهاجرا من مكة وبقى واحد منهم على الكفر وهو عقير الاسد وكان عنده ابنة للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فطلقها فاذاه فدعا عليه بما يأتى فافترسه الاسد بالزرقاء من ارض الشام كما رواه الحاكم من حديث ابى نوفل وقال انه صحيح الاسناد قال تجهز ابولهب وابنه عتبة الى الشام فنزل بالسراة قريبا من صومعة راهب فقال لهم الراهب هنا سباع فاحذروا على انفسكم فقال ابولهب لمن معه انتم عرفتم سنى وحقى قالوا اجل فقال ان محمدا دعا على ابنى فاجمعوا امتاعكم على هذه الصومعة وافترشوا لابنى عليها وناموا حوله ففعلوا ونام عتبة فوق متاع عال فجاء اسد فشم وجوههم ووثب على عتبة فقطع رأسه وذهب وقيل انه لم يأكله لما فيه من خبث الطوية ببعض خير البرية الا انه قيل ان العقير عتيبة مصغر وان عتبة اسلم وحسن اسلامه فهو من كبار الصحابة والصواب عتيبة وقال البرهان ان الذى فى نسخ الشفاء بالتكبير وكذا صححه بعضهم وقال الذى اسلم عتيبة بالتصغير والمشهور ان المصغر عقير الاسد والمكبر هو الصحابى كما فى بعض النسخ مما خالفه على قول خلاف المشهور انتهى فقد علمت الاختلاف فيه وفى النسخ والاصح منها (اللهم سلط عليه كلبا من كلابك) قال فى حيوة الحيوان الاسد يسمى كلبا لانه يشبه فى بعض احواله ويرفع رجله اذا بال فلما اضاف الكلب الى العظيم علم انه اعظم مايسمى بذلك الاسم كما قاله الثعالبى والى ذلك اشار بقوله (فاكله الاسد) وفى دلائل النبوة للبيهقى كانت ام كلثوم ابنته صلى الله تعالى عليه وسلم فى الجاهلية تحت عتيبة بن ابى لهب واختها رقية تحت اخيه عتبة فلما نزل تبت يدا ابى لهب وتب قال ابولهب لابنيه رأسى من رأسيكما حرام وان لم تطلقا ابنتى محمد وقالت امهما حمالة الحطب مثله فطلقها عتبة واتاه صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له انى طلقت ابنتك فانى لاحبك ولاتحبنى وشق ازاره وسفه عليه فقال صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم سلط الخ ثم خرج فى نفر من قريش الى الشام فكانت قصة الاسد وفى روايتها وتسمية ابنه اختلاف كما مر ولاخلاف فى اصل القصة وقد ذكرها حسان رضى الله تعالى عنه فى شعره (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم (لامرأة يأكلك) وفى نسخة اكلك (الاسد فاكلها) الاسد قال البرهان الحلبى هذه المرأة لااعرفها وذكر غيره انها بنت المطعم الانصارية فانها اتت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو مولى ظهره الشمس فضربت منكبه فقال من هذا اكله الاسد فقالت انا ابنة مطعم الطير ومبارى الريح ابوابل جئت لاعرض نفسى عليك لتزوجنى فقال قد فعلت فرجعت الى قومها واخبرتهم الخبر فقالوا انت

امرأة غيرى وللنبي صلى الله تعالى عليه وسلم نساء فيدعو عليك فرجعت وقالت له اقلني فاقالها وتزوجت بغيره فبينما هي في حائط بالمدينة افترسها ذئب فالاسد هنا بمعنى الحيوان المفترس فلا يقال ان دعوته صلى الله عليه وسلم عليها لم تتحقق وهذا الحديث سقط من بعض النسخ (و) من ذلك (حديثه) صلى الله تعالى عليه وسلم (المشهور) الذي رواه مسلم والبخاري (عن عبد الله بن مسعود في دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم على قريش) قبل الهجرة بمكة (حين وضعوا) اي حين اذ وضع بعض منهم فهو من اضافة ما للبعض الى الكل (السلا) بفتح السين المهملة واللام المخففة مقصور وهو جلد رقيق يخرج مع الولد من بطن امه ملفوفا فيه قيل وهو كالمشيمة من المرأة وفي النهاية الاول اشبه لان المشيمة انما تخرج بعد الولد والسلا وهو للمواشي ان نزع عنه ساعة يولد بقي حيا والا هلك وكذا اذا انقطع في البطن ويقال للولد بعينه سلا ايضا تسمية له باسم محله ويكون فيه دم ونحوه (على رقبته) الشريف والرقبة مؤخر اصل العنق عند الكتفين (وهو ساجد) عند البيت في صلاته والجملة حالية (مع الفرث والدم) حال من السلا والفرث بالفاء وراء مهملة وثاء مثلثة وهو السرجين ما دام في الكرش (وسماهم) فاعل سمى ضمير ابن مسعود وضمير المفعول لقريش وهو يدل على ان المراد بعضهم لا الجميع كما اشرنا اليه وهم المستهزؤن المذكورون في الاية وكانوا سبعة كما تقدم ويحتمل ان فاعل سمى هو النبي صلى الله عليه وسلم وهو الذي صرح به سياق اصل الحديث (فقال) ابن مسعود (فلقد رأيتهم قتلوا يوم بدر) فاجاب الله تعالى دعوته صلى الله تعالى عليه وسلم فيهم وحديث ابن مسعود هذا في الصحيحين كما مر قال انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يصلي عند البيت وابو جهل واصحاب له جلوس فقال بعضهم لبعض ايكم يجيء بسلا جزور بني فلان فيضعه على ظهر محمد اذا سجد فانبعث اشقى القوم فجاء به وانتظر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حتى سجد فجعله بين كتفيه وانا انظر فجعلوا يضحكون ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا يرفع رأسه حتى جاءت فاطمة رضي الله تعالى عنها فطرحته عنه فرفع صلى الله عليه وسلم رأسه الشريف ثم قال اللهم عليك بقريش ثلاث مرات اللهم عليك بابي جهل وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وامية بن خلف وعقبة ابن ابي معيط وعمارة بن الوليد وعدهم والذي جاء بالسلا والقاه عقبة وهو اشقاهم لمباشرته الفعل كاشقى ثمود والكلام على الحديث مفصل في شروح البخاري واما استمراره صلى الله تعالى عليه وسلم في سجوده مع ما عليه من النجاسة المفسدة للصلوة فقد اجابوا عنه باجوبة منها انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يرها حتى تحقق نجاستها وكان هذا في آخر الصلوة فلا يلزم اعادتها مع انه كان قبل الهجرة وتحقق شروط الصلوة المفروضة ثم انه قبل انهم كلهم لم يقتلوا ببدر ولم يلقوا في قليبها

فان عقبة بن ابي معيط اسر ببدر ثم قتله صلى الله تعالى عليه وسلم بعد مرحلة منها وعمارة بن الوليد مات بالحبشة فقيل انه باعتبار اكثرهم وغالبهم على ما فيه (ودعا) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه البيهقي مسندا من طرق صحيحة (على الحكم ابن ابي العاص) بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي القرشي الاموي وهو ابو مروان وعم عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه وهو ممن اسلم في الفتح (وكان) اي الحكم (يختلج بوجهه) اي يحرك وجهه وبعضه كحاجبه وعينيه (ويغمز) بعينيه اي يحركهما مشيرا بهما وهو جالس (عند النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) قاصدا باشارته وغمزه لمن يراه ثمة من المنافقين ونحوهم ان ما حدث به الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم لا اصل له كما اشار اليه بقوله (اي لا) فهو تفسير للغمز بالمراد منه وليس المراد بالغمز هنا العيب كما قيل لانه غير مناسب هنا وان كان ورد بهذا المعنى في اللغة فلا وجه لتفسير يغمز بيعيب لانه كان يخبر المنافقين باسراره صلى الله تعالى عليه وسلم ولا لما قيل انه كان يحرك ذقنه وشفتيه محاكاة لفعله صلى الله تعالى عليه وسلم (فرآه) صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يختلج (فقال) له (كن كذلك) دعا عليه بان لا يزال وجهه يختلج وفي نسخة كذلك كن (فلم يزل يختلج الى ان مات) بدعائه وكان موته في خلافة عثمان قبل فتنته والقيام عليه باشهر وكان صلى الله تعالى عليه وسلم اخرجه من المدينة ونفاه الى الطائف ومعه ابنه مروان وقيل ان مروان ولد بالطائف فلم يزل بها الى ان رده عثمان في خلافته فكان بسبب رده وابنه ما كان ولما توفي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سئل عثمان ابا بكر رضي الله تعالى عنه في رده فقال ما كنت لارد من نفاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني سألت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رده فوعدني به فقال ابو بكر رضي الله تعالى عنه اني لم اسمع ذلك ولم تكن معه بينة ثم لما ولي عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه سأله ذلك فقال كما قال ابو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه فلما تولى عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه عمل بعمله ورده فلا وجه للتشنيع عليه بذلك والطعن بسببه في خلافته كما تزعم الشيعة مع انه رضي الله تعالى عنه علم من الحكم انه تاب وخلصت طويته واختلف في سبب نفيه فقيل انه كان يستخفي ويسمع ما يسره رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لكبار الصحابة في امر المشركين والمنافقين فيخبرهم به وقيل انه كان يحاكي مشي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وحركاته فيفعل مثلها ويتغامز في مجلسه كما مر فلما علم ذلك منه نفاه وروي عن عائشة ام المؤمنين رضي الله تعالى عنها انها قالت لمروان لما قال في حق اخيها عبد الرحمن ما قال اما انت فاشهد ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لعن اباك وانت في صلبه تشير الى ما روي ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال يوما لاصحابه سيدخل عليكم رجل لعين

فدخل عليهم الحكم فلذا قيل * فليت عثمان لم يحكم بعودته * رضى بما حكم الصديق في الحكم (ودعا) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه البيهقى وابن جرير موصولا عن ابن عمر الخطاب رضى الله تعالى عنهما قال بلغنا انه صلى الله تعالى عليه وسلم دعا (على محلم) بميم مضمومة وحاء مهملة مفتوحة ولام مشددة مكسورة فميم (ابن جثامة) بضم الجيم وتشديد الثاء المثلثة والف وميم وهاء واسمه جثامة بن بدر ابن قيس بن ربيعة الكنانى الليثى اخو الصعب قيل انه نزل فيه اذا ضربتم فى سبيل الله الآية كما يأتى (فمات) اى محلم هلك عقب دعائه عليه (لسبع) اى عند سبع او بعد سبع ليال من دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا رواه ابن سيد الناس وغيره وقال السهيلى انه مات بحمص ايام ابن الزبير وسيأتى مثله وبينهما بون بعيد كما قاله البرهان الحلبى (فلفظته الارض) اى قذفته وطرحته واخرجته من بطنها لعدم قبولها له وهذا مما شوهد كثيرا وورد فى الحديث يبقى فى كل ارض شرار اهلها تلفظهم ارضوهم (ثم ووري) بواو بن مضمومة فساكنة وراء مكسورة ومثناة تحتية اى ستر وغطأ وغيب فهو مجهول وواراه اذا غيبه (فلفظته) الارض (مرات) فكانوا كلما دفنوه اصبحوا رأوه فوق الارض تفضيحا له واشارة الى انه من الاشرار فعجزوا (فالقوه) اى القوا بدن محلم (بين صدين) مثنى صد بضم الصاد وفتحها وتشديد الدال المهملتين وهو ناحية الوادى او الشعب او الجبل (ورضموا عليه الحجارة) رضم بفتح الراء المهملة والضاد المعجمة وميم من الرضم بالفتح والسكون وهو وضع الصخور بعضها فوق بعض كالبناء (والصد) بالضم والفتح (جانب الوادى) وهو الارض الواسعة وهذا احد الاقوال فيه كما تقدم وسبب دعائه عليه الصلوة والسلام انه بعثه فى سرية امر عليها عامر بن الاضبط فبلغوا بطن واد فقتل محلم عامرا فلما بلغه صلى الله عليه وسلم ذلك قال اللهم لا تغفر لمحلم ثلاث مرات فمات فلفظته الارض مرات فقال صلى الله عليه وسلم ان الارض لتقبل من هو شر منه ولكن اراد الله ان يجعله لكم عبرة فالقوه بين صوحى جبل حتى اكلته السباع قال الزبيدى الصوح الشق قال التلمسانى والذى رواه ابن عبد البر مسندا الى القعقاع عن ابيه انه قال بعثنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى سرية الى اضم فلقينا عامر بن الاضبط فحيانا بتحية الاسلام فحمل عليه محلم فقتله وسلبه فلما قدمنا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واخبرناه نزل * يا ايها الذين آمنوا اذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا * الآية وقد قيل ان الملفوظ غير محلم بن جثامة وان محلما نزل حمصا ومات بها فى زمن ابن الزبير رضى الله تعالى عنهما ولهم اختلاف فى سبب نزول الآية المذكورة وفيمن نزلت على اقوال كثيرة وقد اختلف فى محلم هذا بعد تحقق اسلامه وصحبته هل كان منافقا ام لا (وجحده) صلى الله تعالى عليه وسلم (رجل بيع فرس) اى انكره وكان اشتراها

منه صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا الرجل اعرابى يسمى سواد بن قيس وقيل ابن الحارث وهو صحابى والفرس المرتجل كما قاله الجوهرى وقيل الطرف بكسر الطاء المهملة وقيل النجيب (وهى) اى هذه الفرس (التى شهدت فيها) اى بيعتها (للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم خزيمة) بخاء وزاى معجمتين ويقال اسمه ابو خزيمة وهو صحابى مشهور وقتل بصفين مع على رضى الله تعالى عنهما سبع وثلاثين ولما شهد له قبل صلى الله تعالى عليه وسلم شهادته وجعل شهادته بشهادتين وهو من خصائصه رضى الله تعالى عنه (فرد الفرس) بالنصب مفعول رد (بعد) مبنى على الضم اى بعد جحده وشهادة خزيمة له (النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) هو فاعل رد (على الرجل) الذى جحد البيع وهو متعلق برد وانما ردها صلى الله عليه وسلم تعففا منه وتكرما (وقال) اذ ردها (اللهم ان كان كاذبا فلا تبارك له فيها) اى لا تجعل له بركة فى فرسه (فاصبحت) اى الفرس (شاصية برجلها) الباء زائدة وشاصية بشين معجمة والف وصاد مهملة ومثناة تحتية وهاء (اى رافعة) رجلها والمراد ان رجلها مرفوعة والاسناد مجازى وارتفاع رجلها كناية عن انها ماتت وانتفخ بطنها حتى صارت رجلها مرفوعة كما يشاهد فى الجيف بعد ايام يقال شصا الميت اذا انتفخ وارتفعت يداه ورجلاه كما قاله اهل اللغة ووقوع مثله عادة لا يكون الا بعد ايام فوقوعه بسرعة من الآيات ايضا وحاصل قصة خزيمة ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ابتاع الفرس من ذلك الاعرابى وتبعه ليقبض الثمن فجعل الناس يساومونه ويزيدون رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا يشعر فناداه الاعرابى ان كنت مبتاعا الفرس والا بعته فقال صلى الله تعالى عليه وسلم قد ابتعته فقال هلم شاهدا فقال خزيمة انا اشهد فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم احضرتنا فقال بابى انت وامى انا اصدقك فى اخبار السماء افلا اصدقك فى ابتياع فرس فسماه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذا الشهادتين وقال من شهد له خزيمة فحسبه وكان كلام الاعرابى كان قبل اسلامه او قبل خلوص اسلامه والا فمثله لا يليق (وبهذا الباب) اى باب دعاء النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واجابة دعائه وقع كثيرا وروى فى احاديث كثيرة (اكثر من ان يحفظ به) اى لا يمكن احد من علماء هذه الامة ان يعلم جميع دعواته صلى الله تعالى عليه وسلم فانها كثيرة جدا وما نقله المصنف رحمه الله تعالى منها قطرة من بحر يعلم بها ما سواه اجمالا ويحصل به اليقين لمن كان من المؤمنين وقوله اكثر من ان يحاط كقولهم اكثر من ان تحصى ومثله كثير وتأويله مشهور فان ظاهره غير مراد اذ لا يعنى انه اكثر من الاحاطة وقد بينوه فى محله حتى افرده بعض فضلاء العصر بجزء مستقل والاحاطة بالشئ معناها استقصاء جميع افراده (تنبيه) مر ان الدعاء معناه التضرع الى الله تعالى فى جلب ما ينفع ودفع ما يضر وقد قيل اذ كان كل شئ

بقضاء وقدر وقد جف القلم فما فائدة الدعاء واجيب بانه امر تعبدى محافظة على مقام العبودية وقد يكون ذلك معلقا بالدعاء موقوفا عليه كما اشار اليه صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله اعملوا فكل ميسر لما خلق له فمن انكر الدعاء وقال انه لافائدة فيه فقد ضل عن سواء السبيل فاعرفه ﴿ فصل ﴾ في كراماته) صلى الله تعالى عليه وسلم اى ما كرمه الله تعالى سبحانه به من الامور الخارقة للعادة والكرامة اعم من المعجزة فان المعجزة تكون بعد دعوى النبوة مقارنة للتحدى بالفعل او بالقوة والكرامة لايشترط فيها ذلك ويكون للنبي وغيره من اولياء الله تعالى سبحانه وان غلب في العرف جعل الكرامة للولى والمعجزة للنبي الا انها لا تختص بذلك على ماعرف وما كان منها قبل النبوة للنبي يسمى ارهاصا لانه تأسيس للنبوة ومقدمة لها (وبركاته) اى ماوقع له صلى الله تعالى عليه وسلم ببركته من الخوارق (وانقلاب الاعيان له) اى تبدل حقيقتها وماهيتها وصورتها وذلك جائز وواقع على الاصح وليس بممتنع كما توهم وليس هذا الفصل مقصورا على هذا وان كان اعظمه فما قيل الاحسن ان يقول في كراماته بانقلاب الاعيان ليس بظاهر والاعيان جمع عين وهى الذات (فيما لمسه) صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة (او باشره) المباشرة ان يلى الامر بنفسه فهى اعم من المس واللمس والمس متقاربان (اخبرنا احمد بن محمد) بن عبد الله ابن عبد الرحمن بن علبون الخولانى شيخ المصنف رحمه الله توفى سنة ثمان وخمس مائة وكان في الحديث وسائر الفنون امام عصره (قال حدثنا ابوذر الهروى) تقدم بيان ترجمته (اجازة وحدثنا القاضى ابو على سماعا) ابو على هو ابن سكرة السابق ترجمته (والقاضى ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن وغيرهما) ابن عبد الرحمن هو ابن سعيد كما تقدم (قالوا حدثنا ابو الوليد القاضى) الباجى الحافظ وقد تقدم (قال حدثنا ابوذر) يعنى الهروى المتقدم (قال حدثنا ابو محمد) السرخسى المتقدم (وابو اسحق) المستملى المتقدم (وابو الهيثم) الكشميهنى المشهور (قالوا حدثنا الفربرى) تقدم بيانه ونعته ونسبته (قال حدثنا البخارى) صاحب الصحيح المشهور (قال حدثنا يزيد بن زريع) بالتصغير ابو معاوية البصرى ولد سنة احدى ومائة ومات سنة ست وثمانين ومائة كذا في النسخ هنا وصوابه حدثنا البخارى حدثنا عبد الاعلى بن حماد حدثنا يزيد بن زريع وهكذا هو في صحيح البخارى فسقط منه راو من قلم المصنف (قال حدثنا سعيد) بن ابى عروة كما تقدم وفي نسخة عن سعيد (عن قتادة) تقدمت ترجمته (عن انس بن مالك) الصحابى المشهور (ان اهل المدينة فزعوا مرة) اى وقع بهم فزع بفتح الفاء والزاء المعجمة والعين المهملة قال المبرد في الكامل الفزع في كلام العرب على وجهين احدهما الخوف والذعر والآخر الاستنجاد والاستصراخ يقال فزع وافزع وهو من الاضداد قال زهير * اذا فزعوا طاروا الى مستغيثهم *

طوال رماح لاضعاف ولاعزل * وقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع والمراد هنا الاول اى وقع خوف استصرخوا بسببه وهو اشهر معنييه (فركب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) لما سمع صياح الناس وفزعهم لظنهم ان عدوا هجم عليهم فسبق الناس كلهم الى الجانب الذى سمع منه الصوت ورآى الناس في رجوعه فقال لهم لن تراعوا وهو راكب (فرسا لابى طلحة) ركبها عريا من غير سرج عليه وابو طلحة هو زيد ابن سهل الانصارى البخارى الصحابى البدرى وهو احد النقباء ليلة العقبة وممن شهد المشاهد مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وله مقام محمود باحد كما تقدم وروى عنه احاديث كثيرة وتوفى سنة اربع وثلاثين من هجرته (كان يقطف او به قطاف) بكسر القاف وبالطاء المهملة والفاء والشك فيه من الراوى قال البرهان يقطف بضم الطاء في قولهم تقطف الدابة بمعنى بتطى واما من قطف العنب فبكسر الطاء كما قاله الزمخشرى والقطاف بكسر القاف الاسم منه وقال الجوهرى المقطوف في الدواب البطى وقال ابو زيد الضيق المشى وهما متقاربان ويوصف به الانسان والخيل وهو عيب في الخيل وهو معنى قوله وبه قطاف (وقال غيره) اى غير انس (يبطأ) مكان يقطف بمثناة تحتية مضمومة وباء موحدة مفتوحة وطاء مهملة مشددة مفتوحة وهمزة مضارع بطأ والبطؤ ضيق الخطاء فهو قريب من الرواية الاولى والظاهر ان المراد به هنا انه كان يوصف بالبط وينسب اليه ذلك وهو مبنى للمجهول (فلما رجع) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الفزع ولقى اباطلحة (قال) له (وجدنا فرسك بحرا) اى كالبحر في شدة جريه وعدوه بسهولة وهو استعارة تصريحية كما يقال تبحر فلان في علمه اى توسع (فكان) ذلك الفرس (بعد) مبنى على الضم اى بعد قول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم له ذلك ببركته (لايجارى) مبنى للمجهول مفاعلة من الجرى وهو مما يوصف به الماء والحيوان ايضا فهو تجريد شبه بالترشيح وفيه مبالغة والمعنى لايسبق فكانه لذلك لايجاريه احد بقرينة السياق وهذا الحديث رواه البخارى والكلام عليه مفصل في شروحه وكان ذلك الفرس يسمى مندوبا (و) مما رواه الشيخان من هذا النوع انه صلى الله تعالى عليه وسلم (نخس جمل جابر) بن عبد الله الانصارى الصحابى المعروف رضى الله تعالى عنهما ونخس بخاء معجمة وسين مهملة كنصر من النخس وهو ان يطعنه في جنبه اونحوه بعود اونحوه وكان ذلك بمحجن في يده الشريفة (وكان) ذلك الجمل (قد اعيا) اى تعب وقلت حركته من السير (فنشط) بكسر الشين المعجمة في الماضى وفتحها في المضارع اى اسرع في السير وخف من النشاط ضد الكسل والمراد انه ذهب اعياؤه فابدا قوة وسرعة وفي النهاية روى كثير انشط وليس بصحيح يقال نشطت العقدة اذا عقدتها

وانشطتها وفى الحديث كانما انشط من عقال ونشطت الدلواذاجذبتهـا بقوة انتهى يعنى ان الصواب هنا انشط من المزيد واصل معناه الجذب بسرعة واذا صحت الرواية بخلافه فكيف يقال انه غير صواب ولايخفى انه استعارة فيجوز ان يستعار من نشط الدلو اذانزعها فيشبه الجمل بدلو فى البئر ويشبه نخسه له حتى جد فى سيره باخراجه من البئر كانه جذ به وابدا قوته التى لم تكن ظاهرة فيه (حتى كان) اى جابرا والجمل (لايملك زمامه) الزمام مقود الجمل ويملك يجوز بناؤه للمعلوم فالضمير فيه لجابر والمجهول فهو للجمل ومعناه انه لايقدر على ضبطه وحبسه لانه لشدة نشاطه يجذ به من يده وينازعه فيه والحديث كما فى الصحيحين قال جابر رضى الله تعالى عنه انه كان معه صلى الله تعالى عليه وسلم فى غزاة فابطأ به جمله ومر به صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له ماشانك فقال له ابطأبى جملى واعيى فتخلفت فنزل ونخسه بمحجن وقال له اركب قال فصار لايقدر على كفه عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم انه اشتراه منه ثم وهبه له كما فصل قصته فى الحديث وشروحه وفى ثمنه اختلاف ايضا وفيه من بركته صلى الله تعالى عليه وسلم ولطف معاملته مع اصحابه وكرمه مالايخفى وهذه الغزوة هى غزوة ذات الرقاع كما فى شرح البخارى (وصنع مثل ذلك) اى مثل ما صنع مع جابر رضى الله تعالى عنه فى حديث رواه البيهقى (بفرس لجعيل) بضم الجيم وفتح العين المهملة وياء تصغير ولام وهو جعيل بن زياد وقيل انه سمرة الصحابى الكوفى وقيل اسمه جعال (الاشجعى) بشين معجمة وجيم وعين مهملة منسوب لاشجع وهى قبيلة وحديثه هذا رواه عنه عبد الله بن ابى الجعد قال كنت فى بعض غزواته صلى الله تعالى عليه وسلم على فرس عجفاء ضعيفة فى اخريات الناس فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشانك فقلت انها عجفاء ضعيفة فضربها بمخفقة كانت فى يده وقال بارك الله لك فيها فلقد رأيتنى اول الناس مااملك رأسها وبعث من بطنها عدة كثيرة واليه اشار بقوله (فخفقها) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اى ضربها (بمخفقة) كانت (معه) بكسر الميم وسكون الخاء المعجمة وفتح الفاء وقاف وهااسم آلة من الخفق وهى الدرة وقيل انها عصا والخفق الضرب ومنه خفق الطائر بجناحه وخفقان القلب والخافقان كله يرجع لهذا (وبرك عليها) بالتشديد تفعيل من البركة اى دعا لها بالبركة فيها (فلم يملك رأسها) اى لم يقدر على ضبط رأسها بلجامها لقوة سيرها ومجاذبتها له وهذا من قولهم ملك العجين اذاعجنه بقوة والملك مأخوذ من هذا وهو خفيفته (نشاطا) اى من شدة نشاطها (وباع من بطنها) اى مما ولدته وحصل من نسلها الخارج من بطنها والبطن حقيقة الجوف ثم شاع فى الولد والنسل (باثنى عشر الفا) وهذه بركة عظيمة لدعائه صلى الله تعالى عليه وسلم ولعله كان عنده منها بطون متعددة

تناسل فيكون ذلك ولدها وولد اولادها وفيه لف ونشر فقوله لم يملك ناظر لقوله خفقها وقوله وباع الى آخره ناظر لقوله وبرك عليها وهو ظاهر وهذا رواه النسائى وابن عبد البر فى الاستيعاب (و) فى حديث رواه ابن سعد من حديث اسحق بن عبد الله بن ابى طلحة انه صلى الله تعالى عليه وسلم (ركب حمارا قطوفا) قليل السير متقارب الخطى (لسعد بن عبادة) الانصارى سعد هم المشهور (فرده) اى اعاده صلى الله تعالى عليه وسلم لصاحبه بعد ماركبه اومعناه صيره لان رد يكون بمعناها ويعمل عملها كما صرح رواته فعلى الاول مابعده حال وعلى الثانى مفعول ثان (هملاجا) بكسر الهاء وسكون الميم ولام وجيم وهو فارسى معرب وهو من البراذين مايسرع مشيه ويكثر نقله على هيئة مخصوصة والعامة يسمونه رهوان (لايسابر) مبنى للمجهول اى يسبق كل ماسار معه فيعبر بماذكر مبالغة كما مر فى قوله لايجارى (و) روى البيهقى انه (كانت شعرات من شعره) صلى الله تعالى عليه وسلم وهو بفتح العين فيهما (فى قلنسوة خالد بن الوليد) اى انه رضى الله تعالى عنه وضعهما فى داخل قلنسوته تجاهها والقلنسوة بفتح القاف واللام وضم السين وفتح الواو وقبل هائه مايوضع على الرأس وهى معروفة ويقال قلنسية كما فى الصحاح (فلم يشهد) اى لم يحضر (قتالا) وحربا قاتل فيه (الارزق النصر) اى الانصره الله تعالى على اعدائه فيقتلهم او يهزمهم ببركة تلك الشعرات التى كانت فى قلنسوته وجملة الارزق الى آخره حال مستثناة استثناء مفرغا من اعم الاحوال وحكى ابن العديم ان ابن ابى طاهر العلوى كان عنده اربعة عشر شعرة من شعره صلى الله عليه وسلم فبلغه ان بعض امراء حلب يحب العلويين وله كرم فارتحل له واهدى تلك الشعرات له فاكرمه ثم اتاه بعد ايام فعبس فى وجهه ولم يلتفت اليه فسأله عن السبب فقال له قال لى فلان ان هذه الشعرات لااصل لهـا فسأله احضارها فاحضرت فطلب منه نارا موقدة فاتى بها فرمى شعرات منها فى النار فلم تحترق بل صارت احسن مما كانت فقبل رجله وانعم عليه بنعم لاتحصى واكرمه غاية الاكرام (وفى الصحيح) اى فى الحديث الصحيح او صحيح مسلم لان هذا الحديث رواه مسلم وابوداود والنسائى وابن ماجه (عن اسماء بنت ابى بكر) الصديق رضى الله تعالى عنهما (انها) اى اسماء (اخرجت) اى اظهرت وارت الناس (جبة) بضم الجيم وتشديد الباء الموحدة وهى ثوب مخيط (طيالسة) قال النووى انه روى باضافة جبة لطيالسة جمع طيلسان بتثليث اللام والاشهر فتحها وطيالسة منون مصروف لانه بزنة ثمانية ورفاهية ويجوز نصبه على انه صفة جبة كثوب اخلاق وقد سقط لفظ طيالسة من بعض النسخ وهى الجبة كانت عند اختها عائشة ام المؤمنين فلما ماتت بعد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بنحو خمسة واربعين سنة انتقلت لها والطيالسة نوع من الاكسية قيل انها ذات

اعلام خضر ولذا روى جبة خضراء فوصفت بوصف بعضها وقيل معنى طيالسة خلقة وقيل انه جمع طيلس كصيقل وهو المتقن النسج وقيل الطيلسان كساء خضر يعرف بالساج وقيل الطيلسان رداء من صوف تستعمله العجم ولذا يقال يا بن الطيلسان فى الشتم (وقالت) اسماء (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسها) اى كان يكثر لبس هذه الجبة لان كان يفعل كذا يدل على تكرر الفعل عرفا كما ذكره الاصوليون ولبس بطريق الوضع كما مر (فنحن نغسلها) ونأخذ ماغسلها فنعطيه للمرضى (فتستشفى) المرضى (بها) اي بمائها بان يشرب منه ويمسح به الابدان تيمنا باثاره صلى الله عليه وسلم فيرزقهم الله الشفاء ببركته وفى مسلم انها جبة كسروانية نسبة لكسرى اى عجمية وانها كانت مكفوفة بالديباج واستدل به بعضهم على حل السجاف من الحرير وقيده بعضهم بان لايزيد على اربعة اصابع ولاينافى كونها من الطيالسة ماقيل انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يستعمل الطيلسان وكرهه بعضهم لماورد انه حلية قوم الدجال (وحدثنا القاضى ابو على) هو ابن سكرة وقد تقدم (عن شيخه ابى القاسم بن المأمون) بن محمد بن هشام الزعينى السبتى المعروف بابن المأمون الامام المشهور (قال كانت عندنا قصعة) بفتح القاف ولا تكسر كما مر وهى الجفنة المعروفة وتخص فى العرف بما كان من الخشب وقيدها النووى بما كانت تسع عشرة والقائل ابن المأمون فيحتمل انها كانت عنده وصلت اليه بطريق من الطرق ويحتمل انها كانت بديارهم وبلادهم (من قصاع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) بكسر القاف جمع جفنة وجفان ويجمع على قصع ايضا وقصاعه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يعدوها ولم يذكروا صفاتها لانه كان لايعتنى بها ولايعدها ولايدخرها لكنا نجعل فيها الماء للمرضى) جمع مريض (فيستشفون بها) اى يطلبون الشفاء فيحصل لهم بشربهم مما وضع فيها لبركة اثار اثاره (واخذ جهجاه الغفارى) جهجاه بجيمين مفتوحتين بينهما هاء وبعد الاخيرة الف وهاء وقيل ان صوابه جهجا مقصور لاهاء فى آخره والغفارى بكسر الغين نسبة لغفار وهى قبيلة معروفة واختلف فى اسم ابيه فقيل هو ابن مسعود رضى الله تعالى عنه وقيل ابن سعد بن حرام وقيل ابن سعيد وقيل ابن قيس وهو صحابى مهاجرى مدنى وروى عنه احاديث وشهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وتوفى بعد عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه بسنة (القضيب) يعنى قضيب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الذى كان مع الخلفاء والقضيب عصى قصيرة (من يد عثمان) بن عفان لما قام عليه قبل يوم الدار فقيل اخذه وجذبه من يده وهو على المنبر وقيل بعد نزوله منصرفا لداره (ليكسره) اى اخذه بقصد ان يكسره فظاهره انه لم يكسره اصياح الناس عليه وقال بن عبد البر وبعض اهل السير انه كسره (على ركبته) اى اتكى على

ركبته فى كسره كما هو معتاد (فصاح به الناس) ليمنعوه من كسر قضيب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فانه امر عظيم وجرأة لم يرضوها ولذا قال ابن العربى لايصح كسر العصا عمن اطاع اوعصى وهذه العصا كان يعتمد عليها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذا خطب وكذا الخلفاء بعده (فاخذته) اى اصابته ووقعت به واصل معنى الاخذ التناول فتجوز به عما ذكر (الاكلة) كفرحة وهوداء يصيب بعض الاعضاء فيتأكل اى يتفتت وينقطع وهو نوع من الجذام والفرق بينهما المذكور فى مفصلات كتب الطب والناس تقول آكلة بالمد وقد قيل انه خطأ الا ان الثعالبى انشد لبعض العرب فى كتابه ثمار القلوب

*ومن انت هل انت الا امرأ * اذا صح نسلك فى باهله *
* وللبا هلى على خبره * كتاب لاكله الاكلة *

ولم يخطئه فيه وهو من ائمة اللغة فيصح ان تقرأ عبارة المصنف رحمه الله تعالى به الا ان تعارضه الرواية (فقطعها) اى قطع جهجاه ركبته اورجله من ذلك لئلا يسرى المرض لبدنه فان هذا المرض يعالج بقطع العضو كما قيل * القطع طب كل عضو فاسد * فلا حاجة لماقيل ان ضمير الفاعل للاكلة وذكره بتأويل المرض ونحوه (ومات) الجهجاه من قطعها (قبل) تمام (الحول) اى السنة التى وقع فيها القطع بسبب اهانته لقضيبه صلى الله تعالى عليه وسلم قال ابن عبد البر فى الاستيعاب انه تناول العصا من يد عثمان رضى الله تعالى عنه وهو يخطب فكسرها فوقعت الاكلة فى ركبته وتوفى بعد عثمان رضى الله تعالى عنه بسنة وهو مناف لكلام المصنف رحمه الله تعالى من وجهين لان ظاهره انه لم يكسرها وانه حال عليه الحول وفى الروض الانف انه انتزعها من يد عثمان رضى الله تعالى عنه حين اخرج من المسجد ومنع من الصلوة فيه وهو ايضا مخالف لكلام عبد البر فى قوله انه احدها وهو على المنبر وكان عثمان لما قام عليه الناس وهجموا المدينة يخرج يصلى بالناس على عادة الخلفاء الراشدين ثم خرج فى آخر جمعة فحصبوه حتى وقع من على المنبر ولم يقدر على الامامة فصلى بهم ابو امامة ابن سهل ثم حصروه ومنعوه من المسجد وكان من القائمين عليه الجهجاه وشافهه بما لايليق وفعل بالقضيب مافعل وفى جرأته على قضيب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مع انه من الصحابة الذين شهدوا المشاهد معه صلى الله تعالى عليه وسلم اشكال لايخفى فان الظاهر انه يعرف القضيب وحرمته وغضبه على عثمان رضى الله تعالى عنه لايسوغ له مثل ذلك وعثمان رضى الله تعالى عنه كان مجتهدا متأولا فيما انكروه عليه وماهذه الا ذلة عظيمة لا تليق بمن كان مؤمنا صحابيا (و) روى البيهقى عن انس بن مالك رضى الله تعالى عنه حديثا متصلا انه صلى الله تعالى عليه وسلم (سكب من فضل وضوئه)

الكسب بمعنى الصب وفضل وضوئه مازاد عليه وقال شيخنا المقدسى قدس الله تعالى
روحه فى كتابه الرمز ان الوضوء بالفتح فى المصدر كما فى الصحاح وبالضم مصدر عن
اليزيدى والفتح اولى وفى كتاب سيبويه فيما جاء على فعول بالفتح توضأ وضوأ او تطهر
طهورا وولع ولوعا وقبل قبولا وقال ابن خروف فى شرحه زعموا ان الوضوء من اسماء
الماء كالوقود ولم يحك عمن يوثق به الوضوء بالضم قلت ولولا انه ضعيف ماتبرأ منه
الجوهرى والقاضى عياض وتبعه النووى وكلاهما لم يجزأ ماانتهى ماقاله شيخنا فلك
هنا الفتح والضم (فى بئر قباء) بضم القاف والمد مكان بقرب المدينة الشريفة غير
مصروف ويجوز صرفه ايضا باعتبار المكان والقه ليست للتأنيث وقال فى التبصرة انه
اسم اماكن ثلاثة وينسب اليه قباى والى قبا فرغانة قباوى والقصر لغة فيه ايضا
(فانزفت) البئر اى انقطع ماؤها (بعد) مبنى على الضم اى بعد ماسكب فيها فضل
وضوئه صلى الله تعالى عليه وسلم ونزفت بفتح الزاى المعجمة ويجوز كسرها فهو
مبنى للفاعل ويجوز بناؤه للمفعول ايضا لانه ورد متعديا وغير متعد فمن اقتصر على
الثانى فقد قصر وقد ورد ثلاث متعديا ومزيده لازما على خلاف القياس ككبه
الله تعالى فاكب وله اخوات فصلناها مع الكلام عليها فى السوانح والمصنف رحمه
الله تعالى قال انه صب فضل وضوءه اى بقيته ووقع فى رواية انه نقل فيها وعد
هذا من كراماته صلى الله تعالى عليه وسلم وتقدم ان من معجزاته صلى الله تعالى
عليه وسلم تفجير الماء فى بئر الحديبية وبئر تبوك لانه ثمة وقع التحدى لمشاهدة الكفار له
وهنا لم يقصد التحدى كما قيل (و) روى ابو نعيم فى دلائله انه صلى الله تعالى عليه
وسلم (بزق) بزاى وصاد وكلاهما بمعنى وهو مج الريق من فيه (فى بئر كانت
فى دار انس) ابن مالك خادمه صلى الله تعالى عليه وسلم (فلم يكن بالمدينة) بئر من
آبارها (اعذب منها) اى احلى والذ من مائها وهذا كان بين اظهر المؤمنين فلذا
لم يعده معجزة كما اشرنا اليه (ومر) صلى الله تعالى عليه وسلم (على ما) فى بعض اسفاره
(فسأل عنه) اى عن اسمه (فقيل) له (اسمه بيسان) بموحدة مكسورة وقال
التلمسانى بالفتح وهو الظاهر لموازنته لنعمان الاتى ولولاه جاز فتحه وكسره ومثناة
تحتية ساكنة وسين مهملة والف ونون (وماؤه ملح) جملة حالية اى لاعذوبة فيه
فلما سمى بما يوهم البؤس ضد النعيم لم يحب صلى الله تعالى عليه وسلم بما يتشأم به فغيره
لانه كان يحب الفال الحسن (فقال بل هو نعمان) بفتح النون فعلان من النعيم والنعمة
وبيسان موضعان احدهما بالشام وهو فى حديث الدجال والآخر بالحجاز وهو الذى
مر به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى غزوة ذى قرد وهو المذكور هنا فغير اسمه
فغير الله ماءه فاشتراه طلحة رضى الله تعالى عنه وتصدق به فقيل له طلحة الفياض
وضبط الانطاكى فى حواشيه هنا نعمان بضم النون والصواب ماتقدم وفى الشرح

الجديد انه بكسر النون فكانه قصد بذلك موافقة بيسان وملح هو الفصيح ومالح
لغة ايضا لكنها غير فصيحة وليست لحنا كما قيل لورودها فى النظم والنثر كثيرا
ولولا خوف الاطالة اوردنا ذلك (وماؤه طيب) هذا من جملة مقوله صلى الله تعالى
عليه وسلم والا تناقض كلامه (فطاب) ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم لما غير اسمه
وقال انه طيب (و) روى ابن ماجة فى حديث آخر مسندا انه صلى الله تعالى عليه
وسلم (اتى) بالبناء للمجهول اى اعطاه بعض اصحابه صلى الله تعالى عليه وسلم
وجاء له (بدلو) مملو (من ماء زمزم) ورواه البيهقى عن وائل الحضرمى الا انه لم يقل
فيه انه من ماء زمزم (فمج فيه) اى القى فيه صلى الله تعالى عليه وسلم ماء فمه وريقه
فصارت رائحته (اطيب من) رائحة (المسك) وقريب منه قصة نافع احد القراء
السبعة المذكورة فى شروح الشاطبية (و) من كراماته صلى الله تعالى عليه وسلم
مارواه الطبرانى عن ابى هريرة انه (اعطى الحسن والحسين لسانه) الشريف اى
وضعه فى فمهما (فمصاه) اى جذبا ريقه وشربا منه (وهما يبكيان) جملة حالية اى
باكيين (عطشا) تمييزا ومفعول له والعطش حرارة تقتضى اشتهاء ماء يشرب
(فسكتا) فسكن عطشهما وتركا البكاء وكان الاحسن ان يذكر هذا مع قوله
وكان يتفل فى افواه الصبيان الى آخره (و) فى حديث صحيح رواه مسلم عن جابر انه
(كان لام مالك) الانصارية الصحابية وهى ام سليمان بنت ملحان قيل والصواب
ان يقول ام انس بن مالك وفى الصحابة ام مالك البهزية وليست هذه وفيه نظر
لان ام مالك هذه ليست ام انس وقد قالوا انه لا يعرف اسمها وفى شرح المصابيح
للتوربشتى ان ام مالك فى الصحابة اثنتان ام مالك الانصارية وام مالك البهزية
وهى صاحبة العكة انتهى (عكة) بتثليث العين المهملة والمشهور ضمها وهى
صغر من الجلد يوضع فيه السمن غالبا وكافها مشددة (تهدى فيها للنبى صلى الله
تعالى عليه وسلم سمنا) اى ترسل به له على طريق الهدية وهو بفتح السين المهملة وسكون
الميم وفتحها لحن قال الزبيدى السمن للبقر غالبا ويكون للمعزى ايضا وفى القاموس
انه سلاء الزبد ولم يقيده (فامرها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لان لا يعصرها)
الامر هنا بمعناه اللغوى لان قوله لا يعصرها نهى لا امر او هو باعتبار لازمه لان
النهى يلزمه الامر بالكف وعلى الاول هو مطلق الطلب والعصر الضغط للظرف
ليخرج بقية مافيه مما قل ففيه اشارة الى انه لا ينبغى النظر لقلة مافيها واحتقاره
وتعظيم ماقل من نعم الله يزيده ويجعل فيه البركة ولذا قيل ان فيه دقيقة لمن نظر
بعين الحقيقة ويعصر بكسر الصاد كضرب يضرب (ثم دفعها) اى دفع صلى الله
تعالى عليه وسلم العكة (اليها) اى الى ام مالك المهدية له (فاذا هى مملوءة سمنا) اى
فاجأها بغتة مملوها من ذلك مملوة بزنة المفعول مهموز ويجوز ابدال الهمزة واوا

وادغامها (فيأتيها بنوها يسألونها الادم) بضم الهمزة وسكون الدال المهملة وضمها وهو جمع ادام هو ما يؤتدم به مع الخبز كالسمن والعسل واختلف الفقهاء فى اللحم هل يسمى اداما عرفا ام لا فلا ينافى ما ورد فى الحديث سيد ادام الدنيا والآخرة اللحم وقيل الادم ما يصلح به الطعام (وليس عندهم شئ) يعنى من الادام (فتعمد اليها) اى تعصرها وتمسكها بيدها وعمد يعمد بفتح الميم من الماضى وكسرها فى المضارع ويجوز العكس كما فى شرح الفصيح للنبلى (فتجد فيها سمنا) كما كانت فلا تنقص (فكانت تقيم ادمها) اى تجده قائما اى باقيا على حاله (حتى عصرته) غاية للاقامة اى لما عصرته انتهت اقامة السمن فى العكة وفقرته وذهبت بركته لما خالفت امره صلى الله تعالى عليه وسلم قال النووى فى شرح مسلم الحكمة فى ذلك ان عصرها يضاد التوكل والتسليم ويتضمن التدبير والاخذ بالحول والقوة فعاقبها الله تعالى بزوال ما انعم به عليها ولم يذكر هذا فى المعجزات لانه لم يتحد به ولانه حصل فى بيت ام مالك وفى اسد الغابة لابن الاثير انه صلى الله عليه وسلم امر بلالا فعصرها ثم دفعها اليها فلما اخذتها اذا هى مملوءة فاتت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقالت يا رسول الله نزل بى شئ فقال ماذاك يا ام مالك قالت رددت على هديتى فدعا بلالا وسأله عن ذلك فقال والذى بعثك بالحق لقد عصرتها حتى استحييت فقال هنيئا لك يا ام مالك هذه بركة عجل الله ثوابها ثم علمها صلى الله عليه وسلم ان تقول دبر كل صلاة سبحان الله عشرا والحمد لله عشرا والله اكبر عشرا وهذا صريح فى ان ما ذكر كان بركة لا معجزة بملاحظته عليه السلام كما قيل فتدبر (و) فى حديث رواه البيهقى انه صلى الله عليه وسلم (كان يتفل) بفتح المثناة التحتية وسكون التاء المثناة الفوقية وضم الفاء وكسرها والتفل البصاق وخصه البيهقى بيوم عاشوراء (فى افواه الصبيان) وافواه جمع فم باعتبار اصله لان اصله فوه والصبيان جمع صبى والمراد بهم الصغار الذى يرضعون ولهذا قال (المراضع) بزنة مساجد جمع مرضع بفتح الضاد اسم مفعول من الرضاعة وهى مص الثدى لا جمع رضيع بمعنى مرضع كما قيل فان فعيل لا يجمع على مفاعل وادعاء انه على خلاف القياس لا حاجة اليه وفى بعض النسخ مراضيع بزيادة الياء فان صحت رواية فهو على خلاف القياس كما قيل فى جمع خاتم خواتيم الا ان ابن عصفور قال انه شاذ وادعاء بعضهم انه ضرورة لا يصح فانه ورد فى الحديث الاعمال بخواتيمها وما قيل ان تقدير هذا الكلام صبيان المراضع وهن الامهات خطأ اللهم الا ان وقع له رواية صبيان المراضع بالاضافة ولم نجده فى شئ من النسخ (فيجزيهم) بضم المثناة التحتية وسكون الجيم وكسر الزاى المعجمة وهمزة اى يكفيهم واهل الاصول فسروا الاجزاء بالصحة وفى المحصول وشروحه كلام فى الفرق بين الاجزاء والصحة (ريقه) الشريف (الى الليل) اى فيكفيهم عن الرضاعة

النهار كله ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم فيقوم المصنف رحمه الله تعالى منه مقام لبن الام الكثير (ومن كراماته) اى من كرامات النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ما رواه البيهقى (بركة يده فيما لمسه) اللمس قريب من المس وهو وضع اليد على الشئ بقوله بيده تأكيدا وتجريد كنظرت بعينى والبركة الزيادة المعنوية والحسية كما تقدم (وغرسه لسلمان الفارسى) اى لاجله كما سيأتى والغرس وضع اصول الشجر فى الارض لينمو وفى نسخة اوغرسه فهو شك من الراوى وسلمان هو ابو عبد الله الفرسى مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو من قرية يقال لها جئ من قرى اصبهان او رام هرمز ولم يتخلف عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعد ما اعتقه وكان من علماء الصحابة وزهادهم المعمرين وكان رضى الله تعالى عنه يعمل الخوص ويأكل منه مع ان عطاءه من بيت المال خمسة آلاف كل سنة وكان اذا اخذها تصدق بها قال النووى اتفقوا على انه مائتين وخمسين سنة وقيل ثلاثمائة وخمسين سنة وتوفى بالمداين ودفن بها سنة خمس اوست وثلاثين وقد قال صلى الله عليه وسلم ان الجنة لتشتاق له وكان مولاه قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من اليهود فاشتراه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم منه وقصته مشهورة (حين كاتبه مواليه) من اليهود وهذا ينافى ما قاله البرهان انه صلى الله تعالى عليه وسلم اشتراه وجمع الموالى ولم يكن له الا مولى واحد تجوز اوقد قيل انه على ظاهره لانه ورد انه اشتراه من قوم من اليهود وفيه نظر والمولى هنا هو السيد وهو مشترك بينه وبين العبد وله معان اخر والكتابة معلومة مفصلة فى كتب الفقه (على ثلاثمائة ودية) بفتح الواو وكسر الدال المهملة وياء مثناة تحتية مشددة قبل الهاء وهى صغار النخل (يغرسها لهم كلها تعلق) بفتح التاء الفوقية وسكون العين المهملة وفتح اللام ثم قاف اى تنبت بعد غرسها ويتم غراسها من علقت المرأة اذا حبلت وقال بعض الشراح تؤكل ثمرتها من علق يعلق كعلم يعلم وقيل تدركه وتضم لامه كيكتب فهو متداخل من بابين والمراد الاكل هنا وهو الظاهر وجملة كلها تعلق بدل مما قبله وقوله (وتطعم) اى يوجد فيها ما يؤكل من ثمرها ويؤيد ان المراد بما قبله تدرك وان جاز ان يكون عطف تفسير وهو بوزن يكرم (وعلى اربعين اوقية) بضم الهمزة وتشديد الياء ويقال وقية ايضا بفتح الواو وقال السعد فى شرح الكشاف الاوقية افعولة فاصلها اوقوية فاعلت اوفعلية من الاوق وهو الثقل المراد اربعون درهما كما فى كتب اللغة وعند الاطباء وهو المتعارف الآن انها عشرة دراهم وخمسة اسباع درهم وقال الزمخشرى انها اثنان واربعون درهما انتهى وقيل انها سبعة مثاقيل (من ذهب) بيان للاوقية وانها ليست من فضة ولفظ الوقية وقع فى حديث رواه الشيخان فقول بعضهم انها عامية كما فى النهاية لا وجه له اللهم الا ان يريد انها المشهورة بين العوام فلا ينافى

تصحيح اهل اللغة لها كما فى القاموس وغيره والنش بفتح النون وتشديد الشين المعجمة عشرون درهما (فقام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) من مجلسه الى محل عين لغراسها فيه (وغرسها له بيده) الشريفة تبركا (الا واحدة) منها (غرسها غيره) قيل هو عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه كما رواه ابن عبد البر وقيل انه سلمان ووفق بينهما بانهما غرساها معا اوان كل واحد منهما غرس واحدة (فاخذت كلها) بمعنى انها طلعت وادركت فهو مجاز كانها اخذت من الارض ماقامت به ونمت كما يدل عليه الكلام (الا تلك الواحدة) التى غرسها غيره (فقلعها) من محلها (وردها) اى اعادها الى محلها (فاخذت) اى نبتت وادركت ببركة يده الشريفة ومسها وهو من معجزاته الباهرة صلى الله تعالى عليه وسلم وقوله الا واحدة يدل على بطلان التوفيق بانها غرس كل واحد منهما ودية وفى بعض السير انه صلى الله تعالى عليه وسلم غرسها كلها من غير ذكر الواحدة فينبغى ان يحمل على القصة اجمالا فانه غرس تلك الواحدة بعد ذلك فلا منافاة بينهما (وفى كتاب البزار) بموحدة وزاى معجمة والف وراء مهملة نسبة لعمل بزر الكتان زيتا عند البغداديين وهو الحافظ المشهور (فاطعم النخل) اى اثمر ذلك النخل الذى غرسه صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة (من عامه) اى فى سنته التى غرس فيها ومن ابتدائية (الا الواحدة فقلعها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وغرسها فاطعمت من عامها) واضافة العام لها حقيقية لوقوع الغراس فيه (واعطاه) اى اعطى صلى الله تعالى عليه وسلم سلمان مما كوتب عليه (مثل بيضة الدجاجة) اى قدر حجمها لا وزنا كما قيل (من ذهب) جاءه من الغنايم (بعدما ادارها على لسانه) الشريف ليحصل فيها بركته ولا حاجة الى ان يقال انه صلى الله تعالى عليه وسلم دعا بالبركة فيها ولم يسمع فانه لا يقال مثله بالرأى (فوزن) سلمان رضى الله تعالى عنه (منها لمواليه) اى لمن كاتبه كامر (اربعين اوقية وبقى عنده مثل ما اعطاهم) وهى اربعون اخرى وكانت فى رأى العين دون ما كوتب عليه من الذهب لكنها زادت وزنا ورجحت ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم وهو من نمو الاعيان قيل يجوز ان يكون فاعل وزن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وكذا بقى وهو بكسر القاف المخففة ويجوز فتحها مشددة وقصة سلمان رضى الله عنه طويلة مفصلة فى السير وحاصلها انه كان يجئ وهو قرية بفارس كان ابوه رئيسها وهو ممن يعبد النار فرسلمان برهبان فى كنيسة يصلون ويتعبدون فاعجبه امرهم وقال هذا خير من ديننا فلما اخبر اباه بذلك نقم عليه وقيده مخافة ان يتبعهم فارسل سلمان اليهم يقول اذا كان عندكم من يذهب الى الشام اخبرونى به وكانوا قالوا له ان ديننا هذا بالشام فاخبروه فكسر قيده وذهب معهم وجاء الى الشام ودخل كنيسة فيها قسيس يتعبد بها فاستمر عنده الى ان مات فذهب لآخر بعمورية

ثم لآخر بالموصل ومكث عنده فمرض واشرف على الموت فقال له ان مت ما افعل قال ان ديننا هذا قديم وقد دنا زمن نبى على الحنيفية يظهر بارض النخل فسأله عن علامته فقال به خاتم النبوة ولا يأكل الصدقة ويأكل من الهدية فمر به قوم من كلب وكان له بقرات وغنيمات اكتسبها من عمله فاعطاها لهم على ان يحملوه الى ارض العرب فغدروا به واسروه وباعوه من يهودى وقيل ابتاعته امرأة والاصح الاول فكان يخدمه حتى قدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المدينة فبينما هو على نخلة من النخيل وسيده الذى اشتراه منهم تحتها اذا برجل غريب جاء الى سيده المذكور وقال هل سمعت ما فعله الانصار قدم عليهم رجل من مكة وهو معهم بقبا الآن فلما سمع سلمان مقالته عراه نافض كالحمى ونزل يسأل الرجل عما قاله فنهره سيده فاضمر مقالته ثم ذهب اليه صلى الله تعالى عليه وسلم بتمرات من نخل سيده فاكلها فلما رأى العلامات المذكورة جاء وكاتبهم سيده على ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى فان قلت تقدم فى الحديث انه مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال سلمان منا اهل البيت فكيف يكون هذا وهو مكاتب وكيف اكل صلى الله تعالى عليه وسلم مما اتى به والعبد لا يملك شيئا قلت اجابوا عنه بوجوه منها انه ورد انه صلى الله تعالى عليه وسلم اشتراه منه مما ذكر وعلى هذا فلا اشكال ومنها انه علم انه لم يمسه الرق كما مر وانما باعوه ظلما وغصبا او لو سلم فهو مولى موالاة لا مولى رق ولذا قيل صلى الله تعالى عليه وسلم ما اهداه له لانه اجرة له او اذن له سيده فى دفعه لمن يريد (وفى حديث حنش) بفتح الحاء المهملة والنون وشين معجمة (ابن عقيل) بفتح العين وكسر القاف وليس مصغرا وهو صحابى ترجمته فى الاستيعاب وغيره وهذا الحديث رواه بطوله قاسم ابن ثابت فى الدلائل عن المسور بن مخرمة (سقانى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شربة من سويق) بالسين وقد تبدل صادا وهو قمح يقلى ويطحن ثم يجعل فى ماء ونحوه من المايعات ويشرب فهو طعام وشراب وشربة بفتح الشين المرة من المشروب وليس بضم الشين كما قيل فهو مفعول به لا مفعول مطلق كما قيل (شرب) صلى الله تعالى عليه وسلم (اولها وشربت آخرها) يعنى انه صلى الله تعالى عليه وسلم شرب منها اولا لتحصل البركة فيها ثم ناوله الاناء فشرب بقيته (فما برحت) اى لم ازل بعد ما شربت سؤره (اجد شبعها) اى يحصل عندى الشبع بزنة العنب وهو معروف (اذا جعت) اى اذا جاء وقت الجوع والحاجة الى الطعام (وريها) بكسر الراء وهو برد يحصل فى الجوف من الماء ونحوه يغنى عن الماء (اذا عطشت) اى جاء وقت الحاجة الى الشرب والضميران للشربة (وبردها اذا ظمئت) بزنة علمت بهمزة بعد الميم ويجوز ابدالها وهو من الظمأ وهو العطش فغاير بينهما فى العبارة تفننا اى لم يفارق بعد شربها الشبع والرى لبركة سؤره صلى الله تعالى عليه وسلم (و) فى

حديث صحيح رواه احمد فى مسنده عن ابى سعيد انه صلى الله تعالى عليه وسلم (اعطى قتادة بن النعمان) بن زيد ويكنى اباعمرو وهو صحابى مشهور توفى سنة ثلاث وعشرين وصلى عليه عمر رضى الله تعالى عنه وهو الذى ردت عينه كما تقدم وهو من الانصار (وصلى معه العشاء) جملة حالية بتقدير قد اى وقد صلى مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم العشاء (فى ليلة مظلمة مطيرة) اى ذات ظلمة من ظلمة الليل والسحاب المطبق بالمطر وهو متعلق باعطى (عرجونا) بضم العين وسكون الراء المهملتين وضم الجيم كعنقود وبكسر وفتح كفردوس وبهما قرئ وهو فعلون من الانعراج وهو الانعطاف وقيل وزنه فعلول واليه ذهب صاحب القاموس والصحيح الاول (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم لقتادة (انطلق به) اى خذ العرجون واذهب به لمنزلك (فانه سيضئ من بين يديك عشرا ومن خلفك عشرا) اى مقدار عشرة اذرع فى طريقك حتى تبصرها وابست العشرة من الاشبار كما قيل (فاذا دخلت بيتك فسترى سوادا) وهو ضد البياض والمراد جسم اسود والسواد يطلق على الجثة والشبح وفى توفيق عرى الايمان للبارزى انه كان هيئة قنفد فاذا رأيته (فاضرب به حتى يخرج) من البيت (فانه) اى السواد المرئى (الشيطان) تصور بهذه الصورة (فانطلق) قتادة (فاضاءله العرجون حتى دخل بيته ووجد السواد فضربه حتى خرج) من بيته كما اخبره به صلى الله تعالى عليه وسلم قيل ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى رواية بالمعنى فان لفظ الحديث كما رواه ابو سعيد الخدرى ان النبى صلى الله عليه وسلم خرج ذات ليلة لصلاة العشاء وهاجت السماء والظلمة وبرقت فرأى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قتادة فقال له قتادة قال نعم يارسول الله علمت ان شاهد الصلوة قليل فاحببت ان اشهدها فقال له اذا انصرفت فأتنى فلما انصرف اعطاه عرجونا وقال خذه فسيضئ امامك عشرا وخلفك عشرا الحديث ويضئ جاء متعديا فعشرا مفعوله ولازما فهو منصوب على الظرفية والشيطان المراد به واحد من الجن المردة او ابليس بعينه (ومنها) اى من كراماته صلى الله تعالى عليه وسلم فى قلب الاعيان ما رواه البيهقى فى حديث مسند وهو (دفعه لعكاشة) ابن محصن الصحابى المشهور وهو بضم العين وتخفيف الكاف وتشديدها وشين معجمة علم منقول واصله العنكبوت او بيته وهذه القصة وقعت له وهو ببدر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والرفع اصل معناه الازاحة باليد والمنع ويطلق على الاعطاء والتسليم كما يقال دفع له المال (جذل حطب) بجيم مكسورة وذال معجمة ساكنة ولام وقد تفتح جيمه وهو عود غليظ او اصل من اصول الشجر ومنه المثل انا جذيلها المحكك وهو عمود ينصب لتحتك به الابل الجربى فاستعير لمن يرجع لرأيه ويستشفى بهدايته فى المهمات والحطب ما يبس من اغصان الشجر وهو معروف وهو الذى

قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم سبقك بها عكاشة وقد كان قال يدخل الجنة سبعون الفا بغير حساب وهم الذين لا يرقون ولا يسترقون فقال عكاشة ادع الله ان يجعلنى منهم فقال جعلك الله منهم ثم قام آخر فقال مثل ما قال فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم سبقك بها عكاشة قال ابن عبد البر الثانى كان من المنافقين ورده السهيلى بانه ورد فى رواية فقام رجل من اخيار المهاجرين وايضا ورد انه انما قال لثالث ولعل الساعة الاولى كانت ساعة اجابة انقضت اولانه عرف صلى الله تعالى عليه وسلم انه لو دعا له استرسل الامر وطال وعم مثله الناس وهو مما يكتم (وقال اضرب به حين انكسر سيفه يوم بدر) اى فى وقعة بدر كما مر فى اطلاق اليوم على مثله (فعاد فى يده سيفا) اى صار لان عاد يكون بمعنى رجع وليس مناسبا هنا وبمعنى صار كما فصل فى محله وقوله (صارما) اى قاطعا ومنه الصرم وهو الهجر والقطيعة (طويل القامة) اى طويلا مستقيما (ابيض) اللون (شديد المتن) اى قوى الجرم صلبا من المتانة وهى القوة ولذا سمى الظهر متنا لقوته واشتداد الاعضاء وقوامها به (فقاتل به) ببدر حتى انقضت (ثم لم يزل) السيف (عنده) اى فى ملكه وتصرفه والعند للحضرة ويرد لمعان اخر منها هذا (يشهد) اى يحضر (به المواقف) اى قتال الكفرة (الى ان استشهد فى قتال) اهل (الردة) واستشهد بمعنى صار شهيدا وقيل معناه طلب الله تعالى منه الشهادة وذلك فى خلافة ابى بكر رضى الله تعالى عنه وهو مشهور وقوله الى ان استشهد الخ غاية لبقائه فى يده فلا ينافيه بقاؤه عند اهله بعده كما توهم (وكان هذا السيف يقال له العون) سمى بهذا المصدر مبالغة لاعانته على الاعداء وكان من عادة العرب واهل الصدر الاول انهم يسموا آلات حربهم وخيولهم باسماء كالاناسى (ودفعه) مصدر مرفوع مبتدأ خبره مقدر اى من كراماته صلى الله تعالى عليه وسلم دفعه او هو معطوف على دفعه السابق بلا تقدير وهو الاولى (لعبد الله بن جحش يوم احد) اى فى وقعة احد المشهورة وهو ابن عمته صلى الله تعالى عليه وسلم اميمة بنت عبد المطلب وهو من المهاجرين بالهجرتين ويسمى المجدع لانه استشهد باحد ومثلا بقطع انفه واذنيه لانه طلب ذلك من الله وقصته مشهورة فى السير ورواها البيهقى مسندة (وقد ذهب سيفه) جملة حالية او معترضة فاعطاه صلى الله تعالى عليه وسلم (عسيب نخل) عسيب بوزن كريم بعين وسين مهملتين ومثناة ساكنة تحتية وباء موحدة قيل وهى جريدة النخل لا خوص عليها والصواب ما فى الصحاح من انه من السعف ما فوق الكرب لم ينبت عليه خوص كعسيب الذنب (فرجع) اى صار العسيب وهو احد معنيى الرجوع ويكون لازما ومتعديا (سيفا) مفعول رجع قال ابن عبد البر فى الاستيعاب انقطع سيف عبد الله بن جحش يوم احد فاعطاه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوم احد عرجون نخلة فصار فى يده سيفا يقال ان قائمه

كان منه فبقى الى ان بيع من بغاء التركى بمائى دينار وكذا ذكره ابن سيد الناس وغيره وهذه الرواية تدل على ان العسيب اصل العرجون والجريد كما قيل قيل وهذه اعظم من معجزة موسى عليه الصلوة والسلام فى عصاه لانها بقيت بعده صلى الله تعالى عليه وسلم وعصا موسى لم تبق بعد موته وقد وقعت مرارا فى عصى متعددة وتلك عصاه واحدة وفى سيرة ابن سيد الناس مثله لسلمة ابن اسلم يوم بدر (ومنه) اى من هذا النوع من الكرامات والبركات (بركته) صلى الله عليه وسلم (فى درور الشاة) درور بدال وراثين مهملات مصدر درت الشاة ونحوها درورا سال لبنها من ضرعها بكثرة والدر اللبن ومنه لله دره ثم شاع فى معنى الخير والنفع والشاة من الغنم واصلها شوهة فاعلت وتطلق على ما يشمل المعز مجازا والشياة بزنة رجال جمع شاة (الحوائل) جمع حائل وهى التى لم تحمل مطلقا او ما حمل عليها فلم تحمل وقيل انها ما لم تكمل سنة اوستين وقيل انها جمع حول جمع حائل جمع الجمع ووصفها بذلك لانها ابعد من الدر (باللبن الكثير) ذكره للايضاح والتأكيد او اراد بالدرور مطلق الخروج على طريق التجريد والمجاز المرسل (كقصة شاة ام معبد) عاتكة بنت خالد الخزاعى اخت حبيش الصحابى المعروف بالاشعر وام معبد اسلم ومات فى حياة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وله رواية وقال السهيلى انه لا يعرف اسمه وقيل اسمه حبيش وقيل اكثم بن ابى الحرب ومنزله بقديد وقصة ام معبد مشهورة وتقدمت الاشارة اليها وافردها الحافظ العلائى بالتأليف وملخصها ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مر على خبائها وهو مهاجر للمدينة فنزل عندها وطلب منها زادا فقالت ما عندى غير شاة عجفاء لا لبن فيها فمسح صلى الله تعالى عليه وسلم ضرعها فدرت ما كفاه ومن معه وبقى فى الاناء بقية فلما جاء زوجها اخبرته بخبره وصفته فعرفه ثم قدمت عليه صلى الله تعالى عليه وسلم المدينة بولد صغير لها واسلمت كما بيناه سابقا وتفصيله فى السيرة وشرحها وهو مشهور لا حاجة لذكره هنا (و) منها قصة (اعنز) جمع عنز (معاوية ابن ثور) بالمثلثة ابن عبادة بكسر العين ابن البكاء والد بشر وقصته رواها ابن سعد وابن شاهين عن الجعد بن عبد الله وفى نسخة العرفى انه معونة بعين مضمومة ونون وصححه ولم يذكره الحافظ الحلبى ونقل خلافه عن الذهبى وكان وفد على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو شيخ كبير ومعه ولده بشر ومعه الصجيع بن البكاء والاصم ابن كعب فقال يا نبى الله بابى انت وامى امسح على وجه ابنى فمسح عليه واعطاه اعنزا سبعا ودعا لهما بالبركة قال الجعد وكانت السنة ذات قحط وغلاء اصاب بنى البكاء فاصابتهم بركته صلى الله تعالى عليه وسلم ونمت الاعنز وكتب لهم كتابا هو عند بنى بشر المذكور وفيه قصة الاعنز وفى ذلك يقول بشر رضى الله عنه

*وانا الذى مسح الرسول برأسه * ودعا له بالخير والبركات*

(وشاة انس) وقصتها كقصة شاة ام معبد الا ان الشراح لم يذكروها ولم يذكرها السيوطى فى تخريجه ايضا لعدم الوثوق عليها (وغنم حليمة مرضعته) صلى الله تعالى عليه وسلم اى قصة غنمها التى رواها ابو يعلى والطبرانى وغيرهما بسند حسن لما حملته صلى الله تعالى عليه وسلم لترضعه فى سنة كان فيها قحط اصاب ارض قومها وقل النبات فيها فكان غنمها تأتى من المرعى وقد رعت كثيرا ودرلبنها وغنم قومها تأتى عجافا جافة الضروع فيتعجبون منها وما ذاك الا ببركته صلى الله عليه وسلم ويمن قدمه وحليمة هى بنت عبد الله بن الحارث السعدية وزوجها هو الحارث ابن عبد العزى وقد اسلمت هى وزوجها واولادها كما تقدم ومرضعته بالجر بدل من حليمة (وشارفها) بالجر عطف على غنم والشارف الناقة المسنة المهرية وقيل انها تشمل الذكر والانثى والمعز والمراد الاول فكانت خرجت من بلدها مع زوجها وابن رضيع لها ومعهم شارف لبس فى ضرعها قطرة لبن فكانوا لا ينامون من الجوع فلما اخذت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لترضعه قام زوجها فوجد شارفه حافلة بالدر فحلب منها ما شربوا كلهم وشبعوا وبات بخير ليلة فقال لحليمة انه نسمة مباركة فقالت انى والله ارجو بركته الى آخر القصة (وشاة عبد الله ابن مسعود) التى روى قصتها البيهقى وابن مسعود من كبار المهاجرين السابقين وترجمته تقدمت وكان وهو صغير يرعى غنما لعقبة بن ابى معيط فمر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر فقال له هل عندك لبن قال نعم لكنى مؤتمن فقال ائتنى بشاة لم ينز عليها الفحل فاتيته بجذعة فاعتقلها ومسح ضرعها ودعا الله واتاه ابو بكر بصحفة فحلب فيها وقال لابى بكر اشرب ثم قال للضرع اقلص فعاد كما كان وكان هذا سبب اسلامه (وكانت لم ينز عليها فحل) نزاء الذكر على الانثى اذا علاها لينكحها وانزاه غيره وهو مخصوص بالبهائم والسباع والفحل الذكر فيصح فى ينزان يكون بفتح الياء التحتية وضم الزاى المعجمة مبنى للفاعل ويصح ضم اوله وفتح آخره بالبناء للمجهول هو مبالغة فى عدم اللبن بنفى اللازم البعيد لانه اذا نزا عليها حملت ثم ولدت ثم يدر لبنها (وشاة المقداد) بالجر اى قصتها التى رواها مسلم والبيهقى وهو ابن عمرو لا الاسود وان اشتهر به كما يأتى ابن عبد يغوث الصحابى المشهور وقصته انه قال كنت انا وصاحبان لى قد بلغ منا الجهد فعرضنا انفسنا على اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلم يقبلنا احد فاتينا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فانطلق بنا الى اهله فاذا ثلاثة اعنز فقال احتلبوا منها لبنا بيننا فكنا نحتلب ونشرب منا كل نصيبه ونرفع للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم نصيبه فيجئ من الليل ويشربه فوقع فى نفسى ذات ليلة انه صلى الله تعالى عليه وسلم يأتيه الانصار لحاجتهم لهذه الجرعة فشربتها ثم ندمت خشية انه اذا لم يجدها يدعو على فاهلك فلم انم وقد نام صاحباى فجاء صلى الله

تعالى عليه وسلم لعادته ليكشف الاناء فلم يجد شيئا ورفع بصره الى السماء فقلت الآن
يدعو على فقال اللهم اطعم من اطعمنى واسق من سقانى فاخذت الشفرة وانطلقت
الى الاعنز لاذبح ما سمن منها فاذا هن حفل كلها فحلبت اناء حتى علت الرغوة وجئت
اليه صلى الله تعالى عليه وسلم به فشرب ثم ناولنى فلما علمت انه روى واصبت دعوته
ضحكت حتى استلقيت فقال صلى الله تعالى عليه وسلم احذر سوآتك يا مقداد يعنى انك
فعلت سوءة فما هى فقلت يا رسول الله كان منى كذا وكذا فقال ما هذه الا رحمة
من الله لو كنت ايقظت صاحباك فاصابا منها فقلت والذى بعثك بالحق ما ابالى
اذا اصبتها واصبت فضلك من اخطأت من الناس (ومن ذلك) اى من كراماته
وبركاته صلى الله تعالى عليه وسلم ما رواه ابن سعد عن سالم بن ابى الجعد مرسلا
(تزويده اصحابه) اى اعطاهم ما يتزودونه اى يكون زادا والزاد يشمل الماء
والطعام والمراد الاول لقوله (سقاما) السقاء ككساء جلد كالقربة يوضع فيه الماء
واللبن ونحوه وضمن تزويد معنى اعطاء ولذا نصب السقاء اوهو على التسمح وقوله
سقاما المراد به سقاء فيه ماء كما يشهد له ما بعده (بعد ان اوكاه) اى شده
بالوكاء وهو ما يربط به القربة ونحوها (ودعا فيه) اى دعا فى شانه وامره
وسببه وبعد متعلق بتزويد (فلما حضرتهم الصلاة) اى دخل وقتها حتى
كانها جاءتهم وهذا يقتضى انه كان ما يصلح للوضوء (نزلوا فحلوه) اى حلوا وكاءه
ليستعملوا ماءه (فاذا هو لبن حليب) اى فاجاءهم كونه لبنا خالصا بعد ما كان ماء
وهذا من قلب الاعيان ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم (وزبدة) بباء الموحدة
او بالاضافة لضمير اللبن او للسقاء بادنى ملابسة (فى فمه) اى فى فم ذلك السقاء والزبد
دليل على خلوص لبنه وجودته وانما اوكاه لئلا يتوهم ان اللبن وضع فيه وبدل لمن
لم يكن معه وفى نسخة فنزلا فحلاه بضمير التثنية لرجلين كان السقاء معهما وهذا
الحديث (من رواية حماد بن سلمة) ابن دينار الامام ابو سلمة احد الاعلام وله ترجمة
فى الميزان كما تقدم وذكره من روايته على خلاف المعتاد من اسلوبه فى تحريره
قبل بيانا لشان هذا الحديث حيث رواه مثل هذا الامام الثقة العابد الزاهد الذى
كان مجاب الدعوة معدودا من الابدال ومسلم ممن اجله وروى عنه والمغاربة
والمصنف رحمه الله تعالى من اجلهم يمشون اثر مسلم فلا يعتدون بمن غض منه وقال
البخارى لم يروعنه الا على طريق الاستشهاد وهذا من قلة الانصاف وسلمة بفتحتين
كما مر (ومسح على رأس عمير بن سعد) اى امر صلى الله تعالى عليه وسلم يده على
رأسه قال الحافظ البرهان الحلبى كذا فى نسخ من الكتاب وفى بعضها عمر بن سعد
بلا تصغير وهو ابو كبشة الانصارى الصحابى وعمير من الصحابة ايضا ولا اعرف من
جرت له هذه القصة منهما وقال السيوطى ان الذى رواه الزبير بن بكار فى اخبار

المدينة عن محمد بن عبد الرحمن بن سعد بن عبادة لا عمير ولعل ذلك واقعتان وفى نسخة
التلمسانى عمر بن سعيد وقال انه ابو يحيى النخعى الكوفى مات سنة خمس عشرة ومائة
(وبرك) بالتشديد اى دعا له صلى الله عليه وسلم بالبركة فى عمره وصحته (فمات وهو
ابن ثمانين) اى وقد بلغ سنه الثمانين فجعله ابنها مجازا ومثله مشهور يجعلون الدهر
كالاب والام كما يقال الليالى حبالى قال * فمخضت المنون له بيوم * اتى ولكل حاملة
تمام * (فما شاب) اى ببركة مس يده الشريفة له لم يشب رأسه وشعره ولم يهرم
فنفى الهرم بنفى الشيب لانه من لوازمه (وروى) للبناء للمجهول نائب فاعله (مثل هذه
القصص) من بركاته صلى الله عليه وسلم (عن غير واحد) اى عن كثير فنفى الوحدة
كناية عن الكثرة (منهم السائب بن يزيد) بن سعيد بن ثمامة ابن الاسود (ومدلوك)
بفتح الميم وسكون الدال المهملة وضم اللام وواو تليها كاف وهو ابو سفيان الفرارى
له وفادة على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واسلم مع مواليه وعلق البخارى
حديثه فى غير الصحيح وذكره ابن حبان فقال مدلوك ابو سفيان كان يسكن الشام
واتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فمسح برأسه فكان ما مست يده اسود وسائر
رأسه ابيض انتهى وفيه تفضيل عدم الشيب عليه وان كان الشيب وقارا لان
مدحه لدلالته على الصحة كما مر ولكل شئ جهة مدح وجهة ذم وقد افرد ذلك
الثعالبى فى كتاب سماه مدح الشئ وذمه (و) روى الطبرانى والبيهقى انه (كان
يوجد لعتبة ابن فرقد) اى كان موجودا عنده والمضارع لحكاية الحال الماضية
هو ابو عبد الله عتبة بن فرقد بن يربوع السلمى الصحابى شهد خيبر وابتنى بالموصل
دارا ومسجدا وابنه عمرو عد من الاولياء وسكن عتبة الكوفة ويقال لاولاده
الفراقدة وولى الموصل (طيب) نائب فاعل يوجد والمراد بالطيب الرائحة الطيبة
وقيل انه بتقدير مضاف اى رائحة طيب يشم من جسده ويفوح فى مجلسه (يغلب
طيب نسائه) اصل معنى الغلبة القهر والاستيلاء فاستعير للزيادة والقوة كما ورد غلبت
رحمتى غضبى وروى سبقت فالمراد ان رائحته تزيد على رائحة غيره حتى لا يظهر
عندها فانه روى كما فى الدلائل والاستيعاب عن زوجته ام عاصم انها قالت كنا عنده
ثلاث نسوة ما منا واحدة الا وهى تجتهد فى الطيب لتكون اطيب ريحا من صاحبتها
وعتبة لا يمس طيبا فكان اطيب منا ريحا فقلت له فى ذلك فقال اصابنى الشرى
على عهده صلى الله تعالى عليه وسلم فاقعدنى بين يديه وتجردت من ثيابى فتفل فى كفه
وذلك الاخرى ثم امرهما على ظهرى وبطنى فعبق بى ما ترون واليه اشار بقوله
(لان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مسح على بطنه وظهره) وهو متعلق
وتعليل لقوله يغلب (وسلت الدم عن وجه عائذ بن عمرو) اى مسح صلى الله
تعالى عليه وسلم وجهه بيده متكئا عليه حتى اخرج ما عليه من الدم وهذا معنى

السلت ويختص باخراج المايع والرطب المنسق بشئ آخر يقال سلت القصعة اذا امر اصابعه على جوانبها لتنظف كما فى صحاح الجوهرى وهو معنى معروف فلاوجه لماقيل انه من سلت الدم قطعه وعائذ بعين مهملة وذال معجمة اسم فاعل من العوذ سمى به وهوعائذ ابن عمروبن هلال المزنى الصحابى من اصحاب الشجرة وهو مزنى وحديثه هذا رواه عنه الطبرانى (وكان) عايذ (خرج يوم حنين) اى فى وقعته التى وقعت مع هوازن سنة ثمان من الهجرة كما فصل فى السير وحنين اسم موضع قريب من الطائف بينه و بين مكة ثلاثة اميال سمى باسم حنين بن مهيلائل لنزوله به كما مر وجملة وكان الخ حالية (ودعاله) لجهاده فى سبيل الله (فكانت له غرة) بيضاء منيرة (كغرة الفرس) من اثر يده الشريفة لما مسح وجهه والغرة بياض منتشر طولا وعرضا فى وجهه فان قلت سميت فرجة ولبس فيه مثله كما توهم فانه كبياض يد موسى عليه الصلوة والسلام والفرق بينه و بين البرص ظاهر وفى نسخة ولا كغرة الفرس اى لاتشبه غرته لما فيه من النور ولبس كالوضح فى البدن (و) ذكر ابن الكلبى انه صلى الله تعالى عليه وسلم (مسح على رأس قيس بن زيد) وهو صحابى له وفادة على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكان سيد قومه وفى بعض النسخ يزيد بياء فى اوله وابوه يسمى عامرا (الجذامى) نسبة لجذام كغراب قبيلة مشهورة (ودعاله) صلى الله تعالى عليه وسلم بعافيه بقاء صحته وعافيته (فهلك) اى مات فالهلاك والموت بمعنى وقد يخص الهلاك بموت غير مرض لكنه لبس معنى وضعيا وهو (ابن مائة سنة ورأسه ابيض) لشيبه (وموضع كف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وما مرت عليه يده اسود) لم يشب ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم (وكان يدعى الاغر) اى كان يسمى بالاغر لمافى وجهه من النور تقول دعوت ابنى محمدا اذا سميته به (وروى) بالبناء للمجهول والذى رواه البيهقى (مثل هذه الحكاية لعمرو بن ثعلبة الجهنى) فى مسحه صلى الله تعالى عليه وسلم برأسه و بقاء اثره فى وجهه وموته كما مات قيس على احسن حالة وثعلبة هو وهب بن عدى بن مالك النجارى الزهرى والجهنى منسوب لجهينة وهى قبيلة مشهورة وقصته كما فى دلائل البيهقى انه قال لقيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالسيالة فاسلمت ومسح على وجهى فمات عمرو وقد اتت عليه مائة سنة وماشاب منه شعرة مستها يد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وجهه ورأسه وسيالة بوزن سحابة بسين مهملة ولام موضع قريب من المدينة الشريفة (ومسح) صلى الله تعالى عليه وسلم (على وجه آخر) قال البرهان لااعرفه وقيل لعله خزيمة ابن سواد بن الحارث لانه روى انه مسح على وجهه فصارت له غرة بيضاء وقيل لعله طلحة بن ام سليم فانه اروى انه صلى الله تعالى عليه وسلم مسح بناصيته فكان كغرة

(فازال على وجهه نور) من آثار انواره صلى الله عليه وسلم (ومسح) صلى الله عليه وسلم (وجه قتادة بن ملحان) بكسر الميم ويجوز فيه الصرف وعدمه وقتادة هذا صحابى له رواية وترجمة (فكان لوجهه بريق) اى لمعان وصفاء بشرة من اثر مرور يده الشريفة عليه حتى كان (ينظر) بالبناء للمجهول (فى وجهه) اى يقابل وجهه بوجهه ليرى الناظر صورة وجهه فيه لشدة صفاء بشرته (كما ينظر فى المرآة) بكسر الميم اسم آلة من الرؤية معروفة والظاهر انه مبالغة فى صفائه وحسنه ولبس المراد حقيقته (ووضع) صلى الله تعالى عليه وسلم (يده على رأس حنظلة) فى حديث رواه البيهقى بطوله مسندا (ابن حذيم) قال ابن ماكولا هو بكسر الحاء المهملة وسكون الذال المعجمة وفتح المثناة التحتية وميم وقال انه حنيفة بن حذيم ابو حنظلة له صحبة وكذا قال الذهبى فى المشتبه والتجريد حنيفة والد حذيم ولهما صحبة ولحنظلة ابنه وذكر حذيما فقال حذيم ابن حنيفة بن حذيم الحنفى والد له فيما قيل صحبة ولابنه وابن ابنه صحبة وفيه خلاف انتهى فعلم منه انهم اربعة لهم صحبة وقد قال ابن الجوزى لايعلم اربعة ادركوه صلى الله تعالى عليه وسلم الا اباقحافة وابنه ابابكر وابنه عبدالرحمن وابنه محمد ويكنى اباعتيق انتهى والصحيح ان اباعتيق تابعى وجزم عليه الذهبى فى تجريده ولو قالوا عبدالله بن الزبير وامه اسماء وابوها ابو بكر وابوه ابوقحافة كان صوابا فانه لاخلاف فى صحبتهم فحصل من مجموعه ثلاثة اشخاص ولهم رابع ذكره العراقى فى حاشية الفية وحنظلة مالكى وقيل حنفى وقيل سعدى هذا محصل ماقاله البرهان (وبرك عليه) بالتشديد اى دعاله بالبركة وقال بارك الله فيك (فكان يؤتى) بصيغة المجهول اى يأتيه الناس (بالرجل) تعريفه للعهد الذهنى المساوى للنكرة (قد ورم وجهه) جملة حالية اى اصابه مرض ورم منه وجهه (والشاة) بالجر من المعز والضأن (قد ورم ضرعها) وهو كالثدى للانسان وهو معروف (فيضع) محل الورم من الوجه والضرع (على موضع كف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) الذى مسه (فيذهب الورم) الذى كان اصابه (و) روى ابن عبدالبر فى الاستيعاب انه صلى الله تعالى عليه وسلم (نضح فى وجه زينب بنت ام سلمة) بفتحتين علم منقول من اسم شجرة معروفة وام سلمة هى ام المؤمنين وزينب بنتها ربيبة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واخت ابن الزبير من الرضاعة ونضح ينضح من باب ضرب يضرب بمعنى رش بالماء ونحوه (نضحة) اى رشة (من ماء فما كان يعرف فى وجه امرأة) اى ما كان يرى وينظر فى وجه احد من النساء او يعلم بالاخبار لمن لم يرها (من الجمال) اى حسن الوجه ورونقه (مابها) اى ما كان بها من ذلك ببركة الماء الذى رشه صلى الله تعالى عليه وسلم فى وجهها لان ذلك الماء كان مسه صلى الله تعالى عليه وسلم قال ابن عبدالبر فى الاستيعاب دخلت زينب على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يغتسل فنضح فى وجهها ماء فلم يزل ماء الشباب بوجهها حتى كبرت

وعجزت وكانت عند عبد الله بن زمعة فولدت له وكانت من افقه اهل زمانها واعقلهم وتقدم ان اسم ام سلمة هند وقيل رملة وابوها حذيفة المعروف بزاد الراكب وزينب ولدت بارض الحبشة فقدمت بها امها وكان اسمها برة فسماها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم زينب (ومسح) صلى الله تعالى عليه وسلم بيده الشريفة المباركة (على رأس صبي) كان ذلك الصبي (به عاهة) اى آفة ومرض والمراد انه كان اقرع واسم هذا الصبي لايعرف (فبرأ) بزنة ضرب وآخره مهموز ومابرئ بمعنى خلق فعتل اى زالت عاهته وشفى مما به (واستوى شعره) اى نبت وتم وحسن من قولهم استوت الثمرة اذا كملت والشعر معروف بفتح العين وسكونها وهذا الحديث لم يخرجه السيوطى ولاغيره من الشراح (ومثله روى فى خبر المطلب بن قتادة ومسح) صلى الله تعالى عليه وسلم (على غير واحد) اى على كثير كما مر بيانه (من الصبيان المرضى) جمع مريض (والمجانين فبرؤا) اى زال مابهم من المرض والجنون قيل هذا كله كان ينبغى ذكره فى فصل ابراء المرضى وذوى العاهات واكثر فصوله متداخلة ولكل وجهة لمن تدبر وعرف مقاصد المصنف (و) فى حديث لم يخرجوه انه صلى الله تعالى عليه وسلم (اتاه رجل به ادرة) بضم الهمزة وسكون الدال وبالراء المهملتين وهاء وهو انتفاخ فى الخصيتين معروف (فامره ان ينضحها) اى يرش على ادرته (بماء من عين مج فيها) اى كان صلى الله عليه وسلم تفل ريقه فيها (ففعل) اى رش من مائها على ادرته (فبرأ) اى شفاه الله وزال ورمه على السرعة ببركة الله وبركته صلى الله تعالى عليه وسلم فى الماء الذى خالطه فيه وضميرفيها للعين اى عين الماء لانها مؤنثة وفى بعض النسخ فيه بالتذكير فالضمير للماء اوللعين لتأويلها به والامر فيه سهل ويجوز فى الادرة فتح الهمزة مع سكون الدال وفتحها وقد قيل انها انفتاق فيها اوفى احد جانبيها وقد يكون بلحم يزيد فيها او ريح كما يعرف الاطباء وينضحها يجوز فى ضادها الفتح والكسر وفى بعض الحواشى ان الرجل اسمه المهلب بن قبالة بفتح القاف والباء الموحدة الخفيفة ولام وروى هلب بن قنافة وهلب بضم الهاء وسكون اللام بزنة قفل وقنافة بضم القاف ونون مفتوحة مخففة وفاء قال ابن عبد البر هو الصواب ان لم يكونا قصتان وقال الطبرى هو المهلب ابن يزيد ابن عدى بن قنافة ابن عدى بن شمس بن عوف الطاى وفد على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وبه قرع فمسح برأسه ونبت شعره فسمى المهلب لذلك (و) فى حديث روى (عن طاووس) ابن كيسان اليمانى ابو عبد الرحمن اليمانى المشهور وهو من ابناء الفرس واسمه ذكوان فلقب بطاوس لانه طاوس القراء روى عن ابن عباس وابى هريرة وغيرهما وكان رأسا فى العلم والعمل توفى سنة ست اوخمس ومائة واخرج له الستة وهو ممن اتفق على زهده وعلمه حج اربعين حجة وصلى الصبح بوضوء

العمة اربعين سنة الى غيرذلك من مناقبه وهو من اجل التابعين دفن بمكة رضى الله تعالى عنه (لم يؤت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) بالبناء للمجهول اى لم يأته احد (باحد به مس) سيأتى تفسيره (فصك فى صدره) بصاد مهملة وكاف مشددة اى ضرب صدره بيده المباركة والصك مطلق الضرب اواشده (الاذهب المس) عنه ويرى مما به وهذا الحديث موقوف على طاوس ولم يذكروا من رواه عنه والجملة حالية تأتى بالواو وقد وبدونهما (والمس الجنون) واللمس والمس متقاربان الا انه يكنى به عن الجنون قال الله تعالى كالذى يتخبطه الشيطان من المس لانه يقال كل على ماينال الانسان من الاذى كقوله تعالى مستهم البأساء والضراء (و) روى احمد عن وائل بن حجر مسندا انه صلى الله تعالى عليه وسلم (مج) اى صب من فيه (فى دلو فيه ماء اخرج (من بئر ثم صب فيها) اى فى البئر الذى مج فيه ريقه (ففاح منها ريح المسك) الريح هنا بمعنى الرائحة ويطلق فى الاصل على نفس الهوى والمراد انه مثله فى الطيب وهو اتم منه واطيب ولكن جعل مشبها به لشهرته (و) فى حديث مشهور رواه مسلم عن سلمة بن الاكوع انه صلى الله تعالى عليه وسلم (اخذ قبضة) بفتح القاف وضمها (من تراب) اى ملء كفه من التراب (يوم حنين) اى فى وقعتها المشهورة فى السير (ورمى بها) اى بترابها (فى وجوه الكفار) فاصابتهم جميعا (وقال شاهت الوجوه) جملة دعائية بمعنى قبحت وقبحها الله وهى من الشوهة والتشوية وهو القبح قيل واول من تكلم به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ووقع مثله فى يوم بدر كما فى السير وهو شئ اقدره الله تعالى عليه كما قال الله تعالى * ومارميت اذ رميت ولكن الله رمى * فان ايصال هذا المقدار اليسير الى اعين هؤلاء الجم الغفير من صنع الملك القدير (فانصرفوا) اى ولى الكفار حال كونهم يمسحون (القذا) بفتح القاف والذال المعجمة والف مقصورة وهو مايقع فى العين من التراب ويكون ايضا مايقع فى الماء المشروب ونحوه (مما يكدره عن اعينهم) اى يزيحونه ويزيلونه منها لتأذيهم به ومنعهم من الابصار وفتح العين وهو معروف وواحده قذاة وفى الحديث يرى احدكم القذاة فى عين اخيه ويعمى عن الجذع فى عينه وهو مثل يضرب لمن يرى فى عيوب الناس الصغيرة ولايرى عيوبه الكبيرة وهو مثل تمثل به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ونظمه بعض المتأخرين فقال * واعجبا للمرء مع علمه * ان ليالى عمره سارية * ينظر فى عين اخيه القذا * ولايرى فى عينه السارية * وقوله فانصرفوا بمعنى انهزموا لما وصل التراب الى اعينهم وقال شاهت الوجوه وفيه معجزة عظيمة له صلى الله تعالى عليه وسلم (و) فى بعض النسخ انه صلى الله تعالى عليه وسلم (ضرب صدر جرير بن عبد الله) البجلى الصحابى رضى الله تعالى عنه وليس هو جرير الشاعر وخص الصدر لانه محل

الرهبة والامن لانه مقر القلب (ودعا له وكان) جرير (ذكر له) صلى الله تعالى عليه وسلم (انه لايثبت على الخيل) اى لايقر على ظهورها لعدم فروسيته (فصار) جرير رضى الله عنه حينئذ (من افرس العرب) اى اقواهم (واثبتهم) على ظهورها ببركة دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم له فالفاء فصيحة اى فدعا له فصار الى آخره (ومسح) صلى الله تعالى عليه وسلم (على رأس عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب) بن نفيل القرشى العدوى المدنى الصحابى (وهو صغير) وكان اتى به الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فحنكه (وكان دميما) بدال مهملة بمعنى حقير واما ذميم بالمعجمة فهو بمعنى مذموم وليس مراداهنا (ودعا له بالبركة) اى بالزيادة فى خلقته وسائر اموره (ففرع) بفاء وراء وعين مهملتين مفتوحات (الناس) اى جنسهم وفى نسخة الرجال بدله بمعنى زاد عليهم (طولا) اى فى طول قامته (وتماما) اى بان تم سائر اعضائه وكمل الله خلقته بدعائه له صلى الله تعالى عليه وسلم والى هنا انتهى ما زيد فى الاصل ونقل من خط المصنف رحمه الله تعالى (وشكى اليه) صلى الله تعالى عليه وسلم (ابوهريرة) الصحابى المشهور رضى الله تعالى عنه وقد قدمنا ترجمته وما يتعلق به من الصرف وعدمه وما فيه من الكلام للناس (النسيان) مصدر بكسر النون وهو ضد الحفظ والفرق بينه وبين السهو ان الثانى يتنبه صاحبه بادنى تنبه والفرق بينه وبين الخطأ انه صدور امر من غير قصد (فامره) صلى الله تعالى عليه وسلم (ببسط ثوبه) اى ماكان يسأل فى ذلك الوقت اى بان يضعه على الارض ويفرشه (وغرف بيده فيه) اى فعل فعلا شبيها بمن يغرف من شئ مايضعه فى آخر وضمير فيه للثوب الذى امره صلى الله تعالى عليه وسلم يبسطه للاثر الذى اراده له (ثم امره) بعد ماغرف فيه (بضمه) اى ضم ثوبه على جسده (ففعل) اى ضمه عليه حتى كانه صار بدنه ماغرفه (فما نسى بعده) بالبناء على الضم لما تقرر فى محله فى علم العربية اى لم ينس ابوهريرة شيئا مما كان يسمعه منه صلى الله تعالى عليه وسلم ومن غيره لمانا له من البركة قال ابوهريرة رضى الله تعالى عنه فما كان احد احفظ منى لحديث الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم الا ان ابن عمر رضى الله تعالى عنهما لتقدم اسلامه عليه ولانه كان يكتب وهذا الحديث رواه البخارى وفيه بدل الثوب الرد اولا مخالفة بينهما لان المراد بالثوب الملبوس مطلقا كما تقرر وان خص فى العرف بالمخيط منه ومافعله صلى الله تعالى عليه وسلم من الغرف ونحوه بجعل المعانى المعقولة بمنزلة الامور المحسوسة فجعل الحفظ كشئ عنده اغترف منه حتى ملأ رداءه وضمه اليه حتى يخبط به ويسرى من ظاهره كباطنه وهو صلى الله عليه وسلم كما فوض اليه التصرف فى عالم الشهادة فوض اليه التصرف فى غيره ايضا وهو سر من الاسرار دقيق لايوقف عليه الا بالكشف ❊ فصل ❊ (ومن ذلك)

اى من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم وكراماته الباهرة (ما اطلع عليه) هو اما مبنى للمجهول من الافعال اى اطلعه الله تعالى عليه او من الافتعال مبنى للفاعل بتشديد الطاء (من الغيوب) بغين معجمة جمع غيب المصدر على خلاف القياس من غاب بمعنى استتر عن العين يقال غاب عنى كذا ويستعمل فى كل غائب عن الحاسة وما يغيب عن الانسان بمعنى الغائب والغيب بالنسبة للناس لا لله فانه لايغيب عنه مثقال ذرة وقوله عالم الغيب والشهادة اى مايغيب عنكم وماتشاهدونه وقوله يؤمنون بالغيب اى بما لايقع تحت الحواس ولاتقتضيه بداهة العقول وانما يعلم باخبار الرسل عليهم الصلوة والسلام (ومايكون) فى المستقبل وهو معطوف على الغيوب عطف الخاص على العام لان الغيب اما باعتبار انه موجود لم يطلع عليه غير الله او ما سيوجد فهو قبل وجوده والعلم به من المغيبات (والاحاديث) الواردة (فى هذا الباب) اى فى هذا النوع من كراماته صلى الله عليه وسلم فى اخباره عن الغيب الذى اطلعه الله عليه فانه لايظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول (بحر) تشبيه بليغ اى فى كثرتها كالبحر (لايدرك قعره) بالبناء للمجهول والادراك الوصول وقعره قراره وارضه اى لايصل احد الى نهايته (ولاينزف) بمعجمة وفاء مبنى للمفعول او للفاعل بزنة يضرب والنزف والنزح بمعنى اى لاينفد ويفنى (غمره) بفتح الغين المعجمة وسكون الميم قبل راء مهملة وهو الماء الكثير جدا (وهذه المعجزة) فى اطلاعه صلى الله تعالى عليه وسلم على الغيب (من جملة معجزاته) اشارة الى كثرتها فهى البحر حدث عنه ولاحرج (المعلومة) للناس (على) طريق (القطع) بتحققها بحيث لايمكن انكارها والتردد فيها لاحد من العقلاء وقوله لمعلومة على القطع صفة للمعجزات والقطع بنوعها ومجموعها وكذا تواترها تواترا معنويا حاصلا من مجموعها بقطع النظر عن كل فرد فرد منها مما لاشبهة فيه كتواتر جود حاتم وهذا غير التواتر المصطلح عليه فانه جار فى بعضها كالقران والى هذا انه اشار بقوله (الواصل الينا خبرها) جاريا (على) نهج (التواتر) المشهور (لكثرة رواتها) اى رواة مجموعها (واتفاق معانيها على الاطلاع على الغيب) اى الامور المغيبة وهذا لاينافى الايات الدالة على انه لايعلم الغيب الا الله وقوله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير فان المنفى علمه من غير واسطة واما اطلاعه عليه باعلام الله له فامر متحقق بقوله تعالى فلايظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول قال ابن عطاء الله فى لطائف المنن اطلاع العبد على غيب من غيوب الله بنور منه بدليل اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله تعالى لايستغرب وهو معنى قوله كنت بصره الذى يبصر به فمن كان الحق بصره اطلاعه على غيبه غير مستغرب وقال بعض العارفين قوله الا من ارتضى من رسول لاينافى قول المرسى فى تفسيرها لارسول او صديق او ولى ولازيادة فيه على النص فان السلطان

اذاقال لايدخل على اليوم الا الوزير لاينافى دخول اتباع الوزير معه فكذلك الولى اذا اطلعه الله على غيبه لم يره بنور نفسه وانما رآه بنور متبوعه ولم يكلفنا الله الايمان بالغيب الا وقد فتح لنا باب غيبه والى هذا اشار الغزالى فى اماليه على الاحياء ثم قال ويحتمل ان يكون المراد بالرسول فى الآية ملك الوحى الذى بواسطته تنكشف الغيوب فيرسله للاعلام بمشافهة او القاء فى روع اوضرب مثل فى يقظة اومنام ليطلع من اراه وفائدة الاخبار الامتنان على من رزقه الله ذلك واعلامه بانه لم يصل اليه بحوله وقوته فلا يظهر على غيبه احدا من عباده الا على يدى رسول من ملائكته ارسله لمن فرغ قلبه لانصباب انهار العلوم الغيبية فى اوديته حتى يصل لاسرار الغيب المكنونة فى خزائن الالوهية انتهى فاعرفه فانه من المهمات واليه اشار القاضى فى تفسيره و بقى ثمة اسرار لاتسعها الحروف ثم انه بين ما اجمل بحديث رواه ابوداود عن حذيفة وعدل عما رواه الشيخان رحمهم الله تعالى الشيخان لما فى طريقه التى رواه منها من الزيادة فقال (حدثنا الامام ابو بكر محمد بن الوليد الفهيرى) المعروف (اجازة) منه بروايته عنه (وقراءته على غيره) اشارة الى انه رواه من طرق متعددة قوية والقراءة والاجازة طريقان اختلف فى ايهما اقوى وقيل انهما متساويان وهو الظاهر (قال ابو بكر حدثنا ابو على التسترى) على ابن احمد ابن على الامام المشهور احد رواة سنن ابى داود وتستر كجندب بلد معروفة وسينه مهملة واعجامها لحن (قال حدثنا ابو عمر الهاشمى) وهو القاسم بن جعفر بن عبد الواحد (قال حدثنا اللؤلؤى) وهو ابو على محمد بن احمد بن عمر السابق ترجمته (قال حدثنا ابو داود) صاحب السنن المشهور كما تقدم (قال حدثنا عثمان بن ابى شيبة) ابن محمد بن ابراهيم ابو الحسن الكوفى الحافظ توفى سنة تسع وثلاثين ومائتين واخرج له اصحاب السنن وغيرهم وترجمته فى الميزان (قال حدثنا جرير) ابن عبد الحميد الضبى صاحب المصنفات المشهورة الثقة توفى سنة ثمان وثمانين ومائة واخرج له الستة وترجمته فى الميزان وغيره (عن الاعمش) هو سليمان ابن مهران كما تقدم فى ترجمته (عن ابى وائل) سفيان بن سلمة الاسدى المخضرم توفى سنة اثنين وثمانين وهو من العلماء العاملين ثقة اخرج له الستة (عن حذيفة) بن اليمان الصحابى المشهور صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى اخبر بالفتن وما سيكون وروى عنه احاديث كثيرة وكان عمر رضى الله تعالى عنه اذا لم يشهد حذيفة جنازة لا يشهدها هو لاطلاعه على المنافقين باعلام منه صلى الله عليه وسلم له بذلك توفى سنة ست وثلاثين بعد قتل عثمان وروى عنه لا تقوم الساعة حتى يسود كل قبيلة منافقوها وحديثه الطويل فى الفتن مشهور واليه اشار بقوله (قام فينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) الضمير للصحابة والمراد به انه خطبهم يوما فعبر بالقيام عن الخطبة لان الخطيب يخطب قائما اى قام ونحن عنده فالظرفية مجازية (مقاما) بفتح الميم اسم مكان او مصدر ميمى فهو مفعول مطلق

(فما ترك) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى مقامه هذا (شيئا) مما (يكون) اى يوجد ويحدث بعد مما يهم من احوال المسلمين ومن يتولى امورهم بعده وما يكون بعده من الفتن والحروب فيكون تامة والجملة صفة شيئا (فى مقامه ذلك) اى فى خطبة التى خطبها وهو من وضع الظاهر موضع المضمر بكمال العناية به (الى قيام الساعة) اى مما وضع منه الى آخره فقدره لدلالة المقام عليه (الاحدثه) اى الا حدثنا به وذكرلنا انه سيوجد وفى نسخة حدث به والفعل فى تأويل الاسم كقولهم انشدك الله الا فعلت والاستثناء متصل لدخول المحدث به فى الشئ وقيل انه منقطع بمعنى لكن (حفظه) من حفظه الضمير للحديث المفهوم من السياق (ونسيه من نسيه) اى حفظه بعض السامعين له ونسيه بعضهم (قد علمه اصحابى هؤلاء) الحاضرون عنده او المراد اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهذه الزيادة فى رواية ابى داود لم يذكرها البخارى (وانه) الضمير للشان (ليكون منه الشئ) اى يوجد شئ مما حدثنا به فى ذلك المقام فى الخارج (قد نسيته) لطول العهد بحديثه (فاراه) يعنى بعد ما وجد (فاعرفه فاذكره) اى اتذكره بعد ما نسيته فاتذكر ما اخبرنا به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم شبه تذكره اتضاحه له (كما يذكر الرجل وجه الرجل اذا غاب عنه ثم اذا رآه عرفه) فيه تقديم وتأخير اى كما ان الرجل اذا غاب عنه رجل كان يعرف وجهه وسيماه وهو فى مخيلته الا انه لم يذكره فاذا رآه تذكره وعرفه فليس اذا متعلقا بتذكر بل بنسى المعلوم من الكلام وهو من تشبيه المعقول بالمحسوس تشبيها تمثيليا (ثم قال) حذيفة فيما رواه ابو داود وزاده على ما رواه الشيخان (ما ادرى انسى اصحابى) هذا الحديث (ام تناسوه) اى اظهروا نسيانه خوف الفتن لا لقلة الاهتمام به كما قيل بل لانه من الاسرار التى لا ينبغى ان يحدث بها كل احد (والله) قسم اكد به ما بعده (ما ترك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قائد) بالقاف والدال المهملة ومن زائدة والمراد به المتقلبة الذين معهم جند تتبعهم كما يتبع الجمل والفرس من يقوده ويمشى خلفه (فتنة) فيأتى المحاربة وايقاع الضرر بالمسلمين كالحجاج وغيره من اصحاب البدع من زمنه (الى ان تنقضى الدنيا) اى الى ان تتم وتنتهى مدتها ويخرب العالم وتبدو مقدمات الساعة بخروج الدجال ويأجوج ومأجوج (يبلغ من معه) اى يصل من معه من اتباعه الضمير للقائد (ثلاثمائة رجل (فصاعدا الا قد سماه) لنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (باسمه واسم ابيه وقبيلته) بحيث لم يبق شبهة فيه وهذا الحديث روى من طريق آخر مفصلا على كلام فيه ذكره ابن الجوزى وغيره (وقال ابو ذر) الصحابى المشهور فى حديث رواه احمد والطبرانى وغيرهما بسند صحيح (لقد تركنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى ذهب عنا وانتقل الى الآخرة من بين اظهرنا ولم يدع شيئا الا بينه

لنا بحيث لايخفى علينا شئ من بعده وكان قد خطب قبل موته خطبا اطال فيها مرة من الصباح الى الظهر ومرة من الظهر الى قبيل الغروب لم يدع شيئا الا بينه لاصحابه (وما تحرك طائر جناحيه فى السماء) اى فى الجو وهو كناية عن بيان كل شئ (الا ذكر لنا منه علما) وفى نسخة الا ذكرنا منه علما اى تذكرنا من طيرانه علما يتعلق به فكيف بغيره مما يهمنا فى الارض وهذا تمثيل لبيان كل شئ تفصيلا تارة واجمالا اخرى (وقد خرج اهل الصحيح) اى رووا باسانيدهم ما صح عندهم كالشيخين واصحاب السنن والمسانيد (والائمة) الحفاظ الثقاة كاحمد والشافعى وابو حنيفة ومالك (ما اعلم به اصحابه صلى الله تعالى عليه وسلم مما وعدهم به) بيان لما (من الظهور على اعدائه) لغلبتهم وفل شوكتهم (وفتح مكة) الذى اخبر به قبل وقوعه فحققه الله تعالى (و) فتح (بيت المقدس) كما رواه البخارى وغيره وبيت المقدس تقدم الكلام فيه وقد اخبر صلى الله تعالى عليه وسلم تميما الدارى بفتحه لما اسلم واقطعه ارضا بها ثم فتح فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فاعطى تميما قطاعه فى سنة ستة عشر من الهجرة (و) فتح (الشام و) فتح (اليمن و) الفتح (العراق) يعنى ما يشمل العراقين عراق العرب والعجم وكلها مجرورة بالعطف على مكة والشام واليمن والعراق بلاد معروفة وكان اخباره صلى الله عليه وسلم بذلك بمكة قبل الهجرة فى حديث رواه ابن دحية كما فى كتاب مرج البحرين فى اخبار المشرقين والمغربين واصل معنى العراق شاطئ البحر وقيل انه معرب (وظهور الامن) فى الممالك الاسلامية وهو مجرور اى اعلم اصحابه بظهور الامن (حتى تظعن المرأة) بظاء معجمة وعين مهملة ونون اى يسافر وحدها من الظعن بفتح العين وسكونها وهو السفر قال الله تعالى * يوم ظعنكم * وذكر المرأة للمبالغة فى الامن لانها مع ضعفها وشدت خوفها اذا امنت علم من غيرها بالطريق الاولى (من الحيرة الى مكة) بكسر الحاء المهملة وسكون المثناة التحتية وفتح الراء المهملة والهاء مدينة بقرب الكوفة واسم بلدة اخرى بقرب نيسابور (لاتخاف) المرأة (الا الله) كناية عن انها لاتخاف احدا من الناس من قطاع الطريق واللصوص وغيرهم (وان المدينة) يعنى طيبة وهو علم بالغلبة عليها واصل معناها كل قصر يجتمع فيه الناس (ستغزى) روى بغين وزاى معجمتين من الغزو وهو القتال وهو اشارة الى وقعة الحرة الآتى ذكرها فانها وقعة عظيمة قتل بها المسلمون حتى تركت الصلوة فى الحرم وروى بعين وراء مهملتين ومثناة فوقية مفتوحة وهى مضمومة فى الرواية الاولى اى تخرب وتخلو فتصير عرايس فيها احد والعراء الفضاء الخالى من الناس قال الله تعالى * فنبذناه بالعراء وهو سقيم * وهذا لم يقع بعد وانما يكون قرب الساعة وقيل انه وقع وهو مقتضى السياق فهو اشارة الى قصة الحرة ايضا فان الناس ارتحلوا فيها

منها وتركت الصلوة والاذان حتى سمع الاذان من مرقده صلى الله تعالى عليه وسلم ثم امنهم يزيد حتى عادوا لها (و) اعلمهم صلى الله تعالى عليه وسلم (بفتح خيبر على يد على كرم الله تعالى وجهه فى غد يومه) اى اخبرهم فيه بفتحها كما رواه الشيخان عن سهل بن سعد لما كانت وقعة خيبر وتعسر فتحها قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لاعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله تعالى على يديه فدعا عليا وكان ارمد فبصق فى عينيه فبرأ وفتحها الله على يديه على ما فصل فى السير وقد تقدم الكلام على شئ منه (و) اعلم صلى الله تعالى عليه وسلم اصحابه (بما يفتح الله تعالى على امته) اى بما ييسره الله تعالى لامته من فتح البلدان وما يوسعه لهم (من الدنيا) بكثرة المال والعزة (ويؤتون) بالبناء للمجهول اى يؤتيهم الله تعالى (من زهرتها) اى زهرة الحيوة الدنيا وهى زينتها وطيب نضارتها ونعيمها وهذا رواه الشيخان من طرق صحيحة (وقسمتهم كنوز كسرى وقيصر) الكنوز جمع كنز معرب كنج وهو المال المدفون ويطلق على كل نفيس مدخر والمراد هنا خزائنهما وما لهما وكسرى بكسر الكاف وفتحها وهو علم لملك من ملوك الفرس ثم صار علم جنس لكل من ملكهم او نكر وقيصر علم ملك من ملوك الروم ثم اطلق على ملك لهم كذلك ومعناه المشقوق لان امه ماتت حين ارادة وضعه فشقت بطنها واخرج منها حيا وهو اشارة لحديث رواه الشيخان عن ابى هريرة وغيره من طرق وفيه اذا هلك كسرى فلا كسرى بعده واذا هلك قيصر فلا قيصر بعده والذى نفس محمد بيده لتنفقن كنوزهما فى سبيل الله وقد حقق الله تعالى ما اخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم وصدق الله وعده وكان ذلك على يد خلفائه رضى الله تعالى عنهم (وما يحدث بينهم) اى اعلمهم صلى الله تعالى عليه وسلم بما يحدث بين امته (من الفتون) بوزن دخول مصدر بمعنى الافتتان كما فى اكثر النسخ جمع فتنة كما قال البرهان والفتنة اصلها الاختبار ثم قلبت لما يقع بين الناس من النزاع والحروب وقيل صوابه الفتن جمع فتنة كما فى بعض النسخ لان الفتون الميل للزناء ونحوه من الفجور وليس بشئ فانه ورد بمعنى الفتنة ايضا وهو بطريق المجاز اى مطلق الميل (والاختلاف) فى الكلمة والآراء وهو سبب الفتن ولذا قيل انه لو قدمه كان احسن (والاهواء) بالمد جمع هوى وهو ما تهواه النفس وتميل له واذا اطلق خص بالامور الباطلة (وسلوك سبيل من قبلهم) من الامم اشارة لما رواه الشيخان لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم قيل يارسول الله اليهود والنصارى قال فمن والسنن بفتحتين الطريق وهو تمثيل لما احدثوه من الضلال والبدع والتحريف كما صرح به فى الحديث (وافتراقهم) اى افتراق هذه الامة (على ثلاث وسبعين فرقة) اى ينقسمون الى هذه الاقسام وعداه بعلى لما وقع عليه الانقسام من النهج

المخصوص كما يقال الدار مبنية على طبقات ثلاث وعلى نيانبه كما قال الدوانى فى حواشى الشمسية فى قوله رتبته على مقدمة الى آخره فقال الترتيب لايتعدى بعلى فاما ان يكون بتضمين معنى الاشتمال واما ان يريد بمدخول على هذا الاسلوب الخاص وحينئذ فاما ان يقال اذا تعدى بعلى انه تضمن معنى البناء فانه يتعدى بعلى الى اسلوبه فيقال بنى الدار على طبقتين اويقال تعدى بها بناء على ان معنى الترتيب جعل الاجزاء مترتبة وهو مقصور على انحاء فيتعدى بعلى الى النحو المعين انتهى وهذا الحديث رواه احمد وابوداود والترمذى والحاكم كما فى مناهل الصفاء للجلال السيوطى (الناجية منها واحدة) اى المفرقة لناجية من هذه الفرق فرقة واحدة وهم اهل السنة والجماعة المتمسكون بكتاب الله وسنة رسوله كما بينه رسول الله فى هذا الحديث فانه قال فيه ليأتين على امتى ما اتى على بنى اسرائيل حذو النعل بالنعل والقذوة بالقذوة وان بنى اسرائيل افترقت على ستين او سبعين ملة فستفترق امتى على ثلاث وسبعين فرقة كلها فى النار الاملة واحدة اوفرقة واحدة قالوا يارسول الله من هم اى الناجون منهم قال من كان على ما انا عليه واصحابى فمعنى الناجية انهم على الحق فهم ناجون من غضب الله وعذابه وفى قوله ستفترق اشارة الى انه لبس فى زمانه صلى الله تعالى عليه وسلم اختلاف وانه انما يحدث ذلك بعده بل بعد الخلفاء الراشدين وفى قوله ملة اشارة الى ان الخلاف المذكور فى الدين والاعتقاد فلاينافيه ماوقع بينهم فى امور جزئية وقد بينت هذه الفرق وفصلت فى كتاب الملل والنحل وفى علم اصول الدين وهذا من جملة ما اطلعه الله عليه من المغيبات (و) فى حديث رواه الشيخان عن جابر رضى الله تعالى عنه و(انهم سيكون لهم انماط) جمع نمط كسبب واسباب وهو البساط يعنى ان امته صلى الله تعالى عليه وسلم يتوسعون فى الدنيا حتى يتخذوا الفرش النفيسة لبسط الله لهم الرزق بعد ما كانوا فيه من الفقر وضيق المعيشة (و) قوله (يغدو احدهم فى حلة ويروح فى اخرى) ومابعده من حديث رواه الترمذى عن على وحسنه والغدو بغين معجمة ودال مهملة سير اول النهار ويقابله الرواح والحلة هو الثوب النفيس ولاتطلق الاعلى ثوبين احدهما فوق الآخر كما مر الا انهم توسعوا فيه فاطلقوه على ماقلناه والمراد تعدد لباسهم ونفاسته بعد ما كانوا عليه من التقشف كما ان قوله (وتوضع بين يديه) اى بين يدى احدهم (صحفة) بزنة قصعة وهى اناء الطعام (وترفع اخرى) اى صحفة اخرى اشارة الى تلون اطعمتهم وتعددها ونفاستها (ويستر بيوتهم) بالبناء للمجهول اى يسترون حيطان بيوتهم وابوابها وفى نسخة ويسترون بيوتهم (كما تستر الكعبة) وهذا كما تفعله الامراء والعظماء الذين اتسعت دنياهم حتى كسوا الحجارة والجدران وهذا لم يكن فى العصر الاول وهو اسراف وقد ورد النهى عنه (ثم قال) صلى الله تعالى عليه وسلم مخاطبا

لاصحابه (فى آخر الحديث) الذى رواه الترمذى وغيره (وانتم اليوم) المراد به مطلق الزمان الحاضر (خير منكم يومئذ) اى احسن منكم حالا من حالكم الآتى الذى يبسط لكم فيه الرزق ويوسع عليكم ففضلهم على انفسهم باعتبارين لان الرزق الكفاف خير من غنى يشغل عن عبادة الله ويتعب القلب والبدن كما يشاهده من ابتلى به (و) مما اعلم به صلى الله تعالى عليه وسلم اصحابه (انهم اذا مشوا المطيطاء) كما ورد فى حديث رواه الترمذى عن ابن عمر الا ان الذهبى قال فى ميزانه انه لم يصح والمطيطاء بضم الميم وفتح الطاء المهملة ومثناة تحتية ساكنة والف ممدودة كما فى الصحاح ويقتصر ايضا كما فى النهاية وهو مبنى على التصغير كالكتب وهى مشية فيها مد اليدين فهو منصوب على المصدرية والمراد به التبختر وهو كالثريا والمريطا ويجوز فتح ميمه وكسر طائه وهو من مط او من مطا بمعنى مد او من مطا يمطو كما بين فى كتب اللغة (وخدمتهم بنات فارس والروم) اى اتخذوا الجوارى والخدم منهم وخصهما لان الرقيق كان منهم فى الاكثر لانهم كفرة يحل سبيهم لاهل الاسلام كثيرا ولانهم مع تكبرهم وتعاظمهم يصيرون خدمة ارقاء لاهل الاسلام ففيه اشارة لعزتهم وعلوهم على غيرهم وفارس علم للجيل المعروف ممنوع من الصرف ويطلق على بلادهم ايضا وهو معرب بارس بالباء المعجمة ولايدخل عليه الالف واللام والروم جيل معروف ايضا سموا باسم ابيهم (رد الله بأسهم بينهم) جواب اذا والبأس معناه الخوف الشديد لامطلقه والمراد به العداوة ووقوع القتال بينهم لان الله كان اعطى نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم النصرة بايقاع الرعب فى قلوب اعدائه الكفرة وبقى من ذلك اثر فيمن اقتدى به من الخلفاء فلما اشتغلوا بزخرف الدنيا نزع الخوف من قلوب الاعداء وصار بعضهم يعادى بعضا ويقاتله لما بينهم من التحاسد والتباغض وطلب كل منهم ما فى يد الآخر لما ظهرت الملوك المتقلبة فصار الامر لمن غلب (وسلط شرارهم على خيارهم) الشرار جمع شر بمعنى شرير وخيار جمع خير بمعنى اخير او مخفف خير وتسلطهم بقهرهم والعلو عليهم بالباطل وهو كالتفسير لما قبله وكان ابتداء ذلك بعد فتح فارس والروم وسبى ذريتهم واستخدامهم وتنافسهم فى الدنيا وذلك من الدولة الاموية الى الآن (و) اخبرهم صلى الله تعالى عليه وسلم (بقتالهم الترك) كما ورد فى حديث اخبرهم صلى الله تعالى عليه وسلم رواه الشيخان لاتقوم الساعة حتى تقاتلوا الترك صغار الاعين حمر الوجوه ذلف الانوف كان وجوههم المجان المطرقة وقد ورد هذا الحديث من طرق بالفاظ مختلفة والترك بضم التاء جيل معروف من الناس يقال لهم بنو قنطورا وهى امة لابراهيم الخليل عليه الصلوة والسلام واختلف فى نسبهم اختلافا كثيرا والمشهور انهم اولاد يافث ابن نوح عليه الصلوة والسلام وقيل انهم الديلم وقيل المراد بهم هنا يأجوج ومأجوج وعلى

كل حال فهم قوم من الكفرة ديارهم بعيدة من ديار الاسلام ومنهم التتار ولهم وقايع مشهورة كوقعة جنكيز وهلاكو المفصلة فى التواريخ (والخزر) بضم الخاء وسكون الزاى المعجمتين وراء مهملة وهم جيل من الناس كفرة قيل انهم من الترك وقيل من العجم وقيل من التتار لانهم جمع اخزر وهو الضيق العين وقيل المراد بهم الاكراد ووقايعهم كلها مشهورة فقد وقع ذلك كما اخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم وروى الخزر بفتحتين ايضا وفى بعض نسخ الشفاء بخاء مضمومة وواو وزاى معجمة ساكنة وفيه نظر والخزر ضيق العين كما علمت او النظر بمؤخرها (والروم) اى مما وقع من اخباره صلى الله عليه وسلم اصحابه اخباره بما سيكون من قتال الروم وهم قوم معروفون من ولد روم بن عيص بن اسحق سموا باسم ابيهم ثم قيل رومى وروم كزنج وزنجى وقد ملكوا الشام واختلط بهم قوم من العرب من غسان واصل مساكنهم جهة الشمال (وذهاب كسرى) بفتح الكاف وكسرها كما مر اى ذهاب ملكه وقومه بعد ظهور دولته وتغلبه (وفارس) من ارض العراق وغيرها وقد تقدم بيانه (حتى لا كسرى ولا فارس) اى حتى لا يبقى له ذكر ولا ملك الى يوم القيامة ولا انما تدخل على نكرة فاما ان نقول انه مكر كما فى هذا الحديث لا قيصر فهو كقولهم لكل فرعون موسى اى لكل جبار مبطل محق يغلب عليه ويمحو اثره وفيه مقدر اى لا مثل كسرى ومثل وغير لا يتعرفان بالاضافة (بعده) اى لا يكون بعده من جنسه (وذهاب قيصر) ملك الروم بذهاب ملكه وقومه (حتى لا قيصر بعده) وهذا مما رواه الشيخان ايضا بدون فارس الا انه وقع فى رواية من غير طريقهما (وذكر) صلى الله تعالى عليه وسلم فيما اخبر به من المغيبات التى كانت كما قال (ان الروم) اى جنسهم المعروف (ذات قرون) وفى نسخة ذات القرون بالتعريف جمع قرن وهم الجماعة فى عصر واحد اى كلما مضى قرن خلفه قرن وقوم يملك ملكهم منهم وقيل القرن السيد اى كل ما هلك ملك ملك بعده غيره كما بينته رواية كلما هلك قرن خلفه مكانه قرن وقيل المراد قرون شعورهم التى كانوا يطولونها ويعرفون بها للاشارة الى طول همهم (الى آخر الدهر) اى يمتد ملكهم بديارهم بخلاف فارس فان الله مزقهم ومزق ملكهم بدعوته صلى الله عليه وسلم عليهم لما مزقوا كتابه لهم كما هو مذكور فى السير وقد تقدم ايضا وهو مشاهد الى الآن ليس لغيرهم ملك يملكهم وذلك انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما ارسل الكتب للملوك فى عهده كتب لكسرى فلما قرأ كسرى كتابه مزقه فقال صلى الله عليه وسلم مزق الله ملكهم فكان كما قيل * وكسر كسرى بتمزيق الكتاب فقد * اذاقه الله تمزيقا بتمزيق * واما قيصر فلما اتاه كتابه صلى الله تعالى عليه وسلم مع دحية قبله واجله فدعا له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بان يثبت ملكه وقد ذكروا ان مكتوبه صلى الله تعالى عليه وسلم الى الآن عند ملوكهم يجلونه وهو محفوظ عندهم فى صندوق

من ذهب واوصى بعضهم بعضا بحفظه فان ملكهم لا يزال قائما ما دام هذا الكتاب عندهم حتى انهم اخرجوه لابن الصايغ الحنفى لما ارسله السلطان قلاوون الى ملك النصارى بالمغرب لامر مهم وقالوا له هذا كتاب نبيكم لجدنا نحفظه ونتبرك به وكان عند ملك طليطلة وهو الى الآن عندهم ولكن الله يهدى من يشاء (و) اعلم صلى الله عليه وسلم اصحابه (بذهاب الامثل فالامثل من الناس) الامثل هنا بمعنى الاشرف لكنه اكثر مماثلة ومشابهة لاهل الحق والصدر الاول والفاء لترتيب التفاضل لا ثباته للاول ثم للثانى وهكذا الى ان يبقى حثالة لا عبرة بهم وفى الصحاح فلان امثل بنى فلان اى ادناهم للخير وهؤلاء اماثل القوم اى اخيارهم اى اعلمهم صلى الله تعالى عليه وسلم بموت الاقرب الى الخير قبل غيره وفى البخارى يذهب الصالحون الاول فالاول ويبقى حثالة كحثالة الشعير او التمر لا يباليهم الله بالة اى لا يرفع لهم قدرا ولا يقيم لهم وزنا والحثالة بالحاء والثاء المثلثة من كل شئ رديه (وتقارب الزمان) فى حديث رواه الترمذى عن انس رضى الله تعالى عنه لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان فتكون السنة كالشهر والشهر كالجمعة والجمعة كاليوم واليوم كالساعة والساعة كالضرمة بالنار بضاد مفتوحة معجمة وراء مهملة مفتوحة وهى حشيش يحترق بسرعة والتقارب تفاعل من القرب والمراد قصره وقلته لان القصير يقرب بعضه من بعض ويقال للقصير متقارب ومتازف وهذا يكون اذا قربت الساعة فى آخر الزمان كما ورد التصريح به فى بعض الروايات واختلفوا فى معناه فقيل المراد انهم يوسع عليهم من الدنيا فيستلذون بعيشتهم ويكونون مسرورين ومازال الناس يصفون الايام الهنية بالقصر وللشعراء فيها مبالغة ومعان لطيفة يعرفها من له المام بالادب كقول ابى تمام

* اعوام وصل كان ينسى طيبها * ذكر النوى فكانها ايام *
* ثم انبرت ايام هجر اعقبت * نحوى اشاء فكانها اعوام *
* ثم انقضت تلك السنون واهلها * فكانها وكانهم احلام *

وهذا المذكور هو الذى ارتضاه الخطابى واعترض عليه الكرمانى بانه لا يناسب قوله بعده (وقبض العلم) وقال ابن حجر انما احتاج الخطابى لتأويله بما ذكره لانه لم يشاهد النقص فى زمنه والذى تضمنه الحديث نجده فى زماننا هذا فانا نجد من سرعة الايام ما لم نجده فى العصر الذى قبله وان لم يكن هناك عيش مستلذ كما قيل * كفى حزنا ان لا حياة هنية * ولا عمل يرضى به الله صالح * فالحق ان المراد نزع البركة من كل شئ حتى من الزمان وذلك من علامات قرب الساعة وهذا هو الذى ارتضاه النووى رحمه الله تعالى وقيل المراد بتقاربه وقصره قصر الاعمار فان كل قرن اهله اقصر اعمارا من اعمار القرن الذى قبله وقال البيضاوى فى شرح المصابيح المراد تسارع انقضاء الدول وانقراضها وهنا وجه آخر قريب من الاول وهو انه لكثرة الظلم

والاحزان والاشغال بامور الدنيا وكثرة الحرص على تحصيلها يغفلون عن اوقاتهم ولا يشعرون بها (كما قلت) ان الزمان مقصر ذهبت به * بركاته اذ زادت الا لام * ماذاك الا انه قد فر من * خوف وقد جارت به الحكام * وهو مناسب لذكر الفتن بعده فى قوله (وظهور الفتن والهرج) وهى جمع فتنة وهى معروفة وهذا قد شاهدناه وقبض العلم بمعنى اخذه ونزعه من الناس وذلك بموت العلماء حتى لا يبقى الا الناس جهلة اذا استفتوا افتوا بغير علم وبهذا فسره صلى الله تعالى عليه وسلم لما سئل عنه وموتهم بالكلية انما يكون اذا قربت الساعة فلا ينافى هذا قوله فى الحديث الصحيح الآتى لا تزال طائفة من امتى ظاهرين على الحق حتى يأتيهم امر الله تعالى عز وجل فانه قبل ذلك والهرج بالهاء وسكون الراء المهملة وجيم بمعنى القتل واصل معناه لغة الكثرة وقد ورد تفسيره فى الحديث بالقتل وورد بمعنى اختلاط الناس بعضهم ببعض وقيل انه لغة حبشية فهو معرب صار عربيا فصيحا ومنه قولهم هم فى هرج ومرج (وقال) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه الشيخان عن زينب ام المؤمنين رضى الله تعالى عنها (ويل للعرب من شر قد اقترب) اى قرب ودنا زمنه وويل كلمة تفجع وتعجب مما ينالهم من المشقة والهلاك بفتن تقع بين المسلمين تقطع الليل المظلم يصير المتمسك فيها بدينه كالقابض على الجمر يشير بذلك الى امر عثمان بن عفان رضى الله عنه وعلى كرم الله وجهه ورضى الله تعالى عنه وويل مبتدأ وان كان نكرة لما فيه من الدعاء مثل سلام عليكم وهى ترد للتحزن والتحسر والكلام عليها مفصل فى العربية واللغة والمراد بالشر ما مر لقوله اقترب وقيل انه اشارة لفتح سد يأجوج ومأجوج لان الحديث اوله قالت زينب رضى الله تعالى عنها استيقظ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من النوم محمرا وجهه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يقول لا اله الا الله ويل للعرب الى آخره فتح اليوم من ردم يأجوج اى السد وعقد تسعين يعنى جعل سبابته مضمومة لاصل ابهامه صلى الله عليه وسلم يشير للفرجة اليسيرة بينهما بحساب بهم المشهور ومثله كثير فى الحديث لتعارفه بينهم والحديث والكلام عليه مبسوط فى شروحه (و) اعلم صلى الله تعالى عليه وسلم اصحابه ايضا (انه زويت له الارض) بالبناء للمجهول اى جمعت وضم بعضها لبعض حتى يطلع على جميعها (فارى مشارقها ومغاربها) اى جميع الارض وجوانبها كما يضم البساط الكبير حتى يصير فى محل واحد يحيط به الناظر باليسر يعاوارى بضم الهمزة بالبناء للمجهول اى اراه الله جميع ذلك ومشارقها مفعول ثان والمشارق والمغارب كناية عن الجميع كما فى قوله رب المشارق والمغارب والجمع باعتبار تعدد المطالع كما ذكره المفسرون وقيل انه لم يذكر الجنوب والشمال لان معظم امتداد ملك هذه الامة فى جهتى المشرق والمغرب وهكذا هو فى الواقع كما اخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم وفى قوله (وسيبلغ) اى يصل (ملك امته)

اى سلطانهم وحكمهم اشارة اليه (ماروى له) صلى الله تعالى عليه وسلم (منها) اى الارض او المشارق والمغارب وهو من تتمة الحديث ومن تفصيلية بيانية او تبعيضية لما مر (وكذلك كان) اى وقع ماذكر من الامتداد (امتدت) مملكتهم واتسعت وامته بمعنى انتشرت فى نواحيها (فى المشارق والمغارب ما بين ارض الهند) بيان للمشارق والمغارب او بدل (اقصى المشرق) بيان لارض الهند او بدل ايضا (الى بحر طنجة) بفتح الطاء المهملة ونون ساكنة وجيم بلدة مشهورة بساحل بحر المغرب (حيث لا عمارة وراءه) اى انتهت الى مكان من ذلك البحر لا عمارة بكسر العين اى ليس بعده بلاد ولا جزاير معمورة وطنجة لفظ بربرى وهى مدينة عظيمة فتحت فى الاسلام ثم استولى عليها النصارى فى سنة سبعين وثمان ومائة بعد قتال عظيم فلما رأى المسلمون ان لا معين لهم ولا مغيث سلموها لهم فانا لله وانا اليه راجعون ولم تزل النصارى ظاهرين ثمة حتى تملكوا اكثر البلاد فعاد الاسلام غريبا كما بدأ ومن اراد تفصيل ذلك فلينظر تاريخ الاندلس (وذلك) الذى امتد لهذه الامة (ما لم يملكه احد من الامم) السالفة (ولم يمتد) الممالك الاسلامية (فى) جهة (الجنوب ولا فى) جهة (الشمال مثل ذلك) اى مثل امتدادها فى المشرق والمغرب فما قيل فى تفسيره انه بلغ ملكها اقصى الجهات الاربع مهاب الريح قبولا ودبورا وجنوبا وشمالا لم يتنبه لما قلناه (وقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه مسلم عن سعد بن ابى وقاص رضى الله تعالى عنه (لا يزال اهل المغرب) سيأتى تفسيره مفصلا فى كلامه (ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة) غاية لاستمرار ظهورهم بتأييد الله تعالى لهم واعلائه لكلمة الدين بجهادهم وقوله ظاهرين اصل معنى الظهور العلو على الظهر ويطلق على ما يلزمه وهو الشهرة والعلو وقد يراد به العلو المعنوى وهو الغلبة والقهر وقد اختلفوا فى المشرق والمغرب ايهما افضل فذهب الى كل منهما طائفة وهو خلاف لا طائل تحته قال ابن العماد فى كتابه كشف الاسرار استدل من قال بفضل الغرب بهذا الحديث واجيب بان الثابت لا تزال طائفة من امتى ظاهرين على الحق حتى يأتى امر الله وهم بالشام فان ثبت هذا اللفظ فالمراد الشام لانه غربى المدينة وقوله على الحق خبر بعد خبر لانه ليس المعنى الظهور على الحق بل انهم ظاهرون وانهم على الحق وهو ضد الباطل او هو متعلق بظاهرين بتضمن معنى محافظين مداومين على اقامة الحق وشعاير الدين (ذهب ابن المدينى) فى تفسير هذا الحديث وهو على ابن عبد الله ابن جعفر بن جريح ابو الحسن امام اهل الحديث واعلمهم به فى عصره وقال النسائى كان الله تعالى لم يخلقه الا لهذا الشان وقال البخارى رحمه الله تعالى ما استصغرت نفسى الا بين يدى على بن المدينى الى آخره وكان من احسن الناس كلاما على حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم توفى للبلتين بقيتا

من ذى القعدة سنة اربع وثلاثين ومائتين وله ثلاث وسبعون سنة وروى عنه البخارى رحمه الله تعالى وغيره من اصحاب السنن وهو منسوب لمدينة الرسول على خلاف القياس والقياس مدنى كما بينه النحاة والمنور ان يقال مدينى فى النسبة لمدينة المنصور فرقا بينه وبين المنسوب للمدينة المشهورة ولكنه اشتهر بذلك وله ترجمة فى الميزان وقال ابن الاثير النسبة الى المدينة مدنى والاكثر مدنى والمدينى نسبة الى مداين سبعة غيرها كما فصله وقال الجوهرى المدينى نسبة لمدينة الرسول والمدنى نسبة لمدينة المنصور وبين كلاميهما تناف وقال ابن الصلاح فى الكلام على المسلسل بالاولية المدينى نسبة لحى مدينة اصبهان وهو من المدينة الا انه سكن البصرة وفى القاموس النسبة لمدينة الرسول مدنى ولمدينة المنصور واصبهان وغيرهما مدينى وقال الكرمانى قال الحافظ القدسى قال البخارى المدينى الذى قام بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يفارقها والمدنى الذى تحول عنها وكان منها انتهى (الى انهم العرب) مطلقا ووجه تسميتهم باهل المغرب بقوله (لانهم المخصوصون بالسقى بالغرب) بفتح الغين المعجمة وسكون الراء المهملة والموحدة (وهى الدلو) العظيمة المعروفة تذكر وتؤنث سماعا وقيل المراد بالغرب فى الحديث الحدة والشوكة وتقدم تفسيره بالشام ايضا ومنه غرب الشام لحدته وللغرب معان كثيرة فى كتب اللغة (وغيره) اى غير ابن المدينى من علماء الحديث (يذهب الى انهم) فى الحديث (اهل المغرب) بميم فى اوله (وقد ورد المغرب كذا) اى بهذا اللفظ فى بعض الروايات وهو مؤيد للتفسير الثانى ولا يعينه لاحتمال انه روى (فى الحديث بمعناه) فهو رواية بالمعنى ولولا هذا لم يفسره بغيره (وفى حديث آخر) من هذا القبيل رواه الطبرانى وعبد الله بن احمد بن حنبل (من رواية ابى امامة) عنه عليه السلام انه قال (لا تزال طائفة من امتى ظاهرين على الحق قاهرين لعدوهم) من الكفرة بالجهاد فى سبيل الله (حتى يأتيهم امر الله) يعنى الساعة واشراطها وهو غاية لظهورهم على ظاهرها او المراد انهم لا يعدم ظهورهم كقوله عليه السلام ان الله لا يمل حتى تملوا كما حققه الكرمانى وغيره (وهم كذلك) اى باقون على حالهم والجملة حالية (قيل يا رسول الله واين هم) من البلاد ومقرهم (قال بيت المقدس) بالاضافة وفيه لغات فقدس كرجع اسم مكان او مصدر ميمى من القدس وهو الطهر اى المكان الذى يطهر فيه العابد من الذنوب او تطهر فيه للعبادة من الاصنام وجاء فيه ضم الميم وفتح القاف والدال المشددة اسم مفعول من التقديس اى التطهير وجاء بكسر الدال المشددة اسم فاعل لانه يقدس العابد فيه من الآثام ويقال البيت المقدس بالتوصيف والاشهر الاضافة والظاهر ان الطائفة المذكورة الامراء او الحكام وولاة الامور لانهم المعروفون بالقهر والغلبة وقيل انه يشملهم ويشمل غيرهم من الفقهاء والمحدثين وكل من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر

وقال البخارى هم اهل العلم ونقل عنه ايضا انهم اهل الحديث وكل محتمل والتعميم اولى كما لا يخفى وفى شرح مسلم للقرطبى بعد ما ذكر رواية اهل المغرب من طرق متعددة وصححها انه يدل على ابطال التأويلات فيه والمراد بالمغرب جهة المغرب من المدينة الى اقصى بلاد المغرب فيدخل فيه الشام وبيت المقدس فلا منافاة بين الروايات وفى رسالة للطرطوسى ارسلها لاهل المغرب وذكر فيها هذا الحديث وقال فيها هل ارادكم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بهذا الا لما انتم عليه من التمسك بالسنة وطهارتكم من البدع واقتفاء اثر السلف وفيه دليل على صحة الاجماع (واخبر) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه الترمذى والحاكم عن الحسن ابن على رضى الله تعالى عنهما (بملك بنى امية) وهذا من جملة ما اخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات وهم بنو مروان بن الحكم بن ابى العاص بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف ابن قصى وقد رواه البيهقى مرسلا من طريق آخر فى سنده ضعف (وولاية معاوية) ابن ابى سفيان بن حرب بن امية بن عبد شمس ولقد اجاد المصنف اذ عبر فى بنى امية بالملك ولم يدخل فيهم معاوية وعبر فى معاوية رضى الله عنه بالولاية الشاملة للملك والخلافة كما سنبينه عن قريب والفرق بين الملك والخلافة والولاية ان الملك هو السلطنة بطريق التغلب والخلافة ما كان ببيعة اهل الحق لمن هو قرشى جامع لشروط الخلافة المذكورة فى الاصول والولاية اعم منهما فتشملهما وتشمل الامارة ونيابة الخلافة وغيرهم كما فى الحديث الآتى مع الكلام عليه الخلافة بعدى ثلاثون عاما ثم تصير ملكا عضوضا ومعاوية كما تقدم كان اولا اميرا ثم صار ملكا وهو اول ملوك الاسلام ثم لما بايعه الحسن رضى الله تعالى عنه برضاه صار خليفة فلذا كان ذكر الولاية فيه اشارة لهذا وليس عثمان رضى الله تعالى عنه من بنى امية لانه خليفة بحق ومعاوية وان كان منهم نسبا لان ابا سفيان كما علمت ابن حرب ابن امية فلم يدخله المصنف فيهم لما ذكرنا. وقيل انه اول ملوك بنى امية ولكل وجهة وقد ورد فى الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم رأى منا ما بنى امية على منبره الشريف فساءه ذلك فانزل الله عليه تسلية له صلى الله تعالى عليه وسلم سورة الكوثر وسورة القدر لان ملك بنى امية كان الف شهر لا تزيد ولا تنقص فاعطى الله امته فى كل سنة ليلة تعدل ملكهم وتزيد بما لا يحصى من العجائب الواقعة فى تلك الليلة مما لا يعلم مقدار ثوابه الا الله تعالى يعرف ذلك من الهمه الله تعالى الفهم الثاقب وخصه بالمواهب وفيه من الاسرار الخفية ما لا يخفى على ذى بصيرة (ووصاه) اى وصى عليه الصلوة والسلام معاوية اذا تملك بالعدل والرفق لما قال له اذا ملكت فاسجح قال معاوية رضى الله تعالى عنه فما زلت اطمع فى الخلافة منذ سمعتها من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قيل فى قوله اذا ملكت اشارة الى انه رضى الله عنه لم يكن خليفة وانما كان ملكا وروى

البيهقى عن معاوية انه قال ما حملنى على الخلافة الا قوله صلى الله عليه وسلم يا معاوية ان ملكت فاحسن وهو ضعيف الاان له شواهد منها ماروى انه تبع بالاداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال معاوية ان وليت امرا فاتق الله واعدل وروى مايقرب منه من طرق متعددة وهذا من جملة ما اخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم من المغيبات (و) منه ايضا قوله و (اتخاذ بنى امية مال الله دولا) كما ورد فى حديث رواه الترمذى والحاكم والبيهقى عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه اذا بلغ بنو ابى العاص اربعين اوثلاثين اتخذوا دين الله دغلا وعباد الله خولا ومال الله دولا ودول بضم الدال المهملة وفتح الواو ولام جمع دولة بالضم والفتح وهو ما يتداول اى يأخذه واحد بعد واحد والمراد انهم استأثروا به ومنعوا حقوقه فاسرفوا وبذروا وضيعوا بيت مال المسلمين وهم اول من فعل ذلك فى الاسلام واول ملوكهم بعد معاوية بن يزيد مروان ابن الحكم ثم ولى ابنه عبد الملك وتمت دولتهم بالرابع عشر مروان بن محمد كما فصله المورخون (و) منه ايضا (خروج ولد العباس) بعد انقراض الدولة الاموية اى ولد العباس بن عبد المطلب كما ورد فى حديث رواه احمد والبيهقى بسند فيه ضعف وهو مما اخبر به الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم والولد يطلق على الواحد والجمع والمراد هنا الثانى (بالرايات السود) اشارة الى ما فى هذا الحديث تظهر الرايات السود لبنى العباس حتى ينزلوا بالشام ويقتل الله على ايديهم كل جبار وعدولهم وفى رواية تخرج الرايات السود من خراسان لايردها شئ حتى تنصب بايليا اى بيت المقدس وفى سنده ضعف وكان صلى الله تعالى عليه وسلم اخبر العباس ان الخلافة تكون فى ولده فكانوا يتوقعون ذلك وقد روى بتبشيره صلى الله عليه وسلم له بذلك ولام الفضل زوجته من طرق افردها السخاوى بتأليف ليس يسع تفصيله هذا المقام وكان شعار بنى العباس السواد فى لباسهم وراياتهم وسببه انه صلى الله تعالى عليه وسلم اخبرهم بذلك وقيل سببه ان مروان الحمار اخر بنى امية لما بلغت دعوة ابى مسلم الى محمد بن على الامام ومات محمد فعهد الى ابنه ابراهيم فاتى به مروان وسجنه فلما احس بالقتل اوصى اتباعه بالثبات على امرهم واستخلاف اخيه السفاح فلما قتل لبسوا السواد اظهارا لحزنهم وحثا للاخذ بثاره فاستمر ذلك فيهم ولامنافاة بين الروايتين ولم يزل ذلك الى عهد المأمون بن الرشيد فى سنة احدى ومائتين فامر بترك السواد ولبس الخضرة لمحبته للعلويين حتى خلع اخاه المؤتمن وجعل العهد لعلى الرضى ففات ولم يتم امره فكلمه العباسيون فى اعادة شعار السواد وترك الخضرة ففعل وهذا اول لبس العلويين الخضرة ولبس مبدؤه كما توهمه المتأخرون فى سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة برسم الملك الاشرف بمصر وفى ذلك يقول ابن جابر الاندلسى

* جعلوا لابناء الرسول علامة * ان العلامة شان من لم يشهر *

* نور النبوة فى كريم وجوههم * يغنى الشريف عن الطراز الاخضر *

(وقال ابن حبيب)

* عمايم الاشراف قد تميزت * بخضرة رقت وراقت منظرا *
* وهذه اشارة ان لهم * فى جنة الخلد لباسا اخضرا *

(وقال ابن المزين)

* اطراف تيجان اتت من سندس *
* خضر كاعلام على الاشراف * والاشرف السلطان خصهم بها *
* شرفا لنعرفهم من الاطراف *

ولكن الاول لما لم يستمر وترك حتى نسى توهموا ان ابتداءه كان كذلك وكان سبب حدوث شعارهم ان يهوديا دخل بعمامة فعظم ودخل بعض الاشراف فلم يلتفت اليه لعدم العلم به فامر بذلك وقال السبكى انه مستحب واستنبطه من قوله تعالى ذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين وهو كلام حسن (وملكهم) اى تملك بنى العباس الخلفاء (اضعاف ماملكوا) اى اضعاف تملك بنى امية واضعاف خلفائهم فان اولهم السفاح بويع فى ربيع الاخر سنة اثنين وثلاثين ومائة واستمر ملكهم الى سنة ست وخمسمائة وكانوا نحو ثلاثين ببغداد * ثم انقضت تلك السنون واهلها * ولله الامر من قبل ومن بعد (وخروج المهدى) فى آخر الزمان كما ورد فى حديث رواه اصحاب السنن وغيرهم من طرق كثيرة الا انه قيل ان اسانيده لا تخلو من ضعف وفيه اختلاف كثير افرد بالتأليف فقيل انه عباسى وقيل انه علوى وانه يملك سبع سنين وكنيته ابو القاسم واسمه محمد بن عبد الله وفى زمنه ينبسط الامن والعدل وقيل المراد به عيسى بن مريم عليه الصلوة والسلام وذكره النبى صلى الله تعالى عليه وسلم باسمه وصفته كما فصلوه واحواله مبسوطة فى تذكرة القرطبى وهو ممن يملك الارض كلها وقد ملكها قبله مسلمان سليمان عليه الصلوة والسلام وذو القرنين وكافران نمرود وبخت النصر (وما ينال اهل بيته وتقتيلهم وتشريدهم) يقال نال كذا اذا وصل اليه فيجوز ان يكون فاعله مستتر يعود لما فاهل منصوب ويجوز رفعه بتقدير اى ما يناله اهل بيته وماقيل انه لا يجوز رفعه لا وجه له اى مما اخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم من المغيبات كما فى حديث رواه الحاكم ان اهل بيتى سيلقون بعدى من امتى قتلا وتشريدا وضعفه الذهبى والتشريد الطرد والتفريق من شرد البعير اذا ند وشردت فلانا من البلاد وشردت به قال الله تعالى فشرد بهم من خلفهم (وقتل على) بن ابى طالب كرم الله وجهه اى مما اخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم قتل على كما رواه احمد والطبرانى فى حديث فيه (وان اشقاها) اى اشقى الخلايق او الدنيا او الطائفة الخوارج او اشقى هذه الامة (الذى يخضب هذه) اشار به الى لحيته (من هذه) اشارة لرأسه اى يضربه على رأسه ضربة يسيل بها دمه حتى يبل لحيته والخضاب صبغ معروف فشبه دمه بالخضاب لتغييره لونها كما يغير الخضاب ففيه

استعارة وهو عبد الرحمن ابن ملجم بضم الميم وسكون اللام بفتح الجيم على زنة اسم
المفعول كما قاله النووى فى تهذيبه وغيره (اى لحيته من رأسه) اى من دمها وهو
تفسير لما قبله وقصة الخوارج وقتل على مشهورة لاحاجة لنا بها وكذا قصة قتل
اهل بيته واخباره بقتل سبطه بكربلا (وانه) يعنى عليا كرم الله وجهه ورضى الله
تعالى عنه (قسيم النار) ظاهر كلامه ان هذا مما اخبر به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
الا انهم قالوا لم يروه احد من المحدثين الا ان ابن الاثير قال فى النهاية الا ان عليا رضى الله
تعالى عنه قال انا قسيم النار يعنى اراد ان الناس فريقان فريق معى فهم على هدى
وفريق على فهم على ضلال فنصف معى فى الجنة ونصف على فى النار انتهى
قلت ابن الاثير ثقة وما ذكره على لا يقال من قبل الرأى فهو فى حكم المرفوع اذ لا
مجال فيه للاجتهاد ومعناه انا ومن معى قسيم لاهل النار اى مقابل لهم لانه من اهل
الجنة وقيل القسيم المقاسم كالجليس والسمير وقيل اراد بهم الخوارج ومن قاتله كما
فى النهاية (يدخل اولياؤه الجنة) اى من والاه ونصره وكان من حزبه ويدخل بفتح
المثناة التحتية وضم الخاء المعجمة ويجوز ضم اوله وكسر ثالثه فيرفع اولياؤه او ينصب
او تدخل بفوقية وذلك باذن الله تعالى تكريما له على الثانى لان كبار الامة لهم شفاعة
ثمة كما ورد فى الحديث (و) يدخل (اعداؤه النار) لبغضهم له وعدم اتباعهم الحق
وفى الغيلانيات انه ينادى يوم القيامة اين اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فيؤتى
بالخلفاء رضى الله تعالى عنهم فيقول الله لهم ادخلوا من شئتم الجنة ودعوا من شئتم
اوما هو بمعناه (فكان ممن عاداه) اى اظهر العداوة له (الخوارج) وهم الذين
خرجوا عليه عند التحكيم فكانوا اثنى عشر الفا اصحاب صلاة وصيام وقد اخبر
عنهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وذكرهم بصفاتهم وكان لعلى رضى الله
تعالى عنه معهم وقايع مدونة فى التواريخ وهم من الفرقة الضالة ولهم اعتقادات
فاسدة واعمال كاسدة والواحد منهم خارج وخارجى (والناصبة) اى الفرقة والطائفة
الناصبة ويقال لهم النواصب وهم قوم تدينوا ببغض على كرم الله وجهه ورضى الله
عنه قال ابن السيد من نصبت الشرك والحبالة فاستعير ذلك لكل من يكيد ويوقع
المكروه واشتق منه هذا الاسم انتهى وفى الكشاف النصب بغض على وعداوته
وهو بالصاد المهملة وهم من الخوارج ايضا (وطائفة ممن ينتسب) بالياء التحتية و
بالمثناة الفوقية وروى ينسب افتعال من النسبة (اليه) اى الى على لانهم كانوا يعتقدون
انه الخليفة بحق وان الامامة حقه وتلك الطائفة (من الروافض) من الرفض وهو
الترك سموا بذلك لتركهم السنة والجماعة (كفروه) اى نسبوه الى الكفر
لتركه الخلافة وهى حقه وهو زعم فاسد وحماقة وهم المنكرون للتحكيم وقولهم
لا حكم الا الله وهى كلمة حق اريد بها باطل وقد كفروا غيره من الصحابة ايضا وفى قوله

السابق ممن عاداه اشارة الى ان من عاداه ليس منحصرا فيمن ذكر فان كثيرا من
بنى امية والعباسيين اظهروا عداوته وسبه (وقال) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
كما رواه الشيخان (يقتل عثمان بن عفان وهو يقرؤ) القرآن (فى) داره فى
(المصحف) وروى الترمذى عن ابن عمر رضى الله تعالى عنه انه صلى الله تعالى
عليه وسلم ذكر فتنة فقال يقتل فيها هذا مظلوما يعنى عثمان رضى الله تعالى عنه وحسنه
وهو من جملة ما اخبر به من المغيبات فكان كما قال والمصحف بضم الميم وكسرها محل
الصحف لجمعه ما كان فيها كما يأتى (وان الله عسى ان يلبسه قميصا) اتى بعسى هنا تأدبا
لعدم جزمه واستعارها للاستقبال اللازم للترجى اى سيلبسه واستعار القميص
للخلافة استعارة مرشحة بقوله (وانهم يريدون خلعه) وظاهره ان الضمير للقميص
ويجوز عوده لعثمان وخلعه بمعنى عزله فانهم اجتمعوا لخلعه فلم يرض لانه صلى الله
تعالى عليه وسلم نهاه عنه بقوله فلا تخلعه فقتلوه فاهدر الله تعالى بدمه سبعين الفا
فقتلوا بصفين وغيرها كما رواه الترمذى عن عايشة رضى الله تعالى عنها وهو حديث
حسن وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما انه اى عثمان اصبح يحدث الناس فقال
رأيت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا عثمان افطر عندنا فاصبح صائما
وقتل فى يومه (وانه سيقطر دمه على قوله فسيكفيكهم الله) وهو السميع العليم اى
تأخذ ثارك ممن يقتلك وهذا رواه الطبرى فى كتابه الرياض النضرة ورواه الحاكم عن ابن
عباس وقال الذهبى انه موضوع وتبعه السيوطى والظاهر منه ان دمه وقع على هذه
الآية وقيل المراد انه اريق دمه وهو يقرؤها وهو بعيد وفيه اخبار بمغيبات
منها وقوع هذه الفتنة وان عثمان سيقتل شهيدا وان القرآن سيجمع فى مصحف
فانه لم يكن فى زمنه صلى الله تعالى عليه وسلم مصحف واختلفوا فيمن قتله فقيل رومان
ابن سرحان وقيل الاسود التجيبى وهذه اول فتنة ومصيبة وقعت فى الاسلام

* ومن لم يقاس الدهر لم يعرف الاسى * وفى غير الايام ما وعد الدهر *

(و) مما اخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم (ان الفتن لا تظهر ما دام عمر حيا) روى
البيهقى هذا الحديث عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما والشيخان عن حذيفة ولقى
يوما عمر رضى الله تعالى عنه ابا ذر فاخذ بيده وعصرها فقال دع يدى يا قفل الفتنة
فقال له ما هذا يا ابا ذر قال جئت يوما ونحن عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
فكرهت ان تتخطى الناس فجلست فى ادبارهم فقال لا تصيبكم فتنة ما دام هذا فيكم
وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه يوما ايكم يحفظ ما قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم فى الفتنة التى تموج كموج البحر فقال حذيفة ليس عليك منهم يا امير المؤمنين
ان بينك وبينها بابا مغلقا قال ايفتح ام يكسر قال يكسر قال اذن لا يغلق ابدا فقيل له
اكان عمر يعلمه قال نعم كما ان دون الغداء الليلة (اقول فى هذا سر من كنايات البلاغة

عجيب فان قوله فيه تموج اشارة الى انها ست فتنة المال والاولاد وقوله يكسر يشير الى انه يقتل فينحجر الناس على الخلفاء والباب اذا انكسر لايقفل وقوله دون الغداء الليلة كناية عن انه كان يقينا عنده وانما سال ليعلم هل علمه غيره ام لا وخطب خالد بن الوليد يوما فقال ان امير المؤمنين قد بعثنى الى الشام وهو بهمه فالقى بوانيه بثنية وعسلا اراد ان يؤثر به غيرى فقال له رجل اصبر ايها الامير فان الفتن قد ظهرت فقال اما وابن الخطاب حى فلا انما ذاك بعده اذا كان الناس بذى بلى او بذى بليان فينظر الرجل هل يجد مكانا لم ينزل به ما نزل بمكانه من الشر فلا يجده نعوذ بالله ان تدركنى واياكم اولئك الايام وبوانيه جمع بانية اى خيره وسعته والبثنية حنطة منسوبة لبثنية ناحية بدمشق وقيل هى الزبدة اى كانها عسل وزبد لما يجئ من اموالها وذى بلاء وذى بليان يريد به طوائف بلا امام وكل من بعد حتى لايدرى موضعه فهو بذى بلى من بلى فى الارض اذا ذهب اراد ان امور الناس تضيع بعد عمر رضى الله تعالى عنه (و) اخبر صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه البيهقى من طرق وهو مما اخبر به من المغيبات (بمحاربة الزبير لعلى وهو ظالم له) وكان صلى الله تعالى عليه وسلم رآهما يوما وكل منهما يضحك فقال لعلى اتحبه فقال كيف لا احبه وهو ابن عمتى صفية وعلى دينى فقال للزبير اتحبه فقال كيف لا احبه وهو ابن خالى وعلى دينى فقال اما انك ستقاتله وانت له ظالم فلما كان يوم الجمل قاتله فبرزله على رضى الله تعالى عنه وقال ناشدتك الله اسمعت من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قوله انك ستقاتلنى وانت لى ظالم قال نعم ولكن انسيته وانصرف عنه فلما كان بوادى السباع خرج عليه ابن جرموز وهو نائم فقتله واتى برأسه كما فصله المورخون (و) مما اخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم من المغيبات (نباح كلاب الحوأب على بعض ازواجه) يعنى عايشة رضى الله تعالى عنها وهو بحاء مهملة وواو ساكنة وهمزة مفتوحة وموحدة اسم ما او موضع وقرية فيه الماء فى طريق الذاهب من المدينة لى البصرة قال ابن عبد ربه فى العقد وبعضهم يقول فيه الحواب بضم الحاء وتشديد الواو والمشهور الاول قال الشاعر من الخوارج * وانا لبرئ من الزبير وطلحة * ومن التى نبحت كلاب الحوأب * وفى معجم البلدان اصل معناه الوادى الواسع وانما كان المراد عايشة رضى الله تعالى عنها لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يوما جالسا وعنده نساؤه يتحدثن معه فقال ايتكن تنبحها كلاب الحوأب سائرة الى الشرق فى كتيبة فكانت عايشة فى وقعة الجمل ولما مرت بذلك المكان نبحتها كلابه فسألت عن اسم ذلك المكان فقيل لها الحوأب فهمت بالرجوع فحلفوا لها انه ليس بالحوأب والحوأب ايضا اسم مخلاف بالطائف قتلت فيه سلمى المرادية عتيقة عايشة وقيل ايضا انها المرادة بالحديث ايضا لانها كانت مع نسائه صلى الله تعالى عليه وسلم لما حدثهن به كما فى المعجم والصحيح خلافه لما يأتى فى بقية الحديث

والنباح بضم النون وكسرها صوت الكلب والتيس وقيل انه اى الحوأب سمى باسم حوأب بنت كلب لنزولها به كما قاله ابن ماكولا واختلف فى وزنه فقيل فوعل وقيل فعال وفيه الاخبار بالمغيبات وهو حديث صحيح رواه البزار عن ابن عباس وهو من تتمة حديث الزبير رضى الله تعالى عنه لان عايشة ذهبت معه لتصلح بينه وبين على فاتفق ما اتفق فى وقعة الجمل (و) اخبر صلى الله تعالى عليه وسلم فى هذا الحديث (انه يقتل حولها) ممن كان معها (قتلى كثيرة) قيل كانوا نحو ثلاثين الفا (وتنجو) اى تسلم هى (بعد ما كادت) اى قاربت عدم النجاة (فنبحت) كلاب الحوأب (على عايشة عند خروجها الى البصرة) وهذا الحديث صحيح كما مر روى من طرق عدة فعن ابن عباس انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لنسائه ليت شعرى ايتكن صاحبة الجمل الازب تنبحها كلاب الحوأب والازب كثير شعر الوجه وفك ادغامه وعدمه لمشاكلة الحوأب فكان ما اخبر به لانه لما قتل عثمان رضى الله عنه وكانت هى وامهات المؤمنين حاجات ذلك المقام فبايع الناس عليا وانحاز اليه قتلة عثمان من غير رضى منه لكنه خشى الفتنة لكثرتهم وتغلبهم واشتد غيظ الناس فخطبتهم عايشة رضى الله تعالى عنها وحثتهم على الطلب بدمه ودفع الخوارج عن البلد الحرام فاجابها الناس وقالوا لها حيثما سرت فنحن معك فسارت فى هودجها على جمل يقال لها عسكر وودعتها امهات المؤمنين يبكين فسمى ذلك العام عام النحيب فلما وصلت الى الحوأب وانا خواجملها نبحتها الكلاب فقالت ردونى واخبرت بما قاله رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال لها الزبير يا ام المؤمنين اصلحى بين الناس فسارت لذلك وكان ما كان (و) مما اخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم من المغيبات (ان عمار) بن ياسر الصحابى المشهور (تقتله الفئة الباغية) من البغى وهو الخروج بغير حق على الامام ولفظ مسلم قال النبى صلى الله عليه وسلم لعمار تقتلك الفئة الباغية وروى وقاتله فى النار (فقتله اصحاب معاوية) وكان هو مع على بصفين وهو صريح فى ان الخليفة بحق هو على رضى الله عنه وان معاوية مخطئ فى اجتهاده كما فى حديث اذا اختلف الناس كان ابن سمية مع الحق وابن سمية هو عمار رضى الله تعالى عنه كان مع على وهذا هو الذى يدين الله به وهو ان عليا كرم الله وجهه على الحق ومجتهد مصاب فى عدم تسليم قتلة عثمان ومعاوية رضى الله تعالى عنه مجتهد مخطئ فدع القيل والقال فماذا بعد الحق الا الضلال وقد تأول معاوية حديث عمار لما لم يجد مجالا لانكاره فقال انما قتله من اخرجه ولذا قال على كرم الله وجهه لما بلغه قوله فرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قتل حمزة رضى الله تعالى عنه لما اخرجه لاحد كما نقله ابن دحية رحمه الله تعالى وقتل عمار بصفين وهو ابن سبعين سنة قتله ابن الغمادية واحتز رأسه ابن جزء وفنه على رضى الله تعالى عنه (وقال) صلى الله

تعالى عليه وسلم فى حديث تقدم (لعبد الله بن الزبير) لما شرب دما من فضلاته صلى الله عليه وسلم (ويل للناس منك وويل لك من الناس) وويل هنا للتحسر والتأسف وتكون للدعاء بالهلاك وكان صلى الله عليه وسلم احتجم واعطاه دمه وقال له ارقه فى محل لا يرى فلما رجع قال له صلى الله عليه وسلم اعلك شربته فقال نعم فقال له ذلك واستدل به على طهارة فضلاته صلى الله تعالى عليه وسلم كما مر وكان الناس يرون ان ما عنده من القوة والجرأة مكتسبة من ذلك الدم والمراد من الناس الجنس وويله من الناس لان من كان على الحق جريا على المقاتلة عليه يكثر اعداؤه وحساده وينال من الناس اذى ووقع له ذلك رضى الله تعالى عنه حتى قتل هو وابنه ظلما وعدوانا كما اخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم فلم يرق ذلك الدم حتى اراق دمه (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم فى اخباره عن المغيبات فى حديث صحيح رواه الشيخان (فى) حق (قزمان) بقاف مضمومة وزاى معجمة ساكنة وميم وهو مولى لبعض الانصار وكان شجاعا لكنه منافق وكان قاتل قتالا شديدا اعجب الصحابة رضى الله تعالى عنهم كما اشار اليه بقوله (وقد ابلى مع المسلمين) وابلى بفتح الهمزة وموحدة ساكنة ولام والف مقصورة فعل ماض من ابلى بمعنى اختبر ويقال ابلى بلاء حسنا فى الحرب اذا صبر فى قتاله واجاد والجملة حالية اى ابان شجاعته واقدامه الا ان ذلك لم يكن خالصا لله وقد اطلع الله رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم على حاله (فقال فيه انه من اهل النار) فعجب الناس من ذلك فاظهره الله لهم (فقتل نفسه) لما كثرت الجراحة فيه واثخنته واختلفت الرواية فى اى موطن قال صلى الله تعالى عليه وسلم هذا الحديث بعد الاتفاق على صحته لرواية الشيخين له عن ابى هريرة فقيل انه كان ذلك باحد وقيل بحنين وقيل بخيبر وان حنين الواقع فى صحيح مسلم محرف من خيبر لقرب رسمها بها خطا وقيل ان القصة تعددت فانه صلى الله تعالى عليه وسلم فى بعض غزوة انه رأى رجلا فقال انه من اهل النار فلما قاتلوا قاتل معهم اشد القتال حتى اثخن بجراحات كثيرة فقال صلى الله تعالى عليه وسلم انه من اهل النار فكاد بعض الناس يرتاب فلما اشتد عليه الم جراحاته قتل نفسه فقيل انه جعل سيفه بين ثدييه وتحامل عليه حتى مات وقيل اخرج من كنانته سهما نحر به نفسه وقيل قطع عروق يده فاخبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك تصديقا لمقالته فقال ان الله لينصر الدين بالرجل الفاجر وامره مناديا ينادى فى الناس انه لا يدخل الجنة الا مؤمن اى مؤمن كامل او قد علم منه انه منافق او انه ارتد قبل موته والمنادى قيل انه عمر رضى الله تعالى عنه وقيل بلال وقيل عبد الرحمن بن عوف وجمع بين الروايات بتعدد القصة او بانه وقع كل ذلك من تحامل وغيره وتعدد من نادى وفيه اشارة الى انه لا ينبغى النظر لظاهر العمل والاتكال عليه (و) روى الطبرانى والبيهقى من طرق بعضها متصل وبعضها مرسل وبعضها منقطع انه صلى الله تعالى عليه وسلم (قال فى) حق (جماعة) من الصحابة كانوا عنده (فيهم ابو هريرة وحذيفة

وسمرة بن جندب اخركم موتا فى النار) اخركم مبتدأ خبره محذوف تقديره يموت موتا فى النار فموتا مفعول مطلق والجار والمجرور متعلق بالخبر او بالمصدر او اخركم فاعل يموت واما كونه مبتدأ وموتا تمييز والظرف خبره وان احتمل فلبس بمراد ولذا قيل ان فيه ايهاما وتورية لان المراد انه يحترق فى الدنيا حريقا يموت به لا انه يدخل نار جهنم لان ابن عساكر روى عن ابن سيرين ان سمرة اصابه كزاز وهو مرض يصيب صاحبه برد لا يدفؤ امنه فكان يملؤ له قدر عظيم ماء يسخن ويجلس عليه ليدنا من بخاره فسقط فيه فاحترق وقيل انه مات فى حريق قيل ويحتمل انه على ظاهره بان يدخل النار فى الآخرة ثم يخرج لامر صدر منه والذى صححه السيوطى وغيره الاول واليه يشير المصنف بقوله (فكان بعضهم) ان بعض من قيل فى حقه ذلك مما تقدم (يسأل عن البعض) من رفقائه الذين قال صلى الله تعالى عليه وسلم فيهم ما مر قال ابن حكيم الضبى كنت اذا لقيت اباهريرة سألنى عن سمرة فاذا اخبرته بصحته فرح فسألته عن ذلك وقال كنا عشرة فى بيت فقال صلى الله تعالى عليه وسلم آخركم موتا فى النار فمات منا ثمانية ولم يبق غيرى وغيره وكان اذا قيل له مات سمرة يغشى عليه حتى مات قبله (فكان سمرة آخرهم موتا هرم) بزنة علم اى كبر سنه وضعف بدنه واصابه هزال الشيخوخة (وخرف) بخاء معجمة مفتوحة وراء مهملة مكسورة اى فسد عقله وتغير من الكبر (فاصطلى) اصله اصتلى فابدلت التاء طاء لمجاورة الصاد اى تدفى (بالنار) اى بنار اوقدت له (فاحترق فيها) لغفلة اهله عنه وضعفه عن الحركة فعلم صحة ما اخبر به الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم قبل وقوعه ولم يكشف لهم الغطاء عن مراده ليجدوا فى اعمالهم ويداوموا على الخوف والمراقبة اولانه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يؤذن له فى ذلك وهو من الحكم الخفية قيل ان ما ذكر لم يرمنقولا عن غير المصنف ولم يذكر احد ان سمرة حرق بل لم ينقل ان احدا من الصحابة حرق الا بشر بن ارطاة او ابن ابى ارطاة على القول بانه صحابى وقد نعى بشرا سفينة مولاه صلى الله تعالى عليه وسلم كما قاله البرهان (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه ابن اسحق عن عاصم بن عمر ابن قتادة انه قال (فى حنظلة) ابن ابى عامر الانصارى الصحابى المشهور (الغسيل) فعيل بمعنى مفعول من الغسل سمى بذلك لان الملائكة غسلته لما استشهد باحد وكان جنبا فقتله ابو سفيان بن حرب وقيل قتله شداد بن اوس الليثى وهو حنظلة ابن عامر الراهب الذى لقبه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالفاسق فرأى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الملائكة تغسله مع انه شهيد فقال (سلوا زوجته) يعنى امرأته وزوجته فانه يقال للمرأة زوج كالرجل فى الصحيح وقد يقال زوجة للفرق (عنه) اى عن حاله فانه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم علم ان تغسيله

لجنابته وهو لا يطلع عليها غيرها كما اشار اليه بقوله (فانى رأيت الملائكة تغسله) والشهيد لا يغسل وكان ذلك باحد (فسألوها فقالت) انه (خرج) من بيته لاحد (جنبا) من جماع امرأته (انجله الحال) اى محبة الجهاد واللحوق برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (عن الغسل) بضم فسكون اى عن ان يغتسل من جنابته خوفه ان يبطئ عن حضوره معه صلى الله تعالى عليه وسلم فيفوته ذلك الوقت وفى رواية قالت كان جنبا فغسلت احدى شق رأسه فلما سمع صوتا خرج فقتل وكان ابتنى بزوجته فى تلك الليلة وهى جميلة بنت ابى بن سلول المنافق (قال ابو سعيد) بن مالك بن سنان الخدرى وقد تقدم ذكره مرارا (ووجدنا رأسه) اى رأس حنظلة لما قتل (تقطر ماء) من اثر تغسيل الملائكة له وهذا من ظهور ما فى عالم الغيب وهذا مما وقع فى بعض النسخ ملحقا بالام والشهيد فى المعركة لا يغسل لكنه لو كان جنبا هل يلزم تغسيله ام لا اختلف فيه فقيل يجب لانه بسبب آخر وهو ظاهر الحديث والكلام عليه مفصل فى كتب الفقه (وقال) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه احمد والترمذى وهو مما نحن فيه اذ فيه مع الحكم اخبار ببعض المغيبات (الخلافة فى قريش) ولو كان هذا لمجرد الحكم لم يكن مما نحن فيه لانه صلى الله تعالى عليه وسلم حكم باستحقاقهم لها وقع ام لم يقع وقد وقع كما اخبر مدة طويلة الى انقضاء دولة بنى العباس (و) فى حديث آخر رواه البخارى (لن يزال هذا الامر) يعنى الخلافة (فى قريش ما اقاموا الدين) بيان لغايته اى ما حموا شوكة الاسلام واقاموا شعاير الدين الظاهرة فاذا غيروا غيرهم الله تعالى ونزع الملك منهم وقد وقع كما قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه روايات متغايرة تحتاج لكلام طويل طوينا خوف السآمة والملل وفى رواية حتى يمضى فيهم اثنى عشر خليفة وما ظرفية مصدرية اى مدة امامتهم والاجماع منعقد على ان الخلافة مختصة بقريش (وقال) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه مسلم والبيهقى (يكون) اى يوجد بعده صلى الله تعالى عليه وسلم (فى ثقيف) قبيلة معروفة (كذاب ومبير) اى مهلك بكثرة القتل بغير حق من البوار فهو الهلاك قال تعالى * وكنتم قوما بورا * اى هالكين (فرأوهما) من الرأى اى رأى العلماء ان المراد فى الحديث بهما (الحجاج) بن يوسف الثقفى وهذا مما اخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم من المغيبات ففى حديث اسماء رضى الله تعالى عنها من طريق مسلم انها قالت للحجاج ان فى ثقيف كذابا ومبيرا اما الكذاب فقد رأيناه واما المبير فلا اخالك الا اياه وقال النووى رحمه الله اجمع العلماء على ان المبير هو الحجاج وقال هشام بن حسان انه قتل مائة وعشرين الفا (و) الكذاب هو (المختار) بن ابى عبيد الثقفى بن مسعود بن عمر بن عمير ففى عبارته لف ونشر مشوش وابوه اسلم فى حياة النبى عليه السلام ولم يره فلم يعد فى الصحابة والمختار هذا كان

يزعم ان جبريل عليه الصلوة والسلام يأتيه وكان يظهر مدح ابن الزبير ومحمد ابن الحنفية واستحوذ على الكوفة واظهر التشيع واجتمع عليه ناس كثيرون وطلب الاخذ بثار الحسين فقتل كثيرا من قتلته وعظم امره وكان يتكهن ويزعم انه يوحى اليه وله كرسى يضاهى به تابوت بنى اسرائيل فهو ضال مضل واستمر على ذلك مدة حتى قتله مصعب بن الزبير وامر الحجاج اشهر من ان يذكر (وان مسيلمة يعقره الله تعالى) اى مما اخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم من المغيبات ما ورد فى الحديث الصحيح الذى رواه الشيخان عن ابن عباس من ظهور مسيلمة الكذاب وان الله يقتله ومسيلمة بصيغة التصغير فلامه مكسورة والعامة تفتحها وهو خطأ قبيح كما مر وهو رجل من بنى حنيفة كنيته ابو ثمامة ادعى النبوة وزعم انه يأتيه الوحى بقرآن فكان له هذيانات سخيفة تقدم بعض منها ولما قدم وفد بنى حنيفة المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو معهم لم يقابله وقال لو جعل الامر لى بعده اتبعته فبلغ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما قاله فقال لو سألنى هذه الشظية ما اعطيتها له فرجع معهم وتمخرق بشعبذة فافتتنوا به وزعم ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اشركه معه فى امره وكتب اليه من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله اما بعد فانى قد اشركت فى الامر معك فان لنا نصف الارض ولقريش نصفها ولكنهم يعتدون فكتب اليه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فاخفى الكتاب وكتب كتابا من عنده اظهره لاصحابه زعم انه صدقه فيما قاله فكذبه من بنى حنيفة ثمامة بن مالك رضى الله تعالى عنه ونهى الناس عنه وقال يخاطبه وكان مؤمنا رضى الله عنه

*مسيلمة ارجع ولا تمحك * فانك فى الامر لم تشرك*

كذبت على الله فى وحيه * هواك هوى الاحمق الانوك*

*فما فى السماء لك مصعد * وما لك فى الارض من مبرك*

وكان يلقب نفسه برحمن اليمامة ولما توفى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جمع جموعا سفهاء فجهز له ابو بكر رضى الله تعالى عنه جيشا اميرهم خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه فقتل مسيلمة كافرا لعنه الله تعالى قتله وحشى قاتل حمزة رضى الله تعالى عنه وشاركه فيه ناس والعقر اصله يستعمل فى الحيوان كعقر الناقة ونحوها ففيه اشارة الى انه بهيمة من البهائم مات ميتة جاهلية فلذلك ولم يزك (و) مما اخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم من المغيبات ما رواه الشيخان عن عايشة رضى الله تعالى عنها (ان فاطمة) الزهراء بنته صلى الله تعالى عليه وسلم ورضى عنها (اول اهله لحوقا) وروى لحاقا (به) اى اول من يموت بعده صلى الله عليه وسلم من اهل البيت فماتت بعد ستة اشهر وقيل ثمانية اشهر وقيل مائة يوم وهى اصغر بناته صلى الله تعالى

عليه وسلم واحبهم اليه وهى اول من غطى نعشه من النساء فى الاسلام واول الحديث
انه صلى الله تعالى عليه وسلم سارها فى مرض موته فبكت ثم دعاها وسارها بشئ
فضحكت فسئلت عن ذلك بعد موته صلى الله تعالى عليه وسلم فقالت سارنى اولا بانه
يموت فى مرضه هذا فبكيت ثم سارنى بانى اول اهله يتبعه فضحكت ولما توفيت دفنها
على كرم الله وجهه ليلا واختلف فى محل دفنها فقيل فى قبة ولدها الحسن قرب محرابها
وروى احمد بن حنبل فى المناقب انها اغتسلت ولبست ثيابا لها وكفنا وقالت
انى مقبوضة فلا يغسلنى ولا يكفنى احد فامتثل امرها وفيه كلام للفقهاء وانه هل
يكفى غسلها فى الحياة عن غسل الميت ام لا الا انه يعارضه ماروى من انها امرت
فاطمه بنت عميس ان تغسلها وقيل انه من خصائصها وفى اللآلى للسيوطى عن ام سلمة
قالت مرضت فاطمة فقالت يا امتاه اسكبى لى غسلا فسكبته فاغتسلت ثم قالت هاتى
ثيابى الجدد فناولتها فلبستها فقالت قدمى الفراش فقدمته فاضطجعت مستقبلة
ثم قالت انى اليوم مقبوضة فلا يكشفنى احد فقبضت مكانها واتى على فاخبرته فدفنها
بغسلها وقال ابن الجوزى انه موضوع ورد بانه رواه الطبرانى الا انه يعارضه ماروى
بخلافه كما مر ولعله من خصوصياتها وانه صلى الله تعالى عليه وسلم اخبرها به
(وانذر بالردة) اى اعلم صلى الله عليه وسلم اصحابه لمن يرتد بعده ومايكون من قتالهم
وقد وقع ذلك فى خلافة ابى بكر رضى الله تعالى عنه والانذار اخبار بامر مكروه مخوف
ضد التبشير وهو مما رواه الشيخان ايضا عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما وكان ذلك
بعد ابتداء خلافة الصديق بسبعة اشهر وستة ايام فانه بعد انتقال رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم ارتد كثير من الناس الا اهل الحرمين والبحرين يكفى الله امرهم
بابى بكر رضى الله تعالى عنهم بعد ان قاسى منه امورا شديدة (و) مما اخبر به صلى الله
تعالى عليه وسلم من المغيبات فى حديث رواه اصحاب الكتب الستة مسندا وفيه
(ان الخلافة) اى خلافة رسول الله صلى الله عليه وسلم بحق وخلافة النبوة انما تكون
لمن تمسك بالسنة من قريش وهى (بعده ثلاثون سنة ثم تكون) اى تتحول الخلافة
وتصير (ملكا) عضوضا اى سلطنة بالقهر والتطلب من غير وجود شروطها
(فكانت) الخلافة الحقيقية (كذلك) اى لما اخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم وتمت
المدة التى ذكرها (بمدة الحسن بن على) بن ابى طالب كما رواه سفينة رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم وكانت خلافة الصديق رضى الله تعالى عنه سنتين واربعة
اشهر وخلافة عمر رضى الله تعالى عنه عشر سنين ونصفا وخلافة عثمان رضى الله
تعالى عنه اثنى عشر سنة الا اياما وخلافة على رضى الله تعالى عنه اربع سنين وتسعة
اشهر واياما وفى المغرب خلافة ابى بكر سنتان وثلاثة اشهر وتسع ليال وعمر عشر
سنين وستة اشهر وخمس ليال وعثمان اثنى عشر سنة الا اثنى عشر ليلة وعلى خمس

سنين الا ثلاثة اشهر فتمم المدة بمدة الحسن لما بويع فى عشر رمضان الاخير سنة
اربعين من هجرته ثم سلمها لمعاوية فى نصف جمادى الاولى سنة احدى واربعين
فمدته كانت سبعة اشهر ونصفا واياما فبها تم الثلاثون كما ذكره المصنف رحمه الله
تعالى والملك بضم الميم والعضوض بفتح العين صيغة مبالغة وروى ثم يكون ملك
عضوض بضم العين جمع عض بكسرها وهو الشرس الخبيث والملك السلطان
والخليفة امير المؤمنين ويقال خليفة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لانه خلفه
فى القيام بامر المسلمين ولا يقال خليفة الله لغير داود صلى الله تعالى عليه وسلم (وقال)
صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه البزار عن ابى عبيدة رضى الله تعالى عنه
والبيهقى عن معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه (ان هذا الامر) اراد به دين الاسلام
وامر الشريعة المحمدية (بدأ) بهمزة فى آخره اى ابتداء فى اول امره او بالف
مقصورة بمعنى ظهر وبرز من كون العدم الى الخارج والظاهر الاول هنا (نبوة ورحمة)
بالنصب على الحالية او بنزع الخافض اى بدأ بنبوته صلى الله تعالى عليه وسلم ورحمة
للعالمين بانقاذهم من الضلال والكفر وامور الجاهلية وهذا فى حياته صلى الله تعالى
عليه وسلم (ثم يكون) بعده (رحمة وخلافة) فى زمن الخلفاء الراشدين وآخر الرحمة
اولا لانها نشأت من النبوة وقدمها هنا لسبقها على الخلافة فان رحمته صلى الله
تعالى عليه وسلم كانت قبلهم واستمرت (ثم يكون) بعد الخلافة (ملكا عضوضا)
بفتح العين وضمها كما تقدم فى رواية ملك عضوض وهو استعارة تصريحية
او مكنية بتشبيه ظلمهم وتعديهم على الرعية بعض حيوان مفترس يعض من رآه
(ثم يكون) بالتحتية والضمير للامر (عتوا وجبرية) العتو بضم العين الخروج
عن طاعة الله تعالى يقال عتا يعتو عتوا وعتا والجبرية بفتح الجيم والموحدة وتسكن
ايضا من الجبر وهو الاكراه والقهر قال الراغب الاجبار فى الاصل حمل الغير على ان
يجبر الامر لكن تعورف فى الاكراه المجرد فقيل اجبرته على كذا وسمى الذين يدعون
ان الله يكره العباد على المعاصى فى تعارف المتكلمين مجبرة و فى قول المتقدمين جبرية
وجبرية انتهى وقال غيره الجبرية بفتح الباء اى قهرا وتكبرا ولفظ الحديث الذى
رواه البيهقى ان الله بدا هذا الامر نبوة ورحمة وكائنا خلافة ورحمة وكائنا ملكا
عضوضا وكائنا عتوا وجبرية وفسادا فى الامة يستحلون الفروج والخمور والحرير
وينصرون على ذلك ويرزقون ابدا حتى يلقوا الله وهما منصوبان خبر كان
وروى بالرفع فكان تامة وروى جبروتا بمثناة فوقية والعتو بمثناة ايضا وماقيل انه
بمثلثة ومعناه الفساد وقوله تعالى * ولا تعثوا فى الارض مفسدين * فالحال مؤكدة
وقوله فى الحديث عتوا وجبروتا (وفسادا فى الامة) يلزمه عطف الشئ على نفسه
وفى الكشاف معناه اشد الفساد فقيل لهم لا تمادوا فى الفساد فى حال فسادكم انتهى

وكونه اشد الفساد يحتاج لى النقل وفى الصحاح ما يخالفه لانه فسره بمطلق الفساد
و يلزمه ان يكون النهى عن التمادى فى حال الفساد انتهى ملخصه فيه بحث وانما تركناه لانه
اطال فيه من غير طائل وانا اقول لا يخلو ما فى كلامه من الخبط فان العثو هنا بالمثناة فقط
والمثلثة تحريف واعتراضه على العلامة من قصور نظره فان مثله لا يطلب منه
النقل ومراده ان العثو ان كان بمعنى الفساد فالمراد بقوله مفسدين مستمرين على
الفساد لان الاصل التأسيس وقد قرره فى سورة البقرة فى امر المؤمنين بالايمان
ومثله كثير (و) مما اخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم عن المغيبات ما اشار اليه
بقوله و (اخبر) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث مسلم (بشان اويس)
ابن عامر المرادى نسبة لمراد قبيلة مشهورة (القرنى) بفتحتين نسبة لقرن بن
ردمان ابن ناجية بن مراد وغلط الجوهرى فى نسبته لقرن المنازل كما غلط فى فتح راء
قرن المنازل كما فى القاموس وتبعه بعض الشراح هنا وقال ابن حجر فى فتح البارى
بالغ النووى فى حكاية الاتفاق على تخطئة فى تحريك قرن المنازل وحكى المصنف
رحمه الله تعالى عن تعليق القابسى ان من قال بالاسكان اراد الجبل ومن قال بالتحريك
اراد البلد وقال الكرمانى اويس القرنى منسوب الى قبيلة بنى قرن ولا منافاة بينه
و بين ما قدمناه وفى طبقات الاولياء للترجى انه خير التابعين مطلقا بشهادة النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم له وكان ادرك زمن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يره
لاشتغاله ببر امه وعن عمر رضى الله تعالى عنه انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول يأتيكم اويس بن عامر مع امداد من اهل اليمن من مراد من قرن كان به
مرض برص فبرأ منه الا موضع درهم منه لانه دعا الله تعالى ان يزيله الا لمعة اذكر بها
نعمك على فمن ادركه منكم فاستطاع ان يستغفر له فليفعل ووصفه صلى الله عليه
وسلم بانه اشهل ذو صهوبة بعيد ما بين المنكبين شديد الادمة ضارب بذقنه الى
صدره رام ببصره الى موضع سجوده يبكى على نفسه ذو طمرين ولا يؤبه به مجهول
فى اهل الارض معروف فى السماء لو اقسم على الله لابره تحت منكبه الايسر لمعة
بيضاء الا وانه اذا كان يوم القيمة قيل للناس ادخلوا الجنة وقيل لاويس قف واشفع
فيشفعه الله فى ربيعة ومضر يا عمر ويا على اذا انتما لقيتماه فاطلبا منه ان يستغفر لكما
فمكثنا عشر سنين يطلبانه فلم يلقياه فلما كانت السنة التى توفى فيها عمر قام
على ابى قبيس فنادى يا اهل اليمن هل فيكم اويس فقام شيخ وقال لا ندرى ما اويس
ولكن ابن اخ لى اخمل ذكرا واهون من ان نرفعه اليك وهو فى ابلنا يرعاها فعمى عليه
عمر رضى الله تعالى عنه كانه لا يريده ثم قال اين هو فقال باراك عرفات فركب عمر
وعلى رضى الله تعالى عنهما اليه فاذا هو قائم يصلى فسلما عليه وقالا من الرجل فقال
راعى ابل اجير فقالا لسنا نسألك عن ذلك ما اسمك فقال عبد الله فقالا كلنا عبيد الله
ما اسمك الذى سماك به امك قال فما تريد ان منى فاخبراه بما قاله رسول الله صلى الله

عليه وسلم لهما وعرفاه بانفسهما فقام وسلم عليهما وقال لهما جزاكما الله
عن امة محمد خيرا واستغفر لهما كما امرهما رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
بذلك فقال له عمر رضى الله تعالى عنه مكانك يرحمك الله حتى اتيك بنفقة من عطائى
وكسوة من ثيابى فقال لا ميعاد لى ولا ترانى بعد اليوم وما اصنع بالنفقة والكسوة ثم اقبل
على العبادة وتوفى بصفين على ما قيل عام سبع وثلاثين شهيدا مع اصحاب على
رضى الله تعالى عنهم وقال ابن سلمة غزونا اذربيجان فى زمن عمر رضى الله تعالى عنه
ومعنا اويس فلما رجع مرض ومات فدفناه وجعلنا على القبر علامة فلما رجعنا
لم نجد له اثرا والاول اصح لقول ابى هريرة ان اجتماعه بعمر فى السنة التى توفى فيها
فكيف يكون غزاء فى ايامه وقيل دفن بدمشق والله اعلم انتهى وهذا هو المراد
بشانه الذى اشار اليه المصنف رحمه الله تعالى وبما مر علمت ان اويسا لم يدفن باليمن
كما توهمه بعض الناس وانه افضل التابعين وانه لقى عليا وعمر وادرك زمنه صلى الله
عليه وسلم لما ورد فى الحديث الصحيح ان خير التابعين رجل يقال له اويس القرنى
وقال احمد بن حنبل افضل التابعين سعيد بن المسيب قال القرافى لعل احمد لم يقف على
هذا الحديث اولم يصح عنده وفيه انه ذكره فى مسنده ولم يضعفه وانما وجهه انه رواه
ان من خير التابعين بمن التبعيضية وقال النووى افضلية اويس بشدة زهده وخشيته
لله وافضلية سعيد بكثرة علمه وحفظه الحديث فلا منافاة بينهما وقيل افضلهم
الحسن البصرى وقيل حفصة بنت سيرين ولا شك ان الافضلية على الاطلاق
لاويس وبالعلم النافع لسعيد وفيه نظر (و) مما اخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم ما رواه
مسلم من طرق عن ابى ذر رضى الله عنه (بان امراء يؤخرون الصلاة عن وقتها) لفظ
الحديث كيف انت اذا كنت وعليك امراء يؤخرون الصلاة عن وقتها قلت
فما تأمرنى قال اصل الصلاة لوقتها فان ادركتها فصل فانها لك نافلة وفى رواية
والا كنت قد احرزت صلاتك قال النووى المراد فى الحديث تأخيرها عن وقتها
الاختيارى لا عن وقتها مطلقا بشهادة امره صلى الله تعالى عليه وسلم باعادتها
معهم بعد ادائها منفردا اذ لا اعادة بعد خروج وقت الصلاة ولا جماعة فى الصلاة
المقضية والقول بان المراد تأخيرها عن جميع وقتها دعوى بلا بينة وتلك بشهود
لم تكن تقبل الرشا والمراد الامراء لغة فيشمل الملوك وخصهم لان الامامة كانت
وظيفة لهم فكل سلطان او حاكم بلدة يؤم الناس فى المكتوبات او يستخلف من يصلى
بهم وقد وقع هذا فى زمن بنى امية لانهم اول من غير رسم الخلافة وقد وقع هذا
التأخير فى زمن الحجاج وانكر عليه ذلك (و) مما اخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم من
المغيبات ما رواه احمد والطبرانى والبزار رحمهم الله تعالى انه قال (سيكون فى امتى)
وفى بعض النسخ فى امته (ثلاثون كذابا فيهم اربع نسوة) ادخال النسوة فيهم
بطريق التغليب والذى فى صحيح مسلم انهم قريب من ثلاثين وورد فى حديث آخر

انهم سبعة وعشرون دجالا فيهم اربع نسوة والذى ذكره المصنف رواية اخرى وتسميتهم امة بناء على ظاهر حالهم او المراد بالامة امة الدعوة والمراد بالكذب فيهم كذب مخصوص وهو ادعاء النبوة وقد وقع هذا بعده صلى الله تعالى عليه وسلم من الرجال لمسيلمة والاسود العنسى بالنون ومن النساء السجاح التى ظهرت باليمن وقصتها مشهورة وتفسيره بما ذكر ورد مصرحا به فى الحديث كحديث فى امتى دجالون كذابون وانا خاتم النبيين لا نبى بعدى ولو استقصى عدتهم بلغت ما ذكر والدجال الكذاب الذى يخلط ويلبس يقال دجل امره اذا خلطه وموهه ولبس فيه حتى يخفى ومنه الدجال المشهور وجمعه دجالون ودجاجلة (وفى حديث آخر) رواه الشيخان عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه (ثلاثون دجالا كذابا) عطف بيان على ما قبله (آخرهم الدجال الكذاب) الاعور الذى يظهر فى آخر الزمان ويقتله عيسى بن مريم عليه الصلوة والسلام فالتعريف فيه للعهد وتقدم انه من الدجل وهو الكذب والتموية وفى تذكرة القرطبى فيه اقوال اخر احدها انه ابن صياد يدعى الالوهية ويظهر امورا خارقة للعادة ولا يدخل مكة والمدينة والقدس معه جنة ونار وجبال من خبز (كلهم يكذب على الله ورسوله) كذبه على الله قوله انه اوحى اليه وعلى رسوله قوله انه بشرنى واخبر بنبوتى كقول مسيلمة المتقدم انه اشركنى فى امره ويحتمل ان يكون الرسول من رسل الملائكة كقولهم ان جبريل نزل على واوحى الى كذا (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه البزار والطبرانى بسند صحيح من حديث طويل فيه (يوشك) بضم اوله مضارع اوشك بمعنى قرب ودنا واسرع يقال وشك واوشك (ان يكثر فيكم العجم) هم خلاف العرب مطلقا لان السنتهم عجم اى غير ظاهرة لهم وقد يخص باهل فارس والاول اقرب هنا والمراد انه يكثر فيهم حكمهم وامارتهم عليهم كما فى كثير من الدول كالاموية والاكراد والاتراك الذين كانت فيهم السلطنة والدولة ولذا قال (يأكلون افياكم) جمع فئ وهو الغنيمة من الكفار بغير قتال ويطلق على مطلق الغنيمة والاكل فيه مجاز عن الاستيلاء عليه واخذه قهرا ومنع المستحقين منه بغير وجه واضافة الافياء اليهم باعتبار انها حقهم ويحتمل ان يراد بافيائهم مالهم الذى بايديهم سماه فيأ لانه مما افاء الله لهم بغير مشقة عليهم (ويضربون رقابكم) اى يقتلونهم بغير حق فالخطاب خطاب مشافهة لجنس المؤمنين من العرب فيشمل جميع من بعد عصر النبوة كما فى غيره من خطابات الشارع وانما جعله قريبا منهم لان كل آت قريب والدنيا ساعة وقد فسره الشارح الجديد بما لا وجه له فتركه خير من ذكره (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه الشيخان (لاتقوم الساعة حتى يسوق الناس بعصاه) اى لايملك الناس ويسخرهم كما يريد من غير مانع ولا كد وتعب وفيه استعارة تمثيلية لتشبيهه براع لغنم يسوقها

بعصاه يهش بها عليها وفيه اشارة الى ضعف الناس وجهلهم فكانهم غنم سائمة همها ان ترعى والعصا فيه كما فى قولهم فلان تحت عصا فلان اى منقاد لامره وحكمه وهم عبيد العصا (رجل من قحطان) اى من عرب اليمن وقحطان ابو اليمن وهذا الرجل يسمى الجهجاه كما ورد فى الحديث وقحطان اسمه يقظ او يقطان وكان تجبر ومنع ارزاق الناس فسمى قحطان لقحط الرزق بسببه (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه الشيخان ايضا (خيركم) المراد امته ولفظ الصحيحين خير امتى وهو المراد (قرنى) اى عصرى وزمانى الذى انا فيه والمراد اهله لقوله (ثم الذين يلونهم) اى يأتون بعدهم بلا فصل وهم الصحابة والتابعون لهم باحسان (ثم الذين يلونهم) وهم تبع التابعين والقرن اهل زمان اجتمعوا واقترنوا فيه باعمارهم وجميع احوالهم وفى تفصيله كلام تقدم والخيرية ان كانت بالنسبة لما بعده وهو الظاهر فلا كلام فيه وان كان على اطلاقه لايلزم منه تفضيل اصحابه على الانبياء عليهم الصلوة والسلام لان المراد تفضيل الجملة والمجموع على المجموع لا تفضيل كل فرد على كل فرد ثم لبيان التراخى فى الرتب كالافضل ولا شبهة فى فضل العصر وجملة اهله من غير تفصيل فلا ينافيه حديث امتى كالمطر لايدرى الخير فى اوله ام فى آخره فان هذا من واد وذاك من واد آخر وهذا اشارة الى انه قد يجئ فى الامة من ينفع الناس نفعا عظيما لم يتيسر لغيره ممن سبقه وهذا بالنظر لافراد مخصوصة وذاك بالنظر لمجموع العصر وشتان ما بينهما ولذا عبر بالقرن فلا يتوهم واهم نظر لعمر بن عبد العزيز وما صدر منه ولعثمان وما كان فى عهده تفضيل لعصره فيضل ويضل (ثم يأتى بعد ذلك قوم) وروى ثم ان بعدكم قوما (يشهدون ولا يستشهدون) اى يؤدون الشهادة قبل ان تطلب منهم ومثله لا يقبل وهذا لاينافى ما ورد فى الحديث ان خير الشهود من يأتى بالشهادة قبل ان يسئلها فان هذا حمل على من كان عنده علم بامر وشهادة فيه وصاحبها لايدرى انها عنده فيخبره بما عنده ليستشهده عند حاجته ولكل مقام مقال (ويخونون ولا يؤتمنون) هو عطف مؤكد لما قبله لان الخائن لا يؤتمن او المراد ظهور خيانتهم حتى لا يأمنهم احد بعد ذلك بخلاف من خان مرة فانه قد يؤتمن او المراد انهم يخونون فيما لم يؤتمنوا عليه كمن سرق او غصب ونحوه (وينذرون) بضم الذال المعجمة وكسرها (ولا يوفون) بما نذروه من غير عذر ومانع لهم ويقال وفى واوفى بمعنى (ويظهر فيهم السمن) اى عظم البدن بكثرة لحمه وهذا علامة على كثرة اكلهم وشربهم ونزههم وعدم خوفهم من الله وعدم تفكرهم فى عواقب الامور وروى يأتى فى آخر الزمان قوم يتسمنون وفى التوراة ان الله يبغض الحبر السمين وفى الغالب ان من سمن وكثرت رطوبة بدنه كان بايدا مغفلا غير مكترث ببدنه ودنياه

لجعل هذا كناية عما ذكر لانه من لوازمه غالبا فلا ينافيه ما يشاهد من كون بعض العلماء والصلحاء سمين الجثة خلقة ان شاء الله عليها لقوة نطفة ابويه وقيل المذموم منه ما يكتسب دون الخلقى لانه ورد فى الحديث ويل للمتسمنات يوم القيمة اى اللواتى يستعملن السمنة وهى دواء يتسمن به وروى تخلف قوم يحبون السمانة بفتح السين المهملة وهى السمن (وقال) صلى الله عليه وسلم فى حديث رواه البخارى عن انس رضى الله تعالى عنه (لا يأتى زمان الا والذى بعده شر منه) المستثنى جملة حالية يجوز فى مثلها الواو وتركها والحديث هكذا قال الزبير بن عدى اتينا انسا رضى الله عنه فشكونا له الحجاج فقال اصبروا فانه لا يأتى زمان الا والذى بعده شر منه حتى تلقون ربكم سمعته من نبيكم عليه السلام وروى اشر على الاصل كاخير والمستعمل منهما خير وشر وسمعا على الاصل نادرا وفى معنى هذا الحديث ما اشتهر من انه صلى الله عليه وسلم قال كل عام ترذلون الا انهم قالوا انه لم يرد بهذا اللفظ وان كان معناه ثابت فى احاديث كثيرة فهو رواية بالمعنى وقال الحسن البصرى لما ذكر يحيى ابن عبد العزيز بعد الحجاج لابد للناس من تنفس يعنى ان الله ينفس عن عباده ويكشف عنهم البلاء احيانا (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه الشيخان (هلاك امتى على يدى اغيلمة من قريش) اغيلمة تصغير اغلمة وهو جمع قلة يجوز فيه التصغير على لفظه وهو فى حكم المفرد وفى القاموس جمع غلام غلمة واغلمة وغلمان والغلام الشاب قد طر شاربه وهو المراد فا فى النهاية من انه تصغير غلمة على القياس ولم يرد فى جمعه اغلمة ومثله اصبية تصغير صبية كلام لا وجه له فان رد جمع القلة لجمع قلة آخر فى التصغير مما لا يعقل ولا يسمع ولو لم يرد غير هذا دلنا على انه سمع فيه اغلمة فلا حاجة للتعسف فى تأويله والمراد بهلاكهم ضياع امورهم وهلاك بعضهم (وقال ابو هريرة راوية) اى راوى هذا الحديث (لو شئت سميتهم لكم بنو فلان وبنو فلان) اى لو اردت ان اسميهم لكم سميتهم كيزيد فانه اباح المدينة ثلاثة ايام وقتل من خيار اهلها ناسا فيهم ثلاثة من الصحابة وازيلت بكارة الف عذراء وكبنى مروان بن الحكم وغيرهم من بنى امية ولم يسمهم خوف الفتنة (واخبر) صلى الله تعالى عليه وسلم عن بعض المغيبات فى حديث رواه الترمذى وابو داود والحاكم (بظهور القدرية) فى قوله صلى الله عليه وسلم القدرية مجوس هذه الامة لما قالوا بان الامور كلها ليست بقضاء الله وقدره وان الانسان خالق لافعاله وانها بقدرته فسموا قدرية لاثباتهم للعبد قدرة لا لانكار قدرة الله على افعاله وشبههم بالمجوس لانهم اثبتوا خالقين خالق الخير وهو النور الذى سموه يزدان وخالق الشر الظلمة سموها اهرمن وهؤلاء لما انسبوا افعال العباد لهم قالوا بتعدد الخالق على ما تقرر فى الاصول واما معنى القضاء والقدر فعند السلف القضاء ارادة الله الازلية المتعلقة بجميع الاشياء خيرها وشرها والقدر

ايجاده اياها على ما قضاه اولا وعند الفلاسفة القضاء علمه بما عليه الوجود حتى يكون على احسن نظام ويسمونه العناية والقدر خروجها على وفقه وهؤلاء القدرية هم المعتزلة واما القدرية الذين انكروا القدر وان الامر انف اى مستأنف لا يعلمه الا بعد وجوده فليس المراد بالحديث هم لانهم انقرضوا ولم يبق منهم احد (والرافضة) الذين اخبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بظهورهم كما ورد فى حديث رواه البيهقى من طرق الا انها كلها ضعيفة فقال يكون فى امتى قوم فى آخر الزمان يسمون الرافضة يرفضون الاسلام وروى ويلفظونه فاقتلوهم فانهم مشركون انتهى وفيه بيان لوجه التسمية فان الرفض معناه لغة الترك وقيل هم قوم تركوا حب الشيخين من الشيعة وهم اثنان وعشرون فرقة وقد وقع ما اخبر به الصادق الامين لما ظهر الفاطميون ومن بالعجم الان منهم (وسب آخر هذه الامة اولها) اى اخبر صلى الله عليه وسلم بان من تأخر من امته سيظهر سب اولها وهذا من المغيبات ورد فى حديث رواه البغوى عن عائشة مرفوعا فقال لا تذهب هذه الامة حتى يلعن آخرها اولها وقد وقع هذا كثيرا من الرافضة فاظهروا سب الشيخين وسب عائشة ومعاوية وغيرهم من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ووقع من بنى امية سب على كرم الله تعالى وجهه على المنابر وادخل بعضهم فى هذا من سب بعض الاولياء وعلماء السلف وذكرهم بالسوء وافترى عليهم ما لم يقولوه كما شاهدناه من بعض السفهاء يسبون العارف بالله سيدى محيى الدين بن عربى وسيدى عمر ابن الفارض ونحوهما من اولياء الله تعالى حتى صنف بعضهم تصانيف فى الرد عليهم ومقامهم اعلى من ذلك والاشتغال بمثل هذا تضييع للزمان وتسويد لوجوه الاوراق ويخشى على المتصدى لذلك من سوء الخاتمة نفعنا الله تعالى ببركاتهم وحشرنا فى زمرتهم (و) اخبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (بقلة الانصار) بعد عصر النبوة وهم الاوس والخزرج وسموا انصارا لانهم نصروا الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وآووه وهو جمع ناصر او نصير غلب على هذه القبيلة ولذا نسب اليهم انصارى ولم يرد لواحده وهذا اشارة لما رواه الشيخان عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال خرج علينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى مرضه الذى مات فيه فجلس على المنبر وحمد الله تعالى واثنى عليه ثم قال اما بعد فان الناس يكثرون وتقل الانصار (حتى يكونوا كالملح فى الطعام) فمن ولى منكم شيئا يضر قوما فيه وينفع فيه آخرين فليقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم اى ان اهل الاسلام لا يزالون يدخلون فيه افواجا افواجا وهؤلاء يقلون ويفنى نسلهم فان خيارا لاكثر قتل فى كل جبل ولم تزل قلتهم الى ان صاروا بالنسبة لغيرهم كالملح فى الطعام ووجه التشبيه انهم مع قلتهم فيهم صلاح واصلاح وانهم يذوبون بينهم

كالملح فانه يذوب فيما وضع فيه وقد كان كما قال فان الآن فى المدينة لم يبق منهم الا اقل من القليل كما اشار اليه بقوله (فلم يزل امرهم يتبدد) المراد بامرهم مابه بقاؤهم وانتظام حالهم من املاكهم واموالهم ويتبدد بمعنى يتفرق ويتشتت حتى يفنى ويضمحل ويقلون (حيث لم يبق لهم جماعة) اى لم يبق من نسلهم قوم يجتمعون بالمدينة كما كانوا عليه اولا وهكذا السادات العظام اذا مات واحد منهم لم يقم بعده من يخلفه (و) اشار لسبب ذلك بقوله و (انهم سيلقون بعده) اى يلقى الانصار بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (اثره) بفتح الهمزة والمثلثة والراء المهملة قيل ويجوز كسر الهمزة وسكون المثلثة وهما بمعنى يعنى وهو الاستبداد وقيل الثانى شدة لاستبداد اى يلقون بعده صلى الله عليه وسلم من يؤثر عليهم غيرهم ويتقدمه عليهم فى العطاء من الديوان ويقل نصيبهم من الفى فيضيق معيشتهم وفى نفسهم شرف ورحمة فيشتتوا ويتبدد امرهم قال ابن سيد الناس كان ابتداء هذا فى زمن معاوية ويجوز فى اثره ان يكون جمع اثر ككاتب وكتبة اى اثر لنفسه وقومه عليهم وبعده فاصبروا حتى تلقونى على الحوض والحديث طويل فى الصحيحين وهذا كله من الاخبار عن المغيبات (و) منه اخباره صلى الله عليه وسلم (بشان الخوارج) الذين خرجوا على امير المؤمنين على كرم الله تعالى وجهه ورضى الله عنه بالنهروان وهم نحو اربعة آلاف فقاتلهم حتى قتلهم واستشهد بحربهم بعض اصحابه وقيل كانوا اكثر من ذلك بكثير وحديثهم رواه الشيخان (وصفتهم) بالجر عطفا على شان وهم فرق من اهل الضلال كالمحكمة الذين انكروا تحكيم الحكمين والازارقة المنسوبين الى نافع ابن الازرق وغيرهم مما لاحاجة لتفصيل احوالهم وقد قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيهم انهم اهل صلاة وصيام يحقر احدكم صلاته فى جنب صلاته وصيامه فى جنب صيامهم الا انهم مرقوا من الدين كما يمرق السهم من الرمية وقد كفروا مرتكب الكبيرة واكثر الصحابة ومواطنهم الجزيرة وعمان والموصل وحضرموت وبعض نواحى المغرب (و) اخبر صلى الله تعالى عليه وسلم (بالمخدج الذى فيهم) وهو بضم الميم وسكون الخاء المعجمة وفتح الدال المهملة وروى بفتح الخاء وتشديد الدال والمعنى واحد وروى المخدوج وهو الناقص خلقه ومنه الخداج وهو اشارة لما فى حديث الصحيحين من انه صلى الله عليه وسلم قسم فى بعض الايام قسمة فقال له رجل من تميم وهو ذو الخويصرة اعدل يا رسول الله فقال ويحك ومن يعدل اذا لم اعدل خبت وخسرت فقال عمر رضى الله عنه فقال عمر ائذن لى اضرب عنقه فقال له دعه ان له اصحابا يحقر احدكم صلاته الى آخره وآيتهم رجل اسود احدى عضديه مثل ثدى المرأة ومثل البضعة تدردر ولما كانت وقعتهم وقتال على لهم خطب الناس وذكر الحديث وقال اطلبوا ذا الثدية فطلبوه فوجدوه تحت القتلى فجاؤا به فقال شقوا قميصه فشقوه فلما رأى احدى ثدييه مثل ثدى المرأة عليه شعرات سجد

شكر الله تعالى اذ صدق نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم وعلم انه على الحق وهم على الباطل (وان سيماهم) بكسر السين وهى العلامة (التحليق) اى يحلقون شعور رؤسهم ولم يكن فى الصدر الاول حلق الرؤس الا فى النسك وهذه الاحاديث ظاهرة فى تكفيرهم كما قاله الخطابى وفيه اختلاف وقيل المراد جلوسهم حلقا حلقا ولبس بشئ وقيل المراد به العلو والارتفاع من قولهم حلق الطائر اذا طار وعلا وبما ذكرناه علم ان حلق جميع الرأس ليس بممنوع وليس فيما ذكر دليل على حرمته ولا كراهته على انه استدل لجوازه بحديث صحيح على شرط الشيخين انه صلى الله عليه وسلم رأى صبيا حلق بعض رأسه فقال احلقوه كله او اتركوه كله قال النووى رحمه الله فى شرح مسلم وهو صريح فى اباحته وقال قال الفقهاء انه جائز على كل حال فان شق عليه تعهده بالتسريح والدهن استحب حلقه وان لم يشق استحب تركه (ويرى رعاء الشاء) يرى بالتحتية مبنى للمجهول ورعاء بكسر الراء المهملة والمد جمع راع كرعاة ورعيان والشاء بالمد جمع شاة وهى معروفة (رؤس الناس) ورؤس جمع رأس وهو مجاز مشهور بمعنى الرئيس وروى ترى بالتاء الفوقية والخطاب لغير معين نحو ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم ويجوز رفعه ونصبه (والعراة الحفاة) العراة جمع عار من اللباس والحفاة جمع حاف وهو من ليس فى رجله نعل وهذا الحديث فى الصحيحين بمعناه وبعض الفاظه فالمصنف رحمه الله تعالى رواه من طريق اخرى ورواه بالمعنى (يتبارون فى البنيان) اى يناظر بعضهم بعضا فى بنائه فيريد كل منهم ان يزيد على غيره يقال باراه اذا عارضه فتبارى وانبرى وهذا وما قبله كناية عن توسع من لا قدرة له فى الدنيا عليها وعلوه على غيره حتى يصير رئيسا بعد فقره وذله وكثرة مفاخرة بعضهم لبعض فى البناء العالى كالقصور المشيدة والمساجد المزخرفة وفى مسلم ان ترى الحفاة العراة رعاء الشاء الصم البكم ملوك الارض وروى يتطاولون فى البناء يعنى ان من اشراط الساعة ان اهل البادية ونحوهم ممن لا لباس ولا نعل يتوطنون البلاد ويبنون القصور ويترأسون وجهلة الناس واراذلهم يصير حاكما واليا عظيم الشان ولقد ظهر ما اخبر به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من هذه المغيبات وهو الآن عيان رأى العين وكنى بكونهم رعاء الا انهم مجهولو الانساب جهلة وانهم مشغولون عن عبادة الله وروى يتمارون بالميم بمعنى يتنازعون والمعنى واحد (وان تلد الامة) اى الجارية المملوكة التى اتخذت سرية (ربتها) بتاء التأنيث وربت ورب بمعنى سيد وسيدة والرب لغة له معان السيد والمالك والمربى والمدبر والقيم والمنعم ويطلق على الله وعلى غيره مضافا وغير مضاف نكرة ومعرفة بحسب القرآن والمقامات والمراد هنا السيد ذكرا كان او انثى وانثه باعتبار النسمة وهو من حديث صحيح مشهور رواه الشيخان وغيرهما وهو من المغيبات واشراط الساعة التى اخبر بها

صلى الله تعالى عليه وسلم اصحابه وفى معناه اختلاف كثير فقيل معناه ان الاماء تلدن الملوك فتكون امه امة من جملة رعيته وقيل هو عبارة عن فساد احوال الناس فى آخر الزمان وكثرة بيع امهات الاولاد حتى يشترى الرجل امه وهو لايدرى انه ابنها فلا يختص بام الولد والامة قد تلد حرا من غير سيدها لوطئها بشبهة قوية او رقيقا بنكاح اوزنا و يعتق و يتداول الايدى امه حتى يشتريها ابنها وقيل معناه كثرة العقوق حتى يستطيل الولد على امه استطالة السيد والذى عدمن الاشراط على الاول كثرة التسرى فلا ينافى تسرى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بمارية وغيره وفى الشروح كلام مبسوط فى هذا الحديث وفيه من دلائل النبوة الاعلام بكثرة التسرى والسبى بعد ظهور الاسلام والاستيلاء المؤمنين على الكفرة وتملك ديارهم والانذار بان نهايته الانحطاط لايذانه بقيام الساعة وكل شئ بلغ الحد انتهى . (و) مما اخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم من المغيبات ما رواه الشيخان وهو (ان قريشا والاحزاب لايغزونه ابدا) الاحزاب جمع حزب وهو الطائفة الكثيرة المجتمعة للتعصب والقتال وتعريفه هنا للعهد اذ المراد احزاب مخصوصون فى الغزوة المشهورة (وانه هو الذى يغزوهم) بعد اخباره بذلك فى الاحزاب وهى غزوة الخندق و بعد احد والخندق لم تغزه قريش وهو صلى الله تعالى عليه وسلم غزاهم حين فتح مكة واتى بالجملة مؤكدة بالاسمية وان وضمير الفصل لتحقيق وقوعه ونصره ولذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم يوم فتحها لاتغزى قريش بعد هذا الى يوم القيامة اى لاتعود مكة دار كفر ولا تغزوها الكفار فلا ينافى ماوقع لبعض المسلمين كالحجاج وكذا حديث ذى السويقتين قال الواقدى انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال هذا للسبع بقين من ذى القعدة (و) مما رواه الشيخان ايضا انه صلى الله عليه وسلم (اخبر بالموتان) بضم الميم بزنة بطلان وبفتحها وسكون الواو وهو مصدر بمعنى الموت الكثير وفتح الميم والواو ولايصح هنا لانه اسم يقابل الحيوان وفى القاموس الموتان بالتحريك خلاف الحيوان اوارض لم تحى بعد وبالضم موت يقع فى الماشية وتفتح انتهى يعنى ان فعلان بفتحتين فى المصادر يختص بمايدل على الحركة كالجولان والدوران وهو من محاسن اللغة العربية اذ جعل اللفظ على وفق معناه فلذا امتنع تحريكه هنا (الذى يكون بعد فتح بيت المقدس) وكان ذلك فى خلافة عمر رضى الله تعالى عنه بعمواس بفتحتين وهى قرية من قرى بيت المقدس نزل بها عسكره وهو اول طاعون وقع فى الاسلام مات فيه سبعون الفا فى ثلاثة ايام وكان ذلك سنة ست عشرة من الهجرة وعمواس هذه هى القرية التى بين الرملة و بيت المقدس مات فيها ابو عبيدة ابن الجراح والحديث اوله عن عوف بن مالك رضى الله تعالى عنه قال اتيت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى غزوة تبوك وهو فى قبة من آدم فقال اعدد ستا بين يدى

الساعة موتى ثم فتح بيت المقدس ثم موتان يأخذ فيكم كقعاص الغنم بقاف وعين وصاد مهملتين داء تموت به الغنم من وقتها ثم استفاضة المال وعدها الى آخرها وفتنة وهدنة بينكم و بين بنى الاصفر والموتان ان خص بالماشية كامر فهو هنا مجاز مرسل لمطلق الموت اواستعارة ولا ينافيه التصريح باداة التشبيه لانه من وجه آخر وهو شدة السرعة والمنافى له ذكر التشبيه فى ذلك المجاز بعينه وقد اشار لماقلناه الشريف فى حواشى الكشاف فى قوله كان اذنى قبله خطلا وان هو من الفوائد النفيسة (وماوعد من سكنى البصرة) بتثليث الباء ومعناها ارض غليظة اوذات حجارة والفتح اشهر وافصح وهى بلدة اسلامية ويقال لها بصيرة بالتصغير ايضا بناها عتبة بن غزوان فى خلافة عمر سنة سبع عشرة وسكنت سنة ثمان ومن شرفها انه لم يعبد بها صنم وينسب اليها بصرى بكسر وفتح ولايجوز الضم وهذا الحديث رواه ابوداود عن انس انه قال له صلى الله تعالى عليه وسلم يا انس ان الناس يمصرون امصارا وان مصرا منها يقال له البصرة فان انت مررت بها اودخلتها فاياك وسباخها وكلاءها وسوقها و باب امرائها وعليك بضواحيها فانه يكون بها خسف وقذف ورجف ومسخ وضواحيها نواحيها ومنه قريش الضواحى النازلين بظواهرها وكلاؤها بتشديد اللام موسى سفنها وفى هذا من اعلام النبوة والاخبار بالغيب مالايخفى ويجوز كسر صادها ولهم بلدة بالمغرب تسمى البصرة ايضا والمراد الاولى وسكنى مصدر كعقبى بمعنى الاقامة بها ونزولها (و) من اخباره صلى الله تعالى عليه وسلم عن الغيب ايضا فى حديث رواه الشيخان (انهم) اى امته صلى الله تعالى عليه وسلم (يغزون فى البحر) بعده صلى الله تعالى عليه وسلم فانه لم يكن ذلك فى حياته والمراد بالبحر البحر الملح لانه اذا اطلق ينصرف اليه ولم يعهد فى غيره الانادرا (كالملوك على الاسرة) وهو تشبيه بليغ والاسرة جمع سرير وهو مقعد يعد للملوك مرتفع يجلسون عليه ترفعا وتعظيما ومؤخر المراكب العدة للعز والذى يقعد عليه رئيسهم يعمل على هيئة سرير الملك بعينه كما يعرفه من شاهده فهو من الاعلام العجيبة لانه لم تكن ذلك بديار العرب ولم يره احد منهم فتوصيفه صلى الله تعالى عليه وسلم له كمن عرفه وجلس عليه مما تحار فيه العقول والحديث عن انس بن مالك رضى الله تعالى عنه عن خالته ام حرام بنت ملحان وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نام عندها يوما لانه محرم لها ثم استيقظ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يتبسم فقالت له ما اضحكك يارسول الله قال اناس من امتى عرضوا على يركبون البحر الاخضر كالملوك على الاسرة قالت ادع الله تعالى ان يجعلنى منهم فدعا لها ثم نام فرأى ذلك فقال لها ماقال اولا ودعا لها وقال لها انت من الاولين فخرجت مع زوجها عبادة بن الصامت مع المسلمين الغزاة فى البحر مع معاوية رضى الله تعالى عنه فلما انصرفوا قرب لها دابة تركبها فوقعت وماتت شهيدة ثمة

واختلاف فى زمنه فقيل فى زمن معاوية كما علم وقيل فى زمن عثمان رضى الله تعالى عنه وجمع بينهما بانه فى زمن عثمان رضى الله تعالى عنه امر معاوية رضى الله تعالى عنه بغزو البحر فغزاه بامر عثمان رضى الله عنه ثم لما ولى الخلافة غزاه بنفسه وفى الحديث معجزات اخباره صلى الله تعالى عليه وسلم عن غزوامته فى البحر وغلبتهم وظهور شوكة الملوك فيهم وان ام حرام من اولهم وفيه دليل على جواز ركوب البحر للرجال والنساء خلافا لمالك فى كراهته للنساء فى رواية عنه وان الغزو فيه مشروع مطلوب وورد فى الحديث ان غزو البحر يزيد اجره على البر بعشر درجات لما فيه من المشاق وهذه الغزاة اول غزاة فيه وهى فتح قبرس وكان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لم يأذن فى ذلك اولا ثم لما ذكر له هذا الحديث امر به وجهز الاسطول كما هو مفصل فى محله وليس المراد بالبحر فى الحديث بحر الشام وتعريفه للعهد بل مطلقة كما لا يخفى وام حرام رضى الله تعالى عنها مدفونة بقبرس وقبرها معروف بها يزار وفى نسخ ثبج البحر بمثلثة وموحدة وجيم وهو وسطه ومعظمه (و) اخبر صلى الله تعالى عليه وسلم (ان الدين لو كان منوطا) اى معلقا (بالثريا لناله) اى وصل اليه (رجال من ابناء فارس) اى ناس منهم ومناط الثريا كناية عن غاية البعد وهى كواكب مجتمعة اختلف فى عدتها كما مر وهى المنازل المشهورة وهى مشهورة بالعلو فى السماء ويضرب بها المثل ولفظها مصغر من الثروة كما تقدم والدين بمعنى الايمان او الشرع وما يتعلق به وهى كناية عن ان هؤلاء يصلون منه لما لم يصل اليه غيرهم قط وهذا من حديث رواه الشيخان وهو من اعلام النبوة ايضا لما ظهر فيهم من الاولياء والعلماء وما ظهر منهم من التصانيف التى لا تعد ولم يأت الدهر بمثلها وما كان فيهم من خدمة كتاب الله وحديث رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم فلا نجدهم الا وقد حازوا قصب السبق فيه وانظر الى البخارى هل له مثيل وليست هذه شعوبية كما يتوهمه من يتعصب تعصب الجاهلية وانما هو تحقيق لما اخبر به سيد البرية صلى الله تعالى عليه وسلم وفارس جبل معروف ويقال لهم الفرس ايضا وهم من اولاد سام بن نوح على الاشهر وفارس اسم جدهم سموا به ويطلق على بلادهم ايضا والحديث مروى عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال كنا جلوسا عنده صلى الله تعالى عليه وسلم فانزل الله تعالى عليه سورة الجمعة وقوله فيها وآخرين منهم لما يلحقوا بهم فقلت من هم يا رسول الله وفينا سلمان الفارسى رضى الله تعالى عنه فوضع صلى الله تعالى عليه وسلم يده عليه ثم قال لو كان الايمان عند الثريا لناله رجال او رجل من هؤلاء وفى رواية لو كان العلم وروى ايضا ان ذلك كان عند نزول قوله تعالى * وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ولا مانع من تعدد سبب النزول كما حققه المفسرون والاشارة بهؤلاء مع ان المشار اليه واحد وهو سلمان رضى الله تعالى عنه لان المراد به الجنس او هو بتقدير

من جنس هؤلاء (و) من ذلك رواه مسلم عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه انه (هاجت) اى هبت (ريح) بشدة (والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى غزواته) اى فى غزوة من غزواته وهى غزوة تبوك وهو محل من ارض الشام كما قيل وفيه نظر (فقال انها لموت منافق) اى رجل من المنافقين وهو رفاعة بن زيد بن التابوت احد بنى قينقاع وكان من عظماء اليهود كهف المنافقين فلذا سماه منافقا وقال ابن الجوزى انه عم قتادة بن النعمان رضى الله تعالى عنه وذكر عنه قتادة بن النعمان رضى الله تعالى عنه انه رأى منه ما يدل على صحة اسلامه وقال الذهبى فى التجريد ان له صحبة فتسميته منافقا على حقيقته وظاهره وروى انها لموت عظيم من عظماء الكفار وهو ايضا محمول على ظاهره او هو باعتبار ما فى قلبه من الكفر المضمر وصحح البرهان ان هذه الغزوة غزوة بنى المصطلق وكان ذلك فى رجوعه منها سنة ست او اربع او خمس قبل الخندق على اختلاف فيها وهذه علامة لما ذكر لانها تدل على غضب الله تعالى كما فى ريح عاد التى اهلكتهم كما تهلك ريح السموم من هبت عليه لا انه استدل بها كما يستدل بالنجوم وحوادث الجو عند الحكماء والمنجمين ولا حاجة الى ان يقال انها علامة لما صنعه الله تعالى وقدره واطلع على من اراد عليه والممنوع انما هو اسناده لها وجعلها مؤثرة فيه (فلما رجعوا) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ومن معه من تلك الغزاة (وجدوا ذلك) اى ما اخبر به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من المغيبات بموت ذلك المنافق المذكورة فهلك فى وقت اخباره صلى الله تعالى عليه وسلم (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه الطبرانى عن رافع بن خديج رضى الله تعالى عنه بسند صحيح (لقوم من جلسائه) من الصحابة رضى الله تعالى عنهم وهو جمع جليس بمعنى مجالس مثل كريم وكرماء (ضرس احدكم) اى واحد منكم ايها الحاضرون (فى النار) اى اذا كان فى جهنم (مثل احد) اى كالجبل المذكور عظما وهو عبارة عن ان احدهم يموت كافرا لما فى حديث آخر ضرس الكافر مثل احد وجسم المعذب كلما ازداد عذابه فكان اشد عليه وكونه عبارة عن ثبات عذابهم وقوة صبرهم عليه كما قيل فى غاية البعد (قال ابو هريرة) رضى الله تعالى عنه الذى كان الخطاب له (فذهب القوم) الذين كانوا جلساءه اى ماتوا كلهم كما اشار اليه بقوله (يعنى) ابو هريرة بقوله ذهب القوم (ماتوا) فان الذهاب حقيقته الانصراف عن مكان وقد يخص بالموت كقول قس * فى الذاهبين الهالكين لنا بصائر * (وبقيت انا ورجل) منهم ولم يعينه لكراهته والستر على من كان صحابيا بحسب الظاهر واسمه الرحال بن عنفوة والرحال براء مهملة وحاء مهملتين ولام وقيل انه بالجيم وهو الاصح رواية وهو من اهل اليمامة (فقتل مرتدا) حال من ضمير قتل النائب عن الفاعل والضمير لرجل (يوم اليمامة) اى فى حرب كان باليمامة وهى اسم ارض

معروفة شرقى الحجاز ومدينتها العظمى الحجر ويسمى حجر اليمامة ايضا وقتله زيد ابن الخطاب فى حرب مسيلمة لعنه الله وكان معه وقدم مع وفد بنى حنيفة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واسلم وتعلم القرآن فلما ادعى مسيلمة الشرك مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى الوحى ارتد وشهد له بذلك (واعلم) الصحابة رضى الله تعالى عنهم لعيب عنهم وهو ماض مبنى للفاعل بوزن اكرم وفاعله ضمير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا الحديث رواه ابوداود والنسائى عن زيد بن خالد الجهنى (بالذى غل) بغين معجمة ولام مشددة من الغلول وهو السرقة خفية كان الايدى غلت اومن الغلل وهو الماء الجارى تحت النبات وكثر استعماله فى السرقة من الغنائم (خرزا) بخاء معجمة وراء مهملة وزاى معجمة واحده خرزة وهى حجارة تنظم ويزين بها وكل جوهر (من خرز يهود) ممنوع من الصرف لانه علم لهذه الطائفة سموا باسم جدهم يهود بن يعقوب اخو يوسف والمراد يهود خيبر لانه توفى بها فذكر ذلك له صلى الله عليه وسلم فقال صلوا على صاحبكم فتغيرت وجوه الناس لذلك فقال ان صاحبكم قد غل فى سبيل الله ففتشنا متاعه وما معه (فوجدت) تلك الخرز التى غلها (فى رحله) اى فى منزله وما معه بعدموته وهى لاتساوى درهمين واصل الرحل مايوضع على البعير وتجوز به هنا عن محله النازل فيه بما معه وهذا الرجل لايعرف اسمه (و) اعلم ايضا بما هو من الغيب (بالذى غل) اى سرق كما مر (الشملة) وهى المرأة من الشمول وكساء صغير يشتمل به الانسان وهذا بعض حديث رواه الشيخان عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال اهدى رجل لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم غلاما اسمه مدعم فبينما هو يحط رحل رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءه سهم عائر فقتله فقلنا هنيئا له الجنة فقال صلى الله تعالى عليه وسلم كلا والذى نفسى بيده ان الشملة التى اخذها يوم خيبر من الغنائم قبل القسمة لتشتعل عليه نارا ففيه اخبار عن الغيب باعتبار اخباره بسرقته وبكونه معذبا وعائر بعين وراء مهملتين اصابه من غير قصد من عار الفرس اذا انفلت وقيل انه اشارة لحديث المصابيح وهو ان رجلا قفل عليه صلى الله تعالى عليه وسلم يقال له كركرة بفتحتين اوكسرتين فمات فقال صلى الله تعالى عليه وسلم هو فى النار فذهبوا ينظرون فوجدوا عنده عباءة غلها واقتصر السيوطى رحمه الله تعالى على الاول وانه الذى عناه المصنف وهو الظاهر والنووى فى المبهمات على الثانى والبرهان تبعه والذى اوجب عدول الجلال عنه لفظ الشملة وفيه تعظيم الغلول فى الغنائم لتعلق حق المسلمين كلهم به واذا عرف يرد للامام اويتصدق به وقيل انه يحرق وقيل انه مبنى على التعزير بأخذ المال وهو منسوخ واذا كان هذا من الكبائر فما حال ولاة الامور اليوم فانا لله وانا اليه راجعون (وحديث ناقته) اى مما اعلم به صلى الله

تعالى عليه وسلم من المغيبات حديث ناقته الذى رواه البيهقى عن عروة مرسلا (حين ضلت) ناقته وغابت عنه حتى لم يروها (وكيف تعلقت) ناقته (بالشجرة بخطامها) بكسر الخاء المعجمة وهو زمامها ومقودها وكان صلى الله تعالى عليه وسلم طلبها لما ضلت فقال رجل من المنافقين كيف يزعم محمد انه يعلم الغيب ولايعلم مكان ناقته الايخبره الذى يأتيه بالوحى فاتاه جبريل واخبره بقول المنافق وبمكان ناقته فقال صلى الله تعالى عليه وسلم مازعم انى اعلم الغيب وما اعلمه ولكن الله تعالى اخبرنى بقول المنافق وبمكان ناقتى وهى فى الشعب قد تعلق زمامها بشجرة كذا فخرجوا يسعون قبل الشعب فوجدوها حيث قال وكما وصف فجاؤا بها وآمن من ذلك المنافق وهو زيد اللصيب اوابن اللصيب بفتح اللام وكسر الصاد المهملة وكان اولا من اليهود وماذكرنا عبارة المتن هو الصحيح كما ذكره السيوطى من مناهل الصفا فى تخريج احاديث الشفاء ووقع فى بعض النسخ وحيث هى ناقته حين ضلت وفى اخرى ومن ضلت ناقته حيث هى حين ضلت وكيف الخ فقال بعضهم هو مجرور عطف على الذى اومبنى على الكسر كما جوزه النحاة وحيث خرجت عن الظرفية معمول لاعلم وناقته مبتدأ وهى مبتدأ ثان خبره محذوف اى موجودة والجملة فى محل جر باضافة حيث وانت فى غنى عن مثله (و) من المغيبات التى اعلم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اصحابه بها مارواه الشيخان عن على كرم الله وجهه حين اعلم (بشان كتاب حاطب) بن ابى بلتعة الصحابى البدرى المشهور الذى ارسله (الى اهل مكة) لما تجهز النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لفتح مكة ولم يعلم احد بتوجهه وبقصده فكتب حاطب كتابا اليهم فيه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قد توجه اليكم بجيش كالليل يسير كالسيل واقسم بالله لوسار اليكم وحده نصره الله عليكم فانه منجز له ماوعده فعليكم الحذر فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لعلى وبعض الصحابة اذهبوا الى روضة خاخ ففيها جارية معها مكتوب فأتونى به وكان صلى الله تعالى عليه وسلم اخفى مسيره فاتوا المحل فوجدوا الجارية فانكرت ففتشوها فلم يجدوا معها شيئا فهموا بالرجوع ثم بدا لعلى رضى الله تعالى عنه ان خبره صلى الله تعالى عليه وسلم صدق فهدد الجارية فاخرجت الكتاب من عقصتها فلما اتوا به قال عمر رضى الله تعالى عنه عند حاطب فقال صلى الله تعالى عليه وسلم لا فان الله اطلع على اهل بدر وقال اصنعوا ماشئتم فاعتذر له حاطب بان له ثمة اهلا ومالا خشى ضياعه فاراد ان يضع فيهم يدا يقتضى حفظه فقبل عذره كما تقدم والقصة مفصلة فى شروح السير والبخارى والكتاب كان مع امرأة تسمى ام سارة (و) مما اخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم من المغيبات مارواه ابن اسحق والبيهقى والطبرانى حين اعلم (بقصة عمير) بالتصغير ابن وهب بن خلف (مع صفوان) بن امية بن

خلف (حين ساره) اى اخبر عمير صفوان سرا فى خفية لم يسمعه احد وذلك السر انه بقتل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذ يأتيه بغتة بحيث لم يشعر به احد وكان شجاعا فاتكا (وشارطه على قتل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى اشترط عليه مايعطيه ان فعل ذلك (فلما جاء عمير الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قاصدا لقتله واطلعه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على الامر والسر) الذى كان بينهما لم يطلع عليه غيرهما وهما بمكة (اسلم) عمير وحسن اسلامه لماشاهده من المعجزات الباهرة وحاصل ذلك ان عمير بن وهب جلس مع صفوان بن امية وهو ابن عمه فى الحجر بعد بدر فذكروا اصحاب القليب ومصابهم فقال صفوان والله لبس فى العيش بعدهم خير فقال عمير صدقت والله لولا دين على ابس عندى قضاؤه وعيال اخشى ضياعهم لكنت اتى محمدا حتى اقتله فان لى فيهم علة بنى اسير عنده فاغتنمها صفوان فقال على دينك اقضيه وعيالك مع عيالى اواسيهم ماسبقوا فقال اكتم عنى شانى ثم شحذ سيفه اى سنه وسمه وانطلق حتى اتى المدينة واناخ بباب المسجد متوشحا بسيفه فرأه عمر رضى الله تعالى عنه فقال هذا الكلب عدو الله ماجاء الا بشئ واخبر به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له ادخله على فاقبل عمر رضى الله تعالى عنه حتى اخذ بحمالة سيف لببه بها ثم ادخله فلما رآه صلى الله تعالى عليه وسلم قال ارسله ياعمر ادن ياعمير فدنا فقال ماجاء بك قال جئت لهذا الاسير فاحسنوا فيه قال فما بال السيف فى عنقك قال قبحه الله مااغنى شيئا قال اصدقنى ما الذى جئت له قال ماجئت الا لذاك قال بل قعدت انت وصفوان بالحجر وذكر اصحاب القليب وقلت لولا دين على وعيالى خرجت الى محمد حتى اقتله فتحمل دينك وعيالك وجئت لتقتلنى فقال اشهد انك رسول الله وقد كنا نكذبك وهذا امر لم يحضره الا انا وصفوان فوالله انى لاعلم انه مااتاك به الا الله فالحمد لله الذى هدانى للاسلام وتشهد فقال صلى الله تعالى عليه وسلم ففقهوا اخاكم دينه فاقرؤه القرأن واطلقوا اسيره واما صفوان فهرب خائفا يوم الفتح ثم جاء مستأمنا فاسلم وحسن اسلامه وكان عمير ابغض الناس لعمر فلما اسلم كان احب الناس اليه وهو من سادات قريش وفصحائها فتمت سيادته بالاسلام وله احاديث فى السنن (و) اخبر ايضا صلى الله تعالى عليه وسلم فيما رواه احمد عن ابن عباس والحاكم والبيهقى عن عايشة بسند صحيح (بالمال الذى تركه عمه العباس) بمكة (عند ام الفضل) لبابة بنت الحارث ابن حرب الهلالية زوجته كنيت باسم ابنها الفضل كما كنى العباس ابو الفضل وهى من اشراف الصحابة رضى الله تعالى عنها يقال انها اول امرأة اسلمت بعد خديجة وكان كتم ماله عندها واخفاه حتى عن اولاده كما اشار اليه بقوله (بعد ان كتمه) فلما اسر ببدر لما خرج مع كفار قريش وطلب منه الفداء فقال

لامال لى فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم ماصنع المال الذى وضعته عند ام الفضل (فقال ماعلمه غيرى وغيرها فاسلم) وقيل له لم لم تسلم قبل الفداء ليبقى لك مالك الذى افتديت به فقال لم اكن لاحرم المؤمنين ماطمعوا فيه من مالى وقد قيل انه اسلم قبله ولكن كان يخفى اسلامه لما فيه من نفع المسلمين من وجوه لاتعد وفى بعض النسخ ام الفضيل بالتصغير وهو خطأ من الناسخ واصل الحديث انه كانت قريش بعثت بفداء اسراءهم فقال العباس يارسول الله انى كنت مسلما فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الله اعلم باسلامك فان يكن كما تقول فالله يجزيك فاما ظاهر امرك فقد كان علينا فافد نفسك وابنى اخيك نوفل بن الحارث وعقيل بن ابى طالب وحليفك عتبة واخى بنى الحارث قال ماعندى مايفى بالفداء قال ما فعلت بالمال الذى دفنته عند ام الفضل وقلت ان اصبت فى سفرى فالمال لولدى فقال والله يارسول الله هذا شئ ماعلمه غيرى وغيرها فاحسب لى مااصبتم اى فانه جاء ان العباس خرج لبدر ومعه عشرون اوقية من الذهب ليطعم بها المشركين فاخذت منه فى الحرب فكلم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان يحسب العشرين اوقية من فدائه فابى وقال اماشئ خرجت تستعين به علينا فلا نتركه لك فقال ذاك اعطاه الله لنا ففدائهم فانزل الله ياايها النبى قل لمن فى ايديكم من الاسرى الاية ومقتضى قول المصنف فاسلم انه ما اسلم الا حينئذ والذى قالوه انه اسلم قبل فتح خيبر وكان يكتم اسلامه وقال ابن عبد البر قيل ان اسلامه كان قبل بدر وكان المسلمون بمكة يتقوون وكان العباس يكتب لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم احوال المشركين واحب ان يقدم عليه المدينة فكتب اليه مقامك بمكة خير ولذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم يوم بدر من لقى منكم العباس فلا يقتله فانه انما خرج مكرها (و) مما اخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم فيما رواه البيهقى عن عروة وسعيد بن المسيب مرسلا انه (اعلم انه سيقتل) بنفسه (ابى بن خلف) كما تقدم فجرحه بعنقه فى احد فمات بمحل يسمى سرفا وكان قبل ذلك اذا لقيه بمكة يقول عندى فرس اعلفها كل يوم لاقتلك عليها فيقول له صلى الله تعالى عليه وسلم بل انا اقتلك ان شاء الله فلما كان يوم احد اقبل يقول اين محمد لانجوت ان نجا فاعترض دونه جماعة من المسلمين فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خلوا سبيله ونظر فرجة من درعه على ترقوته فطعنه طعنة لم يخرج منها دم ووقع عن فرسه ورجع اليهم فقالوا والله مابك من بأس فقال لو بصق على محمد لتقتلنى فقتله الله فى مرجعه من احد (و) مما اعلم به صلى الله عليه وسلم انه قال (فى عتيبة ابن ابى لهب انه يأكله كلب من كلاب الله) فاكله الاسد وهو ذاهب الى الشام والاسد يسمى كلبا وهو يشبهه صورة ولما اضافه لله افادته الاضافة تعظيما كما قاله الثعالبى فى المضاف والمنسوب

وقد تقدم ان ابالهب كان له اولاد معتب وعتبة وعتيبة بالتصغير وان المصغر هو عقير الاسد والمكبر اسلم وكان من كبار الصحابة فالصواب ان يقول المصنف رحمه الله تعالى عتيبة بالتصغير الا ان من علماء الحديث من قال مثل ماقاله المصنف رحمه الله تعالى فالاعتراض غير مسلم كما مر ثم ان المصنف رحمه الله تعالى ذكر هذا فى فصل اجابة دعائه فتكون هذه الجملة دعائية انشائية وكلامه هنا يقتضى انها خبرية اخبر بها عن امر مغيب فبين كلاميه تدافع والجواب عنه ان كلا منهما محتمل فذكره ثمة باعتبار وهنا باعتبار ويؤيده انه لما خاف من الاسد قال له رفقؤه لم اشتد رعبك قال ان محمدا قال لى كذا وهو لايقول الا صدقا والصدق من خواص الخبر وقد يقال ان الدعاء عند من تحقق اجابته خبر معنى (و) اخبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (عن مصارع اهل بدر) اى محال قتلهم ووقوعهم على الارض يعنى من قتل بها من كفار قريش وصناديدهم فقال قبل وقعتها هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان مشير الى محال قتلاهم بها قبل وقوعه وسماهم اهلها لبقاء جثثهم فيها كما يقال اهل الدار لمن بها (فكان) ما اخبر به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن مصارعهم (كما قال) لم يتجاوز احد منهم موضعه الذى عينه له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه من الاخبار بالغيب مالايخفى واصل هذا الحديث كما فى صحيح مسلم وغيره انه صلى الله تعالى عليه وسلم قام ببدر قبل قتالهم وقال هذا مصرع فلان ووضع يده على الارض ثم قال هذا مصرع فلان ووضع يده عليها وعدهم واحدا واحدا مشيرا لمصارعهم فلا يتجاوز احدهم موضعه فصرعوا كذلك ثم جروا بارجلهم وطرحوا فى القليب ثم جاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى وقف عليهم وقال يافلان ابن فلان يناديهم باسمائهم واحدا بعد واحد * هل وجدتم ماوعد ربكم حقا فقال الصحابة يارسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اتكلم اجسادا لاارواح لها فقال والذى نفسى بيده ما انتم باسمع منهم لكلامى ولكنهم لايستطيعون ان يردوا (وقال) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث صحيح رواه الشيخان وغيرهما (فى الحسن) بن على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه (ان ابنى هذا) سماه ابنا له مجازا لانه يطلق على الولد وعلى ولد الولد اطلاقا مشهورا حتى صار حقيقة عرفية فيه (سيد) اى شريف رئيس مسود فى قومه لشرف نسبه وذاته وفضله على غيره من جهات وللسيد اطلاقات ويطلق على الله تعالى وعلى غيره كما تقدم تفصيله (وسيصلح الله به) اى بسببه سيقع الصلح والاصلاح (بين فئتين) عظيمتين من المسلمين والفئة الجماعة من فاء بمعنى رجع المراد بهما من كان معه ومن كان مع معاوية رضى الله تعالى عنهما وفى صحيح البخارى عن الحسن عن ابى بكرة قال رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على المنبر والحسن الى جنبه وهو يلتفت الى الناس مرة واليه مرة ويقول ان ابنى هذا سيد ولعل الله ان يصلح به بين فئتين من المسلمين وهو حديث صحيح مروى من طرق وفى رواية فئتين عظيمتين قال ابن

عبد البر رحمه الله تعالى فى الاستيعاب لما قتل على كرم الله وجهه ورضى الله عنه بايع الحسن اكثر من اربعين الفا على الموت وكانوا اطوع واحب له من ابيه فبقى نحو سبعة اشهر خليفة بالعراق وخراسان وماوراء النهر ثم سار رضى الله عنه الى معاوية وسار معاوية اليه فلما تراءى الجمعان بناحية الانبار علم الحسن انه سيقع قتال يذهب فيه كثير من المسلمين فارسل الى معاوية يخبره انه يفوض الامر له بشرط ان لايطلب احدا من اهل المدينة والحجاز والعراق بشئ كان فى ايام ابيه فاجابه معاوية رضى الله تعالى عنه لذلك وقد طار فرحا الا انه قال عشرة انفس لا أؤمنهم قيس بن سعد فراجعه الحسن وقال لاابايعك وانت تطلب احدا منهم لا قيس ولا غيره فارسل له معاوية رضى الله عنه رقا ابيض وقال اكتب فيه ماشئت وانا التزمه فاصطلحا على ذلك وعلى ان الامر له بعد معاوية فالتزمه كله معاوية وساء ذلك اكثر الناس حتى كانوا يقولون للحسن يا ذل المسلمين وعار المؤمنين ولما سلم الامر له قال له اخطب الناس فحمد الله تعالى واثنى عليه ثم قال اما بعد فان اكيس الكيس التقى وانا اعجز العجز الفجور الا وان هذا الامر الذى اختلفت فيه انا ومعاوية حق لامرئ كان احق به منى او حق لى تركته لمعاوية ارادة اصلاح المسلمين وحقن دمائهم وان ادرى لعله فتنة لكم ومتاع الى حين ثم استغفر الله ونزل (و) مما اخبر به صلى الله عليه وسلم مارواه الشيخان من قوله (لسعد) بن ابى وقاص رضى الله تعالى عنه مالك بن وهيب بن عبد مناف احد العشرة واصحاب الشورى ولتبادره اذا اطلق لم يقيده بما يخرج سعد بن معاذ رضى الله تعالى عنه وغيره من سعود الصحابة فلا اعتراض عليه كما قيل ولسعد معطوف على قول ابى الحسن اى قال لسعد (لعلك تخلف) وفى نسخة ان تخلف بالمصدرية فى خبرها حملا لها على عسى لانها اختها فى الترجى كما قال * لعلك يوما ان تلم ملمة * وكان سعد بن معاذ رضى الله تعالى عنه مرض بمكة وكان يكره ان يموت بالارض التى هاجر منها فاتاه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يعوده فقال يارسول الله اوصى لى بمالى كله فقال لا الى ان قال الثلث والثلث كثير الى آخر الحديث وهو مشهور ولم يكن له الا ابنة وقد طال عمره فخشى ان يموت ثمة وذلك فى حجة الوداع وقوله تخلف بضم المثناة الفوقية وتشديد اللام اى تبقى بعد هذا الزمان فكان كما قال فانه عاش بعد ذلك نحو خمسين سنة وقوله (حتى ينتفع بك اقوام ويستضر بك آخرون) قال النووى فى هذا الحديث من المعجزات تحقق ما اخبر به فانه عاش بعد ذلك زمانا كما تقدم ونفع الله به المسلمين لما كان على يديه من الفتوح وهدى الله به ناسا اسلموا على يديه وغنموا معه وضر الله به ناسا من الكفار جاهدهم وقتل منهم وسبا وليس المراد بضرره ضرر المسلمين لان ابنه عمر كان اميرا على الجيش الذين قتلوا الحسين لانه لم يرض بذلك ولاتزر وازرة وزر اخرى وقال ابن حبيب

المراد به انه تولى العراق واتى بقوم ارتدوا وسجعوا سجع مسيلمة لعنه الله تعالى فاستتابهم فتاب بعضهم وانتفع به وابى بعضهم فقتلهم فتضر روايه وهذا تأويله عند بعضهم وقيل الرواية انما هي يضربك اخرون والمصنف اراد باستفعل فعل وجعل المصنف الترجى اخبارا لانه بمعناه وهو المراد لكن عبر به تأدبا منه وقد صرحوا بان الترجى فى حق الله والرسول والاولياء تحقيق معنى كما قاله ابن الملقن (واخبر) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث صحيح رواه البخارى عن انس (بقتل اهل موتة) بضم الميم وسكون الواو اوالهمزة فان فيها لغتين كما فى القاموس وهى اسم موضع بالشام كان فيه غزاة مشهورة واضافة اهل للعهد ولايجوز ان تكون للاستغراق كما قيل لانه انما اخبر بقتل ناس منهم قبل مجئ الخبر له صلى الله عليه وسلم يوم والذى اتى بالخبر يعلى بن منبه وكان صلى الله عليه وسلم نعاهم لاصحابه فقال اخذ الراية زيد فاصيب ثم اخذها جعفر فاصيب ثم اخذها ابن رواحة واصيب وعيناه تذرفان حتى اخذ الراية سيف من سيوف الله يعنى خالد بن الوليد ففتح الله تعالى عليهم فلما اتاه يعلى قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شئت اخبرنى وان شئت اخبرتك فقال اخبرنى فاخبره ووصفهم له فقال والذى بعثك بالحق ما تركت من حديثهم حرفا واحدا وقوله (يوم قتلوا) متعلق باخبر (و) بينه صلى الله عليه وسلم و (بينهم) اى المقتولين بموتة (مسيرة شهر او ازيد) ذكره تحقيقا لانه اخبار بالغيب لبعده بحيث لايمكن مجئ الخبر له صلى الله تعالى عليه وسلم فى يومه ولذا ورد فى هذا الحديث انه قال ان الله رفع لى الارض حتى رأيت معركتهم وما قيل ان المدينة ليس بينها وبين موتة هذا المقدار بل بينهما نحو عشرة مراحل كما يعرفه من سلك طريقها لكنه لم يعرفه لبعده بلاده يقتضى انه قاله من نفسه من غير تثبت فيه وليس كذلك فانه يختلف باختلاف الاحوال كالسير ماشيا وكسير الجمال فى القافلة باحمالها بخلاف الفرسان ويختلف ايضا بطول الايام وقصرها والامر فيه سهل (وبموت النجاشى) اى اخبر صلى الله تعالى عليه وسلم بموته كما رواه الشيخان عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه (يوم مات) متعلق باخبر وذلك سنة سبع من الهجرة وصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الغائب وبه استدل الشافعى على جوازها وهو ملك الحبشة واسمه اصحمة كما تقدم وهو الذى ارسل اليه مكتوبه خلافا لابن القيم فى الهدى النبوى اذ قال ان الذى كاتبه غيره فان كل من ملك الحبشة يقال له نجاشى بفتح النون وكسرها وتخفيف الياء وتشديدها (وهو بارضه) جملة حالية والضمير للنجاشى اى والحال ان النجاشى مات بارض الحبشة فهو اخبار عن الغيب ويحتمل ان يعود للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم اى والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقت موت النجاشى كان بارضه اى المدينة فلا يحتمل انه رآه عادة وان امكن ان يرفع له حتى رآه كما قاله من لم يقل بالصلاة على الغائب كما قيل انه من خصائصه ايضا (واخبر) ايضا

صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث آخر رواه البيهقى (فيروز) علم عجمى ممنوع من الصرف وهو وزير كسرى ملك فارس ومعناه الفوز والظفر وفاؤه مفتوحة وقد تكسر وفيروز ديلمى والديلم جيل من العجم (اذ ورد) اى جاء فيروز وقدم (عليه) اى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (رسولا من كسرى بموت كسرى ذلك اليوم) بنصبه على الظرفية اى يوم ورد عليه او يوم مات كسرى (فلما تحقق فيروز القصة) التى قصها عليه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واخبره بموت كسرى الذى هو رسوله (اسلم) فآمن برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفاز فوزا عظيما وقصته رويت من طرق وحاصلها انه صلى الله تعالى عليه وسلم كتب لكسرى مكتوبا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى وامن بالله ورسوله وشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله وادعوك بداعية الله عز وجل فانى رسول الله الى الناس كافة لانذر من كان حيا ويحق الحق على الكافرين فاسلم تسلم الى آخره فلما قرأ كتابه مزقه فمزق الله ملكه وكتب الى باذان عامله على اليمن ان ابعث اليه رجلين جلدين يأتيانه فبعث قهرمانه بانويه ومعه آخر من الفرس ومعهما مكتوب يأمره فيه بالانصراف معهما فلما اتياه قال ائتيانى غدا فلما اتياه قال لهما ان الله سلط على كسرى ابنه شهرويه فقتله فى وقت كذا فاخبر باذان بما قاله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال لننظرن ما قال فان تحقق فهو نبى مرسل فلم يلبث ان قدم عليه مكتوب شهرويه بما وقع فاسلم واسلم معه ابناء فارس باليمن وحسن اسلامهم ووزير كسرى هذا اسمه ابرويز وهذا ما ذكره المورخون واصحاب السير واما ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى فلم يشتهر ولم ينقل احد ان من الصحابة من اسمه فيروز لكن السيوطى نقله عن دلائل النبوة للبيهقى فقيل انه ليس فيها ذلك وفى الاستيعاب ان فيروز الديلمى وفد على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وانه الذى قتل الاسود العنسى وكذلك ذكر قضية فيروز على الوجه الذى ذكره المصنف رحمه الله تعالى الماوردى فى اعلام النبوة واطال فيها (واخبر) صلى الله تعالى عليه وسلم (اباذر) الغفارى كما رواه احمد فى مسنده (بنطريده) اى بنفسه من المدينة وقد ذكر الحريرى فى الدرة الفرق بين طرده واطرده وطرده المشدد وانه انما يقال فى النفى الا مشددا كقول ابى سفيان * وانت الذى طردتنى كل مطرد * وطرده واطرده بمعنى نحاه وكثير من اهل اللغة لم يفرقوه (كما كان) اى وقع ما اخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم بعينه (ووجده) اى وجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اباذر (فى المسجد) اى مسجده بالمدينة (نائما فقال) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (كيف بك اذا اخرجت منه) اى من هذا المسجد وكيف استفهام عن الحال والظاهر انه ليس على حقيقته هنا فانه صلى الله عليه

وسلم علم ماسيجرى عليه وانما مراده اخباره بحاله ومايكون له لقوله تعالى وماتلك بيمينك ياموسى والمعنى كيف ظنى او علمى بك فى هذه الحال (قال اسكن المسجد الحرام) يعنى مكة المشرفة (قال فاذا اخرجت منه الحديث) اى اقرأ الحديث او اذكر الحديث الذى رواه احمد ومعناه انه كان يخدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وينام فى المسجد وليس له مأوى غيره فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فرأه نائما فقال له اراك نائما فقال اين انام وهل لى بيت غيره فقال له صلى الله عليه وسلم كيف بك اذا اخرجوك منه قال الحق بالمسجد الحرام فقال له كيف بك اذا اخرجوك منه قال لحق بالشام ارض المنشر والمحشر وارض الانبياء فاكون رجلا من اهلها قال فاذا اخرجوك من الشام قال ارجع اليه فيكون منزلى قال فكيف بك اذا اخرجوك منه الثانية قال اخذ سيفى واقاتل حتى اموت فوكزه صلى الله تعالى عليه وسلم بيده وقال خير لك منه ان تنقاد حيث قادوك حتى تلقانى وانت على ذلك واما نظر يده رضى الله تعالى عنه فرواه بعض الشيعة على وجه منكر اسندوا فيه لعثمان رضى الله عنه مالا اصل له والصحيح مارواه قتادة من انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لابى ذر اذا رأيت المدينة بلغ بناؤها سلع فاخرج منها واشار الى جهة الشام فلما زاد بناؤها ذهب الى الشام ثم انه رضى الله عنه انكر على معاوية بعض اموره فشكاه لعثمان فكتب اليه اقبل الينا فنحن ارعى لحقك فقدم عليه ثم استأذنه فى الخروج الى الربذة فاذن له فاقام بها الى ان مات والذى قيل ان عثمان امر بازعاجه بعنف فلما وصل اليه قال له ما حملك على ماصدر منك قال اشهد ان رسول الله قال اذا بلغ بنوا العاص ثلاثين رجلا جعلوا مال الله دولا وعباد الله خولا ودين الله دغلا ثم يريح الله العباد منهم فقال له اخرج من هذه البلدة فخرج منها قال اكثرهم لا اصل له (و يعيشه وحده) اى اخبره رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بانه يعيش بعد خروجه من المدينة نائيا وحده معتزلا عن الناس وفى نسخة عيشة بالتاء (وموته وحده) فكان كما قال لان البيهقى روى ان ام ذر لما حضرته الوفاة بكت فقال لها مايبكيك فقال مالى لا ابكى وانت تموت بفلاة وليس عندنا كفن فقال لاتبكى فان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لنفر كنت فيهم ليموتن احدكم بفلاة يشهده عصابة من المسلمين وانا ذلك الرجل فابصرى الطريق فخرجت فاذا برجال على رحالهم فاخبرتهم بذلك فدخلوا عليه فقال انشدكم الله ان يكفننى منكم من لم يكن نقيبا ولا اميرا فقال غلام منهم انا كفنك ياعم فى رداى وثوبين فى عيبتى من غزل امى قال فكفنى فلما مات كفنوه وصلوا عليه ودفنوه (واخبر) صلى الله تعالى عليه وسلم فيما رواه مسلم (ان اسرع ازواجه به لحوقا) اى اول من يموت من امهات المؤمنين بعده (اطولهن يدا) لم يقل طولاهن باتأنيث لان اسم التفضيل المضاف يجوز فيه المطابقة وعدمها وهذا يحتمل

ان يكون من الطول بالضم ضد القصر ومن الطول بالفتح وهو الجود والانعام ولاحتمال المعنيين قيل ان ازواجه صلى الله تعالى عليه وسلم بعده كن يقسن اذرعتهن لينظرن للاطول منهما فلما ماتت زينب رضى الله تعالى عنها علمن ان المراد الثانى فان كان من الاول كان استعارة ويدا ترشيح للاستعارة مع مافيه من التورية لان اليد بمعنى النعمة (فكانت) اى اطولهن يدا واسرعهن لحوقا به صلى الله تعالى عليه وسلم فاسمها ضمير عائد على ماذكره وقوله (زينب) بالنصب خبرها وهى زينب بنت جحش ام المؤمنين رضى الله تعالى عنها (اطول يدها بالصدقة) بيان للمراد كما تقدم وتوفيت رضى الله تعالى عنها سنة عشرين او احدى وعشرين وليس المراد بذلك زينب بنت جزيلة التى كانت تدعى ام المساكين والحديث عن عايشة من طرق قالت قلن اينا اسرع لحوقا بك قال اطولكن يدا فاخذن يتذارعن وفى رواية اخذن قصبة يذرعن بها اى يقسن اذرعتهن لظنهن ان المراد الحقيقة فلما توفيت زينب علمن المراد لانها كانت اكثرهن صدقة وكانت تعمل بيدها وتتصدق ومافى البخارى عن عايشة رضى الله تعالى عنها انه اجتمع زوجاته صلى الله تعالى عليه وسلم عنده فقلن له اينا اسرع لحوقا بك قال اطولكن يدا فكانت سودة بنت زمعة فتوفى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فكانت اسرعنا لحوقا به فعرفنا ان طول يدها الصدقة وكانت تحب الصدقة مشكل لمخالفته لمارواه مسلم من انها زينب وهو الذى صححوه وفيه اضطراب ايضا لان اوله يقتضى ان المراد الطول الحقيقى ومابعده يدل على خلافه ولذا قال الكرمانى ان فيه تعقيبا وحذفا ولم يلتفت لايهامه خلاف المراد اعتمادا على شهرة القصة وهى غاية مايقال فيه قيل وهو مجاز مرسل بعلاقة مجاورة الصدقة لليد او شبه الصدقة باليد فهو استعارة مصرحة والطول ترشيح والقرينة ان عظم الابدان لايقتضى حوز هذه الفضيلة فلا يرد انه ان لم يكن فيه قرينة لم يصح المجاز وان كان كيف يفهمن خلاف المراد حين تذارعن وهن من اهل اللسان (اقول التحقيق انه استعارة تمثيلية بان يشبه كثرة الاحسان والتصدق وايصال البر ومن اوصله بشخص له طول فى يديه يصل به لما يصل اليه غيره اذ مدهما او هو مجاز مرسل باستعمال طول اليد فى لازمه وهو ايصال الانعام او اليد استعارة مصرحة والطول ترشيح ويحتمل انه كناية (واخبر) صلى الله تعالى عليه وسلم فيما رواه البيهقى من طرق (بقتل الحسين) ابن على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنهما (بالطف) بفتح الطاء المشددة المهملة وتشديد الفاء وهو مكان بناحية الكوفة (واخرج) صلى الله تعالى عليه وسلم (بيده تربة) اى مقدار على كفه من تراب اراه لبعض اصحابه واهل بيته (وقال) ذا خرجها (فيها) اى فى ارض هذا التراب منها وفيها يموت ويقتل (مضجعه) اى مصرعه اذ يقتل وجيمه مفتوحة وتكسر والاول اقيس وافصح

وفى التعبير به ايماء الى انه رضى الله تعالى عنه حى شهيد لان اصله محل يضطجع فيه النائم واصل الحديث عن عايشة رضى الله تعالى عنها ان جبريل كان عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فدخل عليه الحسين فقال جبريل من هذا قال ابنى فقال ستقتله امتك فان شئت اخبرتك بالارض التى يقتل فيها واشار جبريل بيده الى الطف من ارض العراق واخذ تربة حمراء فاراه اياها ولاينافى ذلك ماجاء انه يقتل بكربلا لان كربلا اسم موضع والطف ناحية تشتمل عليه وكان قتله فى عاشورا وقتل معه جماعة من اهل البيت وقيل ان هذه التربة كانت عندهم وانها فى يوم قتله يظهر عليها دم واختلف فيمن باشر قتله قاتله الله واخزاه وجعل سجين مأواه ولابن العربى هنا مقالة اظنه برئ منها (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه ابن عدى والبيهقى مسندا (فى زيد بن صوحان) بضم الصاد المهملة وواو ساكنة وحاء مهملة والف ونون وهو زيد بن صوحان بن حجر بن الحارث العبدى اخو صعصعة وله وفادة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل انه تابعى وقال الذهبى ومن خطه نقلت كان زيد بن صوحان مواخيا لسلمان حتى يكثر يا سلمان لحبه له وكان زاهدا عابدا ذكر له مناقب وعده من الصحابة وصوحان معناه اليابس يقال صوح النبت اذا صار هشيما (يسبقه عضو) من اعضائه (الى الجنة) اى يدخل الجنة قبله لانه قطع فى سبيل الله قبل موته ومعنى السبق اما تقدمه حقيقة ولامانع من ان يحفظها الله فى الجنة فاذا استشهد وصلها ببقية اعضائه فى الجنة وامور الاخرة لايقاس على امور الدنيا ويجوز ان يراد ان يده تقطع فى سبيل الله اولا ثم يستشهد بعد ذلك فكنى عنه بماذكر ولفظ الحديث من سره ان ينظر الى رجل يسبقه بعض اعضائه الى الجنة فلينظر الى زيد بن صوحان وفى سنده هذيل بن بلال وهو ضعيف (فقطعت يده) الشمال كما رواه الذهبى (فى الجهاد) لم يعينه للخلاف فيه فقيل انه كان يوم نهاوند وقيل فى قتال المشركين وقد روى انه صلى الله تعالى عليه وسلم شهد لثلاثة من التابعين بالجنة اويس القرنى وزيد بن صوحان وجندب الخير وقتل مع على رضى الله تعالى عنه فى وقعة الجمل وعلى هذا فاخباره عن المغيب اقوى وابلغ فى اطلاعه على امره قبل خلقه (وقال) صلى الله عليه وسلم فى حديث رواه مسلم وغيره (فى الذين كانوا معه) اى حاضرين معه وهم (على حراء) اسم جبل معروف بقرب مكة بنحو ثلاثة اميال يمد ويقصر ويذكر ويؤنث فيجوز صرفه وعدم صرفه كما تقدم فتحرك وهم عليه فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم (اثبت) اى لاتتحرك وترجف وتتزلزل ولفظه كما فى الصحيحين صحيح مسلم ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان على حراء وهو وابو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير فتحرك بهم فقال اهدأ فما عليك الا نبى او صديق اوشهيد وزاد بعضهم سعدا واورده

بعضهم مكان على والمصنف رواه (انما عليك نبى وصديق وشهيد) والمعنى واحد والنبى معناه المراد به ظاهر وكذا الشهيد وتفصيله وقد وقع الترتيب فى الحديث على وفق مافى القرآن والصديق فعيل صيغة مبالغة من الصدق ضد الكذب ولهم فى تفسيره اقوال فقال ابن المظفر انه من صدق بامر الله تعالى وبرسله بحيث لايخالجه شك فى شئ وقال الكلبى رحمه الله تعالى الصديقون افاضل الصحابة واختاره البغوى وقيل من صدق بالانبياء حين عاينهم واختار الرازى انهم اول من صدق الرسل ويؤيده قوله صلى الله تعالى عليه وسلم ما عرضت الاسلام على احد الا وله كبوة الا ابو بكر فله رضى الله تعالى عنه مزية بانه صار قدوة لغيره ولذا اجمعوا على تسليم هذا اللقب له ومرتبة الصديقية تلى مرتبة النبوة وقد افرد ذلك بالتأليف الكمال ابن الزملكانى (فقتل على وعمر وعثمان) فقتل عليا كرم الله تعالى وجهه عبد الرحمن بن ملجم من الخوارج وقصته مشهورة وقتل عمر رضى الله تعالى عنه ابولؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة وكان عمر رضى الله تعالى عنه لايأذن لمحتلم من المشركين ان يدخل المدينة فاستأذنه المغيرة فى غلامه هذا لانه كان نجارا وله صنايع ينتفع بها الناس فاذن له فى دخوله فضرب عليه سيده فى كل شهر مائة درهم فشكى ذلك لعمر فسأله عن صنعته فاخبره فقال ماخراجك بكثير فغاظه ذلك واضمر قتله فضربه بخنجره وهو يصلى فاستشهد وعثمان استشهد يوم الدار فى قصة المشهورة (وطلحة والزبير) اما طلحة بن عبد الله فقتل يوم الجمل وهو محارب لعلى وقيل كما مر انه ذكره ووعظه فاعتزل حربه ثم اصابه سهم فمات منه واما الزبير رضى الله تعالى عنه فرجع عن قتال على بعد تذكيره له بما مر فقتله ابو جرموز بوادى السباع كما تقدم (وطعن) بالبناء للمجهول (سعد) ابن ابى وقاص سنة خمس او اربع وخمسين وهو آخر من مات من العشرة المبشرة بالجنة وقيل مات سنة ست وقيل سبع وخمسين وقيل سنة ثمان وقيل سنة اثنان وثمانون وطعن بمعنى اصيب بالطاعون وهو من اقسام الشهادة ايضا وان لم يكن مثل غيره من كل وجه ولذا اخره المصنف وقول بعضهم انه لم ينله الشهادة غير مناسب هنا الا ان يدخله فى الصديقية (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه البيهقى (لسراقة) بضم السين وفتح الراء المهملتين مخفف وقاف وهو سراقة ابن مالك بن جعشم بن مالك بن عمرو ابو سفيان الكنانى المدلجى سكن مكة وهو الذى خرج فى طلب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فساخت فرسه فى القصة المشهورة ويأتى فى كلام المصنف رحمه الله تعالى الاشارة لبعضها ثم اسلم وتوفى سنة اربع وعشرين وقيل مات بعد عثمان وفى الصحابة من اسمه سراقة غيره وفى هذا الاخبار عن الغيب وخص سراقة لانه اعرابى من البادية ولبس مثله لما يلبسه المترفون من ملوك العجم آية عظيمة من آيات النبوة وعز الدين (كيف بك) كيف جواب عما ابهم من الاحوال وهو استخبار يتضمن التعجب من حاله التى هو عليها لان كل

احدلاينفك عن حال من الاحوال اذاطرا عليه مالم يعهد مثله ونال مالم ينله امثاله فكنى بماذكر وفيه من البلاغة مالايخفى (اذا لبست) اى وضعت فى يديك وساعديك ومثله يسمى لبسا وان كان المعروف اطلاقه على ما يعم البدن من الثياب والحلل (سوارى) مثنى سوار بضم السين وكسرها ويقال اسوار بضم الهمزة وكسرها ايضا وهذا مما كان يتزين به العجم والملوك وان كان الآن مختصا بالنساء عند العرب وبعد الاسلام حتى يعاب على غيرهن (كسرى) تقدم انه كل من ملك العجم ويخص ببعضهم وهو كسرى الذى ادرك عهد الاسلام كما تقدم وان كافه مكسورة وتفتح وهو معرب خسرو ومعناه واسع الملك (فلما اتى بهما) اى بسوارى كسرى (لعمر) ضمن اتى بصيغة المجهول معنى اوصل فعدى باللام وفى نسخة عمر بدونها (البسهما اياه) اى سراقة تحقيقا لما اخبربه صلى الله تعالى عليه وسلم ويجوز البسه اياهما وقيل وهو الاولى (وقال) عمر رضى الله تعالى عنه (الحمد لله) حمدالله على تصديق كلمة النبوة واعزاز دينه وزوال شوكة اعدائه ومافتح الله على يديه (الذى سلبهما) من يدى كسرى (والبسهما سراقة) وهو بدوى اعرابى متقشف هومن آحاد امته صلى الله تعالى عليه وسلم واصل الحديث كما فى دلائل النبوة عن الحسن ان عمر رضى الله تعالى عنه لما اتى بسوارى كسرى بن هرمز وضعتا بين يديه وفى القوم سراقة وضعهما فى يديه فبلغا منكبيه فقال الحمد لله الذى جعل السوارى كسرى بن هرمز فى يدى سراقة ابن مالك ثم قال له قل الله اكبر الله اكبر وحمدا لله لما من به من نعمة الفتح واعزاز الدين وكبر تعظيما لمالك الملك الذى يؤتى ملكه من يشاء وينزعه ممن يشاء فتبارك الذى بيده الملك الذى قصم من نازعه رداء كبريائه فلاسلطان الاسلطانه ولاعز لغير من اعزه ولبس فى هذا استعمال للذهب ولبس الرجال له وهومن المحرمات لانه لايفعله الا تحقيقا وتصديقا لقول رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم من غيران يقرهما ومثله لايعد استعمالا فلاحاجة لماقيل ان فيه مصلحة ومفسدة ارتكبت المفسدة فيه لاجل المصلحة وهى تحقيق المعجزة فانه لامحصل له (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم فى جملة اخباره عن المغيبات فى حديث رواه ابونعيم فى الدلائل والخطيب فى تاريخه (تبنى) بالبناء للمجهول والبانى ابوجعفر الدوانيقى ثانى خلفاء بنى العباس (مدينة) هى البلدة العظيمة من التمدن وهو التعيش والسكنى الكثيرة وتكون اكبر من البلدة والقرية (بين دجلة) بدال مهملة مفتوحة اومكسورة من دجله اذاغطاه ومنه الدجال لخفاء امره بتخليطه فى اموره وهوعلم النهر مشهور بالعراق ولايجوز دخول الالف واللام عليه لانه علم (ودجيل) مصغر علم نهر بالاهواز حفره ازدشير ابن بابك اول ملوك بنى ساسان بالمداين عليه قرى كثيرة ومخرجه من اصبهان وقيل انه خليج متشعب من دجلة

(وقطربل) بضم القاف وسكون الطاء المهملة وضم الراء المهملة وضم الباء الموحدة المشددة وقد تخفف وتشدد اللام وهوموضع بالعراق تنسب اليه الخمر (والصراة) بفتح الصاد المشددة والراء المخففة المهملتين ثم الف وهاء وهونهر بالعراق ايضا مشهور وهو الاصح المعروف وفى بعض النسخ والهراة بهاء بدل الصاد وهى بلدة بالعجم وقد ضرب عليه وصحح الصراة وهوالمعتمد (تجبى اليها) اى يجمع مال غيرها من البلاد الى تلك المدينة وهو عبارة عن انها دار الخلافة العظمى وكرسى للمالك يقال جبى الخراج والمال اذا جمعه للسلطان بامره (خزائن الارض) اى ما كان مخزونا فى غيرها من البلاد بيد اهاليها (يخسف بها) اى يخسف الله ارضها ودورها باهلها وقد وقع مااخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم من بنائها فى الدولة العباسية وجباية الاموال اليها وبقى امر الخسف وسيظهر كما اخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم وقد ذكره الذهبى فى ميزانه فى ترجمة عمار بن سيف الضبى الكوفى روى هذا الحديث وقال انه منكر جدا والله اعلم بامره (يعنى بغداد) اسم المدينة المشهورة ويسمى دار السلام وهو اسم اعجمى عرب وفيه لغات تقدم الكلام عليها (وقال) صلى الله عليه وسلم فى حديث رواه الامام احمد والبيهقى عن سعيد بن المسيب مرسلا وحسنه قال ولد لاخى ام سلمة من امها غلام سموه الوليد فقال صلى الله تعالى عليه وسلم لاتسموا باسماء فراعنتكم فسموه عبد الله فانه (سيكون فى هذه الامة رجل يقال له الوليد هوشر لامتى من فرعون لقومه) قال الاوزاعى كانوا يرون انه الوليد بن عبد الملك ثم رأوا انه ابن اخيه الوليد بن يزيد بن عبد الملك الجبار الذى كان مفتاح ابواب الفتن على هذه الامة وكان ماجنا سفيها مدمنا للخمر نسب اليه مايقتضى الكفر قيل ويجوز ان يراد كلاهما لخبثهما وعتوهما الا ان الثانى اشقاهما وفى هذا معنى حسن وهوان فرعون مصرا لكافر كان اسمه الوليد كما اشار اليه فى الحديث وقال ابن الجوزى ان هذا الحديث موضوع فكانه ثبت عند المصنف رحمه الله تعالى فان موضوعات ابن الجوزى مدخولة تكلم فى كثير منها وصحح فى الشرح الجديد ان المراد انما هو الثانى المعروف بالفاسق بويع بالخلافة بعد هشام بن عبد الملك لست خلون من ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة واظهر من فسقه وولعه بالملاهى وتهاونه بالدين امورا شنيعة لاحاجة لنا بها ولذا جعله صلى الله تعالى عليه وسلم شرا من فرعون موسى مع الاتفاق على كفره لانه كان فى زمان الكفر وهذا كان والاسلام غض طرى (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه الشيخان (لاتقوم الساعة) اى لايأتى زمانها ويقرب اوانها (حتى تقتتل فئتان) اى طائفتان وجيشان من هذه الامة المسلمة (دعواهما) فى اعتقادهما ودينهما (واحدة) وهى الاسلام والدين وقد وقع هذا فى صفين فى وقعة على ومعاوية رضى الله تعالى عنهما

ثم سرى ذلك لكثير بعد ذلك فكم وقع بين المسلمين من الحروب والوقايع التى لاتحصى الا ان الواقعة الاولى اول ماده اهل الاسلام من الامور المنكرة التى كانت ثلمة فى الدين (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه البيهقى والحاكم عن الحسن ابن محمد مرسلا (لعمر) بن الخطاب رضى الله تعالى عنه (فى سهيل بن عمرو) ابن عبد شمس بن عبدود ابو يزيد العامرى القرشى احد خطباء قريش اسلم يوم الفتح واستشهد باليرموك وقيل توفى بالشام سنة ثمان عشرة وقال الواقدى توفى سنة تسع عشرة فى طاعون عمواس وكان يقوم خطيبا يحرض المشركين على قتال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فلما اسر يوم بدر قال عمر يارسول الله انه رجل مفوه انتزع ثنيته السفليين فلايقوم خطيبا عليك بعد اليوم لانه كان اعلم السفلى اى مشقوقها فاذا انتزعت ثنيتاه السفليتين يندلع لسانه فلا يطيق الكلام وهذا من عمر رضى الله تعالى عنه امر بديع فقال صلى الله عليه وسلم لعمر دعه (عسى ان يقوم مقاما) اى يقوم خطيبا فى مقام ينفع بخطبته ويأتى بما يمحو مقاماته الاول وقدمر ان عسى من الله ومن رسول الله صلى الله عليه وسلم تحقيق (يسرك ياعمر فكان كذلك) اى وقع ماقاله صلى الله تعالى عليه وسلم وتحقق ما اخبر به من المغيبات فسره وسر المسلمين مقامه لما (قام بمكة مقام ابى بكر) الصديق رضى الله تعالى عنه اى مثل مقامه بالمدينة وخطب بخطبة مثل خطبته (يوم بلغهم) اى بلغ المسلمين بمكة (بموت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وخطبهم) فى مقامه بمكة (بنحو خطبته) اى بخطبته مثل خطبة ابى بكر بالمدينة لفظا ومعنى ثم بين المماثلة بقوله (وثبتهم وقوى بصائرهم) باعلامهم ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بشر وكل نفس ذائقة الموت فقال من كان محمد الهه فان محمدا قدمات والله حى لايموت وابو بكر رضى الله تعالى عنه قال من كان يعبد محمدا فان محمدا قدمات ومن كان يعبد الله فان الله حى لايموت تتواردا على معنى واحد فى مقام غفل فيه كثير من الصحابة دهشة من هذه المصيبة العظيمة (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه ابن اسحق والبيهقى (لخالد ابن الوليد (حين وجهه) اى ارسله صلى الله تعالى عليه وسلم متوجها (لاكيدر) بضم الهمزة وكاف مفتوحة ومثناة تحتية ساكنة ودال مكسورة وراء مهملتين كمصغر اكدر ويقال له اكيدر دومة بضم الدال المهملة وقد تفتح ويقال لها دومة الجندل ويقال دوماء بالمد وهى ايلبا وهو موضع بين مكة وبرك الغامة او بين الحجاز والشام سميت بدومان ابن اسمعيل لانه كان ينزلها (انك تجده) اى تصادف اكيدر (يصيد البقر) اى بقر الوحش لانها التى تصاد وكان صلى الله تعالى عليه وسلم بعثه فى اربعمائة وعشرين فارسا الى اكيدر بن عبد الملك بن عبد الحق بن اعيا بن الحارث بن معاوية الكندى كما قاله الخطيب والماوردى وفى مختصر الشافعى انه

من كندة اوغسان وكان نصرانيا قدملك دومة واهلها فاتاه خالد رضى الله تعالى عنه فى ليلة مقمرة فوجده يصطاد الوحش هو واخوه حسان فشدوا عليه فاستبسر اكيدر وقاتل اخوه حتى قتل فقدم به على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فصالحه على الجزية وحقن دمه وخلى سبيله فمات نصرانيا وقال البلادرى انه عاد الى دومة فلما توفى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نقض العهد فحاصروه وقتله مشركا نصرانيا وقيل انه اسلم واهدى للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم حلة سيرا فوهبها لعمر وعده ابن منده وابو نعيم فى الصحابة وقال ابن الاثير ان الهدنة صحيحة واما اسلامه فغلط باتفاق اهل السير وقيل انه اسلم ثم ارتد بعده صلى الله عليه وسلم وعلى هذا لايعد فى الصحابة ايضا (فوجدت) بالبناء المجهول (هذه الامور) المذكورة فى هذا الفصل (كلها فى حياته) بعد ما اخبر بها (و) وجد بعضها (بعد موته كما قاله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى مطابقة لخبره ومماثلة له منتهية او مضمومة (الى ما اخبر به جلساءه) من الصحابة (من اسرارهم) اى ما اسروه واخفوه (وبواطنهم) اى امورهم المخفية وقلوبهم وهو بيان لما اخبر به (واطلع عليه) عطف على ما اخبر به (من اسرار المنافقين) اى ما اسروه فى انفسهم ولم يخبروا به احدا منهم ولا من غيرهم او ما كانوا يقولونه سرا بينهم بحيث لايقف عليه المؤمنون (وكفرهم) المضمر فى قلوبهم مع اظهارهم الايمان (وقولهم فيه) اى فى حق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (وفى المؤمنين) وهو معطوف على اسرار المنافقين عطف تفسير كقول رأسهم ابن ابى لهم وقد استقبله الصحابة انظروا كيف ارد هؤلاء السفهاء عنكم فاخذ بيد ابى بكر وقال له مرحبا بسيد تيم وشيخ الاسلام وثانى اثنين فى الغار وباذل نفسه وماله لرسول الله ثم اخذ بيد عمر فقال له مرحبا بسيد بنى عدى الفاروق فى دين الله ثم اخذ بيد على فقال مرحبا يا ابن عم رسول الله وختنه سيد بنى هاشم ما خلا رسول الله ثم افترقوا فقال لاصحابه كيف رأيتمونى فعلت فاثنوا عليه (حتى ان) بكسر الهمزة وسكون النون المخففة من الثقيلة واسمها ضمير شان مقدر (كان بعضهم) اى بعض المنافقين (يقول) وفى نسخة ليقول (لصاحبه) اى من هو معه منهم اذا اراد ان يتكلم بشئ فى حقه صلى الله تعالى عليه وسلم سرا معه (اسكت) ولاتنطق بشئ من امره ثم بين وجه امره بالسكوت مقسما عليه ليحقق ماقاله فقال (فوالله لو لم يكن عنده من يخبره) بما يقوله فى شانه من ملك او جن يبلغه ما يقال فيه (لاخبرته حجارة البطحاء) وهى ارض مستوية يسيل فيها الماء والمراد بحجارتها ما فيها من الحصباء يعنى ان الحجارة تعلمه بما غاب عنه وهذا اشارة ايضا لما وقع له صلى الله تعالى عليه وسلم لما فتح مكة وامر بلالا رضى الله تعالى عنه بان يعلو ظهر الكعبة ويؤذن عليها وابو سفيان ابن حرب وعتاب ابن اسيد والحارث بن هشام جلوس بفناء الكعبة فقال عتاب

لقد اكرم الله اسيدا اذلم يرهذا اليوم وقال الحارث اما وجد محمد مؤذنا غير هذا الغراب الاسود فقال ابو سفيان لااقول شيئا ولو تكلمت لاخبرته هذه الحصباء فخرج عليهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقال علمت الذى قلتم وذكرهم لتهم فقال الحارث وعتاب نشهد انك رسول الله ما اطلع على هذا احد كان معنا فنقول اخبرك به (واعلامه) بالجر معطوف على ما اخبر به وهو اشارة الى ما فى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها وهو مصدر مضاف لفاعله ومفعوله محذوف اى اعلامه الناس (بصفة السحر الذى سحره به لبيد بن الاعصم) وهو يهودى من بنى زريق وقصة سحره مشهورة فى السير والتفسير (وكونه) اى السحر المذكور الذى وضعه (فى مشط) بضم الميم وكسرها وسكون الشين المعجمة وطاء مهملة اسم آلة معروفة يسرح بها الشعر ويقال لها ممشط ايضا (ومشاطة) بضم الميم وهى ما يسقط من الشعر اذا سرح وفى نسخة مشاقة بقاف بدل الطاء وهما بمعنى او الاول من الشعر والثانى من الكتان (فى جف) بضم الجيم وتشديد الفاء وهو وعاء الطلع الذى يكون عليه كالغشا وفى نسخة جب بباء موحدة بمعنى داخل وجوف ومنه جب البئر وهو مضاف لقوله (طلع نخلة ذكر) والطلع ما يخرج من النخل فى ظرف منطبق عليه معروف والنخل منه ذكر وانثى تحمل بثمرها المعروف (وانه) بفتح الهمزة والضمير للسحر المذكور (القى فى بئر ذروان) اى وضع فى هذه البئر وهى بئر بالمدينة لبنى زريق وهى بذال معجمة مفتوحة وراء مهملة ساكنة وواو وزنة فعلان (فكان) ما اخبر به صلى الله عليه وسلم (كما قال) عليه السلام (ووجد) السحر (على تلك الصفة) التى وصفها فهو من اخباره بالغيب بوحى من الله تعالى كما فصلوه وعن هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة رضى الله تعالى عنها انه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما سحر قال اتانى رجلان فقعد احدهما عند رأسى والآخر عند رجلى فقال احدهما لصاحبه ما وجع الرجع قال مطبوب اى مسحور قال من طبه قال لبيد بن الاعصم قال فى اى شئ قال فى مشط ومشاطة وجف طلع ذكر قال واين هو قال فى بئر ذروان فجاءها صلى الله تعالى عليه وسلم فى ناس من اصحابه فاستخرجه فلما رجع قال يا عائشة كان ماءها نقاع الحناء وكان رؤس نخلها رؤس الشياطين فقالت هلا اخرجته يا رسول الله قال قد عافانى الله تعالى فكرهت ان ثير على الناس منه شرا فامر بها فدفنت قال ابو عبيدة هو عند المحدثين هكذا بئر ذروان وقال ابن قتيبة عن الاصمعى هو خطأ وصوابه اروان بالهمزة انتهى وفى القاموس بئر ذروان بالمدينة بسكون الراء وقيل بتحريكه انتهى وفى مسلم بئر ذى اروان قال النووى وهو صحيح والاول اجود واصح ويحتمل ان الاول مخفف منه (واعلامه) صلى الله تعالى عليه وسلم (قريشا) كما رواه البيهقى عن الزهرى فى الدلائل (باكل الارضة) بفتحات دودة

تأكل الورق وتكون فيه اذا انطبق زمانا بحيث لايمر به الهوى وهى معروفة وعلى انواع ومنها ما يأكل الخشب فى فسرها هنا بدويبة تأكل الخشب قال الله تعالى *ما دلهم على موته الا دابة الارض تأكل منسأته والارض بالسكون مصدر ارض اذا كان به ارضة اضيفت لها لم يطبق المفصل وليست هى الدابة المسماة سرفة كما قيل وكذا من قال انها سوس الخشب (ما فى صحيفتهم) الاضافة للعهد اى الصحيفة المشهورة وسيأتى بيانها (التى تظاهروا بها) اى تعصبوا وتعاونوا باتفاقهم على عهود كتبوها فى تلك الصحيفة كما سيأتى (على بنى هاشم) وهم فخذ من قريش (وقطعوا بها رحمهم) اى قصدوا بما كتب فى الصحيفة قطع رحمهم اى قرابتهم اى ابطلوا حقوق القرابة بينهم وبين بنى عمهم من بنى هاشم واصل الرحم مقر الولد ثم شاع فى القرابة حتى صار حقيقة فيها (وانها) اى الارضة وهو معطوف على اكل الارضة اى واعلامه صلى الله تعالى عليه وسلم بانها (ابقت فيها) اى الصحيفة (كل اسم لله تعالى) دون غيره مما عاهدهم عليه فمحته لانه باطل وابقت اسم الله تعالى تبركا وتادبا وهذا على احدى الروايتين والاخرى سيأتى وتوجيهها (فوجدوها كما قال) صلى الله تعالى عليه وسلم واخبر به عن الغيب فهو من معجزاته وما ذكره المصنف رحمه الله تعالى من انها ابقت اسم الله تأدبا ومحت غيره للاشارة الى انه امر باطل على احدى الروايتين كما علمت وفى رواية اخرى انها لحست اسم الله تعالى وابقت غيره من عهودهم الفاسدة للاشارة الى ان الله تعالى برئ منهم وانه لايليق ذكر اسمه بين ذكر عهودهم ولكل وجهة والروايتان ذكرهما ابن سيد الناس فى سيرته فاذا صحت الروايتان اشكل ذلك لان القصة واحدة والصحيفة واحدة وقول البرهان فى التوفيق بينهما ان لم نقل ان روايته انها لحست اسم الله اقوى والقول انما هو عليها انه كتب نسختان علقت احداهما فى الكعبة والاخرى كانت عندهم بعيد اذلم يقع ذلك فى رواية اصلا وقد قيل ان كاتبها شلت يده وهو منصوب بن عكرمة وقيل بغيض بن عامر بن هشام وحاصل قصتهم انهم لما اشتد عليهم امره صلى الله عليه وسلم واشتد على المسلمين قهرهم ارادوا قتله فلم يرض به ابو طالب وبنو هاشم فقالوا اما ان تسلموه لنا او تعتزلوا عنا جميعا فى الشعب بحيث لا تقابلونا ولا تجتمعون معنا فرضوا بذلك وكتبوا بالعهد صحيفة علقوها فى الكعبة فكان كلما جاء اهل البادية بما يباع منعوهم عنهم فمكثوا ثلاث سنين كذلك حتى ضاق عليهم الحال وندم بعض قريش واراد نقض العهد فبينما هم كذلك اذ قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لابى طالب يا عم ان الله ابطل عهدهم واكلته الارضة فخرج اليهم فظنوه انه اتاهم ليسلم لهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاخبرهم بالقصة كانوا بالصحيفة فوجدوها كما قال فاذنوا لهم بالخروج من الشعب على ما فصل فى السير وكان ذلك مما اطلعه الله تعالى عليه من غيبه

وهذا يقتضى صحة ما قاله المصنف رحمه الله تعالى وان الرواية الاخرى غير ثابتة عنده وعلى كل حال فلم يجد مايشفى الصدور (ووصفه لكفار قريش) بعد الاسراء كما تقدم تفصيله (بيت المقدس) مفعول وصف وقوله (حين كذبوه فى خبر الاسراء) اى فى اخباره بانه اسرى به لبيت المقدس (ونعته اياه) اى بيت المقدس (نعت من عرفه) بالنصب مفعول نعته والنعت والوصف متقاربان والمصنف رحمه الله تعالى غاير بينهما تفننا وقيل النعت يقال فى غير الله تعالى ولا يقال نعت الله كما ذكره بعض النحاة ولم يذكر له وجها (واعلامهم) بالجر اى اعلام الكفار (بعيرهم) بكسر العين اى قافلتهم من عار بمعنى سار واما بالفتح فهو الحمار وليس المراد هنا (التى مر عليها فى طريقه) لما رجع من الاسراء (وانذارهم بوقت وصولها) لهم والانذار هنا بمعنى الاعلام مجازا واصله التخويف والاخبار بما فيه خوف ضد التبشير كما يقدم ومن فسره بالتخويف هنا لم يصب يعنى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم انها تقدم وقت كذا يقدمها جمل اورق كما مر (فكان ذلك) اى وجد ووقع (كما قال) صلى الله تعالى عليه وسلم من غير زيادة ولا نقص فيما اخبر به وقد قدمنا تفصيله ثمة فلا حاجة لاعادته (الى ما اخبر به من الحوادث) اى ما تقدم ينتهى او ينضم لغيره مما اخبر به مما يحدثه الله بعده من الامور (التى تكون) فى المستقبل (ولم يأت بعد) مبنى على الضم اى لم يقع عقب اخباره بل بعده بازمان متباعدة بعضها ظهرت مقدماتها وبعضها لم تظهر فاذا جاء الابان تجئ فان خبره صلى الله تعالى عليه وسلم لا يتخلف (و) الى ذلك اشار بقوله (منها ما ظهرت مقدماته) بكسر الدال اى علاماته المتقدمة عليه (كقوله) صلى الله عليه وسلم فى حديث رواه ابو داود فى سننه (عمران بيت المقدس) بضم العين مصدر كالغفران بمعنى كونه معمورا بتمام بنائه وكثرة سكانه وذلك باستيلاء الكفرة عليه وتعميره وتقدم معنى كونه مقدسا بما فيه وهو مبتدأ خبره (خراب يثرب) بالمثلثة ومنع الصرف وهو اسم المدينة الشريفة وجعله عينه مبالغة كقولهم عتابه السيف وليس المراد به التشبيه فالحمل فى قوله عمران بيت المقدس خراب يثرب وما بعده على طريق المجاز فى النسبة الاسنادية بجعل ما يقرب من الشئ ويلاصقه له كانه هو بعينه فلا يقال انه غيره فكيف اخبر به عنه (وخراب يثرب) الذى يعمر عنده بيت المقدس (خروج الملحمة) اى ظهورها والملحمة بميم مفتوحة ولام ساكنة وحاء مهملة وهى موضع المعركة والقتال ويكون بمعنى الحرب نفسه كما فى النهاية الاثيرية وفى الصحاح انها الوقعة العظيمة فى الفتنة من التحم بمعنى اشتبك ودخل بعضه فى بعض كالسدا واللحمة او من اللحم لكثرة لحوم القتلى فيها ومنه الملحمة اسم كتاب يذكر فيه احكام النجوم وآثار الجو من السحاب ونحوه والمراد به الفتن العظيمة والهرج الذى يكون فى آخر الزمان (وخروج الملحمة فتح القسطنطينية)

وفى نسخة قسطنطينية بغير الف ولام وبعد النون الثانية ياء تشدد وتخفف وهى مدينة عظيمة هى قاعدة ديار الكفر وكرسيها وهى منسوبة لقسطنطين اسم اول ملك بناها وهو اول من اظهر دين النصرانية ودونه وهى مدينة عظيمة الشكل منها جانبان فى البحر وجانب فى البر ولها سبعة اسوار وسمك سورها الكبير احدى وعشرون ذراعا وفيه مائة باب وبابها الكبير يسمى باب الذهب وهو باب مموه بالذهب وفيها منارة من نحاس قد قلبت قطعة واحدة وليس لها باب وفيها منارة قريبة من مارستانها قد البست كلها بالنحاس وعليها قبر قسطنطين وهو راكب على فرس وقوائمه محكمة بالرصاص ماعدا يده اليمين فانها مطلقة فى الهوى لانه سائر والملك على ظهره ويده موقوفة فى الجو وقد فتح كفه يشير نحو بلاد الشام ويده اليسرى فيها كرة مكتوب عليها ملكت الدنيا حتى بقيت وكفى مثل هذه الكرة وخرجت منها كما ترى وفيها لغات ضم القاف وفتح الطاء الاولى وضمها مع تخفيف الياء الاخيرة وتشديدها وحذفها وهى ست ووقعت فى الحديث بالالف واللام واستعملها الناس بحذفها كقول ابى تمام * حتى التوى من نقع قسطلها على * * حيطان قسطنطينة الاعصار * وهى المسماة برومية وقد اختلف هل فتحت هذه ام لا فقيل فتحت فى زمن الخلفاء والاصح انها انما تفتح فى آخر الزمان قبل خروج المهدى وهو الذى صححه المقدسى فى كتاب الدرر فى اخبار المهدى المنتظر الذى اوقعهم فى اللبس اشتراك الاسم فانه سمى بها مدن متعددة والمذكور فى هذا الحديث كله يكون اذا قرب نزول عيسى عليه الصلوة والسلام وكذا ما معه من الاشراط واليه اشار بقوله (ومن اشراط الساعة وآيات حلولها) معطوف على قوله من الحوادث والاشراط جمع شرط بفتحتين وهى العلامة والمقدمة وهى والآية بمعنى وقيل هى ماينكره الناس من صغار امورها وعلامات القيامة التى تكون فى آخر الزمان كالدجال ودابة الارض وغيره بما هو مشهور غنى عن البيان وهذا كله مما اخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم من المغيبات وقد فصله القرطبى فى تذكرته (وذكر النشر والحشر) الذى هو آخر الاشراط وآخر الدنيا اذا نفخ فى الصور والنشر للميت ان يحيى فيقوم من قبره من نشر الثوب اذا بسطه قال الشاعر * طوتك خطوب دهرك بعد نشر * كذلك خطوبه طيا ونشرا * والحشر سوق الناس الى المحشر للحساب (واخبار الابرار) بالجر اى مما اخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم من المغيبات ما ورد فى الحديث من اخباره عن صلحاء امته وفجارهم او اخبارهم بما يسرهم وتقر به اعينهم واخبار غيرهم بما يسوؤهم وينكبهم فاخبار بفتح الهمزة جمع خبر او بكسرها مصدر اخبر والابرار جمع بر او بار كرب وارباب وصاحب واصحاب وهو التقى الصالح (والفجار) جمع فاجر وهو الفاسق

المجاهر بالمعاصي والمعنى انه صلى الله تعالى عليه وسلم اعلم امته بما سيكون فيهم وهو كثير في الاحاديث (والجنة والنار) اى ذكر احوالهما واهلهما وما سيكون فيهما (وعرصات القيمة) بفتحات جمع عرصة بسكونها وهى كل موضع واسع لابناء فيه اى مما اخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات ماورد في الحديث من بيان مواقف القيمة وعرصاتها ووصفها بصفاتها (و بحسب هذا الفصل) الباء زائدة كما في قولهم بحسبك درهم وهو بسكون السين المهملة مبتدأ خبره (ان يكون ديوانا) اى كتابا مدونا مستقلا وقد تقدم منها الديوان ومعناه وهذا الفصل اشارة الى الفصل المعقود لاخباره صلى الله تعالى عليه وسلم بالمغيبات وهذا عبارة عن المبالغة في كثرته كما ذكره في اوله وانه لو الف فيه تأليف مستقل دون غيره من معجزاته لم يكن امرا غريبا (مفردا) عن غيره من المعجزات (يشتمل) ذلك الديوان المفرد له (على اجزاء) بتميز انواعه وافراد كل نوع بباب (وحده) منفردا من بينهما ثم اعتذر لعدم افراده بالتأليف بقوله (وفيما اشرنا اليه) اى ماذكره في هذا الفصل منه وهو خبر مقدم (نكت من نكت الاحاديث التي ذكرناها) اى لطائف ودقايق نفيسة وقد تقدم بيان النكت مفصلا وقوله (كفاية) مبتدأ مؤخر ولو حذف قوله نكت كان احسن لانه اذا كان مبتدأ كان قوله كفاية مبتدأ آخر او بدل اوصفة بتأويله بكافية وكله تكلف اى المقدار الذي اقتصر عليه المصنف كاف عن افراده بالتأليف (واكثرها) اى النكت المذكورة في هذا الفصل منقول (في الصحيح) من كتب الحديث المعتمدة (و) موجود (عند الائمة) من علماء الاثر ومشايخ المصنف وفي تعبيره بالاكثر اشارة الى ان فيه ماهو ضعيف اولم يثبت كما بيناه لك في اثناء شرحه ﴿فصل في عصمة الله له صلى الله تعالى عليه وسلم من الناس﴾ اصل معنى العصمة الامساك والشد قال الراغب الاعتصام التمسك في الشئ واستعصم استمسك كانه طلب مايعتصم به من ركوب الفاحشة وعصمة الله للانبياء حفظه اياهم بما خصهم من صفاء الجوهر ثم بما اولاهم من الفضائل الجسمية والنفسية ثم بالنصرة وتثبيت اقدامهم ثم بانزال السكينة عليهم و بحفظ قلوبهم وبالتوفيق انتهى يعنى ان حقيقتها التمسك ثم صار حقيقة في المنع عن ارتكاب المعاصي وفي الحفظ من نيل المضرة من اعدائهم والمراد هنا المعنى الاخير كما اشار اليه بقوله (وكفايته من اذاه) اى كفاية الله اياه بحفظه عن قصد اذيته والمراد بالناس مايشمل الانس والجن فانه ورد بهذا المعنى كما ذكروه في تفسير المعوذتين اوخصهم لانهم الذين عادوه صلى الله تعالى عليه وسلم وقصدوا اذيته و قوله من اذاه من ذكر العام بعد الخاص ليشملهم صريحا واستشهاده له بقوله (قال الله تعالى والله يعصمك من الناس) يقتضى انه لم يقصد الاخير بحسب الظاهر وهذه الآية وسورتها مدنية على الاشهر وقال العلامة الخضيرى

في الخصائص يرده ماروى عن ابن عباس وغيره انه قال كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا خرج بعث معه ابوطالب من يحرسه حتى نزلت هذه الآية فقال له ياعم ان الله عصمني من الجن والانس فلاحاجة لى بمن تبعثه معي وهذا يدل على انها مكية وفي مسلم عن عايشة رضى الله عنها ارق رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة اى عند مقدمه المدينة فقال ليت رجلا صالحا من اصحابي يحرسني الليلة فسمعت صوت السلاح فقال من هذا قال سعد بن ابى وقاص جئت لاحرسك فنام حتى سمعنا غطيطه وروى الترمذى عن عايشة كما أتى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت الآية الى آخره اى فهذا يدل على انها مدنية فيحتاج للجمع وكونها نزلت مرتين بمعنيين فالناس على الاول اهل مكة وعلى الثانى اعم خلاف الظاهر ثم قال اكثر المفسرين ان هذا الذى كان يخشاه فعصم منه القتل لا الاعم فلا يرد عليه انه اذا عصم لم لبس الدرع وشج وكسرت رباعيته وكان يحرس مع انه قيل انه كان تشريعا لامته ليأخذوا بالحزم وكسر الرباعية والشج قيل انه لحكمة وهى كما مر ان يشارك المؤمنين في المصيبة تسلية لهم عما نالهم من فقد احبابهم وليشتد غيظهم على الكفار فيشتد بطشهم بهم انتهى واما العصمة عن الذنوب فسيأتى في محله والى ماقدمناه اشار في الكشاف ومن لم يفهم كلامه اعترض عليه بما لامحصل له وقد تقدم انه صلى الله تعالى عليه وسلم سم بخيبر وقال انه سبب موته لقوله اكلة خيبر قطعت ابهرى وقالوا حكمته ان ينال اجر الشهادة ورتبتها مع مرتبته العلية فيرد هذا على ما قالوه واجيب بان الله كفاه قتله بالسم حين اكله فلم يؤثر فيه فلما قضى اجله اثر فيه بقيته لعلو مقامه وليس لاحد صنع فيه والقول بان الشج وغيره كان قبل نزول الآية ينافيه ثبوت انها نزلت بمكة ولامانع من ضمان الله عصمته بوحى غير متلو بمكة وضمانه بالمتلو بالمدينة انتهى ولايخفى مافي كلامه كما يعلم مما مر وقصة السم غير واردة على العصمة من القتل لان المفهوم منه حفظه عن ان يقتله عدوله مجاهرة بالبطش فيه بسلاح ونحوه خصوصا ولم يظهر له اثر حال اكله ولا بعده مما يطلع عليه اعداؤه وانما كان بالسراية بعد زمان طويل ومثله لايعد قتلا (وقال الله تعالى واصبر لحكم ربك فانك باعيننا) امره بالصبر على اعباء الرسالة ومشقة تبليغ ما امر بتبليغه ثم سلاه بان لايخاف من احد فانه محفوظ بعين العناية من الله فاستعار العين للحفظ وجمعها جمع قلة لانه محفوظ من جهاته الست ومن ظاهره وباطنه وهذا اظهر مما في الكشاف ومما قيل انه للمبالغة والتأكيد قال الراغب يقال فلان بعينى اى احفظه واراعيه كقولهم هومنى بمرائى ومسمع وقوله واصنع الفلك باعيننا اى بحيث يرى ويحفظ وفيه كلام مفصل ليس هذا محله (وقال اليس الله بكاف عبده) فيه اثبات لكفاية الله له على ابلغ وجه لانه استفهام انكارى وهى نفى

معنى ونفى النفى اثبات يعنى ان عبادى يحفظون عبيدهم فكيف لااحفظ عبدى ولما كان العبد غير معين هنا اشار بقوله نقلا عن السلف انه (قيل) ان معناه (بكاف محمدا) المراد بعبده لان الاضافة عهدية (اعداه المشركين) و بهذا يكون دالا على المقصود ومطابقا لما قدمه وماقيل من انها نزلت لما قالوا له صلى الله تعالى عليه وسلم اما تخاف ان تخبلك الهتنا لكونك تعيبها ليس مطابقا لهذا المقام وقوله اعداه المشركين بأباه (وقيل) فى تفسير هذه الآية (غير هذا) كالقول بان المراد انه تعالى تكفل بارزاق جميع عباده و يؤيده انه قرئ بكاف عباده بصيغة الجمع (و) مما يدل على عصمة الله له قوله تعالى (انا كفيناك المستهزئين) الهزء والسخرية والتهكم على سبيل التحقير والمراد بهم نفر من قريش كانوا يؤذونه صلى الله تعالى عليه وسلم و يهزؤن به فاهلكهم الله لما اشتدت اذيتهم ودعا عليهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما بينه المفسرون والمحدثون فى تفسير هذه الآية وهذا نوع من حفظ الله تعالى له بتعجيل اهلاك عدوه وقد تقدم الكلام على هذه الآية وبيان هؤلاء المستهزئين وذكر هلاكهم والمقصود من ذكر هذه الآيات الاستدلال على ما عقد له الفصل بما يدل عليه ويذكر بعض افراده المثبت لمراده (وقال واذ يمكر بك الذين كفروا الاية) وقد تقدمت هذه الآية وبيان معناها وانما اتى بها المصنف هنا استشهادا على عصمة الله له كما هو دأبه والمكر الحيلة والخداع ولا يوصف به الله الامجازا على طريق المشاكلة وهى اشارة الى ما كان منهم بدار الندوة وهو مشهور غير محتاج للبيان واعلم ان الشيخ الاكبر قال فى بعض رسائله ان الله كما عصم نبينا فى حيوته عصم رؤياه فى المنام بعد وفاته من دعاءة الشيطان التخيلى وتمثله فى صورته فطبقه كذاته معصوم من ان تؤذيه الاحلام وعبارته كل من يرى فى المنام فتمثله فى خيال الرأى الملك او النفس او الشيطان الا الانبياء عليهم الصلوة والسلام فان الشيطان لا يتمثل به عصمة لهم كما كانوا فى حياتهم معصومين فى البواطن من القائه فانسحبت عليهم حياة وموتا فى المحل الذين كانوا معصومين فيه والرؤية والنوم من عالم الباطن انتهى ثم شرع فى ذكر الحديث الذى رواه الترمذى عن عايشة فقال (اخبرنا القاضى الشهيد ابو على الصدفى) الاندلسى المعروف بابن سكرة ووصف بالشهيد لانه استشهد فى وقعة بالاندلس وقد تقدم الكلام عليه وترجمته والصدفى بفتحتين نسبة لصدف بفتحتين قرية بقرب قيروان (بقرائى عليه) لابالاجازة (والفقيه الحافظ ابو بكر محمد بن عبدالله المغافرى) هو القاضى ابو بكر ابن العربى و يقال ابن عربى ايضا معرفا ومنكرا و بعضهم يخصه بالتعريف ويقول ابن عربى بدون ال هو الشيخ محيى الدين الصوفى نفعنا الله به وهذا المذكور هو محمد ابن عبد الله صاحب التصانيف الجليلة وابوه من كبار اصحاب ابن حزم الظاهرى وابنه ممن اخذ عن الغزالى وغيره ورحل لملاقاة الكبار والاخذ عنهم وتوفى بفاس

فى ربيع الآخر سنة ثلاث واربعين وخمسمائة ونسبته لمغافر بغين معجمة وفاء وراء مهملة وميمه مفتوحة وحكى فى اسم الحى الضم وانكره ابن السكيت حى من همدان و بلدة ولا ينصرف واليه تنسب الثياب المغافرية (قالا حدثنا ابو الحسين الصيرفى) المبارك ابن عبد الجبار والحسين بالتصغير ومافى بعض النسخ الحسن مكبرا خطأ من الناسخ وقد تقدمت ترجمته (قال حدثنا ابو يعلى) بفتح المثناة التحتية واللام والف (البغدادى) نسبة للمدينة المعروفة (قال حدثنا ابو على السنجى) نسبة لسنج بسين مهملة مكسورة ونون وجيم وهى قرية بمرو (قال حدثنا ابو العباس المروزى) وهو محمد بن احمد بن محبوب راوى الترمذى وقد تقدم (قال حدثنا ابو عيسى الحافظ) ابن سعد الترمذى صاحب السنن امام الحديث المشهور شهرة يغنى عن ذكره (قال حدثنا عبد بن حميد) بلا اضافة العبد وقد تقدم (قال حدثنا مسلم بن ابراهيم) الازدى الفراهدى ابو عمرو الامام الحافظ الذى اخرج له الستة توفى سنة مائتين واثنين وعشرين (قال حدثنا الحارث بن عبيد) ابو قدامة الايادى البصرى له ترجمة فى الميزان (عن سعيد بن الجريرى) بضم الجيم وفتح الراء كالمصغر نسبة لجرير الضبى كما فى المكاشفة للذهبى عباد وترجمته فى الميزان (عن عبدالله بن شقيق) التابعى العقيلى من كبار التابعين توفى سنة مائة اوثمان ومائة (عن عايشة قالت كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يحرس) بصيغة المجهول اى يحرسه الصحابة رضى الله تعالى عنهم فى وقت الحاجة لذلك كالليل ووقت القيلولة اذا كان خارج بيته (حتى نزلت هذه الآية والله يعصمك من الناس) ونزولها بالمدينة لان سورة المائدة من آخر ما نزل وتقدم قول آخر بانها مكية لكن الصحيح خلافه وفى بعض الحواشى عن ابن عرفة انهم اختلفوا فى صحة الدعاء بالعصمة لغير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم والآية تدل على صحته فان العصمة مقولة بالتشكيك وقد كان صلى الله تعالى عليه وسلم معصوما قبل نزولها والمراد بالناس الكفار فهو عام مخصوص ولا مانع من ابقائه على عمومه لان من المسلمين من يتصور اذيته له من غير قصد انتهى قلت قال شيخ والدى الشهاب ابن حجر فى شرح الارشاد اختلف فى سؤال العصمة فقيل يجوز لقول مالك والشافعى فى الرسالة نسألك العصمة وكذا قول الشاذلى نسألك العصمة فى الحركات والسكنات وفى الحديث اذا دخل احدكم المسجد فليسلم على النبى صلى الله عليه وسلم وليقل اللهم اعصمنى من الشيطان وقيل يمتنع والحق انه ان سأل التوقى عن جميع المعاصى والرذائل فى جميع الاحوال امتنع لانه طلب مقام النبوة فان قصد التحصن عن افعال السوء فلا بأس به انتهى وهذا كله كلام غير مهذب لان العصمة لها معنيان احدهما الحفظ من اذية الناس والثانى حفظه فى نفسه عن ارتكاب

المعاصى وكل منهما يكون مقيدا ومطلقا فان قيد فهو جائز فيهما كاللهم اعصمنى من الكذب اوالزمان اواللهم احفظنى من اشر الكفار واعصمنى من كيد الشيطان والفجار ومطلق فيهما ولامانع منه ايضا اذ لامانع ان يقول اللهم اعصمنى من جميع الذنوب اومن جميع الناس فانه امر مطلوب وقوله انه طلب مقام النبوة كلام واه والذى اختصت به الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقوعه لهم لاطلبه فقد خلط هؤلاء العصمتين ولم يقفوا على الفرق بين المقامين فاعرفه (فاخرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رأسه من القبة) بالضم وتشديد الموحدة وهى كل مرتفع من البناء اوالخيمة والخباء من وقب اذا علا وليس معناه ماهو مستدير على شكل كرى كما تفهمه العامة فانه عرفى طار والمراد به هنا خباء كان فيه صلى الله تعالى عليه وسلم فى بعض اسفاره وقيل انه بيت صغير مستدير من الخيام وبيوت العرب ومن يحرسه من الصحابة ناس كثيرون عدهم التجانى فى شرحه ولايترتب عليه فائدة هنا فلذا تركناه (فقال لهم ايها الناس انصرفوا) من حولى واتركوا حراستى (فقد عصمنى وحفظنى (ربى عز وجل) فلاحاجة لى ان يحرسنى الناس (وروى) بصيغة المجهول (انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان اذا نزل) منزلا اى اقام به زمانا (اختار اصحابه شجرة يقيل تحتها) من قال يقيل قيلولة اذا نزل فى وقت القايلة وهى الظهيرة وما قرب منها للاستراحة سواء نام ام لا وان كثر فيها النوم (فاتاه اعرابى) هذه فاء فصيحة اى فاختاروا له فى بعض اسفاره شجرة لقيلولته فنزل تحتها وليس معه من يحرسه فاتاه الى آخره والاعرابى رجل من اهل البادية تقدم بيانه (فاخترط سيفه) اى سله واخرجه من قرابه ليضربه به وضمير سيفه اما للاعرابى فمعناه سل سيفا كان معه اوللنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فانه كان سيفه معلقا بالشجرة فلما هجم عليه الاعرابى اخذه وسله وهو صريح ما يأتى فى لفظ رواية الصحيحين واصل معنى الاخترط ازالة ماعلى القضيب من ورق اوقشر فشبه ازالة غمده بذلك اوهو من اخترطه اذا اخرجه من خريطته بجعل الغمد كالخريطة (ثم قال) الاعرابى بعد اختراطه له صلى الله تعالى عليه وسلم (من يمنعك منى) الاستفهام انكارى بمعنى النفى اى لايمنعك منى احد لانى دخلت على حين غفلة وليس معك احد وعطف بثم والظاهر لفاء اذلامهلة هنا فاما ان يكون تربص لينظر مايصنع اوكان اتاه من خلفه اواستعمل ثم بمعنى الفاء وهو كثير (فقال الله) اى يمنعنى الله اوالله منعنى وحمانى (فارتعدت يد الاعرابى) وقع فى بعض النسخ بالهمزة المضمومة مبنى للمجهول اى اصابته رعدة بكسر الراء وفتحها وهى اهتزاز اليد واضطرابها من غير قصد لشدة الخوف وقال التلمسانى انه الصواب يعنى لارعدت الثلاثى وهو خطأ منه فان الذى صححه البرهان انه رعدت ثلاثى مبنى للمفعول وتبعه الشمنى وغيره وقالوا انه من الافعال التى لم يسمع

فيها الا المجهول نحو جن وهو الموافق للرواية واللغة (وسقط سيفه) من يده لشدة ارتعاده من خوفه (وضرب) ذلك الاعرابى (برأسه الشجرة) لما اعتراه من ذهاب عقله فلم يزل ينطحها (حتى) انكسر عظم رأسه (وسال دماغه) لما كسر قحفه الذى كان فيه الدماغ (فنزلت الآية) المذكورة والله يعصمك من الناس الى آخره وسيلان دماغه لانه كالدهن فلما انكسر رأسه سال منها وليس فيه كما توهم حذف لتذهب النفس كل مذهب ممكن اى سال دما او نحوه وهذا الحديث بهذا اللفظ قالوا لم يوجد فى الكتب المعتبرة عند اهل الاثر ولم يذكروه فى اسباب النزول واليه اشارة مابقوله (وقد رويت هذه القصة) يعنى قصة الاعرابى (فى الصحيح) اى فى الحديث الصحيح او فى صحيح البخارى (وان غورث بن الحارث) وفى نسخة غويرث بالتصغير وغورث بغين معجمة مضمومة وواو ساكنة وراء مهملة مفتوحة فى المكبر ومثلثة (صاحب هذه القصة وان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عفا عنه) وهذا يخالف ما قبله فى تلك الرواية من انه ضرب برأسه الشجرة الى آخره اذ صريحها انه هلك بذلك السبب فينافى العفو عنه (فرجع الى قومه وقال جئتكم من عند خير الناس) لما رآه من حلمه وعفوه عنه مع قدرته عليه وهذا الحديث رواه البخارى ومسلم رحمه الله تعالى عن جابر رضى الله تعالى عنه قال غزونا قبل نجد مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقلنا ادركتنا قائلة فى واد كثير العضاة فنزل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وتفرق الناس يستظلون بالشجر ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تحت شجرة علق بها سيفه ونمنا نومة فاذا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يدعونا وعنده اعرابى فقال ان هذا اخترط سيفى وانا نائم فاستيقظت وهو فى يده مصلتا فقال من يمنعك منى فقلت الله تعالى عز وجل ثلاثا ولم يعاقبه وروى انه شام السيف اى اغمده وفى سيرة ابن سيد الناس ان غورث رجل من محارب قال لقومه الا اقتل لكم محمدا افتك به فاقبل اليه وسيفه فى حجره فقال يا محمد اعطنى سيفك انظر اليه فاعطاه له فاستله وجعل يهزه ويهم به فمنعه الله تعالى فقال يا محمد اما تخافنى وفى يدى السيف قال لايمنعنى الله تعالى منك فرد السيف فانزل الله تعالى * يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذهم * الآية ان السيف سقط من يده فاخذه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال له من يمنعك منى فقال له كن خير آخذ واسلم فرجع الى قومه وقال جئتكم من عند خير الناس (وقد حكى مثل هذه الحكاية) وفى كثير من النسخ حكيت مثل هذه الحكاية بتاء التأنيث لان المضاف يكتسب التأنيث من المضاف اليه كقوله * كما شرقت صدر القناة من الدم * وهو كثير وجعله صفة مؤنث مقدر اى حكاية مثل هذه الى آخره كما قيل تكلف لاحاجة اليه وفى بعض النسخ وقد حكيت

هذه الحكاية وهى ظاهرة بحسب اللفظ والاولى اظهر بحسب المعنى (وانها جرت له)
صلى الله عليه وسلم اى وقعت (يوم بدر) اى فى وقعة بدر يقال جرا لنا كذا اى وقع
وهو مجاز من الجرى فاستعير لما ذكر ثم صار حقيقة عرفية فيه وقوله (وقد انفرد من
صحابه) جملة حالية من ضميره اى منفردا عنهم (لقضاء حاجته) كناية عن البراز مشهورة
(فتبعه رجل من المنافقين وذكر مثله) بالنصب مفعول ذكر ومما ثلته له فى سل سيفه
وقوله من يمنعك ونحوه مما ذكر قبله وهذا الرجل لا يعرف كما قاله البرهان والحديث
لم يخرج ايضا (وقد روى) ورواه ابن اسحق فى سيرته عن جابر بن عبد الله رضى الله
عنهما (انه وقع له) صلى الله عليه وسلم (مثلها) اى مثل هذه الحكاية والواقعة
(فى غزوة غطفان) بغين معجمة وطاء مهملة مفتوحتين وهى قبيلة مشهورة غزاها
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى سرية نحو اربعمائة وخمسين فارسا فى ربيع الاول
بعد خمسة اشهر من الهجرة (بذى امر) بهمزة وميم مفتوحتين وراء مهملة وهو
اسم مكان ويسمى غزوة غطفان وغزوة انمار وغزوة ذى امر وانمار اسم ذلك المكان
ايضا (مع رجل) متعلق بوقع (اسمه دعثور) بضم الدال وسكون العين المهملتين
ومثلثة وواو ساكنة وراء مهملة وهو علم بزنة بهلول منقول من اسم الحوض الصغير
(ابن الحارث) وهو رجل من بنى محارب وتقدم ان غورث بن الحارث وقال ابن سيد الناس
فى غزوة ذات الرقاع ان الخبرين والرجلين واحد وكان جمع بين ثعلبة ومحارب للاغارة
على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلما سمع بذلك خرج لحربه واستخلف على
المدينة عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه فهربوا فى رأس الجبال وكان قبل ذلك
يدعى انه يهجم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غرته ويقتله فكان منه مثل هذه
القصة (و) روى (ان الرجل اسلم فلما رجع الى قومه الذين اغروه به) اى حرضوه على
الفتك برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فعصمه الله تعالى منه (وكان) ذلك
الرجل (سيدهم واشجعهم) جملة معترضة بين لما وجوابها بيان لسبب اغرائهم له
واقدامه على ذلك (قالوا له) جواب لما (اينما كنت تقول) انكار عليه لما هرب وقد
كان يقول انى اقتل محمدا (وقد امكنك) فاعله ضمير مستتر يرجع لما وامكنه الامر
اذا لم يمنعه مانع فصار ممكنا له ويجوز ان يكون للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم لعلمه
من السياق اى تمكنت منه لمصادفتك له وحده ومعه سيف مسلول فى يده (فقال انى
نظرت الى رجل ابيض طويل) حال بينى وبينه و(دفع فى صدرى فوقعت لظهرى)
اى وقعت على ظهرى لشدة دفعه وقوته (وسقط السيف) الذى كان بيدى (من يدى
فعرفت انه) اى الرجل الذى دفعنى (ملك) لانه لم يكن ثمة احد حين هجمت عليه
ولا قوة دفعه ومهابته لبست مما عهدته (واسلمت) لما شاهدته مما يدل على نبوته قال
ابن اسحق اصابه صلى الله عليه وسلم فى بعض اسفاره مطر فنزع ثوبه ونشره

على شجرة ليجف واضطجع تحته فقالوا لدعثور انفرد محمد فعليك به فاقبل
بسيفه حتى قام على رأسه وقال من يمنعك اليوم منى فقال الله فتمثل له جبريل عليه
السلام ورفع فى صدره فوقع سيفه فاخذه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
وقال له من يمنعك منى فقال لا احد وانا اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله ورجع
لقومه ودعاهم للاسلام (قيل وفيه) اى فى هذا الرجل وقصته (نزلت) هذه الآية
(يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم الآية) وفى سبب نزولها اقوال
اخر فقيل نزلت بعسفان لما شرعت صلاة الخوف وقيل فى بنى قريظة وقيل فى
بنى النضير كما سيأتى (وفى رواية الخطابى) وهو حمد او احمد بن محمد بن ابراهيم
الامام الجليل فى العلوم الشرعية ينسب لجده الخطاب وقيل لزيد بن الخطاب
اخى امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وتآليفه جليلة مشهورة
ككتاب الآثار وشرح السنن وغيره (ان غورث بن الحارث المحاربى) منسوب
لمحارب القبيلة المشهورة وفى نسخة غويرث بالتصغير كما تقدم وقدمر ان ابن
سيد الناس قال فى غزوة ذات الرقاع فى دعثور بن الحارث ان المذكور فى غزوة ذى امر
من الخبر يشبه هذا الخبر فالظاهر ان الخبرين واحد وقال الذهبى فى التجريد دعثور بن
الحارث الغطفانى الاشبه انه غورث وقال البرهان انه ضبب عليه فهو عنده غلط
وفى هامش نسخته من الشفاء عوض دعثور غورث وعليها علامة نسخة وصحت
ايضا انتهى وهو كلام مضطرب يحتاج للتحرير (اراد ان يفتك بالنبى
صلى الله تعالى عليه وسلم) يفتك مثلث التاء من الفتك وهو الهجوم من حيث
لا يشعر به على امر عظيم فيه مخاطرة ويطلق ويراد به القتل مطلقا وقيل
الفتك القتل مجاهرة (فلم يشعر به) اى لم يعلمه ويحس به فى حال من الاحوال (الا
وهو قائم على رأسه) المراد بقيامه على رأسه وقوفه خلفه متصلا به (منتضيا)
بضاد معجمة ومثناة تحتية اى مجردا وسالا (سيفه) ليضربه به فلما رآه (قال)
صلى الله تعالى عليه وسلم (اللهم اكفنيه بما شئت) الضمير لغورث وبما شئت ما موصولة
عائدها مقدر اى بالامر والسبب الذى شئته واردته والمراد تفويض امر كفايته
الى الله وتسليم امره له كما ورد اللهم اكفنا السوء بما شئت وكيف شئت وهو اقرب الى
الاجابة من تعيين ما يدفعه عنه (ف) عقب قوله من غير مهلة (انكب لوجهه) اللام
بمعنى على اى سقط على وجهه يقال كبه فاكب وانكب اذا وقع وثلاثيه متعد ومزيده
لازم على خلاف القياس واللام بمعنى على كما فى قوله *فخر صريعا لليدين وللفم*
وقوله (من زلخة) متعلق بانكب والزلخة بضم الزاى المعجمة وفتح اللام المشددة وخاء
معجمة وتاء كغيره وروى بعضهم تخفيف لام زلخة (زلخها) بضم الزاء وتشديد اللام
المكسورة وخاء مفتوحة معجمة وهاء ضمير للزلخة وقرأ بعضهم بالجيم وهو غلط
كما قاله الخطابى وهو ماض مجهول متعد لمفعولين من باب اعطا وفاعله الله والمراد
اوجدها الله حين سل السيف وقوله (بين كتفيه) لا ينافى تفسير الزلخة المذكور فان

مابين كتفيه من اعلى الظهر فهو تأسيس واشارة لعلة سقوط سيفه فانه اذا امتد للكتفين ضعفت اليد عن حمله (وندر سيفه من يده) اى من داخل قبضة كفه واصابعه وندر بنون ودال مهملة مفتوحتين وراء مهملة اى سقط يقال ندر اذا خرج وسقط من جوف اومن بين اشياء (والزلخة وجع) يأخذ فى (الظهر) فيمنع الانسان من الحركة من الزلخ وهو الذلل ويقال لزخلوفة تلعب بها الصبيان (وقيل) اى قال غير الخطابى (فى قصته) اى قصة غورث (غير هذا) المذكور من ارادته الفتك فانه روى انه جمع ناسا للاغارة على المسلمين فلما خرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لهم هربوا فى رؤس الجبال كامر (وان) الامر والشان فضميره مقدر (فيه) اى فى غورث (نزلت) آية (يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم الآيه وقيل كان صلى الله تعالى عليه وسلم يخاف قريشا فلما نزلت هذه) وهى يا ايها الذين آمنوا الى آخره وقوله والله يعصمك من الناس (استلقى) اى نام صلى الله تعالى عليه وسلم واضعا ظهره على الارض لامنه اعداه واطمينان قلبه (ثم قال من شاء فليخذلنى) بخاء وذال معجمتين والخذ لان ترك النصرة واللام للامر وظاهره غير مراد فانه انشاء بمعنى الخبر اى غنى عن المعين والحرس لان الله حمانى وضمن فى ان لا يضر فى احد يصل الى ولذا استلقى على ظهره واظهر هيئة لامن والمتبرى من حوله وقوته اعتمادا على وعد الله وحكاه بقيل لانه يقتضى ان هذا الآية مكية لان خوفه من قريش انما كان بمكة وسورة المائدة كلها مدنية على الصحيح وتكرر النزول بعيد كما تقدم (وذكر عبد بن حميد) الحافظ المشهور وقد تقدم بيانه وهذا رواه ابن جرير فى تفسيره مرسلا (قال كانت حمالة الحطب) وهى ام جميل بنت حرب بن امية اخت ابى سفيان ابن حرب زوجة ابى لهب وسميت حمالة لانها كانت تضع (العضاة) بغين وضاد معجمتين واحدة الغضا وهو شجر له شوك اذا اوقد كان شديد الاحراق فلذا قالوا نار الغضا النار القوية وقوله (وهى جمر) يحتمل ان يكون تفسيرا للغضاء لانه يطلق على ناره كما يطلق على محله قال * فسقى الغضا والساكنية وان وهم * تسبوه بين جوانحى وضلوعى * وان يكون حالا من الغضا وجمر بمعنى متوقدة اى تضعه حالة كونه جمرا (على طريق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) وثمرة من بيته للحرم وغيره تقصد بذلك ان يمشى عليه فيؤذيه ويؤثر فى قدمه وقد قيل فى تسميتها حمالة الحطب وجوه اخر مذكورة فى التفاسير منها انه على ظاهره ومنها انه عبارة عن النميمة وحمل الاوزار (فكان) صلى الله تعالى عليه وسلم وفى نسخة فكانما بزيادة ما (يطوها) اى يضع قدمه على تلك الغضاة وهو حاف او بنعل يؤثر مثلها فيه فيجدها (كثيبا) بالمثلثة ومثناة تحتية وموحدة وهو ما اجتمع من الرمل (اهيل) مبنى للمجهول يقال هال الرمل اذا اساله ولم يجمعه كالربوة والمشى عليه حينئذ اسهل ا

والين

والين اى يجده صلى الله تعالى عليه وسلم سهلا لا يؤذيه كما كانت نار الخليل عليه الصلوة والسلام قال ابن نفيل * يمشين هيل النقا لانت بجوانبه * ينهال حينا وينهاه الثرى حينا * (وذكر ابن اسحق) امام اهل السير وهو محمد بن اسحق بن يسار الامام الثقة الصدوق وان طعن فيه بعضهم وترجمته مفصلة فى الميزان وغيره (انها لما بلغها نزول) سورة (تبت يدا ابى لهب وذكرها) مصدر مرفوع معطوف على نزول (بما ذكرها الله) به (مع زوجها من الذم) بيان لما وهو ما فى السورة (أتت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو جالس فى المسجد ومعه ابو بكر رضى الله تعالى عنه وفى يدها فهر) بكسر الفاء وسكون الهاء وراء مهملة وهو حجر ملء الكف اوهو الحجر مطلقا وهو فى قوله يهود خرجوا من فهرهم بيت دراستهم كلمة معربة اصلها بهر بالباء وقوله (من حجارة) بيان لفهر (فلما وقفت عليهما) اى على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وابى بكر (لم تر الا ابا بكر واخذ الله ببصرها) اى قبض وحبس نظرها (عن نبيه صلى الله عليه وسلم) اى عن رؤيته وهو جالس عندها فاخفاه الله تعالى عصمة له صلى الله تعالى عليه وسلم عن اذيتها وهذا يقتضى ان عصمته صلى الله تعالى عليه وسلم كانت ثابتة قبل الهجرة كما تقدم (فقالت يا ابا بكر اين صاحبك فقد بلغنى انه يهجونى) اى يذمنى على ان الهجو لا يختص بالشعر حقيقة اومجازا وهو منها لتوهمها انه شاعر كما ادعاه غيرها تريد به ما نزل فى حقها فى سورة تبت (والله لو وجدته لضربته بهذا الفهر فاه) حصته لانه محل النطق بذمها فرجعت خائبة وهذا رواه البيهقى وغيره عن اسماء بنت ابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنها كما رواه ابن اسحق (و) روى ابو نعيم فى الدلائل والطبرانى بسند جيد (عن الحكم بن ابى العاص) والد مروان وهو ممن اسلم عام الفتح وتوفى فى خلافة عثمان فى الصحابة من وافقه فى اسمه واسم ابيه ولكن المشهور هو هذا فلذا لم يميزه المصنف (تواعدنا على النبى صلى الله عليه وسلم) اى تواعد هو وبعض الكفرة على قتله صلى الله تعالى عليه وسلم والفتك به فى بعض الليالى وخرجنا فى الميعاد فوقفنا نرقبه (حتى اذا رأيناه) اى لما قرب منا وابصرناه بحيث تمكنا منه (سمعنا صوتا) اى صيحة عظيمة (خلفنا) اى من خلفنا (ماظننا انه لم يبق بتهامة احد) ما يحتمل ان تكون زائدة ان كان التقدير انه لم يبق احد بتهامة الا وقد هلك بتلك الصيحة وان تكون نافية اذا اريد ان جميع اهل تهامة صاحوا علينا صيحة واحدة وقد لحقونا لتقتلونا والمعنى انا تيقنا وجودهم خلفنا والمعنيان متقاربان والمآل واحد ولهم هنا كلام لم يفصح بالمراد وتهامة بكسر التاء معناها ارض منخفضة ويقابلها نجد من التهم وهو الانخفاض اوشدة الحر وركود الريح اولتغير هواءها يقال تهم الدهر اذا تغير وهى ارض معينة وراء مكة من المغرب من ذات عرق الى البحر والمدينة لا تهامية ولا نجدية (فوقعنا مغشيا علينا) من هول تلك

الصعقة والغشى كالاغماء ذهاب العقل مع سقوط القوى (فما افقنا) من ذلك الغشى (حتى قضى صلاته) اى فرغ منها واتمها (ومضى الى اهله) اى رجع صلى الله تعالى عليه وسلم من صلاته بالمسجد الحرام الى منزله ليلا ولم تظفر منه بشئ اردناه (ثم تواعدنا) على ماقصدناه وان نعود لذلك (ليلة اخرى فجئنا حتى اذا رأيناه) بقرب ناوهو مار للمسجد ليصلى به كما فى المرة الاولى (جاءت الصفا والمروة) هما ربوتان مرتفعتان فى محل سعى الحجاج معروفتان والمراد بمجيئهما تحريكهما من مكانهما حتى كانا بينهم وبينه صلى الله تعالى عليه وسلم كما بينه بقوله (فحالت) اى الصفا (بيننا وبينه) فمنعنا من الوصول اليه لعصمة الله تعالى له والصفا كالمروة مؤنثة باعتبار البقعة والربوة وافرد ضميرهما وكان الظاهر فحالتا أو يله بحالت كل واحدة منهما وفى هذا معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم ظاهرة (وعن عمر) بن الخطاب رضى الله تعالى عنه (تواعدت انا) اكد ضميره ليعطف عليه قوله (وابوجهم بن حذيفة) واسمه عامر اوعبيدة بن حذيفة ابن غانم بن عامر العدوى اسلم عام الفتح وصحبه صلى الله تعالى عليه وسلم وكان معظما فى قريش توفى فى ايام معاوية رضى الله تعالى عنه وترجمته معروفة وهو صاحب انبجانية (ليلة) منصوب على الظرفية منون (قتل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) منصوب على انه مفعول له او بنزع الخافض اى على قتله اولقتله او بمقدر اى واضمرنا قتله ونحوه (فجئنا منزله) ليلا خفية (فسمعنا اليه) وفى نسخة له وفى نسخة فتسمعنا اى اطلنا السماع لانكلفناه كما قيل وعداه بالحرف لتضمنه معنى اصغينا لقرائته حتى نسمعها وهو يقرؤ فى صلاة الليل (فافتتح) ابتدأ قرائته (وقرأ الحاقة ما الحاقة) حتى انتهى (الى) قوله (فهل ترى لهم من باقية) يعنى من قوله تعالى * كذبت ثمود وعاد بالقارعة فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية واما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوما فترى القوم فيها صرعى كانهم اعجاز نخل خاوية فهل ترى لهم من باقية * والمراد بالحاقة ماحق وقوعه بهم من الداهية اوالساعة التى وقعت فيهما من حق بمعنى وجب وثبت وقوله وماادراك ما الحاقة تهويل وتعظيم لها والطاغية الداهية المتجاوزة الحد وهى الصيحة اوالرجفة وغايته شديدة العتو والطغيان والحسوم ايام نحسة من صبيحة يوم الاربعا الى اربعا آخر الشهر وقوله فهل ترى لهم من باقية استفهام بمعنى النفى اى ماترى لهم بقية اوبقاء على انه مصدر بزنة فاعلة وهو قليل فى كلامهم اونفسا باقية (فضرب ابوجهم على عضد عمر رضى الله تعالى عنه وقال) لعمر رضى الله تعالى عنه (انج) اى قم لتنج من وقوع الهلاك بك خوفا من ان يحل بهما ما حل بثمود وعاد لانهما كانا مكذبين له عما كذب اولئك رسلهم (وفرا هاربين) اى قاما من محلهما مسرعين جادين فى الهرب لخوفهما مما ذكر وهو كقوله تعالى * فتبسم ضاحكا *

فهاربين حال مؤكدة وعلى الاول هو تجريد نحوى (فكان) اى ما ذكر من هذه القضية (من مقدمات اسلام عمر رضى الله تعالى عنه) لتأثيرها فى قلبه فاسلم بعدها بمدة يسيرة وهذا الحديث لم يوجد بهذا اللفظ الا انه فى مسند احمد بما يقرب منه وهو ان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قال خرجت ليلة لاتعرض لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قبل ان اسلم فوجدته قد سبقنى الى المسجد فقمت خلفه فاستفتح الحاقة فجلست اتعجب من تأليف القرأن وقلت والله ماهو بشاعر كما قالت قريش فقرأ انه لقول رسول كريم وماهو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون فقلت هو كاهن فقرأ * ولابقول كاهن قليلا ماتذكرون تنزيل من رب العالمين * الى آخره فوقع الاسلام فى قلبى كل موقع ولبس فيه انه صحب اباجهم وفى التعبير بمن التبعيضية اشارة الى ان له مقدمات اخر الى ان اسلم لما سمع سورة طه فى بيت اخته فى قصته المشهورة (ومنه) اى مما يشهد لان الله تعالى عصمه صلى الله تعالى عليه وسلم من اعدائه (العبرة المشهورة) بكسر العين وسكون الموحدة وهو الامر العجيب الذى يعتبر به ويتعظ من الاعتبار والعبرة هى الحالة التى يتوصل بها من معرفة الشاهد الى الغائب من العبور ومنه العبارة واشار بقوله المشهورة الى انها ثابتة مشهورة بين المحدثين غير محتاجة الى النقل من كتاب معين (والكفاية التامة) اى كون الله تعالى عصمه وصانه صيانة تامة ليست ككفاية غيره كما قال الله تعالى عز وجل * ياايها النبى حسبك الله * (عند ما اخافته قريش) تفعل من الخوف وهو توقع المكروه يقال خوفه واخافه اذا فعل او قال ما يدل على انه يهم بايقاع المكروه به وفسره بقوله (واجتمعت على قتله) اى اتفقوا على ذلك الاقليل منهم لقلتهم لم يعدوا (ويبتوه) اى قصدوا قتله وايقاعه ليلا فى خفية قال الراغب التبييت قصدا لعدو ليلا ويقال لكل فعل دبر بالليل بيت قال الله تعالى اذ يبيتون مالايرضى من القول وعلى هذا حديث لاصيام لمن لم يبيت الصيام من الليل وبات موضوعة لما يفعل بالليل كظل لما يفعل بالنهار انتهى ويقال هذا امر بيت بليل اى دبر فعله ليلا لتوقع عليه على غيره (فخرج صلى الله تعالى عليه وسلم من بيته) وهم لايشعرون كما رواه ابن اسحق والبيهقى (فقام على رؤسهم) اى وقف عندهم وهم نيام (وقد ضرب الله على ابصارهم) اى لم يحسوا به ويروه لاستغراقهم بالنوم وحجب عيونهم عنه وقد كانوا احاطوا بيته ليقتلوه عليه الصلوة والسلام (وذر) بذال معجمة وراء مهملة مشددة اى نثر (التراب على رؤسهم) اهانة لهم (وخلص منهم) اى نجا مما دبروه وهموا به واصل ذلك كما قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان قريشا حين اسلم الانصار رضى الله عنهم خافوا ان يتفاقم امره عليه الصلوة والسلام عليهم فاجتمع كبارهم فى دار الندوة واتفقوا على قتله وبيتوه فخرج عليهم

وفعل ماذكر وذهب الى الغار مهاجرا الى الله كما فصل فى السير وذكر فيها هؤلاء الذين اجتمعوا وبيتوا باسمائهم وانهم نحو مائة وانه صلى الله تعالى عليه وسلم خرج من ظهر البيت وطأطأت له جارية اسمها مارية خادمته حتى تسور الجدار الذى من ظهر البيت (وحمايته) اى حماية الله له صلى الله عليه وسلم منهم وحفظه بعصمته من اعدائه ومنعهم (عن رؤيتهم) اياه وابا بكر وهما (فى الغار) اى غار ثور وثور اسم جبل بيمنة مكة والغار كالمغار نقرة فى الجبل كالبيت وسمى بثور بن عبد مناف لنزوله به ويقال له ثور المحل وهو اسم جبل آخر خلف احد (بما هيأ الله) اى بما اعده ويسره له والجار متعلق بحمايته والباء للسببية العادية (من الآيات) بيان لما اى المعجزات والعلامات الدالة على نبوته وصدقه وعصمته (ومن العنكبوت الذى نسج عليه) نسج سين من طرفة عين والعنكبوت دويبة معروفة يذكر ويؤنث ونسجها خيوط دقيقة تمدها فى الهواء لصيد الذباب وانما يكون ذلك فى مكان خال لا يمر به شئ (حتى قال امية بن خلف) احد صناديد قريش وقد تقدم انه مات كافرا بسرف وهو اسم موضع معروف (حين قالوا) اى كفرة قريش لما قصدوا اثره صلى الله تعالى عليه وسلم وانتهوا الى فم ذلك الغار (فدخل الغار) لتفتشه لاحتمال انه مختف به (ما اربكم) بفتح الهمزة والراء المهملة والموحدة ويجوز كسر الهمزة وتسكين الراء وهو الحاجة المطلوبة وما استفهامية او نافية اى ليس لكم مطلوب وهو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ولا حاجة (فيه) اى فى الغار (وعليه) اى على فم الغار ومدخله وروى ما اربكم من الريبة اى ما اوقعكم فى الشك فيما لا شك فيه (من نسج العنكبوت ما ارى) بضم الهمزة وفتحها اى اظن واعتقد (انه) قديم (قبل ان يولد محمد) اى قبل وجوده وولادته لان مثله لا يكون الا فى مدة طويلة وفيه معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم كما قيل

* ألفنى فى لظى فان احرقتنى * فتيقن ان لست بالياقوت *
* جمع النسج كل من حاك لكن * ليس داود فيه كالعنكبوت *

وقال الابوصيرى رحمه الله تعالى

* وقاية الله اغنت عن مضاعفة * من الدروع وعن عال من الاطم *

(ووقعت حمامتان) ذكر وانثى على عش فيه بيض لهما ومثله لا يكون الا فى محل خال من الناس ووقفت بالفاء وروى بالعين المهملة من وقوع الطائر وهو نزول بمحل (على فم الغار) اى مدخله (فقال قريش لو كان فيه) اى فى الغار (احد لما كان هناك الحمام) لما عرفته آنفا وفى نسخة هنالك باللام وهو اسم اشارة للمكان وقصة الحمام كما رواه البزار مسندا وغيره ان الله امر العنكبوت فنسجت على فم الغار وارسل حمامتين وحشيتين فوقعتا على وجهه فصد به المشركين عنه وحمام مكة من فراخهما وفى المواهب ان الحمامتين باضتا فى اسفل فم الغار ونسج العنكبوت عليه فقالوا

لودخلاه بكسر البيض وزال النسج وروى ايضا كما تقدم انه نبت فى فمه شجرة صغيرة تسمى شجر الراء وهى شجرة مقدار القامة لها زهر وشئ كالقطن يحشى به الوسائد كما امرها الله بان تنبت لتسترهما لما اقبل فتيان من قريش باسلحتهم حتى اتوا الغار فلما رأوا ما به من الامور المذكورة رجعوا وقال ابو بكر لو نظر احدهم الى قدمه رآنا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ظنك باثنين الله ثالثهما وقد قص القافة اثرها فانتهى للغار فلما رآهم ابو بكر اشتد حزنه على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال ان قتلت انا فانما انا رجل واحد وان قتلت انت هلكت الامة فقال له لا تحزن ان الله معنا فانظر قوله لا تحزن دون لا تخف فان فيه اشارة الى انه لم يخف على نفسه وانما حزن على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وامته لانه احب اليه من نفسه وكل شئ واسع ابو بكر فى هذه الليلة غير مرة فخرق ثوبه وجعله فى الشقوق التى فى الغار وشد بعضها بقدمه آنفا لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واقام فى ثلاثة ايام ثم خرج منه فلقيه سراقة ولذلك ذكر المصنف قصته عقب ذلك بقوله (وقصته) صلى الله عليه وسلم اى ومما يدل على عصمة الله له وحمايته سيرته الواقعة له (مع سراقة ابن مالك ابن جعشم) بضم الجيم والشين وروى فتح شينه ايضا وفى بعض النسخ شجعم بتقديم الشين كما فى المقتفى وفيه نظر وقصته فى الصحيحين وهى مشهورة فانهم كما ذكره المصنف جعلوا لكل من دل عليه صلى الله تعالى عليه وسلم جعلا عظيما وهوان لكل من اتى به او قتله ديته فلما خرج من الغار رآه سراقة وكان ينزل بقديد بين مكة والمدينة وهو من جملة من توجه اليه لطلبه فركب فرسه ليدركه فلما دنا منه صلى الله عليه وسلم ساخت قوائم فرسه الى ابطها فى الارض لدعائه عليه كما يأتى بقوله اللهم اكفنا سراقة ثم ان الله هداه للاسلام فاسلم فى مرجع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من حنين فهو صحابى مدلجى حجازى كنانى وهو الذى اخبره رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بلبس سوارى كسرى لما رأى ذراعيه دقيقتين اشعرين فى حديثه المشهور المتقدم وقوله (حين الهجرة) اى فى وقت هجرته من مكة الى المدينة وذكر ابن سعد ان سراقة عارضهم يوم الثلاثا بقديد والهجرة ترك الوطن من الهجر وهو بكسر الهاء وفتحها وقد تضم (وقد جعلت قريش) جملة حالية وجعلت من الجعل وهو ما يعطى فى مقابلة عمل ما (فيه) اى فى شان رسول الله والاخبار به (وفى ابى بكر) لانه كان رضى الله عنه معه كما علمت (الجعايل) جمع جعيلة وهى كالجعالة معنى والجعالة مثلثة الجيم ويقال جعال ككتاب وجعل بزنة قفل ومعناه تقدم وتلك الجعالة كما قاله السهيلى كانت مائة ناقة اى حمراء كما قاله الماوردى فى الاعلام (واندر به) بالبناء للمجهول اى اعلم سراقة بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم يقال انذرته بكذا بنون ومعجمة اى اعلمته ويكون الانذار بمعنى التخويف ايضا وكيفية

الاعلام مشهورة فى السير ايضا وحاصلها ان رجلا اتى سراقة وقال له انى رأيت اسودة بالساحل اظنهم محمدا واصحابه فقال بعد ما عرف انهم هم لبسوا هؤلاء ثم اخرج بعد ذلك فرسه وذهب خلفهم فكان ماذكره المصنف رحمه الله تعالى بقوله (فركب فرسه واتبعه حتى اذا قرب منه دعا عليه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فساخت قوائم فرسه) اى غاصت فى الارض ودخلت فيها حتى كادت تبتلعها وتخسف من تحتها يقال ساخ يسوخ ويسيخ بسين مهملة وخاء معجمة فى آخره بمعنى غاص ودخل وبمعنى الخسف فيقال ساخ الفرس وساخت الارض وهما بمعنى واحد يختلف باختلاف المسند اليه وهذا مما اتفقت عليه كلمة اهل اللغة وفى القاموس ساخت قوائمه ثاخت والشئ رسب والارض بهم سيوخا انتهى وثاخت فى تفسيره بثاء مثلثة بمعنى غاصت كما ذكره فى فصله وقد تحرف على الشارح الجديد فتوهم انه ناخت بنون بمعنى بركت فقال لا ينبغى هذا والذى ينبغى ان يفسره بغاصت وهو غلط فاحش منه وقوائم الفرس رجلاها ويداها (فخر عنها) اى سقط من فوق ورمى نفسه عنها خوفا من ان تخسف به الارض فيهلك لدعاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عليه لما لحقهم وضمير عنها للفرس لانها تذكر وتؤنث ويقع على الذكر والانثى وقد قيل انها كانت انثى تسمى العود وقد نقل بعض اهل السير ان الصديق رضى الله تعالى عنه له قصيدة قص فيها هذه القصة منها

* حتى اذا قلت قد انجدن عارضها * من مدلج قابس فى منصب وارى *
* يردى به مشرف الاقطار معتزم * كالسيد ذى اللبدة المستأسد الضارى *
* فقال كروا فقلنا ان كرتنا * من دونها لك نصر الخالق البارى *
* ان تخسف الارض بالاحدى وفارسه * فانظر الى اربع فى الارض عوار *
* فهيل لما رأى ارساخ مهرته * قد سخن فى الارض لم يحفر بحفار *
* فقال هل لكم ان تطلقوا فرسى * وتأخذوا موثقى فى نصح اسرارى *

(واستقسم بالازلام) جمع زلم بفتحتين وبضم وفتح بزنة عمر وهى قداح اى سهام لاريش لها ولا نصل كانوا فى الجاهلية يكتبون على بعضها افعل وعلى بعضها لا افعل ويضعونها فى متاعهم اذا سافروا فاذا عرض لهم مهم اخرجوا منها زلما يتفألون به فيفعلون او يتركون وهو معنى الاستقسام اى طلب ما قسم وقدر له وقيل كان يكتب على بعضها امرنى ربى وعلى بعضها نهانى ربى وبعضها غفل اى خال عن الكتابة فاذا خرج غير الغفل عملوا به وان خرج غير الغفل اعادوا حتى يخرج غيره ويسمون ذلك استقساما ولهم ازلام اخر اى سهام كانت فى الكعبة مكتوب عليها النوازل وهى التى استقسم بها عبد المطلب على ذبح ولده وكذا كان عند كهانهم ولهم مثلها اقداح الميسر السبعة التى كانوا يتقامرون بها وقيل الازلام

حصى صغار يتفأل بها والصحيح الاول (فخرج له) اى لسراقة (ما يكره) اى مالم يرده لانه اتى ليرده صلى الله تعالى عليه وسلم وابابكر ويأخذ من قريش الجعل المتقدم فخرج له لا تغفل فلم يلتفت (ثم ركب) فرسه ثانيا بعد ما سقط عنها وساخت قوائمها (ودنا) اى قرب من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو سائر يقرؤ (حتى اذا سمع قراءة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو لا يلتفت) له لعدم مبالاته ولاعتماده على ربه (و) كان (ابو بكر يلتفت) ورآه لخوفه على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اوليرى ما يصدر من سراقة وخوفه لشدة حبه وان كان قال له فى الغار لا تحزن ان الله معنا لانه قد يتوهم انه مخصوص بذلك الوقت فتدبر (فقال) ابو بكر (له) صلى الله تعالى عليه وسلم (اتينا) بالبناء للمجهول اى اتانا العدو وادركنا من يطلبنا منهم (فقال) له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (لا تحزن) ولا تخف ممن اتانا (ان الله معنا) اى مصاحبا لنا بتأييده ونصره وحفظه وعصمته لنا من جميع الاعداء فلا تخف ممن لحقنا منهم ولذا لم يلتفت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لتمكنه وشدة ثقته وحزن ابى بكر رضى الله تعالى عنه لخوفه وشفقته على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما مر وليس بمعصية لنهى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عنه لانه امر طبيعى ولا نسيانا لقوله له فى الغار فان المحب ظنين وضنين بمحبوبه لاسيما هذا الرسول العظيم وليس هنا ما يحتاج لجزيل البيان فانه تطويل بغير طائل (فساخت) قوائم فرس سراقة مرة (ثانية) بعد المرة الاولى (الى ركبتيها) تثنية ركبة هى ما بأمن يديها ورجليها (وخر عنها) اى وقع وسقط عن فرسه لما ساخت وانكبت على وجهها (وزجرها) اى صاح عليها (فنهضت) اى قامت وخلصت قوائمها من الارض (ولقوائمها مثل الدخان) اى غبار مرتفع فى الجو كانه دخان كما ورد التصريح به فى السير قال ابن سيد الناس ولقوائمها عثان مثل الدخان والعثان بضم العين المهملة ومثلثة هو الغبار هنا ويكون بمعنى الدخان والدخان بضم الدال وتخفيف الخاء وقد تشدد ويقال دخ ودخن والكل بمعنى وفى رواية ولقوائمها دخان وهو استعارة للغبار (فناداهم) اى نادى سراقة رسول الله وابا بكر الصديق وعامر بن فهيرة رفيقهما (بالامان) اى رفع صوته به قائلا لهم الامان الامان كما يفعله الناس والمراد تأمينهم منه وانهم لا يلحقهم منه ضرر وخوف باخباره الاعداء اوطلب منهم والمراد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان يعطوه امانا فلا يلحقه ضرر لخوفه منه ومن دعائه عليه وقد ورد التصريح بالامانين فى سيرة ابن اسحق والى الثانى اشار بقوله (فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم امانا) اى امر بكتابته له فالاسناد مجازى لقوله (كتبه) اى كتاب الامان وهو رفعة ابن آدم وفى رواية ابن اسحق يكتب لى كتابا فى عظم اورقعة اوخرقة ثم القاه الى فاخذته ثم جعلته فى كنانتى ثم رجعت (ابن فهيرة) مصغر فهرة

وهو عامر بن فهيرة مولى ابى بكرة رضى الله تعالى عنه وهو من مولى الازد مملوك للطفيل فاشتراه ابو بكر رضى الله تعالى عنه منه واعتقه واسلم وكان يرعى غنما لابى بكر رضى الله تعالى عنه ويجئ لهما كل ليلة فى الغار باللبن يتغديانه ثم هاجر معهما وشهد بدرا واحدا وقتل ببئر معونة فلم يوجد جسده مع القتلى فيقال ان الملائكة دفنته وقيل رفعته الى السماء (وقيل) كتبه (ابو بكر رضى الله تعالى عنه) وجمع بينهما بان ابن فهيرة كتبه اولا فلم يرض سراقة بكتابته وطلب كتابة ابى بكر رضى الله تعالى عنه لشرفه وشهرته فكتبه له وللنبى صلى الله تعالى عليه وسلم كتاب تزيد على الاربعين مذكور فى المفصلات وافردهم ابن ابى الحديد بتأليف مستقل (واخبرهم) اى اخبر سراقة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وابا بكر رضى الله تعالى عنه وابن فهيرة (بالاخبار) اى باخبار قريش وما جرى منهم بعد خروجهم من مكة وجعلهم الجعائل ان لمن اتى بهم اوقتلهم ديتهم كامر (وامره النبى صلى الله عليه وسلم) اى امر سراقة (ان لايترك احدا) من قريش اى لايدع احدا ويمكنه باخبارهم حتى (يلحق بهم) اى يسير خلفهم ويصل اليهم بان يقول لم ارهم ونحوه ولو كذبا اذ هو يجوز عند الضرورة والحاجة وقد يجب وفى حديث انس رضى الله تعالى عنه فقال يانبى الله مرنى بما شئت قال تقعد مكانك لايتركن احدا يلحق بنا قال فكان اول النهار جاهدا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكان آخر النهار مسلحة له (فانصرف) اى رجع سراقة عنهم حال كونهم (يقول للناس) جملة حالية مضارعية لاتقترن بواو وفى الفصيح اى قائلا للناس والمراد بالناس ان كان من لقيهم ممن ذهب لطلبهم فقوله (كفيتم ما ههنا) معناه ارجعوا كفيتم الطلب فانى لم اجدهم وما موصولة ويحتمل ان تكون نافية اى ماهنا احد وان كان المراد النبى ورفيقاه فالمعنى عصمتهم وسلمتم مما ههنا من الخوف والى كلا الوجهين ذهب الشراح وفى الشرح الجديد خلط هنا غنى عن المراد وذكر بن سعد رضى الله تعالى عنه انه لما رجع قال لقريش قد عرفتم بصرى بالطريق وبالاثر وقد استبرأت لكم فلم ار شيئا فرجعوا (وقيل بل قال لهما) اى للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وابى بكر رضى الله تعالى عنه ولم يذكر ابن فهيرة لانه انما خاف دعاهما لاعتقاده فيهما (اراكما دعوتما على) فلذا كادت الارض تبتلعنى (فادعوا لى) بالسلامة (فدعواله فنجا) اى ذهب امنا مما خافه (ووقع فى نفسه) اى خطر بباله ووقر فى قلبه واعتقد لما شاهده (ظهور النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى ظهوره على اعدائه وغلبتهم وظهور نبوته وعلو شانه وكان ذلك من مقدمات اسلامه قال ابن اسحق وقال ابو جهل لما بلغه مالقى سراقة فلامه فى تركهم فانشده

* اباحكم واللات لوكنت شاهدا * لامر جوادى اذ تسيخ قوايمه *
* عجبت ولم تشكك بان محمدا * نبى وبرهان فمن ذا يكاتمه *

(وفى خبر آخر) يتعلق بما نحن فيه الا انه قيل انه لايعرف من رواه (ان راعيا) من رعاة الغنم فى البرية (عرف خبرهما) اى خبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بوقوفه على مكانهما فى الغار (فخرج) الراعى من محله (يشتد) اى يسرع فى مشيه قال الراغب اشتد اذا اسرع يجوز ان يكون من قولهم اشتدت الريح انتهى وانما اسرع لاجل ان (يعلم قريشا) بخبرهما ومكانهما (فلما وردالى مكة) اى جاها من محله الذى رعى فيه الغنم واصل الورود المجئ للماء فاستعير للغريب القادم لحاجة ثم عم لكل جاء وشاع فيه حتى صار حقيقة فيه (ضرب) بالبناء للمجهول اى ضرب الله (على قلبه) اى منع من الادراك وذهل عما جاء له كقوله تعالى * وضربنا على آذانهم * وهو مستعار من ضرب الخيمة فى الارض ليضرب اوتادها واصله ايقاع شئ على شئ كما قاله الراغب فليس كناية عن الذهول والغفلة كما قيل (فمايدرى) ويعرف (مايصنع) ويقول (وانسى) مجهول ايضا (ماخرج له) اى ماجاء له من مكانه الذى خرج منه (حتى رجع الى موضعه) الذى جاء منه وهذه معجزة ظاهرة وعصمة قوية (و) فى دلائل ابى نعيم عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه صلى الله تعالى عليه وسلم (جاءه فيماذكر ابن اسحق) فى سيرته (وغيره ابو جهل) عمرو بن هشام فرعون هذه الامة لعنه الله تعالى وهو فاعل جاء وقوله (بصخرة) متعلق به اى بحجر عظيم (وهو) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى المسجد (ساجد وقريش ينظرون) له مايصنع وكان ذهب (ليطرحها) اى ليرمى الصخرة (عليه) وفى نسخة هنا وقد كان حلفه ان رآه ساجدا ليدمغنه اى ليضربه بها ضربة بكسر رأسه وتقلع دماغه وتسمى هذه الدامغة احد الشجاج التى ذكرها الفقهاء فى الجنايات (فلذقت) الصخرة بيده ولم يقع عليه صلى الله تعالى عليه وسلم ولذق بلام وزاى معجمة لغة فى لصق بالصاد بمعنى التصق (ويبست يداه الى عنقه) اى تشنجت بحيث لايمكنه تحريكها (واقبل) اى انصرف من مقصده نحو قريش حال كونه (يرجع) اى راجعا (القهقرى) ومعناه (الى خلفه) موليا عن وجهته وفى المغنى القهقرى الرجوع على الدبر وهو قريب منه وهو مفعول مطلق مؤكد للرجوع (ثم سأله) اى سأل ابو جهل لعنه الله تعالى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (ان يدعوله ففعل) اى دعا له صلى الله تعالى عليه وسلم لكرمه وحلمه (فانطلقت يداه) اى عادتا لما كانتا عليه ولم يلتصقا ببركة دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم (وكان) ابو جهل (تواعد مع قريش بذلك) اى يطرح الصخرة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم اذا رآه يصلى (وحلف لئن رآه ساجدا ليدمغنه) اى ليضربنه بصخرة يكسر رأسه ويخرج دماغه وهى احد الشجاج يقال دمغه اذا اصاب دماغه فقتله وهذا مقدم فى بعض النسخ كامر وليدمغنه بفتح الباء وجوز بعضهم ضمها والظاهر الاول (فسألوه) اى سأل قريش اباجهل (عن شانه) اى امره ومامنعه عما قصده (فذكر) لهم (انه) اى الشان اوابو جهل (عرض لى) اى له

كما فى نسخة ففيه التفات وقيل غلب معنى التكلم لان ذكر بمعنى قال (دونه) ظرف اى حال بينى و بينه (فحل) اى جمل عظيم هايج وهو مخصوص بالبعير الذكر (مارأيت مثله) فى عظمته وشدته (قط) اى فى جميع الزمان الماضى وهى ظرف لتوكيد نفى الماضى بفتح القاف وتشديد الطاء المهملة وكسرها وسكونها مخففة (فهم بى) اى عزم على الجملة على والهموم وقوله (ان يأكلنى) بدل اشتمال من ضمير المتكلم اى هم بأكلى (فقال النبى صلى الله عليه وسلم) لما سمعت مقالته لهم (ذاك جبريل) تمثل له بصورة فحل (لودنا) اى قرب ابوجهل من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالصخرة التى اراد طرحها (لاخذه) واكله واهلكه اخذ عزيز مقتدر وتفصيله كما فى دلائل البيهقى والسير ان ابا جهل قال يا معشر قريش ان هذا الرجل قد ابى الاما ترون من عيب ديننا وشتم ابائنا وآلهتنا وتسفيه احلامنا وانى عاهد الله لاجلسن غدا عند الحجر ما اطيق حمله فاذا سجد رضخت به رأسه فامنعونى وليصنع بعد ذلك بنوا عبد مناف ما بدألهم فقالوا والله ما نسلمك لاحد فامض لما تريد فلما اصبح جلس ينتظره صلى الله تعالى عليه وسلم و جلسوا فى انديتهم ينتظرون ماهو فاعل فلما جاء صلى الله تعالى عليه وسلم وصلى فعل ماذكره المصنف رحمه الله تعالى وله وقايع مثل هذه حماه الله منها وعصمه (وذكر السمرقندى) امام الحنفية المشهور وقد تقدمت ترجمته (ان رجلا من بنى المغيرة) ابن عبد الله بن عمرو بن مخزوم جد ابى جهل وهذا الرجل قال البرهان لا اعرفه وقال غيره انه الوليد بن المغيرة وقيل انه ابوجهل (اتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ليقتله فطمس الله بصره) اى غطاه وغشاه حتى لم يره لانه عماه واذهبه بالكلية كما يدل عليه قوله (فلم ير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فرجع الى اصحابه فلم يرهم حتى نادوه) باسمه فعرف مكانهم واتاهم ثم رأهم بعد ذلك بشهادة حتى ويحتمل انه عمى وذهب بصره (وذكر) السمرقندى (نزلت فى هاتين القصتين) اى قصة ابى جهل وقصة هذا الرجل (نزلت انا جعلنا فى اعناقهم اغلالا الآيتين) يعنى فهى الى الاذقان فهم مقمحون وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون قال البغوى فى تفسير هذه الآية نزلت فى ابى جهل ورفيقه المخزومى حين حلف ان رآه صلى الله تعالى عليه وسلم ليرضخن رأسه وذكر ماذكره المصنف رحمه الله تعالى غير قوله ان حال بينه و بينه فحل وقال المخزومى انا اقتله بهذا الحجر فاتاه وهو يصلى فاعماه الله الى آخر ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى وفى تفسير القرطبى انها نزلت على ابى جهل وصاحبيه المخزومى ثم ذكر قصة ابى جهل فان صاحبه الثانى هو الوليد بن المغيرة وانه الذى اعمى الله بصره ولم ير اصحابه حتى نادوه فقال الثالث والله لاشدخن رأسه وانه رجع وقال بعد ما خر مغشيا عليه وسئل عن امره فقال حال بينى و بينه فحل لودنوت منه اكلنى وانه لم ير

مثله فنزلت هذه الآية فقيل انه معارض لما ذكره المصنف رحمه الله تعالى فانه يقتضى ان الذى حال بينه و بينه الفحل الرجل الثانى لا ابا جهل واما كونه من بنى المغيرة او مخزومى فلا منافاة فيه لان كلا نسبه الى احد جديه كما مر واجيب بان قصة ابى جهل تكررت فعلها مرة وحده ورأى الفحل ومرة مع غيره او اقتصر فى هذه الرواية على بعض القصة وفيه نظر والآية على هذا من الاستعارة التمثيلية فشبه يبس يديه وعدم قدرته عن تحريكهما والرمى بمن غلت يده لعنقه وشبه حالهم وما حال بينهم و بينه و بمن بينه و بين مقصده سد مانع عن الوصول وماقيل من ان الآية تعزير لتصميم اهل مكة على كفرهم وابطال الله كيدهم فشبهت حالهم بهذه الحال لا منافاة بينه و بين ماقبله لصدق هذا على ماقبله ومن هذا علم مافى كلام البيضاوى من سؤال يجاب كما بيناه فى حواشيه (ومن ذلك) اى حفظ الله وعصمته (ماذكره ابن اسحق) امام اهل السير فى سيرته (وغيره) كالكلبى فى تفسيره (فى قصته) صلى الله تعالى عليه وسلم (اذ خرج الى بنى قريظة) بالظاء المعجمة وصيغة التصغير كجهينة قبيلة من يهود خيبر معروفة (فى اصحابه) اى فى جماعة منهم ابو بكر وغيره (فجلس) مستندا (الى جدار بعض اطامهم) بالمد والطاء المهملة جمع اطم بضمتين وهو الحصن هنا ويكون بمعنى البيت المربع والقصر (فانبعث) مطاوع بعثه فانبعث اى توجه وقام واصل معنى البعث الاثارة وقيل معناه هنا اسرع واندفع (عمرو بن جحش) بفتح الجيم والحاء المهملة المشددة وآخره شين معجمة وهو من بنى قريظة قتل كافرا (احدهم) اى بنى قريظة (ليطرح) من فوق الجدار (عليه) صلى الله عليه وسلم (رحى) يقتله بها لانه صلى الله تعالى عليه وسلم لما جلس تحت الحائط تخافتوا بينهم وقالوا لن نجدوه على مثل هذه الحالة ابدا فمن يعلوا الجدار و يرسل عليه حجرا يقتله فقال سلام بن مشكم لا تفعلوا فوالله ليخبرن بما هممتم به و يكون هذا سببا لنقض العهد بيننا و بينه فاخبره جبريل عليه الصلوة والسلام بذلك (فقام) النبى صلى الله عليه وسلم (وانصرف الى المدينة) وكان هذا سببا لغزوهم ونقض عهدهم (واعلمهم بقصتهم) اى اخبر بنى قريظة فى نبذ عهدهم واصحابه بعد انصرافه اوقبله وقد اعترض على المصنف رحمه الله تعالى بان هذه القصة ليست مع بنى قريظة كما فى السير وسيأتى ايضا فى هذا الكتاب وانما هو مع بنى النضير وهو سبب غزوة بنى النضير واما سبب غزوة بنى قريظة فهو وقعة الخندق وتظاهرهم مع قريش ونقضهم العهد وهو الصواب قال ابن سيد الناس خرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى بنى النضير ليستعين بهم فى دية القتيلين اللذين قتلهما عمرو بن امية الضمرى لحلف بينهم و بين بنى عامر فلما اتاهم قالوا نعينك يا ابا القاسم على ما جئت ثم خلا بعضهم الى بعض وهموا به كما مر وقال ابن الملقن انه روى ان بنى النضير

لما نوامروا القوا عليه حجرا فاخذه جبريل ولم يصل اليه صلى الله تعالى عليه وسلم ويأتى مافيه (وقد قيل ان قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم فى هذه القصة نزلت) وجعل الهم حينئذ بالمؤمنين وان بسط اليد اليهم مع انه بالنبى صلى الله عليه وسلم وحده لان مايصيبه يصيبهم وموته موت لهم ولذا قيل انها نزلت فى الكفرة لما كانوا غالبين على المؤمنين يوصلون اليهم الضرر والاذية وقيل نزلت فى الاعرابى الذى اخترط سيفه اذا وجده صلى الله تعالى عليه وسلم وحده كما مر وقوله وقد قيل يحتمل ان يكون اشارة الى ان هذه القصة فى بنى قريظة وان خالف الصحيح المنقول الواقع وقع فى بعض التفاسير فتأمله فان غفلت عما ذكر بعيدة مع قوله عقبه (وحكى السمرقندى انه) صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه ابن سيد الناس وغيره من اصحاب السير وقد تقدم انه الصحيح وان فى كلام المصنف رحمه الله تعالى اشارة اليه (خرج) من المدينة (الى بنى النضير) بنون مفتوحة وضاد معجمة مكسورة وهم قوم من يهود خيبر (يستعين) بهم (فى عقل الكلابيين) مثنى كلابى رجل منسوب لبنى كلاب وهى قبيلة من قريش والعقل مصدر عقل البعير يعقله اذا ربطه بالعقال المانع له من الحركة واصل معنى العقل المنع ومنه العقل المعروف لمنعه عما لايليق كما اشار اليه القائل

* قد عقلنا والعقل اى وثاق * وصبرنا والصبر مر المذاق *

وسميت به دية المقتول لانها كانت عند العرب ابلا يسوقها القاتل ونحوه فيعقلها بفناء اهل القتيل ليأخذوها واستعانته صلى الله تعالى عليه وسلم المراد بها طلبه ان يعينوه فى الدية لما سيأتى (الذين قتلهما عمرو بن امية) وفى نسخة الكلابى بالافراد وقتل مفرد ايضا وعمرو بن امية هو الضمرى بضاد معجمة مفتوحة وميم ساكنة وراء مهملة نسبة لبنى ضمرة وهم قومه وهو عمرو بن امية ابن خويلد بن عبد الله بن اياس الصحابى الذى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثه فى اموره وهو الذى ذهب للنجاشى بكتابه فاجابه واسلم وزوجه ام حبيبة اسلم بعد احد وشهد بئر معونة ومات بالمدينة فى خلافة معاوية رضى الله تعالى عنه وهو الذى قتل الكلابى فهو مرفوع فاعل قتل والتثنية هى الموافقة لما فى السير من انه صلى الله تعالى عليه وسلم بعث المنذر بن عمرو الساعدى احد نقباء ليلة العقبة فى ثلاثين راكبا من المهاجرين والانصار الى بنى عامر بن صعصعة فلقوا عامر بن الطفيل ببئر معونة فاقتتلوا فقتل المنذر واصحابه ونجا عمرو الضمرى وحده او وصاحب له على اختلاف فى الرواية ورجعا فلقيا رجلين من بنى سليم وكان بينهم وبين النبى صلى الله تعالى عليه وسلم موادعة فانتسبا لهما الى بنى عامر فقتلاهما وكان عمرو لايعرف ذلك العهد ولو عرفه لم يفعله ولذا لزمته الدية لانه خطأ فقدم قومهما على النبى صلى الله تعالى

عليه وسلم يطلبون ديتهما فخرج لبنى النضير هو وابو بكر وعمر وعلى رضى الله عنهم يستعينهم فى العقل لانهم كانوا عاهدوه على ترك القتال والاعانة فى الديات فلما دخل عليهم وطلب ذلك منهم اجابوه وقالوا له اجلس حتى نأتى ذلك بما سألت فجلس بجنب جدار من بيوتهم كما اشار الى ذلك بقوله (فقال له) اى لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجل منهم اسمه (حيى) بضم الحاء المهملة ومثناتين تحتيتين الاولى مفتوحة مخففة والثانية مشددة (ابن اخطب) بزنة افعل بخاء معجمة وطاء مهملة وموحدة وجوز فى حاء حيى الكسر وهو من يهود بنى النضير ومن رؤسائهم والد صفية ام المؤمنين (اجلس يا ابا القاسم حتى نطعمك ونعطيك ماسألتنا) من الدية وهو عطف تفسير على نطعمك لان الطعم بالضم فى الاصل المأكول فيجوز به عما ذكر كما يقال اقطعه الارض طعمة له اى عطية (فجلس النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مع ابى بكر وعمر) وزاد ابو نعيم الزبير وطلحة وسعد بن معاذ واسيد بن حضير وسعد بن عبادة وفى سيرة ابن اسحق فى نفر من اصحابه فيهم ابو بكر وعمر وعلى ولا منافاة بين الروايات (وتوامر) بفتح التاء الفوقية والواو ويقال بالهمز تفاعل من الامر اى نظر كل امر الآخر والمراد به هنا المشاورة يقال وامره وآمره وقيل الواو لغة العامة (حيى معهم) اى مع بنى النضير اى تشاوروا واتفقوا (على قتله) صلى الله تعالى عليه وسلم بالقاء الحجر عليه (فاعلم جبريل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك) الذى ارادوه قبل وقوعه (فقام) من تحت الجدار بسرعة (كانه يريد حاجة) اى اراهم صلى الله تعالى عليه وسلم انه يريد حاجة له وفى نسخة حاجته بالاضافة فيحتمل قضاء الحاجة المعهودة للانسان فانه يكنى بها عنها كثيرا (حتى دخل المدينة) ثم سار اليهم وحاصرهم ست ليال وهم داخل حصنهم فقطع نخيلهم وحرقها تنكيلا لهم (كما قال حسان) وهان على سراة بنى لؤى * حريق بالبويرة مستطير * فقال صلى الله تعالى عليه وسلم لهم اخرجوا ولكم ما حملت الابل فنزلوا على ذلك وحملوا مالهم من الامتعة على ستمائة بعير ولحقوا بخيبر واخذ منهم صلى الله تعالى عليه وسلم الاموال ومن الحلقة خمسين درعا وخمسين بيضة وثلاثمائة واربعين سيفا فكان ذلك مرصدا لنوائبه ولم يسهم منها لاحد غير ابى دجانة وسهل بن حنيف لفقرهما ثم قسمها بين المهاجرين رفعا لمؤنتهم عن الانصار اذ كانوا قاسموهم الاموال والديار لما هاجروا الى المدينة ثم انه قيل ان ماذكره المصنف رحمه الله تعالى يقتضى ان اليهود هموا بالقاء الحجر عليه ولم يلقوه وذكر ابن الملقن كما مر انهم القوه عليه صلى الله تعالى عليه وسلم فاخذه جبريل عليه الصلاة والسلام ومنعه عن الوصول اليه والمشهور الاول (وذكر اهل التفسير معنى الحديث عن ابى هريرة) كما رواه مسلم والنسائى اى رووه بهذا المعنى وفى بعض النسخ وروى اهل التفسير الحديث عن

ابى هريرة وهما احسن مما فى بعض النسخ وذكر اهل التفسير ومعنى الحديث بالواو العاطفة فانه محتاج للتقدير اى وذكره اهل الحديث وعلى هذا فقوله عن ابى هريرة خبر عن معنى وهو مبتدأ او الجملة معترضة بين ذكر ومفعوله وهو (ان اباجهل وعد قريشا لئن رأى محمدا) جواب قسم مقدر لما مر من انه حلف لهم على ماوعدهم به وقوله (يصلى) جملة حالية (لئطأن رقبته) اى يدوس على عنقه الشريف برجله حماه الله (محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) بالمسجد الحرام (اعلموه) اى اعلمه قريش به (فاقبل) متوجها اليه ليدوسه اهانة منه لمن اعزه الله (فلما قرب منه ولى) ورجع عن مقصده حال كونه (ناكصا على عقبيه) اى متأخرا راجعا للخلف والعقب مؤخر القدم (متقيا بيديه) اى مادا يديه كمن يدفع امرا يتقيه وفى بعض النسخ ولى هاربا ناكصا على عقبيه فهى حال متداخلة اومترادفة ونكص على عقبيه يستعمل فيمن ولى عن خير اوعن شر يخاف عاقبته كما هنا الا انه قيل ان الثانى نادر وذهب الجوهرى وصاحب النهاية الا انه يختص بالاول وفى القاموس نكص عن الامر نكأ كأ عنه واحجم وعلى عقبه رجع عما كان عليه من خير فهوخاص بالرجوع عن الخير ووهم الجوهرى فى اطلاقه اوهو فى الشر نادر انتهى وفى نفوذ السهم فيما فى الجوهرى من الوهم كون النكوص مخصوصا بما ذكر غيرثابت فى اللغة وقوله فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه لادليل فيه لانه وان كان رجوع الشيطان عن معاونة الكفار بدر ليس رجوعا عن خير محتمل الاستعارة التهكمية وقد مر الكلام عليه ايضا فى اعجاز القرأن فتأمل (فسئل) اى سأل قريش اباجهل (عن ذلك) اى عن رجوعه كذلك وماسببه (فقال) مجيبا لهم (لمادنوت منه اشرفت) اى اطلعت قريبا منى (على خندق) حفير (مملوء نارا كدت اهوى) اى اوقع واسقط (فيه وابصرت هولاء عظيما) اى امرا مخوفا عظيما لم ار مثله مما ذكر ومن غيره كالفحل الذى اراد اهلاكه (وخفق اجنحة) اى اجنحة يضرب بعضها بعضا لها اصوات هائلة (قد ملأت الارض) الذى كان فيها وهى اجنحة الملائكة التى ارسلت لحمايته ونصره صلى الله تعالى عليه وسلم كما اشار اليه بقوله (فقال عليه الصلوة والسلام تلك الملائكة لودنا) اى قرب منه لايقاع ماقصده (لاختطفته) الملائكة (عضوا عضوا) اى مزقته وفرقت اعضاءه وهو منصوب على الحال بتأويل ممزقا مفرقا كقرأت النحو بابا بابا كما فصله النحاة (ثم انزل الله) وحيه (على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) فى شان ذلك فقال (كلا ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى الى آخر السورة) يعنى ان الى ربك الرجعى ارأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى الى آخره ويناسب ما ذكر قوله كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية وقوله سندع الزبانية كلا لاتطعه واسجد واقترب فالمراد بالانسان ابوجهل وطغيانه تجاوز حده قبل هذه القصة فى صحيح مسلم فالذى

ينبغى نقلها منه دون التفاسير وهو امر سهل لاينبغى الاعتراض بمثله وتفصيل معنى الآية فى التفاسير فلاحاجة لذكره (وروى) الراوى له ابونعيم فى الدلائل (ان شيبة ابن عثمان الحجبى) بفتح الحاء المهملة والجيم وموحدة وياء نسبة للحجبة جمع حاجب ككتبة جمع كاتب وفى النسبة الى الجمع يرد الى مفرده والقياس حاجبى لكنه لما غلب على حجبة الكعبة جاز النسبة اليه كانصارى اولانه على زنة المفرد ومثله ينسب اليه على قول والحاجب من يتولى الحجابة وهو البواب ومن بيده المفتاح من الحجب وهو المنع وشيبة علم منقول من الشيب المعروف وهو شيبة بن عثمان بن ابى طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصى الصحابى المشهور خادم الكعبة ومن بيده مفتاحها وهو بيد اولاده الى الآن اسلم يوم الفتح وقيل يوم حنين ومات سنة تسع وخمسين واخرج له البخارى واحمد فى مسنده وابو داود وترجمته معروفة وما فى بعض النسخ الجمحى غلط من الناسخ (ادركه) صلى الله تعالى عليه وسلم اى لحق به ووصل اليه (يوم حنين) فى غزاتها وهو واد قريب من الطائف معروف (وكان) قبل ذلك (حمزة) عم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وسيد الشهداء (قد قتل اباه) عثمان بن ابى طلحة (وعمه) طلحة بن ابى طلحة المشهور وكان قتله لهما باحد وكان طلحة ليث الكتيبة وحامل لواء الكفرة فلما قتل حمل اللواء اخوه عثمان فقتل الا انه قيل ان المروى فى السير ان الذى قتل طلحة على بن ابى طالب فلما اخذ اللواء اخوه عثمان حمل عليه حمزة فقتله وقال الذهبى فى تجريده ان الذى قتل اباشيبة على ايضا وهو مخالف لما قاله المصنف رحمه الله تعالى كما قاله البرهان الحلبى وفى سيرة ابن سيد الناس ان عليا ضرب اباه فازال منعته فحمل عليه حمزة فقطع يده وكتفه وقده حتى بدا سحره اى رئته فكان من على وحمزة له دخل فى قتله الا ان عليا لما ازال منعته وقوته نسب القتل له حتى استحق سلبه فلامنافاة بين كلام المصنف رحمه الله تعالى وكلام غيره (فقال شيبة) لما ادركه (اليوم) المراد الوقت الحاضر (ادركه ثارى) بمثلثة وراء مهملة بينهما الف وتهمز وهى الاصل وهو طلب الدم واخذ حق من قتله (من محمد) لانه سبب قتله فاراد ان ينتقم منه ويشفى غيظه وحرازة نفسه لتمكنه منه (فلما اختلط الناس) فى القتال وازدحموا ورسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم (اتاه من خلفه) بحيث لايراه (ورفع سيفه) بيده (ليصبه عليه) اى ليضربه ويقتله ويأخذ بثاره ويشفى غله ممن كان سببا لقتل ابيه وعمه واصل الصب اراقة الماء واستعير للضرب بالآلة كالسيف قال الله تعالى فصب عليهم ربك سوط عذاب ويرشحه ان السيف يشبه بالماء لرونقه وفرنده (قال) شيبة (فلمادنوت منه) اى لما قصدت ذلك (ارتفع الى) اى علا وصعد الى من جانبه (شواظ) اى لهب (من نار) والشواظ اللهب مطلقا او لهب لادخان له اولايخالطه غيره او يخالطه شئ آخر وهو بضم

الشين المعجمة وكسرها وقوله من نار بيان مؤكد لان اللهب لايكون الامن النار (اسرع) في ارتماعه (من البرق فوليت هاربا) خوفا من ان يحرقني (فحسبي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى علم رجوعى عنه (فدعاني) فجئته (فوضع يده على صدرى وهوابغض الخلق الى) لانه اسلم خوفا من القتل ولم يخلص ايمانه وفى قلبه حقد على رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتل ابيه وعمه (فما رفعها) اى يده عن صدرى (الا وهو احب الخلق الى) فبدل الله بغضه بحبه وازال عن صدرى وقلبه الحقد واثر الكفر فلما علم ذلك منه الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم احبه (وقال لى ادن) من العدو اومنى (وقاتل) فى سبيل الله خالص السريرة مخلصا ببركة مس يده صلى الله تعالى عليه وسلم له (فتقدمت امامه) بين يديه (اضرب بسيفى) كل من لقيته من الكفار (واقيه بنفسى) اى اجعلها وقاية له صلى الله تعالى عليه وسلم مانعة عنه (ولولقيت تلك الساعة) التى قاتلت فيها (ابى لاوقعت به) سيفى وقتلته وفى بعض النسخ (دونه) وانما خص للمبالغة فى عموم قتله لمن لقى حتى اعز الناس وللاشارة الى ان سبب بغضه وهوقتل ابيه قدزال بالكلية حتى يجوز عنده ان يقتله بنفسه فضلا عن قتل قاتله والحديث مفصل فى سيرة ابن سيد الناس بسند صحيح مروى عن شيبة وكان صالحا ذا فضل حدث باسلامه وانه وانما سار لحنين ليغتال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكراهته له وان ذلك لم يزداد فى قلبه وتصميم عزمه على قتله فلما اختلط الناس نزل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن بغلته فدنوت منه وذكر ما هم به وان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مسح صدره وقال اللهم اعذه من الشيطان فاذهب الله مابقلبه حتى صار احب اليه من نفسه واهله وابيه فلما رجع ودخل خباه فدخلت عليه كغيرى حبا لرؤية وجهه فقال لى ياشيب الذى اراد الله بك خير مما اردت بنفسك وحدثنى لكل ما اضمرته فى نفسى مما لم اذكره فقلت انى اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله ثم قلت استغفر لى فقال غفر الله لك (وعن فضالة ابن عمرو) عن ابن اسحق وابن سيد الناس وفضالة بضم الفاء وفتحها وتخفيف الضاد المعجمة واللام وابوه عمرو ويقال عمير بالتصغير ابن الملوح الليثى والتصغير اصح والملوح بكسر الواو المشددة وفتحها واقتصر على الثانى فى القاموس (قال اردت قتل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عام الفتح) اى فتح مكة (وهو يطوف بالبيت فلما دنوت منه قال افضالة) الهمزة للنداء وفى نسخة فضالة بدون همزة وحرف النداء مقدرفيه قيل ويمكن ان تكون الهمزة للاستفهام وفضالة خبر مبتدأ محذوف تقديره انت فضالة فقال نعم تصديقا له والاستفهام حقيقى وكونه للتعجب مما يختلج فى صدوره اواجابه لندائه اواعلام له بانه فضالة كما قيل تكلف لايخفى (قلت نعم قال ما كنت تحدث به نفسك) حديث النفس عبارة عما يخطر بالقلب (قلت

لاشئ) اى لم يخطر بقلبى شئ مماظننته (فضحك واستغفرلى) اى دعالى بان يغفر الله لى ماخطر بقلبى (ووضع يده على صدرى) ليذهب الله ما فيه من الضلال وماعزم عليه من الاوهام (فسكن قلبى) اى اطمأن وذهب مافيه من الوسواس وتكذيب الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وثلج صدره ببرد اليقين قال فضالة (فوالله مارفعها) اى رفع يده عن صدره (حتى ماخلق الله شيئا احب الى منه) وحديثه كما فى سيرة ابن اسحق وابن سيد الناس انه اراد قتل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يطوف عام الفتح وذكر ماذكره المصنف رحمه الله تعالى ثم قال فرجعت الى اهلى ومررت بامرأة كنت اتحدث اليها فقالت هلم الى الحديث فقلت لا وانبعثت اقول

* قالت هلم الى الحديث فقلت لا * يأبى عليك الله والاسلام *
* اوما رأيت محمدا وقبيله * بالفتح يوم تكسر الاصنام *
* رأيت دين الله اضحى بينا * والشرك يغشى وجهه الاظلام *

وفضالة الليثى هذا هو ابن وهب بن بحرة بن يحيى بن مالك وليس هو الزهرانى فانه تابعى غيره ومن ظنه هذا فقد اخطأ (ومن مشهود ذلك) اى عصمة الله نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم مارواه ابن اسحق والبيهقى بلا سند وابونعيم فى الدلائل مسندا الى عروة (خبر عامر بن الطفيل) العامرى وهو عامر بن الطفيل بن عامر بن مالك سيد بنى عامر فى الجاهلية مات كافرا بالاتفاق (واربد بن قيس) بفتح الهمزة وسكون الراء المهملة وفتح الموحدة ودال مهملة وهو اخو لبيد بن ربيعة الصحابى لامه وكان شاعرا مغلقا ومات على الكفر ايضا (حين وفدا على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) وذلك انه لما فرغ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من تبوك واسلمت ثقيف ودخل الناس فى الاسلام فواجا قدمت عليه وفود الناس افواجا فوفد عليه اربعة من رؤسائهم عامر بن الطفيل واربد بن قيس وغيرهما (وكان عامر قال له) اى لاربد (انا اشغل عنك وجه محمد) اى الهيه حتى تبطش به (فاضربه انت) وخصه بسره لما بينهما من الصداقة فامتثل امره وهم بذلك فانتظره ليفعل ما امره به (فلم يره) اى لم ير عامر اربد (فعل شيئا) مما اتفقا عليه من البطش به وعامر يكلمه صلى الله تعالى عليه وسلم ويلهيه (فلما كلمه) اى كلم عامر اربد (فى ذلك) اى فى الامر الذى اتفقا عليه بان قال له مالك لم تفعل ما اتفقنا عليه من البطش برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاعتذر اليه (وقال والله ما هممت ان اضربه) اى اضرب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالسيف (الا وجدتك بينى وبينه) اى ارى جسده حائلا بينه وبين النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بحيث لوضرب ضرب صاحبه (افاضربك) انكار له اى كيف اضربك وكان عامر شاعرا ورئيسا مطاعا فى قومه فقالوا له لما جاء العرب افواجا للاسلام ان الناس قد اسلموا فاسلم فقال انى اليت لا انتهى

حتى تدبع العرب عقبى افاتبع فتى من قريش ثم قدم هو واربد على قتل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقال له ماقصه المصنف رحمه الله تعالى فخرجوا راجعين لبلادهم وفى الدلائل انه قال للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم خالنى يامحمد فقال لاحتى تؤمن بالله وحده وقال ذلك مرارا فهو يجيبه بذلك فقال لاوالله لاملأنها عليك خيلا ورجلا توعدامنه بان يغزو المدينة فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم اكفنى عامرا فلما رجع اصابه طاعون فى عنقه فمات فى بيت امرأة من سلول فكان يقول غدة كغدة البعير وموت فى بيت سلولية يعنى اخس موتة فى اخس قبيلة فمات كافرا وواروا جثته التراب ورجع اصحابه لقومهم فقالوا لاربد ماوراءك يااربد فقال لاشئ لقد دعانا العبادة شئ ولقد وددت انه عندى الآن فارميه بالنبل حتى اقتله ثم خرج بعد مقالته هذه يوم او يومين ومعه جمل له فاصابتهما صاعقة احرقتهما فهلك كافرا كعامر وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان عامرا اقدم على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو فى المسجد مع اصحابه وكان من اجمل الناس الا انه كان اعور فجعل الناس ينظرون لجماله واخبروا به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ان يرد الله تعالى به خيرا يهده فقام وقال يامحمد مالى ان اسلمت فقال لك ما للمسلمين وعليك ماعليهم فقال اتجعل لى الامر من بعدك قال ذاك ليس الى انما هو لله يجعله حيث شاء قال اتجعلنى على الوبر وانت على المدر اى حكم البادية وحكم المدن قال لا قال فما تجعل لى قال اجعل لك اعنة الخيل الغازية فى سبيل الله قال اوليس لى اعنة الخيل اليوم فقم معى اكلمك فقام صلى الله تعالى عليه وسلم معه وكان عامر وصى اربد اذا خلا به ان يدور من خلفه و يضربه بسيفه وروى ان الغدة كانت فى ركبته ورويت القصة على وجوه اخر هذه محصلها كما فى السير وكتب التفسير غير ان البغوى والقرطبى فى التفسير ذكرا ان اربد دار خلفه صلى الله تعالى عليه وسلم واخترط سيفه فقال اللهم اكفنيهما بما شئت فوقعت عليه صاعقة فاهلكته وهو يقتضى انه مات قبل عامر وفى هذين التفسيرين ان اربد بن ربيعة والمصنف رحمه الله تعالى قال انه ابن قيس ولا منافاة بينهما كما توهم لان ربيعة جده الاعلى وفى اربد نزل قوله تعالى* ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء* واجمعوا على ان عامرا مات كافرا كما مر وفى التجريد للذهبى عامر بن الطفيل بن مالك العامرى سيد بنى عامر فى الجاهلية روى عنه ابو امامة كما ذكره المستغفرى ونقله البرهان الحلبى وفيه نظر (ومن عصمته) اى حفظ الله تعالى له (ان كثيرا من اليهود والكهنة) جمع كاهن وهو الذى يخبر عن المغيبات وما يقع فى المستقبل بما يتلقاه او يعرفه بفراسته ويسمى الثانى عرافا (انذروا به) اى اخبروا واعلموا والانذار اعلام المخوف قبل وقوعه (وعينوه لقريش) اى بينوا ذاته الشريفة لهم (واخبروهم بسطوته بهم) اى انه

يغزوهم ويقتلهم (وحضوهم على قتله) اى حثوهم وحرضوهم على ذلك حتى يسلموا منه (فعصمه الله عز وجل) بان حفظه ومنعه من كيدهم مع انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان بين اظهرهم بمفرده (حتى بلغ) الله تعالى بلطفه وحفظه له (فيه امره) بان نصره واظهر دينه على جميع الاديان ان الله تعالى بالغ امره وبالغ بفتح اللام المخففة من البلوغ قال الراغب هو الانتهاء الى اقصى الامد والمنتهى مكانا وزمانا او امرا من الامور المقدرة انتهى (ومن ذلك) اى عصمة الله له صلى الله تعالى عليه وسلم وصيانته مارواه الشيخان وهو (نصره بالرعب) اى بالقاء الخوف منه فى قلوب اعدائه ومن لم يتبعه (مسيرة شهر) اى فى مكان بعيد عنه اقل ما يقطع مسافته فى شهر اى فى ثلاثين يوما (كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم) اى انه ثابت بهذا اللفظ فى الحديث الصحيح كما تقدم وهو فى الصحيحين وفى مسند احمد عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه انه قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعثت بجوامع الكلم ونصرت بالرعب قيل وهو مخصوص به صلى الله تعالى عليه وسلم ولو كان وحده وتقييده بالشهر لانه لم يكن بينه وبين اعدائه اكثر منه وتخصيصه به باعتبار من قبله فان ابن حجر رحمه الله تعالى قال ان ذلك لامته من بعده ايضا ويؤيده ان فى مسند احمد الرعب يسعى بين يدى امتى شهرا والرعب كناية عما يلزمه من الظفر

﴿فصل﴾ مما اكرمه الله تعالى به صلى الله تعالى عليه وسلم (من معجزاته) اى اموره الخارقة للعادة التى يعجز غيره عنها وعن معارضتها والاتيان بمثلها وتاء المعجزة للمبالغة او للتأنيث لان المراد الآية والعلامة او الخصلة المعجزة (الباهرة) اى الغالبة او الظاهرة على غيرها من بهر القمر بضوئه الكواكب حتى اخفاها وهو تشبيه بليغ او استعارة مصرحة (ما جمعه الله له من العلوم والمعارف) جمع معرفة لا معروف كما قيل لانه على تقديره غير مناسب والعلم والمعرفة بمعنى وقد يفرق بينهما بتخصيص الثانى بالامور الجزئية او بما يسبقه جهل على كلام فيه تقدم تفصيله ومن بيانية ويجوز ان تكون تبعيضية والاول اظهر (وخصه به) اى جعله مخصوصا به دون من قبله وكذا خص امته بما لم يكن لغيرهم من الامم من العلم وكثرة التأليف والتصنيف الذى لم يكن لامة من الامم مع قصر اعمارهم وضعف ابدانهم والباء تدخل على المقصور والمقصور عليه وفى ايهما الاصل كلام مفصل فى حواشى المطول لا حاجة لنا به هنا (من الاطلاع) اى الوقوف والعلم وهو بيان لما (على جميع مصالح الدنيا والدين) متعلق بالاطلاع ومصالح الدنيا ما يصلح به امر المعاش ومصالح الدين معرفة احكامه المصلحة لهم فى الدارين ولا ينافى هذا اى اطلاعه على مصالحهما قصة بدر فى اختياره صلى الله تعالى عليه وسلم الغداء وكان الاولى به ما رآه عمر رضى الله تعالى عنه من قتلهم حتى عوتب صلى الله تعالى عليه وسلم على ذلك وكذا منعه صلى الله عليه وسلم الناس من تأبير النخل فلم يثمر فى ذلك العام فقال انتم اعلم بامور دنياكم منى اما لانه كما قيل كان له حالات واطوار منها

مايغلب عليه عدم الالتفات للاسباب الظاهرة لقصره نظره على تفويض الامر لله والتوجه للعلم بالله وقطع نظره عن الحوادث الكونية وعلم عمر رضى الله تعالى عنه مقتبس منه ومن نور مشكاته كما قيل * كالبحر يمطره السحاب وماله * من عليه لانه من مائه * وماقيـل من انه صلى الله تعالى عليه وسلم بنى امره فى ذلك على الظن دون الجزم والانبيـاء قديظنون فى امور الدنيا المجردة عن الآخرة ما الامر على خلافه ليس بشئ وقيل انه انما كان ليعلم الله نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم بالمشاهدة و بين الامر حتى يكون شرعا متبعا ولو بقى الامر كما كان فقديقال انه كما وجد بقى والحكم بالدليل اقوى عنه بالسكون وفيه نظر وقال السنوسى اراد صلى الله تعالى عليه وسلم ان يحملهم على خرق العوائد فى ذلك اعتمادا على التوكل فلم يمتثلوا ولم يصبروا ولو صبروا كان خيرالهم بان يمتثلوا و يصبروا سنين فاكثر فلو فعلوه كفوا ذلك لانه اعلم منهم بذلك وغيره قيل وهو فى غاية الحسن لمن تأملـه وسيأتى تتمته ان شاء الله تعالى (ومعرفته) صلى الله عليه وسلم (بامور شرايعه) التى شرعها الله تعالى له ولعباده على لسانه جمع شريعة وهى فى الاصل طريق مسلوكة ومورده مايباح نقلت لوضـع الهى موصل لسعادة الدارين والمنـاسبة بينهما ظاهرة (وقوانين دينه) جمع قانون وهى لفظة معربة من الرومية معناه الاصل المقيس عليه ثم نقل لقضية كلية يستخرج منها احكام جزئياتها بجعلها كبرى لصغرى سهلة الحصول تنتج المطلوب كما تقرر فى محله والدين ملة بمعنى وان تغايرا مفهوما والمراد بمصالح الدنيا والدين منافع ذلك وحكمه وفوائده وهوغير ضبطه لامور الشريعة وقوانينها فما قيل من انه اذا حصل له العلم بجميع مصالح الدنيا والدين فقد خص بما يخص به بشر قبله فيكون الثانى غيرالاول فما موقع قوله ومعرفته الى آخره لان جملة الدين مبنية على جلب المصالح ودرء المفاسد خبط لافائدة فيه كما يعلم مما قررناه (وسياسة عباده) اى القيام بضبط العامة من عباد الله فالضمير لله والسياسة لفظ عربى من ساسه يسوسه اذادبر امره ومن قال انه معرب من سه سا اى ثلاثة قوانين فقد اخطأ ولها معنى آخر عند الفقهاء وربما تجعل مقابلة للشرع ولايصح ذلك هنا وفى القاموس انها مصدر سست الرعية سياسة اذا امرتها ونهيتها (ومصالح امته) المراد امة الاجابة وامة الدعوة والظاهر ان المراد غير ماتقدم كالسؤال عن امورهم وقضـاء ديونهم والاحسان الى فقرائهم وغير ذلك من لطفه بهم (و) معرفة (ما كان فى الامم قبله) مما وقع لهم وجرى بينهم (من الاختلاف) اى مخالفة بعضهم لبعض وماجرى لهم من النعم والنقم التى لايعلمها الا القليل من اهل الكتاب وعلمائهم وهو صلى الله تعالى عليه وسلم امى نشأ فى امة امية ولم يرحل للبلاد النائية ولم يعاشر بقايا الامم الخالية مما بينه احسن بيان وقرره احسن تقرير (وقصص

الانبياء والرسل) من عطف العام على الخاص والفرق بينهما مشهور وقصص بكسر القاف جمع قصة اوبفتحها مصدر قصه يقصه قصصا اذا حكاه (والجبابرة) جمع جبار وهو المتكبر قال الراغب الجبار فى صفة الانسان الذى يجبر نقصه بادعاء منزلته من التعالى لايستحقها ولايقال الا على طريق الذم كقوله تعالى * وخاب كل جبار عنيد * ويقال للقاهر لغيره جبار كقوله تعالى * وما انت عليهم بجبار * انتهى وقد تقدم مافيه الكفاية (والقرون الماضية) قبله من الامم وقد تقدم معنى القرن ومقدار زمانه واصل الزمان ثم اطلق على اهله قيل يجوز ان يراد الامم التى هلكت ولم يبق منها احد لانه يطلق على ذلك وان يراد الزمن نفسه (من لدن آدم الى زمنه) لدن ظرف زمان مبنى ومعرب فى لغة قيس وهو قريب من معنى عند و بينهما فرق ذكره النحاة اى احاط علمه بذلك واخبر به امته (وحفظ شرايعهم وكتبهم) ولم يقرأ ولم يكتب (ووعى سيرهم) الوعى الحفظ والجمع والسير جمع سيرة بالكسر وهى حالة الانسان غريزة او مكتسبة يقال سيرة حسنة وسيرة قبيحة قال الله سنعيدها سيرتها الاولى اى الى حالتها الاولى اى حفظه وجمعه فى ذهنه لاحوالهم وماكانوا عليه (وسرد انبائهم) اى سوق اخبارهم للناس سوقا حسنا منتظما كسرد حلقات الدرع ونسجها (وايام الله فيهم) اى وقايعهم التى قدرها الله لهم والايام تطلق على الوقايع والحروب كايام العرب وهو معنى مشهور صار حقيقة عرفية وقيل المراد نعمه ولاوجه له (وصفات اعيانهم) اى كبارهم ورؤسائهم وقيل المراد ذواتهم كما وقع فى الاسراء من ذكر الانبياء عليهم الصلوة والسلام وصفـات ذواتهم (واختلاف ارائهم) جمع رأى اى عقايدهم ونحوها (والمعرفة بمددهم) جمع مدة وهى مقدار من الزمن اى لم كانت مدة كل امة ومدة ملكهم وملوكهم وانبيائهم (واعمارهم) جمع عمر بضم العين وفتحها وهى مدة الحيوة (وحكم) جمع حكمة وهو قول الصواب المتضمن النصيحة اى موعظة (حكمائهم) جمع حكيم وهو العـالم بالحكمة الناصح لغيره المعلم للحكمة فى عصره كحكماء الفرس والعرب وغيرهم (ومحاجة كل امة من الكفرة) اى ذكر حجته وبرهانه وماحاج به غيره وقيل المراد محاجته نفسه لغيره كمحاجته لنصارى نجران ومباهلته لهم والظاهر ماقدمناه (ومعارضته) اى مخالفته ورده (كل فرقة) وطائفة (من الكتابين) اى اهل الكتاب والمراد به التورية والانجيل لان الزبور والصحف لم تتضمن الاحكام ولم تشتهر وهو جمع كتابى بياء النسبة (بما فى كتبهم) متعلق بمعارضة وجمعها لاشتمالهما على مافى غيرهما ولان الجمع باعتبار المعنى كثير (واعلامهم باسرارها) اى دقايق معناها التى لم يطلعوا عليها (ومخبات علومهـا واخبارهم) بكسر الهمزة مصدر مضاف للفاعل ويجوز فتحها اى ماخفى عليهم منها (بما كتموه) اى اخفوه كصفته صلى الله تعالى عليه وسلم وقصة رجم الزانى

المشهورة (من ذلك) الاعلام ومامعه (وغيروه) بتحريف لفظه وتأويله بغير معناه (الى الاحتواء) اى الاشتمال والحفظ والتضمن متعلق بجمع السابق اول الفصل لتضمنه معنى ضم اوالى بمعنى مع (على لغات العرب) جميعها من غير قومه (وغريب الفاظ فرقها) جمع فرقة وهى الطائفة المتفرقة (والاحاطة بضروب فصاحتها) تركيبا وافرادا فكان صلى الله تعالى عليه وسلم يخاطب كل قوم بلغتهم كما تقدم (وامثالها) جمع مثل وهو كلام شبه مضربه بمورده (وحكمها) اى جوامع كلمها فى النصايح فان العرب معروفة بذلك وحكماء العرب وحكمهم مشهورة (ومعانى اشعارها) فانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يعرفها وان لم ينشدها موزونة ويتكلم بها (والتخصيص) اى تخصيص الله اياه بنطقه (بجوامع كلام العرب) اى الالفاظ الحسنة البليغة الجامعة للمعانى الكثيرة فى الفاظ قليلة وقد يراد به القرأن وليس بمراد ومفرده جامعه (الى المعرفة بضرب الامثال الصحيحة) الامثال المتقدمة امثال صادرة ممن قبله وهذه امثال ابتدعها صلى الله تعالى عليه وسلم والامثال النبوية مشهورة مدونة والى كالتى تقدمت والجار والمجرور هنا وما بعده متعلق بمقدر او بدل مما قبله اومتعلق به بعد تقييده والى فيها بمعنى اللام لان العامل الواحد لايتعدى بحرفين بمعنى واحد فاكثر الاعلى هذه الوجوه كما قرروه فى قوله تعالى * كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا * وتقدم تفسير المثل وان ضربه من ضرب الخاتم اذا طبعه وصاغه وانها صادرة كثيرا من الانبياء عليهم الصلوة والسلام لتقرير المعانى فى النفوس وايضاحها بجعل المعقول كالمحسوس كما حققه فى الكشاف (والحكم البينة) اى الظاهرة فى نفسها المظهرة لامور بديعة ومعان لطيفة (لتقريب التفهيم للغامض) اى المعنى الخفى الدقيق وهو فى الاصل المكان المنخفض فاستعير لماذكر وتقريبه ايضاحه والجار الاول متعلق بضرب الامثال والثانى بالتفهيم وقوله (والتبيين للمشكل) اى اظهار ماالتبس وان كان غير غامض واصل معنى الاشكال كونه غير متميز عن اشكاله واشباهه وهو متعلق وراجع للحكم البينة (الى تمهيد) اى بسطه بتوطية له وبيان مقدمات (قواعد الشرع) اى اساسه وقضاياه واصوله الكلية المحمدى الذى جاءه بوحى من الله (الذى لاتناقض فيه) اى لاتخالف بين قضاياه واحكامه لاحكامها ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا (ولاتخاذل) بخاء وذال معجمتين ولام تفاعل من الخذلان وهو ترك نصرة من يستحق نصرته وهو استعارة تمثيلية لان الشرع يعضد بعضه بعضا ويؤيده واحكامه متناسبة متعاضدة كما ان القرأن يفسر بعضه بعضا ومن فسره بان قواعد الشرع مشتملة على انه لايخذل اخاه اذا ظلم لاقتضاء قواعد الشرع استواء الرفيع والوضيع والمالك والمملوك والعالم والجاهل فى جريان احكامه عليه من غير فرق بين صغير

وكبير لم يأت بشئ يعتد به (مع اشتمال شريعته) وتضمنها واحتوائها (على محاسن الاخلاق) اى على بيانها للناس وحث الناس على التحلى بها وقد ورد فى الحديث بعثت لاتمم مكارم الاخلاق وقد تقدم معنى الخلق وان منه مكتسبا وطبيعيا وان الخلق يقبل التغيير ولذا ورد فى الشرع النهى عن الاخلاق الردية والامر بضدها ولولا ذلك لم يفد (ومحامد الاداب) جمع محمدة وهو ما يحمد فعله والآداب بالمد جمع ادب بفتحتين وهو معاملة الخلق بلطف ومداراتهم كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم ادبنى ربى فاحسن تأديبى وهو من اضافة الصفة للموصوف اى الاداب المحمودة وفسر الادب فى القاموس بالظرف وحسن التناول والفعل الجميل (وكل شئ مستحسن) عند ارباب الطباع السليمة وهو مجرور معطوف على محاسن الاخلاق (مفضل) بزنة اسم المفعول بالضاد المعجمة والصاد المهملة كما قاله ابو مفضل على غيره اومفصله للناس تفصيلا (لم ينكر منه ملحد) اى عادل عن الحق زنديق ومعناه لغة الميل فخص بالميل عن الحق قال الراغب الالحاد ضربان الحاد الى الشرك بالله والحاد الى الشرك بالاسباب فالاول ينافى الايمان و يبطله والثانى يوهن عراه ولايبطله انتهى (ذو عقل سليم) مستقيم مدرك ادراكا سالما عما يضعفه ويمنعه عن العدول عن الحق (شيئا) مفعول ينكر (الا من جهة الخذلان) تقدم ان الخذلان لغة عدم النصر والمراد به عدم التوفيق والتوفيق خلق قدرة الطاعة فى العبد عندنا وفسره المعتزلة بلطف الله تعالى بعبده والخذلان المقابل له عدم لطفه به كما فصل فى علم الكلام يعنى لاينكره الا من خذله الله ولم يوفقه للعلم به ومشاهدة احواله ثم ترقى عما ذكره فاضرب اضرابا انتقاليا او ابطاليا لانكاره باثبات ضده فقال (بل كل جاحد) اى منكر (له) اى لماذكر مما قدمه (وكافر) بما جاء به (من الجاهلية) اى اهلها (به اذا سمع مايدعو) صلى الله تعالى عليه وسلم الخلق (اليه) من الحق المبين (صوبه) اى اعتقد انه صواب واعترف به لان انكاره مكابرة تأباها العقول السليمة والطباع المستقيمة (واستحسنه) اى عرف حسنه واعترف به (دون طلب اقامة برهان) وحجة (عليه) اى على ما اتى به لظهور حقيقته كما ر على علم كعبد الله بن ابى سلول وغيره مما ذكر فى كتب الحديث والسير (ثم ما احل لهم من الطيبات) اى اشتمال شريعته على ما جعلته حلالا للناس مما حرمه غيره كبنى اسرائيل الذين حرموا كل ذى ظفر من البقر والغنم لحومهما الا ما حملت ظهورهما او الحوايا (وحرم عليهم الخبائث) كالميتة والدم ولحم الخنزير والزنا وغير ذلك من المحرمات وعطف بثم لما بينهما من تفاوت الرتبة وقيل لان الاول تفصيل وهذا اجمال وبينهما تفاوت وبون ظاهر وفسر الشافعى الطيبات بما لبس بمستقذر والخبائث بضده والعبرة فى ذلك بالطباع السليمة (و) اشتمال شريعته (على ما صان به انفسهم)

من الهلاك كتحريم قتل النفس بغير حق وقصاص القاتل (واعراضهم) بفتح الهمزة جمع عرض بكسر العين وسكون الراء وهو فى العرف كل مايخل تركه بالانسان وهو المراد واختلف فى معناه الحقيقى لغة فقيل هو مايمدح به المرء و يذم سواء وصف به دون اسلافه ام لا وفى الحديث كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وفى حديث اهل الجنة لايبولون ولايتغوطون وانما هو عرق من اعراضهم ففسر بكل موضع يعرق من الجسد وقال الاصمعى يقال هو طيب العرض اى الريح وفسر بعضهم العرض بالنفس فعلى هذا هو عطف تفسير (واموالهم) فمن امن به صلى الله تعالى عليه وسلم واتبع شرعه صان دمه وعرضه وماله (من المعاقبات) بيان لما صان كالحد والتعزير والحبس (والحدود) كحد الزنا والسرقة والقذف وشرب الخمر (عاجلا) اى فى الدنيا وهو حال مقيد للمعاقبات والحدود (والتخويف بالنار اجلا) فى الآخرة لانه مستقبل من الاجل وهو الوقت المحدود وفى بعض النسخ بدل التخويف التحريق تفعيل من الحرق بالنار اى نار جهنم واختلفوا فيمن حد وعوقب فى الدنيا هل يسقط عنه عذاب الآخرة ام لا فقيل يسقط مطلقا وقيل بشرط التوبة ايضا والى هذا ذهب المعتزلة وقيل لايسقط وانما شرع زجرا ليرتدع الناس عنه والاصح الاول لما ورد فى الحديث من اصاب من ذلك شيئا فعوقب فهو كفارة له ومن اصاب من ذلك شيئا ثم ستره الله فهو الى الله ان شاء عفى عنه وان شاء عاقبه وما ورد فى الحديث من انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لاادرى الحدود كفارة لاهلها ام لا فقيل الاول اصح وقيل انه صلى الله تعالى عليه وسلم قاله قبل العلم به فهو منسوخ وقوله (مما لايعلم) بالبناء للمجهول اى لايعلمه غيره من الناس وهو بيان لجميع ماتقدم من اول الفصل الى هنا (ولايقوم به جملة) اى يحفظه ويتقنه كما هو حقه وبه فسر القيوم بل (ولا بعضه) فضلا عن كله (الا من مارس الدرس) اى لازم دراسة الكتب واجتهد فيها (او العكوف على الكتب) السالفة قال الراغب العكوف الاقبال على الشئ وملازمته على سبيل التعظيم ومنه الاعتكاف انتهى وهذا تأييد لانه منحة الهية خصه الله تعالى بها فما قيل انه لاحاجة اليه وهم من قائله فقوله لاحاجة اليه فاعرفه فانه فى غاية الظهور (ومناقثة بعض هذا) الظاهر انه بميم ونون وقاف ومثلثة وهو بمعنى الاستخراج كما فى القاموس معطوف على الدروس والمعنى ظاهر وما فى بعض النسخ من انه بالفاء مفاعلة من النفث وهو تفل الريق من الساحر والراقى و يطلق على لازمه وهو السحر والسحر قد شاع فى الدقة وكانه المراد اى والدقيق فى بعض هذه الامور وقوله مما لايعلم الى هنا ساقط من اكثر النسخ ولم يتعرض له الشراح (الى الاحتواء) اى مع اشتمالها او مضموما الى الاشتمال (على ضروب العلم) اى انواعه جمع ضرب بفتح الضاد وكسرها و يكون بمعنى المثل ايضا (وفنون المعارف) اى اقسام

المعرفة المتعلقة باحوال الدنيا واهلها كما ان ضروب العلم المراد بها مايتعلق بالشرايع والآخرة فهو من عطف المتغايرين لامن غيره على انه تفنن والفرق بين العلم والمعرفة مشهور (كالطب) اى معرفة مايتعلق ببدن الانسان من حيث الصحة والسقم وكان صلى الله تعالى عليه وسلم اعرف الناس به كما فى طب النبوى وهو من العلوم القديمة المدونة وله معان فى اللغة وهو مثلث الطاء مشدد الباء (والعبارة) بكسر العين المهملة اى تعبير رؤيا المنام وفعله عبر بتخفيف الباء والناس يشددونها وقد انكره بعض اهل اللغة الا انه سمع فى بيت انشده المبرد رحمه الله تعالى فى الكامل وهو

*رأيت رؤيا ثم عبرتها * وكنت للاحلام عبارا *

كما فى الكشاف ووقع فى بعض النسخ العبارة مضبوطا بفتح العين ولم اقف عليه (والفرائض) جمع فريضة وهو النصيب من الميراث والفرائض صار علما للعلم بذلك وهو قسم من علم الفقه افرد بالتأليف فصار علما مستقلا ولذا نسب اليه فقيل فرائضى (والحساب) هو علم يتعلق بالعدد ولابتناء الفرائض عليه فى الاكثر قرنه به (والنسب) اى معرفته بانساب العرب وغيرهم وهو من علم التاريخ وكان ابا بكر الصديق رضى الله تعالى عنه اعلم الناس به بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (وغير ذلك من العلم) وانواعه (مما اتخذ اهل هذه المعارف) لو قال اهله كان اظهر واشمل واخصر (كلامه صلى الله عليه وسلم فيها) اى فى هذه العلوم والمعارف وقيل الضمير للشريعة اى فى شريعته وهو خلاف الظاهر (قدوة واصولا) اى ادلة مثبتة لها اوقواعد وضوابط يرجعون اليها فى الحوادث الجزئية اذا وقعت لهم (فى علمهم) اى علومهم التى دونوها فى هذه الفنون (كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم) فى حديث رواه ابن ماجة عن انس رضى الله تعالى عنه (الرؤيا) اى مايرى فى المنام من الاحلام مصدر يختص بذلك ويقال فى غيره رؤية بالتاء ورأيا (لاول عابر) متعلق بمقدر اى مصادفة وموافقة لاول تفسير يفسر به والعابر هو الذى يبين الرؤيا و يفسرها واول الحديث اعتبروها باسمائها وكنوها بكناها والرؤيا لاول عابر اى فسروها بما يناسب الفاظها كما اذا قيل سالم فاول بالسلامة وهو نوع من التعبير والتكنية ليس من الكنية المشهورة بل المراد به التمثيل كما فى النهاية وهى عند اهل السنة امر يلقيه الله تعالى فى قلب عبده كالالهام وورد ان ملكا يلقيه وهو ملك الرؤيا وعند الحكماء ان الروح فى النوم تفارق البدن وتتصل بالملأ الاعلى فيلقى اليها مايفيضه على ذهن النائم فمنه مايقع بعينه ومنه مايأول بغيره ومنها اضغاث احلام ودعابة الشيطان لاتأويل له ومن هذا القبيل ماهو من غلبة الاخلاط كالصفراء اذا غلبت يرى النائم نارا والبلغم يرى ماء والسوداء يرى شيئا اسود وليس كل رؤيا كذلك كما يوهمه

كلام الاطباء وانكار هذا القسم لا وجه له ايضا والكلام على الرؤيا وحقيقتها واقسامها مبسوط فى محله قيل المراد بالعابر هنا العالم باحوال الرؤيا لا كل عابر وظاهر كلام اهل هذا الفن يخالفه لانه عندهم كالفال والالهام فلا يختص بمن ذكر وقد قيل ان رجلا رأى انه شرب البحر فقصه على ابن سيرين رحمه الله تعالى فقال له هل ذكرته لاحد قال نعم قال ما قال لك قال قال واه ينشق بطنك فلم يعبرها له وقال قضى الامر (و) قوله و(هى على رجل طائر) رواه ابو داود والترمذى عن ابى ذر رضى الله عنه وصححه يؤيده بل بعينه واول الحديث رؤيا المؤمن جزء من ستة واربعين جزأ من النبوة وهى على رجل طائر ما لم تعبر فاذا عبرت وقعت فلا يحدث بها الا حبيبا او لبيبا ورجل بكسر الراء وسكون الجيم ولام وهو تمثيل لكونها كالفال على قدر جار من خير او شر قدر لصاحبها فكانها بصدد وقرب من ان تقع بادنى حركة فهو بمعنى قوله لاول عابر وفيه من لطف البلاغة وسرها ما لا يخفى فان الطائر يكون للفال ومنه التطير وليس المراد به ظاهره كما توهم وقد وقع فى بعض الكتب الرؤيا على جناح طائر اذا قص وقع ولا ادرى هل هى رواية بالمعنى تظرفا او رواية وفيه تورية فى القص لانه يكون من قص الجناح اذا قطع ريشه ومن قصص الرؤيا اى ذكرها للعابر فوقع يحتمل لمعنيين ايضا من الوقوع والسقوط وقد نظمه بعض المتأخرين فقال *رؤيا اذا قصصتها* وافت كبدر قد طلع* على جناح الطائر* فهو اذا قص وقع وهذا الحديث روى من طرق اختلف العدد فيها فروى سبعين واربعة وعشرين وستة واربعين جزأ والاخير من رواية البخارى وجعلها جزأ من النبوة لان رؤياهم وحى صادق فقيل حقيقة العدد وقدره غير مقصود والمقصود التكثير وقيل وجهه انه صلى الله تعالى عليه وسلم اوحى اليه احد وعشرين سنة ستة منها منام والباقى وحى يقظة على انواع يثبتها وجاءت امرأة للنبى صلى الله عليه وسلم فقالت رأيت ان جذع السقف من بيتى وقع وعندى ولد اعور فقال يقدم زوجك وتلدين ولدا برا ثم رأتها بعد ذلك فقصتها على ابى بكر رضى الله تعالى عنه فقال يموت زوجك وتلدين فاجرا لانها فى زمن الرؤيا كان زوجها غائبا وهو عمود البيت فسقوطه مجيئه قال *فاسقط علينا كسقوط الندا* ءالميل لا ناه ولا آمر واول المعور بالبر لغض بصره عن المحرمات وفى وقت كلامها لابى بكر رضى الله تعالى عنه كان زوجها مقيما وسقوطه موته والاعور يتشاءم به فالمنام واحد اختلف تأويله بحسب الحال وامثاله كثيرة (وقوله) صلى الله عليه وسلم (الرؤيا ثلاث) انواع (رؤيا حق) بالاضافة والتوصيف والظاهر الثانى وهو المناسب لما بعده وعلى الاول الاضافة بيانية اى رؤيا هى حق فالمعنى واحد (ورؤيا يحدث بها المرء نفسه) المراد انها خواطر تخطر بالبال لا امور مفاضة من عالم المثال والملك يشبه بمن يحاور غيره فى خلوة لما يورده عليها من الامانى والاوهام وهو فى معنى

التجريد المذكور فى علم البديع فهو بديع وليس المراد من نفسه ذاته وهما معنيان متغايران يعنى انه رأى فى منامه ما كان فى فكره قبله وهو من اضغاث الاحلام (ورؤيا من تحزين الشيطان) بان يلقى له ما يكره ويخاف بوسوسته وورد فى الحديث انه ينبغى للانسان ان يتحول من شقه الذى نام عليه ويستعيذ بالله تعالى من شره ويتفل عن يساره او يصلى ركعتين ان انتبه ولا يحدث به احدا قال السيوطى رحمه الله فى مناهل الصفا فى تخريج احاديث الشفاء هذا الحديث رواه الشيخان وغيرهما عن بضعة عشر من الصحابة الا انه قيل ان الذى فى مسلم عن ابن سيرين عن ابى هريرة اذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب واصدقكم رؤيا اصدقكم حديثا ورؤيا المسلم جزء من خمسة واربعين جزأ من النبوة والرؤيا ثلاث رؤيا صالحة بشرى من الله ورؤيا تحزين من الشيطان ورؤيا يحدث بها المرء نفسه فان رأى احدكم ما يكره فليقم فليصل ولا يحدث بها الناس قال واحب القيد واكره الغل والقيد ثبات فى الدين فلا ادرى اهو فى الحديث ام قاله ابن سيرين انتهى ما فى مسلم وقد اختلفوا فى ما ذكر من كون الرؤيا ثلاثا الى آخره فقيل هو مدرج فى الحديث من كلام ابن سيرين وقيل هو موقوف على ابى هريرة وقيل فيه انه مرفوع ويؤيده ان ابن حنبل رفعه مسند والحافظ السيوطى اعتمده وكذا المصنف رحمه الله تعالى فلا يرد عليه ان ابن الملقن قال فى شرح البخارى ان الصحيح انه ليس من كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم واختلف فى قائله والصحيح انه ابن سيرين وقول ابن حجر فى فتح البارى انها ليست منحصرة فى الثلاث فان منها رابعا وهو تهويل الشيطان وخامسا وهو ما تهم به المرء فى يقظته وسادسا وهو تلاعب الشيطان وسابعا وهو ما يعتاده الانسان ويينه وبين حديث النفس عموم وخصوص ليس بشئ لانه راجع لما ذكروا وفى معناه وقد بسطنا الكلام على الرؤيا فى تعليقة مستقلة يضيق عنها نطاق المقام فانظرها ان شئت (وقوله) صلى الله عليه وسلم فى حديث رواه الشيخان عن ابى هريرة مسندا (اذا تقارب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب) التقارب تفاعل من القرب ضد البعد واختلف فى المراد به هنا فقيل المراد به زمان الربيع وقرب الليل والنهار من التساوى وهو زمان تدرك فيه الثمار وتفتح الازهار ويرق النسيم فتعتدل الطباع البشرية فيه فيقوى قواها على تلقى ما يفاض عليها ولذا قال اهل التعبير اصدق زمان لوقوع الرؤيا زمان الربيع وقيل المراد به آخر الزمان اذا قربت الساعة كما فى زمان المهدى وتقاربه وقصره اما حقيقة لما فى الحديث فى ايامه السنة كشهر والشهر كجمعة والجمعة كيوم واليوم كساعة وقيل انه لكثرة اشتغال الناس بالدنيا لسعتها عليهم او لغير ذلك وذهب كل لترجيح احد الوجهين لورود ما يؤيده وقوله لم تكد الى آخره نفى للكذب بابلغ وجه برهانى لان ما لا يقرب من الوقوع ابلغ مما لا يقع فليس نفيها اثباتا ولا اثباتها نفيا كما توهم والقرب واجب عنه

كما فصله النحاة وشهرته تغنى عن ذكره وخص المؤمن لان نفسه اقوى وعقله اتم من غيره وقيل انه لبعد العهد بالوحى عوضوا المبشرات (وقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه الدارقطنى وضعفه فلا وجه لما قيل من انه لا صحة له (اصل كل داء) اى مرض وتغيير مزاج (البردة) بموحدة وراء ودال مهملتين مفتوحات وهى والتخمة الاكثار من الطعام حتى لا تقدر المعدة على هضمه سميت بها البرد المعدة حتى تضعف عن طبخه وتصفية اخلاطه والمراد بكونه اصلا لذلك انه منشؤه ومبدؤه فى الغالب * فان الداء اكثر ماتراه * يكون من الطعام او الشراب *

(وماروى) عنه صلى الله تعالى عليه وسلم والراوى له الطبرانى فى الاوسط كما يأتى بيانه والمصنف لم يثبته (فى حديث ابى هريرة من قوله) صلى الله عليه وسلم (المعدة) بوزن كلمة و بكسر الميم وسكون العين ودال مهملة مقر الطعام والكرش للحيوان والحوصلة للطائر (حوض البدن) تشبيه بليغ والحوض مجمع الماء فشبهها به وشبه البدن بما يشتق منه وقيل شبهها به بعروق الشجر والبدن بفروعها وهو مكدر لما فى الحوض من الصفاء والتشبيه ثم رشح ذلك بقوله (والعروق اليها واردة) جمع عرق وهو مجرى الدم والورود والاتيان للماء مفردا و جمع وارد فشبه ايصال خلاصة الغذاء الى الاعضاء بالاخذ من الحوض المورود والعروق تنقسم الى شريانات واردة كما ذكره اهل التشريح (وان كان هذا حديثا) خبر كان وقوله (لانصححه) اى لانحكم بصحته خبر ما الموصولة قبل وروى حديث بالرفع بدلا من هذا والنصب اولى (لضعفه وكونه موضوعا) بالجر ترق من ضعفه و يجوز رفعه على انه مبتدأ خبره (تكلم عليه) الامام (ابو الحسن الدارقطنى) نسبة لدار القطن محلة لبغداد ولا يرد على المصنف رحمه الله تعالى انه كيف ذكر الموضوع وهو كذب عليه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو ممتنع لان ذلك فى ذكره مع عدم بيانه وقد اختلف فيه فقيل انه مرفوع قال الطبرانى فى الاوسط عن الزهرى عن ابى هريرة مرفوعا المعدة حوض البدن والعروق اليها واردة فاذا صحت المعدة صدرت العروق بالصحة واذا فسدت المعدة صدرت العروق بالسقم ولم يروه عن الزهرى الا زيد بن ابى انيسة تفرد به الرهاوى وقوله تكلم الى آخره اى بحث فى سنده وكونه مرفوعا وقال فى كتاب العلل اختلف فيه عن الزهرى فرأوه ابو قرة الراوى عنه وقال عن عائشة ولم يقل عن ابى هريرة وكلا الروايتين عن ابى هريرة لم يصح ولا يعرف من كلام النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وانما هو من كلام عبد الملك بن سعيد بن ابجر وقيل انه من كلام الحارث بن كلدة وعن ابن منبه ما يقرب منه وذكر ابن ابى الدنيا اجمعت الاطباء على ان رأس الطب الحمية والحكماء على ان رأس الحكمة الصمت وعن عائشة رضى الله تعالى عنها انها قالت الازمة دواء والمعدة دواء عود واكل بدن ما اعتادوه (وقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه الترمذى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما (خير

ما تداويتم به السعوط) بفتح السين وضم العين المهملتين وواو وطاء مهملات وكذا كل ما يداوى به فانه على فعول بالفتح وهو ما يجعل فى الانف و يستنشق به لفتح السدد الدماغية ومنع النزلات (واللدود) بفتح اللام وضم الدال المهملة وواو ودال مهملة وهو ما يجعل فى احد شقى الفم و يتغرغر به لدفع ورم به يعترى الصبيان غالبا وهما فى الاصل اسمان لمرضين فى الرأس واعلى الحلق و يسمى الثانى نزلة الحلق وهو ورم فيه معروف وكان النساء يعالجنه برفعه بالاصبع فنهاهم صلى الله تعالى عليه وسلم عنه وامرهم بما ذكر وهو العود الهندى يحك فى الماء ثم يفعل به ذلك فيحلله بحرارته وهو مأخوذ من اللديد وهو جانب الوادى كما قاله الاصمعى وهذا من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم فانه مرض خفى لا يعرفه اكثر الاطباء قديما فضلا عن زماننا وفى الهدى النبوى لابن القيم من هذا النوع ما فيه شفاء للصدور (والحجامة) وهى مص الدم بآلة معروفة فى الرأس و بين الكتفين وهى فى مؤخر الدماغ تورث النسيان وهى دواء للشقيقة فى الرأس مع انه مرض مزمن وورد فيها احاديث منها انه صلى الله تعالى عليه وسلم ما مر ليلة الاسراء بملأ من الملائكة الا قالوا له مر امتك بالحجامة (والمشى) بفتح الميم وكسر الشين المعجمة وتشديد المثناة التحتية وهو المسهل يقال شربت مشيا ومشوا سمى به لان صاحبه يكثر المشى للخلاء وفى الحديث لو كان شئ فيه شفاء من الموت لكان فى السنا ولبعض الشراح هنا كلام مختل تركه خير منه (وخير الحجامة) اى انفعها بعد نصف الشهر (يوم سبع عشرة وتسع عشرة واحدى وعشرين) فى الوتر دون الشفع وهذا الحديث رواه الحاكم عن ابن عباس رضى الله عنهما وصححه وابو داود عن ابى هريرة مرفوعا وشينه مفتوحة وساكنة وغلب فيه المؤنث على المذكر او ذكر لحذف المميز ونهى عن الحجامة فى يوم الاربعاء والسبت والاحد وروى عن ابن حنبل انه كره الحجامة فى غير هذه الايام وانما كانت الحجامة فى النصف الاخير والربع الثالث من الشهر انفع لان الاخلاط تهيج فى اوله وتسكن بعده لهبوط العمر فالاستفراغ فيه اقل فلا يضعف ويقولون انه ينبغى ان يكون فى الساعة الثانية او الثالثة ولا يكون عقب حمام ولا جوع ولا شبع ولا فى الصوم (وفى العود الهندى سبعة اشفية) والمراد بالعود الهندى العود المعروف وقيل القسط الابيض وهو مبين فى باب المفردات من الطب والاشفية جمع شفاء على خلاف القياس والقسط بضم القاف و يقال كسط بالكاف والسبعة انه ينفع من ذات الجنب وحصر البول وضعف شهوة الطعام والجماع والسم و يدر الطمث و ينفع امراض الكبد والربع والسبعة علمت بالوحى وما عداها بالتجربة (وقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم كما تقدم الكلام فيه (ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطن) شبه البطن بالوعاء الذى فيه الطعام وفى بعض النسخ من بطنه والشربة فى البطن مخففة لانه

بضر ويورث الكسل المانع من العبادة وفى المفضل عليه تقديرية (فان كان
ولابد) اى انلزم واصل معنى البد المفارقة يقال لابد من كذا ولامحالة اى لامفارقة
ولاتحول فاريد به لازمه (فثلث) من البطن (للطعام وثلث للشراب وثلث) يكون
خاليا (للنفس) اى لدخوله وخروجه وهذا ايماء الى انه لاينبغى مملوه بتمامه وان يكون
مافيه اقل من ملئ ثلثه وهذا بعض حديث رواه ابن ماجة والترمذى وابن خزيمة
مرفوعا وحسنوه وهوماملأ ابن آدم وعاء شرا من بطن حسب ابن آدم لقيمات يقمن
صلبه فان كان لامحالة فثلث الى آخره وجعله من طبه لانه بين مبدء الصحة والمرض
ومقدار مايكفى البدن وربمايتوهم بعضهم انه يضعفه وقد قال بعض اهل الكتاب
ليس فى كتابكم الطب فقال له بعضهم قوله تعالى *كلوا واشربوا ولاتسرفوا*
فقال انها جمعت طب جالينوس ثم ذكر مايتعلق بعلمه صلى الله تعالى عليه وسلم
بالانساب ولم يراع فى اللف والنشر ترتيبا فانه ليس بلازم وقديستحسن تركه اعتمادا
على فهم السامع فقال (وقوله) عليه السلام فى حديث رواه الترمذى عن فروة واحمد
عن ابن عباس مسندا (وقد سئل عن سبأ) بهمزة فى آخره يجوز ابدالها الفا وعلى همزة
يصرف ولايصرف فيجوز تنوينه وعدمه وهذا مما اختلفوا فيه وفى مسماه (اهو رجل
ام امرأة ام) هو اسم (ارض) كان يسكنها او ينزل بها (فقال) هو اسم (رجل) يسمى
باسمه ارض وهى مدينة بلقيس باليمن فلاخلاف بين القولين فصرفه ظاهر ومنعه
لانه اريد به قبيلته فان اريد به الارض فباعتبار البقعة (ولد عشرة) من الاولاد
الذكور ولذا قال عشرة (تيامن منهم ستة) اى سكن اليمن فتوالد منه اكثرهم ونسبوا له
وهم مذحج وحمير وكندة والازد والاشعريون كماذكره علماء النسب واهل التاريخ
واليمن اقليم معروف منه تهامة ومنها المدينة (وتشأم اربعة) اى سكنوا الشأم بالهمزة
وقد تمد وتبدل الفا وهو من الفرات الى العريش وهم لخم وجذام وعاملة وغسان
كماقاله الواحدى فى تفسيره وتحت هؤلاء قبائل وبطون وافخاد ليس هذا محل
تفصيلها (الحديث بطوله) بالنصب اى اذكر هذا الحديث وفيه اشارة الى انه
اقتصر على بعض منه يكفى فيما اراده وترك الباقى لطوله والغنى عنه واختلف فى وجه
تسمية الشأم شاما فقيل لانها فى جانب اليسار ويقال له شامى كسرى وقيل سميت
باسم سام بن نوح وعربت بالاعجام وقيل انه بمعنى الشأمة لسامات حمر وسود فيها
(وكذلك) اى مثل ما تقدم من علمه صلى الله تعالى عليه وسلم بالانساب (جوابه)
صلى الله تعالى عليه وسلم لمن سأله وهو عمرو بن مرة (فى نسب قضاعة) فى حديث
رواه احمد وابو يعلى والطبرانى عن عمرو بن مرة الجهنى انه صلى الله تعالى عليه
وسلم قال من كان هنا من معد فليقم فقمت فقال اقعد فقلت ممن نحن قال انتم من
قضاعة بن مالك بن حمير وقضاعة بضم القاف وضاد معجمة وعين مهملة ابو حى

من اليمن لقب به لانفصاله عن الناس لان القضاعة ماينفصل عن اصل الحايط
وقيل من قضع بمعنى قهر لقهره بشجاعته من عاداه وقيل القضاعة من اسماء
الفهد اوكلاب الماء (وغير ذلك) المذكور (مما اضطرت) بالبناء للمفعول
وهو لغة القرآن الفصحى او الفاعل افتعال من الضرورة والاحتياج قال الله تعالى
*امن يجيب المضطر اذا دعاه (العرب على) اى مع (شغلها) بضم الشين المعجمة
ويجوز فتحها والاول هنا اولى اى اشتغالها وتقييدها (بالنسب) اى بمعرفته
وحفظه لاعتنائهم بضبط انسابهم ومع ذلك اضطروا فالتجأوا (الى سؤاله)
صلى الله تعالى عليه وسلم (عما اختلفوا فيه) لخفائه عليهم (من ذلك) اى معرفة
ذلك اى مشكل انسابهم ومعرفة مااشكل عليهم مما جل امرهم ضبطه وهو صلى الله
تعالى عليه وسلم لايعتنى به ولايشتغل بحفظه وذلك يدل على قوة معرفته بالانساب
وفى نسخة مصححة ومن ذلك بالواو فهو خبر مقدم (و) قوله (قوله) مبتداؤه اى
قوله صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه البزار (حمير) وهم قوم من العرب
يوزن درهم ابن سنان بن يشجب (رأس العرب) اى منزلتهم من الشرف فى العرب
بمنزلة الرأس من الجسد (ونابها) وهو سن كبير خلف الرباعية اى هم عمدتهم
ومن اشدهم وهم من ولد معد بن عدنان ومن ذرية اسمعيل (ومذحج) بفتح الميم
وسكون الذال المعجمة وكسر الحاء المهملة وجيم وهما حيان من العرب مالك وطى
سميا باسم اكمة ولدتهما امهما عندها وميمه زائدة فوزنه مفعل وقال الجوهرى
اصلية فوزنه فعلل ووهم فيه عما فصل فى كتاب سيبويه وشروحه وليس هذا محله
(هامتها) اى رأسها (وغلصمتها) بفتح الغين المعجمة وسكون اللام وفتح الصاد
المهملة وميم وهاء وهى لحمة بين الرأس والعنق او رأس الحلقوم وفيه اشارة الى
اشتراكهما فى الشرف وتخصيص كل بفضيلة مع اليقين فى التعبير فان الرأس والهامة
متقاربان والناب والغلصمة يحتاج لكل منهما فى اساغة الطعام الذى هو مادة الحيوة
وقيل انه تفضيل لمذحج لان الحاجة للغلصمة اشد ولك ان تقول انه اشارة الى ان
فى حمير مع الشرف شدة وقهر وفى مذحج لين ونفع وعلى كل حال فما وصفوا به دال
على المدح والشرف على طريق التشبيه البليغ او المجاز المرسل بتسمية الكل باسم
الجزء وقول ابى بكر رضى الله تعالى عنه فى حديثه المشهور امن هامها ام من لهازمها
اى اشرافها او اوساطها يدل على تفضيل حمير (والازد) بهمزة مفتوحة وزاى
معجمة ساكنة ودال مهملة وهو الازد بن الغوث وهو بالسين افصح كما فى القاموس
ابو حى باليمن منه الانصار ويقال ازد شنوئة وعمان وسراة وازد بن الفتح محدث
(كاهلها) بوزن فاعل وهو مايلى العنق من اعلى الظهر كما قاله الخليل وعليه الكل
والجمل وقيل مابين كتفيه اوموضع العنق فى الصلب (وجمجمتها) بضم الجيمين

وميمين الاولى ساكنة والثانية مفتوحة وهى عظام الرأس وتطلق على الرأس نفسها وجماجم العرب بطون منها والجمجمة ايضا اسم قدح ونقل معروف وفيه اشارة الى ان غيرهم وان كان اشرف كالمهاجرين والخلفاء فهم لهم الفضل بمعاونتهم وحمل كدهم لان الانصار منهم (وهمدان) بسكون الميم ودال مهملة قبيلة باليمن وبفتح الميم اسم بلدة (غاربها) هو من البعير كالكاهل من الانسان والكتف (وذروتها) بكسر الذال المعجمة وضمها وسكون الراء المهملة اى اعلاها وسنامها ففيه من المعرفة بانساب العرب ومنازلها فى الشرف والاحاطة باحوالها مالاتهتدى له سواه صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل اراد بالذروة اعلى السنام وان مخائل الضعف والنكارة لايحة على هذا الحديث لتكويره ذكر الرأس بالفاظ مختلفة ولذا جزم ابن حجر بانه منكر قلت اما انكاره من جهة الرواية فسلم واما من جهة تكراره المذكور فتفنن بديع ونوع من الفصاحة فلاوجه للاستدلال به وهو عليه (وقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه الشيخان عن ابى بكرة فى خطبة حجة الوداع ولفظ قوله فى جميع ماوقع هنا بالجر رواية عن المصنف وان جاز رفع بعضها (ان الزمان قد استدار) اى عاد لماكان عليه كالدائرة التى يرجع انتهاؤها الى ابتدائها (كهيئة يوم خلق الله السموات والارض) وتمة الحديث السنة اثنى عشر شهرا منها اربعة حرم ثلاث متواليات ذوالقعدة وذوالحجة والمحرم ورجب مضر بين جمادى وشعبان انتهى وقيده بذلك دفعا للنسئ وتغيير الشهور الذى كانت الجاهلية تفعله فانهم كانوا اهل حروب وغارات فربما اتاهم بعض الاشهر الحرم وهم يحاربون فيشق عليهم الترك فيجعلونه وينقلونه من شهر الى آخر ويستمر نقله من شهر لآخر سنة بعد سنة حتى يعود لموضعه الاول فينتقل بذلك شهر الحج وكانوا يحجون فى كل شهر عامين فوافق حجة ابى بكر العام الثانى من حجة ذى القعدة فلما حج صلى الله تعالى عليه وسلم حجة الوداع وافق حجة شهر ذى الحجة المشروع فوقف كما هو الآن فخطب واعلمهم ان حجة فى هذا الشهر ليس اتفاقيا بموافقته لدور الشهور فى الجاهلية وانما هو امر شرعه الله وقدره فى الازل وامره به نسخا لما كانوا يفعلونه وامرهم صلى الله تعالى عليه وسلم بالمحافظة عليه وان لايبدل ويدور دور الجاهلية الاولى فقوله استدار بمعنى رجع لما فى علم الله وقضائه قديما وهو معنى قوله يوم خلق الله الخ فنسى النسئ ونسخ وكانوا اذا ارادوا ذلك يقوم رجل من بنى كنانة لانهم اهل غارات على جمل بالوسم وينادى باعلى صوته ان الهتكم قد احلت لكم الحرم فاحلوها واستدارته بموافقة حجه للمشروع ولذا لم يحج صلى الله تعالى عليه وسلم قبله وارسل ابابكر رضى الله تعالى عنه بالعهد ليطهر الحرم قبل حجه ونقل ابن حجر ان حجة الوداع كانت والشمس فى الحمل وقد تساوى الليل والنهار واعتدل

بشرف شمس النبوة وقال الصدر القونوى فى شرح الاربعين حديثا له ان فى هذا الحديث اسرارا الهية لايطلع عليها الابعض الكمل ثم قال ان النوع الانسانى اوحد بالامر الالهى فى اول دور السنبلة ومدته سبعة آلاف سنة بعث نبينا صلى الله عليه وسلم فى الالف الاخير منها الجامع بين احكام السنبلة والميزان المختص بالآخرة والبروج تمازج بالقرب فامتزج فى زمان بعثته الدنيا بالآخرة البرزخية كالصبح بالنسبة للنهار فظهور النور تدريجا حتى تطلع الشمس وكذلك ظهور احكام الآخرة من حين المبعث الى طلوع الشمس من مغربها ومنه ظهر سر ختمية النبوة والولاية انتهى ملخصا ومن لم يفهم الحديث ذكر ما لامساس له به ولاينبغى ذكره وذكر هذا الحديث هنا اثباتا لعلمه عليه الصلوة والسلام بالحساب فان الزمان وحركاته الدورية مبنية عليه (وقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه الشيخان عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما (فى الحوض) اى فى شان حوضه الذى يكون يوم القيامة يشرب منه العطاش وقد تقدم الكلام فيه رزقنا الله وروده وسقانا منه شربة لانظمأ بعدها (زواياه سواء) جمع زاوية وهو مايحصل من تلاقى خطين من داخله وسواء بمعنى متساوية وهذا يقتضى انه مربع متساوى الاضلاع مستقيمها فانه لاتتساوى زواياه الااذا استقامت اضلاعه وهذا امر مبنى على المسامحة ودقايق الهندسة وذكر ابن ابى الاصبع انه نوع من البديع غريب سماه الاستقصا وان منه قوله تعالى * الى ظل ذى ثلاث شعب * فقال انه ايماء الى انه ليس بظل لان المثلث لاظل له وهذا كله كلام يحتاج للتحرير لكن لكل مقام مقال وهذا لاينافى ماورد فيه من ان مسافته مابين ايلة وصنعا ومسافة شهر وغير ذلك كمامر لا لانه اعلم باحواله شيئا بعد شئ كما قيل بل لان المراد من كل زيادة سعته فهو كما فى المثل كلا جانبى هرشى اليه طريق (وقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه ابو داود وابن ماجة عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنهما (فى حديث الذكر) وهو انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال خصلتان لايحصيهما رجل مسلم الادخل الجنة وهما يسير ومن يعمل بهما قليل يسبح الله عزوجل دبر كل صلاة عشرا ويحمده عشرا ويكبر عشرا قال فرأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يعقدها بيده فذلك خمسون فهى مائة باللسان والف وخمسمائة فى الميزان فاذا اوى الى فراشه سبح وحمد وكبر مائة فتلك مائة باللسان والف فى الميزان فايكم يعمل فى اليوم الفين وخمسمائة سيئة الى آخر الحديث (وان الحسنة بعشر امثالها فتلك مائة وخمسون على اللسان) اى اذا جرت على اللسان وذكرت فى دبر كل صلاة من الصلوات الخمس فانها ثلاثون مضروبة فى خمسمائة (والف وخمسمائة فى الميزان) التى توزن به الاعمال والوزن اما لصحفها اولها نفسها بجعل الاعراض اجساما

وعند المعتزلة انه تمثيل لمضاعفة اجرها فان الحسنة بعشر امثالها كما ورد به النص وهو اقل مراتبها وقد يزيد على ذلك وهذا استدلال من المصنف رحمه الله تعالى على معرفته صلى الله تعالى عليه وسلم بالحساب وهو بالنسبة لمقامه وحدة ذهنه امر سهل وقوله يعقدها اشارة الى انه لم يكن له صلى الله تعالى عليه وسلم مسبحة يسبح بها ولذا قال بعضهم انها بدعة وقال السيوطى فى رسالة سماها المنحة فى السبحة انها سنة وان لم يباشرها بنفسه لانه صلى الله تعالى عليه وسلم رأى عند بعض الصحابيات نوى تعد به الذكر فاقرها عليه (وقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه الطبرانى عن ابى رافع بسند قالوا ان فيه ضعفا (وهو فى موضع) جملة حالية وفى نسخة ومر بموضع (نعم موضع الحمام هذا) بفتح الحاء المهملة وتشديد الميم بيت يعد للغسل يذكر ويؤنث ولم يكن فى عصره صلى الله تعالى عليه وسلم بالمدينة حمام ولم يدخله وهذا تمثيل لما لم يذكره فان فيه الاخبار بمحال البناء ومهاب الهوى ونعم للمدح والمخصوص به هذا وقيل موضع الحمام كقوله تعالى * فنعم دار المتقين * (وقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه الترمذى عن ابى هريرة وصححه (ما بين المشرق والمغرب قبلة) القبلة تطلق على المسجد كما فى قوله تعالى * واجعلوا بيوتكم قبلة * فى احد التفاسير وعلى الكعبة وعلى جهتها وسمتها وهو المراد هنا لانه المراد عند الاطلاق وهو امابيان لقبلة اهل المدينة لانهم المخاطبون اوعلى من هى فى جنوبه اوشماله والتبست عليه وقال ابن عمر اذا جعلت المغرب عن يمينك والمشرق عن يسارك فما بينهما قبلة واما كون الواجب استقبال عين الكعبة اوجهتها فبحث طويل مفصل فى التفسير وكتب الفقه لايسعه هذا المقام والشاهد فى الحديث انه يدل على علمه صلى الله تعالى عليه وسلم بعلم الميقات فان معرفة سمت القبلة باب منه تضمنه هذا الحديث (وقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث ذكره ابن الاثير فى النهاية فلم يخرجه السيوطى لانه لم يقف عليه (لعيينة) ابن حصن الفزارى ويكنى ابا مالك واسلم يوم الفتح وكان من المؤلفة وكان من حفاة الاعراب وهو الذى قال فيه صلى الله تعالى عليه وسلم انه الاحمق المطاع لانه كان سيد قومه وعيينة علم منقول من تصغير العين (اوالاقرع بن حابس) بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع التميمى واسمه فراس ولقب بالاقرع لقرع فى رأسه وهو من المؤلفة ايضا وكان شجاعا فارسا شريفا فى قومه فى الجاهلية والاسلام اسلم وقدم على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى وفد بنى تميم وهو الذى نزل فيه * ان الذين ينادونك من وراء الحجرات * وقصته مذكورة فى السير والشك فى القول من الراوى وقال ابن الاثير انه صلى الله تعالى عليه وسلم عرض عليه الخيل وعنده عيينة فقال انا اعلم بالخيل منك فقال صلى الله تعالى عليه وسلم (انا افرس بالخيل

منك) اى ابصر واعرف ومصدره الفراسة بفتح الفاء والفراسة بالكسر من التفرس وهو معنى آخر وهو رد عليه باسلوب حكيم ولم يقل له انت كذلك لما يعلمه من انه اعرابى جاء فى (وقوله) صلى الله عليه وسلم فى حديث رواه الترمذى عن زيد ابن ثابت (للكاتب) وكان له كتبة عدة كما مر والمقول له منهم قيل انه معاوية وقد عد البرهان فى حاشيته هنا كتاب النبى صلى الله عليه وسلم فبلغ عددهم ثلاثة واربعين وعدهم شيخه الحافظ العراقى وقال ان شيخه الجمال الانصارى افردهم بتأليف قلت وقد وقفت انا ايضا على تأليف لابن ابى الجعد فيهم وكانه لم يقف عليه ولم يفصلهم هنا لان له مقاما آخر وكان المداوم على الكتاب له صلى الله تعالى عليه وسلم زيد ومعاوية رضى الله تعالى عنهما (ضع القلم على اذنك) لم يعينها والمراد اليمين (فانه) اى وضعه كذلك (اذكر) اى اكثر ذكرا بكسر الذال وضمها وهو ضد النسيان (للمملى) اسم فاعل اصله الململ ويجوز فيه ان يكون اسم مفعول ايضا اى مايذكر ويملى وامل واملى بمعنى وهو القاء مايكتب على الكاتب وبهما ورد القرآن قال الله تعالى * فليملل الذى عليه الحق * وقال الله تعالى * فهى تملى عليه * والاصل امللت فقلب تخفيفا كما قاله الراغب واما قوله تعالى * واملى لهم ان كيدى متين * فمعناه امهلهم (هذا) اى خذ هذا اواذكره وقيل ها اسم فعل بمعنى خذ من غير تقدير والرسم يخالفه وهى كلمة مستعملة فى الانتقال والتخلص من كلام لآخر اوما يتممه وهى كذلك فى القرآن وكلام العرب اى معرفته صلى الله تعالى عليه وسلم بالكتابة واحوالها (مع انه صلى الله تعالى عليه وسلم) امى من امة امية لا يكتب ولا يحسب فهو من معجزاته لانه (كان لا يكتب) كما تقدم بيانه وانه قيل انه كان ذلك فى اول امره وانه كتب بعد ذلك فى الحديبية كما ذكره بعضهم وقد ردوه وشنعوا عليه كما فصله ابن حجر فى تخريج احاديث الرافعى وقد تقدم بيانه فى غير ما موضع (ولكنه) صلى الله تعالى عليه وسلم (اوتى) بالبناء للمجهول بالعلم بان المؤتى له هو الله تعالى (علم كل شئ حتى قدوردت آثار) جمع اثر وهو مايؤثر ويروى مطلقا وقد يخص بما يقابل الحديث المرفوع من كلام بعض الصحابة اوالتابعين رضى الله تعالى عنهم (بمعرفة حروف الخط ثم) اى كيفية رسمها (وحسن تصويرها) اى صورتها المستحسنة عند اهلها ومن مارسها (كقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم الكاتبه (لا تمد بسم الله الرحمن الرحيم) اى لا تجعل السين مدة طويلة من غير بيان لسناتها فانه يلبس صورتها وفى نسخة لا تمدوا (رواه ابن شعبان من طريق عن ابن عباس) رضى الله تعالى عنهما وابن شعبان وهو محمد ابن القاسم بن شعبان بن اسحق المصرى المالكى توفى سنة خمس وخمسين ومائة وضعفه ابن حزم وله ترجمة فى الميزان وقال السيوطى حديث ابن عباس رضى الله تعالى عنه لا تمد بسم الله الرحمن الرحيم لم اجده وللديلمى من حديث انس

رضى الله تعالى عنه اذا كتب احدكم بسم الله الرحمن الرحيم فليمد الرحمن وله
من حديث زيد بن ثابت رضى الله تعالى عنه اذا كتبت فبين السين فى بسم الله الرحمن
الرحيم (وقوله) صلى الله عليه وسلم (فى الحديث الآخر الذى يروى) بالبناء للمفعول
ونائب فاعله قوله (عن معاوية) بن ابى سفيان رضى الله تعالى عنه احد كتبته صلى الله
تعالى عليه وسلم كما تقدم وفى نسخة الذى يروى معاوية الذى يرويه عنه صلى الله
عليه وسلم و يروى مبنى للفاعل على هذا (انه كان يكتب بين يديه) اى عنده وفى مجلسه
(فقال له الق الدواة) الق امر بفتح الهمزة وكسر اللام والقاف لالتقاء الساكنين
يقال لاق الدواة يلقيها ليقة وليقا و الاقها ولاق يتعدى ولا يتعدى اى اصلح مدادها
من قولهم لاق به اذا الصقه ومنه يليق بك كذا ولا يليق اى يناسب واشتهر استعمال
ذلك فيما يجعل فى الدواة فى حرير اى لبد اونحوه لانه يصلحها لمنعه كثرة اخذ المداد فى
القلم الذى قد يفسد الخط (وحرف القلم) اى اجعل قطه محرفا فانه اعون على تصوير
السنان و يكون تحريفه من جهة اليمين (واقم الباء) اى اجعلها مستقيمة اوطولها
قليلا لانها عوض عن الف اسم (و فرق السين) اى اجعلها سنتها منفصلا
بعضها من بعض (ولا تعور الميم) اى لا تجعل دائرتها مطموسة كالعين العوراء وهو
بضم المثناة الفوقية وفتح العين المهملة وكسر الواو المشددة وراء مهملة (وحسن
الله) اى كتابته وصورة لفظه تعظيما لمسماه (ومد الرحمن) لم يبينوا معنى المد فيه فهو بمعنى
مد ما بين الميم والنون هكذا الرحمن عوضا عن الالف الساقطة خطا او اراد رسم الفا
بعده و يبعده مخالفة رسم المصحف العثمانى (وجود الرحيم) اى حسن كتابته والتجويد
مطلق التحسين و يختص فى العرف بتحسين الخط وفى عرف القراء تحسين التلفظ
بالحروف برعاية مخارجها وصفاتها وهذا الحديث رواه الديلمى فى مسند الفردوس
(وهذا) اى معرفته صلى الله عليه وسلم بالخط وهو مبتدأ خبره قوله الآتى فلا يبعد والفاء
زائدة اوهو خبر مقدر اى تحقق ونحوه والفاء فى جواب الشرط (وان لم تصح الرواية
انه عليه الصلوة والسلام كتب) بيده الشريف اشارة الى ماقاله الباجى من انه روى
انه صلى الله تعالى عليه وسلم كتب بيده فى الحديبية كما تقدم وانه لا يضر فى كونه اميا
لانه كان فى بدء امره لامر انقضى بانقضاء سببه فهو معجزة اخرى له صلى الله تعالى
عليه وسلم (فلا يبعد) عقلا (وان يرزق علم هذا) علم الخط من غير تعليم (و يمنع الكتابة
والقراءة) من المصحف قبل ولا يبعد ان يقع منه الكتابة والقراءة فى وقت معجزة اخرى
له بشهادة ما فى البخارى رحمه الله تعالى انه صلى الله تعالى عليه وسلم اخذ
الكتاب فكتب هذا ماقاضى عليه محمد رسول الله فى عمرة القضاء وانه قال
لعلى بن ابى طالب كرم الله وجهه ورضى الله تعالى عنه امح رسول الله لما اباها بعض
المشركين فقال والله لا امحوها ابدا فاخذ الكتاب وليس يحسن يكتب فكتب هذا

ما قاضى عليه محمد بن عبد الله اقول قد علمت ان هذه مقالة صدرت عن الباجى
انكرها عليه اهل عصره ونسبوه للزندقة وعقد مجلس له فحاجه علماء عصره
وقالوا انه تخالف لنص الحديث والقرآن وكونه عد من معجزاته صلى الله
تعالى عليه وسلم فاجاب بانه صرح به فى حديث البخارى رحمه الله تعالى والتجوز
خلاف الاصل فى القرآن ما يشير اليه لان قوله تعالى * ما كنت تتلو من قبله من كتاب
ولا تخطه بيمينك * يقتضى كتابته من بعده وهو معجزة لا تنافى كون امية معجزة فى اول
امره وقد ذكره ابن حجر وغيره من شراح البخارى (واما علمه صلى الله عليه وسلم
بلغات العرب) جميعها قبائل و بطونا وكل احد لا يعرف ولا ينطق الا بلغته حتى لو حاول
التكلم بغيرها لم يطق (وحفظ معانى اشعارها) وان كان لا يقول الشعر ولا ينشده
وان انشده نادرا غير موزنه فى اكثر احواله لانه كان ترد عليه شعراء العرب الملقون بمدائح
يمدحون بها وتنشد بين يديه فيصغى لها و يعلم منها مالم يعلمه غيره من فصحائهم الا ترى
كعبا لما انشده قصيدته وقال فيها * قنوا فى حريتها للبصير بها * عتق مبين وفى
الخدين تسهيل * قال الصحابة رضى الله تعالى عنهم الجريان العينان فقال لهم صلى
الله تعالى عليه وسلم لا بل الاذنان وهو كذلك عند العرب الا ترى قول علقمة *
له جريان يعرف العتق فيهما * كسامعتى مذعورة وسط ربرب * وقد نقل
بعضهم نظائر لهذه القصة والثمرة تدل على الشجرة وفى ذكره الشعر بعد الكتابة
مناسبة تامة اذ كل منهما مما عرفه صلى الله عليه وسلم اتم معرفة ولم يتلبس به وهو
من مقاصده الحسنة وفيه دليل على ان ذكر الشعر والبحث عنه امر مسنون كغيره من
العلوم وقد قالوا ان معرفته من فروض الكفاية حتى شعر المولدين كما ذكره السيوطى
فى شرح منظومة المعانى والبيان واختلفوا بعد الاتفاق على امتناع الخط حتى قال
الشافعية بحرمتهما هل كان يحسنهما اولا فقيل بكل من القولين كما فى الروضة
والحفظ يتعلق بالمعانى والالفاظ فلا وجه للاعتراض عليه بانه او قال فهم معانى
اشعارها كان اظهر (فامر مشهور قد نبهنا على بعضه فى اول الكتاب) فى فصل
فصاحته كما تقدم (وكذلك) اى مثل معرفته للغات العرب (حفظه لكثير من
لغات الامم) غير العرب وهذا ترق فى معرفته لذلك ودليل على انه معجزة وموهبة
ربانية (كقوله فى الحديث) الذى رواه البخارى عن ام خالد (سنه سنه) قاله صلى
الله تعالى عليه وسلم لام خالد وهى بنت خالد بن سعيد بن العاص وامها امية بنت
خلف تزوجها الزبير وهى صحابية ولدت بالحبشة وتربت بها وهى صغيرة ولذا
تلطف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بها وخاطبها بما تعرفه من لغتهم
وان كانت عربية من صميم العرب وقال لها لانه اتى بثياب فيها خميصة صغيرة
سوداء فيها اعلام صفر وخضر فدعاها والبسها اياها وقال لها ذلك كما فصله البخارى
وفيه لغات سنه سنة كما ذكره سنا سنا بالقصر وسناه سناه مع تخفيف النون وتشديدها

وانكر بعضهم تخفيفها وروى كسر سين سنا فقول الكرمانى انها عربية واصلها حسنه فحذفت بحذف الحاء كقوله كفا بالسيف شا اى شاهدا تأباه هذه الروايات وان الحذف من الاسماء فى غير ترخيم النداء مع شذوذه ولم يعهد من الاول (وهى) اى سنه بمعنى (حسنه) انثها باعتبار الخميصة ولمناسبة سنه لفظا (بالحبشية) اى بلغة الحبشة وهم جيل معروفون (وقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه الشيخان وغيرهما من طرق فى حديث الفتن المتقدم (ويكثر الهرج) بفتح الهاء وسكون الراء المهملة وجيم (وهو القتل بها) اى بلغة الحبشة فعربه صلى الله تعالى عليه وسلم وقال ابن قرقول فى المطالع فسر فى الحديث بالقتل بلغة الحبشة وهو وهم من بعض الرواة والا فهى عربية صحيحة واصل معناه اختلاط الناس بعضهم ببعض ومنه لن يزال الهرج الى يوم القيامة والعبارة فى الهرج كهجرة الى انتهى وهو رد لما قاله المصنف رحمه الله تعالى ولمن توهم ان تفسيره مروى فى الحديث ومنه يعلم انه ورد بمعنى الفتنة وما قيل من انه المهرجان اسم يوم لانه يوم قتل يحيى بن زكريا لا وجه له لانه يقتضى انه فارسى ولم يقله احد وقيل انه من توافق اللغتين وهو اقرب الى الصواب ان صحت الرواية فيه ومنه المثل هم فى هرج ومرج والمرج بمعناه وتسكينه للازدواج وقد تظرف القائل * اتى زمن الربيع فهاج قوم * الى الصهباء فى هرج ومرج (وقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم (فى حديث ابى هريرة) الذى رواه ابن ماجة عنه (اشكنب درد) وفى بعض الروايات اشكنب دردم بزيادة ميم ساكنة واشكنب بهمزة مفتوحة وشين معجمة ساكنة وكاف عربية مفتوحة ونون ساكنة وباء موحدة ساكنة وفسره المصنف رحمه الله تعالى بما يأتى وفى الفارسية بهمزة مكسورة وقد تفتح ويزاد فيها هاء فيقال شكنبة بكسر الشين فعربت وغير لفظها ومعناها فان معناها الكرش عند العجم ودرد بدالين مهملتين مفتوحتين بينهما راء مهملة ساكنة والميم عندهم ضمير المتكلم وسيأتى ما فيه وقد علمت ان الصحيح اهمال الدالين واسقاط الميم كما رواه ابن ماجة وضبطت به الرواية عنه فانه قزوينى اعلم بلغته وثقة فى الرواية فما قيل ان دال درد الاولى معجمة وهم من رواية كرواية الميم لانه لا يناسب قوله (اى وجع البطن) فانه لو صح ذلك قال اى وجع بطن وفسره غيره بوجع بطنك وهو انسب بترك الميم الان يقال ترك معناه التعريب والذى رواه ابن ماجة شكم بشين مكسورة وكاف مفتوحة وهو اصح لان شكم بالفارسية معناه البطن وفى سنده قال ابو هريرة هجر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فهجرت وصليت ثم جلست فالتفت الى وقال شكم درد فقلت نعم يا رسول الله فقال قم فصل فان فى الصلاة شفاء كذا صححه الشارح الجديد نقلا عن شيخنا ابن عبد الحق السنباطى وغيره وهو الحق المعتمد فاعرفه فان شيخنا هذا خاتمة الحفاظ بمصر والبداية هى علم

القرآت وله تأليف مشهورة رحمه الله تعالى وروى اسكنب بكسر الهمزة وان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قاله لابى الدرداء والمشهور الاول كما قاله التلمسانى ولم يذكروا وجه تكلمه صلى الله تعالى عليه وسلم معه بالفارسية وهو ليس بعجمى فلعله اراد ستره ولذا ورد انه قال ثم فسره لى وذكر البرهان بعض ما تقدم وقال انه فى بعض النسخ اشقنب بالقاف وهو غريب ولم يسنده لرواية فاعتمد على ما قدمناه وقوله (بالفارسية) اى باللغة الفارسية نسبة لفارس ابن كومرث وكومرث بن سام او يافث وقيل انه ولد لصلبه وقيل انه ادم عندهم ويقال لهم الفرس ومما تكلم به صلى الله تعالى عليه وسلم بالفارسية لفظ سور فى حديث جابر وهو الدعوة للطعام وبالفارسية العرس (الى غير ذلك) اى مضموما ما ذكر من معرفته باللغات او من معارفه التى لا تحصر (مما لا يعلم بعض هذا) وفى نسخة بعضه فضلا عن كله (ولا يقوم به) اى يوفى حقه كله (ولا ببعضه) فضلا عنه كله (الا من مارس الدرس) اى عالجه واجتهد فى حفظه ودراسته وتلقيه من اهله وفى نسخة الدروس (والعكوف على الكتب) اى ملازمة مطالعتها ومذاكرتها والنظر فيها من الاعتكاف وهو ملازمة المكان فاستعارة لها ذكر وفيما تقدم دليل على جواز التكلم بغير العربية ولو بلا ضرورة خلافا لمن ذهب لكراهته وروى فيه احاديث واهية كمن تكلم بالفارسية نقصت مروته وانه يورث النفاق وانه لسان اهل النار ويدل لعدم الكراهة احاديث كحديث الفارسية الدرية لسان اهل الجنة فى الجنة (ومثافنة اهلها) مفاعلة من ثفن بمثلثة وفاء ونون اى جالسهم ولازمهم وهو ابلغ منه لانه ثفن البعير اذا برك والثفنات ما غلظ لطول مسه للارض كالركب وصدر الدابة من ذوات الاربع يعنى جلس بين يديهم للتعلم كالبعير البارك على الارض وهذه هيئة المتعلم فى ادبه وقال التلمسانى هى المشقة من ثافنته اعنته وروى مثاقنة بمثلثة وقاف وموحدة كما تقدم انتهى وفى بعض النسخ منافثة بنون وفاء ومثلثة اى مباحثة ونظر فى الدقايق التى كنفثات السحر وفيه نظر وفى بعض الشروح ما لا معنى له هنا (عمره) منصوب على الظرفية متعلق بجميع ما قبله اى نقل ذلك مدة عمره كلها ولم يترك طرفة عين (وهو صلى الله تعالى عليه وسلم رجل كما قال الله تعالى امى) منسوب الى الام كانه كما خرج من بطن امه لم يتعلم وهو مبرأ من كل عيب او الى امة العرب لانهم معروفون بذلك كما مر وقال الشاعر عمى خالى وابى امى فقوله (لم يكتب ولم يقرأ) صفة كاشفة مفسرة وانما ذكر قوله كما قال الله تعالى تأدبا يعنى لم اصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بهذا الا اتباعا لما وصفه الله به بقوله اوحينا الى رجل منهم وهو قيد لما بعده وما قبله فلا يقال انه ترك ادب فان مثله لا يقال له يا رجل كما لا ينادى باسمه فلله در المصنف ما ابعد مرماه (ولا عرف بصحبة من هذه) اى الكتابة والقراءة (صفته) حتى يقال

انه تعلم منه فهذه الصفة فى حقه معجزة وفى حق غيره نقص كما قال كفاك بالعلم فى الامى
معجزة (ولانشأ) اى لم يكن من اول نشأته و بدء امره الى بعثته (بين قوم لهم علم)
اى معرفة بشئ من العلوم لانهم من الجاهلية (ولاقراءة لشئ من هذه الامور) اى
الكتب وغيرها لانهم لم يكونوا اهل كتاب (ولاعرف هو) صلى الله تعالى عليه وسلم
(قبل) مبنى على الضم اى قبل بعثته وظهور معرفته بما ذكر (بشئ منها) اى بما
ذكر من المعارف اللدنية ثم استدل على ذلك بقوله (قال الله) وفى نسخة عز وجل
(وما كنت تتلو من قبله) اى القرأن وما علمك الله (من كتاب ولا تخطه بيمينك)
اى بيدك اليمنى التى يكتب بها وهو تأكيد وتصوير و بين الله تعالى علة ذلك
بقوله (اذا لارتاب المبطلون) اى شكوا وقالوا تعلمه ممن قرأه وكتبه ثم بين حال قومه
فى عدم ماذكر بقوله (انما كانت غاية معارف العرب) اى ما انتهى اليه علمهم (النسب)
اى معرفة انساب قبائلهم الى اجداد هم الحدة لاصنم (واخبار اوائلها) اى ماوقع
لابائهم واسلافهم من الحروب والوقايع (والشعر) اى حفظ شعر من قبلهم من
القصائد والقطعات والابيات (والبيان) ليس المراد به علم البيان المعروف لانه امر
حدث كانوا فى غنى عنه بالسليقة ولاثمرة علم البلاغة كله كما توهم ايضا وانما المراد به
المنطق الفصيح المعرب عما فى الضمائر وعنى به الخطب والرسائل ونحوها من الكلام
المنثور الذى كانوا يذكرونه فى محافلهم لمقابلته للشعر وهو المعنى بقوله صلى الله
تعالى عليه وسلم ان من البيان لسحرا (وانما حصل ذلك لهم) اى معرفة النسب
ومابعده (بعد التفرغ لعلم ذلك) اى مع ذلك لم يكن علمهم بما ذكر الابمزاولة واكتساب
وصرف زمان لكسبه حتى عرف به بعضهم دون بعض فكان يقال فلان نسابة
وفلان راوية ونحوه (والاشتغال بطلبه ومباحثة اهله عنه) بالسؤال عنه والحفظ له
ولم يعهد منه اعتناء بذلك فى اول امره (وهذا الفن) اى النوع الذى كانت العرب
تعرفه وتعتنى به (نقطة من بحر علمه صلى الله تعالى عليه وسلم) اى اقل قليل بالنسبة
لما ظهر من علمه لهم ونقطة استعارة و بحر علمه استعارة او كلجين الماء (ولاسبيل الى
جحد الملحد) اى لايمكن الكفرة المائلين عن الطريقة المستقيم انكاره وهو استعارة
لتفسير قوله تعالى اذ لارتاب المبطلون (لشئ مما ذكرناه) من معارفه متعلق بجحد
واللام زائدة للتقوية (ولاوجد الكفرة حيلة) يدفعونها تلبيسا (فى دفع ماقصصناه)
مما تقدم تفصيله (لاقولهم اساطير الاولين) استثناء متصل لانه مما احتالوا به على بعض
ضعفاء العقول او منقطع لانه لاحيلة فيه وهم جمع اسطورة كاحدوثة او جمع
اسطار جمع سطر او اسطير او اسطور اى هى احاديث مما سطره من قبله واكاذيب
(و) قالوا (انما يعلمه بشر) اى هو مما تلقاه من غيره وتعلمه (فرد الله قولهم)
المذكور وابطله (بقوله لسان الذى يلحدون اليه اعجمى وهذا لسان عربى مبين)
اى لسان من ادعوا انه يعلم منه لسان عجمى فكيف يمكن تعليمه او التعلم منه ومعنى يلحدون

يميلون عن الحق بمقالتهم هذه (ثم ماقالوا) من ان يعلمه رجل اعجمى وفى نسخة قالوه
بهاء الضمير (مكابرة العيان) بكسر العين ولاتفتح فيه كما مر والمكابرة الانكار من غير
دليل واصل معناه هجوم السارق نهارا اى معاندة فى المحسوس لاتفيد (فان الذى
نسبوا تعليمه) له صلى الله تعالى عليه وسلم بزعمهم الباطل (اليه) متعلق بنسبوا اى
اسندوه له (اما سلمان) الفارسى الصحابى المشهور رضى الله تعالى عنه لانه كان عنده
صلى الله تعالى عليه وسلم (او العبد الرومى) وهو يعيش غلام حويطب بن عبد
العزى الرومى وكان ممن قرأ الكتب ثم اسلم وسيأتى تفصيله (و) قصة (سلمان انما)
اسلم و(عرفه) بالمدينة (بعد الهجرة) وعلومه صلى الله عليه وسلم ومعارفه هذه
كانت ظاهرة قبل ذلك فكيف انه كان يعلمه (و) بعد (نزول الكثير من القرأن) حتى
هذه الاية (و) بعد (ظهور) وفى نسخة نزول (مالايعد) لكثرته (من الايات) القرأنية
اى العلامة الدالة على نبوته من المعارف المذكورة الدالة على ابطال زعمهم (واما)
العبد (الرومى فكان اسلم) قبل الهجرة (و) لكنه (كان يقرؤ على النبى صلى الله عليه
وسلم) ويتعلم منه فكيف يقال انه يعلمه (واختلف) بالبناء للمجهول اى اختلف المحدثون
(فى اسمه) كما سيأتى فى كلامه فقيل انه بلعام او يعيش او جبرا و يسارا ما بلعام فبموحدة
مكسورة وقول البرهان انها مفتوحة لا اصل له ولام ساكنة وعين مهملة والف وميم
ويعيش يأتى انه بفتح التحتية وعين مهملة مكسورة وتحتية ساكنة وشين معجمة ذكره
الذهبى فى الصحابة وقال انه غلام المغيرة وهو الذى نزل فيه قوله * انما يعلمه بشر *
وجبر يأتى ايضا انه بجيم مفتوحة وموحدة ساكنة وراء مهملة قال البرهان لم اقف عليه
فى الصحابة وكذا يسار بفتح التحتية المثناة وسيأتى تتمة لهذا فى محله (وقيل بل كان
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يجلس عنده) اضراب عن اسلامه وقراءته عليه
الى انه كان عبدا روميا يحترف بصقل السيوف (عند المروة) مع الناس فكيف قالوا
انه تعلم منه وهو لم يخل معه ولم يعرف وقيل المخالفة بينه و بين الاول فى ايهما كان
يجلس عند الاخر فالاضراب انتقالى او ابطالى (وكلاهما) اى سلمان والغلام الرومى
(اعجمى اللسان) اى لسان كل منهما فيه عجمة (وهم) اى الطاعنون فيه بما ذكر
واسناد التعلم له (الفصحاء اللد) جمع الد وهو الشديد الخصومة ويجمع على لداد
ايضا من اللدد وهو العناد وفى الحديث ابغض الرجال الى الله تعالى الالد الخصم (و) هم
(الخطباء) جمع خطيب وهو من يقوم على رؤس القوم بكلام بليغ ملزم مفحم ولايشترط
فيه ان يكون مسجعا وقد كان للعرب ولكل قوم منهم خطباء معروفون بالبلاغة وارتجال
الكلام الجزل (اللسن) بضم اللام وسكون السين جمع لسن كحذر وهو الفصيح اللسان
الطلق البيان وقيل جمع السن فلا اسهاب فيه كما قيل (وقد عجزوا) بفتح الجيم وكسرها
(عن معارضة ما اتى به) اى مقابلته بكلام يحكيه (والاتيان بمثله) عطف تفسير

مع تحديه وطلبه منهم وتقريعهم (بل) عجزوا كلهم (عن فهم وصفه) ومعرفة كنه بلاغته ووجه اعجازه و نظمه فتارة قالوا هو شعر وتارة قالوا انه سحر وكهانة والحس يكذبهم والفصاحة تأدى على فصاحتهم (وصورة تأليفه) اى عجزوا عن فهم صورة تأليفه ونظمه المعجز فانه لايشبه كلام البشر والتأليف اخص من التركيب لانه تركيب مع الفة ومناسبة وفى اكثر النسخ رصفه بالراء المهملة جمع رصف بفتحتين وهو فى الاصل وضع بعض الحجارة على بعض فاستعير لترتيب الكلام المتين المحكم وفى بعض النسخ (ونظمه) وهو وما قبله معطوف على وصفه ويجوز عطفه على معارضة والاول اقرب والنظم مستعار من نظم الدر لتناسق الكلمات التى هى كالجواهر وما بعد بل ترق فى العجز ومغايرته لما قبله ظاهرة لاتحتاج لتوجيه الاعند عدم الفهم (فكيف) هى للاستفهام عن الحال والوصف المبهم ويراد بها التعجب نحو قوله تعالى * كيف تكفرون بالله * وقوله (باعجمى) متعلق بمقدر اى كيف الظن باعجمى وهذا تركيب سائغ فى كلامهم تقول كيف بك اذا جاء الشتاء (الكن) من اللكنة وهى عدم افصاح اللسان وبيان النطق (نعم) بفتحتين وقد تكسر عينه ويقال نعام ايضا فى لغة وهى كلمة تقع فى جواب الكلام الموجب وقد تقع فى ابتداء الكلام كما هنا فكانها جواب سؤال مقدر وفى غير جواب كما يقال لمن طرق الباب نعم نعم وعليه حمل قول جحدر * نعم وارى الهلال كما تراه * كما يأتى وقال بعضهم انها زائدة فى مثله وفيه كلام لم يحضرنى الآن (وقد كان سلمان) الفارسى رضى الله عنه (او بلعام) وهو بفتح الباء الموحدة على ما تقدم واشتهر كسرها ويقال بلعم ايضا وهو اسم الغلام (الرومى او يعيش) بفتح المثناة التحتية وعين مهملة مكسورة وياء تحتية ساكنة وسين معجمة علم منقول من المضارع (او جبر) بفتح الجيم وسكون الباء الموحدة وراء مهملة وهو عبد للفاكه ابن المغيرة وقيل لعباد الحضرمى قيل ان سيده كان يضربه ويقول له انت تعلم محمدا فيقول لا والله بل هو يعلمنى ويهدينى (او يسار) بفتح المثناة التحتية وهذا المذكور مبنى (على اختلافهم فى اسمه) كما تقدم (بين اظهرهم) خبر كان اى مقيما بينهم يعرفونه ويقال ظهرانيهم بالف ونون مفتوحة كانه لاسناده اليهم ظهر وراءه وظهر قدامه ثم كثر فشاع فى الاقامة بين قوم يخالطهم (يكلمونه مدا اعمارهم) اى فى جميع مدة اعمارهم يخاطبهم ويكلمهم ويكلمونه فكيف لايعرفون حاله وهو استدلال على كذبهم واصل معنى المد الغاية ويطلق على جميع المدة الطويلة كما فى النهاية وذكر الماوردى ان غلامين نصرانيين من عين التمر احدهما يسار والآخر خير كانوا يسندون لهما ما ذكر وقيل غير ذلك (فهل حكى عن واحد منهم) اى من الكفرة (شئ من مثل ما جاء به محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) فيه حذف تقديره نقله عن هذين فان كان ضمير منهم لسلمان رضى الله تعالى عنه والغلام فهو تعبير عن المثنى بضمير الجمع تجوزا وفى نسخة من مثل ما كان يجئ به صلى الله

تعالى عليه وسلم (وهل عرف واحد منهم بمعرفة شئ من ذلك) الذى جاء به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الآيات الباهرة وهو كالذى قبله (وما منع العدو حينئذ) اى حين حضورهم معه (على كثرة عدده) بفتح العين اى اى مانع لهم مع كثرتهم وحرصهم على تكذيبه (ودؤب طلبه) بدال مهملة وهمزة وواو وموحدة مصدر بوزن القعود من الدأب وهو الجد والتعب يقال اذابه اذ اتعبه ثم صار بمعنى العادة المسببة عن ذلك وصار حقيقة فيه (وقوة حسده) بحاء مهملة وهو مما يبعثهم على الطلب ويحثهم (ان يجلس الى هذا) الذى زعموا انه يعلمه (فيأخذ عنه) اى يتلقى بتعلمه منه (ايضا) اى كما تعلم منه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على زعمهم الفاسد (ما يعارض به) ما جاء به (ويتعلم ما يحتج به) اى يجعله حجة ودليلا (على شغبه) اى لجاجة فى خصومته وعناده وتهييج الشر بفتنته يقال شغب به وعليه وهو بفتح الغين المعجمة هنا لوقوعه قافية لقوله طلبه وهو لغة فيه كما فى القاموس وغيره وتسكن ايضا وهى اللغة المشهورة فيه ومن انكر الفتح وقال انه لغة عامية كالحريرى لم يصب مع ان الكوفيين يجوزون تحريك كل ما عينه حرف حلق كالشعر على انه لو صح ما قاله قلنا له انه ازدواج ومشاكلة وحرفه بعض بشيعته (كفعل النضر بن الحارث) وهو من كفار قريش وكان ذهب الى الحيرة ليتعلم منهم اخبار ملوك الفرس رستم واضرابه فكان اذا قرأ النبى صلى الله عليه وسلم القرآن وقص عليهم قصص الامم وحذرهم ما وقع جلس النضر بين قريش وقص عليهم قصص ملوك الفرس وقال قد اتيتكم باحسن مما جاء به محمد وهو الذى نزل فيه ومن قال سانزل مثل ما انزل الله الآية ثم انه لم يزل كذلك مصرا على عداوته صلى الله عليه وسلم حتى اظفره الله عليه فقتله كما ذكر فى السير (بما كان يمخرق به) متعلق بفعل ويمخرق بمعنى يكذب والمخرقة لفظة مولدة ومعناها افتعال الكذب يتلهى به اخذوها من المخراق وهى خرقة يلعب بها من يرقص وهذه لفظة عربية ميمها زائدة تصرف فيها المولدون وتوهموا اصالة ميمها كما فى قولهم تمسكن ويمخرق بضم التحتية وفتح الميم وخاء معجمة وراء مهملة وقاف (من اخبار كتبه) التى كان يأتى بها ويقصها عليهم (ولا غاب النبى صلى الله عليه وسلم عن قومه) ولا خرج من بلده الى بلاد بعيدة اقام بها اقامة يحتمل انه بقى بها من تعلم منه وهذا معطوف على قوله ولا عرف الخ ولا يضره طول الفصل وما اعترض بين المعطوفين (ولا كثرت اختلافاته) اى رواحه ومجيئه (مرارا) عديدة يقال فلان يختلف الى بلاد كذا اى يسافر ويذهب اليها لانها مخالفة لمقره المعروف (الى بلاد اهل الكتاب) وهم اليهود والنصارى والتعبير بالكثرة هنا اشارة الى ما يأتى انه صلى الله تعالى عليه وسلم وقع له ذلك مرة او مرتين الا انه فيهما لم يفارق رفقاه من قومه ولم يقم عند غيرهم حين سافر الى

الشام كما يأتى (فيقال انه استمد منهم) اى طلب المدد والاعانة من اهل الكتاب بتعليمه لشئ مما كان يتلوه على قريش (بل لم يزل) مقيما عندهم (بين اظهرهم) فى وسطهم مختلطا معهم وتقدم انه يقال بين اظهرهم وظهرانيهم (يرعى) ضبطه بعضهم بضم المثناة التحتية اى يلاحظ ويحفظ فهو بمرأى منهم ومسمع لايخفى امره عليهم وبعضهم فتحه وجعله من رعاية الغنم والمواشى وهو المناسب لقوله (فى صغره) اى وهو طفل (وشبابه) اى بعد مابلغ وصار شابا وكان من ذهب الى الاول انف من جعله صلى الله تعالى عليه وسلم راعيا ولكنه وقع ذلك له ولغيره من الانبياء عليهم الصلوة والسلام ولم يكن معيبا عندهم وهو اقوى فى اثبات مدعاه لان من يرعى يكون فى الغالب معتزلا عن الناس بعيدا عن التعلم (ثم لم يخرج من بلادهم) بعد ماشب وبلغ او بعد ماوجد وعرف حاله (الافى سفرة) واحدة (اوسفرتين) الى بلاد الشام مرة مع ابى طالب ورده من الطريق باشارة بحيراء الراهب كامر ومرة فى تجارة ام المؤمنين خديجة رضى الله عنها مع غلامها ميسرة فلم ينفرد عن اهل بلدته ابدا سفرا واقامة ولم يتردد المصنف رحمه الله تعالى فى السفرتين حتى يرد عليه قول البرهان ان السفرتين محققتين كما فى السير فكان ينبغى ان يقول الافى سفرتين جزما لان السفرة الاولى لما رده فيها عمه ابوطالب من الطريق كانت كالعدم فانه يقال لمن رجع انه لم يسافر فلاوجه للاعتراض عليه ومثله لايخفى واما ذهابه صلى الله تعالى عليه وسلم مع مرضعته حليمة لبنى سعد فلا يعد مثله سفرا لاسيما والمراد سفر خاص لديار اهل الكتاب وسفر يمكنه التعلم فيه وكذا ذهابه صلى الله تعالى عليه وسلم الى الطائف الى بنى عبديا ليل فانه لقربه لايعد سفرا واهلها جهلة اهل شرك لاعلم عندهم يعلمونه له وقوله (لم يطل فيها) اى فى جنس السفرة (مكثه) اى اقامته وهو بفتح الميم وضمها (مدة يحتمل فيها) اى فى المدة (تعليم القليل) وتعلمه من علم وغيره (فكيف الكثير) الذى كانوا يعرفونه منه وهو استفهام انكارى بنفيه بطريق برهانى ثم اكده واثبت مدعاه بقوله (بل كان فى سفرة فى صحبة قومه) لم يفارقهم ولم يخالط غيرهم طرفة عين (ورفاقة) بفتح اوله مصدر كالسماحة بمعنى المرافقة وهى الاجتماع فى السير والسفر من الرفق لان كلا منهما يرفق بصاحبه (عشيرته) اى قومه وقبيلته من العشرة وهى الاختلاط قال فى القاموس عشيرة الرجل بنو ابيه الادنون او قبيلته (لم يغب عنهم) ويفارقهم مفارقة تحتمل ملاقاة اهل الكتاب وتعلمه منهم (ولاخالف حاله) التى نشأ عليها وعرف بها (مدة مقامه) بضم الميم مصدر بمعنى الاقامة (بمكة) الى ان هاجر صلى الله تعالى عليه وسلم الى المدينة وفاعل خالف ضمير يعود له صلى الله تعالى عليه وسلم وحاله مفعوله وقوله (من تعليم) بيان لمقدر فى قوة المذكور لعلمه مما قبله اى ما خالفه لامر

آخر من تعليم الى آخره وليست من زائدة فى الفاعل ومحله رفع كما قيل (واختلاف) اى مجئ وذهاب واصله مجئ القوم بعضهم خلف بعض فاستعمل المقيد فى المطلق ومنه اختلاف الليل والنهار (الى حبر) بكسر الحاء وفتحها وهو العالم من علماء اليهود (او منجم) اى عالم بالنجوم واحكامها (اوقس) بفتح القاف كما فى القاموس وغيره واشتهر ضمه وذكره ابن السيد فى المثلثات رئيس علماء النصارى (اوكاهن) وهو من العرب من يخبر عن المغيبات بواسطة جن ونحوه فاستوفى اقسام من يمكن التعلم منه من انواع الناس ثم ترقى فى ابطاله ماقالوه فقال (بل لوكان هذا) اى لوفرض خلاف ما ذكر من حاله صلى الله تعالى عليه وسلم بان فرضنا اسفارا كثيرة له ومكثا مع اهل الكتاب واختلافا للقسيسين والاحبار (بعد) مبنى على الضم والتقدير بعد ثبوت خلافه لابعد مكثه بين اظهرهم يرعى فى صغره وشبابه كما قيل فانه غير مناسب لمن تأمل كلامه (كله لكان مجئ ما اتى به) صلى الله تعالى عليه وسلم (من معجز القرآن) الذى لايشبه شيئا من كلام البشر (قاطعا لكل عذر) اعتذروا به عن مخالفتهم له عنادا وبغيا منهم وجعله عذرا ايماء الى انهم معترفون بجرمهم بدلالة الحال (ومدحضا) اى مزيلا ومبطلا من الادحاض وهو الازلاق ففيه استعارة مكنية لتشبيههم بمن زلت قدمه لمشيه فى اوحال الشرك (لكل حجة) تشبثوا بها وهى اوهى من بيت العنكبوت وفى نسخة لكل شبهة (ومجليا) بضم الميم وفتح الجيم وكسر اللام المشددة ويجوز تخفيفها وتسكين الجيم وقال البرهان انه بضم الميم وسكون الخاء المعجمة والظاهر ما قدمناه اى موضحا وكاشفا او مزيلا ومبعدا (لكل امر غيهب) بخليه وتلبيس احتالوا به ﴿فصل﴾ ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم التى خصه الله بها عن غيره من الرسل عليهم السلام وسائر الخلق (وكراماته) التى اكرمه الله تعالى وشرفه بها (وباهر آياته) اى ظاهر آيات نبوته ومعجزاته والجار والمجرور خبر مقدم للحصر والاعتناء (و) قوله (انباؤه) بفتح الهمزة جمع نبأ وهو الخبر اى اخباره الصحيحة الواقعة له صلى الله عليه وسلم (مع الملائكة والجن وامداد الله له بالملائكة) بكسر الهمزة مصدر امده امدادا من المد قال الراغب امددت الجيش بمدد والانسان بطعام واكثر ماجاء الامداد فى المحبوب والمد فى المكروه نحو امددناهم بفاكهة ونمد له من العذاب مدا انتهى اى ارسال الله الملائكة عليهم الصلوة والسلام مددا له صلى الله تعالى عليه وسلم واعانة كما سيأتى (وطاعة الجن له) بانقيادهم واسلامهم لالامداد هم ولذا خالف فى العبارة بينهم وبين الملائكة (ورؤية كثير من اصحابه لهم) اى للملائكة والجن كما سيأتى ولاوجه له لتخصيصه بالجن ثم ابتدأ بما يثبت ماقاله من القرآن فقال (قال الله تعالى وان تظاهرا) اى تتعاونا (عليه) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بمايسوءه (فان الله هو مولاه) اى ناصره ومعينه

(وجبريل وصالح المؤمنين) ابو بكر وعمر معطوف على محل اسم ان فيكونون ناصريه (الآية) اى والملائكة بعد ذلك ظهير وضمير تظاهرا لحفصة وعايشة اما المؤمنين والآية وسبب نزولها وتفسيرها مبسوط فى محله وقد تقدم فى اول الكتاب بعض منه (وقال الله تعالى اذ يوحى ربك الى الملائكة انى معكم) بنصرى وتأييدى (فثبتوا الذين آمنوا) بالقتال معهم وتقوية قلوبهم بوعدهم بالنصر وظهورهم على اعدائهم وهذا كان ببدر وقد كثر اعداؤه المشركين وعددهم وقلة المسلمين وضعفهم وهو تعالى يؤيد بنصره من يشاء (وقال) فى وقعة بدر (اذ تستغيثون ربكم) تطلبون غوثه واعانته (فاستجاب لكم) اجاب دعاكم وانجز وعده لكم (انى ممدكم الآيتين) اى اقرأهما الى آخرهما اى انى ممدكم بالف من الملائكة مردفين اى متتابعين (وقال الله تعالى واذصرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن الآية) اى املناهم واوصلناهم اليك والنفر مادون العشرة وهؤلاء جن نصيبين وهذا كان ببطن نخلة فى منصرفه صلى الله تعالى عليه وسلم من الطائف وقد ذكر هؤلاء النفر وعدتهم واسماهم فى مفصلات التفسير واجتماع الجن به صلى الله تعالى عليه وسلم وقع مرتين بل اكثر وهو شاهد على انه صلى الله تعالى عليه وسلم مرسل للجن ولاشبهة فيه ولاخلاف عند من يعتد به (حدثنا سفيان بن العاصى الفقيه بسماعى عليه) تقدم بيانه وبيان السماع ورتبته (قال حدثنا ابو الليث السمرقندى) تقدمت ترجمته (قال حدثنا عبد الغافر الفارسى) تقدم ايضا (قال حدثنا ابو احمد الجلودى) تقدم ضبطه وترجمته (قال حدثنا ابن سفيان) هو ابراهيم بن محمد بن سفيان راوى صحيح مسلم عنه وترجمته معروفة (قال حدثنا مسلم) القشيرى النيسابورى صاحب الصحيح المشهور (قال حدثنا عبيد الله بن معاذ) ابو عمرو العنبرى الحافظ الفصيح الثقة توفى سنة مائتين وسبع وثلاثين واخرج له اصحاب السنن (قال حدثنا ابى) معاذ بن معاذ التميمى الحافظ قاضى البصرة واليه انتهى علم الحديث توفى سنة مائة وستة وتسعين واخرج له اصحاب السنن ايضا (قال حدثنا شعبة) تقدمت ترجمته ايضا (قال حدثنا سليمان الشيبانى) ابن اخى سليمان فيروز او خاقان الشيبانى بالمعجمة مولاهم الكوفى الحافظ الثقة توفى سنة ثمان وثلاثين او احدى اواثنين واربعين وقال الواقدى وابن كثير سنة تسع وعشرين غلط واخرج له الائمة الستة (سمع زر) بكسر الزاى المعجمة وتشديد الراء المهملة (ابن حبيش) بالتصغير بحاء مهملة وموحدة وتحتية ساكنة وشين معجمة وهو ابو مريم الاسدى ادرك وسمع عليا وعمر رضى الله تعالى عنهما وعاش مائة وعشرين سنة وتوفى سنة اثنين وثمانين واخرج له الستة (عن عبد الله) ابن مسعود الصحابى المشهور وهذا التفسير الآتى اخرجه مسلم والترمذى والنسائى موقوفا والذى ذكره المصنف رواية السنن وقال الترمذى انه حسن صحيح له (قال الله تعالى

لقد

لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال) ابن مسعود رضى الله تعالى عنه فى تفسيره وهو موقوف له حكم الرفع (رأى جبريل فى صورته) الاصلية التى خلق عليها (له ستمائة جناح) اللام جواب قسم مقدر اى رأى الآية الكبرى من آيات ربه والكبرى اسم تفضيل مؤنث اكبر ومن تبعيضية وفيه ايماء الى انه رأى ربه وهو قول الاكثر فقد رأه بعين بصره وهو مذهب ابن عباس وارتضاه الاشعرى والنووى وما نقل عن عايشة رضى الله تعالى عنها من انكاره فقيل ان الذى قالته كما فى مسلم عن مسروق انه قال كنت متكئا عند عايشة فقالت يا اباعايشة ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد اعظم على الله الفرية قلت ما هن قالت من زعم ان محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم رأى ربه فقد اعظم على الله الفرية وكنت متكئا فجلست وقلت يا ام المؤمنين انظرينى ولا تعجلى الم يقل الله عز وجل ولقد رآه بالافق المبين ولقد رآه نزلة اخرى فقالت انا اول من سأل عن ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال انما هو جبريل لم اره على صورته غير هاتين المرتين رأيته منهبطا من السماء سادا اعظم خلقه ما بين السماء والارض الحديث فليس فيه نفى رؤيته لربه وانه صلى الله تعالى عليه وسلم ذكرلها ذلك وقد تقدم جميع ذلك مع مافيه وقد ذكر هنا انه رأى جبريل وله ستمائة جناح سدت ما بين السماء والارض والعدد لامفهوم له فلا ينافى ان تكون اجنحة تزيد على ذلك فان الملائكة اجسام مجردة قابلة للتشكل (والخبر) اى الحديث الصحيح المسند (فى محادثته) صلى الله تعالى عليه وسلم (مع جبريل واسرافيل وغيرهم من الملائكة) اعاد ضمير الجمع على المثنى تعظيما لهما تنزيلا لهما منزلة الجماعة اولتنزيل ذلك منزلة تعدد الصور الذى يشير اليه ماقبله وبينه بقوله بعده (وما شاهده من كثرتهم وعظيم صورهم ليلة الاسراء مشهور) وفى نسخة وصورة بعضهم وفى نسخة وعظم صورهن وحديث الاسراء ورؤيته صلى الله تعالى عليه وسلم الملائكة والانبياء مشهور وتقدم طرف منه ورؤيته للملائكة كملك الجبال وملك المطر واسرافيل صحيح مشهور ايضا ومن اراد تفصيله فلينظر كتاب السيوطى المسما بالحبائك فى اخبار الملائك فانه كتاب جليل فى بابه وفيه عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما عيره المشركون بالفاقة اى الفقر وقالوا ماقصه الله من قوله تعالى * ما لهذا الرسول يأكل الطعام * الآية حزن لذلك فنزل عليه جبريل وقال له رب العزة يقرؤك السلام ويقول لك * وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام * الى آخره فبينما جبريل والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم يتحدثان اذ ذاب حتى صار مثل البردة وهى العدسة فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم مالك يا جبريل فقال فتح باب من ابواب السماء لم يفتح قبل ثم عاد لحاله وقال ابشر يا محمد هذا رضوان

خازن الجنة فاقبل رضوان وسلم وقال يا محمد رب العزة يقرؤك السلام وهو معه سفط من
نور يتلألأ و يقول لك هذه مفاتيح خزائن الارض فنظر لجبريل كالمستبشر فضرب
جبريل بيده الارض وقال تواضع لله عز وجل فقال يا رضوان لا حاجة لى فى الدنيا
قال اصبت اصاب الله بك و يرون ان هذه الآية انزلها رضوان تبارك الذى ان شاء
جعل لك خيرا من ذلك جنات تجرى من تحتها الانهار و يجعل لك قصورا اقول
ومن هذا علم انه لم ينزل بالقرأن الا جبريل غير هذه الآية والسر فيما ذكر ان نزول
رضوان وهو ملك الجنان و تخييره دون بته باعطائها علم منه ان جبريل ان الله اراد له
صلى الله تعالى عليه وسلم ما هو ارقى من ذلك فى الجنة وانه لم يرض له بحوز الدنيا الفانية
ان يكون له ولو اراد خلافه اتاه ملائكة الارض ومن له التصرف فيها كاسرافيل
والا فجبريل عليه الصلوة والسلام لا يقول شيئا برأيه ولا يفعل الا ما يؤمر به فافهم
(وقد رأهم) اى الملائكة (بحضرته) اى فى مجلسه صلى الله عليه وسلم والحضرة
مثلث الحاء مصدر حضر يحضر اذا جاء وقدم وتجوز فيه تجوزا مشهورا عن مكان
الحضور نفسه ويستعمل للتعظيم فى صاحب المجلس فيقال الحضرة العالية تأمر
بكذا كالمقام كما يكتبه اصحاب الرسل (جماعة من الصحابة فى مواطن) جمع موطن وهو
محل الوطن وهو هنا لمطلق المكان مجازا مرسلا (مختلفة) اى متعددة واصل معناه
المتغايرة فاستعمل فى لازم معناه وقد تقدم بعض من الكلام على رؤية بعض الصحابة
للملائكة عنده صلى الله تعالى عليه وسلم وفى بعض النسخ (فرأى اصحابه جبريل
فى صورة رجل يسأل عن الاسلام والايمان) والاحسان وعن الساعة وهو إشارة
الى الحديث الذى فى اول البخارى والكلام عليه وعلى الفرق بينه و بين الاسلام
مفصل فى شروحه (ورأى ابن عباس واسامة) بن زيد (وغيرهما) من الصحابة
كعائشة رضى الله تعالى عنها وام سلمة وعمر وحارثة (عنده) صلى الله تعالى عليه
وسلم (جبريل فى صورة دحية) بن الكلبى الصحابى الجليل المشهور توفى فى خلافة
معاوية وكان من اجمل الناس واجلهم ولذا كان جبريل عليه الصلوة والسلام يأتى
للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم على صورته رضى الله تعالى عنه ودحية بفتح الدال
وكسرها ومعناه الرئيس بلغة اليمن و تمثل الملك مع عظم خلقته الاصلية بصورة
صغيرة ليس بافنا بعض اجزائه ولا بازالتها ثم اعادتها كما قيل بل لانهم انوار لطيفة
قابلة للتشكل والانضمام والانتشار كما يشاهد فى اللهب فى هبوب الرياح وقول امام
الحرمين انه كالقطن المنفوش تمثيل وتقريب للعقول ايضا فلا ينقلب حقيقة اذا تمثل
رجلا تأنيسا لمن يخاطبه ولا بعد فى ان يخص الله بعض الانفس القدسية الملكية
بقوة تقدر بها على التصرف فى بدنه كما يريد كما قيل ان الابدال سموا ابدالا لانهم
كانوا يرى لهم فى بعض الامكنة شبحا يقوم مقامهم لقدرة ارواحهم القدسية على

التصور بصورتهم وهو المسمى بعالم المثال وفيه كلام فى كتب الاصول والحكمة
و بعض اهل الشرع ينكره وتبعهم شارح المقاصد وقوله فى صورة دحية بتقدير
مضاف اى فى مثل صورة دحية وما قيل انه تمثيل لتمكنه منها واستقراره فيها
استقرار المظروف فى ظرفه تكلف لا حاجة اليه لان مثله للشمول والاحاطة
بعد ظرفا حقيقة فى العرف ورؤية ابن عباس رضى الله تعالى عنهما له مرتين رواها
الترمذى ورؤية اسامة له رواها الشيخان عنه فقول الشارح الجديد لم اقف
عليها من قصور النظر (ورأى سعد) بن ابى وقاص فى حديث رواه الشيخان
(عن يمينه و يساره جبريل وميكائيل) لف ونشر مرتب (فى صورة رجلين عليهما
ثياب) نسميتهما وقع فى الحديث عن غير واحد وهذا كان بغزوة احد وقد قاتلا
معه صلى الله تعالى عليه وسلم قال النووى فى شرح مسلم هذا مما اكرمه الله
به وفيه رد لمن قال ان الملائكة لم تقاتل معه بغير بدر وقد صح انهم قاتلوا معه بحنين
وهذا هو الصواب وقال القرطبى فى تفسيره لم تقاتل الا ببدر ووعد الله المؤمنين باحد
ان صبروا وثبتوا ان يمدهم بالملائكة فلم يصبروا ولم يمدهم وكان للنبى صلى الله عليه
وسلم ملكان يقاتلان عنه دائما وفى الحديث دليل على ان رؤية الملائكة لا تختص بالانبياء
عليهم الصلوة والسلام فيرأهم الصحابة رضى الله تعالى عنهم والاولياء (ومثله عن
غير واحد) اى روى مثل ما فى هذا الحديث عن ناس كثيرين من طرق متعددة (وسمع
بعضهم) ان بعض الصحابة وغيرهم من الحاضرين (زجر الملائكة) زجرها حسها
(لخيلها) على الجرى بصوت (يوم بدر) اى وقعتها حين القتال وهذا رواه ابو نعيم
والبيهقى عن ابن عباس ان رجلا من غفار قال قدمت انا وابن عم لى ونحن مشركان
وصعدنا على جبل مشرف على بدر ننظر الوقعة وننظر على من تكون الدبرة فبينا
نحن كذلك اذ دنت سحابة فيها حمحمة خيل فسمعت قائلا يقول اقدم حيزوم فمات
ابن عمى من خوفه وكدت اهلك وحيزوم منادى اسم فرس الملك بالميم وروى حيزون
بالنون والصحيح الاول (و بعضهم رأى تطاير الرؤس) اى سرعة وقوعها لخفة
طائر طار عن مقره وهذا رواه البيهقى عن سهل بن حنيف وابى واقد الليثى
(من الكفار) فى يوم بدر (ولا يرون الضارب) لانه ملك خفى عنهم و بعضهم رآه
وعرفه وقد روى كلاهما فى احاديث ذكروها و يجوزان يقال ان التطاير استعارة شبهت
بطائر وحمام طار من برج بدنه بقفصه كانه ليس جزء منه بدليل قوله ولا يرون الضارب
ولا الضرب قال ابو داود المازنى انى لاتبع رجلا من المشركين يوم بدر لاضربه فوقع رأسه
قبل ان يصل اليه سيفى وكانوا يعرفون قتل الملائكة بان لهم سمة نار ونحوه (ورأى
ابو سفيان بن الحارث) ابن عبد المطلب قبل اسلامه (يومئذ) اى يوم بدر (رجالا
بيضاء) وجوههم وابدانهم (على خيل بلق) اى فيها بياض ولون آخر

(مايقوم لهاشئ) اى لايمكن ان يقاوم شدتها وقبالها شئ غيرهم قل او كثر لما رأه من مهابة بطشها وسرعته وقيل ان الرأى لذلك سهيل بن عمرو كما رواه البيهقى وهو مخالف لما رواه المصنف رحمه الله تعالى هنا وهو هكذا فى تخريج السيوطى لاحاديث هذا الكتاب وفى الشرح الجديد انه رواه ابن اسحق فى سيرته ونقله فى حديث طويل فى مهلك ابى لهب والعهدة فيه عليه (وقد كانت الملائكة تصافح عمران ابن حصين) باكفها والذى رواه مسلم انها كانت تسلم عليه ولامنافاة بينهما فان المتلاقيين يستحب لهما السلام والمصافحة تحية واكراما لان السلام امان والمصافحة تسليم يده له فهو امان لفظا ومعنى وحسا وعمران بن حصين هذا هو الصحابى الخزاعى رضى الله تعالى عنهم وحصين علم منقول من مصغر حصن وهو كما قالوا افضل من نزل البصرة توفى فى خلافة معاوية رضى الله تعالى عنه سنة اثنين وخمسين ومصافحة الملائكة له مشهورة فى الكتب المعتمدة واما السلام ففى صحيح مسلم مسندا الى مطرف ان عمران رضى الله تعالى عنه قال له كانت الملائكة تسلم على حتى اكتويت فتركت السلام على ثم تركت الكى فعادوا وقال له اكتمه ما دمت حيا قال النووى رحمه الله تعالى كان به بواسير فاكتوى لها لقطع دمها وكان عظيم الصبر والتوكل وفى العلاج ترك التوكل فلذا قطعت الملائكة السلام عليه والا فالكى ليس محرما وان قيل بكراهته اذا امكن العلاج بغيره كما ورد فى المثل آخر الدواء الكى وروى انه كان يسمع فى داره السلام عليه من غيران يرى اهل الدار المسلم كما ذكره الترمذى وهذا وان كان خارجا عما عقد له الفصل من رؤية للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم الملائكة ورؤية الصحابة رضى الله تعالى عنهم لهم عنده فهو يعلم منه المقصود بالطريق الاولى اوهو استطراد (وارى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) فى حديث رواه البيهقى مرسلا عن عمار بن ياسر رضى الله تعالى عنهما وارى بصرية تعدت بالهمزة مفعولين اولهما (حمزة) بن عبد المطلب عمه صلى الله تعالى عليه وسلم وفى نسخة لحمزة رضى الله تعالى عنه باللام فهى زائدة كما فى ردف لكم وثانيهما (جبرائيل عليه الصلاة والسلام فى الكعبة) اى فى داخلها او عندها فخر (مغشيا عليه) خوفا من مهابته لانه رأه على صورته ففى دلائل البيهقى رحمه الله تعالى وطبقات ابن سعد عن عمار بن ياسر ان حمزة رضى الله تعالى عنه قال يارسول الله ارنى جبرائيل عليه الصلاة والسلام على صورته قال انك لاتستطيع ان تراه قال بلى فارنيه فقال له اقعد فقعد فنزل جبريل على خشبة كانت فى الكعبة فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم ارفع طرفك فانظر فرفع طرفه فرأى قدمه مثل الزبرجد الاخضر فخر مغشيا عليه واعلم ان رأى اذا تعدى بالهمزة لمفعولين كان من باب اعطى قال ابن مالك لاتدخل اللام عليهما لانه يلزم تعدى فعل بحرفين بمعنى وان تعدى

احدهما لزم الترجيح بلا مرجح مالم يتقدما اواحدهما فتعديه هنا باللام لاوجه له وقال ابن هشام انه شاذ واللام زائدة كقول ليلى الاخيلية احجاج لايعطى العصاة مناهم ولاالله تعالى يعطى للعصاة مناها فان كان هذا ورد كذا فهو من الشاذ المسموع ولا اعتراض عليه واعلم ان الحافظ السخاوى قال فى كتابه عمدة الناس فى مناقب العباس رضى الله تعالى عنه ان العباس بعث ابنه عبد الله الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال وراءه وعنده رجل فالتفت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فرأه فقال له متى جئت فقال منذ ساعة قال هل رأيت رجلا قال نعم قال ذاك جبريل ولم يره خلق الاعمى الا ان يكون نبيا لكن اسأل الله تعالى ان يجعل ذلك فى آخر عمرك وله طرق من الاسانيد الا انه معارض برؤية جماعة من الصحابة لجبريل لم يعموا ولكن هذا ضعيف وتلك صحيحة فلايتكلف الجمع بينهما وقد عمى ابن عباس فى آخر عمره فقال

* ان يأخذ الله فى عينى نورهما * ففى لسانى وقلبى منهما نور *

* عقل صحيح ورأى غير ذى ذلل * وفى فى صارم كالسيف مشهور *

وقال له بعض الامويين مالكم يابنى هاشم تصابون فى ابصاركم فقال وانتم يابنى امية تصابون فى بصائركم انتهى (اقول ما ذكره من حديث عمى الرأى لجبريل اذا ورد من طرق صار قويا وليس من قبيل الاحكام فيجعل معارضة ناسخا فلابد من التوفيق فيحمل على ما رأه وحده فى بيت ونحوه من مكان منحصر كالبيت من غير علم للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم برؤيته فلا يرد رؤية عائشة وغيرها وذلك لانه نور شديد قد يورث ضعف البصر المؤدى للعمى اذا حدق فيه الناظر واطال نظره فى نوره الذى لم يتفرق وهو من الاسرار الالهية فتأمله ثم ان المصنف رحمه الله تعالى قدم الملائكة لشرفهم ثم ذكر امر الجن فقال (ورأى ابن مسعود) فى حديث رواه البيهقى (الجن فى ليلة الجن) اى فى ليلة رأى فيها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الجن وقدامر بانذارهم ودعوتهم للاسلام فدعاهم (وسمع كلامهم) قال البرهان فى المقتفى الذى فى صحيح مسلم من حديث ابن مسعود انه لم يكن مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة الجن وقال ابن سيد الناس فى سيرته ان حديث بن مسعود فى كونه كان حاضرا فى ليلة الجن روى من طرق وفيه انه توضأ بنبيذ التمر وذكر الشراح هنا كلاما لامحصل له والحق ماقاله ابو البقاء الشبلى الحنفى فى كتابه آكام المرجان فى احكام الجان من انه روى فيه احاديث متعددة منها مارواه ابو داود عن ابن مسعود ان علقمة قال له هل صحب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة الجن احد قال ما صحبه منا احد ولكن فقدناه ليلة فالتمسناه فى الاودية والشعاب فقلنا اغتيل فبتنا بشر ليلة فلما اصبحنا جاء من قبل حرا وقال اتانى داعى الجن فذهبت معه وقرأت عليهم القرأن وانطلق بنا

وارانا آثار نيرانهم وذكر انهم سألوه الزاد فقال لكم العظم والبعر ونهى عن الاستنجاء
بهما رواه احمد وهذه الليلة غير الليلة التى حضرها ابن مسعود وهى فى دلائل البيهقى
مسندة قال ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لاصحابه بمكة من احب منكم
ان يحضر الليلة الجن فليفعل فلم يحضر احد غيرى فانطلقنا حتى اذا كنا باعلى
مكة خط لى برجله خطا امرنى بالجلوس فيه وانطلق حتى قام وافتتح القرآن فغشيته
اسودة كثيرة حالت بينى وبينه حتى ما اسمع صوته الى الفجر وسمعتهم يقولون له
من يشهد لك انك رسول الله وبقربه شجرة فقال ارأيتم ان شهدت هذه الشجرة
تؤمنون قالوا نعم فدعاها والله فشهدت له فامنوا به وجمع البيهقى بين الروايتين
فقال قوله ما صحبه منا احد اراد به حال ذهابه لقراءة القرآن الان قوله انه اعلم اصحابه
بخروجه ينافى فقد هم له حتى قالوا انه استطير او اغتيل وفيه تصريح بانه ممن فقده
والتمسه وفى هذا الحديث انه خرج له وخط له خطا جلس فيه فلا يصح ما قاله
البيهقى وهذا كله منشؤه ظنهم انها ليلة واحدة ولاشك انها تعددت فمنها ما كان
بمكة كما تقدم ومنها ما كان بالمدينة كما فى دلائل النبوة لابى نعيم مسندا لابن مسعود
وانه قيل له كتب مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة وفد الجن قال اجل اخذ
كل رجل رجلا من اهل الصفة يعشيه ولم يأخذ فى احد فمر بى رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقال ما اخذك احد يعشيك قلت لا قال انطلق معى لعلى اجد لك
ما يعشيك فانطلقت معه بحجرة ام سلمة فتركنى ودخل ثم خرجت جارية فقالت لى
لم يجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لك عشاء فرجعت الى المسجد والتففت
بثوبى فجاءت الجارية وقالت اجب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاتيته ارجو
العشاء فخرج وبيده عسيب نخل فعرض به على صدرى وقال انطلق معى حيث
انطلقت فقلت ما شاء الله وكررتها ثلاث مرات فانطلقنا حتى اتينا بقيع الفرقد
فخط بعصاه خطا وقال اجلس فيه حتى اتيك ولا تبرح فانطلق وانا اراه خلال
النخل فثارت مثل عجاجة لحقت عليه وقلت الحق او استغيث الناس لظن هوازن
مكرت به ثم ذكرت قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لاتبرح فسمعته يقول اجلسوا وهو
يقرعهم بعصاه فجلسوا حتى كاد ينشق عمود الصبح فذهبوا واتى لى فذكرت له ما فى
نفسى فقال هم وفد نصيبين الى آخره فهذه الليلة كانت بالمدينة حضرها ابن مسعود
وماسئل عنه اولا كان بمكة وقد وفدوا عليه صلى الله عليه وسلم مرة اخرى حضرها ابن
الزبير رواها الطبرانى ومر اواخر ذكرها فى باب مستقل بطولها ثم قال وهذه الاحاديث
تدل على ان وفادة الجن كانت ست مرات الاولى فقد فيها وقيل اغتيل والتمس
بمكة والثانية كانت بالحجون والثالثة كانت باعلى مكة بالجبال والرابعة كانت ببقيع
الفرقد والخامسة كانت خارج المدينة حضرها ابن الزبير والسادسة كانت فى
بعض اسفاره حضرها بلال انتهى ملخصة (وشبههم) اى ابن مسعود لا النبى صلى الله

تعالى عليه وسلم لقول قتادة ان ابن مسعود لما قدم الكوفة رأى شيوخا سوداء
افرعوه فقال اخرجوهم ما اشبههم بالنفر الذين صرفوا الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم يعنى الجن وفيه دليل على انه رآهم (برجال الزط) متعلق بقوله شبههم والزط
بالزاى المعجمة وتشديد الطاء المهملة قوم من السودان طوال وفى القاموس انهم
جيل بالهند معرب جت بفتح الجيم والقياس يقتضى فتح معربه والواحد زطى
(وذكر ابن سعد) وهو محمد بن سعد كاتب الواقدى وقد تقدم وهو بصرى
(ابن مصعب بن عمير) القرشى العبدرى الصحابى البدرى وهو ممن اسلم قديما وكان يحمل
راية لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بين يديه (لما قتل يوم احد) اى فى وقعته
قتله ابن قمئة لعنه الله ظانا انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى صحيح البخارى عن خباب
ان مصعبا لما قتل لم يكن له الا نمرة كنا اذا غطينا رأسه بها بدت رجلاه واذا غطى رجلاه
بدت رأسه فجعلوا على رجليه شيئا من الاذخر (اخذ الراية ملك على صورته) اى
تشكل بشكله وبرز على صورته حتى لاتقع راية المسلمين فان وقوع راية العسكر فيه
ضعف لهم ولتمام تلك الصورة فيه جعل كانه عليها راكب لتمكنها فيه (فكان النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم يقول له تقدم يا مصعب) لنحو الاعداء فى القتال فان الراية
يتبعها المقاتلون لانه صلى الله تعالى عليه وسلم لشدة توجهه للقتال لم يشعر بقتل
مصعب ولم يتأمل حامل الراية (فقال له الملك لست بمصعب) كما ظننته وفيه لطف
وتبشير بسهولة الامر وظهور النصر وان مع العسر يسرا وهذا بناء على انه لم يعلمه
كما رواه ابن سعد فى طبقاته وعلى ما رواه ابن ابى شيبة فى مصنفه من انه صلى الله تعالى
عليه وسلم قال يوم احد اقدم مصعب فقال له عبد الرحمن بن عوف لما سمع مقاله
يا رسول الله الم يقتل مصعب يعنى فكيف تناديه قال بلى ولكن ملك قام مقامه وتسمى
باسمه فهو الذى ناديته يكون علم صلى الله تعالى عليه وسلم انه ملك وانما سمى باسمه
لئلا يعلم الناس قتل حامل الراية فيحصل فيهم اضطراب وتشمت الاعداء بهم ويظنون
انهزامهم فعلم صلى الله تعالى عليه وسلم قتل مصعب وعلى الاول لم يشعر بقتله
وكونه علمه ونسى او ظن ان الله احياه كما قيل بعيد فلا يقال كيف ناداه باسمه بعد ما
علم انه ملك مع ان هذا السؤال غير وارد رأسا بعد علمه انه تسمى باسمه لما مر وكان
مصعب رضى الله تعالى عنه حامل راية المهاجرين باحد ولواء الخزرج حامله الحباب
ابن المنذر وقيل سعد بن عبادة وراية الاوس بيد اسيد ابن حضير وما روى من ان حامل
رايته باحد على بن ابى طالب كرم الله وجهه لاينافيه لان الراية كانت اولا بيد مصعب
فلما استشهد اخذها الملك فلما انجلى الامر وعلم ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
لم يقتل كما شنع به ابن قمئة وصرح ابليس اللعين ان محمدا قد قتل اخذ على الراية
بعد ما امسكها الملك لحظة لئلا يسقط ويتخذل المسلمون وتقرأ عين الكفار وقول

الملك لست بمصعب يعنى لست مصعبا المعروف لكم فلا يقال كيف قال ذلك بعد ماتسمى مصعبا (وذكر غير واحد من المصنفين) كالبيهقى وابن ماكولا (عن عمر ابن الخطاب رضى الله تعالى عنه (انه قال بينا نحن جلوس مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذ اقبل شيخ بيده عصى) كونه بيده عصا تحقيق لشيخوخته فان العصا سلاح المشايخ ولله در الباخرزى فى قوله * حمل العصا للمبتلى * بالشيب عنوان البلا * وصف المسافر انه * القى العصا كى ينزلا * فعلى القياس سبيل من * حمل العصا ان يرحلا * وهو تلميح لقوله * فالقت عصاها واستقرت بها النوى * كما قر عينا بالاياب المسافر * (فسلم على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فرد عليه) النبى صلى الله تعالى عليه وسلم سلامه بان قال له وعليك السلام وجواب السلام يقال له رد حقيقة وهو فى الاصل مجاز لتشبيهه بمن اعطى شيئا فاعاده لصاحبه ثم صار حقيقة فيما ذكر (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم لمن سلم عليه بعد رده جوابه (نغمة الجن) وفى نسخة نغمة جنى اى هذه او نغمتك نغمة الجن وصوتهم فهو خبر مبتدأ مقدر وقال الثعالبى فى فقه اللغة خرس الكلام وحسن الصوت والنغمة بالفتح جمعها نغم بفتح النون وكسرها وهو شاذ ومع شذوذه فله نظائر كهضبة وهضب وخيمة وخيم وبضعة وبضع (من انت) من الجن وما اسمك وشهرتك وفيه اشارة الى انه صلى الله تعالى عليه وسلم يعرفهم لانهم وفدوا عليه مرارا كما تقدم (قال انا هامة بن الهيم) بهاء مكسورة فمثناة تحتية فميم (ابن لاقس بن ابليس) فى ضبط هذه الاسماء اختلاف فقيل هامة بوزن قامة وقيل اللام بالف ولام دون هاء والصحيح الاول والهيم بوزن الفيل كما مر وقيل انه مهموز بوزن كيف ووعل وفى الشرح انه مضبوط بخط الحافظ بتشديد الياء بوزن قيم ولا يعتمد عليه والكلام على ابليس مشهور وهو ابو الجن كما ان آدم عليه السلام ابو البشر ويسمى عزازيل وقيل الحارث ويكنى بابى مرة ولاقس بزنة فاعل وفى بعض النسخ لاقيس بزيادة ياء وهو الاشهر الاصح حتى قيل ان الياء سقطت سهوا من الكاتب (فذكر) للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم (انه لقى نوحا عليه الصلوة والسلام ومن بعده) من الرسل والانبياء (فى حديث طويل وان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم علمه سورا من القرآن) سيأتى والحديث عن عمر رضى الله تعالى عنه قال بينا نحن مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على جبل من جبال تهامة اذ اقبل شيخ فى يده عصا فسلم على النبى صلى الله عليه وسلم وله نغمة الجن وعنهم فقال له من انت قال هامة بن الهيم بن لاقس بن ابليس قال ليس بينك و بين ابليس الا ابوين قال نعم قال فكم لك من العمر قال افنيت الدنيا عمرها وكنت مع نوح فى مسجده مع من آمن به من قومه فلم ازل اعاتبه على دعوته عليهم حتى بكى وابكانى فقال لا جرم انى على ذلك من النادمين واعوذ بالله ان اكون من الجاهلين وقلت له

يانوح انى ممن شارك فى دم الشهيد هابيل فهل تجد لى من توبة قال يا هام هم بالخير وافعله قبل الحسرة والندامة انى قرأت فيما انزل الله على انه ليس من عبد تاب الى الله بالغا ذنبه ما بلغ الا تاب الله عليه فقم وتوضأ واسجد لله سجدتين ففعلت من ساعتى ما امرنى به فنادانى ارفع رأسك فقد نزلت توبتك من السماء فخررت ساجدا لله وكنت مع هود فى مسجده مع من آمن به من قومه فلم ازل اعاتبه على دعوته على قومه حتى بكى وابكانى وكنت مع يوسف بالمكان المكين وكنت القى اليأس بالاودية وانى القاه الآن ولقيت موسى بن عمران فعلمنى من التورية وقال ان لقيت عيسى بن مريم فاقرأه منى السلام وان عيسى قال ان لقيت محمدا فاقرأه منى السلام فبكى صلى الله تعالى عليه وسلم وقال على عيسى السلام مادامت الدنيا وعليك ياهامة لادائك الامانة فقال يارسول الله افعل بى مافعله موسى بن عمران فانه علمنى من التورية فعلمه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سورة المرسلات وعم يتساءلون عن النبأ العظيم واذا الشمس كورت وقل هو الله احد والمعوذتين وقال له ارفع الينا حاجتك ياهام ولا تدع زيارتنا فقبض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولم ينعه لنا فلست ادرى احى هو ام ميت انتهى واعلم انهم اختلفوا فى هذا الحديث فقال ابن الجوزى انه حديث موضوع لا اصل له وذكر له طرقا ذكر من فى رواتها من الكذابين ومن لم تقبل روايته وخالفه فيه غيره وقال ان تعدد طرقه تدل على صحته وابن الجوزى له مجازفة فى موضوعاته اكثرها مردودة وقد روى هذا الحديث من يعتمد عليه كالبيهقى كما علمت وابن عساكر وغيرهما (وذكر الواقدى) محمد بن عمر بن واقد المدينى صاحب التأليف الكثيرة العربية وقد وثقه كثير وطعن فيه آخرون توفى ببغداد سنة سبع ومائتين وعمره ثمان وسبعون كما تقدم وهذا حديث صحيح رواه البيهقى والنسائى وغيرهما وهو مذكور فى اكثر التفاسير (قتل خالد) بن الوليد وهو مصدر مضاف لفاعله ومفعوله السوداء (عند هدمه العزى) وفى نسخة قطعه وهى اظهر لان العزى كانت شجرة او ثلاثة اشجار فى مكان واحد بنوا عليها بناء وكانوا يعبدونها ويسمع منها اصوات فذكر الهدم باعتبار ماحولها فهو بتقدير مضاف هو مفعول هدم كقطع اى قطعها او هدم بنائها وكانت لغطفان وهى سمرة (السوداء) مفعول قتل كما مر وفى نسخة للسوداء واللام للتقوية وهو شيطان فى صورة امرأة سوداء (التى خرجت له) اى لخالد رضى الله تعالى عنه لما باشر قطعها (ناشرة شعرها عريانة) واضعة يدها على رأسها صائحة باويلها وناشرة ومابعده منصوب على الحالية وشعر بسكون العين وفتحها (فجزلها) بجيم وزاى معجمة مفتوحتين والزاى مشددة للمبالغة ومخففة اى جعلها جزلين اى قطعتين وروى جدلها بدال مهملة مشددة وروى عن خطه بخاء وذال معجمتين بمعنى قطعها ومعانيها متقاربة واشهرها

اولها والضمير للسوداء اى قطعها قطعا (بسيفه) وهو يقول ياعزى كفرانك لاغفرانك انى رأيت الله قداهانك والعزى تأنيث الاعز (واعلم) خالد بما فعله (النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال تلك العزى) ان كانت الاشارة لماوقع به العقل من الشجرة فظاهر وان كانت الاشارة للسوداء فتسميتها عزى وهى اسم للشجر والبناء باعتبار انها هى التى عبدوها حقيقة وسمعوا منها ما كانت تخبرهم به من المغيبات ونحوها كما يقال الحج النبى والعج باطلاق الشئ على المقصود منه فهو مجاز وكانت منحلة تعبدها قريش وكنانة وهى من اجل اصنامهم وقصة هدمها مفصلة فى السير وكان خرج خالد لها فى ثلاثين فارسا والجن قادرة على التشكل بصور مختلفة كالملائكة الا ان هذه اذاقتل ماتصور منها هلك ولما قتلها خالد قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تلك العزى لن تعبد ابدا وقتل سادنها اى خادمها المتوكل بها وهودية بضم الدال المهملة وفتح الباء الموحدة وتشديد المثناة التحتية ابن حرمى من بنى مرة (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم) فى حديث صحيح رواه الشيخان عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه (ان شيطانا) هو المتمرد من الجن من شطن اذا بعد اومن شاط اذا احترق فنونه زائدة اواصلية (فقلت) بتشديد اللام تعد اى وثب بسرعة بغتة واصله التخلص بغتة يقال انفلتت الدابة اذا تخلصت من مربطها (البارحة) هى الليلة الماضية قبل وقتك التى تكلمت فيه يعنى فى ليلة يومه وقد ترد بمعنى اليوم الذى قبل يومك وفيه كلام فى شرح الدرة الغواص (ليقطع على) بتشديد الياء متعلق بيقطع بمعنى يبطل (صلاتى) التى كنت اصليها ويجوز ان يتنازعه هو وتفلت (فامكننى الله منه) اى اقدرنى عليه وعلى اخذه وحبسه (فاخذته) اى امسكته وعقته عن مضيه وهروبه منى (فاردت ان اربطه) بكسر الباء وضمها اى اوثقه بوثاق بضمه (الى سارية) اى عمود اواسطوانة من عمد المسجد و (من سوارى) جمع سارية (المسجد) المدنى (حتى تنظروا اليه كلكم) لاجل ان تروه مربوطا (فذكرت دعوة اخى سليمان) بن داود نبى الله عليهما الصلوة والسلام وهى قوله فى دعائه (رب اغفرلى) كل ماصدر منى من تقصير بالنسبة لمقام النبوة وان كان معصوما (وهب لى ملكا) اى سلطانا عظيما (لاينبغى لاحد من بعدى) اى لايتيسر لاحد غيرى وهو احد معانى الانبغاء مطاوع بغى بمعنى طلب وليس هذا حرصا منه عليه الصلوة والسلام على الملك وسعة الدنيا وانما طلب عظمة ينفرد بها لتكون خارقة للعادة دالة على نبوته مقدرة له على تنفيذاوامر ربه واظهار دينه وفى تقديم الدعاء بالمغفرة على حصول الملك ايماء الى ان السلطنة لاتخلو من امور تحتاج لعفو الله تعالى اوحياء من الله لطلبه امرا لايليق بغيره ولتركه مقام العبودية الذى ارتضاه نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم

وقال الزمخشرى ان سليمان عليه الصلوة والسلام نشأ فى بيت ملك ونبوة فاراد ان يكون ماورثه زائدا على غيره خارقا للعادة ليتم به امره و يعلم انه باستحقاق للفيض الالهى لابمجرد ميراث كاولاد الملوك ولايتوهم انه طلب قصر نعم الله عليه والمؤمن يحب لاخيه مايحب لنفسه فكيف بالنبى صلى الله عليه وسلم لان خصايص الانبياء وطلبها امر آخر وقد علم ان هذا الشيطان مارد من المردة ويأتى الكلام فى تعيينه (الق على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) شعلة نار وهو يصلى ليقطع صلاته فاخذه هو بنفسه لاملك منعه عنه كما قيل ولبعضهم هنا ابحاث زوائد لاطائل تحتها وقوله رب اغفرلى بدل مفسر لقوله دعوة اخى وتسخير الجن داخل فى هذه الدعوة لقوله بعدها * فسخرناله الريح تجرى بامره رخاء حيث اصاب والشياطين * الخ ولما استجاب الله دعوته ترك صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك تأدبا منه وتواضعا وتوقيرا لسليمان صلى الله تعالى عليه وسلم قال ابن عرفة رحمه الله تعالى ومانقل عن الحجاج من انه قال فى حق نبى الله سليمان انه كان حسودا من فسقه وجهله بل من كفره وعدم علمه بمقامات الانبياء عليهم الصلوة والسلام فان للانسان ان يطلب من الملك شيئا يخصه به اذا علم انه لايعطيه الا الواحد من مملكته فيجوز ان يكون هو ذلك الواحد وقوله (فرده الله) اى رد الله ذلك الشيطان باقدارى عليه وتمكيننى منه (خاسئا) اى خائبا حقيرا مطرودا من كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم كما هو واضح وقول البخارى قال روح فرده الله خاسئا بيان لانه وقع من روايته لانه روى فرددته وهى صريحة فى ذلك وهذا الحديث روى من طرق وفيها زيادة واختلاف ففى بعضها عرض لى فى صورة هر واخذته فخنقته حتى وجدت برد لسانه على يدى وروى انه سمع صلى الله عليه وسلم يقول فى صلاته اعوذ بالله منك والعنك بلعنة الله ثلاثا و بسط يده كانه يتناول شيئا فسألوه عن ذلك فقال ان عدو الله ابليس لعنه الله جاء بشهاب من نار ليجعله فى وجهى وقوله فى الرواية المارة فاخذته وخنقته يعلم منه ان قول المصنف رحمه الله تعالى فى شرح مسلم انه يحتمل انه لم يقدر عليه لاوجه له فانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان قادرا على ذلك فانه اوتى مثل كل معجزة لغيره كما يأتى وفى بعض طرق هذا الحديث تصريح بان الشيطان هو ابليس وقيل يحتمل انه غيره وان الواقعة تعددت قال ابن عبد البر الجن على مراتب جنى وعامر وهو الذى يخالط الناس وارواح وهم الذين يتعرضون للصبيان واجنها قيل وقرين الانبياء والعباد يقال له الابيض كما فى تفسير القرطبى (وهذا) اى ما كان له صلى الله تعالى عليه وسلم مع الملائكة والجن (باب واسع) اشارة الى ان ماذكره قليل من كثر وغيض من فيض وفى اكام المرجان ربطه الى السارية من التصرف الملكى الذى تركه لسليمان وتصرفه صلى الله تعالى عليه وسلم نبوى بالدعوة للاسلام والامر

والنهى فانه كان عبدا رسولا وهوافضل من الملك النبي ثم ان خنقه وفعله به مافعله في صلاته احتج به على جوازمثله في الصلاة كدفع المار وقتل الاسودين والمسابقة في صلاة الخوف انتهى وفيه تأمل

﴿ فصل ومن دلائل نبوته ﴾

صلى الله تعالى عليه وسلم والدليل مايعلم منه شئ آخر ويكون قطعيا وظنيا قال استاذ والدى الشيخ احمد بن قاسم في الآيات البينات هى جمع دليل على خلاف القياس ويحتمل ان يكون جمع دلالة بمعنى دليل فان امام الحرمين قال ان الدليل يسمى دلالة وجمع فعالة على فعايل قياسى والظاهر ان تسمية الدليل دلالة مجازا انتهى وقال الراغب الدلالة مايتوصل به الى معرفة الشئ وتسمية الدال والدليل دلالة كتسمية الشئ بمصدره انتهى وفيه دليل لماقاله امام الحرمين وانه سمع فلاوجه للتوقف فيه ولا لقول البعض شراح المنهاج الاصولى في قوله دلائل الفقه صوابه ادلة وقال ابن مالك في شرح الكافية لم يأت فعايل جمع اسم جنس على فعيل فيما اعلم لكنه بمقتضى القياس جائز في علم المؤنث كسعيد علم امرأة جمع على سعائد وذكر النحاة انه في غاية القلة ورد منه لفظين لايقاس عليهما وهما وصائد جمع وصيد وهو الباب وسلائل جمع سليل وهو واد وزاد الجوهرى تبايع جمع تبيع واقاويل جمع اقيل وهو الصغير من الابل وقول بعضهم انه قيده بقلة فقد يقال انه لايمتنع سماعا ولاقياسا خبط لا معنى له (وعلامات رسالته) العلامة الامارة واكثر مايستعمل في الظنيات وفيما يكون قبل الوقوع والفرق بين النبوة والرسالة مشهور وقد يكونان بمعنى واضاف الدلائل للنبوة والعلامات للرسالة تفننا وقيل لان النبوة اصل والرسالة وصف زائد انتهى والظاهر ماقلناه انه غاير بينهما تفننا والمراد بالدلائل الدلائل القطعية وقدمها لشرفها واضافها للنبوة لسبقها على الرسالة وكل مادل على النبوة دل على الرسالة للزوم تصديقه بعد ثبوت نبوته في قوله تعالى * انى رسول الله اليكم * وكذا الرسالة مستلزمة للنبوة ومبنية عليها فعلاماتها (ماترادفت به الاخبار) اى تتابعت فجاء بعضها يتبع بعضا من غير انفصال كان بعضها ركب خلف الآخر ففيه استعارة مكنية وتخييلية والاخبار جمع خبر (عن الرهبان) وهم عباد النصارى وعلماؤهم كبحيراء في قصته المشهورة جمع راهب من الرهبة وهى الخوف لاظهارهم خشية الله والخوف منه مقابل للراغب لتركهم الرغبة في الدنيا كما قيل * يهوى غلاما من نصارى جاف * فاعجب له من راغب في راهب (والاحبار) جمع حبر بالفتح والكسر كما مر وهو العالم من اهل الكتاب واشتهر في علماء اليهود وقوله (وعلماء اهل الكتاب) من عطف العام على الخاص واهل الكتاب غلب على اليهود و النصارى فالمراد بالكتاب التورية والانجيل وغيرهما من الكتب السماوية وفى نسخة الكتب جمعا وهما بمعنى (من صفته) صلى الله عليه وسلم (وصفة امته واسمه وعلامته) في

التوراة عن كعب محمد رسول الله عبدى المختار الى آخره وامته الحمادون وفي الزبور عن وهب بن منبه سيأتى من بعدك نبى يسمى احمد ومحمد امته مرحومة اعطيتهم مثل ما اعطيت الانبياء الى غير ذلك ممانقله الثقات كقوله في علامته في الانجيل صاحب المدرعة والعمامة والهراوة الجعد الرأس الصلت الجبين الى آخر ما ذكره من حليته فيه (وذكر الخاتم) بالفتح والكسر يعنى خاتم النبوة (الذى بين كتفيه) وقد تقدم الكلام عليه وانه مثل زر الحجلة او بيضة الحمام وانه ختم به بعد شق صدره وفيه شعرات وخيلان عند نغض كتفه اليسرى وهو مذكور في كتب الله تعالى القديمة (وماوجد) بالبناء للمجهول (من ذلك) اى مما يدل على نبوته ورسالته (في اشعار المتقدمين) من العرب المتألهين قبل بعثته صلى الله تعالى عليه وسلم العالمين بما في الكتب السماوية القديمة (من شعر تبع) بيان لماوجد وتبع بضم التاء وتشديد الباء الموحدة اسم لملك اليمن وجمعه تبابعة سمى به لكثرة اتباعه المنقادين له واصل معناه الظل ولايسمى تبعا الا اذا ملك حمير وحضرموت واشتهر منهم اثنان تبع الاكبر والاول والثانى اما ابا كرب وتبع الثانى هو الذى اراد تخريب المدينة واستئصال اليهود لماشكى له الانصار منهم لانهم من اليمن نزلوا عندهم فقال له رجل معمر الملك اجل من ان يطير به فرق او يستخفه غضب وامره اعظم من ان يضيق حلمه اوتخرم صفحه وهذه البلدة مهاجر بلدة نبى يبعث بدين ابراهيم عليه الصلوة والسلام قال السهيلى رحمه الله تعالى وهذا الرجل من اليهود وهو احد الحبرين اللذين كلما الملك شحيت ومنبه او بنيامين ويأتى ان شامول كلمة ايضا فآمن به عليه الصلاة والسلام وكسى الكعبة وهو اول من كساها والشعراء لمذكور قوله

* شهدت على احمد انه * نبى من الله بارئ النسم *
* فلومد عمرى الى عمره * لكنت وزيرا له وابن عم *
وجاهدت بالسيف اعداءه * وفرجت عن صدره كل غم
* له امة سميت في الزبور * وامته هى خير الامم *
(قوله) ويأتى بعدهم رجل عظيم * نبى لايرخص في الحرام *
* يسمى احمدا ياليت انى * اعمر بعد مبعثه بعام *

(والاوس بن حارثة) بن ثعلبة العنقاء بن عمرو بن مزيقيا بن ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرء القيس البطريق ابن ثعلبة البهلول بن مازن بن الازد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان والاوس في اللغة الذئب او العطية سمى به وله تنسب الانصار وكان اوس من عدة ناس في الفترة هداهم الله تعالى للتوحيد ولم يعبد والاصنام وكانوا يعاشرون اهل الكتاب فيخبرونهم بما في كتبهم من ذكر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيذكرونه

فى خطبهم واشعارهم ولاوس شعر فيه لم يذكره احد هنا من الشراح وهو سيد
جواد طائى كان صديقا لحاتم الطائى والاوس بالالف واللام للمح ولذا قال السهيلى
انه منقول من اسم العطية لامن اسم الذيب لانه علم جنس كاسامة لاتدخل عليه
الالف واللام قبل النقل فبعده اولى وقال التلمسانى انه روى هنا بدون الالف واللام
وهو مخالف لما قاله الامام السهيلى (وكعب بن لوى) هذا هو الصواب وفى بعض النسخ
لوى بن كعب وهو غلط من الناسخ ولوى يهمز ولايهمز وهو تصغير لاى بمعنى البطؤ
وهو اول من جمع يوم الجمعة وسماها جمعة وكانت تسمى عروبة فى الجاهلية فكان
يخطب فيه الناس ويبشر بالنبى صلى الله عليه وسلم فيما نقل من كلامه نظما ونثرا انه قال
فى خطبة له اما بعد فاسمعوا وتعلموا وافهموا واعلموا ليل ساج ونهار ضاج والارض
مهاد والسماء بناء والجبال اوتاد والنجوم اعلام الى قوله الدار اما نكم والظن غير
ماتقولون حرمكم زينوه وعظموه فسيأتى له نبأ عظيم وسيخرج منه نبى كريم وينشد

* نهار وليل كل يوم بحادث * سواء علينا ليلها ونهارها *
* منونان بالاحداث حين تناوبا * وبالنعم الضافى علينا شررها *
* على غفلة يأتى النبى محمد * فيخبر اخبارا صدوقا خبيرها *

الى آخر مارواه ابن الجوزى مسندا فى كتاب الوفا (وسفيان بن مجاشع) التميمى الدارمى
المجاشعى جد الفرزدق والاقرع بن حابس وكان احتمل عن قومه ديات
فخرج لحى من تميم فاذاهم مجتمعون عند كاهنة فاتاهم وجلس عندهم فسمع الكاهنة
تقول العزيز من والاه والذليل من خالاه والموفور من والاه والموتور من عالاه فقال
سفيان من تذكرين لله ابوك فقالت صاحب هدى وعلم وبطش وحلم وحرب وسلم ورأس
رؤس ورابض شموس وماحن بؤس وماهد زعوس وناعس ومنعوس فقال سفيان
لله ابوك من هو قالت نبى مؤيد قد اتى حين يوجد ودنا اوان يولد يبعث الى الاحمر والاسود
بكتاب لايفند اسمه محمد قال سفيان لله ابوك اعربى هو ام عجمى فقالت اما والسماء
ذات العنان والشجر ذات الافنان انه لمن معد بن عدنان فامسك عن سؤالها ثم ان
سفيان ولد له ولد فسماه محمد ارجاء ان يكون هو النبى المذكور وهو احد من سمى
باسمه صلى الله تعالى عليه وسلم قبل مبعثه كما تقدم وهذا ماذكره المصنف رحمه الله
تعالى من تبشيره به وله شعر فيه الا ان الشراح قالوا لم تقف عليه وماذكر يكفى
فى المقصود (وقس بن ساعدة) الايادى قس بضم القاف وتشديد السين والقس
العالم والايادى بكسر الهمزة نسبة لايادحى من معد وكان من الحكماء الزهاد
كمتوحد منقطع للعبادة فى برية وامن بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم قبل مبعثه
ورآه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مرتين بسوق عكاظ ولذا عده ابن شاهين وغيره
فى الصحابة رضى الله عنهم وعمر حتى قيل انه عاش ست مائة اوسبع مائة سنة وادرك
الحواريين فكان على دين عيسى عليه الصلوة والسلام قبل وكانت السباع تدور

عنده ولاتؤذيه وربما ضربها بعصاه وهو خطيب مغلق يضرب به المثل وعن ابن
عباس رضى الله تعالى عنهما لما قدم الجارود على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
وكان سيد قومه قال يارسول الله والذى بعثك بالحق لقد وجدت صفتك فى الانجيل
وبشر بك ابن البتول وانا اشهد ان لااله الاالله وانك رسول الله فامن هو وكل سيد
من قومه وسر بذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال له يا جارود هل
فى وفد عبد القيس من يعرف قسا قال كلنا نعرفه وكنت اقفو اثره كانى انظر اليه يقسم
بالرب الذى هوله ليبلغن الكتاب اجله ويقول * هاج للقلب من جواه اذكار *
وليال خلالهن نهار * فى ابيات اخر فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم فلست
انساه بسوق عكاظ يذكر كلاما ما احفظه فقال ابو بكر رضى الله تعالى عنه
كنت حاضرا وانا احفظه سمعته يقول فى خطبته ياايها الناس اسمعوا وعوا
واذا وعيتم فانتفعوا انه من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو آت آت
مطر ونبات وارزاق واقوات وآباء وامهات * واحياء واموات وجمع
واشتات وآيات بعد آيات ان فى السماء لخبرا وان فى الارض لعبرا ليل داج
وسماء ذات ابراج وارض ذات رتاج وبحار ذات امواج مالى ارى الناس
يذهبون فلايرجعون ارضوا بالمقام فاقاموا ام تركوا هناك فناموا اقسم قس
قسما حاتما لاحانثا فيه ولا آثما ان لله دينا هو احسن من دينكم الذى انتم
عليه ونبيا قد حان حينه واظلكم اوانه فطوبى لمن آمن به فهداه وويل
لمن خالفه وعصاه تبا لارباب الغفلة من الامم الخالية والقرون الماضية يامعشر
اياد اين الآباء والاجداد واين المريض والعواد واين الفراعنة الشداد واين
من شيد وزخرف ونجد وغره المال والولد اين من بغى وطغى وجمع فاوعى
وقال انا ربكم الاعلى الم يكونوا اكثر منكم اموالا واطول منكم اجالا وابعد
منكم امالا طحنهم الثرى بكلكله ومزقهم بتطاوله فتلك عظامهم بالية
وبيوتهم خاوية عمرتها الذئاب العاوية كلا بل هو الله احد الواحد المعبود
ليس بوالد ولامولود وانشأ يقول فى الذاهبين الاولين من القرون لنا بصائر
لما رأيت مواردا للموت ليس لها مصادر ورأيت قومى نحوها * تمضى الاصاغر
والاكابر لايرجع الماضى الى ولامن الباقين غابر ايقنت انى لامحالة حيث صار
القوم صائر انتهى وروى له اشعار كثيرة فيها ذكره صلى الله تعالى عليه وسلم
كقوله الحمد لله الذى لم يخلق الخلق عبث ولم يخلنا سدى من بعد
عيسى واكترث ارسل فينا احمدا خير نبى قد بعث صلى عليه الله ماحج له ركب
وحث الى آخر ماذكروه الا ان ابن الجوزى قال حديث قس المذكور موضوع
وذكر اسانيده وبين من فيها من الكذابين ورده السخاوى وقال انه مجازف فى الوضع

ولايلزم من كون السند فيه كذاب ان يكون المتن كذبا اذا تعددت طرقه وقد رواه ابن سيد الناس بسند ليس فيه كذاب ورواه غيره ايضافالصحيح انه ليس بموضوع

(وماذكرعن سيف بن ذى يزن وغيرهم) ابن ذى يزن من ملوك حمير وتنسب اليه الرماح فيقال رمح يزنى وازنى ويزانى وفيه وفى اشتقاقه كلام طويل للصاغانى وقال البرهان انه مصروف والذى فى القاموس انه ممنوع من الصرف لوزن الفعل واصله يزان ورد الصاغانى فى الذيل والصلة منع صرفه واطال فيه وقال مادة زان غيرمعروفة ولاتضاف ذوهنا الاالى اسماء الاجناس وفى شرح الدريدية لابن النحاس ان فيه قولين احدهما انه من وزن حذفت الواو لوقوعها بين فتحة وكسرة ثم ابدلت الكسرة فتحة تخفيفا فلاينصرف على هذا الثانى انه ماض اصله وزن قبلت الواوهمزة كمافى احد ثم ابدلت ياء وسمى به فهو منصرف انتهى وهذا لايرد عليه ماأورده الصاغانى وقوله لاتضاف ذوالالاسماء الاجناس ممنوع فانه يضاف للاعلام كماهنا وهى لغة اهل اليمن فيضيفونه لاعلام ملوكهم وعظمائهم وهو من اضافة المسمى للاسم ويقال لملوك اليمن الاذو وقصة سيف مشهورة فى التواريخ والسير وكان ظهرعلى اليمن وظهر بالحبشة فنفاهم بعد مولد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بسنتين فاتته وفود العرب تهنيه وتمدحه فاتاه وفد قريش وفيهم عبدالمطلب وامية بن عبدشمس وخويلدبن اسد وغيرهم من وجوه قريش واستأذنوا عليه فاذن لهم وهومعطر بالمسك والعنبر وحوله ابناء الملوك فقال لعبد المطلب ان كنت ممن يتكلم بين الملوك فتكلم فقال ايها الملك ان الله قد احلك محلا رفيعا شامخا منيعا وانبتك منبتا طابت ارومته وعذبت جرثومته وثبت اصله وبسق فرعه فى اطيب موطن واكرم معدن وانت ابيت اللعن ايها الملك رأس العرب وربيعها الذى تخصب به ورأسهم الذى له ينقاد وعمودها الذى عليه العماد ومعقلها الذى اليه يلجوا العباد وسلفك لنا خيرسلف وانت لنا خيرخلف ولن يخمل ذكر من انت خلقه ولن يهلك من انت سلفه ونحن ايها الملك اهل حرم الله وبيته اشخصنا اليك الذى ابهجك لكشف الكرب الذى قد خفا * فنحن وفد التهنئة * لا وفد الرزية فقال له سيف وايهم من انت ايها المتكلم قال انا عبد المطلب ابن هاشم قال ابن اختنا قال نعم فادناه واقبل عليه وعلى القوم وقال مرحبا واهلا * وناقة ورحلا * ومستناخا سهلا * وملكا ربحلا * يعطى عطاء جزلا * قدسمعت مقالتكم * وعرفت قرابتكم * وقبلت وسيلتكم * وانتم اهل الليل والنهار * لكم الكرامة ما اقمتم والحباء اذا ظعنتم * انهضوا الى دار الضيافة والوفود * وامر لهم بالانزال * فاقاموا شهرا لايصلون اليه ولاياذن لهم فى الانصراف ثم ارسل الى عبد المطلب وقال له بعد ماقرب مجلسه ياعبد المطلب انى مفض اليك بسر لو يكون غيرك لم ابح به ولكن وجدتك معدنه فليكن عندك مطويا حتى يأذن الله

فيه فان الله بالغ امره انى اجد فى الكتاب المكنون والسر المخزون الذى اخترناه لانفسنا دون غيرنا خبرا عظيما وخطرا جسيما فيه شرف الحياة وفضيلة الوفاة للناس كافة ولرهطك عامة ولك خاصة فقال عبد المطلب مثلك ايها الملك من سرو بما هو فداك اهل الوبر والمدر زمرا بعدزمر فقال له اذا ولد بتهامة غلام به علامة بين كتفيه شامة كانت له الامامة ولكم به الزعامة الى يوم القيمة فقال له عبد المطلب ابيت اللعن اولاهيبة الملك واجلاله سألته عما ازداد به سرورا قال هكذا حين زمانه الذى يولد فيه اوقد ولد واسمه محمد يموت ابوه وامه ويكفله جده وعمه قد ولدناه مرارا والله باعثه جهارا وجاعل له منا انصارا يعز بهم اولياءه ويذل بهم اعداءه ويضرب بهم الناس عن عرض ويستبيح بهم كرام الارض يعبد الرحمن ويدحرالشيطان ويخمد النيران ويكسرالاوثان قوله فصل وحكمه عدل يأمر بالمعروف ويفعله وينهى عن المنكر ويبطله فقال عبد المطلب ايها الملك عز جارك وسعد جدك وعلا كعبك ونما امرك وطال عمرك هل للملك ان يسرنى بافصاح فقد اوضح لى بعض الايضاح فقال والبيت ذى الحجب والعلامات على النقب انك لجده بلاكذب فخر عبدالمطلب ساجدا فقال له ارفع رأسك فقدثلج صدرك وعلاامرك فهل احسست شيئا مماذكرت فقال نعم ايها الملك انه كان لى ابن كنت به معجبا فزوجته كريمة من كرائم قومى امنة بنت وهب بن عبد مناف فجاءت بغلام سميته محمدا ومات ابوه وامه وكفلته انا وعمه بين كتفيه شامة وفيه كماذكرت من علامة فقال الذى ذكرت كما ذكرت فاحتفظ به واحذرعليه اليهود فانهم له اعداء ولن يجعل الله لهم عليه سبيلا واطوما ذكرت لك دون هذا الرهط الذين معك فانى لست آمن ان تدخلهم النفاسة فيبغون لك الغوائل وينصبون لك الحبائل وهم فاعلون اوابناؤهم ولولا اعلم ان الموت مجتاحى قبل بعثه سرت بخيلى ورجلى حتى اتى يثرب واصيرها دارمملكتى فانى اجد فى الكتاب الناطق والعلم السابق ان يثرب استحكام امره وموضع قبره واهل نصره ولولا انى اقيه الآفات واحذرعليه العاهات لاوطات العرب كعبه واعلنت على حداثة سنه ذكره ثم امر لكل رجل منهم بمائة من الابل وعشرة اعبد وعشرة اماء وعشرة ارطال فضة وخمسة ذهبا وكرش مملو عنبرا وامر لعبد المطلب باضعافه وقال له اذا كان رأس الحول فأتنى بخبره ومايكون من امره فهلك قبل رأس الحول فكان عبدالمطلب يقول لايغبطنى احد من قريش بجزيل الملك فانه الى نفاد ولكن الغبطة بمايبقى لى شرفه وذكره فى العقبى فاذاسئل عنه قال سيظهر بعد حين وفيه شعر له وعن ابن عباس انه قال لعبدالمطلب اشهد ان فى احدى يديك ملكا وفى الاخرى نبوة فكانت النبوة والخلافة العباسية كما فى كتب السير والتواريخ وبما ذكرناه من انه مات قبل الحول يعلم انه ليس بصحابى ولا تابعى فذكر الذهبى له فى الصحابة لاوجه له

والعجب من بعض الشراح حيث نقل ماذكرناه وقال انه تابعي فالحق انه ليس كذلك ولامخضرم ايضا كما قيل ولعل الذى ذكره الذهبي اشارة الى ان مثله لايقال بالرأى ايضا (وماعرف به من امره) وكونه نبيا مرسلا وعرف بتشديد الراء مبنى للفاعل لاللمفعول وان صح بناء على انه عرفه به اهل الكتاب والفاعل اونائبه (زيد بن عمرو بن نفيل) قال الذهبي هو زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى ابن رباح العدوى الذى قال فيه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه يبعث امة وحده لانه كان يطلب دين ابراهيم ويكره الشرك واهله ويوحد الله ويقول لقريش ما قومكم على شئ قد اخطأوا دين ابراهيم باوثن لاتضر ولاتنفع بعد وكان يخالفهم ولاياكل ذبايحهم فاجتمع بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم قبل نبوته وتوفى قبل مبعثه وقال شامت اليهودية والنصرانية فكرهتهما وكنت بالشام فاتيت راهبا فقصصت عليه فقال اراك تريد دين ابراهيم يااخا اهل مكة انك لتطلب دينا لايوجد اليوم وهو دين ابيك ابراهيم فالحق لبلدك فان الله يبعث لك من يأتى بدين ابراهيم الحنيفية وهواكرم الخلق على الله تعالى انتهى المراد منه ومن خطه نقلت وروى غيره ايضا انه لقى راهبا بالجزيرة فسأله عن دين ابراهيم فقال له ان كل من رأيته من الاحبار والرهبان فى ضلال وانك لتسأل عن دين الله وقد خرج فى ارضك اوهو خارج نبى يدعواليه فارجع اليه وصدقه فلقيه قبل بعثته ببلاد حبشة فقال ياعم مالى ارى قومك قدابغضوك فقال اما والله ان ذلك لغيرتائرة منى اليهم ولكنى اراهم على ضلالة فخرجت ابتغى هذا الدين ثم اخبره بماعرفه به الراهب من امره صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا ما اشار اليه المصنف وعده من الصحابة توسعا لانه لم يجتمع به صلى الله تعالى عليه وسلم بعد النبوة ونفيل تصغير نفل وهو العطية نقل للعلمية وقيل ان اليهود قتلوه بالجخم (وورقة بن نوفل) احد النفر الذين كانوا فى الفترة على الدين الحق من قريش وهو ورقة بن اسد بن عبد العزى بن قصى وهومعطوف على زيد اى وماعرف به ورقة من امره صلى الله تعالى عليه وسلم واخبر به خديجة ام المؤمنين رضى الله تعالى عنها كما ذكره البخارى وآمن به بعد رسالته ولذا قيل انه اول الصحابة وكان شيخا كبيرا يقرؤ الكتب ويعرف العبرانية وقال للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما اخبره بامره ابشر فانك الذى بشر به ابن مريم ورأه صلى الله تعالى عليه وسلم فى الجنة عليه ثياب خضر وقال لاتسبوا ورقة كما تقدم وله اشعار مدح بها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (وعثكلان الحميرى) بفتح العين المهملة وسكون المثلثة وكاف ولام والف ونون والحميرى نسبة لحمير قبيلة باليمن سميت باسم حمير بن سبا اى ما عرف به من امره صلى الله تعالى عليه وسلم عمن لقيه من الرهبان وقال الشراح لم نقف على قصة عثكلان وفى الخصائص ان ابن عساكر اخرج من طريق عبد الرحمن بن عبد بن عوف بن

عبد عن ابيه عن جده قال سافرت الى اليمن قبل مبعثه صلى الله تعالى عليه وسلم فنزلت على عسكلان بن عواكن الحميرى وكان شيخا كبيرا انزل عليه اذا جئت اليمن فنزلت عليه مرة فسألنى عن مكة والكعبة وزمزم وقال هل ظهر منكم احد خالف دينكم فقلت لا ثم قدمت عليه بعد بعثه صلى الله تعالى عليه وسلم وقد ضعف ونقل سمعه فنزلت عليه واجتمع عليه ولده وولد ولده واخبروه بمكانى فشد على عينيه عصابة واستند وقعد وقال لى انتسب يا اخاقريش فقلت انا عبد الرحمن بن عوف بن عبد الحارث بن زهرة قال حسبك يااخازهرة الاابشرك ببشارة هى خيرلك من التجارة قلت بلى قال انبئك بالمعجبة وابشرك بالمرغبة ان الله قد بعث فى الشهر الاول من قومك نبيا وارتضاه صفيا وانزل عليه كتابا وجعل له ثوابا ينهى عن الاصنام ويدعو الى الاسلام يأمر بالحق ويفعله وينهى عن الباطل ويبطله فقلت ممن هو قال لامن الازد ولاثمالة ولامن السرف ولاتباله هو من بنى هاشم وانتم اخواله ياعبد الرحمن احق الوقعة وعجل الرجعة ثم امض ووازره واحمل اليه هذه الابيات

* اشهد بالله ذى المعالى * وفالق الليل والصباح *
* نك فى السرو من قريش * يابن الفدى من الذباح *
* ارسلت تدعو الى يقين * يرشد للحق والفلاح *
* اشهد بالله رب موسى * انك ارسلت بالبطاح *
* فكن شفيعى الى مليك * يدعو البرايا الى الفلاح *

قال عبد الرحمن فحفظت الابيات وانصرفت فلما قدمت مكة لقيت ابابكر رضى الله تعالى عنه واخبرته الخبر فقال هذا محمد قد بعثه الله فأتيته فلما اتيت بيت خديجة رأنى صلى الله تعالى عليه وسلم فضحك وقال لى ارى وجها خليقا ان ارجوله خيرا فماوراءك قلت وديعة فقال ارسلك مرسل برسالة هاتها فاخبرته واسلمت فقال اخا حمير مؤمن مصدق بى وماشاهدنى اولئك من اخوانى حقا انتهى (وعلماء يهود) وفى نسخة علماء اليهود بالالف واللام وكلاهما صحيح كما بينه سيبويه فى باب العلم فانه يكون علما لهذه القبيلة فيمنع من الصرف ولاتدخله الالف واللام قال الشاعر

*اولئك اولى من يهود بمدحة * اذا انت يوما قلتها لم تؤنب*

واذاقلت اليهود فانه بمعنى اليهوديين ولكن حذفوا ياءالنسبة انتهى وفصله شراحه اى ما عرف به من امر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم علماؤهم مما قرؤه فى كتبهم ورووه عن اسلافهم كابن صوريا وابن اخطب وابى ياسر ووهب ابن يهود وغيرهم ممن لايحصى ومنهم من اسلم ومنهم من عاند حسدا فمات على كفره ثم ذكر بعضا منهم وعطفه عطف الخاص على العام فقال (وشامول عالمهم) بشين معجمة وميم ولام بينهما الف بوزن فاعول وهو من علماء اليهود وكان مع تبع وصاحبه

وفى كتاب الوفاء لما قدم تبع المدينة لنصرة الاوس والخزرج على اليهود قال انى مخرب هذه البلدة حتى يقوم بها يهودية ويرجع الامر لدين العرب فقال له شامول اليهودى وهو يومئذ اعلم اليهود ايها الملك ان هذه البلدة مهاجر نبى من بنى اسمعيل مولده مكة واسمه احمد وهذه دار هجرته وان منزلك الذى انت به سيكون فيه من القتلى من اصحابه واعدائه امر عظيم فقال تبع ومن يقاتله وهو نبى قال له قومه قال واين قبره قال بهذه البلدة قال واذا قوتل لمن تكون النصرة قال تكون له مرة وعليه اخرى ثم تكون العاقبة له فيظهر حتى لاينازعه احد ثم سأله عن صفته فاخبره بها كما مر فى حديث الحلية الشريفة وقوله (صاحب تبع) اى الذى كان معه ورهبان آخرين لما قدم المدينة فقالوا له لما قص عليهم شامول القصة المارة انا لن نبرح ههنا لعلنا ندركه او ابناؤنا فاعطى كل واحد منهم مالا وجارية فمكثوا فيها وقوله (من صفته وخبره) صلى الله تعالى عليه وسلم كما عرفته آنفا بيان لما عرف به (وما الفى من ذلك) اى من صفته وخبره (فى التوراة والانجيل) والفى بهمزة مضمومة ولام ساكنة وفاء مكسورة ومثناة تحتية مبنى للمجهول بمعنى وجد ونصوص التوراة والانجيل كثيرة وسيأتى طرف منها واعلم ان التبابعة اربعة وقد اختلفوا فى ايهم امن به صلى الله تعالى عليه وسلم هل هو الاكبر اوغيره كما قاله السهيلى وليس هذا محل تفصيله وتقدم بيانه اجمالا وقوله (مما جمعه العلماء) فى تأليفهم بيان لما التى فيهما من صفته صلى الله تعالى عليه وسلم وخبره (وبينوه) اى اظهروه ووضحوه للناس (ونقله عنهم ثقاة من اسلم منهم) اى من اهل الكتاب (مثل) عالمهم وحبرهم عبدالله (بن سلام) بتخفيف اللام وهو من اليهود وتقدم الكلام عليه وعلى اسلامه (وبنى سعية) بنى جمع ابن وسعية بسين مفتوحة وعين مهملتين ساكنة ومثناة تحتية وقيل صوابه النون بدل المثناة التحتية بل قيل النون اكثر واشهر وهم ثعلبة واسيد بالتصغير والتكبير وفتح الهمزة وزيد وقيل انهم سبعة لكن الذى فى سيرة ابن سيد الناس عن ابن اسحق ان ثعلبة بن سعية واسيد بن سعية واسد بن عبيد وهم نفر من هذل بنو عم قريظة والنضير اسلموا فى الليلة التى نزلت فيها قريظة على حكم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال البرهان وهذا هو الذى اعرفه وانهما اثنان لا جماعة فيحتمل ان القاضى رأى معهم اسد بن عبيد فظنه اخاهم ويحتمل انه وقف على انهم ثلاثة انتهى وسبب اسلامهم انه قدم عليهم رجل من اهل الشام يقال له ابن الهيبان اقام عندهم وكان عالما يتبركون به ويستسقون فيسقون فلما حضرته الوفاة قال يا معشر يهود انما اقدمنى هذه البلدة خروج نبى قد اظل زمانه وهذه البلدة مهاجره وقد كنت ارجو ان ادركه فاتبعه فلما بعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهاجر وحاصر

بنى قريظة قال لهم بنو سعية وهم احداث والله انه هو الذى عهد اليكم فيه ابن الهيبان فقالوا ليس به قالوا بل هو هو بصفته فنزلوا واسلموا واحرزوا اهلهم واموالهم ودماءهم كما فى الاكتفاء ودلائل البيهقى (وابن يامين) ابن عمير بن عمرو ابن كعب بن جحاش من بنى النضير وقيل انه بنيامين ويقال بليامين باللام وهو احد الحبرين اللذين قدما من اليمن مع تبع واسم الآخر سخيت كامر وكانه تصغير سخت كما قاله التلمسانى وقال الشارح الجديد لم اطلع عليه (ومخيريق) بضم الميم وفتح الخاء المعجمة والياء الساكنة وكسر الراء المهملة والياء الساكنة وقاف بصيغة المصغر وهو كما مر كان عالما حبرا من احبار اليهود كثير المال والخيل وكان يعرف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بصفته الا انه غلبه الف دينه فلما كان احد يوم السبت قال يا معشر يهود انكم لتعلمون ان نصر محمد لحق عليكم فقالوا اليوم يوم السبت فقال انكم لاسبت لكم ثم اخذ سلاحه وخرج حتى اتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واصحابه باحد وعهد الى قومه ان قتلت هذا اليوم فاموالى لمحمد يصنع بها مارأه ثم قاتل حتى قتل فجعل ماله صدقة بالمدينة وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يقول مخيريق خير يهود ويهود كامر اسم هذه القبيلة ولاشك انه منها ومن خيرها فلا يقال كيف اضافه لهم بعد اسلامه والامر فيه سهل (وكعب) بن مانع وهو كعب الاحبار كما تقدم التابعى المشهور ادرك زمنه صلى الله تعالى عليه وسلم واسلم فى خلافة ابى بكر رضى الله تعالى عنه وقيل فى خلافة عمر رضى الله تعالى عنه وتوفى فى خلافة عثمان رضى الله تعالى عنه سنة ثنتين وثلاثين ودفن بحمص على مامر وروى عنه آثار كثيرة فى صفاته صلى الله تعالى عليه وسلم فى التوراة كما فى الوفاء وكتاب الشرف لابى سعيد وفى خير البشر لابن ظفر وسأله عمر رضى الله تعالى عنه عن صفته صلى الله تعالى عليه وسلم فى التوراة فقال ان فيها ان سيد الناس والصفوة من ولد آدم وخاتم النبيين يخرج من جبال فاران ومنبت القرظ من الوادى المقدس فيظهر التوحيد والحق ثم ينتقل الى طيبة فتكون حروبه وايامه بها ثم يقبض ويدفن بها الى غير ذلك مما لايحصى كثرة (واشباههم) من علمائهم الذين كانوا يعرفون امره صلى الله تعالى عليه وسلم واخباره من كتبهم (ممن اسلم) وآمن برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ورآه كمخيريق اولم يره ككعب (من علماء يهود وبحيرا) عطفه على علماء اليهود لانه ليس منهم فانه كان نصرانيا وبحيرا بفتح الموحدة وكسر الحاء المهملة ومثناة تحتية وراء مهملة والف مقصورة على المشهور الا ان البرهان قال ان راءه ممدودة بخط العلامة بن المرحل فلعله وقف على لغة فيه وقصته صحيحة مشهورة فى السير وهو راهب كان منقطعا للعبادة بصومعة له عند محل يقال له بصرى فى طريق الشام وكانت قافلة قريش تمر عليه فلا يلتفت لاحد منها فلما ذهب ابو طالب للشام ومعه رسول الله صلى الله تعالى

عليه وسلم وهو صغير ابن تسع او اثنتى عشرة سنة نزل لهم وقال يامعشر قريش انى صنعت لكم طعاما فذهبوا معه وتركوه فى رحالهم لصغر سنه فقال لهم هل بقى احد قالوا لا الاولد صغير فدعاه حتى اتى فسئلوه عن سبب هذا ولم يكن دأبه فقال انى رأيت غمامة تظله ولما نزل عند الشجرة مالت لجانبه وانه لا يكون الا النبى وانا نجده فى كتابنا وهذه صفته ونظر لخاتم النبوة فيه فقال لابى طالب احترس عليه من اليهود واقسم عليه ان يرده فقيل انه رده وقيل اسرع فى سفره وعاد به والقصة مفصلة فى السير وبحيرا هذا من اول من آمن به وعد من الصحابة ان قلنا ان من اجتمع به مؤمنا مطلقا يعد من الصحابة (ونسطور الحبشة) احترز به عن نسطور الشام وغيره ونسطور معرب ويقرأ بالسين والصاد كما فى بعض الشروح ونسطور الشام قصته مذكورة فى السير وهى قريبة من قصة بحيرا وفى بعض النسخ نسطور بدون اضافة الحبشة وقد قال الشراح ان نسطور الحبشة غير معروف ولعله من علماء اهل الكتاب الذين كانوا عند النجاشى (وصاحب بصرى) بضم الباء كحبلى بلدة بالشام وهى بين المدينة والشام وقيل انها حوران وهذا هو المعروف وفى نسخة راهب بصرى وصاحبها ملكها الذى ارسل اليه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم دحية بكتابه وهو الحارث ابن ابى شمر الغسانى كما قاله ابن حجر وقال انه مات عام الفتح ولم يذكر قصته واسلامه وما اخبر به عن امره صلى الله تعالى عليه وسلم (واسقف الشام) وفى نسخة اساقفة الشام ويعنى بهم صاحب ايليا وهرقل وابن الناطور وغيرهم واسقف بضم الهمزة وسكون السين المهملة وضم القاف وتشديد الفاء ولا نظير له الا اسرب وحكى ابن سيدة تاشا وهو الاسلف للصالح وقال العينى فى شرح البخارى ولا يرد عليه الابرح لانه جمع والكلام فى المفرد وفيه نظر لا يخفى وقال عبد الغافر الفارسى فى كتاب منبع الرغائب والغرائب فى الحديث فى كتابه صلى الله تعالى عليه وسلم لاهل نجران لا يمنع اسقف من سقيفاه وجمعه اساقفة والسقيفى مصدر كالحليفى و معناه لا يمنع اسقف من تسقيفه ولا راهب من ترهبه والمسقف الطويل مع انحناء وكذا الاسقف ويقال هو بين السقف وفى خطبة الحجاج المعروفة اياكم وهؤلاء السقفاء قال القتيبى اكثرت السؤال عنه فلم يعرفه احد وقال بعض اهل اللغة انما هو الشفعاء اى الذين يشفعون عند السلطان فى المريب انتهى وفى القاموس وقول الحجاج اياكم وهذه السقفاء تصحيف صوابه الشفعاء كانوا يجتمعون عند السلطان فيشفعون فى المريب انتهى وليس كما قال فان الزمخشرى اثبته فى الفايق والاسقف عالم النصارى ورئيسهم (وضغاطر) بضاد وغين معجمتين مفتوحتين بعدهما الف وطاء وراء مهملتان ويقال ضغاطن بنون و بغاطر بموحدة تحتية مفتوحة وفاء وهو اسقف من كبار الروم اسلم على يد دحية رضى الله تعالى عنه لما ارسله رسول الله

صلى الله تعالى عليه وسلم الى هرقل وغير لباسه واظهر اسلامه فقتلوه كما ذكره الذهبى وكان ذلك فى سنة ست من الهجرة وهو الذى ابهمه البخارى فى اوله فى قصة قيصر حيث قال كتب هرقل الى صاحب له برومية كان نظيره فى العلم قال دحية لما خرج عظماء الروم من عند هرقل ادخلنى عليه وارسل الى اسقف كان صاحب امرهم فسأله عن امر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له هذا الذى كنا ننتظره و بشرنا به عيسى عليه الصلوة والسلام اما انا فاصدقه ومتبعه فقال قيصر له ان فعلت ذهب ملكى فقال لى الاسقف خذ هذا الكتاب واذهب به الى صاحبك واقرأ عليه السلام واخبره انى اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وانى قد آمنت به وصدقته وروى ابن اسحق ان هرقل ارسل دحية الى ضغاطر الرومى وقال انه فى الروم انفذ قولا منى فاظهر اسلامه والقى ثيابه ولبس ثيابا بيضا وخرج ودعا الروم الى الاسلام وشهد شهادة الحق فقتلوه فلما رجع دحية الى هرقل قال له اما قلت لك انا نخافهم على انفسنا فضغاطر كان عندهم اعظم منى وحينئذ فضغاطر تابعى مخضرم وقيل انه المراد باسقف الشام السابق لكونه كان ساكنا بها وهو عندهم رئيس دينهم وعالمهم المتعبد المتخشع وهو فوق القسيس ودون المطران وكان عالما بصفة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى كتبهم وقيل انه غيره ودحية رضى الله تعالى عنه وفد على هرقل مرتين (والجارود) ابن عمرو بن العلاء اوابن العلاء ويكنى اباغياث اواباعتاب واسمه بشر وكان سيد عبد القيس على دين النصرانية وقد وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة تسع فعرض عليه الاسلام ورغبه فيه فاسلم هو واصحابه وحسن اسلامه وكان متصلبا فى دينه وادرك الردة ولما ارتد قومه دعاهم الى الحق وقال اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله وكفر من لم يشهد وله اشعار رويت فى السير كقوله

* شهدت بان الله حق وسامحت * بنات فؤادى بالشهادة والنهض *

* فابلغ رسول الله عنى رسالة * بانى حنيف حيث كنت من الارض *

وسكن بالبصرة وقيل بفارس وقتل بنهاوند سنة احدى وعشرين وسمى الجارود لانه غار على بكر بن وائل فجردهم كما قال العبيدى

* ودسناهم بالخيل من كل جانب * كما جرد الجارود بكر بن وائل *

وقيل لانه فر بابله و بهاداء الى اخواله بنى شيبان ففشا الداء فى ابلهم حتى اهلكها فهو فاعول من الجرد بالجيم وهو الاستيصال (وسلمان) الفارسى وقصة اسلامه وملاقاته للرهبان وتبشيرهم له ببعث النبى صلى الله عليه وسلم مشهورة تقدم بعض منها (وتميم) الدارى ينسب للدار وهم بطن باليمن من لخم هم وادهانى ابن حبيب ابن نمارة ابن لخم بن عبد الحارث بن مرة بن ادد منهم تميم بن اوس بن خارجة بن سواد و يقال سود بن جذيمة بن دراع بن عدى بن الدار و يكنى بابى رقية واسلم تميم سنة تسع وسكن

المدينة ثم انتقل الى الشام بعد قتل عثمان وكان من اهل الكتاب عالما بكتبهم فقرأ فيها بعثة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والتبشير به فقدم على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وآمن به واقطعه اراضى بالقدس وقصته مشهورة افردها ابن حجر وكذا السيوطى بالتأليف (والنجاشى) بفتح النون وكسرها وتشديد الياء وتخفيفها واسمه اصحمة وقيل غير ذلك كسليم بالتصغير وهو ملك الحبشة توفى فى السنة التاسعة من الهجرة فى شهر رجب وصلى الله تعالى عليه وسلم صلاة الغائب وهاجر اليه المسلمون الهجرة الاولى وكان من قصة اسلامه المشهورة انه قال للقسيسين اشهد انه رسول الله وانه الذى بشر به عيسى ولولا ما انا فيه من الملك اتيته وكنت احمل نعليه وكان من اعلم اهل عصره بالانجيل يقر وصفة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويبكى حتى يبل لحيته وقد تقدم الكلام فى ترجمته (ونصارى الحبشة) هم قوم منهم عرفوا صفته صلى الله تعالى عليه وسلم فى الانجيل واخبروا بها (واساقفة نجران) وفى نسخة اساقف بدون هاء جمع اسقف وقد تقدم الكلام عليه قريبا اى علماؤهم ورؤساهم ونجران بفتح النون وسكون الجيم وراء مهملة والف ونون وهو موضع باليمن سمى بنجران بن زيدان ابن سبا بينه وبين مكة سبع مراحل وليس من الحجاز وبه يسمى اهله وهم نصارى وفدوا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اى ستون راكبا من اشرافهم وكان لهم علماء بالكتاب واشرافهم ابو حارثة كان ملوك النصارى يجلونه لعلمه بالنصرانية فملكوه ومولوه وبنوا له كنايس واخدموه فقدم على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومعه اخوه كوز بضم الكاف وآخره زاى معجمة على بغلة له فعثرت فقال له كوز تعس الابعد فقال له لم يا اخى قال لم تؤمن بهذا النبى وانه الذى كان ننتظره فقال بلى والله فقال له ما يمنعك قال ما اصنع هؤلاء القوم شرفونا ومولونا وقد ابوا الا خلافه فلو فعلت نزعوا منا كل ما ترى فاضمرها فى نفسه حتى اسلم وكان يحدث به فلما دخلوا المسجد الشريف وقت العصر وعليهم الحبرات فى جمال لم ير مثله فحانت صلاتهم فقاموا فى مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فكلمه منهم ابو حارثة والعاقب والايهم ودينهم النصرانية والتثليث فقال لهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اسلموا قالوا اسلمنا قال كذبتم يمنعكم الاسلام دعاؤكم لله ولدا وعبادة الصليب واكل الخنزير فانزل الله تعالى فيهم اول سورة آل عمران فلما اراد صلى الله تعالى عليه وسلم ملاعنتهم تشاوروا فقالوا انه ما لاعن نبى قوما الا استوصلوا ثم نزلوا على امره فاسلم بعضهم وقبل بعضهم الجزية وارسل معهم ابا عبيدة بن الجراح رضى الله عنه يقضى بينهم والقصة مفصلة فى كتب التفسير والسير (وغيرهم ممن اسلم من علماء النصارى وقد اعترف بذلك) اى ببعثته صلى الله عليه وسلم وانه بشر به فى الكتب القديمة (هرقل) ملك الروم وقصته مذكورة فى اول البخارى وهرقل بكسر الهاء

وفتح الراء وسكون القاف كهمر وحكى اسكان الراء وكسر القاف وكان يعرف امره صلى الله تعالى عليه وسلم فى الكتب الالهية ولكن احب الملك فحكم بشقائه ما لك الملك وفى الاستيعاب انه آمن به صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه نظر لانه قاتل المسلمين بموتة ووعدهم ان يأتيهم فى العام القابل فالاصح الاول وقد مات على النصرانية وكان عالما بالكتاب وباحوال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما اخبر به دحية (وصاحب رومة) بضم الراء وسكون الواو وميم مخففة مفتوحة يليها هاء فى اكثر النسخ وفى بعضها رومية بياء مخففة عند اهل اللغة كانطاكية وغيرها وغدوا التشديد لحنا لانه لبس بنسبة عربية وبعضهم يشددها واختلف فيه فقيل هو ابن الناطور بطاء مهملة وهو لفظ اعجمى معناه حارس الكروم والعامة تقوله ناطر بدون واو وتجعله بمعنى الحارس مطلقا واعجمه بعضهم وقيل هو ضغاطر الذى تقدم واعترض بانه اسلم فلا يناسبه قوله بعده انه ممن حمله الشقاء على البقاء على كفره الا ان يخص ذلك باليهود وهو بعيد وفى القاموس رومة بلدة عند طبرية فيها رياستهم وعلمهم وقيل غير ذلك ولا وجه لما قيل ان الصواب صاحبه برومة كما ورد فى الحديث ولا دليل لما ذكره على ما زعمه (عالما النصارى) مثنى عالم (ورئيساهم) مثنى رئيس وهو سيد القوم وحاكمهم وهذا صريح فيما قلناه من انه كان صاحب رومية اى حاكمها (ومقوقس صاحب مصر) اى ملكها ومقوقس بزنة اسم فاعل فوعل علم رومى قيل معناه عندهم مطول البناء وهو الذى اهدى الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قدحا من قوارير وجاريته مارية ومنه اتخذت مصر ولم يسلم وغلط من عده من الصحابة كيف وهو لم يلاق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ومازال نصرانيا على الاصح واسمه جريج بن مينا كما قاله الدارقطنى ولهم مقوقس آخر عد من الصحابة قاله الذهبى ولعله الاول وهو ملك القبط وصاحب الاسكندرية وارسل له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كتابا يدعوه فيه الى الاسلام فاجابه بما هو معلوم فى كتب الحديث والسير وقد يدخلون عليه الالف واللام (والشيخ صاحبه) اى صاحب المقوقس قال البرهان وغيره وهذا الشيخ لا نعرفه الا ان المسعودى ذكره وذكر له قصة فى كتاب العجايب احال عليها فى مروج الذهب فان وقفنا عليها الحقناها بما هنا (وابن صوريا) بضم الصاد المهملة وواو ساكنة يليها راء مهملة مكسورة ومثناة تحتية والف مقصورة وقيل انها ممالة وهو عبد الله بن صوريا الاعور اليهودى ولم يكن فى زمانه اعلم منه بالتورية وقال النقاش انه اسلم وقيل اسلم ثم ارتد ولم يذكر ابن اسحق اسلامه وعده فى الاصابة من الصحابة وفى معالم التنزيل انه الذى نزل فيه قوله تعالى من كان عدوا لجبريل وكلام المصنف رحمه الله مبنى على عدم اسلامه (وابن اخطب) بزنة افعل من الخطبة وهو حيى ابو ام المؤمنين صفية

رضى الله تعالى عنها (واخوه) ابو ياسر اليهوديان اللذان قتلا كافرين صبرا
فى اسراء بنى قريظة وكانا يعلمان امر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وما فى التورية
من ذكره بصفته ومع ذلك كان اشد الناس عداوة له كما ذكرت ذلك صفية رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم بعدما اسلمت وقالت لما قدم رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم الى المدينة غدا اليه ابى وعمى ثم جاء ابا العشى فسمعت عمى يقول لابى اهو هو
قال نعم الحديث (وكعب بن اسد) من بنى قريظة وهو صاحب عقدهم وقال لهم
لما حاصرهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يا معشر يهود انكم ترون ما نزل بكم
من الامر فتعالوا نتابعه ونصدقه فوالله لقد تبين لكم انه نبى مرسل وانه الذى
تجدونه فى كتابكم فتأمنوا على نسائكم واموالكم واهلكم فقالوا لا نفارق حكم التورية
ولا نستبدل به غيره الى آخر القصة ومافيها من نقضهم العهد وقتلهم ويقال
انه اسم كعب كتد بفتحتين وكاف ومثناة فوقية ودال مهملة (والزبير ابن باطيا)
الزبير هنا بفتح الزاى المعجمة وهو من يهود بنى قريظة ايضا قتل كافرا فى وقعة
بنى قريظة وهو جد عبد الرحمن بن الزبير بضم الزاى وقيل انه بفتحها كاسم جده
قيل والصحيح انه بالضم كما فى تاريخ البخارى وقال ابن مرزوق الزبير بفتح الزاى
فى اليهود وفى غيرهم بالضم والزبير هذا قتله ثابت ابن قيس بن شماس يوم بنى قريظة
وكان من اعلم اليهود روى عنه ابنه انه كان يقول انى وجدت سفرا كان ابى يختمه
فيه ذكر احمد نبى يخرج بارض القرظ صفته كذا وكذا فتحدث به الزبير
بعد ابيه والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم لم يبعث فما هو الا ان سمع بان النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم خرج بمكة فعمد الى السفر فمحاه وكتم شانه صلى الله تعالى عليه
وسلم وصفته وقال ليس به وباطيا بموحدة والف تليها طاء مهملة ومثناة تحتية
والف مقصورة وفى بعض النسخ باطاء بدون ياء وكتب عليها صح وقال التلمسانى
فى انها رواية فيه (وغيرهم من علماء يهود) الذين عرفوا نبوته صلى الله عليه وسلم
وذكروه بصفته نقلا عن كتبهم واحبارهم ولهم ذكر فى مفصلات السير
(ممن حمله الحسد) له صلى الله تعالى عليه وسلم كابن سلول والحسد للعرب اذ كان
هذا الرسول منهم دون بنى اسرائيل (والنفاسة) بفتح النون بمعنى المنافسة وفسرت
بالحسد وهى مغايرة له لانها المنازعة فى الانفسية بان يدعى انه انفس واحق بما هو
فيه وانه لا يستأهله ويستحقه وحمله بمعنى بعثه ودعاه لما ذكر حتى كانه حمله حتى
اوصله له ثم صار حقيقة عرفية فيما ذكر (على البقاء والشقاء) اى اصراره على كفره
وارتداده عنادا والشقاء ضد السعادة وبين الشقاء والبقاء تجنيس (والاخبار)
الواردة (فى هذا) الباب (كثيرة لا تنحصر) اشارة الى ان ما ذكره قليل بالنسبة
لما تركه منها اذ هى لا يمكن حصرها اى الاحاطة بها (وقد فزع) بالبناء للفاعل

والتخفيف والتشديد والفزع الضرب والصدم بما يسمع له صوت فاذا شدد كان مبالغة
فيه ويكون بمعنى التوبيخ والتعيير فاذا خفف فهو استعارة للمبالغة فى الجهر حتى كانه
يضرب اسماعهم فاذا شدد فالمراد به توبيخهم بما ذكر (اسماع اليهود والنصارى)
خصهم لانهم اهل الكتاب وقدم اليهود لانهم اشد عداوة له صلى الله عليه وسلم واكثر
انكارا وعنادا وفى بعض النسخ يهود والنصارى تعرف النصارى بال دون يهود
لانه علم كما مر وقيل لان اليهود اشد عداوة للمؤمنين وفيه نظر (بما ذكرانه فى كتبهم)
متعلق بفزع وفاعله النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (من صفته صلى الله تعالى عليه
وسلم وصفة اصحابه) وفى نسخة وصفة امته وكلاهما صحيح متقارب المعنى فانه وقع
فى الكتب الالهية ذكرهما خصوصا وعموما ففى التورية انهم خير امة هم الآخرون
السابقون يوم القيمة اناجيلهم صدورهم يؤمنون بالكتاب الاول والآخر ويقاتلون
اهل الضلالة الى غير ذلك مما استوفاه ابن ظفر فى كتاب خير البشر بخير البشر (واحتج)
صلى الله تعالى عليه وسلم اى اقام الحجة عليهم (بما انطوت عليه صحفهم) اى بما
حوته واشتملت عليه وفيه اشارة الى اخفاء مافيها وكتمه لان الصحيفة اذا طويت
لم ينظر لما فيها وصحف بضمتين وتسكن تخفيفا جمع صحيفة وهى الكتاب والاكثر
جمعه على صحايف لان فعيلة لا تجمع على فعل الا نادرا (من ذلك) اى صفته
صلى الله تعالى عليه وسلم وصفة امته (وذمهم بتحريف ذلك) المذكور فى كتبهم
بتغيير بعض الفاظه وتفسيره بغير المراد منه كقوله تعالى * من الذين هادوا يحرفون
الكلم عن مواضعه * الآية فبدلوا صفته صلى الله تعالى عليه وسلم حتى اضلوا
جهالهم وقالوا ليس هو الموعود به فى كتابنا (وكتمانه) اى اخفاء صفته صلى الله تعالى
عليه وسلم وصفة امته كما قال الله تعالى * ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وانتم
تعلمون (وليهم السنتهم ببيان امره) اى صرفه لغيره حسدا وبغيا بان يتركوا بيانه
ويعدلوا عنه لغيره واصل الليّ فتل الحبل ونحوه فاستعير لصرفها عن الصدق
الى الكذب قال الراغب لوى لسانه بكذا كناية عن الكذب قال الله تعالى * يلوون
السنتهم بالكتاب * انتهى (ودعوتهم الى المباهلة على الكاذب) اى فزع اسماعهم
بدعوتهم اليها وطلبها منهم كما وقع له صلى الله تعالى عليه وسلم مع نصارى نجران
اذ دعاهم للمباهلة فابوا وبذلوا الجزية كما مر والمباهلة الملاعنة من البهل وهى
اللعنة بان يقول كل منهما لعنة الله على الظالم والكاذب منا وقد جرب ان المباهل
لا تمضى عليه سنة وقيل معناها التضرع والاجتهاد فى الدعاء ويتعدى بعلى (فما)
احد (منهم) اى اليهود والنصارى (الا من نفر) اى اعرض وهرب (عن معارضته)
فيما فزع به اسماعهم وذمهم به فترك المعارضة لعدم قدرته عليها (وابداء) فاعله ضمير
من وافرده نظره نظر اللفظه وجمعه فى قوله (ما الزمهم) نظرا لمعنى من وفاعل الزم

رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله (من كتبهم) بيان لما اى مما الزمهم به من نصوص كتبهم كقصة الرجم المشهورة (اظهاره) مفعول الزم اى الزمهم اظهاره اذا كتموه (ولو وجدوا خلاف قوله) فى كتبهم (لكان اظهاره) اسم كان وقوله (اهون عليهم) اى اسهل خبركان (من بذل النفوس) بموحدة وذال معجمة اى اعطائها له بالقتل (والاموال) التى غنمها واخذها منهم قهرا (وتخريب الديار) كما وقع ليهود خيبر وبنى النضير (ونبذ القتال) اى تركه وهواشق لغليلهم يقال نبذ النواة اذا طرحها (وقد قال لهم) جملة حالية اى لليهود لما فزع اسماعهم بقوله تعالى * فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم * وقوله تعالى * وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر * فقالوا لسنا اول من حرمت عليه فقد حرمه على ابراهيم ومن بعده حتى انتهى الامر الينا فقال لهم (قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين) ليظهر انها لم تحرم الا عليكم لظلمكم و بغيكم فامر بمحاجتهم بما فيها توبيخا لهم فلما قال لهم ذلك بهتوا ولم يأتوا بنت شفة لانقطاع حجتهم وظهور كذبهم كما فى قصة الرجم وكانوا ادعوا ان لحوم الابل حرمت على يعقوب و بنيه فى التوربة فنحن نحرمها وانما امتنع يعقوب من اكلها لانه كان به عرق النساء وهى تضره (الى ما انذر به الكهان) جمع كاهن وهو الذى كان يخبر بالامور قبل وقوعها ويدعى الاطلاع عليها والانذار الاعلام بما فيه موعظة وتخريفا والى غاية لما تقدم اى انتهى ماترادف من الاخبار الى انذارهم به بقرب زمانه اوالى بمعنى مع وكانت الكهان تتلقى ذلك من الشياطين (مثل شافع ابن كليب) شافع بشين معجمة كاسم الفاعل من الشفاعة وكليب مصغر كلب وهو كاهن من كهان العرب اخبر تبعا بخبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم و بمهاجرة الى المدينة كما تقدم بيانه وقال الحافظ ومن تبعه لااعرفه (وشق وسطيح) وهما كاهنان من كهان العرب وشق بكسر الشين المعجمة هوشق بن صعب بن يشكر وجده الاعلى ربيعة بن انمار وكان بيد واحدة ورجل واحدة وعين واحدة وكانت العرب تأتيه فيخبرهم بما سيأتى وسطيح بفتح السين وكسر الطاء المهملتين ومثناة تحتية ساكنة وحاء مهملة وهوابن ربيعة بن مسعود ابن مازن ابن غسان قيل ان جسده كان لاعظم فيه غير جمجمة رأسه فكان يدرج كالثوب فاذا غضب انتفخ وقيل انه عاش ثلاثمائة سنة وقصتهما وذكرهما للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما ارسل كسرى عبد المسيح يسأله عن رؤياه التى مذكورة فى السير مشهورة ولهما قصص كثيرة فى التواريخ وادركا زمانه صلى الله تعالى عليه وسلم (وسواد بن قارب) بلفظ السواد ضد البياض وقارب بزنة اسم فاعل من القرب وهو سواد الدوسى الصحابى وكان كاهنا من كهان العرب له رئى من الجن يأتيه ويخبره بالمغيبات فبينما هو ذات ليلة اذ اتاه فضربه برجله وقال له قم

ياسواد بن قارب فاسمع مقالتى ان كنت تعقل انه قد بعث رسول من لوى بن غالب يدعو الى الله تعالى عز وجل والى عبادته ثم اتاه ليالى يقول له مثل مقالته فركب ناقته واتى بالمدينة واجتمع مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وآمن به واخبره بخبر رؤيته وماقال له من الاشعار فسر بذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وتفصيله فى السير (وخنافر) بضم الخاء المعجمة ونون والف بعدها فاء مكسورة وراء مهملة وهو كاهن من حمير له رئى من الجن اخبره ببعثة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاسلم على يد معاذ رضى الله تعالى عنه كما يأتى ولم ير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فهوتابعى وهو ابن التوأم الحميرى وله جنية تسمى شصارا وشاصر وكان عاتيا ذا مال وسعة فاسلم وحسن اسلامه وفى امالى القالى عن الكلبى قال كان خنافر ابن التوأم الحميرى كاهنا قد اوتى بسطة فى الجسم وسعة المال وكان عاتيا فلما وفدت وفود اليمن على النبى صلى الله عليه وسلم وظهر الاسلام اغار على ابل لمراد فلحق باهله وبها الشحر فخالف بها جودان وهوسيد منيع ونزل عنده بواد مخصب وكان له رئى فى الجاهلية لايكاد يغيب عنه فلما فشى الاسلام فقده مدة حتى ساء ذلك فبينما هو بذلك الوادى هوى عليه هوى العقاب وناداه خنافر فقال شصار فقال اقل قال قل اسمع فقال ع تغنم لكل مدة نهاية وكل ذى امد الى غاية قلت اجل فان كل ذى دولة الى اجل ثم يتاح له حول انتسخت النحل و رجعت الى حقايقها الملل انك بخير موصول والنصح لك مبذول انى لست بارض الشام نفرا من آل العرام حكاما على الحكام يزبرون ذارونق من الكلام لبس بالسجع المؤلف ولا المسجع المتكلف فاصغيت فزجرت فعاودت فطلعت فقلت بم تهيمون والى م تعزؤن قالوا خطابا كبار جاء من عند الملك الجبار فاسمع ياشصارا صدق الاخبار واسلك اوضح الآثار تنج من اوار النار قلت وما هذا الكلام قالوا فرقان بين الكفر والايمان رسول من مضر من اهل المدر ابتعث فظهر فجاء بقول قد بهر واوضح نهجا قد دثر ومواعظ لمن اعتبر ومعاذا لمن ازدجر الف بالاى الكبر قلت ومن هذا المبعوث من مضر قالوا احمد خير البشر فان آمنت اعطيت البشر وان خالفت اعطيت سقر فامنت ياخنافر واقبلت اليك ابادر فجانب كل نجس كافر وشايع كل مؤمن طاهر والافهو الفراق عن لاتلاق قلت من اين ابغى هذا الدين قال من ذات الآخرين والنفر الميامين اهل الماء والطين قلت اوضح قال الحق بيثرب ذات النخل والحرة ذات النعل فهناك اهل الطول والفضل والمواساة والبذل ثم املس عنى فبت مذعورا راعى الصباح * فلما فرق لى النور امتطيت راحلتى واذنت عبدى واحتملت باهلى حتى وردت الجوف فردت الابل على اربابها بحولها واسقائها * واقبلت اريد صنعا فاصبت بها معاذ بن جبل امير رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فبايعته على الاسلام وعلمنى سورا من القرآن فمن الله تعالى على

بالهدى بعد الضلالة والعلم بعد الجهالة ثم ذكر له شعرا وشرح ما فى الخبر من اللغة فان اردته فارجع اليه وفيما ذكرنا كفاية (وافعى نجران) هو ملك من ملوك نجران كان كاهنا وهو الافعى بن الافعى الجرهمى فعن عاصم بن عمر بن قتادة قال قدم شيخ من صداء على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومعه اربعون رجلا يحفون به فقال يارسول الله خرفت ودردرت وشمطت ثم رجع ذلك فاسود شعرى وثار عقلى وتبدت اسنانى وهو لاولدى لصلبى و خلفهم من نسلهم اضعافهم وقد سمعت افعى نجران يذكر فى غابر الزمان انه سيبعث نبى من صفته ان له خاتما يسطع نوره بين كتفيه يبعث بمكة و يهاجر الى طيبة بالذى فضلك بالرسالة وايضاح الدلالة الاكشفت لى عن خاتم نبوتك فتبسم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال حفظت على طول العهد وان فيك لمعتبرا ثم كشف له عن خاتم النبوة فاكب عليه يقبله وافعى نجران هذا هو الذى حكم بين اولاد نزار لما تشاحوا فى ميراث ابيهم وهم مضر وربيعة وانمار واياد وقال يامضر انت ابو النبى التهامى فانا نجد فى الآثار انه من ولد نزار بن معد ابن عدنان وانى لارى للنبوة بين عينيك نورا واجلسه على سريرملكه وجلس تحته وهذا ما اشار اليه المصنف رحمه الله تعالى والشراح كلهم لم يقفوا عليه (وجذل ابن جذل الكندى) قال الحافظ الحلبي لا اعرفه وتبعه غيره من الشراح وهو كاهن من كهان العرب اخبر بمبعثه صلى الله تعالى عليه وسلم قديما ولم ار تفصيل قصته الان التلمسانى قال جذل بكسر الجيم وسكون الذال المعجمة ولام وقيل انه بجيم ودال مهملة مفتوحتين من كندة وهى قبيلة معروفة لما ولدته امه التمست ذكره فلم تجده من شدة البرد فظنته جارية فطرحته وزوجها فى سكرات الموت فاشتغلت بموته ثم ذكرت بعد ثلاث رؤيا بشرت فيها بولد ذكر تسميه باسم ابيه فقامت وهى تظن انه مات فوجدت كلبة ترضعه فحملته وسمته باسم ابيه (وابن خلصة الدوسى) بخاء معجمة ولام وصاد مهملة مفتوحات هو كاهن من كهان العرب بشر بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يذكروا له ترجمة ودوس بفتح الدال المهملة قبيلة معروفة وقال فى الخصائص الكبرى نقلا عن الهواتف عن مرداس بن قيس الدوسى قال ذكرت الكهانة عند النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقلت يا رسول الله كانت عندنا جارية يقال لها خلصة لم نعلم عليها الا خيرا فجاءتنا فقالت يا معشر دوس هل علمتم لى الا خيرا قلنا وما ذاك قالت انى لفى غنمى اذ غشيتنى ظلمة فوجدت كحس الرجل مع المرأة فخشيت فلما دنت الولادة وضعت غلاما اصف له اذنان كاذنى الكلب فمكث فينا وكان لا يقول شيئا فلما كان بعد ذلك صار يكذب فقلنا له ما هذا قال ما ادرى كذبنى الذى كان يصدقنى امجنونى فى يدى ثلاثا ثم ائتونى ففعلناه وفتحنا عينه فاذا هو كانه جمرة نار فقال يامعشر دوس حرست السماء وخرج خير الانبياء فقلنا من اين قال بمكة وانا ميت فادفنونى برأس جبل فانى ساضطرم نارا فاذا رأيتم ذلك

فاقذفونى بثلاثة احجار فقولوا مع كل حجر باسمك اللهم فانى اهدى واطفى ففعلنا ذلك واقنا حتى قدم علينا الحاج فاخبرنا بمبعثك يا رسول الله انتهى ومنه تعلم ان الشراح لعدم وقوفهم على قصتها ظنوها كاهنا ذكرا وانما هى كاهنة فاعرفه فان خلصة امرأة والكاهن ابنها (وسعدى بنت كريز) بضم الكاف العربية وبالراء المهملة واخره زاى معجمة وفى النسخ هنا اختلاف والصحيح ما ذكرناه وهى خالة عثمان بن عفان اخت امه كانت فى الجاهلية لها علم وكهانة فاخبرت عثمان ببعثة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وتزوجه بابنته رقية فصدقها وكان ذلك سبب اسلامه فلما اسلم كانت تنشد * هدى الله عثمانا بقولى الى الهدى * وارشده والله يهدى الى الحق * وفى بعض النسخ سعد بن بنت كريز (وفاطمة بنت النعمان) قال التلمسانى هى فاطمة بنت النعمان النجارية كان لها تابع من الجن وكان اذا جاء اقتحم عليها فلما بعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اتاها وقعد على حائط الدار فقالت له لم لا تدخل فقال قد بعث نبى يحرم الزنا فكان ذلك اول ما سمع بذكر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالمدينة وكانت فى الجاهلية عالمة كاهنة ونعمان بضم النون هو نعمان بن قراد وقيل هو على بن نعمان بن قراد وروى عن ابن عمر وغيره فهو تابعى ونعمان اسم موضع واسم الدم ايضا (ومن لا يعد كثرة) وفى نسخة بتعد مطاوع معد اى لا يعد لكثرته لا لعدم اعتباره مضمونا ومنهيا (الى ما ظهر على السنة الاصنام) الظاهر انه استعارة تمثيلية شبهها فى ظهور صوت شخص تكلم بكلام وقيل هذا لا يصح لانه على مذهب الجبائى الذى يشترط الآلة المخصوصة للنطق ونحن لا نشترط الا الحياة فالصواب كلام الاصنام اونطق الاصنام الان يراد باللسان الكلام وليس بشئ لما علمت من انه استعارة وهو تعبير فى وجوه الحسان وقد ذكر ابن اسحق وغيره كثيرا مما سمعه المشركون من اجواف اصنامهم بقول ان امرهم بطل بظهور الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ويأمرهم باتباعه وان الباطل بطل وقد جاء الحق (من نبوته) صلى الله تعالى عليه وسلم (وحلول وقت رسالته) ومن ذلك ما بينه لما لصنم كان لمازن الطائى قرب له يوما قربانا فسمعه يقول يامازن اقبل الى اقبل تسمع مالا تجهل هذا نبى مرسل جاء بحق منزل آمن به كى تعدل عن حر نار تشعل الى آخر ما فى السير من انه سمعه منه مرارا فكسره ورحل الى النبى صلى الله عليه وسلم واسلم ونظائره كثيرة وكانت الشياطين هى التى تسمعهم الكلام من غير ان يروهم (وسمع) مبنى للمفعول معطوف على ظهر (من هواتف الجن) وفى نسخة الجان وهما بمعنى وقد فرق بينهما بان الجان ابو الجن والجن الجنس كله والهواتف جمع هاتف من الهتف وهو الصوت العالى مطلقا ثم خص بصوت يسمع ممن لا يرى شخصه من صرخ ولذا خص بالجن عند العرب وكانت عند مبعث النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كثر ذلك وللخرائطى كتاب الهواتف جمع فيه ذلك فكانت تلك الهواتف تخبر ببعض احواله صلى الله

تعالى عليه وسلم وهذه آية عظيمة من آياته وظهور نبيا نه كسماع ذباب بن الحارث هاتفا يقول ياذباب اسمع العجائب بعث محمد بالكتاب يدعو فلا يجاب وسماع بن قرة الغطفانى هاتفا يقول جاء حق فسطع وذم باطل فانقمع وسماع قريش هاتفا يخبر بنزوله صلى الله تعالى عليه وسلم على ام معبد الى غير ذلك فكل الكون السنة تنطق بخبره وتدل على علو منزلته ولكن الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء والصوفية يسمعون الواردات الالهية هاتفا كما مر (ومن ذبائح النصب) اى ماسمع منها اذ قربت الذبح والذبائح جمع ذبيحة وهى ما يذبح من بقر ونحوه والنصب بضمتين جمع نصب بفتح فسكون وهو ماينصب من الحجارة والاصنام للعبادة وهو مثل ماسمع عمر رضى الله تعالى عنه من عجل قربه رجل فيذبحه قربا نا لصنم فقال يا آل ذريح امر نجيح رجل فصيح يقول لا اله الا الله الى آخر ما رووه (واجواف الصور) اى ماسمع من الاصنام التى كانوا يصورونها فهو جمع صورة بمعنى جثة مصورة وهى التمثال والاجواف جمع جوف وهو داخل كل شئ (وماوجد من اسمه صلى الله تعالى عليه وسلم مكتوبا فى الحجارة والقبور) اى وعلى القبور (بالخط القديم) المتقادم عهد كتابته (والشهادة له بالرسالة) بذكر اسمه وانه نبى مرسل من الله تعالى (ما اكثره مشهور) بين الناس واما لثانية بدل من الاولى او خبر والاولى مبتدأ وهما موصولتان وقد نقله ثقات المورخين فى قصص لا تحصى ومكتوب روى مرفوعا خبر مبتدأ محذوف ومنصوبا مفعول ثان لوجد والخبر مقدر اى ثابت وقد تقدم انه وجد بخط عبرانى على بعض الحجارة محمد تقى مصلح امين وان فى تفسير قوله تعالى وكان تحته كنز لهما عن ابن عباس انه لوح من ذهب مكتوب فيه عجبا لمن ايقن بالقدر كيف ينصب وعجبا لمن ايقن بالنار كيف يضحك وعجبا لمن يرى الدنيا وتقلبها كيف يطمئن اليها انا الله لا اله لا انا محمد عبدى ورسولى وتقدم شرح ذلك كله بما فيه الكفاية واسلام من اسلم بسبب ذلك) اى بسبب ما رآه من الكتابة القديمة والمراد انها بغير اللسان العربى وهو مما يدل على صدق ما كتب فاعرفه (معلوم مذكور) فى السير والتواريخ ﴿فصل ومن ذلك) اى مما يدل على نبوته صلى الله عليه وسلم ورسالته (ماظهر من الآيات) اى العلامات او الادلة (عند مولده) اى ولادته صلى الله عليه وسلم فهو مصدر ميمى (ماحكمته امه) امنة بنت وهب وهى اشهر من ان تذكر (ومن حضر ولادته (من العجائب) قيل اخر هذا الفصل وكان ينبغى تقديمه لانه اقوى لتقدم المعجزات بحسب الشرف ويأباه انه ذكر فيه مايتعلق بوفاته صلى الله عليه وسلم وهى متأخرة فهو ناظر لذلك اولانه لا يختص بزمان وهو كالاجمال لما قدمه والفذلكة تؤخر والعجايب ومامعه اشارة الى مارواه ابو نعيم عن ابن عباس من ان امه صلى الله تعالى عليه وسلم لما حملت به اتاها آت فى منامها بعد ستة اشهر وقال لها يا امنة انك حملت بخير العالمين فاذا ولدتيه فسميه محمدا واكتمى شانك فلما اخذنى ما ياخذ النساء

لم يعلم بى احد وانى لوحيدة فى منزلى فى طرفه فسمعت وجبة عظيمة وامرا عظيما هالنى فرأيت كان جناح طائر ابيض قد مسح على فؤادى فذهب عنى الرعب وكل ما اجد ثم التفت فاذا نور غالب ونسوة طوال حولى فقلت من اين علمن بى وفى رواية انهن قلن نحن آسية امرأة فرعون ومريم ابنت عمران وهؤلاء من الحور العين فبينا انا كذلك واذا انا بديباج ابيض بين السماء والارض وقائل يقول خذاه عن اعين الناس ورجال فى الهواء بايديهم اباريق من فضة وقطعة من الطير مناقيرها من زمرد واجنحتها من الياقوت فكشف الله عن بصرى فرأيت مشارق الارض ومغاربها فرأيت علما بالمشرق وعلما بالمغرب فوضعته صلى الله تعالى عليه وسلم وكانت قريش بجذبة فاخصبت الى غير ذلك مما ذكروه وقال ابن الجوزى فى تلقيح الفكر اتفقوا على انه ولد يوم الاثنين فى شهر ربيع الاول عام الفيل واختلفوا فيما مضى منه على اربعة اقوال فقيل لثنتين من خلتا منه وقيل لثمان وقيل لعشر وقيل لاثنى عشر خلت منه ومات ابوه وهو ابن خمس وعشرين سنة ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حمل وقيل ابن سبعة اشهر وقيل ابن ثمان وعشرون شهرا والاول اصح (وكونه رافعا رأسه عند ماوضعته) اى رفعه نحو السماء كما ذكره البيهقى (شاخصا ببصره الى السماء) قال الراغب شخص من بلده ذهب وشخص سمعه وبصره واشخصه صاحبه وقوله شاخصة ابصارهم اى اجفانهم لا تطرف انتهى وقوله الى السماء تنازعه رافعا وشاخصا وهذا اشارة الى تعلقه صلى الله تعالى عليه وسلم بالملأ الاعلى وتوجهه لذلك من اول امره كما قال الابوصيرى رافعا رأسه وفى ذلك الرفع ＊ الى كل سودد ايماء رامقا طرفه السماء ومرمى عين ＊ من شانه العلو العلا وروى انه خرج معه نور اضاء له المشرق والمغرب وروى انه ولد واصابعه مقبوضة مشيرا بالسبابة كالمسبح (وما رأته) امه كما رواه احمد والبيهقى (من النور الذى خرج معه عند ولادته) وحديث النور الذى خرج معه اضاء له جميع الارض رواه جماعة وصححه ابن حبان والحاكم وعن اسحق ابن عبد الله ان امه صلى الله تعالى عليه وسلم قالت لما ولدته خرج من فرجى نور اضاء له قصور الشام وتقدم فى كلام المصنف عن امه انها قالت فولدته نظيفا ما به قذر قال ابو شامة كان هو هذا النور اشتهر ذكره فى قريش واليه اشار العباس كما مر بقوله

＊ وانت لما ولدت اشرقت الارض ＊ وضاءت بنورك الافق ＊

الى آخره وقال حسان رضى الله تعالى عنه

＊ نور اضاء له على البرية كلها ＊ من يهد للنور المبارك يهتدى ＊

قال ابن رجب رحمه الله تعالى وهو اشارة الى نور هدايته الذى محى ظلمة الشرك كما قال الله تعالى ＊ قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ＊ وقوله واضاء له قصور الشام

وخصه لانه مشرق انوار النبوة وهي دار مكة (ومارأته اذ ذاك) اى وقت ولادته
(ام عثمان بن ابى العاص) ابو عبد الله بن بشير الثقفى وامه اسمها فاطمة بنت عبد الله
وعثمان هذا من اكابر الصحابة وله فتوحات وتولى قضاء البصرة وروى عنها ابنها
انها شهدت مولده صلى الله تعالى عليه وسلم ورأت مارأته (من تدلى النجوم) التدلى
الدنو والقرب كما قاله الراغب وهو فى الاصل استعارة من الدلو صار حقيقة عرفية
فى القرب (وظهور النور) الذى خرج معه كما مر ويحتمل انه نور النجوم لقربها
(حتى ماتنظر) اى ام عثمان المذكورة بتاء المضارعة ويجوز ان يقرأ بالنون
للحاضرين او الموجودين والاول اولى رواية ودراية (الا النور) اى لاترى شيئا
غير النور وهو مبالغة فى قوته وانتشاره فى جميع النواحى والظاهر ان تدلى النجوم على
ظاهره قال الابوصيرى رحمه الله تعالى * وتدلت زهر النجوم اليه * فاضاءت
بضوئها الارجاء * وقيل معنى تدليها سقوطها ولاينبغى من مثله (وقول الشفاء ام
عبد الرحمن ابن عوف) الشفاء بشين معجمة مفتوحة وفاء مشددة ومد كما قاله الدلجى
والمعول عليه ماقاله البرهان الحلبى انه بكسر الشين والقصر وهى كما قال الذهبى
بنت عوف بن عبد الزهرية من المهاجرين والدة عبد الرحمن وبنت عم ابيه
عوف بن الحارث وقال السهيلى ان اسمها بعد ايضا وفى الاستيعاب انها اخت
عبد الرحمن بن عوف وحكاه عن الزبير قال وقد قيل انها امه (لماسقط) صلى
الله تعالى عليه وسلم (على يدى) اى وضعته امه فنزل على يديها (واستهل)
اى عطس لاصاح وان كان يقال استهل الصبى اذا صاح بدليل قولها (سمعت
قائلا) اى ملكا يقول له صلى الله تعالى عليه وسلم (رحمك الله) اورحمك ربك
اويرحمك ربك تشميتا له بناء على ان رحمك بفتح الكاف وقال التلمسانى انه
روى بكسرها والظاهر الاول ولم يفسره فالخطاب لامه اوله صلى الله تعالى عليه
وسلم باعتبار التسمية وتفسير استهل بعطس ذكره الدلجى ويشهد له قول الابوصيرى
* شمته الاملاك اذ وضعته * وشفتنا بقولها الشفاء *
اذ القول المذكور لايقال الاعند العطاس اى الذى هو التشميت بالشين المعجمة
والمهملة فلذا حمل الاستهلال على العطاس مع تصريحهم بانه لم يجئ فى شئ من
الاحاديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما ولد عطس وفى الجامع الصغير استهلال
الصبى العطاس فاستهلال المولود له معنيان مجرد رفع الصوت والعطاس
فلذا حمل هنا على العطاس بقرينة الجواب الذى لايقال الاعند العطاس وهذا
الحديث رواه ابونعيم فى الدلائل عن عبد الرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنه
(واضاء لى مابين المشرق والمغرب حتى رأيت قصور الروم) ولامنافاة بين هذه الرواية
وبين رواية قصور بصرى والروم لانها كانت اذ ذاك بيد الروم وتتمة الحديث

ثم اضجعته فلم انشب ان غشيتنى ظلمة ورعب وقشعريرة ثم غيب عنى فسمعت قائلا
يقول اين ذهب به قال الى المشرق فلم يزل ذلك على بال منى حتى ابعث رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم فكنت اول الناس اسلاما وفى الخوارق امور غريبة من
تنكيس اسرة الملوك وذهاب الحيوانات من المغرب للمشرق والتبشير به صلى الله
تعالى عليه وسلم وروى كما تقدم من كلامه انه ولد مختونا مسرورا اى مقطوع
السرة كما تقدم الجزم به فى كلام المصنف رحمه الله تعالى بل قال الحاكم فى مستدركه
انه تواترت به الاخبار وقال الذهبى لااعلم صحته فضلا عن تواتره واجاب بعضهم بانه
اراد بالتواتر الاشتهار فقد جاءت احاديث كثيرة من ذلك قال الحافظ ابن كثير
فمن الحفاظ من صححها ومنهم من ضعفها ومنهم من رآها من الحسان وتقدم ان
هذا الجواب بعيد وقيل انه ختن يوم سابعه وتقدم ماعليه من الكلام (وماتعرفت
به حليمة) بنت ابى ذويب السعدية مرضعته صلى الله تعالى عليه وسلم وخبرها
مشهور (وزوجها) الحارث ابن عبد العزى (ظئراه) عطف بيان او بدل من حليمة
وزوجها وهو تثنية ظئر وهو المرضعة فى الاصل وتطلق على الاب من الرضاعة
كماهنا والظئر مشترك معنوى لانه من ظأر اذا عطف فلااشكال فى تثنيته فانه
ليس نحو عينين مع انه مسموع ايضا (من بركته) صلى الله تعالى عليه وسلم لما
اخذته من امه (ودرور لبنها له) اى زيادة خروجه له صلى الله تعالى عليه وسلم
ولاخيه من الرضاعة بعد قلته (ولبن شارفها) اى ودرور لبن شارفها والشارف
الناقة المسنة والغالب ان لبنها لايدر (وخصب غنمها) اى بكسر الخاء اى رعيها فى
مكان مخصب فى سنة مجدبة او هو مجاز عن سمنها وكثرة لبنها وكل ذلك ببركته
صلى الله تعالى عليه وسلم لكونه عندها واصل معنى الخصب بكسر الخاء المعجمة
المكان الكثير العشب واول من ارضعته صلى الله تعالى عليه وسلم ثويبة جارية
ابى لهب ثم حليمة رضى الله تعالى عنها وقد تقدمت ان حليمة وفدت على النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم فاكرمها وبسط لها رداءه ليجلس عليه وقال ابن عبد البر
انها اسلمت وانكره الدمياطى وصنف فيه مغلطاى جزءا وله صلى الله تعالى عليه
وسلم اخوة من الرضاعة مفصلة فى السير كما فصل فيها احوال مرضعته وذهابها به
صلى الله تعالى عليه وسلم الى ارضاعه منها (وسرعة شبابه وحسن نشأته) اى
سرعة نمو خلقه وقامته ونشأته ابتداء امره فى صغره من نشأ ينشأ فهو ناشئ وان
حليمة قالت والله مابلغ سنة حتى صار غلاما جفرا (وماجرى) اى وقع وحدث
(من العجايب) فى (ليلة مولده) اى فى ليلة ولادته مما رواه البيهقى وغيره وفى نسخة
بميلاده وهما بمعنى وهذا يدل على انه ولد ليلا وهو الذى رواه ابن السكن رحمه الله
تعالى فى حديث نقلوه والذى فى مسلم وصححوه انه ولد نهارا بعد الفجر
وقبل طلوع الشمس وجمع بينهما بان تلك الحصة قد تعد ليلا لقربها منه

و بعضهم يرى ان اليوم من طلوع الشمس والحاصل انه لاينافى ماتقرر من ولادته نهارا الحديث المتقدم عن ام عثمان بن ابى العاص على تقدير صحته من دلالته على انه ولد ليلا فان زمان النبوة صالح للخوارق ويجوز ان يسقط النجوم نهارا اى فضلا عن ان تكاد تسقط سيما ان قلنا ولد عند الفجر لان ذلك ملحق بالليل كما تقرر (من ارتجاج) اى تحرك واضطراب (ايوان كسرى) وهو قصره ومن الاولى بيان لما والثانية للتجايب وقيل بيان لما ايضا وفيه نظر وكسرى تقدم انه بكسر الكاف وفتحها معرب خسرو وكسرى هذا هو انوشروان بن قباد وهو غير كسرى الذى كتب له رسول الله صلى الله عليه وسلم فمزق كتابه فهو ابرويز بن هرمز ابن انوشروان وهذا الحديث رواه البيهقى وابن ابى الدنيا وابن السكن والايوان الصفة العظيمة والبناء العالى العظيم واصله اوان بتشديد الواو فابدلت الاولى ياء وفسر بعضهم الايوان ببيت الملك العظيم المعد لجلوسه مع وزرائه لفصل الامور (وسقوط شرفاته) جمع شرفة بضمتين كما فى تثقيف اللسان ويجوز سكونها وفتحها كما قاله البرهان وفسرت بالعاليه وانما هى مابنى على اعلى الحائط منفصلا بعضه من بعض على هيئة معروفة وله شرفات كثيرة فسقط منها اربعة عشر بعدد من ملك من اولاده بعد ظهور الاسلام وانقضت مدتهم فى زمان قليل واطلاق شرفات على ماذكر لاستواء القلة والكثرة فيه لاضافته اولانه لا جمع له سواه اولانه يجوز استعمال كل من الجمعين فى معنى الآخر (وغيض بحيرة طبرية) غيض بفتح الغين المعجمة وسكون الياء التحتية وضاد معجمة مصدر غاض يغيض اذا قل اوذهب يقال غاض الماء وغاضه الله واغاضه فيتعدى ولايتعدى وبحيرة تصغير بحرة وهى البركة الكبيرة التى كثر ماؤها ويطلق على الارض الواسعة والمراد الاول وطبرية بلدة بالشام معروفة من الارض المقدسة بينها وبين المقدس مرحلتين وبحيرتها عظيمة الان البرهان قال المعروف بالغيض بحيرة ساوة اللهم الا ان يريد عند خروج يأجوج ومأجوج فان اولهم يشربها ويجئ آخرهم فيقول كان ههنا ما انتهى اقول ما قاله غير صحيح هنا لان الكلام فيما حصل عند ولادته صلى الله تعالى عليه وسلم من الآيات والعجب مما تابعه على هذا مع ظهوره وساوة بلدة اخرى بينها وبين الرى اثنان وعشرون فرسخا والجواب الحق ان المراد بحيرة طبرية وطولها ستة اميال وكذا عرضها وقد روى الحديث البيهقى وابن ابى الدنيا وابن السكن كما نقله السيوطى وغيره فالمعترض لم يقف على هذه الرواية فلعل ماءها نقص نقصا لاينقص مثله فى زمان طويل اوغار ماؤها ثم عاد بعد ذلك لما فيها من العيون النابعة التى تمدها الامطار وقد علمت ان بحيرة تصغير بحرة لابحر والتاء زائدة كما قيل وهى ممنوعة من الصرف للعلمية والتأنيث

ولبست التاء مزيدة فيها بعد العلمية كذى الشدبة لتأويلها بالبقعة وهى تكلف لاداعى له (وخمود نار فارس) بمنع الصرف لانه علم اعجمى وفارس اقليم معروف هو واهله فكان ما غاض من الماء فاض على النار فاطفأها والخمود الانطفاء وكان هذا ليلة مولده صلى الله تعالى عليه وسلم كما تقرر (وكان لها) اى لتلك النار (الف عام لم تخمد) لشدة اشتعالها وكثرة امدادها دائما وكانوا يعبدونها كما قال ابن هانى

* سجدت الى النيران اعصرها ومذ * شعرت به سجدت له نيرانها *

وقال آخر * وذاك دليل للنجاة من اللظا * به لانطفاء النار من كل موقد *

وقوله لم تخمد بضم الميم وفتحها لانه ورد من باب نصر وعلم وكان كسرى واتباعه يعبدونها ويرمون فيها المسك والعنبر ونحوه ولهم بها فتنة عظيمة اذ لم تزل تؤجج وان لم تمد وقصة النار ورؤيا كسرى وقصتها على سطيح مذكورة فى السير مشهورة (وانه) صلى الله تعالى عليه وسلم (كان) وهو طفل صغير كما رواه ابن سعد وغيره عن ابن عباس (اذا اكل مع عمه ابى طالب واله) اى اهل بيته وكان صلى الله تعالى عليه وسلم عنده فى حضانته بعد عبد المطلب (وهو صغير) جملة حالية (شبعوا) من الطعام (ورووا) اذا شربوا لبنا ونحوه لاماء ولذا جعله مأكولا لانه غداء ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم مما لايشبع منه مثلهم لقلته (واذا غاب عنهم) فلم يكن معهم (فاكلوا) وحدهم (فى غيبته) عنهم (لم يشبعوا) وباتوا جياعا (وكان سائر ولد ابى طالب) اى جميعهم او بقيتهم بعده صلى الله عليه وسلم منهم تغليبا وانكر بعضهم ورود سائر بمعنى جميع ورددناه فى شرح الدرة (يصبحون) اذا قاموا من نومهم (شعثا) جمع اشعث وهو المغبر المتغير لونه كما هو عادة الاطفال اذا قاموا من نومهم فى مضاجعهم (ويصبح صلى الله عليه وسلم) اى يدخل فى وقت الصباح اذا قام من نومه (صقيلا) اى رائق اللون غير متغير البشرة فهو استعارة من المرآة الصقيلة (دهينا) اى كان وجهه دهن بغالية ونحوها مما كانوا يدهنون به حتى تبرق وجوههم (كحيلا) اى مكحل العين وكل ذلك من غير صنع لاحد وهى منصوبة بيصبح ان كانت ناقصة اواحوال وكان اولاد ابى طالب سبعة اذ ذاك عقيل وجعفر وطالب وعلى كرم الله وجهه وام هانى وام طالب وجمانة وكلهم اسلموا الاطالبا فانه مات كافرا وهذا مجاز او حقيقة وفسر المدهون بخلاف الاشعث والمصقول بالمسوى الشعر والكحيل بالذى لارمص بعينيه ولاقذى وكان ابو طالب يحبه صلى الله تعالى عليه وسلم حبا شديدا ويؤثره على اولاده فاذا اتى بطعام يقول لا تأكلوا حتى يأتى ابنى وروى فى بعض النسخ (وقالت ام ايمن) هى بركة بنت محصن بن ثعلبة بن عمرو بن حفص ابن مالك بن سلمة ابن عمرو بن النعمان مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم (حاضنته) اى التى كانت تربية طفلا سميت حاضنة لانها تجعل الولد فى حضنها وقيل انها

ارضعته وهى حبشية وابنها ايمن بن عبيد الحبشى وتزوجها زيد بن حارثة وكانت وصيفة لعبد الله ابيه صلى الله عليه وسلم وروى عنها فى الصحيحين وادركت خلافة عثمان رضى الله تعالى عنه كما نقله الذهبى عن الواقدى وفى مسلم عن الزهرى انها توفيت بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بخمسة او ستة اشهر وهو الذى صححه النووى رحمه الله تعالى وخطأ الواقدى فيما قاله وانما حضنته لموت امه امنة (ما رأيته صلى الله عليه وسلم يشكو جوعا ولا عطشا صغيرا ولا كبيرا) لان الله تكفل به فكان يبيت عند ربه يطعمه ويسقيه كما قال ووجدك يتيما فاوى وحاضنة اسم فاعل مؤنث من الحضن وليس فعلا من المفاعلة وانه عدل عن حضنه لحاضنته للاشعار بالفاعلية من جانبه تبركا به كما توهم وهو خطأ فاحش على عادته (ومن ذلك) اى دلائل رسالته المشاهدة عند ولادته (حراسة السماء بالشهب) وهى شعل النار المرئية فى نجوم السماء جمع شهاب (وقطع رصد الشياطين) اى ترصدهم وترقبهم لسماع ما تقوله الملائكة فيحفظه وتلقيه للكهنة هو مصدر ويكون بمعنى راصد وجمعا له فلذا اطلق على الواحد وغيره والشياطين مردة الجن (ومنعهم) اى منع الله لهم (من استراق السمع) وهو ان يختفى احد ليسمع كلام من لم يرد سماعه فكانه يسرق الكلام الذى سمعه واعلم ان رمى الشياطين بالشهب لم يحدث فى زمنه صلى الله تعالى عليه وسلم فانه كان قبل ذلك ايضا ولكنه لما ولد صلى الله تعالى عليه وسلم فى زمان كان كثير الكهنة وكانت الجن تخبرهم ببعض المغيبات فيلقونها للناس منعهم الله من ذلك بالكلية حتى لا يلتبس الوحى بغيره فكثر الرجم بالشهب من جميع النواحى فبطلت الكهانة ومنع الجن من الاطلاع على المغيبات ولذا لما رأت قريش كثرة القذف بالنجوم قالوا اقتربت الساعة وخراب الدنيا فقال لهم عتبة بن ربيعة انظروا الى العيوق ان كان رمى به فقد آن قيام الساعة والا فلا والى هذا يشير قوله تعالى وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا الاية وروى ان ابليس كان يخترق السموات فلما ولد عيسى عليه الصلوة والسلام حجب عن ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم حجب عن جميعها ومنع غيره من القرب منها والشهاب الذى يرمى به قيل انه لا يخطيه ولكنه يخرقه ولا يقتله وقال الحسن انه يقتله فقد علمت ان رمى الشهب لم يحدث فى زمنه صلى الله تعالى عليه وسلم كما توهمه بعضهم وانما كثر واشتد فيه وكانوا فى الجاهلية اذا رأوا شهابا سقط قالوا يموت او يولد عظيم كما ورد فى الحديث (و) من دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم (ما نشأ عليه) اى خلقه الله عليه من ابتداء نشأته وطفوليته (من بغض الاصنام) وكراهة قربها ومسها كما روى البيهقى ان زيد بن حارثة مر بصنم فتمسح به فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم لا تمسه ونهاه عن القرب منه كما نهى ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام آزر عنها (والعفة عن امور الجاهلية) التى كانوا يرتكبونها فخلقه الله تعالى متنفرا عنها السلامة طبعه كاللهو واللعب وغيره والعفة حالة للنفس تمنع من غلبة الشهوة

والتعفف عن تعاطيها كما قاله الراغب (وما خصه الله) به (من ذلك) فجعل فيه اخلاقا مرضية واعمالا زكية ونفسا قدسية فصانه (وحماه) قبل بعثته من الصفات الردية (حتى فى ستره) بفتح السين المهملة وسكون المثناة الفوقية مصدرا اى ستر بدنه حتى لا يرى احد منه صلى الله تعالى عليه وسلم ما لا ينبغى رؤيته كالعورة فكان لا يتعرى عند احد وكانت الجاهلية تفعله حتى كانوا يطوفون عراة احيانا وفى نسخة حتى ستره مجرورا بحتى وهو غاية لما قبله من الحماية وما قيل ان كان المراد كشف العورة فهو قبيح عقلا وما دونها ليس بقبيح عقلا وشرعا الا ان يقال انه من خصوصياته الدالة على نبوته امر لا طائل تحته (فى الخبر المشهور) الذى رواه الشيخان عن جابر والبيهقى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما (عند بناء الكعبة) اى لما بنتها قريش ونقلهم الحجارة لبنائها وكان صلى الله تعالى عليه وسلم ينقل الحجارة معهم (اذا خذ ازاره) اى ملحفته التى كان موتزرا بها (ليجعله على عاتقه) اى اخذ الازار ليجعله على كتفه الذى يضع عليه الحجارة حتى لا تؤذيه (ليحمل عليه) اى على عادته او ازاره الحجارة (وتعرى) اى انكشف اسفله لنزع الازار عنه (فسقط الى الارض) مغشيا عليه وعينه شاخصة للسماء (حتى رد ازاره عليه) وستر عورته (فقال له عمه) وهو العباس كما صرحوا به (ما بالك) اى ما شانك وحالك الذى عرض لك حتى سقطت (قال انى نهيت) بالبناء للمجهول (عن التعرى) وكشف العورة كغيرى وكانت قريش بنت الكعبة لسيل اتى من فوق الردم ورسول الله صلى الله عليه وسلم ابن خمس وثلاثين سنة قال العباس فكانوا ينفردون رجلين رجلين ينقلون الحجارة فكان العباس مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فكانوا يجعلون ازارهم على عواتقهم فاذا دنوا من الناس لبسوها فبينما هو كذلك صرع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يستغيث رافعا بصره الى السماء فقال له ما بالك يا ابن اخى فقال نهيت ان امشى عريانا فكتمتها حتى بعثه الله تعالى مخافة ان يقال انه مجنون وفى رواية ان ملكا مهيبا ناداه اشدد ازارك وروى انه لكمه لكمة شديدة قبل وهو اول ما نودى به (ومن ذلك) اى مما دل على نبوته فى اول ما امره ما رواه الترمذى والبيهقى رحمه الله تعالى (اظلال الله تعالى له بالغمام فى سفره) اى كون غمامة تسير معه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انى سار تقيه حر الشمس دون غيره من الركب كما رواه بحيرا لما سافر للشام مع عمه ورأه ميسرة غلام خديجة لما سافر معه للشام وخص السفر لانه محل التأثر من الشمس (وفى رواية) لابن سعد (ان خديجة ام المؤمنين (ونساؤها) اى النساء التى كن معها عند الرؤية فالاضافة لادنى ملابسة (رأينه لما قدم) بمكة من سفره للشام فى تجارة لها (وملكان يظللانه) اى عمدا ان اجنحتهما عليه ليكون ظلة له ووقاية من الشمس (فذكرت) خديجة (ذلك) اى ما رأته (لميسرة) غلامها الذى بعثته معه صلى الله تعالى عليه وسلم فى سفره وميسرة بفتح السين وضمها (فاخبرها) ميسرة (انه رأى ذلك) اى كونه مظللا من السماء بالملكين

فلا ينافى ان خديجة رأت تظليل الملائكة وميسرة رأى تظليل الغمام اوان الغمام كانت تسوقه ملائكة فجعلت مظللة له كحامل الظلة يسمى مظللا (منذ خرج معه فى سفره) الى الشام اى من اوله الى آخره وهذا الحديث رواه الواقدى عن نفيسة بنت منبه وهى احدى النساء اللاتى كن مع خديجة فى علية لها تنظر الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حين قدم قال البرهان لم يذكر ميسرة فى الصحابة فكانه مات قبل نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم وفى رؤية خديجة الملائكة كرامة لها رضى الله تعالى عنها (وقد روى) بالبناء للمجهول والذى رواه الواقدى وابن سعد وابن عساكر فى تاريخه عن ابن عباس (ان حليمة) بنت ابى ذؤيب السعدية التى ارضعته صلى الله تعالى عليه وسلم (رأت غمامة تظله) وتقيه من حر الشمس (وهو) مقيم (عندها) لما اخذته صلى الله تعالى عليه وسلم لحبها الترضعه (روى ذلك) اى تظليل الغمامة له (عن اخيه من الرضاعة) يعنى انه رآه فى صغره و رواه بعد كبره لانه كان معه والظاهر ان مراده انه هو الذى ذكره لامه وانها لم نشاهده لان عبارة الواقدى عن ابن عباس ان حليمة خرجت تطلبه صلى الله تعالى عليه وسلم فوجدته مع اخيه من الرضاعة وهو ولدها فقالت افى حر الشمس بمكث شفقته عليه صلى الله عليه وسلم منها فقال اخوه يا اماه ماوجد اخى حرا رأيت غمامة تظله اذا وقف وقفت واذا سار سارت معه وهذا يدل على انه ليس امرا اتفاقيا وهل كان هذا دائما او احيانا لم ينقل فيه شئ ومافى المواهب نقلا عن الزركشى فى شرح البردة عن بعض العارفين انه صلى الله عليه وسلم كان مزاجه معتدل الحرارة والبرودة فلا يحس بالحر ولا بالبرد فكانه صلى الله تعالى عليه وسلم فى ظل غمامة من اعتداله قيل عليه انه ساقط لانه يقتضى ان تظليل الغمامة لم يكن حقيقيا محسوسا وانما هو على طريق التمثيل قلت ان اراد ذلك فهو وارد عليه ويحتمل ان يريد انه لم يدم ذلك ولم يكن بعد بلوغه سن الاعتدال بعد النبوة لتمام اعتداله المغنى عنه اوانه كان غنيا معه وانما هذا تكريم من الله له لم يرد عليه شئ فاعرفه فانه لا يخفى مثله على مثله وقد علمت ان الذى فى نسخ الشفاء كما قاله البرهان عن اخيه مذكر بياء تحتية والذى فى سيرة ابن سيد الناس اخته بالمثناة الفوقية فهو تصحيف اورواية رواها ايضا (ومن ذلك) اى مما يدل على نبوته صلى الله عليه وسلم وهذا لم يذكروا من رواه من المحدثين (انه نزل) اى قعد فى محل نزل به (فى بعض اسفاره قبل مبعثه) مصدر ميمى بمعنى بعثته ونبوته (تحت شجرة يابسة) اى لبست مخضرة ويبس لها ورق (فاعشوشب ما حولها) من الارض اى ظهر به عشب لم يكن واخضرت من ساعتها وافعوعل للمبالغة اى كثر عشبه ونباته والعشب الكلاء ما دام رطبا وقدمه لما فيه من المبالغة (واينعت هى) اى الشجرة وابرز الضمير لئلا يتوهم انه عائد على ما حولها باعتبار انه ارض وهى مؤنثة سماعية ومعنى اينعت ظهر خضرة ورقها وزهرها اى ثمرها يقال ينعت الثمرة ينعا و ينعا و اينعت ايناعا

اذا نضجت وقال تعالى * كلوا من ثمره اذا اثمر و ينعه * وقرئ و ينعه وهو جمع يانع وهو المدرك قاله الراغب (فاشرقت) اى نمت وعلت اغصانها (وتدلت عليه) صلى الله تعالى عليه وسلم قضبانها لتقيه وتظله (اغصانها) جمع غصن وهى اعلاها وفروعها (بمحضر من رآه) اى ان من كان عنده شاهد حدوث ذلك وعلم عندما يدل على كرامته لسرعته (و) من ذلك (ميل فئ الشجرة) الفئ هو الظل مطلقا او بعد الظهيرة لانه من فاء اذا رجع والكلام عليه مفصل فى كتب اللغة وميل الفئ اما وحده او مع ميل الشجرة نفسها (فى الخبر الآخر) الذى روى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم فى سفره الى الشام وقصته مع بحيرا الراهب كما تقدم (حتى اظلته) علة او غاية مقصودة من ميلها وكان رفقاؤه صلى الله تعالى عليه وسلم سبقوه فجلسوا فى الفئ فلما جلس فى الجانب الآخر مالت الشجرة عليها بفيئها فظللته فرآه الراهب فى قصته التى تقدمت وكان مع عمه ابى طالب وهو ابن عشر سنين (و) من دلائل نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم (ما ذكر) بالبناء للمجهول والذى ذكره ابن سبع (من انه) بيان لما الموصولة (لا ظل لشخصه) اى لجسده الشريف اللطيف اذا كان (فى شمس ولا قمر) مما نرى فيه الظلال لحجب الاجسام ضوء النيرين ونحوهما وعلل ذلك ابن سبع بقوله (لانه) صلى الله تعالى عليه وسلم (كان نورا) والانوار شفافة لطيفة لا تحجب غيرها من الانوار فلا ظل لها كما هو مشاهد فى الانوار الحقيقية وهذا رواه صاحب الوفاء عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال لم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ظل ولم يقم مع شمس الاغلب ضوؤه ضوئها ولا مع سراج الاغلب ضوؤه ضوؤه وقد تقدم هذا والكلام عليه وربما عبثنا فيه وهى

* ما جر لظل احمد اذيال * فى الارض كرامة كما قد قالوا *

* هذا عجب وكم به من عجب * والناس بظله جميعا قالوا *

وقالوا هذا من القيلولة وقد نطق القرآن بانه النور المبين وكونه بشرا لا ينافيه كما توهم فان فهمت فهو نور على نور فان النور هو بنفسه المظهر لغيره وتفصيله فى مشكاة الانوار للغزالى (و) من دلائل نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم (ان الذباب كان لا يقع على) ما ظهر من (جسده ولا) يقع على (ثيابه) وهذا مما قاله ابن سبع ايضا الا انهم قالوا لا يعلم من روى هذا والذباب واحده ذبابة بانه قيل انه سمى به لانه كلما ذب آب اى كلما طرد رجع وهذا مما اكرمه الله تعالى به لانه طهره من جميع الاقذار وهو مع استقذاره قد يجئ من مستقذر وقيل وقد نقل مثله عن ولى الله العارف به الشيخ عبد القادر الكيلانى ولا بعد فيه لان معجزات الانبياء قد تكون كرامة للاولياء امته وفى رباعية لى

* من اكرم مرسل عظيم حلا * لم تدن ذبابة اذا ما حلا *

هذا عجب ولم يذق ذو نظر في الموجودات من حلاه احلا*

وتظرف بعض علماء العجم فقال محمد رسول الله ليس فيه حرف منقوط لان الموجودات لنقط تشبه الذباب فصين عنه اسمه ونعته عنه كما قلت في مدحه صلى الله عليه وسلم

* لقد ذب الذباب فليس يعلو * رسول الله محمودا محمد *

*ونقط الحرف يحكيه بشكل * لذاك الخط عنه قد تجرد *

(ومن ذلك) اى من دلائل نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم في اول امره ومنتهاه كما رواه الشيخان (تحبيب) الله تعالى بجعله طبيعة له (الخلوة) اى الوحدة والانفراد عن الناس للعبادة (اليه حتى اوحى اليه) اى انه كان يفعل ذلك قبل بعثته حتى نزل الوحى عليه تكريما له صلى الله تعالى عليه وسلم وفي البخارى ثم حبب اليه الخلا اى العزلة عن الناس اذ بها فراغ القلب والاعانة على التفكر والانقطاع عن مألوفات النفس فكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه وهو التعبد الليالى ذوات العدد قبل النبوة فاذا نزل منه طاف بالبيت وذهب لاهله وخص حرا كما قاله ابن ابى جمرة لانه كان يتبرك به وينظر منه البيت فيستقبله وقال حبب بصيغة المجهول اشارة الى انه ليس تقليدا لغيره وانما هو جبلى بالهام الله تعالى له وهو من الارهاصات حتى جاءه الوحى وهو فيه (ثم اعلامه) صلى الله تعالى عليه وسلم اى اعلام الله تعالى له (ب) قرب (موته ودنوا اجله) اى آخر عمره الذى اجل له وقدر وهذا مما رواه الشيخان وفهمه صلى الله تعالى عليه وسلم من قوله تعالى * فسبح بحمد ربك * وفي الصحيحين انه مر على قتلى احد بعد ثمان سنين كالمودع للاحياء والاموات ثم طلع المنبر فقال انى بين يديكم فرط وانا عليكم شهيد وان موعدكم الحوض الى آخره وقوله فى خطبة له ان عبدا خيره الله بين ان يؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عنده فاختار ما عنده فبكى ابو بكر رضى الله تعالى عنه وقال فديناك بآبائنا وامهاتنا فقال عمر انظروا لهذا الشيخ يقول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله تعالى خيره بين زهرة الدنيا وما عنده فاختار ما عنده فكان اعلمهم بكلامه صلى الله عليه وسلم واسر بذلك لفاطمة كما تقدم فى الحديث ابى بكر الصديق الى غير ذلك مما لا يحصى (و) اعلامه صلى الله عليه وسلم ب (ان قبره بالمدينة) كما رواه ابو نعيم عن معقل بن يسار بلفظ المدينة مهاجرى ومضجعى من الارض (و) ان قبره (فى بيته) فقبره صلى الله عليه وسلم فى مسكنه وكذا كان لكثير من الانبياء عليهم السلام اشارة الى انهم احياء عند ربهم يرزقون (فان بين بيته ومنبره روضة من رياض الجنة) كما سيأتى يعنى انها تنقل وتجعل روضة فى الجنة او ان العمل فيها موجب لصاحبه روضة من رياض الجنة وقال ابن ابى جمرة الاظهر ارادة المعنيين والجمع بينهما معا اذ لا مانع منه ومن لم يعرف هذا قال لا بد من تأويله باعتبار القرب من اقرب الخلق الى الله ومن قرب منه كالجالس فى رياض

الجنة لتنزل الرحمات وتلذذه بالمشاهدات كما يقال اللهم اجعل قبر فلان روضة من رياض الجنة (وتخيير الله له عند موته) اى لما قرب موته خيره الله بين البقاء فى الدنيا والرحيل للآخرة كما سمعته آنفا ورواه البيهقى فى دلائله وعن عائشة رضى الله تعالى عنها كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى صحته يقول لم يقبض نبى قط حتى يرى مقعده فى الجنة ويخير فلما اشتكى صلى الله تعالى عليه وسلم غشى عليه فلما افاق شخص بصره لسقف البيت وقال اللهم الرفيق الاعلى فقالت لا يختارنا وعرفت انه خير وفهمت ما فهم ابوها رضى الله تعالى عنهما وهو حديث صحيح رواه احمد فى مسنده وغيره وقد صرح به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال اوتيت مفاتيح خزائن الارض والخلد فيها ثم الجنة واخترت الى آخره مما يطول ذكره (وما اشتمل عليه حديث الوفاة) اى وفاته صلى الله تعالى عليه وسلم وهو حديث طويل رواه الشافعى والبيهقى فى سننه (من كراماته) التى اكرمه الله تعالى بها عند موته كسماع بكاء الملائكة وسماع صوت من السماء ينادى وامحمداه الحديث وقول جبريل له صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله يقرأك السلام ويقول لك وهو اعلم كيف تجدك الى غير ذلك (وتشريفه) بما مر وغيره (وصلاة الملائكة على جسده) وفى نسخة عليه وكان اقحام الجسد هنا لان الصلاة معناها الدعاء وروحه صلى الله تعالى عليه وسلم غير محتاجة لذلك اولنكتة اخرى قيل هى ان الصلاة على جسده وروحه مستمرة دائما لقوله تعالى *ان الله وملائكته يصلون* الآية (على ما روينا فى بعضها) اى بعض طرق حديث الوفاة وهو ما روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه انه لما جاهر صلى الله تعالى عليه وسلم يوم الثلاثا وضع على سريره فى بيته فصلت عليه الملائكة فوجا فوجا ثم الناس فوجا فوجا ثم نساؤه ثم النساء ثم الصبيان ولم يؤمهم احد وكان صلى الله تعالى عليه وسلم اوصى بذلك وذلك لعظم امره ولئلا يتنافسون فى الامامة والخلافة لان الخليفة يستحقها ومن زعم ان المراد بالصلاة مجرد الدعاء دون صلاة الجنازة لم يأت بشئ وكونه لم يؤمهم احد ذكره الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه فى الام وغيره وصححوه وحكمة ما ذكر ولم يدع له صلى الله تعالى عليه وسلم بدعاء الجنازة المشهور كما ذكره السهيلى بل قالوا انا نشهد انك بلغت الامانة ونصحت الامة الى آخر ما ذكره والحديث بطوله مذكور فى كثير من كتب الحديث تركناه لطوله (واستئذان ملك الموت عليه) اى طلبه الاذن منه فى قبض روحه الشريف ان اراد او تركه حيا (ولم يستأذن على غيره) نبيا او غيره (قبله) روى ان جبريل قال له صلى الله تعالى عليه وسلم ان ملك الموت بالباب يستأذن عليك ولم يستأذن على احد قبلك ولا بعدك فقال ائذن له فقال السلام عليك يا محمد ان ربى امرنى ان اطيعك فيما امرتنى به ان اقبض نفسك قبضتها

وان اتركها تركتها فقال اقبض ياملك الموت كما امرت فقال جبريل السلام عليك يارسول الله هذا آخر موطئ من الارض (وندائهم) اى نداء الملائكة لهم (الذى سمعوه) ولم يروا من ينادى (ان لا) اى بان لا الى آخره فان مصدرية ولا نافية (تنزعوا القميص عنه) اى قميصه الذى عليه لما ارادوا نزعه (عند غسله) بضم الغين ويجوز فتحها اشارة لما فى حديث ابى داود والبيهقى الصحيح عن عائشة رضى الله تعالى عنها انهم لما ارادوا غسله صلى الله تعالى عليه وسلم قالوا لا ندرى انجرده من ثيابه كما نجرد موتانا ام نغسله وعليه ثيابه واختلفوا فغشيهم النوم فاذا قائل من ناحية البيت لا يرونه غسلوه فى ثيابه فغسلوه وعليه قميصه يصبون الماء فوق القميص ويد لكونه بالقميص وهو من جملة حديث الوفاة وهذا تكريم له باجرائه على عادته فانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان لا يتجرد عند احد واشارة الى ان تغسيله ليس للاحتياج اليه وانما هو اجراء لسنته وكفن فى ثلاثة اثواب يمنية سحولية (وماروى من تعزية الخضر عليه الصلوة والسلام) كما رواه البيهقى فى دلائله يشير الى ماروى عن على كرم الله تعالى وجهه ورضى عنه انه قال لما توفى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سمعوا صوتا ولم يروا شخصا وهو يقول السلام عليكم اهل البيت ورحمة الله وبركاته كل نفس ذائقة الموت وانما توفون اجوركم يوم القيمة وان فى الله عز وجل لعزا من كل مصيبة وخلف من كل هالك ودركا من كل فائت فبالله فثقوا واياه فارجوا واعلموا ان المصاب من حرم الثواب والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته فكانوا يرون انه الخضر عليه السلام كما رواه البيهقى وابن ابى حاتم وقال فى مرآة الزمان ان المعزى هو جبريل لا الخضر ورواه العراقى فى تخريج احاديث الاحياء بلفظ ان فى الله خلفاء من كل احد ودركا لكل رغبة ونجاة من كل مخافة فالله فارجوا وبه فثقوا وسمعوا اخر بعده يقول ان فى الله عزا من كل مصيبة وعوضا من كل رغبة فاطيعوا وبامره فاعملوا فقال ابو بكر رضى الله عنه هذا الخضر واليسع ولم اجد فى رواية ذكر اليسع وانما ذكر الخضر فى التعزية فقد انكر النووى وجوده فى كتب الحديث وانما ذكره الاصحاب قلت بل رواه الحاكم فى المستدرك من حديث انس ولم يصححه ولا يصح ورواه ابن ابى الدنيا فى كتاب العزء قال لما قبض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اجتمع اصحابه حوله يبكون فدخل عليهم رجل طويل شعر المنكبين فى ازار ورداء فتخطى الصحابة حتى اخذ بعضادتى الباب وبكى ثم قال ان فى الله عزا من كل مصيبة وعوضا من كل من مات وخلفاء من كل هالك فالى الله فانيبوا واصرف الله البلاء فانظروا فان المصاب من حرم الثواب فقال ابو بكر لعل هذا الخضر اخو نبينا جاء يعزينا رواه الطبرانى فى الاوسط واسناده ضعيف جدا وابن ابى الدنيا عن على بسنده ايضا وذكره الشافعى فى الام من غير ذكر الخضر انتهى وانما قال الحاكم وغيره انه غير صحيح لحديث انه لا يبقى على وجه

الارض ممن هو عليها احد على رأس مائة سنة من تلك الليلة واراد به انخرام كل احد فيشمل الخضر وغيره يعنى به انكار وجوده وسئل عنه ابن حجر رحمه الله تعالى فقال سنده ضعيف ولو قدر ثبوته لم يخالف الحديث المذكور لانه يخص من عمومه ان صح ماينقل عن بعض الصالحين من اجتماعه بالخضر الا انا لم نجد خبرا صحيحا يقتضى انه صاحب موسى عليه الصلاة والسلام والعلم عند الله والحاصل انهم قد اختلفوا فى وجوده فالصوفية يثبتون وجوده وان منهم من رآه والمحدثون ينكرونه وبعضهم توقف فيه كابن حجر ومنهم شدد النكير على ان من اثبت حياته كصاحب مرآة الزمان حتى صنف فى ابطاله كتابا مستقلا سماه عجالة المنتظر فى شرح حال الخضر ولكننا لا ننكر ماقاله المشايخ واختلفوا فيه هل هو نبى او ملك او عبد صالح من اولياء الله تعالى اطال الله تعالى عمره وجعل مرجع الاولياء والاقطاب اليه وما مر من انه لم ير شخصه يقتضى انه ملك وقوله (والملائكة) بالجر عطف على الخضر يشير لما قلناه (اهل بيته) مفعول التعزية وهى الارشاد للصبر والتسلية عند المصيبة واعلم انه ليس الخلاف فى وجود الخضر صاحب موسى عليه الصلوة والسلام انما هو فى كونه عاش الى زمن النبوة والى الآن (الى ماظهر على اصحابه) صلى الله تعالى عليه وسلم والى هذه متعلقة بمقدر اى مضموما ما ذكر من اول الفصل الى هنا او منتهيا وهو كما يقوله المصنفون رحمه الله تعالى الى آخره اشارة الى انه ترك امورا كثيرة من جنس ماذكر والمراد بظهورها عليهم ان شرف صحبته صلى الله عليه وسلم اثر فيهم حتى ظهرت منهم امور تشابه ماظهر منه ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم اثر فيه حتى ظهر (من كراماته وبركاته) اى من مثل ذلك (فى حياته وموته) اى وبعد موته (كاستسقاء عمر) بن الخطاب رضى الله عنه (بعمه) العباس رضى الله عنه ابن عبد المطلب اى تقديمه فى دعاء الاستسقاء كما رواه البخارى وتفسير عمه صلى الله تعالى عليه وسلم بالعباس وان كان له اعمام كغيره لانه لم يعش بعده صلى الله تعالى عليه وسلم منهم غير العباس وقد صرح به فى الحديث واعمامه ابو طالب والزبير وعبد الكعبة وحمزة والقدم وحجل واسمه المغيرة والعوام وضرار والحارث وهو اكبرهم وقثم مات صغيرا وابو لهب واسمه عبد العزى والغيداق واسمه مصعب او نوفل فهم ثلاثة عشر ولم يسلم منهم غير حمزة والعباس وجعل بعضهم الغيداق وحجل واحدا فعدهم اثنى عشر وبعضهم عدهم سبعة وبعضهم عشر لاسقاط بعضهم جندب وكان عمر رضى الله تعالى عنه اذا وقع قحط استسقى بالعباس رضى الله تعالى عنه فوقع قحط شديد فى خلافته عام الرمادة سنة سبع عشرة فقال كعب يا امير المؤمنين ان بنى اسرائيل كانوا اذا حصل لهم مثل هذا استسقوا بعصبة الانبياء فقال عمر هذا عم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم صنو ابيه وسيد

بنى هاشم ثم صعد المنبر ومعه العباس وقال اللهم انانتقرب اليك نعم نبيك ونستشفع به آتيناك مستغفرين مستشفعين ثم اقبل على الناس وقال استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا الى قوله انهارا ثم قام العباس رضى الله تعالى عنه وعيناه تنضحان فقال اللهم عندك سحابا وعندك ماء فانشر السحاب ثم انزل الماء منه علينا فاشدد به الاصل وصل به الفرع وادر به الضرع اللهم انك لم تنزل بلاء الابذنب ولم يكشفه الابتوبة وقدتوجه القوم بى اليك فاسقنا اللهم الغيث وشفعنا فى انفسنا واهلينا وفيمن لا ينطق من بهائمنا وانعامنا اللهم اسقنا سقيا وادعا نافعا طبقا سحا عاما اللهم انالانرجوا الااياك ولاندعوا غيرك ولانرغب الااليك اللهم اليك نشكوجوع كل جايع وعرى كل عار وخوف كل خائف وضعف كل ضعيف اللهم انت الراعى لاتهمل الضالة ولاتدع الكسير بدار مضيعه فقد ضرع الصغير ورق الكبير وارتفعت الشكوى وانت تعلم السر واخفى اللهم واغثهم بغياثك قبل ان يقنطوا فيهلكوا فانه لاييئس من روح الله الا القوم الكافرون فلم يستتم دعاءه حتى نشأت سحابة فقال الناس ترون ترون ثم تلامت ومشت وانتشرت ثم درت وارخت عزاليها كافواه القرب فما يرجوا حتى علقوا الحد اوقلصوا المارز وطفق الناس يتمسحون بالعباس ويقولون هنيئالك ياساقى الحرمين وفى ذلك يقول حسان رضى الله تعالى عنه سأل الامام وقدتتابع جدبنا سقى الغمام بغرة العباس احيى الاله به البلاد فاصبحت مخضرة الارجاء بعد اليأس فى ابيات آخر (وتبرك غير واحد) اى كثير من الناس (بذريته صلى الله تعالى عليه وسلم) من السادة الاشراف نفعنا الله تعالى بهم ولهم فى ذلك حكايات كثيرة ليس هذا محلها وقد افرده السيد السمهودى شكر الله تعالى سعيه بتأليف مستقل نافع

فصل ﴿فصل﴾

فيه فذلكة هذا الباب (قال القاضى ابو الفضل قد آتينا) اى ذكرنا وجمعنا (فى هذا الباب) الرابع المذكور فيه معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم ودلائل نبوته واصل الاتيان المجئ بسهولة وقد يكون بمعنى المرور فيتعدى بعلى ولذا قال (على نكت من معجزات واضحة) الا انه تجوز به عماذكر من الجمع وعداه بتعديته الاصلية لانه من لوازم من يريد اخذ شئ وجمعه ان يأتى له حتى يصل اليه ويقال اتى على كذا اذا استوفاه واستوعبه والنكت جمع نكتة وهى الامر الدقيق الذى يحصل بفكر يقارنه نكت الارض بقضيب ونحوه كمامر والنكت بمثناة فوقية ومن نطق بها بالمثلثة فقد اخطأ فلاوجه لماذكره البرهان هنا (وجمل) جمع جملة وهى الامر المجمل من علامات نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم (مقنعة) اى كافية عن غيرها مستعار من القناعة وفى نسخة مغنية بالغين المعجمة والنون اى يستغنى بها عن غيرها وهو مجرور صفة جملة ويجوز نصبه على الحالية (فى واحد منها الكفاية) عن غيرها

كالقرآن اى فى الاقتصار عليه وضمير منها للنكت والجمل (والغنية) بالضم والسكون فى ثانيه اى الاستغناء عن غيره لانه يدل عليه دلالة قوية (وتركنا الكثير) منها (سوى ماذكرناه) اشارة الى ان ماذكره قليل بالنسبة لماتركه (واقتصرنا من الاحاديث الطوال) بكسر الطاء جمع طويل (على عين الغرض) عين الشئ المختار منه وهو المراد منه لاالحقيقة وان كان احد معانيها والغرض مايقصد منه وفائدته واصل معناه الهدف كمامر فنقل لماذكر (وفص المقصد) اى الامر المقصود والفص مثلث الفاء بمعنى الاصل يقال اتى بالامر من فصه اى من اصله قال الشاعر * ورب امرئ تزدريه العيون * ويأتيك بالامر من فصه * وفص الخاتم ما يزين به من الجواهر ويقال نقل الحديث بفصه اذا استوفاه وتظرف ابن نباته رحمه الله تعالى فى قوله

* حملت خاتما فيه فصا ازرقا * من كثرة الاثم اذالم احصه *

* لولاه ما علم الرقيب فباله * من خاتم نقل الحديث بفصه *

وقول الجوهرى العامة تقول الفص بالكسر ظاهره انه غير صحيح وقد نقل الثقاة كابن السيد وغيره تثليثه كماعلم والقصد بكسر الصاد وهو القياس وفتحها بعضهم والمراد به المقصود كمامر فهو مصدر ميمى تجوز فيه (و) اقتصرنا (من كثير الاحاديث وغريبها) هو بمعناه اللغوى اى مايعد مستغربا غير معهود او غير مشهور او المراد به مااصطلح عليه المحدثون وهو كماقال ابن الصلاح ماانفرد به بعض الرواة سواء انفرد بجمعه او بزيادة فيه كزيادة ثلاث فى حديث حبب الى من دنياكم ثلاث النساء والطيب وجعلت قرة عينى فى الصلاة التى تفرد بها ابن فورك وتبعه غيره كمامر وهو لاينافى الصحة اذا كان راويه ثقة وقد يكون ضعيفا واضافة كثير من اضافة الصفة للموصوف اى الاحاديث الكثيرة (على ماصح) نقله وروايته (واشتهر) بين المحدثين (الايسيرا) اى قليلا نورده وان لم يصح ويشتهر واليسير ماينسر وسهل وشاع استعماله بمعنى القليل لسهولته (من غريبه) اى غريب الحديث وانمااقتصر على المشهور الصحيح الشامل للحسن لان المعجزات الخارقة للعادة لاتخفى غالبا ثم اعتذر عن ايراده فى كتابه بقوله (بماذكره مشاهير الائمة) لانهم يعتمد على نقلهم لشهرة علمهم وفضلهم وان لم يره لغيرهم (وحذفنا) اى تركنا وعبر بالحذف وهو الترك بعد الذكر اما لتنزيل ذكر غيره منزلة ذكره اولجعله لكونه مهما وحقه ان يذكر بمنزلة المذكور والحذف اخص من الترك (الاسناد) اراد به السند تسمحا شايعا وهم رواه الحديث اوهو بمعناه الحقيقى (فى جمهورها) اى معظم الاحاديث والبرهان وقد يورد الحديث مسندا (طلبا للاختصار) وعدم التطويل وهو مفعول لاجله (وبحسب هذا الباب) المذكور فيه المعجزات وحسب بفتح فسكون بمعنى كافى اوكفاية وهو مبتدأ مجرور بالباء الزائدة وخبره ان يكون الاتى اى يكفيه فى شرفه والعلم بكثرة ماورد فيه عن ذكره واستقصائه وهو المعنى تعليل ثان لاختصاره الا ان العبارة لاتخلو من الحزازة (لوتقصى)

مبنى للمجهول بقاف وصاد مهملة اى استوفى و بلغ اقصاه ونهايته وضبطه
بعضهم بفاء بدل القاف وهوغير مناسب هنالان التفصى التخلص وهو غير مراد
وتفسيره بتتبع وخلص من مظانة تكلف لايخفى (ان يكون ديوانا) اى كتابا مستقلا
مدونا (جامعا) لما فى غيره وتقدم الكلام على الديوان وانه معرب بكسر الدال
وفتحها (يشتمل على مجلدات عدة) اى كتب من شانها ان تجلد متعددة وعدة بكسر
العين بمعنى معدودة (ومعجزات نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا اظهر من سائر
معجزات الرسل) عليهم الصلوة والسلام اى من بقيتها اوجميعها (بوجهين احدهما
كثرتها) وشهرتها لان الكثرة تستلزم الشهرة تنبيه قال التلمسانى مجلدات جمع
مجلدة وهى الكتب الكثيرة وهى عبارة فقهية مولدة ولاوجه له لان المجلد ماعليه
جلد كما فى القاموس وفى رسالة المجلد لابى العلا المعرى المجلد لايزال فيما غبر من الزمان
نقيض مجلد العرب من شام ويمان قال الراجز * هل انت كاسل المعتمل *
مجلد بكشف عن مخض الابل * انتهى فقد اثبت ذلك وناهيك به من امام فى اللغة
فان اراد تخصيصها بالكتب الضخمة وانها لم ترد فى كلام العرب فهو مجاز لايتوقف
على السماع والتجلد يكون بمعنى التصبر وتظرف بعض المتأخرين فى قوله
* ملكت كتابا اخلق الدهر جلده * وما احد فى دهره بمخلد *
* اذا عاينت كتبى القديمة جلده * يقولون لاتهلك اسى وتجلد *
(وانه لم يؤت نبى معجزة الا وعند نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم مثلها) اى من نوعها
مساوية لها اومقاربة فى الاعجاز (اوهو ابلغ منها) ابلغ ليس من البلاغة كما توهمه
من قال كالقرأن فانه ابلغ معجزة اوتيت فان معناها هنا اعظم واقوى وليس مقيدا
بالقرأن لان بلوغ الشئ وصوله لغايته ومنتهاه اوهو من المبالغة على خلاف القياس
وكثيرا مايقولونه بهذا المعنى والمعجزة هنا فى سياق النفى فتعم وتفيد الكثرة والخارق
للعادة اذا عظم من شانه الشهرة والظهور فلا يرد عليه انه كان ينبغى ان يقول اظهر
والا يلزم مما ذكره الظهور الذى ادعاه (وقد نبه الناس على ذلك) اى نبه
علماء الحديث والآثار وفصلوه فى كتبهم كابن المنير فى كتاب المقتفى (فان اردته)
اى اردت معرفته والوقوف على مابينوه (فتأمل فصول هذا الباب) اى اعد النظر
فيه فتأمل وتدبر معانيه (ومعجزات من تقدم من الانبياء) عليهم الصلاة والسلام
(تقف) مجزوم فى جواب الامر (على ذلك ان شاء الله تعالى) والوقوف
فى الاصل القيام تجوز وابه عن المعرفة وهو مجاز مشهور ثم ان بعض الشراح
ذكر هنا امورا شرفه الله بها لغيره من الانبياء لامساس لها بالمعجزات تركناها
ولم نطول بذكرها (واما كونها كثيرة فهذا القرأن كله معجز) وفى بعض
النسخ وكله معجز بالواو فالتقدير فهذا القرأن موجود معروف وجميع اجزائه معجزة

فناهيك به كثرة ثم شرع فى بيان المقدار الذى يقع به الاعجاز فقال (واقل مايقع
الاعجاز فيه عند بعض الائمة المحققين سورة انا اعطيناك الكوثر) وهى اقصر سورة
فى القرأن (اوآية بقدرها) اى مساوية لها فى الحروف والكلمات وسورة مرفوع
خبر اقل وفى نسخة بسورة بباء الجر (وذهب بعضهم الى ان كل آية منه كيف كانت)
طويلة بمقدار سورة ام لا (معجزة وزاد بعضهم) وفى نسخة آخرون اى ترقى عن
هذا المقدار الى (ان كل جملة منتظمة منه) اى مفيدة تامة (معجزة وان كانت من
كلمة اوكلمتين) فان قلت كيف تكون جملة منتظمة وهى كلمة قلت يكون فيها مقدر
كدها متان ونحوها فتأمل وليس هذا مبنى على ان اعجازه بالصرفة كما قيل (والحق
ما ذكرناه اولا) من ان المعجز اقصر سورة اومقدارها (لقوله تعالى فأتوا بسورة)
اى سورة كانت (من مثله) فى الاعجاز والضمير للقرأن اوللنبى صلى الله تعالى عليه
وسلم كما فى الكشاف وفيه كلام مشهور ودخل مقدار السورة فيه بدلالة النص
فلا يتوهم انه ليس فيه التعريض لادليل دليل على مدعاه (فهو) اى ماذكر (اقل
ماتحداهم) الله اوالرسول صلى الله تعالى عليه وسلم (به) اى طلب منهم معارضته
(مع ماينصر هذا) القول المذكور اولا اى يقويه ويؤيده (من نظر) اى فكر وتدبر
(وتحقيق بطول بسطه) ببيان الحق بالادلة والبراهين القائمة لمن تدبره ونظر
مافيه من مراعاة كل مقام ومااحتوى عليه من الجزالة واللطافة التى تحير العقول فقد
تحداهم اولا بجملته فقال فأتوا بكتاب من عند الله ثم تحداهم بعشر سور فقال فأتوا
بعشر سور مثله ثم تحداهم بسورة فسجل عجزهم بعد ارخاء عنان التكليف والحاصل
ان الكلام اللفظى الذى وقع التحدى به لا النفسى فانه لايتصور فيه ذلك على الصحيح
اختلفوا فى مقدار معجزه فذهب بعض المعتزلة الى انه بجميع القرأن ورد بالآيتين
المذكورتين وقال القاضى يتعلق بسورة طويلة اوقصيرة لظاهر الآية وقال فى موضع
بها او بمقدارها قالوا ولم يقم دليل على المعجز عن اقل من هذا القدر وقيل لايحصل العجز
الا بآيات كثيرة وقيل قليله وكثيره معجز لقوله فليأتوا بحديث مثله (فاذا كان هذا) اى
ثبت ان ماتحداهم به هذا المقدار الاقل (ففى القرأن من الكلمات نحو من سبعة وسبعين
الف كلمة ونيف) اى وزيادة على هذا المقدار من ناف بمعنى زاد وياؤه تخفف وتشدد
وكلما زاد على عقد حتى يبلغ مابعده فهو نيف (على عدد بعضهم) اى هذا مقداره
عند بعض دون غيره فانه كما قال الدانى رحمه الله سبعة وتسعون بالتاء الفوقية الفا
واربعمائة وتسع وثمانون كلمة وحروفه ثلاثمائة الف وثلاثة وعشرون الف وقيل
ثلاثمائة الف واحد وعشرون الف اوخمسمائة وثلاثة وثلاثون حرفا وقيل انه
الصواب لاما ذكره المصنف رحمه الله تعالى وهذا مع تصريحه بالنقل واتيانه
بلفظه غير وارد عند من انصف واهم فى عدده اختلاف قيل لان الكلمة والحرف

نهما اطلاقات وقول السخاوى لافائدة فى عدد حروفه لانه لايقبل زيادة ولانقصا لاوجه له غير الكسل (وعدد كلمات انا اعطيناك الكوثر عشر كلمات فتجزئ القرأن) بصيغة المصدر وفى نسخة فيتجزئ بالمضارع المجهول وآخره مهموز و يجوز ابداله الفا اى بان تعد عشر آيات عشرة اجزاء (على نسبة انا اعطيناك الكوثر) اى على مقدارها وانما زاد نسبة ليشمل آية واحدة بمقدارها كامر فالنسبة مجاز عن المقدار ومعناها الحقيقى لغة واصطلاحا مشهور (ازيد) بالرفع خبر تجزئ المصدر و بالنصب ان كان فعلا اى تجزيه ازيدا و يكون ازيد (من سبعة آلاف جزء كل واحد منها معجز فى نفسه) اى بقطع النظر عن غيره ففيه ازيد من سبع الف معجزة وهذا مبنى على ما تقدم من العدد (ثم اعجازه) اى القرأن (كما تقدم) من ذكر الاختلاف فى مقداره (بوجهين) الاول (بلاغته) اى ما فيه من مراعاة الوجوه التى بها يطابق اللفظ مقتضى الحال (و) الثانى (طريق نظمه) اى اسلوبه وكونه على نسق لايشبه غيره من الكلام نظما وسجعا ونثرا وتناسب كلماته وجمله وايتاء كل كلمة منه ما تستحقه وتنزيلها فى محل لايليق بها غيره كما يعرفه من ذاق طعم البلاغة فقاربه لايمله وان كرره كما لايخفى على من تأمله حق التأمل ونظر فيه بنور الايمان (فصار كل جزء من هذا العدد) المذكور آنفا (معجزتان) من جهة بلاغته ومن جهة نظمه (فتضاعف العدد) اى عدد معجزاته وهو ماض من التفاعل او مضارع من المفاعلة (من هذا الوجه) اى من هاتين الجهتين البلاغة والنظم فان قلنا كلماته معجزة صار فيه من المعجزات ما لايعد ولايحصى قال ابن عطية رحمه الله تعالى الصحيح الذى عليه الحذاق ان اعجازه بنظمه وصحة معانيه وتوالى فصاحة الفاظه لانه عز وجل احاط بكل شئ علما و بكل كلام فاتى فى كلامه بما لايحيط به علم غيره وقدرته و بهذا بطل القول بالصرفة (ثم فيه وجوه اعجاز آخر) غير ما ذكر من الطريقين (من الاخبار بعلوم الغيب) بيان لوجوه اى الامور الغيبية بما سبق او سيقع (فقد يكون فى السورة الواحدة من هذه التجزئة) اى الاجزاء المذكورة المضاعفة من جهتى الاعجاز (الخبر) اى الاخبار (عن اشياء من الغيب) اى الامور المغيبة عن علمنا (فكل خبر منها بنفسه معجز) اى باعتبار اخباره عن الغيب وقطع النظر عن غيره من وجوه الاعجاز (فتضاعف) بصيغة الماضى والمضارع كامر (العدد) المذكور اى العدد المضاعف لقوله (كرة اخرى) اى بعد مضاعفته السابقة وكرة بمعنى مرة واصل الكر الرجوع بعد الفر فهو ضد الفرار قال امرء القيس مكر مفر مقبل مدبر معا (ثم وجوه الاعجاز الاخر التى ذكرناها) وهى ذكر المغيبات (توجب التضعيف) والزيادة الى ما لايكاد يحصى كثرة (هذا فى حق القرأن) دون غيره من المعجزات التى تزيد على معجزات سائر الانبياء (فلا يكاد يأخذ العد معجزاته) وفى نسخة

العدد وهما بمعنى والمراد بالاخذ الاحاطة مجازا بليغا كقوله * لاتأخذه سنة ولانوم * اى لايغلبه ذلك اى لايحيط بها العدد لكثرتها وهو مبالغة ولذا قال لايكاد ولم يقل لايعد (ولايحوى الحصر) اى الاحاطة (براهينه) اى براهين اعجازه لان كل جزء فيه معجزة قاطعة البرهان واضحة البيان ولما فرغ من وجوه الاعجاز العقلية اردفها بالنقلية فقال (ثم الاحاديث) النبوية (الواردة) فى الروايات الصحيحة (والاخبار الصادرة عنه) عليه الصلوة والسلام (فى هذه الابواب) اى ابواب اعجاز القرأن والتحدى به او ابواب معجزاته عليه الصلوة والسلام كما يؤيده قوله (وعن مادل على امره) اى نبوته وعلو شانه (مما اشرنا) فيما سبق من هذا الكتاب (الى جملة) منه وفى نسخة الى جمل (يبلغ نحو) اى قريبا (من هذا) المقدار الكثير (الوجه الثانى) من وجهى ظهور معجزاته وشهرتها وانها اظهر من معجزات سائر الرسل قبله (وضوح معجزاته) اى شهرتها بحيث لايجهل وهذا عين ظهورها او مستلزم له والمراد به شدة ايضاحها بحيث لاتخفى على احد غير اعمى الفكر والنظر وانها لايرتاب فيها عاقل مع بقائها على ممر الدهور وازدياد شهرتها فى كل عصر كالشمس فى رابعة النهار وهذا مما يدل على اظهريتها دلالة ظاهرة لاعينها فسقط ما قيل ان المدعى ان معجزاته اظهر من غيرها والوضوح عين الظهور فهو مصادرة للاستدلال على الشئ بنفسه وحاصله الظهور بالكثرة فيرجع الى الوجه الذى قبله الا ان يقال المراد بقاؤها على وجه الدهر الى يوم القيامة فيكون المراد الزيادة فى الوضوح بهذا الاعتبار وان كان فيه الاخبار بمعجزات الرسل وفيه خلط وخبط لايخفى وقد اشار الى ما ذكره المصنف بتفسيره بقوله (فان معجزات الرسل كانت بقدر همم اهل زمانهم) اى همتهم فيما يهتمون به ويعتنون (وبحسب) بفتح الحاء والسين المهملتين وقيل انه بسكون السين وهو بمعنى المقدار (الفن) اى النوع (الذى سما) اى اشتهر وعلى مقداره بينهم لاعتنائهم به (فيه قرنه) بفتح القاف وسكون الراء اى عصره والمراد به اهله مجازا او بتقدير مضاف والقرن الزمن المقترن فيه اعمارهم واحوالهم واختلف فى مقداره هل هو مائة سنة او ثمانون او اقل كما تقدم ثم فصل هذا بقوله (فلما كان زمان موسى) كليم الله عليه الصلوة والسلام اى زمن بعثته ونبوته (غاية علم اهله) اى اهمه واعظمه عندهم (السحر) وهو معروف تقدم الكلام عليه (بعث اليهم معجزة تشبه ما يدعون قدرتهم عليه) ولبست منه للفرق بين السحر والمعجزة (فجاءهم) على يد موسى عليه الصلوة والسلام (منها ما خرق عادتهم) اى خالف ما يعتادونه و يسهل عليهم فعله واصل الخرق ابانة جسم من آخر فقيل لما ذكر كخرق الاجماع اى مخالفته وهو استعارة صار حقيقة عرفية وذلك كقلب العصا حية واليد البيضاء من غير سوء (ولم يكن) ما جاء به (فى قدرتهم)

اى لايقدرون عليه فيدخل فى جملة مقدراتهم (وقد ابطل سحرهم) بما عارضهم به وهى جملة حالية يشير الى ماقصه الله فى كتابه العزيز وفى نسخة وابطل بدون قد فهو معطوف على جاءهم (وكذلك) اى كزمن موسى عليه الصلاة والسلام (زمن عيسى) ابن مريم صلى الله تعالى عليه وسلم (اغنى ماكان الطب) اى اعظم ما كان فى عصره وعهد رسالته علمه والطب فى اللغة معناه العادة والسحر وفى العرف علم يعرف به احوال الانسان من حيث الصحة والسقم واغنى افعل تفضيل بغين معجمة ونون من الغناء وهو الفائدة وقيل انه بعين مهملة ومثناة تحتية اى اكثر مشقة وتعبا وقيل انه بغين معجمة ومثناة تحتية من الغاية وهو النهاية وهو بعيد ولم نره فى كلامهم لتفسيره بانهى والطب مثلث الطاء مشدد الباء (واوفر ما كان اهله) اى اهل الطب وعلماؤه اى اكثر ما كان فى زمنهم (فجاءهم) على يد عيسى عليه الصلوة والسلام (امر لايقدرون عليه) بواسطة علمهم بالطب فانهم لايقدرون على ازالة الامراض المزمنة والخلقية وقدرتهم فى الاكثر على حفظ الصحة وكم مرض اعيى الطبيب المداويا (واتاهم مالم يحتسبوه) اى مالم يخطر ببالهم وقدرة حسابهم ومالم يترقبوه وجعل امر وما فاعل ولم يقل اتاهم بامر وبما وهو الظاهر اشارة الى انه من عند الله من غير تصنع وحيلة وفى نسخة يحسبوه اى يظنوه ويقدروه قيل ويجوز فيه ضم الياء اى ينكرونه وهو بعيد لفظا لامعنى (من احياء الميت) بتخفيف الياء وتشديدها (وابرأ الاكمه) اى الذى ولد اعمى مطموس العين اى فتح عينه حتى يبصر (والابرص) وهو الذى فيه بياض يخالف لونه والخفيف منه يسمى بهقا (من دون معالجة) المعالجة المزاولة وعند الاطباء مداواة الامراض بعد تشخيصها (وطب) المراد به هنا المعنى المصدرى اى اعطاء الدواء وانما كان مداواة عيسى عليه الصلوة والسلام بالدعاء والتوجه الى الله تعالى وكان يجتمع عنده من المرضى العدد الكثير ومن لم يقدر على المجئ اى يذهب بنفسه اليه وكان اطباء عصره لايقدرون على ماذكر فلذا كان معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم (تنبيه) قال البخارى فى تفسير الاكمه الذى يبصر بالنهار ولايبصر بالليل انتهى وقال السهيلى انه قول فيه فلا يرد الاعتراض بانه معنى الاعشاء وانما الاكمه من ولد اعمى (وهكذا) اى مثل ماذكر (سائر معجزات الانبياء) فى انها كانت بمقدار علم اهل زمانهم وما يتمتعون به من الاحوال والعلوم (ثم ان الله تعالى بعث محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم وجملة معارف العرب) جمع معرفة بمعنى المعروف عندهم لاجمع معروف ضد المنكر المجهول كما قيل (وعلومها) اى مايعلمونه من الجزئيات والكليات (اربعة) انواع (البلاغة) اى الملكة والجبلة التى يعرفون بها تأدية الكلام حقه فى كل مقام من مقاماته نظما ونثرا وهم فرسان ميدانها (والشعر) الكلام الموزون المقفى (والخبر) عمن سلف وما لهم

من الوقايع والايام والانساب والمنازل (والكهانة) بفتح الكاف مصدر وبكسرها صناعته وحرفته وهى معانات علم المغيبات بتلقيها عن الجن كامر (فانزل عليه القرآن) اى انزل الله عليه صلى الله تعالى عليه وسلم ماينا سب قرنه واهل عصره اعنى القرآن اى كلامه الموحى اليه (الخارق) اى المخالف لهذه الاربعة فصول اى الانواع المذكورة وهى البلاغة ومامعها فهى جمع فصل وهو النوع المستقل المنفصل المتميز عن غيره (من الفصاحة) وهى خلوص الكلام عن الغرابة وغيرها مما يشينه من فصح بمعنى خلص ويشمل البلاغة والفرق بينهما اصطلاح طارئ فى علم المعانى ومعناهما عندهم غنى عن البيان لشهرته (والايجاز) اى اختصار الكلام اختصارا غير مخل ويقابله الاطناب والمساواة ولم يذكرهما لعلمهما بالمقابلة ولانهما الاكثر ونكات الايجاز اكثر واعظم فهو اهم عندهم (والبلاغة) وقيدها بقوله (الخارجة لهذه عن نمط كلامهم) اى كلام العرب لدخولها فى الفصاحة كامر والنمط بمعنى الجنس والطريقة اى لا يعرفون مثل بلاغته لخروجها عن جنس بلاغتهم ومايعهدونه فى مخاطباتهم ومحاوراتهم والنمط الجماعة من الناس امرهم واحد فاستعير لماذكر اى نوعه وطريقته (ومن النظم) اى تأليف الكلمات وتركيبها متناسبة كنظم الجواهر وعقدها وليس المراد الكلام المنظوم شعر (الغريب) اى الذى لم يعهده البلغاء فى كلامهم (والاسلوب) اى الطريق العجيب اى الذى يتعجب منه سامعه او يعجبه ويستحسنه (الذى لم يهتدوا) اى لم يصلوا ويقدروا (فى المنظوم) اى المؤلف من كلامهم (الى طريقه) فضلا عن الاهتداء اليه نفسه حتى يعارضوه وينسجوا على منواله الذى هو نسيج وحده (ولاعلموا فى اساليب الكلام) مطلقا او المنثور من خطبهم واسجاعهم (والاوزان) الشعرية الموزونة على بحوره (منهجه) اى طريقه (ومن الاخبار) بكسر الهمزة ويجوز فتحها جمع خبر (عن الكوائن) اى عما سيكون فى المستقبل من المغيبات جمع كائن وهو معطوف على قوله من النظم واعاد من لانه نوع آخر من الاعجاز واطول الفصل بينهما كقوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا (والحوادث) اى مايحدث فى المستقبل ايضا (والاسرار) اى ما اسروه فى انفسهم كقوله تعالى فى قصة ازواجه صلى الله تعالى عليه وسلم واظهره الله عليه (والمخبات) اى ما اخفوه عنه فاطلعه الله عليه (والضمائر) اى ما اضمروه فى انفسهم كقصة مسجد الضرار ثم فسر ذلك بقوله (فتوجد) تلك الامور المخبر عنها وما اسر واخفى عنه (على ما كانت عليه) ذاتا وصفة مطابقة لما قاله (ويعترف) ويقر (المخبر) بفتح الباء اسم مفعول اى من اخبره الرسول بما اطلعه الله عليه (عنها بصحة ذلك) الخبر الذى اخبره به (وصدقه) بمطابقته للواقع (وان كان) المخبر بالفتح (اعداء العدو) اى اقوى اعدائه واشدهم

عداوة له صلى الله تعالى عليه وسلم فاعداء افعل تفضيل من العداوة مسموع على
خلاف القياس والعد و بمعنى الاعداء لانه يطلق على الواحد وغيره كقوله تعالى
من قوم عدو لكم اى مع شدة عداوته لايمكنه انكاره هر بامن وصمة التكذيب لظهور
صدقه (فابطل) القرأن او النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (الكهانة) بفتح الكاف
مصدر و بكسرها صناعته وحرفته كما مر والرواية هنا الكسر لانه الانسب (التى
تصدق مرة وتكذب عشرا) صفة الكهانة اى التى كذبها اكثر من صدقها
كما ورد فى الحديث انه تعالى كان اذا قضى امرا فى السماء سبحت حملة العرش ثم اهل كل
سماء حتى ينتهى الى السماء الدنيا فتستخبر اهل كل سماء من قولهم حتى ينتهى الخبر
الى اهل هذه السماء فتحفظه منهم الجن و يزيدون فيه من عندهم مايزيدون من
اكاذيبهم و بما فسرناه ظهر سقوط ماقيل صوابه مائة بدل قوله عشرا لانه ورد
فى الحديث تكذب مائة او اكثر مائة او اكثر من مائة (ثم اجتثها) بجيم ومثناة فوقية ومثلثة
والضمير للكهانة اى قطعها بعد ابطالها وعطف بثم لانه ابلغ مما قبله وابعد رتبة
واصل معناه نزع الشجر ونحوه بعروقه واصوله كقوله اجتثت من فوق الارض
مالها من قرار ففيه استعارة مرشحة بقوله (من اصلها) وان كان المراد به ازالتها
بالكلية (برمى الشهب) بضم الهاء وسكونها جمع شهاب اى رمى الشياطين بشهب
تمنعهم من استراق السمع لما تلقى الكهنة والمراد زيادة الرمى وكثرته فانه كان قبل
كما مر وفى نسخة رجم بدل رمى (ورصد النجوم) رصد بسكون الصاد المهملة مصدر
رصده يرصده اذا ترقبه واعد له ما يمنعه ويجوز فتحها و يكون واحدا اوجمعا
لراصد كخدم فهو من اضافة الصفة لموصوفها اى النجوم المرصدة اى المعدة
لمنعهم من السمع وذلك لان الشهب نجوم اوشعل نار تنفصل منها وارتضاه كثيرون
فرصدها لانها مبدأ لما يمنعهم (وجاء) فى القرأن (من الاخبار عن القرون) والامم
(السالفة) اى الماضية قديما (وانباء) جمع نبأ وهو الخبر (الانبياء والامم البايدة) اى
الهالكة الفانية فى الزمن السابق يقال باد يبيد اذا هلك وفى الحديث الجنة لاتبيد ابدا
اى لاتهلك ولايموت اهلها (والحوادث) اى الامور الواقعة من خير وشر فى الازمان
السالفة (الماضية) قبل ذلك (مايعجز من تفرغ لهذا العلم) اى العلم بالاخبار وتواريخ
الامم (عن بعضه) اى عن معرفة بعض منه فضلا عن جميعه واما فاعل جاء ومن
فاعل يعجز (على الوجوه التى بسطناها) اى جاء مبينا على وجوه تقدمت مفصلة (و بينا
المعجز فيها) اى اوضحنا المعجزات فيها بما اغنى عن اعادته (ثم بقيت هذه المعجزة) اى
القرأن وفى نسخة المعجزات باعتبار وجوه اعجازه (الجامعة لهذه الوجوه) اى وجوه
الاعجاز المذكورة آنفا (المضمومة الى الفصول الاخر) يعنى الاربعة المتقدمة (التى
ذكرنا فى معجزات القرأن ثابتة الى يوم القيمة) لاتبدل ولاتغير ولاتذهب ابقاها الله

(بينة الحجة) اى ظاهرة الدلالة على رسالته صلى الله تعالى عليه وسلم (لكل امة تأتى)
بعد نزول القرأن جيلا بعد جيل وعصرا بعد عصر (لايخفى وجوه ذلك) الاعجاز
الذى ذكر اولا (على من نظر فيه) اى من نظر فى القرأن بتلاوته اوسماعه (وتأمل
وجوه اعجازه) اى اطال النظر فيها وكرره وهو من الامل تفعل تجوز به عما ذكر
لترقب الامل وامتداده (الى ما اخبر به من الغيوب) اى مع ما اخبر به من المغيبات
(على هذا السبيل) والطريق المذكور (فلايمر عصر وزمن) او يجىء كالمار على
اهله ولبس المراد به ينقضى لقوله (الا و يظهر فيه صدقه) اى صدق القرأن او النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم (بظهور مخبره) بفتح الباء اى ما اخبر به او اخبره (على ما
اخبر) اى كائنا متحققا على وفق خبره او باقيا على حاله فى وجوه اعجازه السابقة
اى اخبر فهو مبنى للفاعل (فيتجدد الايمان) به كل ماظهر امر جديد مصدق له
بوقوع مافيه (و يتظاهر البرهان) اى يقوى الدليل و يزيد قوة واصل التظاهر
المعاونة والمساعدة كانه يستند لظهوره (ولبس الخبر كالعيان) وهو بكسر العين
المعاونة والمشاهدة ولاتفتح فيه العين وهو مثل ورد فى الحديث الصحيح لبس الخبر
كالمعاينة لان الخبر يحتمل الصدق والكذب بقطع النظر عن قائله فاذا شوهد معناه
بان المراد وطمأن الفؤاد ولذا قال ابراهيم ولكن ليطمئن قلبى (كما قيل) ولكن
للعيان لطيف معنى * له سأل المعاينة الكليم * (وللمشاهدة) بحس البصر (زيادة
فى اليقين) الذى كان بالبرهان القاطع (والنفس اشد طمانينة) الطمانينة والاطمئنان
السكون بعد الانزعاج (الى عين اليقين) اى الى مايتيقن بالمعاينة والمشاهدة (منها)
اى من طمانينتها (الى علم اليقين) اى العلم المتيقن بالبرهان القاطع فالنفس مفضل
ومفضل عليه باعتبار حالتين (وان كان كل) من عين اليقين وعلم اليقين (عندها)
اى عند النفس وفى علمها فان عند تكون بمعنى العلم كما فسر عند الله تعالى بعلمه تارة
وحكمه اخرى (حقا) اى متحققا ثابتا بلا مرية لكن الاول اقوى و فيه اشارة الى
الفرق بين عين اليقين وعلم اليقين وحق اليقين وفيه كلام فصلناه فى غير هذا
المحل والاول ضرورى وغيره نظرى (وسائر معجزات الرسل) قدم وفصلناه فى
شرح الدرة ان لفظ سائر ورد بمعنى الثانى من السؤر المهموز و بمعنى الجميع من السير
المعتل وان من انكر الثانى كالحريرى وغيره لم يصب (انقرضت بانقراضهم) اى
انقطعت وذهبت معهم بسبب ذهابهم (وعدمت) بعد وجودها وعدم مبنى
للمجهول لانه يقال عدمه كعلمه بمعنى اعدمه وعدم بزنة كرم (بعدم) بفتحتين او بضم
فسكون (ذواتها) اى الرسل وفى نسخة ذواتهم جمع ذات بمعنى نفس وفى ثبوتها
فى اللغة كلام تقدم و يأتى والمعروف انه بمعنى صاحبة مؤنث ذو والمشهور فى العربية
اى تلك المعجزات تقدم فتنقرض وان علم ثبوتها لكونها امر غير مؤبد ومعنى عدم ذوات

الانبياء ذهابها من الدنيا وعن الحس وان كانت باقية فى البرزخ احياء لايموتون كما فى حديث الاسراء والاجتماع بالانبياء (ومعجزة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم) يعنى القرأن (لاتبيد) اى لاتفني وتعدم (ولاتنقطع) اى تذهب بالكلية (وآياته) اى معجزاته صلى الله عليه وسلم التى تضمنها القرأن (تتجدد ولاتضمحل) بالضاد المعجمة والميم والحاء المهملة واللام المشددة اى لاتخل وتفني كما تضمحل السحاب اذا انقشع (ولهذا) المذكور من بقاء معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم (اشار صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله) فى حديث صحيح رواه البخارى رحمه الله تعالى والاشارة هنا بمعنى التصريح اوعبر به لانه غير صريح فيما ذكر لان الوحى الآتى اعم من القرأن فيحتمل ان المراد به احكام شرعيته الباقية الى يوم القيمة والظاهر ان المشار اليه مامر من ان القرأن فيه معجزات لاتحصى وليس بصريح الحديث كما سنبينه (فيما حدثنا به القاضى لشهيد ابو على) بن سكرة وقد قدمنا ترجمته (قال حدثنا القاضى ابو الوليد) تقدم ايضا (قال حدثنا ابو ذر) الهروى وقد تقدم (قال حدثنا ابو محمد) بن حموية السرخسى وقد تقدم (وابو اسحق) المستملى كما تقدم (وابو الهيثم) الكشميهنى كما تقدم (قالوا حدثنا الفربرى) راوى صحيح البخارى وقد تقدم ضبط نسبته (قال حدثنا البخارى) صاحب الصحيح المشهور (قال حدثنا عبد العزيز بن عبد الله) العامرى الاوسى الفقيه الحافظ الثقة وترجمته فى الميزان (قال حدثنا الليث) تقدمت ترجمته (عن سعيد) المعروف بالمقبرى (عن ابيه) كيسان ابو سعيد المقبرى نسبة للمقبرة لانه كان يتولى حفرها وهو مولى بنى ليث روى عنه اصحاب الكتب الستة وتوفى سنة مائة فى خلافة الوليد وهو ثقة (عن ابى هريرة) رضى الله تعالى عنه عبد الرحمن بن صخر وفى اسمه اختلاف كثير لشهرته بكنيته كما مر (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) فى حديث صحيح رواه البخارى ومسلم والنسائى وماذكره المصنف رحمه الله تعالى لفظ البخارى (قال ما من الانبياء) تقديره ما من نبى من الانبياء (الا اعطى) بالبناء للمجهول اى الا اعطاه الله تعالى (من الآيات) اى المعجزات الظاهرة (ما مثله) ما موصولة او موصوفة (امن) بالمد ماض اى صدق (عليه البشر) على تعليلية كما فى قوله تعالى * على ما هداكم * او تقديره مستقرا عليه البشر يعنى اهل عصره (وانما كان الذى اوتيت) من الآيات والمعجزات (وحيا اوحاه الله تعالى عز وجل الى) يعنى القرأن المعجز المتحدى به ثم رتب عليه قوله (فارجو) من الله تعالى بما اكرمنى به من المعجزة الشاملة على معجزات لاتتناهى الباقية الى يوم القيامة التى ليست كمعجزة غيرى تنقرض بانقراضهم فيؤمن بها فى كل امة ما لايحصى فلذا رجوت (ان اكون) دونهم (اكثرهم تابعا) اى امة (يوم القيمة) اذا حشرت الامم مع انبياءهم (هذا معنى) هذا (الحديث) عند بعضهم ممن فسره وبين المراد منه ففيه اشارة الى كثرة ما فيه من المعجزات وانه باق على وجه الدهر الى يوم القيمة لايقبل نسخا ولاتبديلا ولايبلى كغيره من الكتب والمعجزات ومثله

المتقدم المراد به نفسه كما فى قولهم مثلك لايبخل وعليه للتعليل كما مر وعبر بها لما فيها من الدلالة على الاستعلاء بالقهر والغلبة الملزم لهم بالايمان به وقال انما مع كثرة ماله من المعجزات اشارة الى انه اعظم معجزاته والعرب قد تحصر الشئ فى فرد كامل منه بادعاء ان ماعداه لايعد معه لكفايته عن غيره وقد حقق الله تعالى رجاءه صلى الله تعالى عليه وسلم (وهو الظاهر) من معنى الحديث (والصحيح ان شاء الله) وقد تقدم الكلام على هذا الحديث مستوفى ثم اشار الى ان فيه وجوها آخر بقوله (وذهب غير واحد) اى كثير (من العلماء) اى علماء الحديث (فى تأويل هذا الحديث) اى تفسيره وبيان مايؤل اليه وعبر بالتأويل اشارة الى انه خلاف الظاهر بعد ماصرح به (وظهور معجزة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم) اى فى بيان وجه ظهورها (الى معنى آخر) غير ما ارتضاه (من ظهورها) اى بيان ظهورها (بكونها) اى هذه المعجزة الباهرة (وحيا) اى كلاما موحى اليه من الله فقوله (وكلاما) عطف تفسير لان الوحى يحتمل المعنى المصدرى ثم بين وجه الظهور على هذا فقال (لايمكن) لاحد ممن ينكره (التخيل فيه) تفعيل من الخيال بالخاء المعجمة وفى نسخة التخييل بالتفعيل منه والاولى انسب بقوله (ولا التحيل عليه) بالحاء المهملة لانه كلام بليغ دال على معناه وماقصد به دلالته لايمكن الواقف عليه ان يقول انه تخييل وتمويه لا اصل له ولا ان يعمل حيلة فى الاتيان بمثله كما فعل سحرة موسى عليه الصلوة والسلام بحبالهم اذ جعلوها تتحرك كعصاه (والتشبيه) به (فان غيرها) اى غير المعجزة القرآنية (من معجزات الرسل كلها (قد رام) اى قصد وطلب (المعاندون) اى المنكرون (لها) عنادا (باشياء) متعلق برام (طمعوا) اى توهموا لجعل كالمتوهم لقربه منه معنى (فى التخييل) والتمويه (بها) باظهار مالاحقيقة له (على الضعفاء) المراد بهم العامة الذين ضعف عقلهم عن الفرق بين السحر والمعجزة لعدم تمييزهم (كالقاء السحرة) عند فرعون جمع ساحر (حبالهم وعصيهم) جمع حبل وعصا لابطال معجزة عصى موسى بالاتيان بمثلها فلما ابتلعت عصى موسى ما القوه وابطلته علموا انها معجزة فامنوا به واختاروا القتل على اتباع فرعون ولم يغن كيده شيئا (وشبه هذا) المذكور فى قصة موسى (مما يخيله) بالمعجمة اى يلبس به ويموه (الساحر او يتحيل فيه) بالحاء المهملة اى يأتى به حيلة منه غير واقعة ثم اشار الى ان معجزة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم لاتقبل ماذكر بقوله (والقرأن كلام) من جنس الكلام البالغ غاية البلاغة ومثله (ليس للحيلة) ممن لايقدر عليه (ولا للسحر فى التخييل فيه) بان يعمل بقوة السحر مايؤثر فى شخص لابلاغة له حتى يتكلم بكلام بليغ خطبة اوشعرا (عمل) اى تأثير كما عرفته آنفا فان ساحر الواتى عاميا لاقدرة له على كلام حسن ثم سحره بجميع انواع سحره لايمكنه ان يقوم فى ناد منشدا او خطيبا فانه امر جبلى لايمكن ايجاده لغير خالق القوى والقدر فتجد الجلف الاعرابى يتكلم بكلام

عند اعقل الناس واظرفهم لايمكنه ان يأتى بشئ منه و بهذا علم ان الكلام لايكون بحيلة ولا سحر فمابالك بكلام افحم جميع الفصحاء واخرس السنة البلغاء وهو المراد بقوله (فكان) القرأن من حيث كونه كلاما (من هذا الوجه) اى من الجهة المذكورة بقطع النظر عن غيرها من جهات الاعجاز (عندهم) اى عند المفسرين لهذا الحديث بماذكرثانيا (اظهرمن غيره من المعجزات) لعدم قبول التخييل والتمويه (كالايتم) اى يحصل و يتيسر وعبر بالتمام لانه يتحقق به الامر ولذا قيل الاعمال بخواتمها اى باواخرها (لشاعر) يتكلم بالمنظوم (ولاخطيب) يتكلم بالمنثور (ان يكون شاعرا اوخطيبا بضرب) اى بشئ ونوع (من الحيل) جمع حيلة (والتمويه) اى التخييل والتلبيس وهومأخوذ من قولهم موه النحاس بذهب اوفضة لتوهم من رأه انه ذهب او فضة وهو فى الاصل من الماء يذاب فيصير كالماء ثم يطلى به وتقول العامة لمذابه ماء الذهب وماء الفضة وصيغة فعل يكون للتشبيه كثيرفانكاراهل المعانى لقوله انف مسرج بمعنى كالسراج فى البريق واللمعان لاوجه له كمامر (والتأويل) اى التفسير (الاول) الذى قال انه الظاهر الصحيح (اخلص) افعل تفضيل من خلص بخاء معجمة ولام وصاد مهملة اى اصفامن الكدراى الاشكال قال فى المغرب الخلوص الصفاو يستعار للموصول انتهى وهوبمعنى اجود اومن الخلاص بمعنى النجاة والسلامة (وارضى) افعل تفضيل من الرضى اى اكثررضى وقبول عند العقول السليمة (وفى هذا التأويل الثانى) الذى ذهب اليه غيره من علماء الحديث (مايغمض) بالبناء للمجهول وتشديد الميم قبل ضاد معجمة من تغميض الجفن وهو غطاء العين ومعنى يغمض (عليه الجفن) انه يغض عنه البصر والنظر فلا يلتفت اليه و يعتنى به اوهو كالقذاء فى العين الذى يمنع انفتاح الاجفان وهو كناية عن انه غيرسالم من الاعتراض (ويغضى) بغين وضاد معجمتين والف مبنى للمجهول لاجل قافية السجع من اغضى الجفن اذا اطبقه او بمعنى سكت وهوقريب مماقبله قيل جعله مرجوحا لما فيه من ايهام ان معجزات الانبياء عليهم السلام يمكن معارضتها ولو بطريق التخييل والحيلة وفيه وجوه اخر (وجه ثالث) فى اعجاز القرأن وانه اعظم معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم (على مذهب من قال بالصرفة) على ان اعجازه بصرف الله قدرتهم وتمكنهم من معارضته مع انهم بحسب الجبلة قادرون على الاتيان بمثله لولاماذكر واليه ذهب النظام وكثيرمن المعتزلة والشريف المرتضى من الشيعة (وان المعارضة) له والاتيان بمثله (كانت فى قدرة البشر فصرفوا عنها) امابسلب قدرتهم ودواعيهم او بسلب علمهم بتأليف كلام مثله وتمكنهم منه (او على احد مذهبى اهل السنة من ان الاتيان بمثله من جنس مقدورهم على الاتيان بكلام من جنسه) اى مماهوفى قدرتهم متمكنون منه (ولكن لم يكن ذلك قبل) بالبناء على الضم اى قبل ظهوره (ولايكون بعد) بالضم وقيل

المراد قبل التحدى و بعده (لان الله لم يقدرهم) بسكون القاف وفتحها وتشديد الدال وتخفيفها اى لم يجعل فيهم القدرة على الاتيان بمثله قبله لانهم لم يسمعوا كلاما مثله (ولايقدرهم عليه) بعده ولما كان هذا المذهب قريبا مماقبله اشار الى الفرق بينهما بقوله (وبين المذهبين) اى مذهب الصرفة والمذهب المذكور بعده (فرق بين) بالتشديد واضح ظاهر لتمكنهم على الاول من الاتيان بمثله لكن صرفوا عنه ولعدم تمكنهم منه على الثانى مع انه من جنس مقدورهم ومثله فى الجملة وليس هذا نوع من الصرفة وذهب اليه بعض اهل السنة كما توهم وهو عجيب من قائله فتدبر (وعليهما جميعا) اى على هذين القولين (فترك العرب) الفصحاء على المذهب الاول (الاتيان بمافى مقدورهم) اى قدرتهم على الاتيان بماهو من مثله اومثل بعضه كاقصرسورة منه (او) تركهم على الثانى (ماهومن جنس مقدورهم) اى من جنس كلامهم البليغ الذى يقدرون عليه (ورضاهم) اى اختيارهم (بالبلاء) اى بماابتلوا به لعنادهم (والجلاء) بفتح الجيم واللام والمد بوزن البلاء وهواخراجهم من ديارهم واوطانهم (والسباء) بكسر السين المهملة والموحدة والمد وهوسبى اولادهم واهلهم واسترقاقهم (والاذلال) لانفسهم واهليهم (وتغيير الحال) التى كانوا عليها من العزة والشهامة (وسلب النوس) بالقتل والفتك فيهم (والاموال) باخذ الغنائم منهم (والتقريع) باللوم والزجر والتغيير (والتوبيخ) بذمهم وتقبيح ماهم عليه من الجهل (والتعجيز) باظهار عجزهم بالتحدى (والتهديد) لهم بانذارهم بعذاب الدنيا والآخرة (والوعيد) بمايقع بهم ان لم يؤمنوا (ابين آية) اى اظهر علامة وهو خبر قوله فترك العرب (للعجز عن الاتيان بمثله) اى بمثل القرأن فى فصاحته واعجازه (والنكول) وهو النكوص اى الرجوع والاعراض (عن معارضته) اى الاتيان بمثله (وانهم منعوا من شئ هومن جنس مقدورهم) اى كلامهم الذى يقدرون عليه لا من نوعه المشابه له من جميع الوجوه (والى هذا) المذهب وهوانهم قادرون على شئ من جنسه عاجزون عن مثله لابالصرفة الصرفة وهذاهو الفرق بين القولين (ذهب) اى اختاره مذهبا (الامام ابو المعالى الجوينى) منسوب الى جوين بزنة المصغر اسم بلدة وهو امام اهل السنة عربا وعجما فردا لامة عبد الملك بن عبدالله بن يوسف النيسابورى الشافعى امام الحرمين اعلم ائمة الشافعية هو و والده ولد فى ثامن عشر المحرم سنة تسع عشرة واربعمائة وتوفى سنة ثمان وسبعين واربعمائة فى الخامس والعشرين من ربيع الآخر (وغيره) من اهل السنة (قال) ابو المعالى (وهذا) الاعجاز (عندنا ابلغ) اى اقوى واكثر مبالغة (فى خرق العادة بالافعال البديعة) اى المبتدعة الغريبة (فى انفسها) اى فى حد ذاتها وهو متعلق بالبديعة وفى نسخة فى انفسنا وهو متعلق بابلغ (كقلب العصا حية) لموسى عليه الصلوة والسلام وكانت من شجر اللوز وفيها معجزات كانت

تمر له وتضئ وينتفع بها الى غير ذلك مما فصلوه (ونحوها) كاليد البيضاء وابراء الابرص والاكمه واحياء الموتى (فانه) اى الامر والشان او كونه ابلغ (قد يسبق الى مال الناظر) فيها وفكره وخاطره (بدارا) اى مبادرا بسرعة فى اول نظره (ان ذلك) الامر البديع الخارق للعادة نشأ (من اختصاص صاحب ذلك) الامر الذى ظهر على يديه (بمزية معرفة) اى بزيادة معرفة امتاز بها عمن لم يقدر عليها (فى ذلك الفن) اى النوع الذى كان يعتنى به اهل زمانه (وفضل علم) به واحواله (الى ان يرد ذلك) الخاطر الذى سبق لفهمه (صحيح النظر) بالتأمل والتدبر فيه حتى يعلم اعجازه ثم بين ابلغيته وقوته بقوله (واما التحدى) اى طلب معارضة الكلام وتقدم انه مشتق من الحد التقابل الحداة فى حداتهم للابل (للخلايق) جمع خليقة بمعنى خلق (مئين) بكسر الميم جمع مائة (من السنين) فى عصر النبوة و بعده الى غير النهاية (بكلام من جنس كلامهم) المقدورلهم (ليأتوا بمثله) علة للتحدى (فلم يأتوا) اى لم يقدروا على مثله وهم فحول البلاغة وقد ونجواوعيروا على رؤس الاشهاد (ولم يبق بعد توفر الدواعى) اى كثرة مايدعوهم لمعارضته و يحثهم عليها من الحمية الجاهلية (على المعارضة ثم عدمها) اى المعارضة مع كثرة دواعيها (الا ان منع الله الخلق عنها) بالصرفة او بعدم القدرة على نوعه دون جنسه فيصدق على المذهبين وفى نسخة الا منع الله الخ (بمثابة) اى هذا المنع بمنزلة واصل المثابة المكان الذى يرجع الناس اليه او يكتسبون فيه الثواب ثم شاع فيما ذكر كما اشار اليه الراغب وقيل اصله مبلغ جموم البئر والحجارة حولها ثم نقل لما ذكر وقد اصطلح الفقهاء على استعماله للتشبيه كما قيل فالمراد انه نحو (ما لو قال آيتى ومعجزتى ان يمنع الله القيام على الناس مع مقدرتهم عليه وارتفاع الزمانة عنهم) بان لا يكونوا مقعدين وهو بيان لقدرتهم على القيام والمقدرة بضم الدال وفتحها كما تقدم (فلو كان ذلك) اى عدم قيامهم (وعجزهم) بتشديد الجيم اى جعلهم الله عاجزين عنه (لكان ذلك من ابهر اية) اى اقوى معجزة (واظهر دلالة) على نبوته (وبالله التوفيق) فيه اشارة الى ان فيه توفيقا بين القولين لاتفاقهم من وجه واختلافهم من آخر (وقد غاب عن بعض العلماء) اى خفى عليهم لان من شان الغائب ان يخفى فاريد به لازمه (ظهور آيته صلى الله تعالى عليه وسلم) ولتضمينه معنى العلو قال (على سائر آيات الانبياء) الذين سلفوا قبله (حتى احتاج للعذر عن ذلك) اى عن كون معجزته اظهر من معجزات غيره مع ان احياء الموتى ونحوه من آيات الانبياء قد يتوهم انه اقوى واظهر (بدقة افهام العرب) اصل معنى الدقة كون الشئ دقيقا ثم استعير للوقوف على ماخفى من الامور (وذكاء البابها) جمع لب وهو العقل الخالص والذكاء قوة للذهن تقتضى سرعة الانتقال (ووفور عقولها) الوفور من الوفرة وهى الكثرة والزيادة والعقول جمع عقل وهو

القوة المدركة يعنى ان هذا من شان هذا الجنس ولا يضره تفاوتهم بحسب الاشخاص فيما ذكر كما توهم مع انه لا يرد على المصنف رحمه الله تعالى لانه حكاه عن غيره (وانهم) لما خصوا به من الذكاء والفطنة (ادركوا المعجزة فيه) اى فى القرآن لما علموه من خواص تراكيبه وجزالة معانيه وحسن نظمه واتساقه (بفطنتهم) اى قوة ذكائهم (وجاءهم من ذلك) اى حصل فى نفوسهم من معرفة اعجازه وظهوره على غيره (بحسب ادراكهم) بفتح السين اى حصل منه على مقدار ادراكهم وقوته (وغيرهم) من الامم (من القبط وغيرهم) القبط بكسر القاف جيل من الناس كانوا قوم فرعون بمصر (وبنى اسرائيل) اى اولاد يعقوب ابن ابراهيم واسرائيل لقب يعقوب (لم يكونوا بهذه السبيل) اصل معناه الطريق وهو هنا كناية عن عدم ذكائهم وفهمهم كالعرب ونفى سبيل الشئ ابلغ من نفيه (بل كانوا من الغباوة وقلة الفطنة) الغباوة عدم الفهم والبلادة وعطف قلة الفطنة عليه عطف تفسير ورجل غبى جاهل قال ليس الغبى بسيد فى قومه * لكن سيد قومه المتغابى (بحيث جوز عليهم فرعون انه ربهم) حيث ظرف مكان وهو خبر كان اى بلغت غباوتهم ان فرعون قال لهم انا ربكم الاعلى فسلموا له ذلك وهذا بالنسبة للقبط (وجوز عليهم السامرى) وهو رجل من بنى اسرائيل يسمى موسى بن ظفر وهو منسوب لرجل اسمه سامر (ذلك فى العجل) اى انه ربهم فعبدوه والعجل الصغير من البقر (بعد ايمانهم) بالله تعالى فاضلهم السامرى وكان من اهل كرمان من قوم تسمى السامرة يعبدون البقر وكان منافقا يظهر الاسلام فلما مضى موسى عليه الصلاة والسلام صاغ لهم عجلا من الحلى وزينه بالجواهر وقذف فيه ترابا من اثر فرس ركبه جبريل عليه السلام فكان يتحرك فقال لهم هذا الهكم واله موسى وان موسى اخطأ الطريق اليه فجاءكم يكلمكم كما كلمه فاتبعوه لسخافة عقولهم كما فصله المفسرون وغيرهم (وعبدوا) اى بنو اسرائيل (المسيح عيسى بن مريم (مع اجتماعهم على صلبه) واذا كان ربا كيف يصلب مع انه اعتقاد باطل (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم) اى القى شبهه على رجل اسرائيلى فظن اليهود انه عيسى عليه السلام فصلبوه وهذا جهل عظيم منهم (فجاءهم من الايات الظاهرة البينة للابصار) اى لعدم دقة افهامهم كانت آياتهم فى غاية الظهور تدرك بالبصر (بقدر غلظ افهامهم مالا يشكون فيه) فاعل جاء وعدم شكهم لظهور ماجاءهم (ومع هذا) الظهور (فقالوا لموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة) اى معاينة بابصارنا لشكهم فيما اتاهم به وتفصيله فى التفاسير غنى عن البيان (ولم يصبروا) اى بنو اسرائيل (على المن) وهو طل كالعسل ينزل على الاشجار فيجمع و يؤكل (والسلوى) وهو طائر كالسمانى واحده سلواه وكانوا لما خرجوا من التيه قالوا لموسى عليه الصلوة والسلام اخرجتنا من العمران للفقر فادع الله ان يرزقنا فرزقهم المن ثم سألوه ان يطعمهم من اللحوم فاتاهم بالسلوى فكانوا يأخذونها بايديهم ثم قالوا

لن نصبر على طعام واحد (واستبدلوا الذى هو ادنى) اى طلبوا بدلا ادنى مما عندهم وهو الفوم والعدس والبصل (بالذى هو خير) وهو المن والسلوى والباء داخلة على المتروك وفيها تفصيل افرد بالتأليف (والعرب على جاهليتها) اى على حالها التى كانت عليه قبل الاسلام من الجهل وانها امة امية والجاهلية مصدر بمعنى الجهل وعلى بمعنى مع وقيل انها مستعارة لتمكنهم فى الجهل كقوله على هدى من ربهم (اكثرها يعترف بالصانع) اى بوجوده تعالى وليست معطلة لبعض الامم واطلاق الصانع على الله تعالى صحيح ثبت فى السنة كما ذكره السيوطى رحمه الله تعالى وليس مما احدثوه وفى قوله اكثرها اشارة الى ان معهم فرقة دهرية قالوا ما يهلكنا الا الدهر وفرقة عبدوا الملائكة وفرقة عبدت الكواكب (وانما كانت) عبدة الاصنام منهم (تتقرب بالاصنام الى الله تعالى زلفى) ولا تدعى انها خالقة رازقة وزلفى مقصور بمعنى الخطوة من ازدلف بمعنى دنى وهو مصدر كازلفة مؤكد لتتقرب من غير لفظه (ومنهم من آمن بالله وحده من قبل) بعثة (الرسول) صلى الله تعالى عليه وسلم فى الجاهلية كابى نفيل وقس بن ساعدة وامية بن ابى الصلت (بدليل عقله وصفاء لبه) الذى هداه الى معرفة الله تعالى وتوحيده للنظر فى مصنوعاته * وفى كل شئ له اية * تدل على انه الواحد (ولما جاءهم الرسول) صلى الله تعالى عليه وسلم اى بعثه الله تعالى ليهديهم الى الله تعالى (بكتاب الله تعالى) المنزل عليه (فهموا حكمته) اى ما فيه من الحكم والعلوم النافعة (وتبينوا الفضل ادراكهم) وزيادة عقلهم (لاول وهلة) اى فى اول نظرة بالبديهة منهم يقال لقيته اول وهلة بسكون الهاء وفتحها اى اول شئ ولام لاول توقيتية اى عند اول وهلة (معجزته) يعنى القرآن (فآمنوا) به (وازدادوا كل يوم ايمانا) وتصديقا بنبوته ومعجزته والايمان بمعنى التصديق يقبل الزيادة قوة وضعفا عند المحققين وان لم نقل ان الاعمال داخلة فيه كما تقرر فى علم الكلام (ورفضوا) اى تركوا (الدنيا كلها فى صحبته) اى لاختيار صحبته على كل شئ (وهجروا ديارهم واموالهم) طلبا لرضاء الله تعالى ورضاه صلى الله عليه وسلم (وقتلوا آباءهم وابناءهم) المعاندين له لاجل نصرته واعزاز دينه (فى نصرته) فى هنا تعليلية (وانى) هذا القائل الذى غاب عنه ما تقدم (فى معنى هذا) وزعم ان ظهور آيته لما قاله (بما يلوح له رونق) اى يظهر له لفظ حسن (ويعجب منه زبرج) بكسر الزاى المعجمة وسكون الباء الموحدة وكسر الراء المهملة وجيم وهى الزينة والوشى الذى هو كالطلاق وفيه اشارة الى عدم قبوله لضعفه ولذا قال (لو احتج اليه وحقق) اى بينت حقيقته (لكنا قدمنا من بيان معجزات نبينا) صلى الله عليه وسلم (وظهورها) من غير حاجة لما ذكره من ذكاء العرب وفهمهم (ما يغنى عن ركوب بطون هذه المسالك) اى ادعاء مثل هذه الامور الخفية (وظهورها) اى ما يظهر منها قبل تدقيق النظر والتدبر (وبالله استعين) والحمد لله وحده وصلى الله تعالى

على من لا نبى بعده وعلى آله وصحبه وسلم

القسم الثانى

فيما يجب على الانام من حقوقه عليه الصلوة والسلام) الوجوب الشرعى ما يلزم شرعا وهو ظاهر والانام الخلق والناس والحقوق جمع حق وهو ما يستحقه عليه الصلوة والسلام (وهذا قسم) من الاقسام الاربعة التى ذكرها المصنف رحمه الله تعالى (لخصنا الكلام فيه) اى اختصرناه من غيره من الكتب وبيناه وسهلناه (فى اربعة ابواب على ما ذكرناه اول الكتاب) فى اجمال ما اشتمل عليه وفهرسته (ومجموعها) اى محصلها واجمالها من قولهم جمل الحساب والضمير للابواب الاربعة (فى وجوب تصديقه) عليه السلام فى كل ما جاء به عن ربه ويدخل فيه الايمان بانه رسول والايمان بسائر الرسل والكتب المنزلة وقدمه لانه الاصل فلا حاجة لما قيل من انه خصه لان المقصود من تصنيف الكتاب ولانه اشرفهم وخاتمهم (واتباعه) صلى الله تعالى عليه وسلم اى الاقتداء به فيما ليس من خواصه وهو مجرور معطوف على تصديقه اى بان يجب اتباعه فى وجوب الواجب وسنية المسنون واباحة المباح وتحريم المحرم وقيل ينبغى تقييده بالواجب لا المسنون (وطاعته) بامتثال اوامره واجتناب نواهيه والطاعة كما قاله الراغب الانقياد ويضادها الكره قال الله تعالى ائتيا طوعا او كرها واكثر ما يقال لما امر انتهى فلذا عطفها على الاتباع فانه قد يكون كرها فمن قال فى الفرق ان المطيع مسلوب الاختيار مع المطاع وفى الصحاح فلان مطيع لك اى منقاد لم يصب فى مدعاه واستدلاله (ومحبته) بان يكون صلى الله تعالى عليه وسلم احب اليه من نفسه واهله وماله والمحبة الميل النفسانى وهى معروفة (ومناصحته) له وهى لغة الخلوص وشرعا ارادة الخير للمنصوح وسيأتى وعبر بالمناصحة دون نصحه لانها ابلغ ولان الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم نصح الامة وبالغ فى نصحهم (وتوقيره) اى تعظيمه والتأدب معه بما هو لايق به صلى الله تعالى عليه وسلم (وبره) صلى الله تعالى عليه وسلم ببذل ما فى وسعه له من المال وغيره من امور الدنيا فما قيل من انه تكرار ينبغى تركه لانه للطاعة لا وجه له (وحكم الصلاة عليه والسلام) من الوجوب ومحله (وزيارة قبره) اى وحكم زيارة قبره (عليه الصلوة والسلام) وعبر بالحكم فيهما لان وجوب ما قبلهما مستر دونهما وتعبيره به لانه فى بيته صلى الله عليه وسلم وهذا حكمة دفنه فيه دون المقابر

الباب الاول

تقدم وجه تقديمه (فى فرض الايمان به) صلى الله تعالى عليه وسلم عبر فيما سبق بوجوب تصديقه وهنا بفرض الايمان تفننا واشارة الى ان الفرض والواجب بمعنى عنده هنا وان المراد بالتصديق الايمان لا معناه اللغوى والحنفية تقدم انهم فرقوا بين الفرض والواجب بان الفرض ما ثبت بدليل قطعى بخلاف الواجب فان الفرض لغة القطع وخالفهم فيه غيرهم كما بين فى الاصول (ووجوب طاعته) اتى بوجوب هنا لما ذكرناه والاشارة

الى انه فيما سبق معطوف على تصديقه لاعلى وجوب فلاوجه لماقيل انه لاحاجة
اليه وانه ينبغي تقديمه (واتباع سنته) اى طريقته التى سنها صلى الله تعالى عليه وسلم
وشرعها فهو بالمعنى اللغوى فيدخل فيه السنن الاصطلاحية وغيرها وهومقابل
لقوله اولااتباعه ولم يعدفى لانه غيرمغاير لماقبله لان اتباع سنته طاعة له فلايقال انه
ينبغي ذلك (اذا تقرر) وثبت (بماقدمناه) فى هذا الكتاب (ثبوت نبوته) بالوحى اليه
(وصحة رسالته) لجميع الخلق وآخرها لانها اخص وعبر بالصحة تفننا ولان من
الكفرة من ادعى عدم صحتها كاليهود المنكرين للنسخ و بعض من غيرهم ادعى
عدم عموم رسالته (وجب الايمان به وتصديقه فى) جميع (ما اتى به) واخبرنا
به ومنه الايمان بالله ورسله وكتبه وغيرها ان لم نقل ان الايمان بالله واجب عقلا مقدما
على ماعداه لئلايلزم الدوركما ارتضاه بعض الماتريدية وخالف فيه بعض الاشعرية
كما حقق فى كتب الكلام وقيل الايمان بالله تعالى مقدم على الايمان بالرسل والايمان
بالرسل متوقف على ثبوت الرسالة كما قاله ثم من آمن به وجب عليه طاعته بامتثال ماجاء به
من الشرايع انتهى وفيه نظر (قال الله تعالى فامنوا بالله ورسوله) محمد صلى الله تعالى
عليه وسلم (والنور الذى انزلنا) يعنى ما اوحى به اليه صلى الله تعالى عليه وسلم من
الشريعة وهذاهوالمناسب لماقبله وقيل المراد به القرآن اذ هو باعجازه ظاهر بنفسه
مظهرلغيره ببديع بيانه فاطلاق النور عليه استعارة كماذكراولانه يهتدى به والامر
للوجوب والاستدلال بالآية ظاهر (وقال الله تعالى انا ارسلناك شاهدا) على من
صدق وكذب لثياب اويعاقب (ومبشرا) لمن آمن بسعادة الدارين وحذف
المبشربه تفخيما لتذهب نفس السامع كل مذهب كما فى قوله تعالى (ونذيرا)
اى منذرا ومخوفا لمن عصاك (لتؤمنوا بالله ورسوله) الخطاب فى انا ارسلناك له
صلى الله تعالى عليه وسلم ولام لتؤمنوا لام كى وقيل انها تحتمل ان تكون لام امر وهو
بعيد وقرئ لتؤمنوا بالغيبة وهى ظاهرة لانه خطابه صلى الله عليه وسلم خطاب
لامته وفيه كلام بيناه فى حاشية القاضى والاستدلال بالآية على التعليل لان الانذار
يقتضى وجوب اتباعه على انه فى غنية عنه بماقبله و بعده من قوله (وقال الله تعالى
فامنوا بالله ورسوله النبى الامى) الآية اى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم
تهتدون وقدتكرر الامربه فى القرآن فى آيات كثيرة (فالايمان بالنبى) محمد (صلى الله
عليه وسلم واجب) لامر الله به مرارا (متعين) اى فرض عين لافرض كفاية فيجب
الاعتراف به باللسان ان قدر والتصديق بالجنان فلابد منهما شرعا (اذلايتم) ويصح
(ايمان) لاحد بالله (لابه) اى الابالايمان برسوله عليه السلام و بكل ماجاء به (ولايصح
اسلام الامعه) اى الامع الايمان بالله والايمان بالرسول بعينه وليس هذا مبنى على تغاير
الايمان والاسلام على قول بل هوتأكيد لماقبله لتغايرهما بحسب المفهوم وان اتحدا
بحسب الماصدق فانه لايكون مؤمن الاوهومسلم ولامسلم الاوهو مؤمن لقوله تعالى

فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين فماوجدنا فيها غيربيت من المسلمين (قال الله
تعالى ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا) وفى الآية نص على
ان الايمان المعتدبه انمايكون بالجمع بين الايمان بالله وبرسوله فينتفى بانتفاء احدهما
لتفريع قوله فانا اعتدنا الخ عليه (حدثنا ابومحمد الخشنى بقراءتى عليه) وهوحديث
صحيح رواه مسلم والبخارى والخشنى بضم الخاء والشين المعجمتين ونون وياء نسبة
تقدمت ترجمته (قال حدثنا الامام ابوعلى الطبرى) تقدمت ترجمته (قال حدثنا
عبد الغافرالفارسى) تقدمت ترجمته (قال حدثنا ابن عمرويه) الجلودى وقد تقدم
وان عمرويه بفتح العين وسكون الميم وفتح الراء وضمها وان مثله صيغة تصغير عند
اهل البصرة مولدة (قال حدثنا ابن سفيان) ابراهيم بن محمدبن سفيان راوى مسلم
(قال حدثنا ابوالحسين) هوالامام مسلم القشيرى صاحب الصحيح المشهور (قال حدثنا
امية بن بسطام) بكسر الباء الموحدة وفتحها وفيه الصرف وعدمه توفى سنة احدى
وثلاثين ومائة امام جليل اخرج له الشيخان والنسائى (قال حدثنا يزيدبن زريع)
بزنة مصغر الزرع الامام الحافظ ابومعاوية البصرى كما تقدم (قال حدثنا روح)
بفتح الراء المهملة وواو ساكنة وحاء مهملة وهوابن القاسم التميمى البصرى الامام
الثقة مات سنة نيف وخمسين ومائة (عن العلاء) بفتح العين المهملة والمد (بن عبد
الرحمن بن يعقوب) عالم المدينة وهوابوشبل مولى الحرقة اخرج له مسلم واصحاب
السنن (عن ابيه) عبد الرحمن (عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه عن رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم قال امرت) ببناء المجهول اى امرنى الله اذلا آمر له
صلى الله تعالى عليه وسلم سواه (ان اقاتل الناس) اى بان اقاتلهم ومحله بعد حذف
الجارنصب اوجر وهوعام للناس كلهم خص منه من ضربت عليه الجزية (حتى
يشهدوا ان لااله الاالله) غاية لقتالهم ينتهى به ويتخصص بالغاية (ويؤمنوابى)
اى بكونى نبيا رسولا ويؤمنوا (بما جئت به) من الله واوحاه اليه من شريعته التى امر
بتبليغها وتكليفهم بها (فاذافعلوا ذلك) المذكور من الشهادة والتصديق لماجاء به
والتزام احكام شريعته (عصموا) اى صانوا وحفظوا (منى دماءهم) بعدم المقاتلة
لهم (واموالهم) فلا تؤخذ بالغنائم ولابسبب من الاسباب (الابحقها) اى ان
تستحق اباحة دمائهم بقتل نفس ظلما ونحوه اويستحق اموالهم بمنع زكاة اوثبوت
حق عليهم (وحسابهم على الله) اى امرهم بعد ماذكر موكول الى الله تعالى
اذاحاسبهم على مااسروه فى انفسهم ومالم نقف عليه من الكفروالمعاصى فيثيب من
يشاء ويعاقب من يشاء والمنافق لايقبل الا اذاظهرمنه مايقتضى كفره ومثله الزنديق
واختلفوا فى قبول توبته فقيل يقبل مطلقا وقيل قبل الاخذ وقيل لايقبل مطلقا
وتوبته ان خلصت نفعته فى الآخرة وقيل ان تاب مرة قبلت وان تكررت لاوقيل

لاتقبل ان دعى لزندقته وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم و يؤمنوابى اشارة الى ان اهل الكتاب لايمنع قتالهم بمجرد الشهادة بان لااله الا الله ودخل قتال البغاة ومانعى الزكاة وتاركى الصلاة فى قوله الابحقها وفى الحديث دليل على ان الايمان يكفى فيه الاقرار بماذكر فيه وانه لايشترط فيه معرفة الادلة الاصولية كماقاله النووى رحمه الله تعالى وليس مبنيا على قبول ايمان المقلد كماتوهم (قال القاضى ابو الفضل) عياض المؤلف رضى الله تعالى عنه (والايمان به صلى الله تعالى عليه وسلم هو تصديق نبوته) اى التصديق بها (ورسالة الله له) اى ارساله والاضافة اختصاصية لابمعنى الباء كما توهم وان كان المعنى عليها (وتصديقه فى جميع ماجاء به) عن الله بالوحى بانواعه (وماقاله) اى فى جميع اقواله لانه صلى الله تعالى عليه وسلم معصوم لايصدر عنه مايخالف الواقع لاسيما ماامر به بتبليغه (ومطابقة) اى موافقة (تصديق القلب) اى اعتقاده والجزم به واصل المطابقة وضع شئ على شئ هوطبقه وقوله (بذلك) اى بالتصديق بالنبوة والرسالة وماجاء به (شهادة اللسان) بنطقه واعترافه (بانه رسول الله فاذا اجتمع التصديق به صلى الله تعالى عليه وسلم بالقلب والنطق بالشهادة بذلك) المذكور من رسالته وماجاء به (باللسان تم الايمان) الحقيقى المنجى فى الدنيا والآخرة (والتصديق له) اى كيفيته ولفظه (كماورد فى هذا الحديث) الذى رواه المصنف رحمه الله تعالى عن ابى هريرة (نفسه) بالجر تأكيد للحديث (من رواية عبدالله بن عمر رضى الله تعالى عنهما امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لااله الا الله وان محمدا رسول الله) وهذه رواية مسلم عن ابن عمرو فيها و يقيموا الصلاة و يؤتوا الزكاة فاذا فعلوا الى آخره وقوله تم الايمان اى تحقق وصح وليس مراده انه اذا وجد احدهما كتصديق القلب كان ايمانا ناقصا كماسنفصله والنطق بالشهادة مع انه لابد منه اختلف فيه هل هو شطر اوشرط والاعمال ليست داخلة فيه عند المحققين وفيه كلام مفصل فى كتب الاصول وشروح الصحيحين يضيق المقام عنه (وقد زاده وضوحا) اى زاد صلى الله تعالى عليه وسلم ماذكر بيانا (فى حديث جبريل) عليه الصلوة والسلام الذى رواه الشيخان كما تقدم (اذ قال) له جبريل لماجاءه صلى الله تعالى عليه وسلم فى صورة انسان (اخبرنى عن الاسلام) اى حقيقته ومعناه شرعا وهو فى اللغة الانقياد والطاعة كماعلم وقيل السؤال عن شرائطه وشروطه (فقال) صلى الله تعالى عليه وسلم (ان تشهد ان لااله الا الله) ان مخففة من الثقيلة وتشهد بمعنى تعلم بان يقول اشهد الى آخره وقد اختلف هل يشترط فيه لفظ الشهادة او يكفى مايؤدى معناه والصحيح عندنا الثانى معاشر الحنفية ولو بغير لفظ العربية لمن لايقدر عليه (وان محمدا رسول الله) ارسله لجميع خلقه (وذكر اركان الاسلام) يعنى قوله و يقيموا الصلوة بالنصب

عطف على تشهد وجوز بعضهم رفعه استئنافا نظرا الى انه يكفى فى اجراء احكام الاسلام الشهادتان وكذا مابعده وجوابه انه بيان لاكله واقامة الصلاة اداؤها وتؤتى الزكوة وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا قال صدقت فعجبنا له كيف يسأله و يصدقه (ثم سأله) صلى الله تعالى عليه وسلم (عن الايمان) اى عما يجب التصديق به شرعا (فقال) مجيبا له (ان تؤمن بالله) اى تصدق بوجوده وانه واحد فى ذاته وصفاته وافعاله ولاشريك له فى ذلك وليس هذا تعريفا للشئ بنفسه لالانه يكون متعديا بنفسه ومعناه ان يأمن التكذيب ومتعديا بالباء لتضمنه معنى الاعتراف وقد يتعدى باللام لتضمنه معنى القبول والاذعان والمعروف هو الاول وماوقع فى التعريف هو الثانى بل لان الاول معلوم والمسؤل عنه بيان متعلقاته التى يجب الايمان بها اجمالا وعلم من الحديث تغاير مفهوم الاسلام والايمان فان الاسلام كمامر لغة الاستسلام والانقياد وهو جزء من مفهوم الايمان الذى هو التصديق بالقلب واللسان وقيل انهما مترادفان والاظهر انهما متلازمان لاينفك احدهما عن الآخر وقيل بينهما عموم وخصوص مطلق وان الاسلام يتناول التصديق واصله الطاعات كمافصل فى علم الكلام (وملائكته) جمع ملك من الالوكة وهى الرسالة واصل مالك ثم قلب وجمع وخفف مفرده وتاؤه لتأنيث الجمع اوالمبالغة وتقدم الكلام على ذلك فى الخطبة وانهم اجساد نورانية سالمة من الكدورات الجسمانية قابلة للتشكل والايمان بهم ان تؤمن بانهم عبادالله معصومون لايفعلون غير مايؤمرون لايعلم عدتهم الا الله (وكتبه) التى هى كلامه تعالى المنزل على رسله الازلى فيصدق بحقيقتها وحقيقة ما تضمنته (ورسله) جمع رسول وهو من اوحى اليه بشرع وكتاب وامره بتبليغه عباده (الحديث) بالنصب اى اذكره اواقرأه واعرف ذلك الى آخره وهو واليوم الآخر والقدر خيره وشره واقتصر المصنف رحمه الله تعالى على المقصود منه (فقد قرر) اى بين صلى الله تعالى عليه وسلم فى هذا الحديث (ان الايمان به) اى بالله او بماذكر فى الحديث (محتاج الى العقد) اى الاعتقاد الجازم (بالجنان) بفتح الجيم وهو القلب سمى به لاستتاره اواستتار مافيه من جنه اذاستره (والاسلام به) اى بالله او بماذكر (مضطر) اى محتاج اليه ضرورة لانه لايظهر الانقياد بدونه ولذا غاير بينهما (الى النطق باللسان) ليعلم مافى قلبه (وهذه الحالة) اى اعتقاد الجنان والنطق باللسان (هى المحمودة) عند الله والناس (التامة) بناء على انه اسم لفعل القلب واللسان كماذهب اليه بعض الاشعرية ووصفها بالتام اشارة الى ان عقد الجنان كاف وان لم ينطق به والنطق شرط لاجراء احكام الاسلام عليه فى الدنيا كالصلوة عليه ودفنه فى مقابرنا فمن آمن بقلبه ولم يعلم به احد نفعه ايمانه الاعلى وجه الاباء (واما الحالة المذمومة) لضررها فى الآخرة (فالشهادة باللسان) اى الاقرار

والتلفظ بالشهادة به (دون تصديق القلب) بالاعتقاد الجازم (وهذا هو النفاق) الذى يسمى صاحبه منافقا وهو من يظهر الايمان ويخفى الكفر وهو لغة اظهار خلاف مايضمر من نافقاء اليربوع وهو مايخفيه من ابواب جحره ليخرج منه اذا احس بصايده كما قال ويستخرج اليربوع من نافقائه (قال الله تعالى اذا جاءك المنافقون) الخطاب له صلى الله تعالى عليه وسلم (قالوا نشهد انك لرسول الله) فاقروا بشهادة مواطئة لقلوبهم بزعمهم فرد عليهم علام الغيوب بقوله (والله يعلم انك لرسوله) وهو توطئة لقوله (والله يشهد ان المنافقين لكاذبون فى قولهم ذلك) اى قولهم انك لرسول الله عن اعتقاد وتصميم لان سياقه مؤكدا بهذه التأكيدات يقتضى انه ناش (عن اعتقادهم) الجازم (وتصديقهم) القلبى او اللسانى (وهم لايعتقدونه) جملة حالية اى والحال انهم ليسوا معتقدين لذلك كما اخبر الله تعالى به (فلما لم يصدق ذلك القول (ضمائرهم) اى ما اضمروه فى قلوبهم او قلبهم لان الضمير يطلق عليه (لم ينفعهم ان يقولوا) اى قولهم لم يفدهم فى الآخرة لانهم فى الدرك الاسفل من النار (بالسنتهم ما ليس فى قلوبهم) لاعتقادهم خلافه فهو كذب غير مطابق للواقع وليس هذا مبنيا على ان الكذب ما خالف الاعتقاد كما حققه اهل المعانى وهذه الآية نزلت فى ابن ابى بن سلول رأس المنافقين واصحابه وقصته مشهورة فى كتب الحديث فلا نطول بها (فخرجوا عن اسم الايمان) اى عن ان يسموا بما اشتق منه فيقال لهم مؤمنين فى الدنيا عند من عرفهم (ولم يكن لهم فى الاخرة حكمه) وهو دخول الجنة فهم فى الدرك الاسفل من النار مع الكفار كما يأتى وقوله فى الاخرة اشارة الى انهم يجرى عليهم فى الدنيا حكمه نظرا لظاهر حالهم كما بينه بقوله (اذ لم يكن معهم ايمان) فى الآخرة لانكشاف حالهم وافتضاحهم فيها وقال معهم ولم يقل اذ لم يكونوا مؤمنين ايماء الى ان ايمانهم لم يكن فى قلوبهم فكانه كان رفيقا لهم لتلفظهم به فاذا ماتوا فارقهم وبطل حكمه (ولحقوا بالكافرين فى الدرك الاسفل من النار) الدرك بفتح الراء وسكونها ماينزل به لاسفل ضد الدرج يعنى انهم فى قعر جهنم وآخر طبقة منها وهى سبع طبقات ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم الجحيم ثم الهاوية ويطلق اسم كل طبقة منها على الجميع ايضا بالاشتراك اللفظى والمعنوى (وبقى) جار (عليهم حكم الاسلام) فى الدنيا فيعاملون معاملة المسلمين فيما لهم وعليهم (باظهار شهادة اللسان) اى بسببه لانا نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر والمراد بحكم الاسلام كل ما كان داخلا (فى احكام الدنيا) اى مايحكم به لهم وعليهم من احكام الشرع (المتعلقة بالائمة) اى السلاطين والخلفاء لا العلماء لانهم ليسوا مأمورين باجرائها (وحكام المسلمين) كالقضاة وغيرهم من النواب وهذا حكم من لم يظهر لنا حاله منهم فان من ظهر حاله يكون كافرا فلا وجه لايراده نقضا هنا كما توهم ولذا لم يصل النبى صلى الله عليه وسلم على ابن ابى ابن سلول وان كنا نصلى عليهم

وانما لم يقتله لمصلحة اشار اليها فى الحديث الآتى بقوله لئلا يتحدث الناس بان محمدا يقتل اصحابه فكان هذا من خصائصه فى ابتداء الاسلام ثم انتهى بانتهاء سببه ولذا رفع عمر رضى الله تعالى عنه حكم المؤلفة قلوبهم وهذا من عطف العام على الخاص ثم زادهم بيانا بقوله (الذين احكامهم) جارية ومبنية (على الظواهر) من احوال الناس كلهم (بما اظهروه من علامة الاسلام) اى ان احكام الدنيا جارية عليهم بسبب اظهار الاسلام بانقيادهم له والتزامهم احكامه ظاهرا وان لم يعتقدوها بقلوبهم وفى نسخة علامات وزادها اشارة الى انهم ليسوا مسلمين حقيقة وانما عليهم علامته (اذ لم يجعل) بيناء المجهول اى لم يجعل الله (للبشر) اى الناس كلهم (سبيل) اى طريق (الى السرائر) جمع سريرة وهى ما فى القلب مما لم يطلع عليه فلم يكلفهم بمعرفته واجراء حكمه (ولاامروا) الضمير للبشر باعتبار المعنى (بالبحث) اى التفحص والتفتيش (عنها) اى عن السرائر ثم ترقى فقال (بل نهى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عن التحكم عليها) اى الحكم على السرائر وعبر بالتحكم لما فيه من التكلف اولانه ليس بحكم كما يقال تحلم الرجل لمن لاحلم له (فقال) صلى الله تعالى عليه وسلم لاسامة بن زيد فى حديث صحيح رواه البخارى لمن اضطر بعض الكفار فاسلم فقتله اسامة لاعتقاده ان اسلامه بلسانه خوفا من القتل فقال له اقتلته بعد ان اسلم (هلا شققت عن قلبه) وهلا اداة تحضيض اذا دخلت على المستقبل افادت الامر واذا دخلت على الماضى افادت الانكار والتوبيخ وشق متعد بنفسه وعداه بعن لتضمينه معنى التفتيش اى شققت قلبه لتفتش عما فيه من الاعتقاد وتعلم اقال ماقاله خوفا ام لا وهو كناية عن استحالة الوقوف عليه لانه بشقه لايدرى مافيه والذم فيه ظاهر لما فيه من التوبيخ على ما لايليق به وكان عليه ان يختبره حتى يعلم هل هو مخلص ام لا لكن لما رأه لم يسلم حتى رفع السيف لقتله فظنه ايمان يأس لايفيده كحال الغرغرة فهو متأول لامتعمد للخطأ فى قتله والحديث كما فى الصحيحين عنه بعثنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى الحرقة من جهينة فهزمناهم ولحقت انا ورجل من الانصار رجلا منهم فلما غشيناه قال لا اله الا الله فكف عنه الانصارى وطعنته برمحى حتى قتلته فلما قدمنا بلغ ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال لى يا اسامة اقتلته بعد ماقال لا اله الا الله قلت يارسول الله انما كان متعوذا فقال اقتلته بعد ماقال لا اله الا الله ولم يزل يكررها وقال هلا شققت عن قلبه فكيف تصنع بلا اله الا الله اذا جاءت يوم القيمة فقلت استغفر لى يارسول الله فقال كيف تصنع بلا اله الا الله الى آخره فلم يقبل عذره وفيه تنبيه وموعظة وزجر والرجل المقتول اسمه مرداس الفزارى او الفدكى وبما ذكرناه علم ان اسامة رضى الله تعالى عنه متأول فى قتله ولم يسمع منه كلمة الشهادة بتمامها حتى يحكم باسلامه وانما لامه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لعجلته وعدم تثبته وانما كان يجب عليه ان يختبره فلم يقتله

وهو مسلم شرعا كما لا يخفى فقول الداودى انه يلزمه الدية لقتله لمسلم خطأ وانما سكت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن ذكرها العلمه لعلم السامع بذلك اولانه كان قتل قبل نزول آية الدية والكفارة وقول القرطبى انه لا يلزم من السكوت عدم الوقوع وقول غيره انه يحتمل انه لم يجب عليه شئ لانه ماذون فى اصل القتل فهو كالطبيب والخاتن اولم يكن له وارث مسلم ولاولى واسامة رضى الله تعالى عنه اقر بذلك لاحاجة اليه (اقول اذ لم يكن له وارث ديته لبيت المال ولا يصح عفو الامام عنه عندنا وان رجح السبكى فى فتاويه جوازه لمصلحة ولادليل فى الحديث لما عرفته ولانه يستحق من بيت المال فتنفيله الدية لا يكون عفوا (والفرق بين القول) اى مجرد التلفظ بالشهادة بلسانه (والعقد) اى التصديق بقلبه واعتقاد جنانه (ماجعل) ما مصدرية اى جعله (فى حديث جبريل) الذى تقدم فى سؤاله عن الاسلام والايمان (الشهادة) اى التلفظ بها ركنا (من الاسلام) لما قال فى جوابه ان تشهد الى آخره (و) جعله (التصديق من الايمان) اى الاعتقاد بالقلب وهذا بناء على تغاير الاسلام والايمان وفيه اشارة الى تفسير تؤمن فى قوله ان تؤمن بالله تعالى عز وجل الى آخره (وبقيت حالتان اخريان بين هذين) اى الاقرار بلسانه والتصديق بجنانه اى الجمع بينهما (احديهما ان يصدق) المكلف بقلبه (ثم يخترم) بخاء معجمة وتاء مثناة فوقية وراء مهملة مبنى للمجهول يقال اخترمته المنيه و الموت اذا اتاه بغتة بسرعة واصل معنى الخرم القطع وتفريق المتصل فقيل له ذلك لقطعه الحياة كما اشار اليه بقوله (قبل اتساع وقت الشهادة) اى التلفظ والنطق بها لضيق الزمن فهذه حالة بين الحالتين السابقتين وهما الاقرار اللسانى والتصديق بقلبه الموافق له وهو مؤمن بالاتفاق وحكمه مامر وهذه حالة بينهما (فاختلف فيه) اى فى هذه حالة اومؤمن هو ام لا (فشرط بعضهم) اى قال انه (من تمام الايمان القول والشهادة) به باللسان فلا يكون هذا مؤمنا عنده لعدم تمام ايمانه وفقد شرطه عنده وعند بعضهم ان الشهادة جزء من الايمان وركن لا شرط فعرفه بانه اقرار باللسان وتصديق بالجنان وهو المشهور عند الاشاعرة فلا ايمان الابهما الاعند العجز عن النطق (ورأه) ماض من الرأى (بعضهم مؤمنا) فقال من اعتقد بقلبه واخترم قبل تمكنه من النطق مؤمن كالعاجز فيكون مؤمنا حقيقة (مستوجبا) اى مستحقا (للجنة) ودخولها لعذره بعدم تمكنه و(لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم) فى حديث رواه الشيخان (يخرج) روى بالبناء للفاعل والمفعول (من النار من كان فى قلبه) باعتقاده (مثقال ذرة) اى وزنها ومقدارها فى الثقل والذرة بالمعجمة صغار النمل والهباء وهو كناية عن غاية القلة وان كان عند الله عظيما وهو بعض من حديث فى الصحيحين ولم يقل يدخل الجنة ابتداء لان المراد به العصاة المعذبون بسبب آخر او بترك الشهادة فيكون عاصيا بذلك والظاهر الاول ولذا بينه وبين الاستدلال به بقوله (فلم يذكر)

فى الحديث شيئا سوى ما فى القلب (من ايمان) بمقدار ذرة (وهذا) المصدق بقلبه دون لسانه لعدم تمكنه من النطق (مؤمن بقلبه) فينفعه ايمانه عند الله تعالى لانه (غير عاص) اى تارك لما يلزمه (ولامفرط) بتشديد الراء المهملة اى مقصر عمدا (بترك غيره) وهو التلفظ بالشهادة (وهذا) الرأى الذى رآه بعضهم (هو الصحيح فى هذا الوجه) اى الحالة المعذور فيها بعدم تمكنه وهذا وان صححه المتكلمون الا انه قيل ان ما استدل به المصنف لا يثبت ما ادعاه لان هذا فى عصاة امته الذين ثبت ايمانهم ويدل عليه ما فى الصحيح عن انس انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال يخرج من النار من قال لا اله الا الله وفى قلبه وزن شعيرة من خير ثم ان ذكر الوزن فى الايمان وهو من المعانى لانه كما قال الكرمانى شبه بالجسم فاضيف اليه ما هو من لوازمه وهو الوزن ففيه استعارة بالكناية (الثانية) اى الحالة الثانية من هاتين الحالتين (ان يصدق بقلبه) ويعتقد اعتقادا جازما (ويطول) بضم التحتية وفتح الطاء المهملة وتشديد الواو المكسورة (مهلة) بميم وهاء مفتوحتين مفعول يطول ويجوز تسكين هائه مع فتح ميمه وضمها وهى التؤدة والتأنى فاريد به لازمه وهو طول الزمان والمراد زمان سكونه وعدم نطقه بالشهاد (وعلم ما يلزمه من الشهادة) والنطق بها وهذه جملة حالية بتقدير قد اى سكت زمانا طويلا مع علمه بلزوم النطق والاعتراف بما صدق به قلبه (فلم ينطق بها) اى بالشهادة (جملة) منصوب على الحالية والمراد به مجموعها بان لم يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والقدر خيره وشره تفصيلا اواجمالا بان لا يفصل الملائكة والكتب ونحوها (ولا استشهد فى عمره) ومدة حياته اى اتى بالشهادة وفى نسخة شهد (ولا مرة) اى مرة واحدة (فهذا اختلف فيه ايضا) كما اختلف فى الذى قبله وهو فى الاصل مصدر آض اذا رجع وشاع فى التشبيه وفى نصبه كلام مشهور (فقيل هو مؤمن لانه مصدق) وحقيقة الايمان هو التصديق القلبى وقد اتصف به فيكفيه (والشهادة من جملة الاعمال) الزائدة على حقيقة الايمان وان كانت لازمة شرعا (فهو عاص بتركها) كمرتكب الكبائر غير كافر فهو (غير مخلد) فى النار عند اهل السنة القائلين بان اصحاب الكبائر غير مخلدين (وقيل ليس بمؤمن) لان الشهادة شرط فيه اوشطر (حتى يقارن عقده) اى اعتقاد قلبه وجزمه (شهادة اللسان) اى التلفظ بها مطابقة لما فى قلبه (اذ الشهادة انشاء عقد) عند الاصوليين لانها عندهم انشاء يتضمن الاخبار بالمشهود به لا اخبار وعزى الثانى انه خبر لابى حنيفة وانكره السروجى وقال لا نعرفه وانما هو انشاء عندنا ايضا ونظر فيه بانهم عرفوها بانها اخبار بحق للغير على آخر وقد يقال انه بحسب ظاهره لانه خبر لفظا اريد به الانشاء كقوله والمطلقات يتربصن بانفسهن ومن لم يفهم مراده قال انشاؤه بمعنى ابتداؤه (والتزام ايمان) اى التزام لاحكامه (وهى) اى الشهادة (مرتبطة)

اى ملازمة متصلة (مع العقد) الجنانى لاتفارقه فلا يكفى باحدهما (ولايتم التصديق) ويكتفى به (مع المهلة) اى تأخير النطق زمانا طويلا من غير مانع (الابها) اى بالشهادة والنطق بها (وهذا) القول (هو الصحيح) من انه ليس بمؤمن لعدم مقارنة الاعتقاد للاقرار مع التمكن منه ومن يقول انه التصديق فقط يقول انه مؤمن وان لم يقر بلسانه وان لم يجر عليه احكام الايمان فى الدنيا فهو ينفعه فى الآخرة والاصح انه لابد منه فى الاعتداد به فى الدنيا والآخرة وهو شرط او شطر ثم انهم اتفقوا على انه يلزم المصدق ان يعتقد انه متى طولب به اتى به فانه ان طوالب به فلم يقر فهو كفر عناد (وهذا نبذ) بفتح النون وسكون الموحدة وذال معجمة وهو الشئ اليسير واصله الرمى والطرح فكانه لقلته مما يطرح وفى نسخة هذه نبذ بضم النون ففتح الموحدة جمع نبذة بزنة غرفة وقيل انه بضم فسكون والمعروف ماقدمناه (تفضى الى متسع من الكلام) تفضى بضم المثناة الفوقية وسكون الفاء وكسر الضاد المعجمة قبل ياء ساكنة مضارع افضى بمعنى اوصل معناه الايصال الى الفضاء والمتسع بزنة اسم المفعول وهو مصدر ميمى اواسم يعنى انها تحتاج الى بسط وانتشار لكثرة مباحثه وما للعلماء فيه من القيل والقال (فى الاسلام والايمان) اى فيما يتعلق بهما (وابوابهما) المعقودة لتفصيلهما (وفى الزيادة فيهما والنقصان) فيهما والكلام فى انهما يقبلان زيادة ونقصا وفيه اختلاف مشهور (وهذا التجزى) بالزيادة والنقص فيهما (ممتنع على مجرد التصديق) فهو فى نفسه من غير نظر لما ينضم له من الاقوال والاعمال لايقبلهما فانه كما مر قيل انهما مجرد التصديق وهو لايزيد عليه ولاينقص وقيل انه قول واعتقاد وقيل قول وعمل واعتقاد فعلى هذا يقبل التجزى وقوله (لايصح فيه) اى فى التصديق تجزى بزيادة ونقص (جملة) اى مجموعه او الاجمالى منه لايقبل التجزى (وانما يرجع) تجزيه والزيادة فيه (الى ما زاد عليه) اى مازاد على التصديق (من عمل) ونحوه فانه قد يزيد وقد ينقص بل قد لايكون كمن اسلم ثم مات فجأة فلم يأت بشئ من الاعمال الصالحة (وقد يعرض فيه) اى قد يطرؤ على التصديق نفسه زيادة ونقص وتجزفانه من الكيفيات النفسانية وهى تتفاوت قوة وضعفا فان العلم بطلوع الشمس وان الواحد نصف الاثنين ليس كالعلم بحدوث العالم ولاشك فى ان ايمان ابى بكر رضى الله تعالى عنه ليس كايمان غيره وقال الشمنى فى الصحاح عرض له كذا يعرض اى ظهر وعرضت العود على الاناء وتعرضه هذه وحدها بالضم وعرضت له القول بالكسر الى آخره (لاختلاف صفاته) قوة وضعفا (وتباين) اى بعد وافتراق (حالاته) بعضها عن بعض (من قوة يقين) بيان للصفات والحالات (وتصميم اعتقاد) اى الجزم به بحيث لايقبل الشك لمشاهدة وقوة ادلة (ووضوح معرفة) اى ظهورها كمن شاهده صلى الله تعالى عليه وسلم وعاين معجزاته (ودوام حالة) اى استمرار

التصديق وامتداده فانه زيادة فيه (وحضور قلب) اى حضور التصديق به حتى لايغفل عنه قلبه المطمئن (وفى بسط هذا) اى بسط الكلام فيما ذكر وذكر تفاصيله وتحقيق ادلته مع مالها وعليها (خروج عن غرض التأليف) اى المقصود منه وهو بيان علو مقامه صلى الله تعالى عليه وسلم وما يجب له وهذا يكفى فيه الاجمال وقطع النظر عن الاستدلال (وفيما ذكرناه غنية) بضم الغين المعجمة ونون ساكنة وياء مثناة تحتية مفتوحة اى كفاية مغنية عن غيره (فيما قصدناه) فى هذا الكتاب (ان شاء الله) تعالى وهذا الذى ذكره المصنف مذهب المحققين الاظهر المختار ان التصديق يزيد وينقص بكثرة النظر ووضوح الادلة ولا شك فى ان ايمان الصديقين اقوى من ايمان غيرهم

فصل

واما وجوب طاعته صلى الله تعالى عليه وسلم) بامتثال اوامره واجتناب نواهيه (فاذا وجب الايمان به وتصديقه فيما جاء به) من الله وقد علم هذا مما تقدم فى اول الباب (وجبت طاعته) لان من صدقه واخبره بما يلزمه اتباع امره ونهيه فلو خالفه من غير انكار منه كان عاصيا بترك ما يجب عليه (لان ذلك) اى وجوب طاعته (مما اتى به) عن الله بوحيه كما يدل عليه ما (قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله) قدم طاعة الله تمهيد الوجوب طاعة رسوله واشارة الى ان طاعته تعالى بطاعة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم وهما شئ واحد ولذا افرد الضمير فى قوله ولاتولوا عنه وهو قياس منطقى تقديره وجوب طاعته مما اتى به من عند الله وكل ما اتى به من عند الله يجب الايمان به فيجب طاعته وشرك بينهما فى صيغة الامر كما ذكرناه (وقال الله تعالى قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول) قال القاضى امره الله ان يبلغ المؤمنين ما خاطبهم به مبالغة فى تبكيتهم يعنى ان هذه الآية نزلت فى بشر المنافق لما دعى خصماله يهوديا الى كعب بن الاشرف ودعاه خصمه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الآتى بيانه ولاينافى هذا ان الكلام فى وجوب طاعته على المؤمنين لان العبرة بعموم اللفظ دون خصوص السبب (وقال تعالى واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون) الترجى بلعل وعسى على لسان العباد للاشارة الى عزة المطلوب وان العبد دائما بين الرجاء والخوف (وقال تعالى وان تطيعوه تهتدوا) فجعل هدايتهم متوقفة على طاعته والهداية للحق والايمان وغيره امر لازم لهم (وقال من يطع الرسول فقد اطاع الله) فجعل طاعته هى طاعة الله لانه لايأمر الا بامره ولاينهى الا بنهيه ولذا اردفه بقوله (وقال تعالى وما آتيكم الرسول فخذوه وما نهيكم عنه فانتهوا) هذا محمول على العموم فى جميع اوامره ونواهيه لانه لايأمر الا بصلاح ولاينهى الا عن فساد وان كانت الآية نزلت فى الفئ والغنائم كما يدل عليه قوله تعالى * وما آتيكم الرسول فخذوه * اذ العبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب كما تقرر فلا يتوهم انها غير مناسبة لما هو بصدده

(وقال ومن يطع الله والرسول فاولئك) المطيعون (مع الذين انعم الله عليهم) الآية من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وسيأتى ان هذه الآية نزلت فى ابن عبد ربه الانصارى حين قال للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذا مت كنت فى عليين فلا اراك وذكر شدة حزنه لذلك فنزلت فلما مات رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم دعى الله ان يعمى بصره حتى لا يرى غيره فعمى مكانه وهو الذى رأى واقعة الاذان وقيل نزلت فى ثوبان مولاه صلى الله تعالى عليه وسلم وكان شديد الحب لرسول الله لا يصبر عن رؤيته فحزن حتى تغير لونه فسأله رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن ذلك فقال ما بى ضر غير انى لا اصبر عنك فذكرت الآخرة وانى لا اراك ثمة لرفعة مقامك وهبوط منزلتى والمراد بالمعية سهولة الاجتماع والتزور بينهم فى الجنة وان تفاوت مراتبهم ومنازلهم فيها (وقال الله تعالى وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله) الاذن مجاز عن ارادة التسهيل والتوفيق اوهو نفس التسهيل والتوفيق اى الا ليطيعه من بعثه ورضى بحكمه فمن يرض به لم يرض برسالته فهو تارك لما يجب عليه كافر وقيل اذنه بمعنى امره وقال القاضى كانه اى احتج بذلك على ان الذى لم يرض بحكمه وان اظهر الاسلام كافر مستوجب القتل انتهى وقيل فى توجيهه ان لم يرض بحكمه لم يرض بحكم الله تعالى كافر ولذا لما تخاصم المنافق واليهودى وطلب اليهودى حكم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكان محقا يعلم حكم رسول الله له فابى المنافق وطلبا ان يتحاكما عند كعب بن الاشرف وابى اليهودى واتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فحكم له فلم يقبل المنافق فاتيا ابا بكر رضى تعالى عنه فحكم بما حكم رسول فلم يرض فاتيا عمر وذكر له اليهودى ما وقع فقال رويدكما ودخل بيته وخرج بسيفه وضرب به المنافق فقتله وبلغ ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلم ينكره (فجعل طاعة رسوله طاعته) فهما شئ واحد لانه لا يأمر الا بامره ولا ينهى الا بنهيه بنص قوله تعالى * من يطع الرسول فقد اطاع الله * (وقرن طاعته بطاعته) فى القرآن كما فى قوله تعالى * اطيعوا الله واطيعوا الرسول وفيه من تعظيمه ووجوب طاعته ما لا يخفى (ووعد على ذلك بجزيل الثواب واوعد على مخالفته بسوء العقاب) الجزيل بمعنى العظيم او الكثير وعبر فى جانب الثواب بالوعد وفى جانب العقاب بالايعاد المزيد لما اشتهر من الفرق بينهما فى اصل الاستعمال كما قال الشاعر

* وانى وان اوعدته اووعدته * لمخلف ايعادى ومنجز موعدى

وقد يستعمل كل منهما فى مكان الآخر لنكتة وقد تقدم الكلام على ذلك مبسوطا فى خطبة الكتاب وسوء العقاب بمعنى العقاب السيئ وهو ظاهر (واوجب الله تعالى (امتثال امره) بالاتيان بما امر به (واجتناب نهيه) بتركه ما نهاه عنه فقال

وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا كما تقدم بيانه (وقال المفسرون) فى تفاسيرهم (والائمة) اى ائمة الدين من الفقهاء والمحدثين (طاعة الرسول) التى امرنا الله تعالى عز وجل بها فى القرآن متحققة ومتبينة (فى التزام سنته) اى المداومة على سلوك طريقته فالسنة بمعناها اللغوى فيعمل ما عمله ويترك ما تركه (والتسليم) اى الانقياد والمتابعة له (لما جاء به) من شرعه الموحى اليه الذى اخبرنا به وتصديقه فيما اخبر به من غير تحكيم العقل (وقالوا) ايضا (ما ارسل الله من رسول) من زائدة فى النفى لتأكيد العموم (الا فرض طاعته) اى جعلها فرضا متحتما يثاب فاعله ويعاقب تاركه (على من ارسله اليه) لتبليغ شرعه والضمير لمن باعتبار لفظه (وقالوا) اى المفسرون والائمة (من يطع الرسول فى سنته) بنون مشددة وتاء مثناة فوقية اى فى طريقته وشريعته من امر ونهى وسنة وفرض وليس المراد بها ما يقابل الفرض كما يوهمه قوله (يطع الله فى فرائضه) جمع فريضة بمعنى الفرض وفى بعض النسخ سننه بنونين جمع سنة ويحتمل ان تفسر السنة والسنن بمعنى ما يقابل الفرض لان من اتبع الرسول فيما سنه من غير ايجاب عليه كان متبعا له فى فرائض الله بالطريق الاولى والمراد ان طاعة الله وما جاء به عين طاعة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم لا ينفصل احدهما عن الآخر وفى الام للشافعى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا الفين احدكم متكئا على اريكته يأتيه ما امرت او نهيت فيقول لا ادرى ما وجدنا فى كتاب الله عملنا به وسيأتى بيان الفاظه عند ذكر المصنف له رحمه الله قريبا مرتين لامر اقتضاه فهذا بيان لان العمل بسنة رسول الله عمل بكتاب الله وهو معنى ما قالوه هنا (وسئل سهل بن عبد الله) التسترى الامام الزاهد المشهور (عن شرايع الاسلام) اى ما المقصود منها والمراد (فقال) سهل فى الجواب (وما آتاكم الرسول فخذوه) اى تمسكوا به (وقال) الامام ابو الليث الفقيه المشهور (السمرقندى يقال) فى طاعة الله ورسوله ان معناه (اطيعوا الله فى فرائضه) اى فيما فرضه عليكم فى كتابه الكريم (والرسول فى سنته) اى ما سنه وشرعه لنا (وقيل) فى معنى اطيعوا الله واطيعوا الرسول (اطيعوا الله فيما حرم عليكم) باجتناب جميع محرماته وكان الظاهر ان يقال فيما اوجبه وحرمه وغيره كما عمم اتباع الرسول بقوله (والرسول) اى واطيعوا الرسول (فيما بلغكم) عن الله من اوامره ونواهيه مخلصا فى ذلك فانه مأمور بتبليغه * وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى (ويقال) فى معناه (اطيعوا الله بالشهادة) اى الاقرار والاعتراف (له بالربوبية) اى انه رب خالق مالك لجميع الموجودات متفرد بالملك والربوبية (والنبى) بالنصب اى واطيعوا النبى عليه السلام (بالشهادة بالنبوة) المراد بالنبى هنا محمد صلى الله عليه وسلم فأل للعهد وهو الفرد الكامل المتبادر عند الاطلاق فيدل حينئذ على رسالته وانه رسول

وان قلنا النبي اعم من الرسول بناء على المشهور فلا حاجة لما قيل ان المراد النبوة المقترنة بالرسالة وانه كان ينبغي له الجمع بينهما اظهارا للنعمة بهما عليه وتعظيما للمنة لديه والعدول عن الظاهر ان قلنا ان النبوة افضل ظاهر لا لرعاية السجع كما قيل (حدثنا ابو محمد بن عتاب بقراءتي عليه) وهو حديث رواه الشيخان ومحمد بن عتاب تقدمت ترجمته (قال حدثنا حاتم بن محمد) المعروف بابن الطرابلسي كما تقدم (قال حدثنا ابو الحسن على بن محمد بن خلف) الحافظ القابسي كما تقدم (قال حدثنا محمد بن احمد) وهو ابو زيد المروزي كما تقدم (قال حدثنا محمد بن يوسف) الفربري راوي صحيح البخاري كما تقدم (قال حدثنا البخاري قال حدثنا عبدان) يعني عبدالله بن عثمان بن جبلة بفتح الجيم والموحدة ابن ابي رواد الحافظ المروزي الفقيه الثقة توفي سنة احدى وعشرين ومائتين (قال اخبرنا عبدالله) بن المبارك المروزي (قال حدثنا يونس) بن يزيد الايلي الامام الثقة توفي سنة تسع وخمسين ومائة واخرج له اصحاب الكتب الستة (عن الزهري) محمد بن عبيدالله بن عبدالله بن شهاب الزهري الامام المشهور كما تقدم مرارا (قال اخبرني ابو سلمة بن عبد الرحمن) احد فقهاء المدينة السبعة على قول الاكثر واسمه عبدالله او اسمعيل (انه سمع ابا هريرة يقول ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال من اطاعني فقد اطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله) لانه لا يأمر الا بما امر الله به ولا ينهى الا عما نهى الله تعالى عنه فمن امتثل امره واجتنب نهيه امتثل امر الله ونهيه او ان الله عز وجل امر بطاعة رسوله وامره ونهيه فمن امتثل امره ونهيه اطاع الله في امره ونهيه بطاعته كما تقدم (ومن اطاع اميري) اي من جعله هو او خلفاؤه حاكما على امته (فقد اطاعني) لان طاعته طاعة من امره لانه مبلغ عنه (ومن عصى اميري فقد عصاني) قيل ان قريشا وسائر العرب كانوا لا يعرفون الامارة وانما كانوا يطيعون رؤساء قبائلهم فلما ظهر الاسلام وولى عليهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الامراء انكروا ذلك ولم يطيعوا الامراء فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك اعلاما لهم بانهم يلزمهم اطاعة امرائه وتوقيرهم والاقتداء بهم في اقوالهم وافعالهم ورواه مسلم الامير بالالف واللام (وطاعة الرسول) اي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (من طاعة الله) المرسل له (اذ الله امر بطاعته) اي لان الله امر جميع الناس باتباعه فيما جاء به من الله (فطاعته) اي الرسول ورسوله (امتثال لما امر الله به) في قوله اطيعوا الرسول (وطاعة له) اي لله لانه امرهم اجمالا بطاعته فطاعته وطاعة لربه لانا نطيعه لامرنا باطاعته في اوامره ونواهيه وهو انما يأمرنا بما امر الله تعالى بتبليغه وما ينطق عن الهوى ويدخله ما كان باجتهاده لانه امر بالاجتهاد على الاصح وهذا بسط لما قدمه وايضاح له ولا تكرار فيه كما قيل (و) قد (حكى الله عن الكفار)

ماسيقولونه اي ذكر في القرآن اخبارا عنهم بما سيكون وهذه العبارة مأثورة عن السلف من غير انكار لها الا ان العارف بالله ابن عباد المغربي قال انه ليس بصواب لان كلام الله صفة قديمة فلا يقال حكى الله في كلامه عن كذا لان الحكاية متأخرة عن المحكي وانما يقال اخبر الله ونحوه انتهى وهذا مما لا وجه له لانه تعالى قال نقص عليك القصص والحكاية بمعنى وما احتج به لا حجة له فيه فانه وارد على الاخبار بعينه من غير فرق (في دركات جهنم) اي محلهم الاسفل فيها (يوم تقلب وجوههم في النار) اي تصرف من جهة الى اخرى لاضطرابهم فهي كقطع لحم يغلي في قدر يفور او تقلبها تغيرها عن حالها وهيأتها او تبدل الوانها وخص الوجه لانه اشرف الاعضاء واظهرها والمراد به الجملة (يقولون ياليتنا اطعنا الله واطعنا الرسول) لتسلم مما نحن فيه لندمهم حيث لا ينفعهم الندم (فتمنوا طاعته) صلى الله تعالى عليه وسلم (حيث لا ينفعهم التمني) اي في زمان او مكان لا ينفعهم تمنيهم فيه والتمني طلب ما لا يمكن حصوله (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه الشيخان (اذا نهيتكم عن شيء) محرم او مكروه (فاجتنبوه) اي اتركوه كانه طرح في جانب منكم (واذا امرتكم بامر) اي بمأمور به ايجابا او ندبا (فأتوا منه ما استطعتم) اي قدرتم عليه من غير ترك للواجب بغير عذر واول هذا الحديث دعوني ما تركتكم انما هلك من قبلكم بسؤالهم واختلافهم على انبيائهم فاذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه الى آخره وسببه انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال في خطبة ان الله قد فرض عليكم الحج فحجوا فقال رجل اكل عام يارسول الله فسكت حتى قالها ثلاثا فقال لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم ثم قال دعوني الحديث وزاد الدار قطني فنزلت يا ايها الذين آمنوا لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم وروى ذلك عن ابن عباس في التفسير وشيء عام خص منه ما اكره عليه المكلف وفيه خلاف هل الاكراه على المعصية يبيحها او هي باقية على حرمتها ولا يأثم مرتكبها وهو مبني على الخلاف في ان المكره مكلف ام لا ومعنى اوتوا منه ما استطعتم افعلوا على قدر استطاعتكم قال النووي وهذا الحديث من جوامع الكلم وقواعد الاسلام يدخل فيه كثير من الاحكام كمن عجز عن ركن من اركان الصلاة او شرط من شروطها يأتي بمقدوره ولا يسقط عنه مقدوره ولذا قال الفقهاء الميسور لا يسقط بالمعسور وفي الحديث اشارة الى اعتناء الشارع بالمنهيات لاطلاقه الاجتناب ولو مع مشقة الترك وتقييد المأمورات بالاستطاعة والطاقة كما قاله احمد بن حنبل فان قلت الاستطاعة معتبرة في النهي فلا يكلف الله نفسا الا وسعها قلت قال ابن حجر الاستطاعة لا تدل على المدعى وهو الاعتناء بل هو جهة الكف وكل احد قادر عليه لولا داعية الشهوة فكل احد قادر على الترك بخلاف الفعل فان العجز عنه محسوس فلذا قيد الامر بالاستطاعة دون النهي وقال الماوردي

الكف عن المعاصى ترك وهو سهل وعمل الطاعة فعل وهو شاق فلذا لم يبح
ارتكاب المعاصى مع العذر وابيح ترك العمل للعذر وقال بعضهم فى قوله تعالى فاتقوا الله
ما استطعتم انه يتناول امتثال المأمور واجتناب المنهى وقيد الامر بالاستطاعة
لكثرته فان العجز فى النهى محصور فى الاضطرار لقوله الا ما اضطررتم اليه وقيل ان
قوله اتقوا الله ما استطعتم منسوخ بقوله اتقوا الله حق تقاته والصحيح انه غير منسوخ
والمراد بحق تقاته امتثال امره واجتناب نهيه مع القدرة دون العجز عنه (وفى حديث
ابى هريرة) رضى الله تعالى عنه الذى رواه الحاكم (كل امتى) يعنى امة الاجابة
(يدخلون الجنة) الضمير لكل باعتبار معناه ويجوز افراده باعتبار لفظه ولفظ الحاكم
كلكم يدخل الجنة والخطاب خطاب مشافهة للامة ايضا وقيل انه لم ير وبهذا
اللفظ والسيوطى فى تخريجه سكت عنه لنكتة (الامن ابى) اى امتنع ثم فسره بقوله
(قالوا يارسول الله ومن يأبى) فهموا منه انه ابى دخول الجنة ولا يأباها احد لانه روى
كما فى النهاية وشرد (قال) صلى الله تعالى عليه وسلم مجيبا لهم (من اطاعنى) وانقاد
ممتثلا لامرى ومجتنبا لنهيى (دخل الجنة) وفاز بنعيمها المقيم (ومن عصانى)
وخالفنى (فقد ابى) اى امتنع من دخول الجنة لانه بسبب تركه للطاعة باختياره كانه
دعى الى الجنة فامتنع واعلم انه ان اريد بالعصاة المذنبين من المؤمنين فهو تمثيل ولا ينافى
العفو عنهم ولا اخراجهم من النار وان اريد الكفار فهو استعارة ايضا والمراد
خلودهم فى النار قال التلمسانى بعد قوله الامن ابى اى امتنع قولا وفعلا ولم يقبل شيئا
فالامة امة الدعوة اى كلهم الامن ابى وهم الكفار يدخلون الجنة ويحتمل ان يريد
بالامة امة الاجابة فابى هو المعاصى من امته فاستثناهم تغليظا عليهم وزجرا لهم
عن المعاصى وزاد فى الجواب فقد ابى توضيحا لبيان الصنفين والتقدير من اطاعنى
وتمسك بالكتاب والسنة دخل الجنة ومن اتبع هواه ضل عن سواء السبيل ودخل
النار انتهى (وفى الحديث الآخر) عرفه اشارة الى انه معلوم مشهور لانه رواه
البخارى فى كتابه ولذا وصفه بقوله (الصحيح عنه عليه الصلوة والسلام مثلى ومثل
ما بعثنى الله به) ضرب للناس مثلا فيما جاءهم به مما يورث الفوز بخير الدارين وانتظام
امر المعاش والمعاد والمثل بفتحتين كالمثل والمثيل فى الاصل بمعنى النظير كشبه وشبه
وشبيه نقل الى قول شبه مضربه بمورده واكثر ما يكون بامر عجيب غريب ثم نقل لكل
حالة وقصة اوصفة والذى فى البخارى مثل ما بعثنى الله ولبس فيه به فقال ابن حجر
انه مقدر وما موصولة وقيل عليه شرط حذف العائد المجرور جر الموصول بمثله
لفظا ومعنى وان لم يتحدا متعلقا فما مصدرية لا عائد لها اقول ما ذكره النحاة
انما هو لجوازه قياسا مطردا لا لعدم صحته فيما سمع منه واقتضاه المقام وذكر المصنف
رحمه الله تعالى له ان كان لرواية وقعت له فظاهر والبيان انه مقدر فيه فهو رواية

بالمعنى يدل على ما قاله ابن حجر والمعنى عليه وفيما ذكره تكلف لا يخفى (كمثل رجل
اتى قوما) ليحذرهم وينذرهم بعدوهم الذى قرب مجيئه لهلاكهم (فقال قوم انى
رأيت الجيش) هم جمع كثيرون سائرون للمحاربة والقتال (بعينى) هو مفرد مكسور
النون مضاف لياء المتكلم الحقيقة او بفتحها وياء مشددة مفتوحة مثنى وهو لتأكيد
الرؤية وتحقيق انها رؤية حقيقية بصرية ضرورية حسية (وانى انا النذير) اى المنذر
المعلم بما يحذر قبل وقوعه (العريان) اى المجرد من ثيابه المكشوف جميع بدنه وهو مثل
تمثل به صلى الله تعالى عليه وسلم والمراد به المبالغة فى الانذار ووضوح ما انذر به
وعدم احتمال خلافه واصله ان الرجل كان اذا رأى العدو قرب جدا ولبس بينه
وبينهم حجاب يمنعهم عن رؤيته وخشى ان يسبق خبره وقف على مكان عال ونزع
عنه ثوبه ورفعه يلوح به اى بادروا الى الحذر والفرار فقد جاءكم من العدو ما لا تطيقونه
واصله كان فى رجل معين من خثعم قطع رجل يده ويد امرأته فاتى قومه يحذرهم
بفعل ذلك وقيل انما هى امرأة وقيل هو عوف بن عامر اليشكرى وامرأة من كنانة
وقيل امرأة من بنى عامر وقيل ابرهة الحبشى وقيل انه رجل سلبه العدو فاتى قومه
عريانا لما انفلت منهم فتحققوا صدقه وعلى كل حال فهو استعارة ومن اللطائف
ما قاله الامام السهيلى فى قوله تعالى يا ايها المدثر قم فانذر ان تعبيره بالمدثر والمزمل
فيه ملاطفة له صلى الله تعالى عليه وسلم كانه يقول له انا ارسلتك نذيرا والنذير يكون
عريانا لا ملفوفا بثيابه وهى نكتة سرية (فالنجاء) بالنصب على المصدر بعامل
محذوف لضيق المقام ومعناه الخلاص والفرار اى انجوا نجاء بسرعة من غير لبث
فتاب عن عامله وعرف وهو ممدود او مقصور بنية الوقف ورواه البخارى النجاء النجاء
بالتكرير بمدهما وقصرهما وبمد الاول وقصر الثانى وهو منصوب على الاغراء اى
اطلبوا النجا بالهدب ويجوز رفعه اى النجا خير لكم (فاطاعه طائفة) اى جماعة
وفرقة من قومه لما اتاهم وقال لهم ما قاله (فادلجوا) اى ساروا من اول الليل او ساروا
الليل كله هربا من عدوهم وهو بتخفيف الدال وتشديدها وقيل المخفف سير اول
الليل والمشدد سير آخره والاسم الدلجة بالضم والفتح (وانطلقوا) اى ساروا
طالبين النجاة من عدوهم (على مهلهم) اى متمهلين بتؤدة وتأن بعد ذلك او فى
سيرهم هذا لسعة وقتهم ومهل بفتح الميم مع فتح الهاء وسكونها وبضم الميم وسكون
الهاء كما مر وفى مسلم مهلتهم بزيادة تاء والكل بمعنى واحد (فنجوا) بفتح النون مع
الجيم اى سلموا من عدوهم (وكذبت طائفة منهم) النذير فى انذارهم بالعدو (فاصبحوا)
اى مكثوا (مكانهم) اى فى مكانهم الذى كانوا فيه حتى دخلوا فى الصباح
(فصبحهم الجيش) اى اتاهم فى وقت الصباح (واهلكهم واجتاحهم) بجيم
ومثناة فوقية والف وحاء مهملة اى اهلكهم جميعا واستأصلهم فلم يبق لهم باقية

من الذرارى والاموال والجايحة الآفة التى تصبب الثمار فتستأصلها اى تفنيها
من اصلها وكل مصيبة عظيمة فهى جايحة (فذلك) المذكور والمثل المضروب لكم
(مثل من اطاعنى) فشبهوا بمن صدق النذير فنجا (واتبع ماجئت به) فصدقه وعمل
بما امره به مما اوحاه الله اليه فسلم ونجا وفاز بالسعادة الابدية واجتنب ما نهاه عنه
(ومثله من عصانى وكذب ماجئت به من الحق) فهم كمن كذب النذير ومكث مكانه
حتى هلك ومن معه وفى شرح المشكاة للطيبى انه صلى الله تعالى عليه وسلم شبه نفسه
وانذاره بالعذاب القريب بالرجل الذى انذر قومه بالجيش المصبح وشبه من اطاعه
من امته ومن عصاه بمن كذب الرجل ومن صدقه وقيل عليه انما هو تشبيه تمثيلى
شبه فيه المجموع وهيئته بالمجموع وهيئته لاتشبيه الاجزاء بالاجزاء فان الاول ابلغ
واحسن اقول عادة مثل فى الحديث تقتضى ما قاله الطيبى والمآل واحد وابلغية
ماذكره فى هذا المقام غير مسلمة بسلامة الامير وقيل انه لتشبيه بليغ استعير فيه المثل
للحال والقصة والصفة الغريبة العجيبة وهو وجه وجيه تحقيقه فى شروح الكشاف
(وفى الحديث الآخر) الذى رواه الشيخان (فى مثله) اى تمثيل حاله وصفته
صلى الله تعالى عليه وسلم مع امته فى دعوته لهم (كمثل) بفتحتين اى كصفة وقصة
(من بنى دارا) عظيمة انشاءها وفرشها بفرش نفيسة (وجعل فيها مأدبة) بميم
مفتوحة وهمزة ساكنة ودال مهملة مثلثة والاشهر الضم ثم الفتح وباء موحدة
وهاء وهى الاطعمة الكثيرة النفيسة المعدة لاكرام الضيوف والاصحاب وفى القاموس
انها طعام صنع لدعوة اوعرس والمشهور الاول فهى عامة لكل دعوة وفى فقه اللغة
القرا بكسر القاف والقصر وفتحها والمد طعام الضيف الغريب وهو للذار تحفة
وللاملاك شنوخة وللعرس وليمة وللولادة خرس وللحلق شعر المولود عقيقة وهو
فى الاصل اسم لنفس الشعر من عقه قطعه وللختان عذيرة وللمعلل قبل الغداء سلفة
ولمستعجل الغداء عجالة وللكرامة منزلة من النزل انتهى والمأدبة من الادبة بالضم
وهى الطعام (وبعث داعيا) يدعو لمنزله واكل طعامه (فمن اجاب الداعى) اى امتثل
دعوته وذهب معه (داخل الدار) التى بناها (واكل من) طعام (المأدبة) التى
اكرم بها (ومن لم يجب الداعى) لدعوته (لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة)
التى حرم منها ثم فصل التشبيه وبينه وسكت عن بيان من بنى وهو الله الذى خلق
الجنة وهيأ اسباب دخولها لظهوره مما بعده وهو قوله (فالدار الجنة) التى
اعدها الله لمن اختاره من عباده ومأدبتها ما فيها من النعيم وما تشتهيه الانفس
(والداعى) لها (محمد) صلى الله تعالى عليه وسلم مما بلغهم عن الله وامرهم به
مما يدخلهم جنته ويوصلهم للسعادة والنعيم المخلد (فمن اطاع محمدا فقد اطاع الله)
لما تقدم بيانه (ومن عصى محمدا فقد عصى الله) لان مخالفه مخالف لامر الله كما مر

(ومحمد فرق بين الناس) فرق بفتح الفاء وسكون الراء المهملة وتنوينه مصدر بمعنى
فارق بين المؤمنين والكافرين باطاعته وعصيانه وروى فرق بصيغة الماضى مشدد
الراء المهملة اى فرق بين مؤمنهم وكافرهم او بين من دعى للجنة وبين من لم يدع لها
وهذا انسب بالسياق والمعنى واحد واول هذا الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم
نام وكان اذا نام نفخ فجاءه ملائكة وهو نائم فقال بعضهم لبعض ان العين نائمة والقلب
يقظان فقالوا مثله كمثل رجل الى آخره وفيه فقالوا اولوها له يفقهها فقالوا الدار
الجنة الى آخره فالممثل الملائكة وكذا المبين له وهذه رواية غير رواية المصنف
رحمه الله تعالى وفى رواية ان القائل جبريل وميكائيل ولايخفى ان ظاهر الحديث انه
تشبيه مركب فيقول قول الكرمانى انه ليس المقصود تشبيه المفردات بل هو تشبيه
تمثيلى مما الاوجه له ﴿فصل واما وجوب اتباعه صلى الله تعالى عليه وسلم وامتثال
سنته﴾ السنة هنا بمعناها اللغوى وهى والطريقة والسيرة بمعنى وهى اقواله وافعاله
وتقريراته وليس المراد بها ما يقابل الفرض حتى يتوهم منافاتها للوجوب لانه
معطوف على اتباعه (والاقتداء بهديه) هدى بزنة ضرب بمعنى سنته وطريقته ايضا
وفى نسخة والاهتداء بهديه (فقد قال الله تعالى) هو جواب اما اى فقد ثبت ذلك بنص
القرآن كقوله عز وجل (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى) اى اقتدوا بسنتى واهتدوا
بهديى (يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم الآية) فسروا محبة الله ورسوله باتباعهما
ومحبة الله بانعامه وفضله وهذا تفسير له بلازمه المتجوز فان المحبة الحقيقية ميل النفس
لما يستلذه وهو غير متصور هنا ولذا قال الغزالى ان العصيان يضاد اصل المحبة وقال
البيضاوى يحببكم الله يرضى عنكم ويكشف الحجب عن قلوبكم بالتجاوز عما فرط
منكم ويقربكم من جناب عزه ويبوئكم فى جوار قدسه عبر عن ذلك بالمحبة على
طريق الاستعارة او المقابلة اى المشاكلة ولبعض الشراح من المتأخرين هنا كلام
لاطائل تحته غير التطويل (وقال) تعالى (فآمنوا بالله ورسوله النبى الامى) والايمان به
وتصديقه يقتضى اتباعه وطاعته (الذى يؤمن بالله وكلماته) التى نزل بها الوحى عليه
وما اوحى الى من قبله من الرسل من الكتب والشرايع وعبر عما ذكر بالكلمات اشارة
الى انها بالنسبة لعلمه المحيط بكل شئ واكلامه الذى يفنى مداد البحار فى دواة الامكان
كالكلمات القليلة وجمع بين النبوة والرسالة لان المقام مقام مدح واطناب ولانه يجب
الايمان بكل من الوصفين وان كان ذكر الاخص يكفى هنا اعنى الرسول وعبر بالظاهر
ولم يقل بى لبلاغة الالتفات ولتجرى عليه الصفات الداعية للايمان به واتباعه وعبر
بالرجاء فى قوله (واتبعوه لعلكم تهتدون) اى راجين الاهتداء باتباعه تحريضا لهم على
اتباعه وايماء الى ان من آمن به ولم يقتد بما شرعه لهم لاينجو من الضلال والرجاء بالنسبة
للمخاطبين او هو مجاز عن التعليل كما ذهب اليه بعض النحاة (وقال الله تعالى فلا وربك

لايؤمنون) لامزيدة للتأكيد اونفى لما تقدمها اى ليس الامر كما يزعمون من انهم آمنوا بما انزل اليك وقيل لا الثانية زائدة والقسم معترض بين حرفى النفى (حتى يحكموك) اى يرجعون لحكمك و يرضون به وهو غاية لصحة ايمانهم (فيما شجر بينهم) اى فيما وقع بينهم من المشاجرة وهى المخاصمة واصل معناه الاختلاط ومنه الشجر لتداخل اغصانه واختلاطها (الى قوله تسليما) يعنى قوله تعالى * ثم لايجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما * والحرج ضيق الصدر او الشك وهذه الآية نزلت فى بعض الانصار لما اختصم مع الزبير فى ماء سقى به ارضه وسيأتى تفصيله (اى ينقادون لحكمك) تفسير لقوله و يسلموا تسليما واكده ليفيد الانقياد ظاهرا و باطنا وفى نسخة ينقادوا قيل وهو الظاهر لانه منصوب بحذف النون لاسيما ان قيل ان اى عاطفة وليس بلازم لانه مفسر للجملة بتمامها لا للمضارع وحده (يقال سلم) بالتشديد (واستسلم) اى طلب السلامة بانقياده (واسلم اذا انقاد) هذا هو المصرح به فى كتب اللغة كما ذكره الراغب وغيره فما قيل ان المذكور فى القاموس ان التسليم الرضاء والاستسلام الانقياد فلو فسر التسليم فى الآية بالرضى الاخص كان احسن ليس بشئ (وقال الله تعالى لقد كان لكم فى رسول الله اسوة) بالكسر والضم اى قدوة يقال اسيته بمالى اسوة وواسيته لغة قليلة وقيل هى الصواب فهى الخصلة التى يراد الاتصاف بها (حسنة) اى خصلة حسنة من حقها ان يؤتسى بها اى يقتدى ويجوز ان يراد بالاسوة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم نفسه لانه قدوة يحسن التأسى به فى اقواله وافعاله و حسنة هنا على الاول صفة مؤكدة ويجوز ان يكون احترازا عما هو من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم فيكون صفة مقيدة (لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر) اى يرجوا ثوابه ولقاءه ونعيم الآخرة اوايامه الآخر خصوصا مع قوله لمن كان وفى الكشاف اى لمن بدل من لكم قبل والاكثر على ان ضمير المخاطب لايبدل منه فهو صلة او صفة لحسنة قرنت كثرته بالرجاء لايذانهما بملازمة الطاعة اذ المؤتسى من شانه ذلك (قال محمد بن على الترمذى) هو المعروف بالحكيم الترمذى الصوفى صاحب نوادر الاصول وليس هو صاحب السنن وقد تقدمت ترجمته (الاسوة فى الرسول) تعريفه للعهد الخارجى فالمراد به محمد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اوهو للعهد الذهنى اوالاستغراق فهو اعم اى فى حق رسول من الرسل اولكل رسول (الاقتداء به) فى اقواله وافعاله كما فى قوله تعالى فبهداهم اقتده (والاتباع لسنته) اى لطريقته وشرعه (وترك مخالفته فى قوله) قاله امرا اونهيا اوارشادا (اوفعل) فعله يقتدى به فيه لانه ليس من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم (وقال غير واحد) تقدم ان معناه ناس كثيرون (من المفسرين بمعناه) اى قالوا قولا بمعنى ما قاله الترمذى

وقيل

(وقيل) معنى الآية المذكورة (هو عتاب) من الله تعالى اى توبيخ ولوم (للمتخلفين عنه) صلى الله تعالى عليه وسلم ممن لم يخرج معه لمحاربة اعدائه لانهم كان عليهم ان يقتدوا به فى جهاد اعداء الدين ومقاساة اهوال الحروب وكان ذلك فى غزوة الاحزاب اوتبوك حبا للبقاء والراحة وكان عليهم المبادرة لطاعته صلى الله تعالى عليه وسلم و بذل انفسهم له لانه سبب سعادتهم وحياتهم الابدية وفيه دليل على ما ذكر على التفاسير ومعنى الظرفية ان قلنا الاسوة افعاله واقواله المتبعة ظرفية الموصوف للصفة لانها قائمة به كقيام المظروف بظرفه فان قلنا الاسوة نفسه صلى الله تعالى عليه وسلم فهو تجريد جعل كانه فيه مقتدى به منتزع كقوله لهم فيها دار الخلد وليست هذه الظرفية كقولهم الدار فى نفسها تساوى كذا وفى البيضة عشرون منا من حديد كما قيل وقد اشرنا الى ان الاقتداء انما يجب فيما ليس من خصائصه كالامور الجبلية فيه فانها لايمكن ان تكون لغيره (وقال سهل) بن عبد الله التسترى وقد قدمنا ترجمته (فى قوله تعالى * صراط الذين انعمت عليهم) بين ما انعم به على من سلك الطريق المستقيم (قال) سهل فى تفسيره انه انعم عليهم (بمتابعة السنة) اى اتباع طريقه الذى هو الصراط المستقيم الذى يجب اتباعه (فامرهم الله تعالى بذلك) اى باتباعه (ووعدهم) الجزاء عليه اعنى (الاهتداء باتباعه) اى حصول الهداية التى طلبوها بقولهم اهدنا الصراط المستقيم فقال واتبعوه لعلكم تهتدون وفيه ايماء الى ان الترجى من الله تعالى وعد لمن لايخلف الميعاد (لان الله تعالى ارسله بالهدى) اى بما فيه هدايتهم (ودين الحق) اى الدين الحق اودين الله (ليزكيهم) اى يطهرهم من الشرك والمعاصى (ويعلمهم الكتاب) اى القرآن (والحكمة) اى العلوم النافعة المحكمة والشريعة التى صيرتهم حكما متقنون للعلم والعمل (ويهديهم الى صراط مستقيم) بالاسلام وطاعة الله ورسوله الموصل لهم للنعيم المقيم (ووعدهم محبته تعالى) اى محبة الله لهم فالمصدر مضاف لفاعله (فى الآية الاخرى) يعنى قوله تعالى * ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله * (ومغفرته) بقوله و يغفر لكم ذنوبكم (اذا اتبعوه) لان جواب الامر فى معنى جواب الشرط (وآثروه) بالمد اى قدموه واختاروه من الاثرة (على اهوائهم) جمع هوى بالقصر وهو ما تميل اليه النفس وتدعوا اليه وهو اذا اطلق يراد به ما ليس بمحمود من الشهوات (وما تجنح) بجيم ونون وحاء مهملة ويجوز فى نونه الفتح والضم والكسر بمعنى تميل واصله الميل على احد شقيه مأخوذ من الجناح (اليه نفوسهم) وضع الظاهر فيه موضع الضمير اذ المعنى يجنحون اليه ويقدمون اتباعه ومحبته على محبة انفسهم واموالهم واولادهم والناس اجمعين كما ورد فى الحديث (و) اخبرهم ب (ان صحة ايمانهم فى انقيادهم له) فى جميع ما امرهم به ونهاهم عنه (ورضاهم

بحكمه) فيما تخاصموا فيه يعنى قوله تعالى * فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما * (وترك الاعتراض عليه) فيما حكم به ومخالفته ومعارضته وعدم رضاه كما تقدم فى قصة الانصارى مع الزبير (وروى عن الحسن) البصرى رحمه الله تعالى والراوى له ابن المنذر فى تفسيره ويحتمل انه الحسن بن على رضى الله تعالى عنهما (ان قوما قالوا يارسول الله انا نحب الله) اى تميل اليه انفسنا ونخصه بالعبادة والرغبة لما رغبنا فيه (فانزل الله) مبينا لهم محبتهم والمراد منها بقوله (قل ان كنتم تحبون الله الآية) اى فاتبعونى يحببكم الله يعنى ان محبته انما تتحقق بطاعة الله وطاعته بطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن احب الله احبه الله كما قيل ما جزى من يحب الا يحب (وروى) فى سبب نزول هذه الاية (ان الآية نزلت فى كعب بن الاشرف) وهو رجل من عظماء اليهود من بنى النضير وامه من طى وقتل كافرا بعد بدر بستة اشهر كما تقدم وقصته مشهورة مفصلة فى السير (وغيره) من اليهود اتباعه (وانهم) اى ابن الاشرف واتباعه (قالوا نحن ابناء الله واحباؤه ونحن اشد حبا لله) وهذا ما حكاه الله تعالى عنهم فى قوله تعالى * وقالت اليهود والنصارى * الى آخره وكانوا اتوه صلى الله تعالى عليه وسلم فانذرهم وخوفهم عذاب الله فقالوا ما تخوفنا يا محمد نحن ابناء الله الى آخره فقال لهم معاذ بن جبل وسعد بن عبادة وعقبة بن وهب يا معشر اليهود اتقوا الله فانكم تعلمون انه رسول الله وكنتم تصفونه قبل مبعثه فقالوا ما قلنا هذا وما انزل الله بعد موسى كتابا ولا بعث رسولا ومعنى قول النصارى نحن ابناء الله انهم اشياع عيسى صلى الله عليه وسلم الذى زعموا انه ابن الله ومعنى وقالت اليهود ذلك انهم اشياع عزيز الذى زعموا انه ابن الله وقيل تقديره رسل الله (فانزل الله تعالى الآية) جوابا لهم بقوله تعالى * قل فلم يعذبكم الآية * (وقال الزجاج) فى تفسير هذه الآية (معناه ان كنتم تحبون الله اى اقصدوا طاعته) اذ لا يصح تفسير المحبة فيها بما تعارفه الناس وفى نسخة ان تقصدوا هذا تفسير لمحبة العبد (فافعلوا ما امركم) الله تعالى (به) الفاء فصيحة اى اتبعونى وافعلوا (اذ محبة العبد لله والرسول) اى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاللام عوض عن المضاف (طاعته لهما) باتباع امرهما ونهيهما (ورضاه بما امرا) بان يطيعه ظاهرا وباطنا اذ لو لم يطعه باطنا كان منافقا (ومحبة الله لهم) اى لعباده ففسر محبة الله بعد تفسير محبة عباده لذكرهما فى الآية (عفوه عنهم) بمغفرة ذنوبهم وقدمه على قوله (وانعامه) اى الله (عليهم) اى على عباده (برحمته) اهتماما به والرحمة فى حق الله بمعنى الانعام وارادته فى حقه تعالى لان معناها الحقيقى لا يصح فى حقه تعالى فالمراد بها هنا لطفه بعباده ورأفته بهم (ويقال) فى تفسير محبة الله ومحبة

عباده له ان معنى (الحب من الله عصمة) اى حفظ الله لعبده من مخالفة امره ونهيه والعصمة بمعنى مطلق الحفظ لا تختص بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيكون لغيره ويجوز الدعاء بها لكل احد كما تقدم والذى يختص به صلى الله تعالى عليه وسلم دون غيره هو ان يخلق الله فيه جبلة تمنعه عن كل ما لا يرضاه الله وان لا يقدر احد على قتله ونحوه واليه اشار بقوله (وتوفيق) اى خلق الله فيه قدرة على طاعة الله ومراقبته فى السر والعلانية حتى يمتنع من المقحمات ومبدؤه ميل نفسانى بتعالى الله عنه والمحبة معناها طاعة وانقياد لله ورسوله (كما قال القائل) اى معنى ما ذكر هو معنى قول هذا الشاعر وهو كما فى زهر الآداب للحصرى محمود بن الحسن الوراق وقيل انه لمنصور الفقيه وهو بليغ مغلق كان فى اول الدولة العباسية وكان كثيرا ما يأخذ حكم المتقدمين من الفلاسفة وغيرهم فينظمها فى شعره كقوله

* اذا كان شكرى نعمة الله نعمة * على له فى مثلها يجب الشكر *
* فكيف بلوغ الشكر الا بفضله * وان طالت الايام واتصل العمر *
* اذا مس بالسراء عم سرورها * وان مس بالضراء اعقبها الاجر *
* فما منهما الا له فيه نعمة * يضيق بها الاوهام والبر والبحر *
* تعصى الاله وانت تظهر حبه * هذا لعمرى فى القياس بديع *
* لو كان حبك صادقا لاطعته * ان المحب لمن يحب مطيع *

وفى معناه قول منصور الفقيه ايضا

* غلط فاحش وجهل مبين * وعمى لا يحول لا بل جنون *
* طمع العبد فى كرامة مولاه * واصراره على ما يهين *

ومعنى الشعر انك تدعى محبة الله وانت عاص له ولو كنت صادقا لم تعص لان المحب لا يخالف حبيبه والعمر بفتح العين الحيوة كالعمر بضمها الا انهم فى القسم التزموا فتحها الا شذوذا وهو مبتدأ خبره محذوف تقديره قسمى والقياس لغة تقدير الشئ بذراع ونحوه وفى الاصطلاح الحاق شئ بشئ لمناسبة بينهما ويطلق بمعنى الدليل المعروف والمراد قياسه بغيره وبديع بمعنى غريب عجيب يعنى ان المعاصى لا تنصر المحب لان المتحابين لا يؤاخذ احدهما الآخر وهو امر عجيب ومقتضى القياس ان المحب لا يعصى امر حبيبه ويجوز ان يراد القياس بالمنطقى كما قيل وهو تكلف (ويقال محبة العبد لله تعظيمه له وهيبته منه) اى خوفه اذا تأمل عظمته (ومحبة الله له) اى لعبده (رحمته له) اى احسانه واكرامه لان معناه الحقيقى لا يليق به فاريد به غايته (وارادة الفعل (الجميل له وتكون) بالمثناة الفوقية وفيه ضمير المحبة وقيل انه بالتحتية والضمير للجميل والاول اولى (بمعنى مدحه والثناء عليه) اى على العبد (قال القشيرى) الامام الزاهد ابو القاسم صاحب الرسالة وقد تقدمت ترجمته (فاذا كان) اى الرحمة

وذكره لتأويله اولان تأنيث المصدر غير معتبر لتأويله بان والفعل او الضمير للجميل (بمعنى الرحمة والارادة) عطف تفسير لان الرحمة تفسر بالانعام فيكون من صفات الافعال (والمدح) فى كلامه الازلى كالثناء على المؤمنين فى القرأن كان (من صفات الذات) اما الارادة فظاهر واما المدح فلانه يرجع لصفة الكلام والكلام على صفات الذات والافعال مفروغ منه فى علم الكلام (وسيأتى بعد) مبنى على الضم لقطعه عن الاضافة اى بعد هذا (فى ذكر محبة العبد غير هذا) فاعل سيأتى اى غير ما ذكر هنا (بحول الله) اى باعانته وقوته لان الحول له معان منها هذا ثم ذكر حديثا مسندا رواه الاجرى شاهدا لوجوب اتباعه صلى الله تعالى عليه وسلم فقال (حدثنا ابو اسحق ابراهيم بن جعفر الفقيه) بن احمد شيخ المصنف رحمه الله تعالى قال (حدثنا ابو الاصبغ عيسى بن سهل) اصبغ بصاد مهملة وموحدة وغين معجمة (ح وحدثنا) تقدم ان ح بحاء مهملة يذكرها المحدثون اذا ارادوا التحول من رواية لرواية اخرى كما بينه ابن الصلاح (ابو الحسن يونس بن مغيث) بميم مضمومة وغين معجمة وياء تحتية ساكنة ومثلثة (الفقيه بقراءتى عليه قال حدثنا حاتم بن محمد) تقدم بيانه (قال حدثنا ابو حفص الجهنى) نسبة لجهينة مصغرا قبيلة مشهورة (قال حدثنا ابو بكر الاجرى) بفتح الهمزة الممدودة وضم الجيم وتشديد الراء المهملة نسبة للاجر وهو الطوب المعروف وهو الامام الحافظ محمد بن الحسين وقد تقدم بيانه (قال حدثنا ابراهيم بن موسى الجوزى) بفتح الجيم وسكون الواو وزاى معجمة مكسورة وياء نسبة وهو ابو اسحق الجوزى نسبة لجوزة قرية من قرى بغداد وعلى هذا اقتصر الحافظ الحلبى وقال التلمسانى انه كذا فى اصل المصنف رحمه الله تعالى ورواه العزفى خوزى بخاء مضمومة وواو ساكنة وزاى معجمة نسبة لخوز جيل من الناس او قرية مشهورة قال (حدثنا داود بن رشيد) بالتصغير علم منقول وهو ابو الفضل الخوارزمى الحافظ الثقة روى عنه اصحاب السنن وتوفى فى شعبان سنة تسع وثلاثين ومائتين قال (حدثنا الوليد بن مسلم) الحافظ ابو العباس عالم الشام صاحب التآليف الجليلة روى له اصحاب الكتب الستة لا انه نسب الى التدليس، وتوفى سنة خمس وتسعين ومائة وله ترجمة فى الميزان (عن ثور بن زيد) الحافظ الحمصى ثقة لكنه نسب الى القدرية حتى اخرج من حمص وتوفى سنة ثلاث وخمسين ومائة (عن خالد بن معدان) الكلاعى الزاهد الفقيه الجليل اخرج له اصحاب الكتب الستة توفى سنة اربع وثمانين ومائة قيل انه كان يسبح فى كل يوم اربعين الف تسبيحة (عن عبد الرحمن بن عمرو الاسلمى) كذا فى النسخ وصوابه كما قال البرهان الحلبى السلمى بضم السين المهملة وفتح اللام وهو ابن عنبسة وهو حافظ ثقة توفى سنة عشرة ومائة (وحجر الكلاعى) حجر بضم الحاء المهملة وسكون الجيم وراء

مهملة والكلاعى بفتح الكاف ولام والف وعين نسبة الى كلاع بزنة سحاب بلدة بالاندلس وذو الكلاع من ملوك اليمن المسمين بالاذواء وهذه النسبة لاحدهما توفى سنة خمس وسبعين وروى له اصحاب السنن (عن) ابى نجيح (العرباض) بعين مهملة مكسورة وراء مهملة ساكنة وباء موحدة وضاد معجمة واصله الطويل وتقدم الكلام عليه (ابن سارية) بسين مهملة وياء اخر الحروف صاحب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من اهل الصفة سكن حمص (فى حديثه فى موعظة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال) اى فى حديث وعظ فيه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من كان فى مجلسه من الصحابة وذلك ان عبد الرحمن ابن عبد الرحمن بن عمرو السلمى وحجر بن حجر قالا اتينا العرباض بن سارية وهو ممن نزل فيه قوله تعالى *ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم قلت لا اجد ما احملكم عليه* وقلنا اتيناك زائرين وعائدين ومقتبسين فقال صلى بنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الصبح ذات يوم ثم اقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال قائل يا رسول الله كان هذه موعظة مودع فما ذا تعهد الينا فقال اوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وان عبد احبشيا فانه من يعش منكم بعدى فسيرى اختلافا كثيرا (فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة) رواه على عن الوليد كذا قال الذهبى فى تاريخه ومن خطه نقلت واعلم ان الموعظة هى التذكير بما يحث على الطاعة وعليكم اسم فعل يتعدى بنفسه ان كان بمعنى الزم كقوله عليكم انفسكم وبالباء ان كان بمعنى تمسك كما هنا والسنة الطريقة بما هم عليه والخلفاء جمع خليفة وراشدين جمع راشد ضد الغاوى والمراد بهم الخلفاء الاربعة ومن كان على طريقتهم كعمر بن عبد العزيز وائمة الاسلام المجتهدين فى اعلاء كلمة الله وقوله عضوا الى آخره فعل امر والنواجذ بالذال المعجمة جمع ناجذ اقصى الاضراس وهى اربعة اوالانياب او التى تليها والمراد الاجتهاد فى التمسك بها فهو استعارة تمثيلية لما ذكر لا كناية ويجوز ان تكون استعارة تصريحية تبعية وقيل المراد بالنواجذ جميع الاسنان هنا وقال البرهان عن المنذرى انه يجوز اهمال داله وفيه نظر لمخالفته لكتب اللغة واياكم تحذير اى احذروا المحدثات والرضاء بها وهى جمع محدثة اسم مفعول وهو ما احدث مما خالف الكتاب والسنة واجماع المسلمين والبدعة بمعناها وهى ما لم يعهد فى عصره صلى الله تعالى عليه وسلم وهى كما قاله العز بن عبد السلام تنقسم الى واجبة ومحرمة ومندوبة ومباحة فالمندوبة كتدوين الكتب وعلم النحو واللغة والاشتغال بذلك واحداث الربط والمدارس ومن المكروه تزويق المصاحف والمساجد وتكبير العمائم وتوسيع الملابس ومن الواجب وفرض الكفاية

نعم علم العربيـة الذى يتوقف عليه فهم كلام الله وكلام رسوله ولاينافى هذا قوله كل بدعة ضلالة لان البدعة لها معنيان كل ماحدث بعد العصر الاول وهو المقسم للاقسام المذكورة ولذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم من سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها واليه الاشارة بقوله سنة الخلفاء وقد خصها الشارع بما هو مذموم لعدم دخوله تحت القواعد الشرعية وهذا هو المراد بالبدعة عند الاطلاق وهو الذى جعل ضلالة وفى عوارف المعارف واحياء الغزالى البدعة المذمومة ما زاحم السنة المأثورة اوكان يفضى الى تغيرها وفى كتاب المدخل لابن الحاج بيان لها شاف كاف (وزاد) على ما رواه العرباض (فى حديث جابر) بن عبدالله رضى الله عنهما الذى رواه مسلم (بمعنـاه) اى ملتبسا بمعنى حديث العرباض موافق له وليس المراد انه رواية بالمعنى كما قيل (وكل ضلالة) اى ضال بارتكاب البدع المذمومة (فى النار) اى معذب بها اومستحق للعذاب وقيـل انه متضمن لشكل منطقى منتج لما ذكر اى كل محدث بدعة وكل بدعة ضلالة معذب مرتكبها فكل محدث ضلالة مستوجب للعذاب الاليم (وفى حديث ابى رافع) الصحيح الذى رواه ابو داود والترمذى وابن ماجة وابو رافع هو الصحابى مولى رسول الله صلى الله تعـالى عليه وسلم وكان قبطيا واختلف فى اسمه فقيل ابراهيم وقيل اسلم وقيل ثابت وقيل هرمز ولهم ابو رافع غير راوى هذا الحديث معدود فى الصحابة ايضا يروى (عنه عليه الصلوة والسلام لاالفين) نفى بمعنى النهى اى لااجدن والفى بمعنى وجد قال الله تعالى * والفيا سيدها لدى الباب وروى لاالفين كما تقدم عن الام للشافعى والصحيح رواية الاول وان صح هذا ايضا كانه لتحققه وجده وهو بضم الهمزة وسكون اللام وكسر الفاء وفتح المثناة التحتية وتشديد النون اى لايفعل (احدكم) معاشر الامة او الصحابة فعلا يكون هذا من سببه وهى نهى فى الحقيقة عن التكبر والبطر (متكئـا) اى مائلا مستندا معتمدا وهو بالهمزة والياء ايضا وقد تقدم ان العامة لاتعرف المتكى الا من مال فى قعوده معتمدا على احد شقيه وتاؤه مبدلة من واو من الوكاء (على اريكته) هى سرير مزين يتخذ فى قبة او بيت وليس مطلق السرير اريكة وقيل هو سرير فى حجلة وقيـل كل ما اتكى عليه من سرير اوفراش اومنصة اومخدة مما يفعله المترفون وجمعه ارائك وقال الراغب سمى به لاتخاذه من الاراك او لانه محل الاقامة من ارك بالمكان اروكا اذا اقام به واصله الاقامة لرعى الاراك ثم يتجوز به عن كل اقامة (يأتيه الامر من امرى) اى شئ مما امرت به فقوله (مما امرت به) تفسير لقوله من امرى بدل منه ومن بيانية فيهما وقيل الثانية بمعنى البـاء كقوله ينظرون من طرف خفى اى به متعلقة بامرى والامر الاول بمعنى الشان شامل للنهى وغيره والثانى مقابل النهى لقوله (اونهيت عنه فيقول لاادرى) هذا الامر الذى نقلتموه لنا ولا اتبع

واعرف غير القرأن (ما وجدنا فى كتاب الله تعالى اتبعناه) دون غيره مما روى فى الاحاديث ولم يعرف ان ما فى الحديث عن الله تعالى ايضا وان الوحى وحيان متلو وغير متلو وان السنة لاتخالف الكتاب وقد قال الله تعالى * وما آتيكم الرسول فخذوه وما نهيكم عنه فانتهوا * فهو تحذير عن ترك امتثال امره واجتناب نهيه والعمل بهما وسنة رسوله ككتابه يجب اتباعه سواء تواترت ام لا وفى الحديث الصحيح الذى رواه الترمذى الا انى اوتيت القرأن ومثله معه الا يوشك رجل شبعان على اريكته يقول عليكم بالقرأن فما وجدتم فيه من حلال فاحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه وان ما حرم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما حرم الله تعالى الحديث ومعلوم ان هذه شبهة فاسدة مبطلة لكثير من الشرع كشبهة الخوارج (وفى حديث عايشة رضى الله تعالى عنه) المروى فى الصحيحين وما ذكره المصنف رحمه الله تعالى لفظ البخارى (صنع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شيئا) يأتى بيانه (ترخص فيه) اى ارتكب فيه الرخصة وترك العزيمة والرخصة الامر المتغير من صعوبة الى سهو كقصر المسافر صلاته وافطاره وهذه الرخصة انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يصبح جنبا وهو صائم فبلغ ذلك بعضهم فقال لسنا كرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فسمعه صلى الله تعالى عليـه وسلم فغضب فقال لارجوا ان اكون اخشاكم لله واتقاكم وقيل هو ان بعض الصحابة سأل ازواجه صلى الله تعالى عليه وسلم عن عبادته ليلا فلما اخبر بها استقلها وقال انه غفر له ما تقدم وما تأخر فانا اصلى الليل كله وقيل ان بعضهم قال اعتزل النساء ولا اتزوج وقال البرهان نقلا عن شيخه ابن الملقن انه افطاره صلى الله تعالى عليه وسلم عام الفتح والكل صحيح هنا (فتنزه) اى تباعد (قوم) عن العمل بما ترخص فيه (فبلغه ذلك) اى نقل له صلى الله تعالى عليه وسلم تنزه هؤلاء فخطبهم موعظة على عادته (فحمد الله) واثنى عليه (ثم قال ما بال قوم) اى ما شانهم وحالهم وهو استفهام انكارى (يتنزهون عن الشئ) حال كونى (اصنعه) فتركهم لمثله لانهم يظنون ان خوفهم من الله تعالى اشد من خوفى له لان الله تعـالى غفر لى ما تقدم وما تأخر ولم يكلفنى ما كلفهم (فوالله) تأكيدا وتقريرا لقوله (انى لاعلمهم بالله واشدهم له خشية) اى خوفا وقدم اعلميته به لان الخشية بمقدار العلم كما قال الله انما يخشى الله من عباده العلماء فانكر عليهم ذلك لظنهم ان حالهم ليس كحاله وان ارتكاب مثلهم الرخص يفضى الى عدم الخوف والتهاون بالعبادة وليس كذلك بل لان الله يحب ان تؤتى رخصه كما يحب ان تؤتى عزايمه فانها صدقة تصدق الله بها عليهم لايليق عدم قبولها وقيل انه ليس محلا للانكار لكنه نزلهم منزلة المنكرين لما لاح عليهم من علامات الانكار وليس بشئ (وروى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم) كما رواه الديلمى

وابونعيم وابو الشيخ مسندا (انه قال القرآن صعب) بسكون العين ضد السهل (مستصعب) بكسر العين اسم فاعل من استصعب الامر بمعنى صعب وبفتحها من استصعبت الامر بمعنى وجدته صعبا وصيرته صعبا اى هو فى نفسه عسر على من اراد حفظه وفهمه والعمل به وقد صيره الله تعالى ايضا صعبا (على من كرهه) اى من لم يرد حفظه وتدبر آياته واما من احبه وتلذذ بتلاوته وداوم على مدارسته وتأمله فيسهله الله تعالى عليه (وهو) اى القرآن (الحكم) بفتحتين اى الذى يحكم على الناس بما تضمنه من الاحكام والحكم من الامثال والموعظة وجعله حكما اى حاكما بنفسه مبالغة (فمن استمسك بحديثى) المروى عنى (وفهمه وحفظه) بتدبر معانيه وضبط الفاظه (جاء) يوم القيامة محشورا (مع القرآن) اى اذا تمسك به وعمل بما فيه وفيه استعارة بتشبيه العامل به بالمتمسك بشئ محكم وثيق لا ينقطع فانه حبل الله المتين والعروة الوثقى كما ورد التعبير به عنه فى الاحاديث وفيه اشارة الى ان الحديث لا يفارق القرآن وانهما كشئ واحد لان السنة تبين القرآن ومجيئه معه او بمجيئه مع اهله اومع نوره او اعماله التى عمل بها منه اوهو على ظاهره بان يجئ تاليا له فيشفع فيه ويقال له اقرأ وارق كما ورد فى الحديث والمراد بالقرآن الفاظه لا الكلام النفسى الذى هو صفة ذاتية (ومن تهاون بالقرآن) اى اعرض عنه ولم يوجه اليه فكره لاهانته اوعده هينا (وحديثى) بعدم حفظه والعمل به (فقد خسر الدنيا) لانه يحيى جاهلا مهانا فقيرا (والآخرة) لفوات السعادة والفوز بنعيمها كما قال الله تعالى * ومن اعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيمة اعمى * الآية (امرت) بالبناء للمجهول اى امر الله تعالى (امتى ان يأخذوا بقولى) اى يتمسكون بحديثى ويعملوا به كما سيأتى (ويطيعوا امرى) لقوله واطيعوا الرسول (ويتبعوا سنتى) اى يقتدوا بى ويسلكوا طريقى وشريعتى السمحة كما قال الله تعالى * واتبعوه لعلكم تهتدون * فالعمل بسنته عمل بالقرآن لانهما توأمان وفيه رد على من قال لا اعمل الا بالقرآن ونهى عن ترك السنة وخبر الآحاد كما تقدم (فمن رضى بقولى) فاتبعه وعمل به (فقد رضى بالقرآن) لانه موافق له وغير مخالف له فهما كالشئ الواحد (قال الله وما آتيكم الرسول فخذوه وما نهيكم عنه فانتهوا) عنه فارضوا بما رضيه واكرهوا ما كرهه فان سنته مبينة موضحة للقرآن فمن خالفه فقد ضل وكذا قالوا من اراد تفسير القرآن فليتأمله فان بعضه يفسر بعضا فان لم يجده فيه فعليه بالسنة فان لم يجد ما اراده فيها فعليه باقوال الصحابة فانها فى حكم المرفوع لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يقرأ عليهم القرآن ويبين لهم معانيه كما رواه ابن تيمية وقال صلى الله تعالى عليه وسلم فيما رواه عبد الرزاق عن الحسن مرسلا بلفظ من استن بسنتى اى تبعها وعمل بما فيها والمصنف رحمه الله تعالى رواه بلفظ (من اقتدى بى) فى سنتى وشريعتى (فهو منى) اى من اتباعى واشياعى الذى يحشرون معى ويتصلون بى حتى كانهم بعض منى لا ينفصل

عنى ومن هذه تسمى من الاتصالية كقوله عليه السلام لعلى انت منى بمنزلة هارون من موسى (ومن رغب عن سنتى) اى تركها واعرض عنها يقال رغب عنه اذا كرهه وضده رغب فيه وسنته طريقته اواحاديثه المروية عنه الشاملة لاقواله وافعاله وتقريراته وهما متقاربان معنى (فليس منى) هذا تبرؤ منه كقوله لست من قيس ولا قيس منى وعجزه هذا مذكور فى الصحيحين ايضا ومعناه ليس مقربا منى اى هو كافر على ملتى لاهانته الحديث (وعن ابى هريرة) رضى الله عنه ولم يخرجه السيوطى بهذا اللفظ (عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال احسن الحديث كتاب الله) كما قال الله تعالى الله نزل احسن الحديث الآية (وخير الهدى) بالنصب ويجوز رفعه (هدى محمد) بفتح الهاء وسكون الدال المهملة وتحتية وهو مصدر بمعنى السيرة والطريقة من قولهم تهادى فى مشيته قيل روايته هنا كما قاله القاضى فى الاكمال الهدى بضم الهاء وفتح الدال مقصورة اوالهداية بمعنى الدلالة والتأييد بالعصمة وهذه هى التى تضاف الى الله (وشر الامور محدثاتها) بفتح الدال تقدم تفسيره (وعن عبد الله بن عمرو بن العاص) فى حديث رواه ابوداود وابن ماجة (قال قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم العلم ثلاثة) اقسام حصره فيها ان قلنا العدد يفيد الحصر لعدم الاعتداد بغيرها (فما سوى ذلك) وفى نسخة وما سوى ذلك (فضل) اى زائد لا حاجة اليه ولا يفتقر اليه وتفسيره بالبقية غير سديد هنا والاظهر ما قيل ان المراد كل علم غير هذه الثلاثة وما يتعلق بها وما يتوقف عليه فهو زائد لا ضرورة داعية لمعرفته ومعنى الفضل فى اللغة الزيادة كما علم (آية) من كتاب الله (محكمة) غير متشابه لقوله تعالى منه آيات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات اوغير منسوخة لان المحكم يفسر بهذا ايضا اوالمراد ما يشملهما لاحكام بيانها حتى لا يحتاج لزيادة واحكام نظمها فلا خلل فيها او يطلق المحكم على جميع القرآن ايضا كما قال الله تعالى احكمت آياته ويجوز ارادته ايضا (اوسنة قائمة) اى دائمة مستمرة يعنى لم تنسخ لدوام العمل بها (اوفريضة عادلة) اى لا جور فيها وفسرت هنا بالاحكام المستنبطة من القرآن والحديث تسمية لها باعظم اقسامها ولانها استنبطت بالاجتهاد المفروض على هذه الامة وسميت عادلة لمساواتها بالنص اوالمراد بها فريضة الموارث وقسمتها وهو المشهور ويطلق علما يقابل العائلة وليس بمراد هنا وفيه اشارة الى ان العلم اللازم العلوم الشرعية وهى التفسير والحديث والفقه (وعن الحسن بن ابى الحسن) هو الحسن ابن يسار البصرى وقد تقدم وهو حديث رواه عبد الرزاق عن معمر مرسلا والدارمى متصلا عن ابن مسعود (عنه) صلى الله تعالى عليه وسلم وفى نسخة قال (عليه الصلوة والسلام عمل قليل فى سنة) فى هنا بمعنى مع كقوله تعالى ادخلوا فى امم اى موافق للسنة ومصاحب لها وان قل (خير من عمل كثير فى بدعة) وان كثر لزيادة نفعه وكثرة ثوابه والتعبير بفى اشارة الى انه يراعى السنة فى جميعه عددا وهيئة حتى يحيط

السنة به وقيل انه لمصاحبته السنة وتمكنه فيها شبه بالظرف والمظروف وهذا كمن تهجد منفردا ركعتين ولم يصل الصلوات التي ابتدعها بعض الصوفية بجماعة كالرغائب ووجهه ظاهر وخير اسم تفضيل يقتضي الخيرية في البدعة بحسب ظاهره وليست مرادة وانما عبر بها هنا بناء على اعتقاد فاعلها القربة فيما فعله وقيل المراد الابتداع بالاعمال التي لها اصل في العبادة كوصال الصوم وما اشبهه (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم (ان الله يدخل العبد الجنة بالسنة) الواحدة وان قلت (تمسك بها) اى امتثلها وعمل بها مخلصا (وعن ابي هريرة) في حديث رواه الطبراني في الاوسط (المتمسك بسنتي) اى العامل بها والسالك طريقتي (عند فساد امتي) اى تغير احوالها وتركها امور الدين واتباع البدع وذلك في آخر الزمان (له اجر مائة شهيد) فيه اشارة الى ان المراد بالتمسك بها العمل بها وامر غيره بالعمل ايضا فيأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وهو الجهاد الاكبر وايضا هو يجاهد نفسه حتى يترك ما الفه الناس ومثله مما رغب الناس عنه فيؤذيه اشد الاذاء فلذا اعطى ثواب الشهداء وجعله اجر مائة للتكثير او للاشارة الى ان اكثر ما يقاومه عشرة والحسنة بعشر امثالها وقيل ان الشهيد يرقى منزلته بترك الدنيا وبذل نفسه في نصرة الدين وثناء غيره عليه ودعائه له ومن وفقه الله تعالى مع فساد عصره واهله فقد اختار دار البقاء على دار الفناء وارتكب المشاق بمخالفة الناس والتقوى بين الفجار كالمعصية بين الابرار كما ان الجود بين اللئام يعز عزة البخل بين الكرام كما قيل

* رأيت عبد الله اكرم من مشى * واكرم من فضل بن يحيى بن خالد *

* اولئك جادوا والزمان مساعد * وقد جاد ذا والدهر غير مساعد *

(وقال صلى الله تعالى عليه وسلم) في حديث رواه الترمذي (ان بني اسرايل افترقوا) اى صاروا فرقا واسرائيل لقب يعقوب بن ابراهيم الخليل عليه الصلوة والسلام واليه انتسب كل من كان قبيلة وهم قوم مشهورون (على اثنين وسبعين ملة) اى مذهبا او دينا لان الملة والدين بمعنى وان افترقا مفهوما واستعمالا وقد تقدم تفصيله (وان امتي تفترق على ثلاث وسبعين) فرقة مختلفة الاعتقاد والمذاهب وروى فرقة مكان ملة وفي الحديث روايات مختلفة (كلها في النار الا واحدة قالوا ومن هم يا رسول الله) هكذا روى فالواو عاطفة على مقدر اى هذا عددهم ومن هم او هي زائدة (قال هم الذين على الذي انا عليه واصحابي) وفيه معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم لاخباره بالغيب فان ذلك لم يكن في عصره ولا عصر الخلفاء الراشدين من بعده وقد وقع ذلك كما قال وهذا باعتبار اصول الفرق فان شعبها كثيرة وقد الف في بيانها تأليف اجلها كتاب الملل والنحل للشهرستاني وقد عدوها فكانت كما ذكر صلى الله تعالى عليه وسلم وهم اهل السنة والشيعة والخوارج والمعتزلة

ونحوهم من الفرق واصنافها مما يطول ذكره والمراد بكونهم في النار انهم مستحقون للعذاب دون الخلود الا ان يكون في اعتقادهم ما يقتضي الكفر كبعض غلاة الرافضة والفرقة الناجية اهل السنة والجماعة لاتباعهم القرآن والحديث في الاعتقاد من غير اعتقاد ارتكاب تأويلات بعيدة وزعم الطوسي وابن مطهر انهم الامامية ورده الجلال الدواني في شرح العقايد كما بيناه في حواشيها ومطابقة الجواب للسؤال ظاهرة من غير احتياج للتأويل كما توهم (وعن انس) رضي الله تعالى عنه (قال صلى الله تعالى عليه وسلم) في حديث رواه الاصفهاني في ترغيبه وغيره (من احيى سنتي) اى اظهرها بالعمل بها والحث على اتباعها جعل ذلك بمنزلة الاحياء ففيه استعارة تبعية او مكنية وتخييلية وهو كالحديث الذي رواه ابو هريرة لان المراد اظهارها بعد تركها (فقد احياني) اى اظهر ذكري ورفع امري فجعله بمنزلة احيائه كما قيل * ونحسبه قد عاش آخر دهره * الى الحشر ان ابقى الجميل من الذكر (ومن احياني) ببقاء ذكري وشرعي (كان) اى تحقق ان جزاءه ان يكون (معي) في الجنة والمراد دخوله فيها وعلو مرتبته لا مساواته فيها وحذف ظرف المعية من الزمان والمكان تفخيما له لتذهب نفسه كل مذهب (وعن عمرو بن عوف) بن زيد بن مليحة (المزني) الصحابي وهو قديم الاسلام شهد المشاهد وتوفي في زمن معاوية وهو منسوب لمزينة قبيلة مشهورة (ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال لبلال بن الحارث) بن عاصم بن سعيد بن قرة بن مازن ابو عبد الرحمن المزني الصحابي وفد على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مع وفد مزينة وسكن وراء المدينة وتوفي سنة ستين وسنه ثمانون سنة (من احيا سنة من سنتي قد اميتت بعدي) اى تركت وترك العمل بها فشبه الترك بالموت لاشتراكهما في العدم وسنته طريقته وشريعته فهي تشمل السنن وغيرها فلا وجه لما قيل الظاهر سنتي بصيغة الرواية بالافراد والاماتة ضد الاحياء وتختص بالحيوان حقيقة (كان له من الاجر) اى الثواب (مثل من عمل بها) فيه مضاف مقدر اى اجر من عمل بها (من غير ان ينقص ذلك) اى الاجر الذي له (من اجورهم شيئا) دفعا لتوهم انه يعطى من ثوابهم فينقص اجرهم (ومن ابتدع بدعة ضلالة) وفسرها بقوله (لا ترضى الله ورسوله) لانها بدعة غير مرضية (كان عليه مثل آثام) بالمد جمع اثم وهو الوزر (من عمل بها لا ينقص ذلك من اوزار الناس شيئا) وهذا رواه الترمذي وابن ماجة وحسنه وفي من الموصولة من العموم ما لا يخفى وكذا قوله شيئا وقوله بدعة ضلالة بالاضافة والتوصيف ولا ينافي هذا قوله تعالى * ولا تزر وازرة وزر اخرى * لان هذا وزره وكسبه لانه بعمله سنها لهم وارشدهم لفعلها وحسنها لهم فكان في قوة الامر لهم كما ذكره شراح الحديث وقيل المراد ان عليهم اثما بالغا في المقدار مثل آثام العاملين بها من جهة انه كان طريقا لهم في العمل بها ولذا غاير بين المقامين لفظا فقال عليه من الاجر مثل الخ ولم يقل عليه

من الاثم انتهى ولاحاجة لماطوله وتحقيقه انه كان سببا فى الخبر والثانى سببا لضده والسبب منزل منزلة الفاعل فله ماله وعليه ماعليه اى مثله و فى الحديث الدال على الخير كفاعله كمن حفر بئرا فوقع فيها غيره فانه يضمن فى بعض الصور وهو لاينافى الآية اما لان المراد بهاان وزرغيره لاينتقل له اولانه مخصوص بغير السبب بالاحاديث المذكورة واخذ من الخبر المذكوران الداعى الى الاثم كفاعله وقدصرح به فى بعض الروايات قال شيخ والدى الشهاب بن حجر فى شرح المشكاة لكن لوتاب الداعى الى الاثم و بقى العمل به فهل ينقطع اثم دلالته بتوبته لان التوبة تجب ماقبلها اولالان شرطها رد الظلامة والاقلا ومادام العمل بدلالته موجودا فالفعل منسوب اليه فكانه لم يرد ولم يقلع كل محتمل ولم ار فى ذلك نقلا والذى ينقدح الآن الثانى انتهى وفيه نظر ظاهر

﴿ فصل واما ماورد عن السلف ﴾

الصالحين يعنى الصحابة والتابعين فى اول القرون واما اشارة الى انه قسيم لماقبله مما فى القرأن والحديث ولذا قال ورد (والائمة) يعنى من بعدهم من العلماء والمجتهدين (من اتباع سنته) اى طريقته وهو بيان لما وفى نسخة فى اتباع متعلق بورد بمعنى جاء (والاقتداء بهديه وسيرته) عطف تفسير لماقبله وهديه وسيرته بمعنى وهو الهيئة والطريقة ايضا (فحدثنا الشيخ) اصل معناه الكبير سنا ثم شاع عرفا بمعنى من كان قدوة مفيدا لطلبة العلم لانه فى الغالب يكون مسنا وهذا مما استعمل قديما واول من اطلق عليه شيخ الاسلام الصديق رضى الله تعالى عنه كما قاله السخاوى رحمه الله تعالى (ابو عمران ابن عبد الرحمن) الرعينى علامة عصره بالمغرب وقد تقدمت ترجمته (ابن ابى تليد) بفتح المثناة الفوقية منقول من تليد بمعنى قديم (الفقيه سماعا عليه) وهذا الحديث من احاديث الموطأ ورواه النسائى وابن ماجة (قال حدثنا ابو عمر الحافظ) هو ابن عبد البر وتقدم بيانه (قال حدثنا سعيد بن نصر) تقدمت ترجمته (قال حدثنا قاسم بن اصبغ بالغين المعجمة كما تقدم (ووهب بن ميسرة) كذا فى بعض النسخ بتحتية بعد الميم وقال التلمسانى انه مسرة مفعلة من السرور ووهب يحرك و يسكن وهو وهب بن مسرة بن مفرح بن بكر التميمى مات بقرطبة منتصف شعبان سنة اثنين واربعين وثلثمائة انتهى (قالا) بالتثنية وهو الصحيح وروى قال اى كل واحد منهما او اكتفاء باحدهما (حدثنا محمد ابن وضاح) تقدم ايضا (قال حدثنا يحيى بن يحيى) الليثى راوى الموطأ (قال حدثنا مالك امام دار الهجرة الغنى عن البيان (عن ابن شهاب) محمد بن مسلم الزهرى وقد تقدم بيانه (عن رجل من آل خالد) اى اهله وقومه وهو غير مسمى فقال الحلبى لااعرفه وقال التلمسانى هو امية بن عبد الله بن خالد بن اسد بفتح الهمزة وكسر السين او بضمها وفتح السين والاول اصح وهكذا رواه مالك ولم يدخل بينه و بين ابن شهاب احد ورواه الليث بن سعد فسمى الرجل وادخل بين ابن شهاب وامية عبد الله بن ابى بكر

وامية هذا يروى عن ابن عمر توفى سنة سبع وثمانين انتهى وقال القرطبى فى تفسيره انه يعلى بن امية بن عبد الله الى آخره وخالد هو ابن اسيد بفتح الهمزة وكسر السين على ماص و باء ودال مهملة وهو ابن ابى العيص بن امية بن عبد شمس اخو عتاب (انه سأل عبد الله بن عمر فقال يا اباعبد الرحمن انا نجد صلاة الخوف وصلاة الحضر) بفتحتين اى الصلوة من غير قصر مذكورة (فى القرأن ولا نجد صلاة السفر) المقصورة فى القرأن (فقال ابن عمر) فى جوابه (يا ابن اخى) هذا جار على عادة العرب فى الشفقة بالصغير وقولهم له يا ابنى و يا ابن اخى كما يقال للكبير يا ابى و يا عمى (ان الله بعث الينا محمدا) اى نبأه وارسله صلى الله تعالى عليه وسلم (و) نحن (لا نعلم شيئا) من امور الدين (فانما نفعل كما رأيناه يفعل) وروى ما رأيناه بدون كاف وما موصولة او مصدرية اى نقتدى به فى ما جاء به وهذا هو المقصود هنا اما صلاة الخوف فقد ذكرت فى القرأن وهى سنة خلافا لمن قال انها مخصوصة به صلى الله تعالى عليه وسلم واما قصر الصلاة سفرا فقد ذكرت فى القرأن فى قوله لاجناح عليكم ان تقصروا من الصلاة لكنها مقيدة بقوله ان خفتم الآية ولذا سألوا عنها الان اطلاقها مبين بالسنة فقد سئل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن قصرها فقال تلك صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته وقد يذكر الله شيئا مقيدا بشرط و يبيحه على لسان نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم من غير شرط وقد ورد فيها احاديث اخر (وقال عمر ابن عبد العزيز) الخليفة العادل الزاهد المشهور رضى الله تعالى عنه (سن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى اتى بافعال واقوال وطريقة شرعها هو (وولاة الامر بعده) بضم الواو جمع وال وهو من يتولى امور الناس والمراد بهم هنا الخلفاء الراشدون (سننا) جمع سنة (الاخذ بها) اى العمل بها واتباعها (تصديق بكتاب الله) بالباء واللام لانه امر بالعمل بها واتباع سبيل المؤمنين (واستعمال لطاعة الله) لان طاعتهم طاعة له فى الحقيقة لانهم لايقولون شيئا من عند انفسهم وانما يقولون ما رووه عنه صلى الله تعالى عليه وسلم وما استنبطوه من الكتاب والسنة (وقوة على دين الله ليس لاحد تغييرها) اى تغيير تلك السنن بوجه من الوجوه (ولا تبديلها) بيدل لها تغايرها وهو اخص من التغيير لشمول الزيادة والنقص و يجوز ان يكونا بمعنى (ولا النظر فى رأى من يخالفها) اى لايلتفت اليه ولا يعتبر ما خالفها اصلا وليس المراد بالنظر حقيقته حتى يقال يجوز ان ينظر فيه ليرده (من اقتدى بها) اى عمل بتلك السنن فهو (مهتد) لانهم على هدى من الله (ومن انتصر بها فهو منصور) على من خالفه (ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين) غير ماهم عليه من اعتقاد او عمل (ولاه الله ما تولى) اى جعله واليا لما تولى من الضلال وخلى بينه و بين ما اختاره من الضلالة (واصلاه جهنم) ادخله فيها (وساءت

مصيرا) جهنم وفى ذلك دليل على حرمة مخالفة الاجماع (وقال الحسن ابن ابى الحسن) هو الحسن البصرى كما تقدم (عمل قليل فى سنة خير من عمل كثير فى بدعة) تقدم هذا وقد بينا معناه وقيل لا تكرار فيه لانه ذكره اولا خبرا وذكره هنا اثرا وفيه نظر (وقال ابن شهاب) الزهرى (بلغنا عن رجال من اهل العلم) انهم (قالوا الاعتصام بالسنة) اى التمسك بها (نجاة) مما يخافه المرء فى الدنيا والآخرة وفى القاموس اعتصم بالله امتنع بلطفه من المعصية اى من تلبس بالسنة حفظ من ان يقع فى معاصى الله وفيه حث على حفظها والعمل بها (وكتب عمر بن الخطاب) رضى الله تعالى عنه الى عماله ونوابه وامرهم (بتعليم السنة) اى ما روى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم من اقواله وافعاله فى اسفاره واقامته (والفرائض) اى قسمة المواريث لانها نصف العلم وفقدها من اشراط الساعة (واللحن) بفتح اللام وسكون الحاء المهملة وفسره بقوله (اى اللغة) والمراد بها لغة العرب وما يتعلق بها من الاعراب وعلم البلاغة وقال الزهرى معناه تعلموا لغة العرب فى القرآن واعرفوا معانيه واللحن بسكون الحاء كما علمت وقد تفتح له معان منها التعريض وفحوى الكلام كقوله تعالى ولتعرفنهم فى لحن القول والخطأ فى الاعراب وقال الزمخشرى معنى اللحن فى كلام عمر رضى الله تعالى عنه وقوله تعلموا اللحن الغريب واللحن علم الغريب الواقع فى القرآن والحديث ومن لم يعرفه لم يعرف اكثر كلام الله وسنة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا رواه سعيد بن منصور فى سننه فاللحن من الاضداد ومن معانيه الفطنة وقال ابن الاعرابى ان اللحن بالسكون الفطنة والخطأ وقال غيره من اهل اللغة الفطنة بالفتح والخطأ بالسكون (وقال) عمر رضى الله تعالى عنه فى اثر آخر رواه عن الدارمى (ان ناسا يجادلونكم يعنى بالقرآن) اى يخاصمونكم وينازعونكم فى بعض الاحكام التى قلتم بها فيقول القرآن فيه ما يخالفكم نظرا لظاهره مما بينته او خصصته او نسخته السنة (فخذوهم) انتم اى جوروهم واغلبوهم (بالسنن) الواردة عنه صلى الله تعالى عليه وسلم (فان اصحاب السنن) اى علماء الحديث ونقاده (اعلم بكتاب الله) اى بمعانى القرآن ممن يتمسك بظاهر القرآن لمعرفتهم بناسخه ومنسوخه ومخصصه ومأوله فان تفسير القرآن انما يعلم من السنة (وفى خبره) اى خبر عمر الذى رواه عنه مسلم (حين صلى) عمر رضى الله تعالى عنه (بذى الحليفة) بضم الحاء المهملة ولام وفاء بصيغة المصغر اسم مكان على ستة او سبعة او اربعة اميال من المدينة من جهة الشام وهو ميقات اهل المدينة والشام الذى يحرمون منه (ركعتين) اختلف فيهما والاصح انهما سنة لمن اراد ان يحرم بنسك مؤكدة عند اكثر الفقهاء فى تركهما فوات فضيلة من فضائل الاحرام فلم يخالف فيه الا الحسن البصرى فانه استحب كونه اى الاحرام بعد صلاة فرض لانه روى انها كانت صلاة الصبح والصحيح غيره ولو كان كذلك لم يسأل عنها ولم يحتج لقوله (فقال اصنع كما رأيت رسول الله

صلى الله تعالى عليه وسلم يصنع) فاقتدى بآثاره وكل ما صنعه (وعن على) بن ابى طالب كرم الله وجهه فى اثر رواه عنه البخارى والنسائى (حين قرن) بين الحج والعمرة فى حجة حجها (فقال له) اى لعلى (عثمان) بن عفان وهو خليفة اذ ذاك وفى نسخة فقال له عمر والصحيح رواية ان القائل له عثمان رضى الله تعالى عنه كما فى الصحيحين وغيرهما فهذا وهم من الناسخ (ترانى) وفى نسخة ترى انى اى تعلم او تشاهدنى وانا (انهى الناس عنه) اى عن القرآن (وتفعله) انت فانكر عليه عدم اتباعه له (قال) على لعثمان رضى الله تعالى عنهما (ادع) واترك (سنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لاحد من الناس) اى لاجل احد من الناس خالف فعله فعل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاقتدى بغيره مع علمى بما صنعه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والحديث عن مروان بن الحكم قال شهدت عثمان وعليا رضى الله تعالى عنهما وعثمان ينهى عن المتعة وان يجمع بينهما وعلى رضى الله تعالى عنه اهل بهما وقال لبيك بعمرة وحجة فلما كلمه عثمان فى ذلك قال له ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى والمتعة تستعمل بمعنيين احدهما ان يحرم بالعمرة ثم يحرم بالحج كالمكى فالعطف من عطف المتغايرين وان يجمع بين الحج والعمرة معا باحرام واحد والعطف على هذا تفسيرى وهذا هو المراد كما هو صريح الحديث واحتمال ارادة الاول كما قيل يأباه الحديث وسمى متعة لما فيه من ترك السفر والاحرام مرتين وكل منهما جائز وانما نهى عن ذلك لترك الافضل عنده وعلى رضى الله تعالى عنه انما خالفه لاعتقاده خلافه للآفاقى اوئلا يتوهم احدانه ممتنع وكل منهما مجتهد مأجور وهذا مبنى على مسئلة اصولية وهى انه اذا وقع الاختلاف فى عهد الصحابة فى حكم شرعى هل يصح الاجماع بعدهم على احد قولى الصحابة فذهب احمد واكثر الاشاعرة والشافعية ان حكم الخلاف لا يرتفع وذهب الغزالى وبعض الشافعية واكثر الحنفية الى ارتفاع الخلاف كبيع ام الولد فان الصحابة اختلفوا فيه ثم اجمع الفقهاء على منعه وفيه بحث وهذا الخلاف بين على وعثمان مبنى على الاختلاف فى حج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم او على ما روى من ان عثمان رضى الله تعالى عنه لما كلم عليا كرم الله وجهه فى ذلك قال له على قد علمت انا تمتعنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال اجل ولكنا كنا خائفين يعنى ان فعله ذلك لعارض لا لانه الافضل وروى ان عثمان رجع لما قاله على وقال ما كنت لادع عليا لكنه مما تفرد به مسلم وكان الكلام بينهما بعسفان وهو اسم موضع معروف (وعنه) اى مما روى عن على رضى الله تعالى عنه ولم يذكروا من رواه عنه (الا انى لست بنبى ولا يوحى الى) بالبناء للمجهول (ولكنى اعمل بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما استطعت) اى ما لم اضطر الى خلافهما فان الضرورات تبيح المحظورات وفى نسخة وسنة نبيه (وكان ابن مسعود يقول) فى اثر رواه الدارمى والطبرانى عن ابى الدرداء (القصد) اصله معنى القصد التوجه الى جهة ويطلق

على استقامة الطريق ثم شاع فى الاعتدال بين الافراط والتفريط كما قاله الراغب وهذا هو المراد (فى السنة) اى فى سلوك طريقة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (خير من الاجتهاد) اى الاكثار منه وبذل الجهد والطاقة فى العمل الملتبس بغيرها وهو معنى قوله (فى البدعة) وتقدم تفسيرها وانها تنقسم لواجب وسنة ومحرم ومكروه كما قاله ابن عبد السلام (وقال ابن عمر) رضى الله تعالى عنهما فيما رواه عبد ابن حميد فى مسنده بسند صحيح (صلاة السفر) اى المقصورة فيه وجوبا او استحبابا (ركعتان من خالف السنة) اى طريقة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى قصر الصلاة سفرا (كفر) اى صار كافرا ان قصد مخالفة فعله صلى الله تعالى عليه وسلم عنادا وانكر جواز فعله والا فهو بمجرد الاتمام مبتدع عند ابى حنيفة رحمه الله تعالى وبعض الفقهاء وقيل الكفر بمعنى كفران النعمة التى انعم الله تعالى بها عليه من احسانه عليه بتسهيل امره (وقال ابى ابن كعب) رضى الله تعالى عنه فيما رواه الاصبهانى فى ترغيبه وغيره وابى هو المنذر البخارى الانصارى الصحابى توفى سنة تسع عشرة على الاصح وقيل سنة اثنين وثلاثين فى خلافة عثمان (عليكم) هو هنا اسم فعل بمعنى الزموا او تمسكوا (بالسبيل) اى طريق الله وصراطه المستقيم وهو العمل الخالص تقربا الى الله تعالى (والسنة) اى طريقة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهديه وقدم السبيل اهتماما بالاخلاص ان لم نقل ان العطف تفسيرى وهو جائز (فانه) تعليل للحث على التمسك بالسنة والضمير للشان (ما على الارض) الظاهر ان المراد بمن عليها كل موجود من الاحياء العقلاء من هذه الامة من عصره الى يوم القيامة وقيل المراد به من كان موجودا فى عصره من الصحابة وخصهم لان قرنه خير القرون وثوابهم اكثر من ثواب غيرهم والظاهر ما قدمناه لما مر من ان العامل بسنتى عند فساد امتى له اجر مائة شهيد (من عبد) من زائدة للاستغراق (على السبيل والسنة) متمسك بها والسبيل كالطريق يذكر ويؤنث وجعله لتمكنه كانه راكب مستعل عليها فهو تمثيل (ذكر الله) صفة مخصصة لعبد (ففاضت عيناه) اى فاض ماء عينيه ببكائه (من خشية الله تعالى) وخوفه وفى نسخة من خشية ربه (فيعذبه الله تعالى ابدا) اى الالم يعذبه الله ابدا ولا يدخله النار وان كان مذنبا ولا يعذبه فى قبره ايضا ويعذبه بالنصب فى جواب النفى المحض كقوله لا يقضى عليهم فيموتوا (وما على الارض من عبد على السبيل والسنة) اى متق سالك طريقة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومصدقا به فى اقواله وافعاله (ذكر الله فى نفسه) اى احضره فى قلبه وذهب لملاحظة ربه وجلاله وعظمته والظاهر ان هذا بمجرد التصور من غير لفظ لمقابلته للذكر قبله والذكر المذكور المراد به المقارن للفكر لانه لا يفيض ماء عينيه الا لتصوره واحضاره فى قلبه

وقيل ان هذا يحتمل التصور المجرد والمقارن للذكر اللسانى ولا يخفى ما فيه (فاقشعر جلده) اقشعر بالتشديد اى اخذته قشعريرة وهى الرعدة كما فى القاموس (من خشية الله) اى من شدة خوفه قال الراغب الخشية خوف يشوبه تعظيم واكثر ما يكون عن علم بما يخشى منه ولذا خص العلماء بها فى قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء * انتهى (الا كان مثله) بفتحتين اى صفته وحاله العجيبة (كمثل) بفتحتين اى كهذه الصفة (شجرة) ذات اغصان وورق (قد يبس ورقها) صفة شجرة وانما وصفها بهذا توطئة للتحات الاتى لانه لا يكون كذلك الا الورق اليابس وهو اشارة الى انه له خطايا كثيرة قديمة (فهى كذلك) اى فهى دائمة قائمة على هذه الحالة من قدم اوراقها ويبسها واصله فبينما هى كذلك (اذا اصابتها ريح شديدة) والريح مؤنثة (فتحات عنها ورقها) اى سقط وفى القاموس حته فركه وقشره فانحت وتحات والورق سقطت كانحت انتهى وتحات بفتحات وتاء مشددة آخره مطاوع حته (الا حط الله خطاياه) المراد بالحط هنا المغفرة وعبر بها على طريق الاستعارة وعبر به لمناسبة المشبه وخطاياه جمع خطيئة وهى الذنب وهذا بدل من الا الاولى وما معها وكرر الا مع البدل تأكيد البعد المسافة باعتراض المثل وقيل انه استئناف جوابا لمقدر كانه قيل ماذا يترتب على اقشعراره من الخشية مع مراعاة النفى فقيل الا حط عنه خطاياه (كما تحات) اصله تتحات مضارع بمعنى تسقط (عن الشجرة ورقها فان اقتصادا) اى اعتدالا وتوسطا من غير تفريط كما تقدم وهو افتعال من القصد وهو تعليل لما تضمنه ما قبله من مغفرة الذنوب الكثيرة بمجرد ذكر الله او تذكره مع الخشوع والخشية وهو قليل ظاهرا وان كان عظيما فى نفسه (فى سبيل الله وسنة) عبر بفى لمناسبة السبيل ولان ذلك الاتباع والاقتداء محيط بعمله احاطة الظرف بالمظروف (خير من اجتهاد) اى زيادة وبذل جهده وطاقته (فى خلاف سبيل الله وسنة) اى بدعة مخالفة لسنة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وتقدم تفسيره (وانظروا) المراد بالنظر هنا التدبر والتأمل وهذا تتميم لما قبله وتأكيد له (ان يكون عملكم ان كان اقتصادا او اجتهادا) اى تدبروا فى جميع اعمالكم قليلة كانت او كثيرة سواء بالغتم فيها اولم تبالغوا (ان تكون) اعمالكم كلها وهو مع ما بعده بدل مما قبله او تأكيد له واعادة للفصل بينهما كما تقدم وان بفتح الهمزة هى المصدرية لا شرطية مكسورة (على منهاج الانبياء) اى على طريقتهم والمنهاج والمنهج بمعنى الطريق الواضح (وسنتهم) اى طريقتهم وشريعتهم وعبر بالانبياء والمراد منهاج نبينا صلى الله عليه وسلم اشارة الى ان منهاجه جار على منهاجهم غير مخالف له كما قال الله فبهداهم اقتده وجريه باعتبار التوحيد والعقايد الحقة والاعمال الصالحة والاخلاص لا لانا مأمورون باتباعهم فيما لم يرد فيه نص كما توهم وان كان صلى الله عليه وسلم نفسه كذلك

(وكتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز) رضى الله تعالى عنه وعمال بضم العين وتشديد الميم جمع عامل وهو الامير المولى من جانب الخليفة لعمله فى الاموال والمصالح (الى عمر بحال بلده) اى يخبره بحال بلده الذى ولاه عليها وهى حمص كما قالوه (وكثرة لصوصه) عطف تفسير لحال جمع لص بتثليث اللام وهو السارق وقاطع الطريق وغيرهما من الذين يأخذون اموال الناس بالباطل وهذا رواه اللالكائى فى السنة كما قاله السيوطى رحمه الله تعالى (هل يأخذهم) اى يحبسهم ويعاقبهم (بالظنة) بكسر الظاء المعجمة المشالة وتشديد النون اى بمجرد الظن بانهم لصوص (او يحملهم) اى يطلب منهم ويكلفهم (على البينة) كما فى قوله تعالى * مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها اى تكلفوا حملها كما قاله الراغب وضمير يأخذهم للصوص وضمير يحملهم للمدعين عليهم المعلومين من السياق وعداه بعلى باعتبار معناه الاصلى كما تقدم (وماجرت عليه السنة) اى ما اقتضته الشريعة من لزوم الثبوت بالبينة ونحوه مما يترتب عليه الحكم دون السياسة المحضة وان كان ذلك يجوز للحاكم فى بعض الاحيان (فكتب اليه) اى الى عامله (عمر) بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه (خذهم) اى احكم عليهم (بالبينة وما جرت عليه السنة) اى وردت واستقرت عليه (فان لم يصلحهم الحق) اى حكم الشريعة دون السياسة والعنف (فلا اصلحهم الله تعالى) اى ينتقم منهم اذلم يوفقهم لعمل الخير وهذا من شدة تقواه وانقياده للشريعة واحكامها قيل فكان من ثبت عليه سرقة نصاب قطع يده فادار الحول وفيها سارق (وعن عطاء فى) تفسير (قوله) تبارك وتعالى (فان تنازعتم) اى اختلفتم ايها الناس (فى شئ) من امور الدين (فردوه) اى ارجعوا فيه (الى الله و) الى (الرسول) اى الى ماقالاه (اى الى كتاب الله وشريعة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) وهذا مؤيد لما قاله عمر رضى الله تعالى عنه ولذا ساقه عقبه وهذا لاينافى ما ذكره الفقهاء من حبس المتهم وضربه حتى يقر وانه قد يعمل باقراره كما ذهب اليه مالك وغيره فانه استحسان منهم اذا قويت التهمة واقتضته الحال كما فصله الفقهاء وما قاله عمر رضى الله تعالى عنه شئ آخر وعطاء هو عطاء ابن ابى رباح المفسر كان من كبار التابعين وتوفى سنة خمس عشرة ومائة (وقال الشافعى) الامام المشهور امام الائمة وسلطان الامة (ليس فى سنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى لم يثبت فى حديث فى شريعته (الااتباعها) اى اتباع السنة والعمل بها وكان يقول اذا صح الحديث فهو مذهبى واذا خالف قولى الحديث فاضربوا به عرض الحائط وهكذا تبعه ائمتنا الشافعية رضى الله تعالى عنهم (وقال عمر) بن الخطاب رضى الله تعالى عنه كما رواه عنه الشيخان (و) قد (نظر الى الحجر الاسود) فى طوافه والجملة حالية

بتقدير قد او معترضة موذنة بان قوله ذلك حال مشاهدته له (انك حجر لاتضر ولاتنفع) اى لاتقدر على ضرر ونفع بالذات وان كان الله جعله سببا لاجابة الدعاء عنده وسنبينه (ولولا انى رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقبلك ماقبلتك) اى فى طوافه وانما استحب تقبيله لانه نزل من الجنة وكان ابيض كاللبن فسودته خطايا بنى آدم كما رووه (ثم قبله) عمر بعد ما ذكر وروى الحاكم ان عليا رضى الله تعالى عنه كان خلف عمر فلما سمع قوله هذا قال له بل يضر وينفع فان الله لما اخذ الميثاق على بنى آدم فى عالم الذر كتب ذلك فى رق والقمه الحجر الاسود وسيأتى يوم القيامة وله لسان يشهد به لمن استلمه بالتوحيد ووفائه العهد وروى ذلك ذكره صلى الله تعالى عليه وسلم فاقره وقد قالوا ان عمر رضى الله تعالى عنه كان عالما بذلك ولكنه قال مقالة هذا واسمعه للناس لقرب عهدهم بالجاهلية وعبادة الاحجار فخشى ان يضلوا و يعتقدوا نفعها قياسا عليه وقد ورد ان الحجر الاسود يمين الله فى ارضه اى وضعه فى الارض ليقبل كما يقبل اليد اليمنى دون اليسرى تكريما لها او ان تقبيله يفيض الانعام والرضى كتقبيل يد العظماء فهو استعارة والاضافة للتشريف كبيت الله وفيه رد على من قال ان الحجر الاسود له خاصة فى ذاته كخاصة المغناطيس لجذب الحديد وفى الحديث من الاحكام انه يكره تقبيل مالم يرد الشرع بتقبيله كما يفعله بعض العوام من تقبيل قبور الاولياء والاماكن المباركة وقول الشافعى رضى الله تعالى عنه كل مكان قبل من البيت حسن لم يرد به استحبابه وانما اراد اباحته لان المباح حسن عند بعض الاصوليين (ورئى) مبنى للمجهول براء مهملة مضمومة وهمزة مكسورة وياء مفتوحة وقال ابن مرزوق انه بوزن قيل ففيه ما فيه من اللغات وآخره همزة بالقلب المكانى وتبعه بعضهم فان ساعدته رواية فيها ونعمت والا فهو تكلف لاحاجة اليه (عبد الله بن عمر) الصحابى المشهور رواه عنه احمد بن حنبل والبزار بسند صحيح (يدير ناقته فى مكان) وهو راكبها اى يلفت وجهها و يطيفها حوله حتى عادت لموضعها الاول (فسئل) عن فعله ذلك لاى شئ هو (فقال لا ادرى) وجه ما فعلته وحكمته (الا انى رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يفعله) اى يدير ناقته فى هذا المكان (ففعلته) اقتداء به صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه انه يستحب الاقتداء بافعاله صلى الله تعالى عليه وسلم تبركا وتيمنا الا انه قيل اذا صدر عنه امر يحتمل انه اتفاقى بمقتضى الجبلة البشرية لا بنية التعبد هل يستحب فعله ام لا فذهب الاكثرون الى انه لايستحب الا انه لابأس به وهو الظاهر واما غيره فيكره الاقتداء به فى مثله كما يفعله بعض الصوفية فى اتباع آثار مشايخهم ومن هذا القبيل لبس الخرقة ونحوه فاعرفه (وقال ابو عثمان الحيرى) شيخ الصوفية بنيسابور وهو بكسر الحاء والراء المهملتين وبينهما مثناة تحتية ساكنة وفى آخره ياء نسبة مشددة نسبة للحيرة اسم محلة بها كان يسكنها وهو ابو عثمان سعيد بن اسمعيل توفى سنة

ثمان وتسعين ومأتين وهومن كبارالزهاد والمشايخ الصوفية وهوصاحب ابى حفص النيسابورى كما قاله ابن ماكولا والذهبى وذكره القشيرى فى رسالته ونقل ما ذكره المصنف عنه رحمه الله تعالى وقال انه صاحب شاه الكرمانى ويحيى بن معاذ الرازى ثم ورد نيسابور مع شاه الكرمانى على ابى حفص الحداد فتخرج عليه وزوجه ابنته وقد صحف الناس هنا نسبته فقيل انه الحنيذى بحاء مهملة مضمومة ونون مفتوحة بعدها ياء ساكنة وذال معجمة مكسورة وياء نسبة كذا فى اصل ابى العباس الغرفى وهو مخالف لما فى اصل المصنف بخطه وهو الصحيح وفى بعض النسخ الجنيدى بجيم مضمومة ودال مهملة وفى بعضها الحميدى مصغرا بحاء ودال مهملتين والكل تحريف وتصحيف والصحيح مانقلناه اولا واذاجاء نهرالله بطل نهرمعقل واقربها الحنيذى فانه كان على طريقته فى الزهد ولم يكن فى عصره اعرف منه بطريق المشايخ ومن كلامه رضى الله تعالى عنه الصحبة مع الله عزجل بحسن الادب ودوام الهيبة والمراقبة والصحبة مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم باتباع سنته وظاهر فعله والصحبة مع اولياء الله بالاحترام والخدمة والصحبة مع الاهل بحسن الخلق والصحبة مع الاخوان بدوام البشر والصحبة مع العوام بالدعاء والرحمة لهم (من امر السنة على نفسه) وهو بفتح الهمزة وتشديد الميم وراء مهملة خفيفة اى جعل سنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وطريقته (قولا وفعلا) اى فى اقواله وافعاله فهو منصوب على الظرفية اوتمييز محول عن المفعول اى جعلها اميرا عليه وحاكما وهوعبارة عن عدم مخالفتها وقيل انه بفتح الهمزة والميم المخففة وتشديد الراء المهملة اى اجراها ومشاها عليه وهو بعيد (نطق بالحكمة) اى القول الصواب النافع له فى الدنيا والآخرة وكل كلام وافق الحق فهو حكمة (ومن امر الهوى) امر كالذى قبله ففيه استعارة والهوى ماتهواه نفسه الامارة وتشتهيه (نطق بالبدعة) اى بمايخالف الحق مما زينه له الشيطان من الضلالة (وقال سهل التسترى) وهو سهل بن يونس بن عيسى بن عبدالله بن رفيع شيخ الصوفية الزهاد تقدمت ترجمته والكلام على بلدته تستر وهى مشهورة (اصول مذهبنا) اى التصوف اى قواعده التى تدور عليها (ثلاثة) اولها واعظمها (الاقتداء بالنبى صلى الله عليه وسلم) واتباعه (فى الاخلاق والافعال و) الثانى (اكل الحلال و) الثالث (اخلاص النية فى الاعمال) وهذه الاصول وان كانت اصول الصوفية فهى اصول للشريعة ايضا وقد ورد فى الحديث بمعناه وهو ظاهر (وجاء) اى ورد عن السلف فى التفاسير المأثورة (فى تفسير قوله) تعالى اليه يصعد الكلم الطيب (والعمل الصالح يرفعه انه) بفتح الهمزة فاعل جاء (الاقتداء بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم) فان العمل لايكون صالحا مقبولا الا اذا وافق الكتاب والسنة وموافقتهما عين الاقتداء به قولا وعملا

وضميرانه للعمل الصالح وضمير يرفعه المرفوع والمنصوب لاول للكلم الطيب وهو التوحيد والثانى للعمل والرفع بمعنى القبول ويجوز العكس اى يرفع التوحيد الاقتداء برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فانه لايقبل بدونه وعلى الثانى المراد بالكلم الطيب الاذكار وماهو قريب منها وهى انما تقبل اذاوافقت السنة والكلام عليه مفصل فى كتب التفسير (وحكى) بالبناء للمجهول اى نقل لنا (ان) الامام (احمد بن حنبل) رحمه الله وحنبل اسم جده فانه احمد بن محمد بن حنبل كما اشار اليه المصنف رحمه الله تعالى فيما يأتى ابن هلال الشيبانى المروزى ثم البغدادى لانه تربى بها ودفن فيها ثانى عشر ربيع الاول سنة احدى واربعين ومائتين وهو امام السنة صاحب المذهب الزاهد العابد وله مناقب افردت بالتأليف (قال كنت يوما مع جماعة تجردوا) من ثيابهم عريانا (ودخلوا الماء) للاغتسال (فاستعملت الحديث) اى عملت به فالسين للتأكيد وقيل المعنى طلبت ذلك من نفسى وقلت لا توافق هؤلاء وهذا الحديث رواه مسلم والترمذى وهو (من كان يؤمن بالله) اى يصدق ويعترف بالله (واليوم الآخر) اى يوم البعث والحشر وهو يوم القيمة والايمان بهما عبارة عن الايمان بجميع ماجاء به الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فكنى بالطرفين عن الجميع فهو من باب الاكتفاء (فلايدخل الحمام) المراد به كل مكان فيه مايغتسل به ثم غلب فى العرف على محل مخصوص (الابمئزر) المئزر بكسر الميم وهمزة ساكنة وتبدل ياء بمعنى الازار وهو مايستر به نصف المرء الاسفل (ولم اتجرد) انا لا اخلع ثيابى واتعرى منها وهو عطف تفسير لاستعملت الحديث (فرأيت) فى المنام (تلك الليلة) اى فى تلك الليلة التى تلى يوم تجردهم (قائلالى) اى شخصا يقول لى (يا احمد ابشر) اى مبشرا من الله بمايسرك (ان الله قد غفرلك) اى عفا عنك وانعم عليك بقبول ماصدر منك (باستعمال السنة) اى بسبب اقتدائك بالرسول صلى الله تعالى عليه وسلم والعمل بحديثه (وجعلك اماما) يؤتم بك ويقتدى بك لكونك مجتهدا صاحب مذهب (قلت) لمن رأيته فى المنام (من انت) استفهاما يريد به تعينه عنده (قال جبريل) اى انا جبريل رسول الله الى عباده ﴿فصل ومخالفة امره﴾ اى بترك ماامر الامة به (وتبديل سنته) اى تغييرها بوجه من وجوه التغيير ولو بتأويله على خلاف مراده (ضلال) اى عدول عن الطريق المستقيم وهى طريق الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وشريعته (وبدعة) اى امر احدثه فى الدين واذا اطلقت البدعة انصرفت الى غير الحسنة وهى المرادة هنا (متوعد عليها) اى ورد الوعيد لفاعلها فى احاديث كثيرة تقدم بعضها وفى آيات قرآنية (من الله بالخذلان) متعلق بقوله متوعد والخذلان ضد التوفيق وهو ان يخلق الله فيه داعية المعاصى فى الدنيا (والعذاب) الاليم فى الآخرة (قال الله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن امره

ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم) ضمن يخالفون معنى يعرضون فلذا عداه بعن وهو متعد بنفسه وضمير امره للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم لانه المقصود بالذكر فى الآية وهو الذى بنى المصنف رحمه الله تعالى عليه كلامه هنا وفيه وجه آخر انه لله لانه الامر الحقيقى والفتنة ما فى الدنيا من المصائب لا المحنة الدنيوية والعذاب الاليم فى الآخرة (وقال الله ومن يشاقق الرسول) اى يعاديه ويخاصمه فيكون فى شق وهو فى شق آخر (من بعد ما تبين له الهدى) اى ظهر له الحق وثبت معاينة بمعجزاته صلى الله عليه وسلم وهداية الله تعالى له لمن هداه برسوله صلى الله عليه وسلم (ويتبع غير سبيل المؤمنين) اى يسلك طريقا غير طريقتهم فى الاعتقاد والعمل (نوله ما تولى) اى نجعله متوليا لما تولاه من الضلالة والبدع (الآية) اى اقرءها يعنى قوله تعالى ونصله جهنم وساءت مصيرا وهذا وعيد شديد لمن لم يقتد به صلى الله تعالى عليه وسلم واستدل بهذه الآية على حجية الاجماع كما بين فى كتب الاصول ثم ذكر حديثا رواه مسلم والامام مالك مسندا شاهدا لما ذكره فقال (حدثنا ابو محمد عبد الله بن ابى جعفر) هو عبد الله بن محمد بن عبد الله الحسنى وقد تقدمت ترجمته (وعبد الله بن عتاب) تقدم ايضا (بقراءتى عليهما) بيان لطريق روايته ويسمى عرضا (قالا حدثنا ابو القاسم حاتم بن محمد) تقدم ايضا (قال حدثنا ابو الحسن القابسى) تقدم قريبا (قال حدثنا ابو الحسن بن مسرور الدباغ) بسين مهملة منقول من اسم المفعول وهو على بن محمد بن مسرور توفى فى منتصف رمضان سنة تسع وخمسين وثلاثمائة (قال حدثنا احمد بن ابى سليمان) هو تلميذ سحنون وهو مولى لربيعة ويكنى ابا جعفر توفى سنة احدى وتسعين ومائتين وقد ناهز السبعين (قال حدثنا سحنون) عبد السلام (بن سعيد) وستأتى ترجمته مفصلة (قال حدثنا ابن القاسم) تقدمت ترجمته (قال حدثنا مالك) الامام المشهور (عن العلاء بن عبد الرحمن) تقدم ايضا (عن ابيه عن ابى هريرة ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم خرج الى المقبرة) مثلثة الباء والكسر لغة قليلة فيها (وذكر الحديث فى صفة امته صلى الله تعالى عليه وسلم) يعنى قوله لكم سيما ليست لاحد من الامم تردون على غرا محجلين من آثار الوضوء (وفيه) اى فى الحديث المذكور (فليذادن رجال عن حوضى) اللام فى جواب قسم مقدر ويذادن مبنى للمجهول بذال معجمة والف بعدها دال مهملة ونون توكيد مشددة والذود هنا بمعنى الطرد والمنع وهذه رواية ابن القاسم ورواية غيره فلا يذادن ولا نافية اوناهية اى لا يفعل احدكم فعلا يطرد بسببه عن حوضى على معنى التحذير والاشفاق ورجحت الرواية التى اختارها المصنف رحمه الله تعالى (كما يذاد البعير الضال) اى كما يطرد البعير

اذا ضل من صاحبه واتى ليدخل فى ابل اخرى ليستقى فيطرد من بينها لئلا ينتقص شربها (فاناديهم) اذا طردوا (الاهلم الاهلم الاهلم) كرره للتأكيد على العادة فى نداء من ضل وهذا بيان لحرصه صلى الله عليه وسلم على ردهم لشفقته عليهم ورحمته لهم وهلم بفتح الهاء وضم اللام وقد تفتح وهى اسم فعل بمعنى اقبل واحضر ويتعدى بنفسها وبالى واللام وميمها مشددة مفتوحة يستوى فيها المذكر وغيره وهى بسيطة فى الاصل او مركبة من ها لم او من هل ام وهذه لغة اهل الحجاز وهى الفصحاء لغة القرآن ولغة غيرهم هلما وهلمن فهى عندهم فعل لان اسم الفعل لا يتصل به الضمائر والمطرودون من المنافقين والمرتدين لكونهم اظهروا الاسلام وتوضؤا وصلوا فيكونون غرا محجلين ولذا دعاهم وناداهم ولم تكن هذه السيما الا للمؤمنين لم يدعوا فان كان المراد اهل البدع من المؤمنين واصحاب الكبائر فالامر ظاهر وقال النووى اختلف فى المراد به على اقوال احدها ان المراد بهم المنافقون ويجوز ان يحشروا غرا محجلين فينادون بسيماهم فيقال انهم بدلوا ولم يموتوا على الاسلام والثانى ان المراد من كان فى زمنه صلى الله تعالى عليه وسلم ثم ارتد فيناديهم وان لم يكن لهم سيما لانه يعرفهم والثالث ان المراد اصحاب الكبائر والمعاصى الموحدين واصحاب البدع فينادون عقوبة لهم (فيقال) بالبناء للمجهول اى يقول الله تعالى او الملائكة او من عرفهم من الصحابة (انهم قد بدلوا جدك) اى غيروا سنتك وارتكبوا ما لم تعهده منهم وفى نسخة انهم قد بدلوا بعدك (فاقول سحقا سحقا) وفى نسخة فسحقا باعادة الفاء للتأكيد وهو بضم السين والحاء وتسكن تخفيفا قال تعالى فسحقا اى جعلهم الله فى مكان سحيق اى بعيد واصله من سحقه اذا فتته وانسحق الثوب البالى وهو على تقدير اسحقوا وابعدوا بعدا شديدا ويحتمل انه دعاء عليهم تقديره الزمهم الله سحقا فنصبه على المصدرية او هو مفعول به واذا كان دعاء فعامله محذوف وجوبا كجدعا وعقرا قيل هل هو مصدر لفعل ثلاثى وهو سحقه او لغيره اى اسحقه على حذف الزوائد وقياسه اسحاقا ولا يحتاج لذلك وان اختاره ابو على اقول بل له داع لان سحقه بمعنى فتته كسحق المسك ونحوه واما من البعد فالمستعمل اسحقه يقال ابعده الله واسحقه كما قاله الراغب (وروى انس) ابن مالك فى حديث رواه الشيخان (انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال من رغب عن سنتى) اى تركها لان رغب اذا تعدى بعن يكون بمعنى الترك ضد رغب فيه وسنته طريقته وشريعته (فليس منى) اى ليس من اتباعى واشياعى ومن اتصالية كما تقدم بيانه وهذا تبرى منه ورد له فهو فى معنى الحديث الذى قبله (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه الشيخان (من ادخل فى امرنا) اى احدث بدعة فى الدين وروى من احدث وهما بمعنى (وهذا) عبر باسم الاشارة

اشارة الى انه لظهوره بمنزلة المحسوس المشاهد (ما ليس منه) اى امر مخالف للكتاب والسنة (فهو رد) اى مردود وعبر بالمصدر للمبالغة كرجل عدل وهذا من حديث طويل من قواعد الدين وقال الطوفى انه نصف الدين (وروى ابن ابى رافع عن ابيه) وهذا الحديث رواه ابو داود والترمذى وابن ماجة كما تقدم قريبا (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا الفين احدكم) بالبناء للمجهول نهى لنفسه والمراد به نهى غيره عن ان يجده وزاهم على هذه الحالة (متكئا على اريكته) اى مترفها جالسا على سريره وتقدم بيان الاريكة (يأتيه الامر) جملة حالية تقريرا لبطره وسوءاد به (من امرى مما امرت به او نهيت عنه فيقول لا ادرى) ما اثبت به لا ادرى غير كتاب الله (ماوجدنا فى كتاب الله اتبعناه) وقد تقدم قريبا الكلام عليه (زاد المقدام) فى هذا الحديث كما رواه الحاكم عنه وهو المقدام بكسر الميم ابن معدى كرب الكندى المكنى بابى صالح ممن وفد على النبى صلى الله عليه وسلم من كندة وتوفى بالشام سنة سبع وثمانين وهو ابن احدى وسبعين سنة (الا) بفتح الهمزة كلمة استفتاح (وان ما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما حرم الله) لانه مبلغ عنه فيجب اجتناب ما حرمه وفيه رد على القائل لا يتبع الا كتاب الله وفيه اشارة الى انه معصوم فى اقواله وافعاله (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديث رواه الدارمى وابن المنذر وابن جرير وابو داود مرسلا (وجئ) مجهول جاء والجملة حالية بتقدير قد او معترضة بكتاب اى مكتوب (فى كتف) اى فى عظم كتف لانهم فى الصدر الاول كانوا يكتبون فيها وفى الجلود لعزة الورق اذذاك والجاى به عمر رضى الله تعالى عنه او ابنته حفصة او عائشة كما قيل وقيل انه شئ كان كتبه بعض المسلمين عن اليهود (فلما رأه) صلى الله تعالى عليه وسلم (القاه وقال كفى بقوم) متعلق بكفى او الباء زائدة فى المفعول (حمقا او قال ضلالا) شك من الراوى ونصبهما على التمييز والحمق الغباوة وعدم الفهم والضلال ضد الهداية وجعله كذلك لنظرهم فى امور منسوخة محرفة وتركهم السنة ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم معهم بين اظهرهم كما بينه بقوله (ان يرغبوا) هو فاعل كفى اى رغبتهم (عما جاء هم به نبيهم) اى ناظرين اليه راغبين فيه وهم لا يعلمون بصحته (او) ناظرين الى (كتابهم) الذى انزله الله تعالى على رسولهم فلا ينبغى لهم الا الاقتداء به والسماع منه اعتناء ماله وهو بين وفيه اشارة الى انه كان امرا منقولا عن اليهود كما نقله فى زاد المسير (فنزلت) آية (اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب) اى القرأن الذى ما فرطنا فيه من شئ فهو لوم على ما فعلوه وهو عطف على ما قبله والهمزة مقدمة من تأخير او على مقدر معلوم من الحال اى قالوا ذلك ونقلوه ولم يكتفوا الى آخره وهذا سبب نزول الآية كما نقله فى اسباب النزول وقيل سبب نزولها ان المشركين طلبوا من رسول الله صلى الله تعالى عليه

وسلم ان يأتيهم باية من آيات الانبياء عليهم الصلوة والسلام كعصى موسى عليه الصلاة والسلام وناقة صالح فقال لهم الله تعالى لهم اولم يكفهم معجزة القرأن التى هى اعظم المعجزات وهى باقية مستمرة ولذا قال (يتلى عليهم الآية) وعبر بالمضارع والضمير لليهود او المسلمين او المشركين وقيل ان كلا منهما سبب لنزولها ولا مانع من تعدد السبب ولا حاجة لتعدد النزول كما قيل وفيه دليل على النهى عن قراءة الكتب المنسوخة الا لمصلحة ممن يعرف النسخ والتحريف (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه مسلم عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه (هلك المتنطعون) اى وقع فى امر يهلكه يؤدى الى غضب الله تعالى وعقابه من تنطع اى بالغ وغالى فى الامور وتشدق بكلام لا حاجة اليه من النطع وهو الفك الاعلى من الفم استعير لكل متعمق فى قول او فعل غيرمهم واصله من فتح فمه فى تكلمه وقال الخطابى المتنطع المتعمق التكلف للبحث عن مذاهب اهل الكلام الخائض فيما لم يبلغه عقله ومناسبته لما نحن فيه ان من تنطع خرج عن ظاهر السنة وعدل عن ظاهر سنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وبه صرح اول الحديث وهو تعلموا الفرائض قبل ان يقبض واياكم والتنطع والتعمق والبدع وهلك جاء من باب ضرب ومنع وعلم (وقال ابو بكر الصديق) رضى الله تعالى عنه وهذا رواه عنه ابو داود والبخارى وغيرهما (لست تاركا شيئا كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يعمل به) من سنته فى اقواله وافعاله واحكامه وهديه (الا عملته) اقتداء به صلى الله تعالى عليه وسلم واتباعا لاثاره الحميدة (انى اخشى) اى اخاف (ان تركت شيئا من امره) اى شانه وحاله الذى كان عليه (ان ازيغ) بزاى وغين معجمتين اى اميل عن الحق والسنة واصل معنى الزيغ الميل عن الاستقامة قال الله تعالى * فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم * اى لما فارقوا الاستقامة عاملهم الله بذلك

الباب الثانى

من القسم الثانى من الكتاب (فى) ذكر ما يدل على (لزوم محبته) اى وجوبها على كل مكلف من امته وفى نسخة فصل والصحيح الاول ووجوبها عقلا وشرعا لقوله (قال الله تعالى * قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم) اى زوجاتكم جمع زوج وهو يطلق على الذكر والانثى وزوجة لغة ايضا فرقا بين المذكر والمؤنث (وعشيرتكم) وهم اقرباء النسب (واموال اقترفتموها) اى اكتسبتموها وملكتموها (الآية) اى اقرأ ما بعد ما ذكر وهو وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بامره وسبب نزولها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر بالهجرة تخلف بعضهم عنه فنزلت وتفسير الآية معلوم من التفاسير لا حاجة لذكره هنا (فكفى بهذا) المذكور فى الآية (حضا) اى حثا وتحريضا وترغيبا قال الراغب الحض التحريك كالحث الا ان الحث يكون بسير وسوق والحض لا يكون

بذلك واصل الحث على الحضيض وهو قرار الارض انتهى (وتنبيها) اى ايقاظالهم من نومة الغفلة عن محبته صلى الله تعالى عليه وسلم حتى لايغيب عنهم طرفة عين (ودلالة) لهم على مايجب فى محبتـه (وحجة) اى اثباتا لدليل وجوب محبته عليهم والاحزان بالنسبة لمن لايعرف ذلك وماقبله لغيره (على التزام محبته) اى لزومهـا عقلا (ووجوب فرضها) عليهم شرعا (وعظم خطرها) اى قدرها وفائدتها واصل مايعطى عند الرهان (واستحقاقه) صلى الله تعالى عليه وسلم (لهـا) اى للمحبة المذكورة (كما قيل) تملك بعض حبك كل قلبى * فان ترد الزيادة هات قلبا * اللهم املأ قلبى بنور ايمانك ومحبتك ومحبة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم حتى لايكون فيه محلا لغيرك (اذ قرع) بفتح القاف والراء المهملة المشددة وعين مهملة اى رع قيل وفى اصل المصنف رحمه الله تعالى تفرع والصواب الاول (تعالى من كان ماله واهله وولده احب اليـه من الله ورسوله) صلى الله تعـالى عليه وسلم ثم بين تقريعه بقوله (واوعدهم بقوله فتربصوا) اى انتظروا امره وفيـه من التوبيخ مالايخفى (وفسقهم) اى وصفهم ونسبهم للفسق (بتمام الاية) اى بماذكر فى آخرها حيث قال والله لايهدى القوم الفاسقين فجعلهم فاسقين بتخلفهم عن الهجرة وسلب عنهم الهداية بوصف يشعر بعليتها وهو معنى قوله (واعلمهم انهم ممن اضل ولم يهده الله) تبارك وتعالى (حدثنا ابو على الغسانى) الجبانى الحافظ وتقدمت ترجمته (فيما اجازنيه) يعنى انه رواه عنه بالاجازة ولم يقرأه عليه مع انه معاصر له (وهو) اى هذا الحديث الذى رواه البخارى وغيره (مما قرأته على غير واحد) من المشايخ غيره فله فى روايته طرق كثيرة اقوى من هذه وانما اختارها لعلو سنـده وجلالته (قال) الغسانى (حدثنا سراج ابن عبد الله القاضى) تقدم بيانه (قال حدثنا ابو محمد الاصيلى) تقدم ايضا (قال حدثنا ابو عبد الله محمد بن يوسف) هو الفربرى راوى البخارى وقد تقدمت ترجمته (قال حدثنا محمد بن اسمعيل) هو امام اهل السنة صاحب صحيح البخارى (قال حدثنا يعقوب بن ابراهيم) ابن كثير البغدادى الدورقى صاحب المسند وامام الحديث توفى سنة اثنين وخمسين ومائتين ونسب الى دورق اسم بلدة اوالى صبغة الداورق وهى نوع من القلانس (قال حدثنا ابن علية) بالتصغير الامام الثقة الحافظ اسمعيل بن ابراهيم بن مقسم المشهور بابن علية اخرج له اصحاب السنن الستة وتوفى سنة ثلاث وتسعين ومائة وله ترجمة فى كتاب الميزان وعلية امه (عن عبد العزيز بن صهيب) علم منقول من المصغر وهو البنانى الاعمى الامام الثقة الحافظ اخرج له الستة وتوفى سنة خمس وثلاثين ومائة وترجمته مشهورة (عن انس) ابن مالك الصحابى المشهور (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لايؤمن احدكم) هو من خطاب المشافهة فيعم الموجودين وغيرهم وقيل خص بالخطـاب

الموجودين والحكم عام بشهادة انه روى بغير خطاب فى مسلم لايؤمن عبد وفى رواية غيره احد اى لايؤمن ايمانا كاملا كما فى رواية ابن حبان لايبلغ عبد حقيقة الايمان (حتى اكـون) بالنصب وهو غاية لماقبله (احب اليه من والده وولده والناس اجمعين) ايثارا له صلى الله تعالى عليه وسلم واكراما له واجلالا واحب بمعنى اكثر محبوبية على خلاف القياس كاشغل من ذات النحيين ولم يذكر نفسه لدخولها فى النـاس وقوله اليه لايقتضى خروجهـا لمغايرتها له من جهة كونه محبا وهى محبوبة والام وسائر الاهل داخل فى الناس ايضا ولاحاجة لادخالها فى الوالد كما قيـل وسيأتى معنى محبتهم له صلى الله تعـالى عليه وسلم (وعن ابى هريرة) رضى الله تعالى عنه (نحوه) اى روى عنه حديث بمعنى الحديث المذكور (و) روى (عن انس) خادم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه الشيخان (عنه عليه الصلوة والسلام ثلاث) اى ثلاث خصال اوخصال ثلاث فالوصف المقدر سوغ الابتداء بالنكرة كقولهم ضعيف عاذ بقرملة اى رجل ضعيف (من كن) اى الخصال (فيه وجد حلاوة الايمان) خبر المبتدأ وصفته وكن بمعنى وجدن فكان تامة وحلاوة الايمان لذته ففيه استعارة اوهو مجاز مرسل الخصلة الاولى (ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما) جمع الله وغيره فى ضمير وقد نهى صلى الله تعالى عليه وسلم عنه كما تقدم حيث قال للخطيب الذى قال ومن يعصهما فقد غوى بئس خطيب القوم انت قل ومن يعصى الله ورسوله لايهامه التسوية بين الله وغيره ولذا قيـل انه مكروه واجيب عنه بان الخطبة مقام اطناب لا ايجاز اوانه يجوز لله ورسوله ذلك دون غيرهما فهو من خصائصه واليه مال ابن عبد السلام وقيل انها واقعـة حال لاتخصص لاحتمال انه كان بالمجلس من يتوهم التسوية اوان هذا كان فى ابتداء الاسلام ووجود المشركين بين اظهرهم لاسيما اذاقصد المبالغة فى تعظيم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وان لايفصل بين محبته ومحبة الله بفاصل لفظى وملاحظة انه لايمكن التسوية بين العبد وسيده وفيه كلام فصلناه فى غير هذا المحل (و) الثانية (ان يحب المرء) بالنصب مفعول يحب وفاعله ضمير (من لايحبـه الا الله) اى يخلص فى محبته من غير ملاحظة انتفاع ما وعلامته ان لايزيد بالبر ولاينقص بالجفاء كما قاله ابن معاذ (و) الثالثة (ان يكره ان يعود فى الكفر كما يكره ان يقذف فى النار) لتمكن الايمان من قلبه ومحبته له واطمئنان قلبه وفى رواية بعد اذ انقذه الله منه والانقاذ الاخراج وهذا ظاهر فى حق من تلبس بالكفر كالعود فانه بمعنى الرجوع اما من ولد مسلما واستمر على اسلامه فيعلم بالمقايسة عليه وبالطريق الاولى وقيـل الانقاذ بمعنى العصمة منه والعود بمعنى الصيرورة وعدى العود بفى وهو يتعدى بالى لتضمنه معـنى الاستقرار كما فى قوله تعالى وما يكون لنا ان نعود فيها (وعن عمر)

ابن الخطاب رضى الله تعالى عنه فى حديث رواه البخارى عن عبد الله بن هشام (انه قال للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم لانت احب الى) خبرانت واللام فى جواب قسم مقدر (من كل شئ) فى الدنيا وغيرها (الانفسى التى بين جنبى) بتشديد الياء كالى (فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لن يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه) ايثارا له صلى الله تعالى عليه وسلم على نفسه وغيره (فقال عمر) مجيبا له صلى الله تعالى عليه وسلم (والذى) اى الله الذى (انزل عليك الكتاب) واوحى اليك القرأن (لانت احب الى من نفسى التى بين جنبى فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الآن) نطقت بالحق اوظهر اتصافك بكمال الايمان فهو متعلق بمقدر وهو مبنى على الفتح وآل فيه لازمة كما تفق عليه النحاة وهو الزمان الحاضر (ياعمر) صرح باسمه اشارة الى انه وصل لرتبة علية تخصه بالنسبة لبعض من عداه اى لايكفيك المرتبة الاولى ولايليق بعلوهمتك الاقتصار عليها وانما اقتصر على الاولى احترازا عن المبالغة لان محبة المرء لنفسه وترجيحها امر طبيعى لايسلم منه الامن ملك نفسه وجاهدها وقال ابن حجر جوابه اولا كان بحسب ماطبع عليه ثم تأمل فعرف بالاستدلال انه صلى الله تعالى عليه وسلم احب اليه منها لانه الذى نجاه من الهلاك فى الدنيا والآخرة فاخبره بذلك ثانيا ولذا قال الآن تحققت ونطقت وقيل معناه لن يؤمن احدكم ايمانا يعتد به حتى يقتضى عقله ترجيح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على ماسواه وفيه سوء ادب ثم قال والحديث يومى الى ان محبة الرسول صلى الله عليه وسلم امر غير اعتقاد اعظميته كما زعمه المصنف رحمه الله ورده القرطبى ولاوجه له فان عمر لايشك انه صلى الله تعالى عليه وسلم اعظم من نفسه ومن كل شئ ولايلزم من اعتقاد الاعظمية المحبة كما لايخفى والمراد بالحب هنا العقلى الاختيارى الذى يقتضى العقل اثاره وان خالف كمحبة المريض الدواء لاالطبيعى الذى لايدخل تحت اختياره فان الله لايؤاخذه به لانه لايدخل تحت استطاعته والمراد بالنفس هنا الذات ولوازمها من الحياة ونحوها وقيل المراد الروح وان فرقوا بينهما واراد بالتى بين جنبيه السر القائم به الحياة واضافه اليهما لجرى العادة بسبب الحياة بسبب مابينهما وهو القلب ومايتعلق به من سائر الاعضاء الرئيسة وليس هذا موضع الكلام على الروح انتهى وابن عمر رضى الله تعالى عنه القسم بعد ماقدره تحقيقا لخلوص طويته فى مقالته ولذا قال له صلى الله تعالى عليه وسلم الآن لما علمه منه (وقال سهل ابن عبد الله التسترى (من لم ير) اى يعلم ويتحقق يقينا (ولاية الرسول عليه فى جميع احواله) الولاية بكسر الواو وفتحها بمعنى نفوذ حكمه وسلطانه حتى كانه مملوك له وقال الراغب الولاية بالفتح النصرة وبالكسر تولى الامر وقيل الولاية والولاية واحدة وهى مصدر نحو الدلالة والدلالة وحقيقتها تولى الامر انتهى والمراد انه

لايخالفه فى امر من اموره (ويرنفسه فى ملكه) بكسر الميم اى يملكه حتى كانه عنده صلى الله تعالى عليه وسلم (لايذوق حلاوة سنته) استعارة تصريحية اومكنية وتخييلية والمراد انه اذا سلم ولاية رسوله بطيب قلب شرح الله تعالى صدره لاتباعه والاقتداء به فاستلذ بالاعمال الصالحة فقام ذلك له مقام الغذاء الحلو اللذيذ وهذا مأخوذ من قوله فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما كما تقدم بيانه (لان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال لايؤمن احدكم) اى لايكمل ايمانه (حتى اكون احب اليه من نفسه الحديث) منصوب باعنى ونحوه وتقدم تمام الحديث ووجه مناسبة كلام سهل لما نحن فيه ولما علل به انه يدل على ان من جعل نفسه تابعة للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فى اقواله وافعاله تلذذ بالاقتداء به ولايستلذ بذلك الا اذا احبه فان المحب لايخالف محبوبه فيترك مراده لمراده وبهذا دل على الاحبية وطابقت العلة معلولها كما لايخفى وقد تقدم قوله ان المحب لمن يحب مطيع مع الكلام عليه ❊ فصل ❊ فى ثواب محبته) صلى الله تعالى عليه وسلم بما يرجوه من بركتها فى الدنيا ومن سعادته بها فى الآخرة كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم المرء مع من احب والثواب الجزاء ثم اسند حديثا فى ذلك رواه البخارى فقال (حدثنا ابو محمد بن عتاب بقراءتى عليه) تقدم بيانه وان القراءة والاجازة سواء عند المصنف رحمه الله تعالى وعند غيره القراءة اقوى وهو الظاهر (قال حدثنا ابو القاسم حاتم بن محمد) تقدم ايضا والكلام على التكنى بابى القابسى مشهور سيأتى منه مافيه الكفاية (قال حدثنا ابو الحسن محمد بن خلف القاسم كما تقدم (قال حدثنا ابو زيد المروزى) تقدم ايضا (قال حدثنا محمد بن يوسف) الفربرى وقد تقدم (قال حدثنا محمد بن اسمعيل) البخارى وقد تقدم (قال حدثنا عبدان) عبد الله بن عثمان وقد تقدم (قال حدثنا ابى) ابو عثمان بن جبلة ابن ابى رواد العتكى الثقة اخرج له اصحاب السنن (قال حدثنا شعبة) تقدمت ترجمته (عن عمرو بن مرة) الجملى بفتحتين نسبة الى جمل ابو يحيى احد الاعلام العاملين اخرج له اصحاب الكتب الستة وتوفى سنة ستة عشر ومائة (عن سالم بن ابى الجعد) الاشجعى الكوفى توفى سنة خمس وخمسين ومائة واخرج له الستة واسمه رافع (عن انس ان رجلا اتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) قيل ان الرجل اعرابى لايعرف وقيل هو الاعرابى الذى بال فى المسجد وقال ابن بشكوال انه ابو موسى الاشعرى رضى الله تعالى عنه اوابوذر رضى الله تعالى عنه واحتج بحديثين لاحجة له فيهما وقيل انه اعرابى اسمه ذو الخويصرة وقيل ان السائل عمر بن قتادة وفى معلم الذهبى انه عمر ابن الخطاب وابان قيل ولذلك اورد البخارى هذا الحديث فى مناقب عمر رضى الله تعالى عنه قلت التعبير برجل من غير تعيين يأبى كونه عمر اوغيره من مشاهير

الصحابة الآن يكون الراوى نسيه والظاهر انه اعرابى (فقال متى الساعة يارسول الله) سأله عن تعيين زمان وقوعها والساعة جزء من اربعة وعشرين جزأ من اليوم والليلة ثم اطلق لغة على كل زمان قليل فيقول جلست عندك ساعة اى قليلة ثم شاع فى يوم القيامة وصار حقيقة فيه امالانه قليل بالنسبة لمابعده من الخلود او بالنسبة لمايقع فيه من الامور العظيمة وهو مجاز صار حقيقة فى عرف الشرع واللغة وقيل سميت بها لقربها كانها لتحقق وقوعها تقع بعد ساعة او لانها تأتى بغتة اولان البعث من القبور يكون فى اسرع من لمحة ولايخفى مافيه (قال) صلى الله تعالى عليه وسلم (ما اعددت لها) اى ماهيأت واحضرت لها من الاعمال الصالحة التى تنفعك فيها اذا قامت وهذا قريب من الاسلوب الحكيم لانه ترك جوابه وسأله عما هو عدة له فيها اشارة الى انها لايعين زمان وقوعها لانه مما لايعلمه الا الله (قال ما) هى نافية (اعددت لها من كثير) بالمثلثة وفى بعض النسخ بالموحدة التحتية وهو صحيح ايضا (صلاة ولا صيام ولا صدقة) من اضافة الصفة للموصوف اى لم اعدلها ماينفعنى فيها (ولكن احب الله ورسوله) استدراك على ماذكره من تفريطه وتركه ماينفعه اى ليس عندى ما ينفعنى ثمة الا الايمان بالله ورسوله ومحبتهما قال (انت مع من احببت) وفيه جواب له على اتم الوجوه وتبشير له ولمن احب الله ورسوله ولذا قال فى تتمة الحديث ان من حضر من الصحابة قالوا يارسول الله ونحن كذلك قال نعم قالوا ففرحنا بذلك فرحا شديدا وليس المراد بكونه معه انه مساوله فى منزلته وعلو مرتبته كما مر وانما المراد انه يدخل الجنة فى زمرة المؤمنين وان كانت مراتبهم متفاوتة وقد نظم معنى الحديث الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى كما تقدم فقال

* وقائل هل عمل صالح * اعددته ينفع عند الكرب *

* فقلت حسبى خدمة المصطفى * وحبه فالمرء مع من احب *

ومن شعر الصبا قولى

* وحق المصطفى لى فيه حب * اذا مرض الرجاء يكون طبا *

* ولا ارضى سوى الفردوس مأوى * اذا كان الفتى مع من احبا *

وتقدم ايضا (وعن صفوان بن قدامة) الصحابى التميمى المرادى كما قاله الذهبى وله ولابنه صحبة واسمه عبد الرحمن قال (هاجرت الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى سافرت لاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبسلم (فاتيته فقلت يارسول الله ناولنى يدك) اى امددها لى كما كان عادته فى المبايعة (ابايعك) مجزوم فى جواب الامر والمبايعة الاقرار بما جاء به واتباعه صلى الله تعالى عليه وسلم مفاعلة من البيع نقلت لماذكر (فناولنى يده فقلت يارسول الله انى احبك قال المرء مع من احب) تقدم تفسيره وكان قدم المدينة مع ابنين له كما ذكره الترمذى والنسائى (روى هذا اللفظ) يعنى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم المرء مع من احب (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) مخاطبا له من ذكر

محبته له عبد الله ابن مسعود وابو موسى) الاشعرى (وانس) رضى الله عنهم (وعن ابى ذر بمعناه) وهذا سبب ماتقدم من اختلافهم فى تعيين الرجل الذى ورد مبهما فى الحديث السابق ونسبه بعضهم الى الغلط فيه (وعن على) ابن ابى طالب فى حديث رواه عنه الترمذى (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اخذ بيد حسن وحسين) ابنى على رضى الله تعالى عنهم اى امسكها (فقال) وفى نسخة وقال (من احبنى واحب هذين) اشارة الى السبطين الحسن والحسين (وآباهما) عليا رضى الله تعالى عنه (وامهما فاطمة) الزهراء اى مال اليهم ميلا اختياريا لله ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم (كان معى فى درجتى) اى رتبتى ومنزلتى قال الراغب الدرجة تعتبر بالصعود دون الامتداد كدرجة السطح والسلم ويعبر بها عن المنزلة الرفيعة قال الله تعالى وللرجال عليهن درجة انتهى (يوم القيمة) ان اريد بيوم القيمة فى الحشر فالمعية على ظاهرها والمعنى انهم معه صلى الله عليه وسلم فى صعيد واحد لقربهم منه ويقدمهم على غيرهم من امته وسائر الامم وان اريد به الآخرة الشاملة للجنة فالمعية والدرجة عبارة عن زيادة القرب لا المعية الحقيقية كامر (وروى) رواه الطبرانى وابن مردوية عن عايشة وابن عباس رضى الله تعالى عنهم (ان رجلا اتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) قال البغوى فى تفسيره انه ثوبان مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل هو صاحب الاذان اى قيل هو عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه الانصارى الحارثى (فقال لانت) اللام جواب قسم مقدر (احب الى من اهلى ومالى وانى لاذكرك) اى اذكرك فى ذهنى واتصورك او اذكر اسمك وصفاتك فهو من الذكر بالكسر او الضم (فما اصبر عنك) اى عن رؤيتك لشدة محبتى لك (حتى انظر اليك) فيطمئن قلبى وتقر عينى برؤيتك (وانى ذكرت موتى وموتك) اى انا نموت وننقل من هذه الدار لدار اخرى (فعرفت) وتحققت (انك اذا دخلت الجنة) بعد الموت (رفعت) الى الدرجات العلى (مع النبيين) صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين (وان دخلتها) انا بضم التاء وعبر فى جانب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم باذا لتحقق دخوله صلى الله تعالى عليه وسلم الجنة ورفعته فيها وفى جانبه هو بان لعدم جزمه فى نفسه بذلك (لا اراك) بعد الدخول لانك فى مقام اعلى لايصل اليه غيرك (فانزل الله تعالى ومن يطع الله والرسول) صلى الله تعالى عليه وسلم فى امتثال امره ونهيه ويلزمه محبته له ايضا ولم يذكر لتحققها لذكر الرجل لها وعلمه صلى الله تعالى عليه وسلم بخلوصه فيها (فاولئك مع الذين انعم الله عليهم) بنعيم الجنة وعالى مراتبها ففيه تبشير له بمرافقة اكرم خلق الله واقربهم وارفعهم منزلة (من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين) بيان للمنعم عليهم بما اخفى لهم من قرة الاعين (وحسن اولئك) تعجب اى ما احسنهم (رفيقا) تمييز ولم يجمع

اووقوعه على الواحد وغيره اوالارادة كل واحد منهم (فدعابه صلى الله عليه وسلم) اى طلب حضور ذلك الرجل (فقرأها) اى هذه الآية (عليه) جوابا له وتبشيرا وفى تفسير القرطبى انه لما قرأها صلى الله عليه وسلم عليه دعا الله ان يعميه حتى لايرى احدا غيره فى الدنيا فعمى مكانه وقسمهم كما قال البيضاوى اربعة اقسام باعتبار منازلهم فى العلم والعمل وهم الانبياء الفائزون بكمال العلم والعمل المتجاوزون حد الكمال الى درجة التكميل ثم صديقون صعدت نفوسهم تارة الى مرافى النظر فى الحجج والآيات واخرى الى معارج القدس بالرياضة والتصفية حتى اطلعوا على مالم يطلع عليه غيرهم ثم شهداء بذلوا انفسهم فى اعلاء كلمة الله واظهار الحق ثم صالحون صرفوا اعمارهم فى طاعته واموالهم فى مرضاته والمراد بالمعية ما تقدم (وفى حديث آخر) لم يعزلنا قله (كان رجل) قيل هو ثوبان اومن تقدم ذكره قريبا (عند النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى ملازما لمجلسه (ينظر اليه) اى يديم النظر الى وجهه الكريم (لايطرف) بفتح الياء وسكون الطاء وكسر الراء المهملتين وفاء اى لايطبق احد جفنيه على الآخر ويغض بصره او يصرفه عنه من طرفة العين من طرف يطرف كضرب يضرب وما طرف البصر اى تحرك وظاهر قول بعضهم اى لايغض بصره مطرقا راميا ببصره الى الارض انه من الاطراق بضم اوله وقاف وهو صحيح ايضا لكنى لا اعرف هل هو رواية اوتحرف عليه اوتسامح فى تفسيره (فقال) له صلى الله تعالى عليه وسلم (ما بالك) اى ماشانك حتى تحد النظر وتديمه كالمبهوت (قال) افديك (بابى وامى) جريا على عادتهم فيمن يحبونه ويجلونه (اتمتع بالنظر اليك) اى اتلذذ بادامة نظرى فى وجهك مادام تمكننا فى الدنيا لانتفع به واتزود منه (فاذا كان يوم القيمة) وبعدها (رفعك الله الى المنازل العالية فى جواره (بتفضيلك) اى بسبب تفضيل الله لك على سائر مخلوقاته (فانزل الله الاية) المذكورة يعنى قوله ومن يطع الله والرسول الى آخره (وفى حديث انس) رضى الله تعالى عنه الذى رواه الاصفهانى فى ترغيبه وسيأتى اخراج المصنف رحمه الله تعالى له بقوله بطوله فى فصل علامة محبته (ومن احبنى كان معى فى الجنة) اى قريبا منى متمكنا من رؤيتى وزيارتى وليس المراد المعية الحقيقية كما تقدم

﴿ فصل فيما روى عن السلف ﴾ من العلماء والصلحاء (والائمة) وفى نسخة بعكسه الائمة والسلف وهو من عطف الخاص على العام وقد يفسران بما يقتضى المغايرة ففسر بعضهم السلف بالصحابة والتابعين والائمة باتباع التابعين ومن بعدهم (من محبتهم للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وشوقهم له) والمحبة الميل الروحانى طبيعيا كان او مكتسبا اختياريا والمحبة تكون فى الحضور والغيبة والشوق انجذاب النفس فى الغيبة فهو اخص من المحبة وقال القصيرى رحمه الله تعالى

فى شرح قول ابن الفارض قدس سره * ومابين شوق واشتياق فنيت فى * تول بخطر او تجل بحضرة * الشوق انجذاب باطن المحب الى محبوبه حال الفراق والاشتياق انجذابه حال الوصال لنيل زيادة اودوامها انتهى والفرق المذكور اما من الفحوى اوهو اصطلاح لقوم (حدثنا القاضى الشهيد) ابن سكرة وقد تقدم (قال حدثنا العذرى) نسبة لبنى عذرة وقد تقدم (قال حدثنا الرازى) تقدم وهو نسبة الى الرى على خلاف القياس (قال حدثنا الجلودى) تقدم بيانه وبيان نسبته (قال حدثنا ابن سفيان) هو ابراهيم بن محمد بن سفيان كما تقدم (قال حدثنا مسلم) امام السنة وصاحب الصحيح كما تقدم (قال حدثنا قتيبة) بن سعيد واختلف فى اسمه فقيل يحيى وقيل على وقيل سيار (قال حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن) القارى نزيل الاسكندرية الثقة اخرج له الستة وتوفى سنة احدى وثمانين ومائة (عن سهيل) تقدم بيانه (عن ابيه) هو صالح السمان المعروف بذكوان (عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه) فى حديث صحيح رواه مسلم (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال من اشد امتى لى حبا) منصوب على التمييز ولم يقل احب مع انه احضر لان هذا ابلغ وان وافق السماع والقياس لدلالته صريحا على المراد وكونه بالصيغة والمادة كقوله تعالى اشد قسوة دون اقسى واتى بمن التبعيضية لانهم مثل من كان فى عصره وهو احب اليه من نفسه واهله ومن لم يفهم هذا مع ظهوره قال الحب يتفاوت شدة وضعفا ويبقى مفهوم قوله لايؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه ولاشئ فوقه الان يقال انهم من جملة من بلغ هذا المبلغ فى محبته انتهى والتفضيل تختلف جهاته فلشدة محبة من لم يره الداخلة فى الايمان تفضل غيرها بهذا الاعتبار ولذا قال (ناس يكونون بعدى) فبين اشديته بهذا وبقوله (يود احدهم) اى يحب ويرغب فى انه (لورآنى) ببصره وشاهدنى ولو للتمنى (باهله وماله) الباء هنا للبدلية والمقابلة كبعته بكذا اى يتمنى لو بذل اهله وماله لاجل رؤيته وفى لوفى مثله اقوال فقيل انها شرطية محذوفة الجواب ومفعول يود مقدر اى يتمنى رؤيتى ويودها يبذل كل مايعز عليه والتقدير ولو رآنى بمقابلة كل شئ له فعل اوقيل انها مصدرية وهى مع مابعدها مفعول يود وقيل انها حرف تمن كما بينه النحاة (ومثله) اى بمعناه وقريب منه لفظا (عن ابى ذر) الغفارى الصحابى المشهور (وقد تقدم حديث عمر وقوله للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم لانت احب الى من نفسى) وتقدم تفصيله فى الفصل الذى قبل هذا (وما تقدم عن الصحابة كثوبان وصفوان وغيرهما (فى مثله) من كونه احب اليهم من انفسهم (وعن عمرو بن العاص) بحذف الياء واثباتها وقفا كما مر (ما كان احد احب الى من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) وهذا من حديث صحيح طويل رواه مسلم فيه انه بكى عند موته وقال بعد ما ذكر بايعته

رسول الله صلى الله عليه وسلم وطلب منه ان يدعو له بمغفرة ماصدر منه وانه كان ابغض الناس له واحرصهم على قتله و بعد مابايعه واسلم قال ما كان احد احب الى من رسول الله ولا اجل فى عينى منه وما كنت اطيق ان املأ عينى منه اجلالا له حتى لو قيل لى صفه مااستطعت ان اصفه الى آخره وسيأتى الكلام عليه عند ذكر المصنف رحمه الله تعالى له بسنده فى فصل تعظيم الصحابة له صلى الله تعالى عليه وسلم

(وعن عبدة بنت خالد بن معدان) بفتح الميم وسكون العين وفتح الدال المهملتين والف ونون تقدم الكلام واما بنته عبدة فبفتح العين المهملة وسكون الموحدة و دال مهملة قال البرهان الحلبى لا اعرفها وفى الصحابة عبدة بنت صفوان ذكرها الحاكم (قالت ما كان خالد) يعنى اباها (يأوى الى فراش) اى اذا اراد النوم ليلا وخصت هذا الوقت لان المرء فيه يتذكر من يهواه غالبا كما قال الشاعر

* نهارى نهار الناس حتى اذا انى * لى الليل هزتنى اليك المضاجع *

(الاوهو يذكر من شوقه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم) استثناء من اعم الاحوال اى لم يكن له غير هذه الحال (والى اصحابه) الضمير لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اولخالد (من المهاجرين والانصار) وخالد هذا هو الكلاعى الحمصى لقى سبعين رجلا من الصحابة (يسميهم) اى يعدهم باسمائهم (ويقول هم اصلى وفصلى) يعنى انى افتخر بهم وانتسب اليهم دون ابائى وقبيلتى كذا قيل من غير نقل وهو اتباع وفى المجمل ماله اصل وفصل اى حسب ولسان وكذا فى الصحاح وعن ثعلب قولهم لااصل له ولافصل الاصل الوالد والفصل الولد هذا ماذكره اهل اللغة والظاهر ان المراد ان عليهم عمدتى و بهم افصل واحكم فليحرر (واليهم) لا الى غيرهم (يحن قلبى) اى يشتاق بتذكر عهودهم من الحنين (طال شوقى اليهم) لبعد عهدى بهم وطول مفارقتى بموتهم (فعجل) يا (رب قبضى اليك) اى عجل موتى حتى القاهم ولايزال يردد ذلك (حتى يغلبه النوم) اى حتى ينام ويستغرق فى نومه فيترك قوله هذا وتمنى الموت وان كان مكروها فانه يجوز اذا خاف فتنة فى دينه فلعل خالدا كان كذلك وسيأتى لهذا مزيد بيان فى الفصل الآتى عن الحكيم الترمذى (وعن ابى بكر) الصديق رضى الله تعالى عنه وفى نسخة وروى (انه قال للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم) لما اسلم ابو قحافة والده كما رواه ابن عساكر فى تاريخه عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما (والذى بعثك بالحق) اى بالدين الحق وهو قسم (لاسلام ابى طالب) جواب القسم يعنى عمه صلى الله تعالى عليه وسلم (كان) اى اسلامه (اقر لعينى) اى اسر واحب عندى وهو قرة عينى من القر وهو البرد لان دمع السرور بارد ودمع الحزن حارا ومن القرار والثبات فان العين اذا رأت مايسرها سكنت ولم تلتفت (من اسلامه يعنى اباه اباقحافة) رضى الله تعالى عنه وابو قحافة هو ابو الصديق وهو عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم اسلم يوم الفتح وحسن اسلامه و بقى بعد وفاة ابنه حتى توفى سنة اربع عشرة وليس فى الصحابة من اسمه ابو قحافة غيره

وغير ابى قحافة المزنى كما ذكره الذهبى وسقط من بعض النسخ هنا لفظ اباه (و) فى بيان (ذلك) المذكور من كون اسلام ابى طالب اقر لعينه من اسلام ابيه (ان اسلام ابى طالب كان اقر لعينك) اى احب اليك من كثير من الامور فانه كان يحبه حبا شديدا وكان بمنزلة والده اذ كان فى كفالته وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يتمنى ان يهديه الله للاسلام فمات كافرا وهذا الحديث رواه احمد وابن اسحق وابو حاتم وليس قول المصنف رحمه الله تعالى وروى كما فى بعض النسخ تمريض له كما توهم حتى يعرض عليه بانه صحيح تعددت طرقه وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوم الفتح دخل المسجد فاتاه ابو بكر رضى الله تعالى عنه بابيه يقوده وكان قد عمى فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هلا تركت الشيخ فى بيته حتى اكون انا آتيه فقال ابو بكر يارسول الله هو احق ان يمشى اليك فاجلسه صلى الله تعالى عليه وسلم بين يديه ثم مسح صدره وقال له اسلم فاسلم ورأسه كالثمامة بياضا فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم غيروا هذا يعنى اخضبوه ولما سر باسلامه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ابو بكر والذى بعثك بالحق الى آخره وفيه من محبته لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مالايخفى حيث قدم ما يسره على مايسره تقديما له على نفسه واعلم ان اباطالب كانت محبته لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومعرفته بانه رسول الله وتصديقه فى قلبه محققة لكن الله لم يهده للاسلام وفيه حكمة عظيمة وهو انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان فى جواره وحمايته ظاهرا حتى ما كان احد يجترى عليه فلو اسلم لم يقبلوا جواره اذ لاجوار للمسلمين عندهم فختم الله على لسانه لذلك ولذا لما مات لزمت الهجرة لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واهل بيته وهذا مما تفطن له بعض العلماء كابن القيم فى الهدى النبوى وصاحب الامتاع (ونحوه) اى فى معنى مارواه البيهقى والبزار عن ابن عمر (عن عمر) ابن الخطاب رضى الله تعالى عنه انه (قال للعباس) عم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (ان تسلم) بكسر همزة ان الشرطية ان كان قال له قبل اسلامه و بفتحها على انها مصدرية ان كان بعده والصحيح الثانى لما يأتى (احب الى من اسلام الخطاب) يعنى اباه (لان ذلك) اى اسلام العباس (احب الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) فقدم مايحبه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على ماتحبه نفسه وكان قوله ذلك له فى فتح مكة لما اشرف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على مكة وركب العباس بغلته صلى الله تعالى عليه وسلم واركب اباسفيان ابن حرب خلفه وهو كافر وركضها فرأه عمر فقال ابو سفيان عدو الله الحمد لله الذى امكننى منك فاشتد جريه حتى دخل به على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعمر خلفه فقال دعنى اضرب عنقه فقال العباس انى اجرته يا رسول الله فلما اكثر عمر فى شانه

قال مهلا يا ابن الخطاب لو كان من رجال بنى عدى ما قلت مثل هذا فقال مهلا يا عباس لاسلامك يوم اسلامك احب الى من اسلام الخطاب لو اسلم الى آخره (وعن ابن اسحق) صاحب السيرة وقد تقدمت ترجمته وهذا رواه ايضا البيهقى عن اسمعيل بن محمد ابن سعد بن ابى وقاص مرسلا (ان امرأة من الانصار) هى من بنى دينار ولم يسمها (قتل ابوها واخوها وزوجها) شهداء (يوم احد) اسم جبل كانت عنده الغزاة المشهورة (مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم) ليس المراد السؤال عن فعله حقيقة وانما المراد السؤال عن سلامته وحياته وعبرت بذلك تأدبا لان الفعل يستلزم الحياة فاريد لازمه (قالوا خيرا) اى فعل خيرا والمراد انه بخير ولذا قالوا بعده (هو بحمد الله كما تحبين) اى سالم منصور مظفر (قالت) لمن سألته (ارنيه) اى دلنى عليه حتى اراه واتلذذ بمشاهدته وفى نسخة اورنيه (فلما رأته) بعد ما دلها عليه (قالت كل مصيبة) تصيب المال والاهل (بعدك) اى بعد سلامتك ورؤيتك (جلل) بفتح الجيم واللام ثم لام اخرى بمعنى هين لا ابالى به ولا احزن عليه ويكون جلل بمعنى عظيم ايضا لانه من الاضداد والمراد الاول وشاهد الاول قول امرء القيس *بقتل بنى اسيد ربهم* الا كل شئ خلافه جلل* والثانى قوله* فلئن عفوت لاعفون جللا* ولئن سطوت لاوهنن عظمى* وهو دليل على قوة ايمانها وتقديمها محبة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على محبة غيره من الاهل (وسئل عن على بن ابى طالب) كرم الله وجهه ولم يذكروا من رواه عنه (كيف كان حبكم لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى ما مقداره فى شدته (قال كان والله احب الينا من اموالنا واولادنا وآبائنا وامهاتنا) بضم الهمزة وكسرها مع فتح الميم وكسرها جمع امهة بمعنى ام لغة فيه الا انه يختص ببنى آدم قال امهتى خندف والياس ابى ويقال فى البهائم امهات (و) احب (من الماء البارد على الظمأ) بمعنى شدة العطش ويمد ويقصر والافصح قصره واعاد الجار لانه نوع آخر مما يحب ولشدة منفعته وخص الظمأ لانه حال محبة الماء وشدة الرغبة فيه (وعن زيد بن اسلم) الفقيه العمرى توفى سنة ست وثلاثين ومائة اخرج له اصحاب الكتب الستة وله ترجمة فى الميزان قال (خرج عمر) ابن الخطاب رضى الله تعالى عنه من بيته لازقة المدينة (ليلة يحرس الناس) على عادته فى خلافته اذا كان يدور فى الازقة ويعس ليعرف حال الناس (فرأى مصباحا) موقدا (فى بيت) فقصده ليرى ما فى البيت الذى هو فيه (فرأى عجوزا) اى امرأة مسنة ويقال عجوزة ايضا ولم ار من الشراح هنا من ترجمها بشئ (تنفش صوفا) بضم الفاء وشين معجمة ونفش الصوف والقطن لاصلاحه معلوم (و) هى (تقول) اى تنشد شعرا من بحر السريع (على محمد صلوة الابرار) معنى الصلوة مشهور وعلى متعلق بصلوة او بمقدر ويجوز تقديم الظرف على المصدر لتوسعهم فيه والابرار جمع بر وبار وهو كل

مطيع لربه متق اى ادعو له بكل ما تدعو به الابرار (صلى عليه الطيبون الاخيار) المراد بالطيبين المتقون الذين طابت ظواهرهم وسرائرهم والاخيار جمع خير مخفف او جمع خير بمعنى اخير وانتى (قد كنت قواما بكا بالاسحار) قواما اى متهجدا لان القيام يختص بصلوة الليل اى كثير القيام للعبادة وبكا بضم الباء والقصر مصدر بمعنى اسم الفاعل اطلق عليه للمبالغة وهو يمد ويقصر والاسحار جمع سحر وهو آخر الليل والباء بمعنى فى هذا هو الصواب رواية ودراية وما قيل من ان بكا بتشديد الكاف والكلام سجع لا نظم لانكسار الوزن وكذا ما قيل من ان بكاء ممدود مضاف للاسحار بدون باء والاضافة على معنى فى تكلف وتعسف (ياليت شعرى والمنايا اطوار) شعرى بمعنى علمى وهو اسم ليت وخبره محذوف اى حاصل وقوله (هل يجمعنى وحبيى الدار) قائم مقام معمول شعرى علق عنه والمنايا جمع منية وهى الموت من منى بمعنى تصير ويقدر والاطوار جمع طور وهو الحال اى امور شتى مختلفة ومراده بالحبيب كما قاله المصنف رحمه الله النبى صلى الله تعالى عليه وسلم والظاهر ان مرادها بالدار الآخرة اى هل اراه صلى الله تعالى عليه وسلم بعد الموت فانه مقدر وله اسباب مختلفة كما قيل * ومن لم يمت بالسيف مات بغيره * تعددت الاسباب والداء واحد * وقيل المعنى هل تجمعنا الدار ويحول بينى وبينه الموت فالمراد بالدار الدنيا وليس بمناسب هنا وهذه القصة حكاها ابن المبارك فى كتاب الزهد وفيها فما زال عمر رضى الله تعالى عنه يبكى وطرق عليها الباب فقالت من هذا فقال عمر بن الخطاب فقالت مالى ولعمر فى هذه الساعة فقال افتحى يرحمك الله فلا بأس عليك ففتحت له فدخل عليها وقال ردى الكلمات التى قلتيها آنفا فردتها فقال ادخلينى معكما وقولى وعمر فاغفر له يا غفار (تعنى) تقصد بقولها حبيبى (النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) وفيه مناسبة لما نحن فيه (فجلس عمر يبكى وفى الحكاية) التى نقلها ابن المبارك (طول) اقتصرنا منها على المراد منها (وروى ان ابن عمر) رضى الله عنهما رواه ابن السنى فى عمل اليوم والليلة (خدرت رجله) بفتح الخاء المعجمة وكسر الدال وفتح الراء المهملتين اى اصابها خدر وهو امر يعترى الرجل لما يصيب العصب فيمنع عن تحريكها بسهولة ويزول سريعا لانه لو امتد كان فجلا او من مقدماته (فقيل له اذكر احب الناس اليك) لان الناس جربوا فى الخدران من اصابه اذا ذكر محبوبه زال بسهولة لانه بمسرته تنتفش الحرارة الغريزية فتندفع الخدر (فصاح يا محمداه) يعنيه صلى الله تعالى عليه وسلم لانه احب الناس اليه والى كل مؤمن كامل ويا محمداه مفعول صاح لتضمنه معنى القول او القول مقدر بعده كما هو مشهور فى امثاله عند النحاة ومن قال انه لم يعطف على جملة صاح لكمال الاتصال بينهما فهو كابو حفص عمر عطف بيان لم يصب المحز (فانتشرت) رجله اى امتدت لزوال خدرها وهذا يقتضى صحة ما جربوه

وقد روى انه وقع مثله لابن عباس رضى الله تعالى عنهما وذكره النووى فى اذكاره وروى ايضا عن غيرهما وفيه يقول ابو العتاهية * وتحذر فى باب الاحائين رجله * فان لم يقل ياعتب لم يذهب الحذر * وهذا مما تعاهده اهل المدينة وقوله يا محمداه بالف وهاء للندبة فى النداء لمن يتوجع او يتفجع كما قرره النحاة (ولما احتضر بلال) رضى الله عنه بالبناء للمجهول اى حضرته الملائكة لتقبض روحه (نادته امرأته) اى صاحت باعلى صوتها (واحرباه) بفتح الحاء والراء المهملتين وباء موحدة وهو فى الاصل النهب والسلب من حربته اذا سلبت ماله ومايعيش به قيل فكانها لتفجعها لموته نهبت و سلبت وفى القاموس قيل ان اصله ان حرب بن امية لما مات قيل فى نعيه واحرباه ثم نقل ذلك يعنى عم فى كل نعى وحرب كفارة وواحرف ندبة والمندوب اما ميت ينعى او امر يتفجع منه نحو ياحسرتا وقيل انه روى حزناه بفتح الحاء والزاى المعجمة او بضم اوله وسكون ثانيه وروى ايضا حوباه بفتح الحاء وواو ساكنة تليها باء موحدة من الحوب وهو الاثم والمراد اثمها لشدة جزعها وقلقها فى المصيبة فهى تتفجع على نفسها او هو من الحوبة بمعنى رقة القلب وهو تكلف والرواية الاولى كما تقدم (فقال) بلال رضى الله تعالى عنه ردا لما قالته (واطرباه) الطرب خفة تعترى المرء لحزن او سرور فهو مشترك بينهما والمراد هنا الثانى ووا هنا للنداء والالف والهاء مزيدة فى آخره كانه يستغيث بطربه و يدعوه فى سكرات الموت لما يتيقنه من الثواب وملاقاة الاحباب لعلمه بان الارواح تتلاقى فى البرزخ كما اشار اليه بقوله (غدا القى الاحبة محمدا وحزبه) فمحمدا وحزبه بيان لمراده بالاحبة والحزب الجماعة المتحزبين اى المجتمعين والمراد بهم الصحابة رضى الله تعالى عنهم والمراد بقوله غدا الزمان المستقبل بعد الموت وروى كما يأتى نلقى الاحبة محمدا وصحبه وهذا بيت مجزو بحر الوافر وفيه زحف يعلمه من له خبرة بعلم العروض (ذكره القشيرى) رحمه الله تعالى (ومثله) روى (عن حذيفة بن اليمان رضى الله تعالى عنهما وروى ان امرأة قالت عائشة) رضى الله تعالى عنها (اكشفى لى عن قبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) قالته لها لانه كان فى بيتها وكان مستورا عن الناس تكريما له صلى الله تعالى عليه وسلم (فكشفته لها) برفع الستارة عنه (فبكت حتى ماتت) لشدة محبتها للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا لم يخرجوه (و) روى البيهقى رحمه الله تعالى عن عروة انه (لما اخرج اهل مكة زيد بن الدثنة) بفتح الدال المهملة وكسر المثلثة وتسكن ونون وهاء تأنيث اسم والده من قولهم دثن الطائر اذا طار حول وكره ولم يسقط عليه او من دثن اذا اتخذ عشا وهو زيد بن الدثنة ابن معاوية بن عبيد بن معاوية بن عامر بن بياضة الخزرجى الصحابى وكان اسر يوم الرجيع (من الحرم ليقتلوه) فقتل صبرا وانما اخرجوه منه لانهم كانوا لا يقتلون فيه تعظيما له وكان قتله فى السنة الثالثة من الهجرة (قال له) قبل قتله (ابو سفيان بن حرب) والد معاوية وكان ذلك قبل اسلامه وقيل ان الذى

قيل له ذلك الآتى خبيب بن عدى حين رفع على خشبة فقال لا والله فضحكوا منه كما نقله ابن سيد الناس فى سيرته عن ابن عقبة وما ذكره المصنف رحمه الله تعالى رواية ابن اسحق (انشدك الله تعالى) قسم وانشدك بفتح الهمزة وضمها يقال نشدته وانشدته اذا سألته وفى القاموس نشد فلانا عرفه وبالله استحلفه وقال له نشدتك الله اى سألتك بالله و نشدك الله بالفتح انشدك الله وقد ناشده مناشدة ونشادا حلفه والله منصوب بنزع الخافض اى سألتك بالله وفى النهاية انه متعد لمفعولين وقال الوقشى الصواب نشدتك فليحرر (يا زيد أتحب ان محمدا الان عندنا مكانك يضرب عنقه) فتقتل حماه الله تعالى من ذلك (وانك) بفتح الهمزة سالما مقيما (فى اهلك فقال زيد رضى الله تعالى عنه والله ما احب) وارضى (ان محمدا فى مكانه الذى هو فيه مقيم تصيبه شوكته) اى اقل شئ من الاذى فضلا عما قلتم (وانا جالس فى اهلى) سالم من الاذى وهو متأذ (فقال ابو سفيان ما رأيت احدا من الناس) ما نافية لا تعجبية كما توهم وان كان مراده بهذا الكلام التعجب من شدة محبة اصحاب محمد له (يحب احدا كحب اصحاب محمد محمدا) مفعول حب المصدر وهذه القصة مفصلة فى السير لا نطيل بذكرها هنا (وعن ابن عباس) رضى الله تعالى عنهما فيما رواه ابن جرير والبزار (كانت المرأة اذا اتت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) مهاجرة الى المدينة (احلفها بالله) وفى نسخة حلفها بالتشديد وهما بمعنى اى كلفها القسم بالله انها (ما خرجت) من ارضها و بلدها (من بغض زوج) لها ناشزة منه (ولا راغبة بارض) اى فى ارض (عن ارض) خرجت منها (و) انها (ما خرجت) من ارضها بشئ (الا حبا لله ورسوله) فهى هجرة خالصة لله وفيه وجوب محبة الله ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو الذى قصده المصنف رحمه الله تعالى هنا وكان ذلك لما وقعت الهدنة بين رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والمشركين وشرطوا عليه صلى الله تعالى عليه وسلم ان يرد عليهم كل من اتاه من اهل مكة ولو كان مسلما فرد ابا جندل رضى الله تعالى عنه ولم يرد النساء اما لعدم دخولهن فى العهد او لان الله نسخه صونا للفروج ولضعفهن فكان صلى الله تعالى عليه وسلم لا يرد من ظهر اسلامها وامره الله بامتحانهن باستحلافهن بما ذكر فاذا حلفن اعطى مهرهن ونفقتهن وهو المراد بقوله تعالى * فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار الآية و بما ذكرنا سقط ما قيل فى نظم هذا فى هذا الفصل نوع نظر (ووقف ابن عمر) رضى الله تعالى عنهما كما رواه ابن سعد (على عبد الله (ابن الزبير بعد قتله) رضى الله تعالى عنهما حين قتله الحجاج وصلبه على جذع وقد حاصره ثم قتله سنة ثلاث وسبعين يوم الثلاثا سابع عشر جمادى الاولى او الآخرة كما فصل فى التواريخ (فاستغفر له) اى دعا له ابن عمر بالمغفرة (وقال)

ابن عمر مخاطبا له بعد موته (كنت والله فيما علمت) اى فيما ثبت وتحقق فى علمى بك (صواما) اى مبالغا فى الصوم وكثرته (قواما) اى كثير القيام والتهجد كما مر قبل انه كان رضى الله تعالى عنه قسم لياليه ثلاثة اقسام ليلة يصلى قائما الى الصباح وليلة راكعا الى الصباح وليلة ساجدا الى الصباح (تحب الله ورسوله) اى مخلصا فى محبتهما مؤثرا لهما على كل شئ حتى على نفسه واهله اما عبادته رضى الله تعالى عنه وتوجهه الى الله فيها فنقل عنه امور عجيبة فكان اذا توجه انتصب كانه جذع لا يحس بشئ ولا يتحرك حتى يقع عليه الطير ورمى بحجر من المنجنيق وهو يصلى فى ايام محاصرته فلم يقطع صلاته وقد جذبه مغناطيس المحبة فدفن قريبا منه صلى الله تعالى عليه وسلم فانهم لما انزلوه عن جذعه الذى صلب عليه غسلته امه اسماء بنت ابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنهما بعد ان قطعت مفاصله وحنطته وكفنته وصلت عليه وحملته الى المدينة ودفنته فى دار صفية ام المؤمنين رضى الله تعالى عنها وهذه الدار زيدت فى المسجد النبوى على صاحبه افضل الصلوة واشرف السلام

﴿ فصل فى علامة محبته عليه الصلوة والسلام ﴾

اى فى ذكر صفات تدل على ان من اتصف بها محب له صلى الله تعالى عليه وسلم (اعلم) امر لكل من توجه اليه الخطاب من غير تعيين سد مسد مفعوليه قوله (ان من احب شيئا اثره) اى اختاره وقدمه على غيره وهو بفتح الهمزة والمد كقوله (واثر موافقته) فى اقواله وافعاله (والا) اى وان لم يؤثره ويؤثر موافقته واصله وان لا بان الشرطية ولا النافية (لم يكن صادقا) فى دعوى المحبة كما قال (فى حبه وكان مدعيا) اى كاذبا فى دعواه لان المدعى هو الزاعم للباطل عند الاطلاق ولذا يقال مسيلمة مدعى النبوة لكن لا يقال مثله فى حق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كما قال

* وكل يدعى وصلا لليلى * وليلى لا تقر لهم بذاكا * وقال

* ولما ادعيت الحب قالت كذبتنى * فمالى ارى الاعضاء منك كواسيا *

* فما الحب حتى يلصق القلب بالحشا * وتذهل حتى لا تجيب المناديا *

(فالصادق فى حب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من يظهر عليه علامات ذلك) الحب الذى ادعاه بحيث لا يخفى (واولها) اى اول تلك العلامات (الاقتداء به) صلى الله تعالى عليه وسلم باتباع اقواله وافعاله وآثاره (واستعمال سنته) اى العمل بها (واتباع اقواله وافعاله) فلا يخالفها (وامتثال اوامره واجتناب نواهيه) بان يفعل ما امر به ويترك ما نهى عنه بقدر استطاعته قال ابن هشام فى تذكرته ومن خطه نقلت قال الاصوليون الامر بمعنى القول المخصوص يجمع على اوامر وبمعنى الفعل او الشان على امور ولا نعلم من وافقهم الا الجوهرى وفى التهذيب خلافه ولم يذكر النحاة ان فعلا يجمع على فواعل وفى شرح البرهان قول الجوهرى غير

معروف وصحح بوجوه الاول ان جمع آمر لانه اسم او صفة لما لا يعقل وهو مجاز لان الامر الشخص لا القول ولم يقولوا انه مجاز وصرحوا بانه جمع امر فكيف يخرج عليه كلامهم الثانى انه جمع آمرة وهى الصيغة وفيه ما مر وقال ابن سيدة آمرة مصدر كالعافية وعليه جرت هذه الصيغة ورد بانه لا يتأتى لان معناها ايجاد الطلب لا الصيغة الثالث انه جمع الجمع جمع على افعل وجمع افعل على افاعل ورد بان اوامر فواعل لا افاعل والابدال فيه مطرد وقال الاصفهانى فى شرح المحصول هذا التوجيه لا يتم فى النواهى وكونه جمع ناهية مجاز تكلف وكونه لمشاكلة الاوامر يرده استعماله مفردا انتهى (والتأدب بادابه) الادب حسن تناول الامور والتلطف فيها والمراد التخلق باخلاقه صلى الله تعالى عليه وسلم فى الكرم وحسن الشيم والادب غلب فى العرف على هذا المعنى (فى عسره ويسره) بضمتين فيهما ويسكن السين تخفيفا فى الشدة والرخاء والضمير للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم او لصاحب الحالة المصدر به (ومنشطه) اى فى نشاطه وخفته (ومكرهه) اى كراهته لامر يتحمله من غيره وميمهما مفتوحة (وشاهد هذا) المذكور كله اى ما يشهد له ويدل عليه حتى كانه شهد به واثبته (قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله) جعل محبة الله لازمة لاتباع رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ومن احب الله احب رسوله فكانه قال ان كنتم تحبونى فاتبعونى وبهذا ظهر مطابقة هذه الآية لما عقد له الفصل (وايثار ما شرعه) من احكامه الواجبة وغيرها (وحض عليه) اى حث الناس على فعله وحرضهم عليه (على هوى نفسه) اى ما تهواه وتميل اليه (وموافقة شهوته) اى ما تشتهيه نفسه ويميل اليه طبعه لان الاشتهاء ميل طبيعى غير مقدور ولذا يعاقب المكلف بارادة المعاصى عند بعضهم ولا يعاقب باشتهائها والشهوة مغايرة للارادة لان الشهوة توقان النفس الى الامور المستلذة والارادة قد تتعلق بنفسها بخلاف الشهوة فانها لا تتعلق بنفسها بل بالذات فان تعلقت بنفسها كانت مجازا عن المجازاة كما فى قوله اشتهى ان اشتهى (قال الله تعالى والذين تبوؤا الدار) اى سكنوها واستقروا بها وهم الانصار والمراد بالدار المدينة (والايمان) اى واخلصوا الايمان وعطفه على الدار على حد قوله * وزججن الحواجب والعيونا * او جعل الايمان لملازمتهم له كالمنزل المستقر فيه ساكنه وتحقيقه فى الكشاف وشروحه (من قبلهم يحبون من هاجر اليهم) من المؤمنين (ولا يجدون فى صدورهم) اى فى قلوبهم وانفسهم وما وقع فى بعض النسخ فى انفسهم سهو من الكاتب (حاجة مما اوتوا) اى لا يخطر ببالهم وتطمح انفسهم الى ما اعطى المهاجرون من فئ وغيره حسدا او طمعا (ويؤثرون على انفسهم) اى يقدمون المهاجرين على انفسهم تكريما منهم (ولو كان بهم) اى فيهم (خصاصة) احتياجا وفاقة لما اثروهم به

وسبب نزول هذه الاية انه صلى الله تعالى عليه وسلم قسم بين الصحابة غنائم بنى النضير ولم يعط الانصار منها الا ثلاثة من فقرائهم وقال لهم ان شئتم اشركتكم معهم وقسمتم لهم من دياركم واموالكم وان شئتم كان لكم اموالكم ودياركم ولا تأخذوا منه شيئا فقالوا بل نؤثرهم بالفئ ونقسم لهم من ديارنا واموالنا فلله درهم ما اكرمهم واعونهم على البر والتقوى وهذا كله محبة لله ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم وكان المهاجرون قبل ذلك نزلوا دور الانصار فلما فتح الله عليهم فعل ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (واسخاط القياد) اى اغضابهم عليهم بمخالفتهم (فى رضى الله) اى فيما يرضيه وهذا وماقبله معطوف على الاقتداء وهذا كما قال الحريرى * وابغ رضى الله فاغبى الورى * من اغضب المولى وارضى العبيد * (حدثنا القاضى ابوعلى الحافظ) هو ابن سكرة وقد تقدمت ترجمته (قال حدثنا ابوالحسن الصيرفى) تقدم ايضا وفى نسخة الحسين وهو سهو (وابوالفضل بن خيرون) تقدم ايضا (قالا حدثنا ابو يعلى البغدادى) الذى يقال له زوج الحرة كما تقدم (قال حدثنا ابوعلى السنجى) تقدم ايضا (قال حدثنا محمد بن محبوب) تقدم ايضا (قال حدثنا ابوعيسى) الترمذى صاحب السنن وهو محمد بن عيسى بن سورة كما تقدم (حدثنا مسلم بن حاتم) الانصارى امام جامع البصرة (حدثنا محمد بن عبدالله الانصارى) هو محمد بن عبدالله بن المثنى الانصارى قاضى البصرة الامام الثقة توفى فى رجب سنة خمسة عشر ومأتين وله ترجمة فى الميزان (عن ابيه) هو عبدالله بن المثنى البصرى وقد وثقوه وله ترجمة فى الميزان (عن على بن زيد) بن عبدالله ابن ابى مليكة زهير بن عبدالله بن جدعان ابن عمر بن كعب الضرير احد الحفاظ وان قيل فيه لين وليس يثبت واخرج له الاربعة وله ترجمة فى الميزان توفى سنة احدى وثلاثين اوتسعة وعشرين ومائة (عن سعيد بن المسيب) تقدم ايضا (قال قال انس ابن مالك) الصحابى المشهور (قال لى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يابنى) مصغر بتشديد الياء ويجوز كسرها وفتحها والتصغير للشفقة والمحبة وكان خادمه صلى الله عليه وسلم وفيه دلالة على انه صلى الله عليه وسلم ابو المؤمنين كما ان زوجاته رضى الله عنهن امهاتهم وبناته اخواتهم وقد وقع اطلاق هذا كله فى الاحاديث الصحيحة وقرئ وازواجه امهاتهم وهو اب لهم وقوله تعالى * ماكان محمد ابا احد من رجالكم المنفى فيه ابوة النسب حقيقة خلافا لمن لم يجوز اطلاقه عليه صلى الله عليه وسلم عملا بظاهر الآية والصحيح خلافه كما تقدم بيانه فى اول فصل واما حسن عشرته الخ (ان قدرت ان تمسى وتصبح) اى ان امكنك ذلك ولم يمنعك منه مانع اى على ان الخ لان حذف الجارهنا مطرد والمراد بالاصباح والامسا جميع زمانه لاخصوصهما اذ لاوجه للتخصيص وهما فعلان تامان وقوله (ليس فى قلبك غش لاحد) جملة حالية بدون تقدير قد لجمود فعلها اوهى خبرهما ناقصان والغش بكسر الغين المعجمة ضد النصح

والمراد به هنا مجازا غل وحقد وهو المراد اذا اضيف للقلب ولوكان على ظاهره فهو بتقدير مضاف اى نية غش والاول احسن واقرب (فافعل) اى فكن مداوما على ذلك (ثم قال) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (لى يابنى وذلك) اى نزع الغش من القلب (من سنتى) اى طريقتى واخلاقى (ومن احيا سنتى) اى اظهرها واتبعها (فقد احبنى) اى علم حبه لى وهذه رواية والذى فى الترمذى فقد احبانى وهو الظاهر (ومن احبنى كان معى فى الجنة) لان المرء مع من احب كما تقدم والمحب الصادق لايخالف من احبه بل يقدم مراده على مراده لانه احب اليه من نفسه (فمن اتصف بهذه الصفة) اى باحياء السنة واتباعها وقيل المراد بالصفة ان لايكون فى قلبه غش لاحد (فهو كامل المحبة لله ورسوله ومن خالفها) اى خالف السنة (فى بعض هذه الامور) كترك بعض ما امر به اواتى بعض مانهى عنه احيانا (فهو ناقص المحبة) لاكاملها (ولايخرج) بارتكاب البعض (عن اسمها) اى عن الاتصاف بها وتسميته محبا فى الجملة ولا ينافى هذا قوله المتقدم

* لوكان حبك صادقا لاطعته * ان المحب لمن يحب مطيع *

لان ذلك فى المحبة الكاملة التى هى محبة الخواص على نهج قوله لايزنى الزانى وهو مؤمن ولذا عقبه بقوله (ودليل) اى دليل ان بعض اتصافه بالمحبة (قوله) صلى الله عليه وسلم فى حديث رواه البخارى عن عمر رضى الله تعالى عنه (للذى حده فى الخمر) اى اقام عليه الحد لشربه الخمر واللام كهى فى قوله تعالى * وقال الذين كفروا للذين آمنوا لوكان خيرا ماسبقونا اليه * اى قوله فى حقه وشانه وهى فى الحقيقة لام تعليل والصحابى الذى حد فى الخمر فى هذا الحديث قيل هو عبدالله الملقب بحمار باسم الحيوان بحاء مهملة وقيل بل هو بخاء معجمة مكسورة وانه الصواب وقيل ابن نعيمان اونعيمان نفسه بن عمرو بن رفاعة البدرى وهو الذى حد فى الخمر مرارا وهو صاحب الدعابة الذى كان صلى الله تعالى عليه وسلم يضحك منه توفى فى زمن معاوية وصحح هذا وقصة حمار اخرى كانت بخيبر وقيل انه هو نفسه وقال الحافظ الدمياطى ان كون هذا الرجل حمار وهم وانما هو نعيمان وحمار هذا معدود فى الصحابة ولم يذكروا نسبه (فلعنه بعضهم) اى قال اللهم العنه وروى انه قال له اخزاك الله تعالى والقائل له عمر بن الخطاب كما رواه البيهقى (وقال ما اكثر مايؤتى به) تعجب من كثرة ما اتوا به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو سكران (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لاتلعنه فانه يحب الله ورسوله) وفيه دليل على ان المسلم وان ارتكب الكبائر لا يجوز لعنه ومن كان كذلك لايجوز لعنه وفيه ان محبة الله ورسوله من اعظم المنجيات وفيه رد على المعتزلة فى ان مرتكب الكبيرة مخلد فى النار (ومن علامات محبة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كثرة ذكره) صلى الله تعالى عليه وسلم وذكره بالصلاة عليه ومنه علم فضيلة الحديث واهله لذكرهم له صلى الله تعالى

عليه وسلم كثيرا (ومن احب شيئا اكثر من ذكره) وهذا مثل مشهور وهوامر طبيعى عادى (ومنها) اى علامات محبته صلى الله تعالى عليه وسلم كثرة شوقه (الى لقائه) اما فى حياته فظاهر واما بعد موته صلى الله عليه وسلم فبان يشتاق لقائه فى الآخرة ويشاهد ذاته الكريمة اللهم ارزقنا ذلك بكل حبيب اى محب (يحب لقاء حبيبه) اى محبوبه فان فعيل يأتى بمعنى اسم الفاعل والمفعول وان اشتهر هذا فى الثانى وذكره معادلا لقوله قبله من احب شيئا الى آخره وكل منهما علة لماقبله وهومن حسن التعليل البديعى والشئ بالشئ يذكر مااحسن قول عروة بن حزام فى قصيدة له

* وانى لاهوى الحشر اذقيل اننى * وعفراء يوم الحشر نلتقيانى *

ومنه اخذ ابن رواحة قوله

* ان كان يحلو لديك ظلمى * فزد من الهجر فى عذابى *

* عسى يطيل الوقوف بينى * وبينك الله فى الحساب *

وقلت انا فى رباعية

* كم قال لحبه الكثير الآفات * واطول وقوفنا يوم العرضات *

* هيهات لئن بدا محيا دله * يغفر ويهب له جميع الزلات *

(وفى حديث الاشعريين) يعنى اباموسى الاشعرى واصحابه المنسوبون الى اشعر ابو قبيلة باليمن وكانوا قدموا على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم سنة سبع من الهجرة وكان صلى الله تعالى عليه وسلم قال لاصحابه يقدم عليكم قوم ارق قلوبا منكم فقدم الاشعريون وكانوا (عند قدومهم المدينة) منصوب بنزع الخافض لانه يقال قدم فلان على فلان وقدم الى بلد كذا (انهم كانوا يرتجزون) اى ينشدون شعرا وكلاما موزونا وهو (غدا نلقى الاحبة محمدا وصحبه) لكنهم قالوا انما يقال ارتجز اذا انشد شعرا من بحر الرجز وتمامه مستفعلن ست مرات ومجزوه اربعا وهذا ليس منه وانما هو من الوافر والهزج وقيل انما سماه رجزا لمشابهته له لتقارب اجزائه وقلة حروفه ولعل العرب كانت تطلق على ما يقوله الركبان من الاوزان القصيرة رجزا وما ذكروه من تخصيصه بهذا الوزن اصطلاح حديث بعد الخليل رحمه الله تعالى والذى يظهر ان هذا كله تكلف لا حاجة اليه فانه هنا بمعناه اللغوى وهو يصيحون ويصوتون فانه اصل معناه ومنه المرتجز اسم فرس لرسول الله صلى الله عليه وسلم لحسن صهيله وصوته وكون المصنف لايخفى عليه مثل هذا سوء ظن به وفى نسخة وحزبه بدل صحبه كما تقدم (وتقدم قول بلال مثله) يعنى ان بلالا ذكر مثله لفظا ومعنى وان اختلف مرادهما فان مراد هذا القائل لقاء النبى واصحابه فى الحياة الدنيا وبلال رضى الله تعالى عنه اراد لقاءهم فى الآخرة ثم انه يحتمل انه توارد معهم فى هذا الكلام وانه تمثل به (ومثله) اى المذكور وان لم يساوه (ماقاله عمار) ابن ياسر الصحابى (حين قتل) اى قتله اهل الشام الذين كانوا مع معاوية اى لما قتل بصفين

مع على رضى الله تعالى عنه سنة ست وثلاثين فيما رواه ابن سلمة قال كانى انظر الى عمار يوم صفين وقد استسقى فاتته امرأة بشربة من لبن فشربها ثم قال اليوم القى الاحبة ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عهد الى ان آخر شربة اشربها من الدنيا شربة لبن ثم قاتل حتى قتل وقد قال صلى الله عليه وسلم تقتل عمارا الفئة الباغية كما تقدم ومنه علم ان عليا كرم الله وجهه كان على الحق (و) مثله ايضا (ماذكرنا من قصة خالد ابن معدان) التى تقدمت من انه كان اذا اوى الى فراشه لايزال يذكر شوقه الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واصحابه حتى يغلب عليه النوم وليس هذا من تمنى الموت المنهى عنه فان من احب الله ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم وتمنى الموت لاجل لقائه والاستراحة من الدنيا وغمها ليس من هذا كما قال فى الفتوحات ومن هذا ماتقدم انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما خير بين البقاء فى الدنيا والانتقال للاخرة قال اللهم الرفيق الاعلى (واعلم ان تحقيق هذا المقام ماقاله الحكيم الترمذى فى فروقه ان تمنى الموت على ثلاثة اقسام الاول تمنى عبد اقترب الى ربه فى منازل القرب لما تطهر من ادناس الشهوة وكدورة الاخلاق فكلما اقترب ازداد شوقا فتمنى الموت والثانى عبد رأى نعمة الله عليه فى دينه شاملة لكل خير فخاف زوالها لما رأى من نفس خادعة وعدو لايألوه خبالا فتمنى الموت رجاء ان يحرز ذلك لنفسه فى لحده فهذان محمود ان وردا عن الصحابة كسلمان رضى الله تعالى عنه اذ قال احب الموت اشتياقا وقال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه احب الموت لانى لاادرى ماينزل بى فاخاف على دينى والاول قول صديق والثانى قول صادق والحظ لصاحبه فيهما والثالث عبد تربى فى رفاهية عيش وثقل نعمة ثم انقلب الزمان عليه وعضته النوائب فقل صبره وتمنى الموت وهذا مذموم ولذا جاء فى الحديث لايتمنى احدكم الموت لضر نزل به واما تمنى مريم رضى الله تعالى عنها الموت وقولها ياليتنى مت قبل هذا الخ فالخير مضى ولذا لم يقل الان فهو لامر دينى رجاء ان لايزول لمارأت فتنا تموج وذلك لما اتهموا زكريا وهموا بقتله فجاءها النداء والبشرى فصدقت بكلمات ربها وسميت صديقة انتهى اذا علمت هذا فقول السخاوى كغيره تمنى الموت منهى عنه ولذا جاء فى الحديث الصحيح فان كان ولا بد فاعلا فليقل اللهم احينى ما كانت الحياة خيرا لى وتوفنى اذا كانت الوفاة خيرا لى انتهى باطلاقه ليس كما ينبغى والتحقيق ما عرفت (ومن علاماته) اى علامة حب الله ورسوله فالضمير راجع للمحبة تأويلها بالحب وليس راجعا للقاء المحب حبيبه وان كان اقرب وغير محتاج للتأويل كما قيل (مع كثرة ذكره) له صلى الله تعالى عليه وسلم (تعظيمه له وتوقيره) حق توقيره (عند ذكره له) (واظهار الخشوع) اى الخضوع (والانكسار) اى التذلل والتواضع (مع سماع اسمه) اى اذا ذكر غيره لاسمه صلى الله تعالى عليه وسلم (وقال اسحق التجيبى) هو

امام المحدثين ابو ابراهيم اسحق ابن ابراهيم التجيبي توفى لثمان بقين من ذى القعدة سنة اثنين وخمسين وثلاثمائة وهو منسوب لقبيلة من كندة تسمى تجيب واختلف فى تائه هل هى اصلية ام زائدة وضمها المحدثون وكثير من الادباء وفتحها غيرهم قال فى القاموس تجيب بالضم وتفتح بطن من كندة منهم كنانة ابن بشر التجيبى ويجوب بالواو قبيلة من حمير ابن ملجم التجوبى قاتل على رضى الله تعالى عنه وغلط الجوهرى وحرف بيت الوليد بن عقبة * الا ان خير الناس بعد ثلاثة * قتيل التجيبى الذى جاء من مضر * انتهى يعنى انه انشده التجيبى وانما هو التجوبى كما فى كامل المبرد واعلم ان بعضهم زعم ان تاءه اصلية لانه فى العين ذكره فى فصل التاء وتبعه صاحب القاموس وهى زائدة كما قاله ابن السيد وجوز فى تائه الوجهين اى الفتح والضم وقال النووى فى شرح مسلم ان التاء زائدة لانه من جاب يجوب (كان اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم بعده) اى بعد وفاته (لايذكرونه الاخشعوا) اى اظهروا الخشوع والتذلل (واقشعرت جلودهم) اى عرض لها قشعريرة (وبكوا) حزنا لفراقه وشوقا للقائه صلى الله تعالى عليه وسلم (وكذلك) اى ومثل الصحابة فيما ذكر (كثير من التابعين) لهم باحسان يفعلون كفعلهم (منهم من يفعل ذلك) اى من المذكورين كلهم الصحابة والتابعين اومن اتباعهم من يبكى ويخشع ويقشعر جلده (محبة له وشوقا اليه) تمييز اومفعول له اى من محبته وشوقه اولاجلهما (ومنهم من يفعله تهيبا وتوقيرا) اى لمهابته صلى الله تعالى عليه وسلم فى انفسهم واجلاله وتكريمه (ومنها) اى من علامات محبته صلى الله تعالى عليه وسلم (محبته) اى محبة الانسان (لمن احب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) بالرفع والعائد محذوف اى احبه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (و) محبة (بسببه) الباء للملابسة اى تلبس بسبب من اسبابه وكان بينه وبينه علامة بقرابة اوصهارة وقال فى النهاية السبب الزواج واصله الحبل الذى يتوصل به الى الماء فاستعير لكل ما يتوصل به قال الله تعالى * وتقطعت بهم الاسباب * اى الوصل والمودات (نكتة) انما خص ابن الاثير السبب هنا بالزواج وان كان عاما لان الزواج لمناسبة الماء المخصص فى المستعار لانه يطلق على المنى كما فى الحديث انما الماء من الماء وفى قوله تقطعت فى الآية لطف خفى وقوله (من اهل بيته) الى آخره بيان لمن احبه ومن هو بسببه ويجوز ان يكون بيانا لمن هو بسببه بناء على عمومه وفى نسخة من آل بيته وفيهم خلاف والمشهور عند الشافعى انهم المؤمنون من بنى هاشم وبنى المطلب ابنى عبد مناف ولابنى عبد شمس وبنى نوفل ابنى عبد مناف لانه صلى الله تعالى عليه وسلم اشرك الاولين فى خمس الخمس الذى هو سهم ذوى القربى دون هؤلاء وقال انهم والفونا فى الجاهلية والاسلام (وصحابته) بفتح الصاد جمع او اسم جمع صحابى

وهو فى الاصل مصدر وهو كل مسلم لقى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بعد بعثته ومات على ذلك فان تخللت ردة ولم تدم لم يضروهم لايحصون كثرة وقد روى انه صلى الله تعالى عليه وسلم قبض عن مائة واربعة وعشرين الفا والله تعالى اعلم (والمهاجرين) هو من هاجر وترك وطنه لله ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم فيدخل فيه مهاجروا المدينة والحبشة وقدمهم لانهم افضل (والانصار) جمع ناصر او نصير غلب على الاوس والخزرج وكذا نسب اليه وقيل انصارى وهو تخصيص بعد تعميم لانهم افضل من غيرهم وفى نسخة من المهاجرين والانصار والظاهر انه عبارة عن جميع الصحابة ليشمل من مات قبل الهجرة كخديجة رضى الله تعالى عنها وقيل انهم فى حكم المهاجرين لانهم السابقون باحسان قبل غيرهم فتأمله (وعداوة من اعداهم) اى من علامات المحبة لهم عداوة من عاداهم ظلما وبغيا كالخوارج فلايدخل فيه ماوقع بين الصحابة ظاهرا (وبغض من ابغضهم) اى كرههم وتلاهم (وسبهم) واظهر شتمهم كالروافض قاتلهم الله (فان من احب

شيئا احب من يحبه) وكره من يكرهه كما قيل وقد تقدم

* اذا صافى صديقك من تعادى * فقد عاداك وانفصل الكلام *

(وقد قال عليه الصلوة والسلام فى الحسن والحسين) اى فى حقهما وشانهما كما رواه البخارى (اللهم) اى يا الله ناداه بيانا لتحقق حبه وعلم الله به وتوطئة لما طلب منه (انى احبهما فاحبهما) اى اعطهما كل خير دنيوى واخروى كما سيأتى فى بيان محبة الله وهذا بلفظه وقع فى رواية الترمذى فى حديث قال انه حسن صحيح والذى فى الصحيحين ذكر فيه اسامة والحسن وفيه روايات مختلفة وليس هذا محل تفصيلها واليه اشار المصنف رحمه الله تعالى بقوله (وفى رواية فى الحسن) وحده وليس المراد التخصيص اللهم انى احبه (فاحب من يحبه وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم فى رواية اخرى (من احبهما) اى الحسن والحسين (فقد احبنى ومن احبنى فقد احب الله) لعلمه بالطريق الاولى (ومن ابغضهما فقد ابغضنى ومن ابغضنى فقد ابغض الله وقال) صلى الله عليه وسلم فى حديث رواه الترمذى وغيره (الله الله) بنصبهما بمقدر كاتقوا الله واحذروه واخشوه وفى تكريره تخفيف وتحذير على وجه المبالغة (فى اصحابى) اى فى شانهم وحقهم فاحذروا تنقيصهم ونسبتهم لما لايليق بهم والطعن فيهم ثم بين ذلك بقوله (لاتتخذوهم غرضا) بغين معجمة وراء مهملة مفتوحتين وضاد معجمة وهو الهدف الذى يرمى بالسهام فهو استعارة اوتشبيه بليغ على القول فى مثله كما بين فى المعانى اى لاتقصدوا ذكرهم بسوء ولاتبحثوا عما وقع منهم ولذا منع السلف منه (فمن احبهم فبحبى احبهم) اى بسبب حبى لهم ويلزم من المحبة لهم اى لايذكروا بسوء (ومن ابغضهم فببغضى ابغضهم) ولذا ذهب بعض المالكية كما سيأتى الى قتل من سبهم لانه كسبه صلى الله تعالى عليه وسلم (ومن اذاهم) بذكر مايسوءهم

(فقداذانى) لانه يسوءه ذلك (ومن اذانى فقداذى الله) اى عصاه وفعل مالا يرضاه
وهو المراد باذية الله (ومن اذى الله يوشك ان يأخذه) اى يهلكه سريعا ولا يمهله
فيأخذه اخذ عزيز مقتدر وفى النهاية يوشك ان يكون كذا اى يقرب ويسرع
(وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم (فى فاطمة) رضى الله تعالى عنها اى فى حقها
وشانها وفى حديث رواه البخارى وغيره (لانها بضعة) بفتح الباء وكسرها اى
قطعة وجزؤ (منى) لان الولد حاصل من ابيه وقطعة من كبده (يغضبنى
مايغضبها) اى يسوءنى ويوذينى كل ما اذاها لان الم الجزء يتألم به الكل فهو كالدليل
لما قبله وسبب الحديث ان عليا كرم الله وجهه خطب لابى جهل فسمعت بذلك
فاطمة رضى الله تعالى عنها فاتت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقالت يزعم
قومك انك لاتغضب لبناتك وهذا على ناكح بنت ابى جهل فقام رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم فتشهد وقال اما بعد فان فاطمة بضعة منى وانى اكره ان يسوءها
والله لاتجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله عند رجل واحد فترك على ذلك والحديث
وتفسيره مفصل فى كتب الحديث (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه
الترمذى عن عايشة وحسنه (لعايشة فى اسامة) بن زيد فى حقه وشانه (احبيه فانى
احبه) وقد قال صلى الله عليه وسلم اسامة بن زيد احب الناس الى فاستوصوا به
خيرا ولذا امر عايشة ان المستوصى به خيرا بعده وهذا مما اخبر به صلى الله تعالى
عليه وسلم من المغيبات (وقال) صلى الله عليه وسلم فيما رواه الشيخان (آية الايمان)
اى علامة تحققه وصدقه وكماله (حب الانصار) لمحبة النبى صلى الله تعالى عليه
وسلم لهم ومحبتهم له ولانهم نصروا الدين وساعدوا المؤمنين من الصحابة وواسوهم
بماهو معلوم (وآية النفاق) المنافى لتحقق الايمان (بغضهم) وصحف بعضهم الحديث
فقال انه بالهمزة المكسورة والنون المشددة وضمير الشان وهو سهو ظاهر (وفى حديث
ابن عمر) كما اخرجه البيهقى فى دلائله (من احب العرب) المراد بهم هؤلاء الجيل
المعروفون مطلقا (فبحبى) اى بسبب حبى (احبهم ومن ابغضهم) من حيث
ذواتهم لا لسبب آخر يكون لبغض منهم (فببغضى ابغضهم) وفى حديث رواه
الترمذى عن سلمان انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال له لاتبغضنى فتفارق دينك قال
كيف ابغضك وبك هدانا الله قال تبغض العرب فتبغضنى وفى شعب الايمان للحليمى
ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان الله عز وجل خلق الخلق فاختار منهم
بنى آدم واختار من بنى آدم العرب واختار من العرب مضر واختار من مضر قريشا
واختار من قريش بنى هاشم فانا خيار من خيار فمن احب العرب فبحبى احبهم ومن ابغض
العرب فببغضى ابغضهم ولذا قيل اطلاق اللسان بالوقيعة فيهم كالشعوبية اذية لله
ورسوله صلى الله عليه وسلم وقد قال الله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله

فى الدنيا والآخرة وقد فصل ذلك الحافظ العراقى فى تأليف له مستقل سماه انفع
القرب فى بيان فضل العرب (قال المؤلف رحمه الله تعالى فبالحقيقة) اى بسبب
النظر للحقيقة ونفس الامر المحقق عند العقول السليمة (من احب شيئا) من الاشياء
(احب كل شئ يحبه) محبوبه (وهذه سيرة السلف) اى دأبهم وطريقتهم فى محبتهم
كل ما كان يحبه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (حتى المباحات) اى كانوا
يحبون ما احبه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الامور المباحة (وشهوات
النفس) اى فيتبعونه صلى الله تعالى عليه وسلم فيما يتعلق بشهوة النفس والطبيعة
البشرية كمحبة الطيب وبغض الاطعمة والزوجات وغير ذلك واستشهد لذلك
بقوله (وقد قال انس رضى الله عنه انه رأى النبى صلى الله عليه وسلم يتتبع الدباء)
بضم الدال المهملة وتشديد الموحدة والمد والهمزة فى آخره للالحاق والواحدة دباءة
وهى نوع من المأكول معروف عند الناس بالقرع ومعنى تتبعها ان يأخذ قطع
القرع من اى محل وجدت فيه فان قلت اكل انسان مما يليه مستحب واكله من غيره
مكروه لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم كل مما يليك لمن رآه يجيل يده فى الطعام
الا فى الفواكه فانه لايكره فيها ذلك لعدم الاستكراه واليه الاشارة بقوله تعالى
وفاكهة مما يشتهون قلت قالوا انه اذا كان الاكل مما يتبرك به لايكره فى حقه
ذلك لاسيما النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل هو مخصوص باللون الواحد وهذا
كان معه قديد وقيل انه صنع له صلى الله تعالى عليه وسلم وحده فله ان يفعل فيه
مايريد لعلمه برضاء صاحبه وقيل هو مخصوص بمن لم يواكله اتباعه وخدمه واعلم
ان القرع معروف واما الدباء بالمد كما مر وجوز بعضهم قصره وانكره القرطبى فقيل
هو والقرع بمعنى واحد وقيل هو المستدير منه وقيل هو اليابس منه وقال ابن حجر انه
سهو من النووى وهو اليقطين وهمزته زائدة ولذا ذكره فى باب دبب وخطأ صاحب
القاموس الجوهرى فى ذكره فى المعتل فى مادة دبى فقال هو وهم وليست همزته
منقلبة عن واو ولا ياء اقول اخطأ من خطاه ومن تبعه هنا لان الزمخشرى ذكره
فى المعتل ايضا ووجهه ان الهمزة للالحاق كما ذكروه فهى فى حكم الاصلية كما حرروه
فى باب الالحاق (من حوالى القصعة) بفتح القاف انا معروف وحوالى مثنى حوال
بمعنى حول وجانب والتثنية لمجرد التعدد والتكرار كارجع البصر كرتين وهو
بفتح الحاء واللام ويجوز كسر لامه وياء تثنية ساكنة وفيه لغات مذكورة فى كتب
اللغة (فما زلت) هذا مقول انس فتاؤه مضمومة (احب الدباء) اى احب اكلها
تبركا بها (من يومئذ) اى من يوم اذ رآه يتتبعها ويحبها لحب رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم لها وهذا من علامات صدق محبته وهو شاهد لاتباعهم له فى
المباحات وما تشتهيه الانفس وهذا الحديث اخرجه الشيخان وكان الذى وعن

رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لذلك خياطا صنع لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم طعاما من الدباء ودعاه له فذهب معه انس وقال ابن حجر انه لم يقف على اسم هذا الخياط (وهذا الحسن بن على) بن ابى طالب وكان الظاهر ان يقول وانى الحسن وابن عباس الى آخره فعدل عنه لانه لشهرته كالمشاهد (وابن عباس وابن جعفر اتوسلمى) بفتح السين وهى زوجة ابى رافع ومولاة صفية عمته صلى الله عليه وسلم وقيل مولاته صلى الله عليه وسلم ودابة فاطمة الزهرا وهى التى غلستها لما ماتت وقابلة ابراهيم ابن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهى صحابية مشهورة وفى الصحابة سلمى غيرها خمس عشر امرأة (وسألوها ان تصنع لهم طعاما) اى تطبخه وتحضره لهم (مما كان يعجبه صلى الله عليه وسلم) وانما سألوها ذلك لانها كانت تخدمه صلى الله تعالى عليه وسلم وتعرف مأكوله ومشروبه والعجب عندهم حالة تعرض للانسان عند الجهل بسبب الشئ تكون كثيرا مع الاستحسان فيلزمها الميل والمحبة فاريد به لازمه وهو المحبة وفيه دليل على محبة ما يحبه صلى الله عليه وسلم وهو المراد وهذا رواه الترمذى فى الشمائل وابن جعفر هذا هو عبد الله بن جعفر بن ابى طالب الطيار ذوالجناحين الصحابى ابن الصحابى وتتمة الحديث مما كان يعجب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويحسن اكله فقالت انا لا تشتهيه اليوم فقالوا بل اصنعيه لنا فقامت وطبخت شيئا من شعير وجعلته فى قدر وصبت عليه شيئا من زيت وفلفل وتوابل وقربته اليهم (وكان ابن عمر) عبد الله الصحابى ابن الصحابى رضى الله تعالى عنهما فى حديث رواه الشيخان (يلبس النعال) جمع نعل وهو كل ما وقيت به الرجل وهى مؤنثة (السبتية) بكسر السين المهملة وسكون الموحدة وياء نسبة الى السبت وهو جلد دبغ وازيل شعره من سبته اذا قطعه لازالة شعره وكانوا فى الجاهلية لا يلبس النعال المدبوغة منهم الا اهل السعة والجاه وهى منسوبة لمحل يسمى سوق السبت كما قاله ابن قرقول وقيل انه يجوز فتح اوله ايضا ويقال انها نعال سود (ويصبغ بالصفرة) وهو كل ما يصفر الشعر وغيره كالحناء والكتم ويصبغ مثلث الموحدة وفيه تسمح لانه لا يصبغ بنفس الصفرة وانما هو مصبغ اصفر والمراد انه يصبغ ثيابه بشئ اصفر كالزعفران ونقل عن مالك جواز لبسه وما ورد من النهى عنه ليس نهيا تحريميا وانما نهى عنه المحرم فى الحج وعممه بعضهم ويدل على الجواز ما روى عن ابن جعفر انه قال رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعليه ثوبان مصبوغان بالزعفران كما رواه الحاكم والطبرانى وغيرهما وكذا احاديث كثيرة صحيحة تدل على جوازه ايضا وقوله (اذا رأى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يفعل نحو ذلك) تعليل لفعله ومحبته لما احبه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وذلك اشارة الى الصبغ اوله وللبس النعال وهو انسب باشارة البعيد وهذا استشهاد للاقتداء به صلى الله تعالى عليه وسلم فى المباحات بالنسبة اليه وان اختلف

فى الاقتداء به فى مثله هل هو مباح فى حق المقتدى به ام لا كذهابه فى العيد من طريق وعوده من اخرى ورجحوا الندب لمن نوى الاقتداء به صلى الله تعالى عليه وسلم وهو الظاهر (ومنها) اى من علامات محبته صلى الله عليه وسلم (بغض من ابغض الله ورسوله) بغض الرسول صلى الله عليه وسلم ظاهر من مثل ابى جهل وبغض الله تعالى اما ببغض رسوله او بكفره او بانكاره كالمعطلة والدهرية (ومعاداة من عاداه) اى من يتخذ الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم عدوا ولم يقل من عاداهما لان معاداة الله تعالى انما هى بمعاداة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم لان عداوته تعالى حقيقة لا تتصور (ومجانبة من خالف سنته) اى اجتناب من لم يتبع طريقته والبعد عنه (وابتدع فى دينه) اى اظهر البدع وخالف الشريعة وهو عطف تفسيرى لما قبله (واستثقال كل من يخالف شريعته) اى عده ثقيلا منفورا عنه غير مقبول واصل الثقل فى الاجسام ضد الخفة وفى نسخة كل امر ثم ذكر ما يتبينه من الكتاب العزيز فقال (قال الله تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر) اى لا يكون كذا حتى تجدهم فانه لا ينبغى ان يكون وهو مبالغة فى النهى (يوادون) اى يكون بينهم وبينهم مودة (من حاد الله ورسوله) اى يخالفونه ويعارضونه (وهؤلاء اصحابه رضى الله تعالى عنهم) اى مما علم من حال اصحابه حتى كانهم يشاهدون متلبسين به (قد قتلوا احباءهم) اى اصدقاءهم قبل الاسلام وقد وقع هذا لكثير من الصحابة وروى قلوا اى ابغضوهم وابعدوهم قال الله تعالى * ما ودعك ربك وما قلى * (وقاتلوا آباءهم وابناءهم) الذين بقوا على الكفر (فى مرضاته) فى تعليلية والمرضاة مصدر ميمى بمعنى الرضاء كابى عبيدة بن الجراح قتل اباه يبدر وعمر رضى الله تعالى عنه قتل خاله العاص ومصعب ابن عمير رضى الله تعالى عنه قتل اخاه ونحوه مما هو مذكور فى السير (وقال له) صلى الله تعالى عليه وسلم (عبد الله) رضى الله تعالى عنه (ابن عبد الله بن ابى) ابن سلول رأس المنافقين وابنه عبد الله هذا كان من الصحابة المخلصين محبة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (لو شئت) خطاب لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (لاتيتك برأسه يعنى اباه) عبد الله ابن سلول اى قتلته واتيت برأسه لك وكان ابن سلول رئيس اهل يثرب قبل الهجرة فلما هاجر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وظهر الاسلام بطلت رياسته فكان لحرصه على الدنيا يكره الاسلام ويظهر النفاق وهو الذى نزل فى حقه سورة المنافقين واما ابنه عبد الله فكان من خيار الصحابة الصادقين كما علم غير مرة فلما ظهر من ابيه ما ظهر قال يا رسول الله اسألك بالله الا ما اذنت لى فى قتل ابى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم بل ترفق به وتحسن اليه وهذا مما رواه البخارى (ومنها) اى من علامات محبته صلى الله تعالى عليه وسلم (ان يحب القرآن الذى

اتى به) للناس من عند ربه عز جل (وهدى به) الخلق كلهم لسعادة الدارين (واهتدى) هو اى وصل الى الله به (وتخلق) اى اتخذه خلقا له يعمل بكل ما فيه (حتى قالت عائشة) رضى الله تعالى عنها وقد سئلت عن خلقه صلى الله تعالى عليه وسلم (كان) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (خلقه القرأن) اى كان دأبه التمسك به والتأدب بآدابه والعمل بما فيه من مكارم الاخلاق فجعلت القرأن نفس خلقه مبالغة فى شدة تمسكه به وانه صار سجية له وطبيعة كأنه طبع عليها فتخلق بمعنى ظهر الخلق كتجمل بمعنى اظهر الجمال كما فى كامل المبرد رحمه الله تعالى وقد يكون التخلق للتكلف كما فى قوله

* يا ايها المتحلى غير شيمته * ان التخلق يأتى دونه الخلق *

وليس بمراد هنا (وحبه للقرأن تلاوته) اى كثرة تلاوته له على الوجه المرضى فيها عند اهل الاداء وليس المراد مطلق القراءة (والعمل به) اى بما فيه من الاحكام والمواعظ (وتفهمه) اى التقيد بفهم معانيه وجعل هذا عين الحب لتسببه عنه (و) من العلامات لمحبته صلى الله تعالى عليه وسلم ايضا ان (يحب سنته) اى طريقه وهديه بالاقتداء به قولا وفعلا ويجوز ان يريد بسنة احاديثه المروية بقرينة جعلها قرينة للقرأن وكثيرا ما تطلق عليه (ويقف عند حدودها) اى لا يتعداها ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون وحدود الله محارمه واحكامه من الحد وهو المنع والفصل ومنه حدود الدار واستعير الحد لما ذكر كالوقوف فيه ترشيح مليح (قال سهل بن عبد الله) التسترى وقد تقدم (علامة حب الله) اى امارته ودليله (حب القرأن) وقد تقدم بيانه (وعلامة حب الله وحب القرأن حب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) فان من احب الله تعالى احب حبيبه وكلامه (وعلامة حب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حب السنة) فان من احبه لا يخالفه ولا يعصيه (وعلامة حب السنة حب الآخرة) لان من احبه واتبعه احب لقائه ورغب فى الآخرة كامر (وعلامة حب الآخرة بغض الدنيا) والزهد فيها لانهما ضرتان لا يجتمعان فى قلب مؤمن وبغضهما لا يقتضى التبذير والاسراف كما توهم وانما هو كما قيل اللهم اجعلها فى ايدينا ولا تجعلها فى قلوبنا (وعلامة بغض الدنيا ان لا يدخر) ويقتنى (منها الازادا) اى مقدارا يتزود به ويتقوت ولا يجبى منها ما لا حاجة له به كما قيل

* يكفيك مما تبتغيه القوت * ما اكثر القوت لمن يموت *

(او بلغة) بضم فسكون اى ما يبلغه به الى الدار (الآخرة) كالمسافر يحمل من الزاد ما يبلغه لقصده ومنزله فانما الدنيا دار سفر لا دار مقر

* وانا فى الدنيا كركب سفينة * نظن وقوفا والزمان بنا يسرى *

(وعن ابن مسعود) فى حديث رواه البيهقى فى الادب وابن الضريس فى فضل القرأن وفى نسخة وقال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه (لا يسأل احد) من غيره (عن نفسه) اى عن احوال نفسه من محبتها ورسوله (الا القرأن فانه كان يحب القرأن فهو يحب الله ورسوله) فاذا اراد ان يعرف حاله ينظر فى ذلك فيستدل به حتى كأنه سأله واجابه ببيان حاله فاذا استلذ بتلاوته وسماعه علم حاله وكيف يشبع المحب من كلام محبوبه وهى غاية مطلوبه كما قيل

* ان كنت تزعم حبى * فلم هجرت كتابى * اما تأملت ما فيه * من لذيذ خطابى *

(ومن علامات محبته للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم شفقته على امته) بان يحبهم ويتلطف بهم ويرق قلبه عليهم (ونصحه لهم) ببيان ما يصلحهم من امورهم (وسعيه فى مصالحهم) بشفاعته ومعاونته وقضاء حوائجهم (ورفع عنهم) بدفع المظالم وازالة مضايقتهم (كما كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالمؤمنين) منا ومن غيرنا لا بغيرهم (رؤفا) شفوقا (رحيما) منعما متفضلا عليهم كما وصفه الله تعالى به فى كتابه العزيز فعلينا الاقتداء به والتخلق باخلاقه (ومن تمام محبته) اى كمالها واقصى مراتبها التى لا تتم الا بها (زهد مدعيها) اى المحبة (فى الدنيا) وامورها وزخرفها (وايثاره الفقر) اى اختياره وتقديمه على الغنا وسعة الدنيا (واتصافه به) اى جعله شعارا وصفة له تواضعا وزهدا (وقد قال عليه الصلوة والسلام لابى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه) تقدمت ترجمته (ان الفقر الى من يحبنى منكم) معاشر المسلمين او الصحابة (اسرع) اى يصل اليكم بسرعة اقوى (من سرعة (السيل) اذا انحدر ونزل (من اعلى الوادى) وهو الموضع الذى يسيل فيه الماء من ودى بمعنى سال ويسمى لفرجة بين جبلين واديا ويستعار للطريقة والمذهب كما قال الله تعالى * الم تر انهم فى كل واد يهيمون * (او من الجبل الى اسفله) والماء النازل من علو لسفل فى غاية السرعة فضرب به مثلا لسرعة افتقارهم والى متعلق باسم التفضيل وضمير اسفله لاحد الامرين من الوادى او الجبل وافرد لانه بعد ستين عطف باو هذا بعض من الحديث الذى بعده وقد رواه الترمذى وحسنه (وفى حديث عبد الله بن مغفل) بضم الميم وفتح الغين المعجمة وتشديد الفاء المفتوحة ولام وهو صحابى مزنى من اصحاب الشجرة اخرج له الستة وغيرهم وتوفى سنة ستين (قال رجل) من الصحابة ولم يسموه (للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم يا رسول الله انى احبك فقال انظر ما تقول) اى تفكر فيه وتأمل فان محبتى امر عظيم من اختارها صادقا مخلصا ينبغى ان لا يحب امرا من امور الدنيا وهو امر صعب (قال والله انى احبك) أكده بالقسم لما رأى من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم له المشعر بالتردد فيه وزاد ان كرره (ثلاث مرات) ليزيل الشبهة (قال) له صلى الله

تعالى عليه وسلم (ان كنت تحبني) حبا خالصا صادقا لا تؤثر عليه شيئا (فاعد) اى احضر وهيئ (للفقر تجفافا) بكسر المثناة الفوقية وسكون الجيم وفائين بينهما الف وتاؤه مزيدة من جف اذا يبس وهي شئ يوضع على الخيل ليقيها في الحرب الاذى كالدرع للانسان وقد يلبسه الناس وجمعه تجافيف اى اعدله عدة تقيك من اذى الفقر فان النفوس لا تتحمله يعني الصبر عليه ورياضة النفس في تحمله فشبه الفقر بجواد محصن بما يقيه لايصاله الى السعادة اوشبه صاحبه بجواد والفقر بالمحاربة لمجاهدة النفس به وفيه ايماء الى ان من احبه صلى الله تعالى عليه وسلم يبتلى بالفقر وكانه فقر اختياري يزهده في الدنيا وقد اختلف في الفقر والغنى وفي الفقير الصابر والغنى الشاكر ايهما افضل وظاهر هذا الحديث والكلام عليه مفصل في كتب المشايخ وغيرها وقدمنا منه ما فيه الكفاية وروى جلبابا بدل تجفافا (ثم ذكر) اى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعد هذا الكلام الذي قاله للرجل المذكور (نحو حديث ابي سعيد) الخدري اى ما يشبهه (بمعناه) يعني قوله في الحديث الذي سبق للفقر اسرع الى ما يحبني من السيل الى مقره ومنتهاه تشبيها له بالسيل واشارة الى تلاحق النوائب به سريعا حتى لا يخلص منها فليستعد لها

﴿ فصل في معنى المحبة للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وحقيقتها ﴾

اى المعنى الذي وضعها لها واضع اللغة وعين لفظه (اختلف الناس) المراد بهم علماء السلف والخلف وسبب اختلافهم ان المحبة التي تعارفها الناس كما ستبينه بحسب الظاهر لا تليق بالله ورسوله (في تفسير محبة الله ومحبة النبي) اى في بيان المراد بهما (وكثرة عباراتهم في ذلك) التفسير (وليست ترجع بالحقيقة) اى ليس مالها ان نظر الى نفس الامر المحقق في الواقع (الى اختلاف مقال) اى ليس اختلافا لفظيا والمعنى واحد (ولكنها اختلاف احوال) اى بسبب اختلافهم اختلاف حال المحب وحال المحبة قوة وضعفا فكل نظر الى حال من احوالها وفسرها بتفسير يناسبه فليس اختلافا حقيقيا ولا لفظيا فانما هو باعتبار المحبوب والمحب وحالاتهما حتى انكر بعضهم امكان محبة الله تعالى حقيقة كما في الاحياء وقال لا معنى لها الا المواظبة على طاعته وقال القشيري هي حالة للقلب تلطف عن العبارة تحمل على التعظيم وايثار رضاه واشتقاقها قيل من حب الاسنان وبياضها لصفاء مورده وقيل من الحباب الذي يعلو الماء اذا انصب وتحرك لفورانها في القلب وقيل من احب البعير اذا برك لثبات القلب عليها وهو اشتقاق بعيد وحقيقتها ميل النفس ميلا كليا لما يدعوه لمحبوبه من رايق جمال او فايق كمال او فائض احسان وافضال (فقال سفيان) يحتمل سفيان بن عيينة وسفيان الثوري قيل والظاهر انه الثوري لطول باعه في علوم القوم وعلو رتبته في العلم الظاهر ايضا فانه كان مجتهدا وصاحب مذهب مستقل في عزة (المحبة) يعني محبة الله تعالى بدليل

الآية التي استدل بها (اتباع الرسول) صلى الله تعالى عليه وسلم في اقواله وافعاله وكل ما جاء به عن الله لان من احب الله لا يعصيه فيما امر به وانما يعلم اوامره ونواهيه منه فهو تفسير لها بلازمها ولما كان في هذا خفا قال (كانه) اى سفيان (التفت) اى نظر في تفسيره هذا (الى قوله تعالى) واستنبط منه (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) فانه اقام اتباعه مقام محبته اذ لم يذكر محبتهم وذكر محبته وهي لا تكون الا لمن احبه والآية نزلت في اليهود لما قالوا نحن ابناء الله واحباؤه فارشدهم الى ما يحقق مدعاهم فان حقيقة المحبة ميل النفس الى شئ ادركته كما لا يحمله على ما يقربه اليه والكمال الحقيقي ليس الا لله وكل كمال في غيره فهو منه فحبه يقتضي طاعته والرغبة فيما يقربه اليه وليس ذلك الا بطاعته وطاعته لا تقبل الا باتباعه صلى الله تعالى عليه وسلم (وقال بعضهم) في معنى (محبة الرسول) صلى الله عليه وسلم انها (اعتقاد) لزوم (نصرته) بالمجاهدة لينصره ويعلي كلمته (والذب) بالمعجمة اى المنع والطرد (عن سنته) اى طريقته وشريعته برد ما يخالفها ودفع الشبهة الموردة عليها وتصحيح احاديثه وتفسيرها وبيانها (والانقياد لها) بان لا يخالفها ويعمل بها (وهيبة مخالفته) اى الخوف من مخالفته مع تعظيمه واجلاله وفي نسخة مخالفتها اى السنة وفي النسخة الاولى الضمير للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم (وقال بعضهم) في تفسير مطلق المحبة ويحتمل انه بيان لمحبة الله تعالى (دوام الذكر للمحبوب) لان من احب شيئا اكثر من ذكره كما مر (وقال اخر ايثار المحبوب) اى اختياره وتقديمه على ما سواه بان يكون احب اليه من نفسه واهله وماله كما تقدم (وقال بعضهم المحبة) معناها (الشوق الى المحبوب) بان يكون نفسه وقلبه دائما تدعوه الى قربه وتحثه على لقائه وقد تقدم الفرق بين الشوق والاشتياق وانه من الاصطلاحات لا من المعاني اللغوية (وقال بعضهم المحبة مواطأة القلب) بضم الميم وطاء مهملة تليها همزة ومعناها الموافقة واصله ان يطأ الرجل برجله موطأ صاحبه قال الله تعالى ليواطؤا عدة ما حرم الله اى موافقة القلب (لمراد الرب) بان لا يريد الا ما اراده فيترك ما يريده لما يريد الله ثم بينه بقوله (فيحب) مضارع احب (ما احب ويكره ما يكره) وفي نسخة ما يكره والاولى اولى (وقال آخر المحبة ميل القلب الى قبوله قوله) اى المحبوب والمراد كل ما يقوله وهذا كله من كلام اهل الطريقة وله امثال كثيرة كقول ذي النون قل لمن اظهر حب الله احذر ان تذل لغير الله بمقت (وقال آخر المحبة ميل القلب الى موافق له) اى موافق لما يرضاه ويريده محبوبه وهي اقوال متقاربة (واكثر العبارات المتقدمة) من اول الفصل الى هنا (اشارة الى ثمرات المحبة) انما قال اشارة لانهم لم يصرحوا بانها من ثمراتها واصل الثمرة نتاج الشجرة ثم قيل لكل نفع يصدر عن شئ ثمرة كثمرة العلم العمل فهو استعارة تصريحية او تخييلية ومكنية او مجاز مرسل (دون حقيقتها) اى لا حقيقتها ودون ترد لمعان هذا منها وانما قال اكثر لان منها ما هو سبب كاتباعه اولانه احتراز عن الاخير لانه

حقيقية لغوية وفيه نظر ثم بين حقيقتها بقوله (وحقيقة المحبة) الموضوعة لها مطلقا (الميل) معناه حقيقة العدول عن الوسط الى احد الجانبين ثم تجوز به عن ارادته والرغبة فيه (الى ما يوافق الانسان) اى طبيعته قيل هذا بعينه هو المعنى الاخير وفيه ان معنى قوله موافق له ثمة موافق لمحبوبه وهنا لنفسه فبينهما فرق نعم هو قريب منه و بين الموافقة بقوله (وتكون موافقته له) اى لنفس المحب (اما الاستلذاذه) اى عده لذيذا تشتهيه نفسه وتستحسنه (بادراكه) منه امرا محققا محبوبا كالطعم الحلو والمشروب العذب و (كحب الصور الجميلة والاصوات الحسنة والاطعمة والاشربة اللذيذة واشباهها) كالروايح الطيبة والملابس الفاخرة وهو اشارة الى المحسوس بالحواس الظاهرة (مما كل طبع سليم) من غلظ الطبع وفساد الحواس كالمريض يجد الحلو مر الفساد ذوقه فهذا لا يرد نقضا (مائل اليه لموافقته له) طبعا وفي نسخة موافقتها اى المذكورات (اولاستلذاذه) اى وجود لذته واللذة من الكيفيات النفسية وضدها الالم وتصور ذلك بديهى لانه من الوجدانيات وهى ادراك الملايم من حيث هو ملايم والالم ضده والمراد بالملايم للشئ كماله اللايق به كالتكيف بالحلاوة للذائق ونحوه من المحسوسات وكتعقل الاشياء على ما هى عليه بالقوة العاقلة وقيد بالحيثية لان الشئ قد يكون ملايما من وجه دون آخر والمراد بادراكه ادراكه بعد الوصول لا مجرد تخيله كما تقرر فى كتب الحكمة فاللذة تكون حسية وعقلية واليه اشار بقوله اولا بادراكه الى آخره وهو القسم الاول والثانى بينه بقوله (بادراكه) بعد الوصول اليه لا قبله (بحاسة عقله وقلبه) فيه تسمح على رأى الحكماء لان المدرك عندهم القوى الناطقة فى الدماغ لا العقل المدرك للكليات لكن لما كان اهل الشرع لم يثبتوها تسمح فيها (معانى باطنة) غير مدركة بالحواس الظاهرة (شريفة) اى نفيسة القدر دقيقة عالية القدر كانها فى شرف اى مكان عال وحاسة العقل قوته المدركة فالاضافة لامية او المراد حاسة هى العقل فالاضافة بيانية (كحب الصالحين والعلماء واهل المعروف) المراد بالمعروف كل ما يعرف بالشرع والعقل حسنه كالجود كما قاله الراغب (و) حب (المأثور) اى المنقول (عنهم السير) المراد بها الاحوال والصفات (الجميلة) الحسنة المحمودة شرعا وعقلا (والافعال الحسنة) كالكرم والعلم والزهد كالحسن البصرى (فان طبع الانسان مائل الى الشغف) اى المحبة الزائدة وهو بشين وغين معجمتين وفاء من شغفه الحب اذا وصل الى شغاف قلبه اى غلافه او باطنه او داخله وحبته وهذا انسب بالمراد وروى بعين مهملة فقيل هما بمعنى وقيل الثانى بمعنى الاحراق يقال شعفه الحب اذا احرقه وامرضه ومع ذلك يجد له لذة فان عذابه عذب لذيذ ويأتى بهذا مزيد بيان وقوله (بامثال هؤلاء) اى بهؤلاء وامثالهم انفسهم كمثلك لا يبخل وهو كناية عما تقرر فى كتب المعانى والاشارة للصالحين ومن بعدهم (حتى يبلغ)

الشغف بهؤلاء وفرط حبهم (التعصب) تفعل من العصبة وهى الجماعة المتعاضدة المتعاونة والمعنى اظهار الحمية والمبالغة فى الصيانة حتى تفارقوا من خالفهم فى محبتهم للحمية والغضب لمن احبه (والتشيع) تفعل من الشيعة فهو هنا بمعنى التعصب ايضا وضمنه معنى الانفصال لقوله (من امة) اى فارقوا امة خالفوهم وصاروا (فى آخرين) وفى نسخة اخرى والشيعة من المشايعة وهى المتابعة والشيعة الفرقة من الناس غلب على من والى عليا رضى الله تعالى عنه كما مر ويأتى (ما يؤدى) اى يوصل يقال اداه الى كذا اى اوصله وهو بهمزة ودال مشددة وهو مفعول يبلغ اى يصل والتعصب فاعله فان نصب على انه مفعوله وفاعله ضمير الشغف فهو بدل منه والثانى اقرب (الى الجلاء) بفتح الجيم واللام والمد الخروج (عن الاوطان) اى المساكن والبلاد والاهل (وهتك الحرم) بضم الحاء وفتح الراء المهملتين جمع حرمة والهتك بمثناة فوقية وكاف كشف الستر بازالته وتقطيعه والحرم جمع حرمة بضمتين وضم فسكون وفتح كهمزة وهو كل ما يصان ويمنع ولذا قيل للنساء حرم اى افتضاح نسائهم وذهاب عرضهم وكل ما يلزمهم صيانته (واخترام) بخاء معجمة ومثناة وراء مهملة (النفوس) اى الذوات او الارواح اى اهلاكهم بسرعة يقال اخترمته المنية كانها قطعت عمره وكل ما استأصل شيئا اخترمه وفى نسخة القلوب والاول احسن فترى المرء يحب هؤلاء وان لم يرهم فحبهم يحمله على ما ذكر ثم ذكر سببا ثالثا للمحبة فقال (او يكون حبه اياه) وميل نفسه وطبعه اليه (لموافقته له) اى لملايمته وموافقة طبعه (من جهة احسانه اليه) اى انعامه وبذله وجوده وفى نسخة له اى لاجل ذلك فقوله (وانعامه عليه) عطف تفسير (فقد جبلت النفوس) بالبناء للمفعول اى جعلت مطبوعة ومخلوقة (على حب من احسن اليها) كما جبلت على بغض من آساء اليها وقيل ان هذا من الفاظ النبوة ولم اره بعينه حديثا الا انه ورد بمعناه ففى الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال اللهم لا تجعل لفاجر على يدا فيحبه قلبى فاشار الى ان حب المحسن اضطرارى وفى الاحياء ان المحبة قد تكون لغير هذا من الالف الروحانية من غير سبب ظاهر وقال فيه ايضا فى ائتلاف القلوب امر غامض لا يطلع عليه فقد يحب المرء من غير حسن واحسان وسبب ظاهر بل لمناسبة روحانية وشبه الشئ منجذب اليه وفى الحديث الارواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف وقول المنجمين انه دائر على الطالع ومقابله لا اصل له وورد فى حديث رواه فى الفردوس لو ان مؤمنا دخل مجلسا فيه مائة منافق ومؤمن واحد لجاءه حتى جلس اليه ولو ان منافقا دخل مجلسا فيه مائة مؤمن ومنافق واحد لجاءه حتى جلس فيه فما ذكره هو الاغلب المعروف (فاذا تقرر) اى ثبت وتحقق (لك هذا) المذكور من اسباب المحبة نظرت لهذه الاسباب (كلها) اى عرفتها بنظر سديد وكلها تأكيد

للاسباب اومبتدأ خبره (في حقه) اى موجودة في حقه وشانه مقررة محققة (فعلمت انه عليه السلام جامع لهذه المعانى الثلثة الموجبة للمحبة) بمقتضى العقل والشرع والطبع السليم ثم بين ذلك بقوله (اما جمال الصورة) وهو السبب الاول وهو حب الصورة الحسنة والصورة الهيئة والمراد مايظهر للناظر كالوجه (والظاهر) عطف تفسير للصورة (وكمال الاخلاق) اى كونها في غاية الكمال فيه صلى الله عليه وسلم وهذا ليس من الحسن الظاهرى بل حسن باطنى كالصورة لان حسن الصورة يدل على حسن السيرة فقوله (والباطن) عطف تفسير له (فقد قررنا) اى بينا في هذا الكتاب سابقا (منها قبل) مبنى على الضم (فيما مر اول الكتاب مالايحتاج الى زيادة) فيه هنا (واما احسانه) صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا هو السبب الثانى (وانعامه على امته) يعنى امة الاجابة (فكذلك) اى مثل ماقبله في عدم احتياجه للبيان هنا لانه (قد مر منه) اشارة الى ان ماذكر بعض منه لايمكن استيفاؤه وعلى تفنن مادحيه ووصفه يفنى الزمان وفيه امالم يوصف (في اوصاف الله تعالى له) صلى الله تعالى عليه وسلم جمع وصف بمعنى صفة اوتوصيف ثم بينه بقوله (من رأفته بهم) اى شفقته ولطفه بهم كما مر (ورحمته لهم) اى انعامه صلى الله تعالى عليه وسلم عليهم وكرمه (وهدايته اياهم) اى من احسانه انه هداهم الى سعادة الدارين واى احسان اعظم من هذا (وشفقته) اى حنوه عليهم ومرحمته لهم (واستنقاذهم) اى تخليص الله هذه الامة (به) اى بسببه صلى الله تعالى عليه وسلم اذ بعثه اليهم (من النار) وعذاب جهنم اذ هداهم لطريق النجاة منها (وانه بالمؤمنين رؤف رحيم) كما في قوله تعالى بالمؤمنين رؤف رحيم كما مر مع تفسيره (و) انه (رحمة للعالمين) فهو مرفوع وضبط في بعض النسخ منصوبا اى كونه رحمة ويؤيد ذلك قوله (ومبشرا) بكل خير (ونذيرا) مخوفا لهم ليرتدعوا عما يضرهم (وداعيا الى الله) ودينه الحق (باذنه) في الدعوة او بارادته كما مر (وسراجا منيرا) منقذا لهم من ظلمة الجهالة والضلال (ويتلو عليهم آياته) المرشدة لهم فيقرأ عليهم مايوحى اليه من دلائل التوحيد والنبوة (ويزكيهم) يطهرهم من الشرك والمعاصى (ويعلمهم الكتاب) اى القرأن العظيم (والحكمة) ومايحكم لهم من المعارف والاحكام (ويهديهم الى صراط مستقيم) يدلهم على الطريق الموصل الى الله تعالى بلطفه وهذا مما وصفه الله به في كتابه العزيز (واى احسان) اى للتعظيم والتفخيم كما يقال عندى رجل اى رجل اى كامل الرجولية (اجل قدرا) وارفع رتبة (واعظم خطرا) بفتح الخاء المعجمة والطاء المهملة اى قدرا وشرفا فغاير بينهما تفننا (من احسانه) اى احسان هذا النبى الكريم على امته فكيف لايحسن (الى جميع المؤمنين) خصهم لانهم هم المنتفعون به والا فاحسانه عام (واى افضال) بمعنى احسان وتفضل (اعم منفعة واكثر فائدة على كافة المسلمين) اى جميعهم وقد قيل كما مر ان كافة تلزم التنكير والنصب على الحالية واستعمالها على خلاف ذلك خطا

وان وقع في عباراتهم كما في درة الغواص وقد اجبنا عنه في شرح تلك الدرة وبينا انه سمع خلافه (اذ) تعليلية اى لانه صلى الله تعالى عليه وسلم (كان ذريعتهم) اى وسيلتهم وسببه موصل لهم (الى الهداية) اى ما يخلصهم وينجيهم واصل الذريعة سترة يتخذها الصايد للفوز بالصيد والوصول اليه وهو صلى الله تعالى عليه وسلم سترة من النيران وجنة لمن طلب الجنان (ومنقذهم) مخلصهم (من العماية) بفتح العين وهى الغواية والجهالة (وداعيهم الى الفلاح) اى الفوز والظفر بسعادة الدارين (و) الى (الكرامة) اى الاكرام بنيل الخير (ووسيلتهم الى ربهم) اى يوصلهم ويقربهم اليه وجاعل لهم منزلة عنده (وشفيعهم) في الدنيا والآخرة (والمتكلم عنهم) عند الله ببيان اعذارهم وهم احوج مايكونون الى الكلام وقد خرست الالسن ولم يؤذن لاحد غيره صلى الله تعالى عليه وسلم ان يتكلم (والشاهد لهم) بانهم آمنوا وصدقوا يوم القيامة حين يشهدون للانبياء عليهم الصلوة والسلام انهم قد بلغوا قومهم فيزكيهم كما تقدم (والموجب لهم) اى الذى يحقق لهم (البقاء الدائم) بالخلود في الجنة وليس المراد الوجوب الشرعى لانه لايجب على الله شئ (والنعيم) في الجنة (السرمد) اى الدائم الذى لاينقطع ولولاه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكن شئ من ذلك (فقد استبان لك) بما ذكر اى ظهر واتضح (انه عليه الصلوة والسلام مستوجب) اى مستحق (للمحبة الحقيقية) لان اسبابها متوفرة فيه صلى الله تعالى عليه وسلم على اكمل وجه لايتيسر لغيره (شرعا بما قدمناه من صحيح الآثار) الموجبة له مزيد شرف وحسن ترف وانه المحسن والمتفضل بكل خير وانا مأمورون بمحبته واتباعه بامر من الله له (وعادة) معطوف على قوله شرعا اى مااعتاده الناس في كل عصر من محبة من حاز الكمال كله (وجبلة) لان كل خير واحسان وصل الينا فهو منه صلى الله تعالى عليه وسلم والنفوس مجبولة على حب من احسن اليها كما مر والجبلة بمعنى الطبيعة قال تعالى *واتقوا الذى خلقكم والجبلة الاولين اى المجبولين الاولين (مما ذكرنا) متعلق باستبان (آنفا) بالمد اى قريبا وهو منصوب على الظرفية من انف بمعنى تقدم ومنه الانف اسم الجارحة (لافاضته) اى اعطائه من بحر كرمه (الاحسان) بكل خير دنيوى واخروى (وعمومه الاجمال) اى تعميم الجميل منه لكل احد وهذا اجمال لما قدمه بذكر السابقة ثم وضحه بقوله (فاذا كان الانسان يحب من منحه) اى اعطاه والمنحة العطية (في دنياه) اى في حياته في الدنيا (مرة او مرتين معروفا) اى شيئا حسنا كما مر تفسيره (او استنقذه) ونجاه (من هلكة) بفتح الهاء واللام امر مهلك (او مضرة) امر يضره ويؤذيه بفتح الميم والضاد (مدة التأذى بها) اى بالمضرة (قليل منقطع) اى زائل في زمن قليل وذكره لان المدة بمعنى الزمان اولانه فعيل ومنقطع لمشاكلته ومدة مضافة

للتأذى اومنون منصوب والتأذى مبتدأ خبره قليل وعلى الاول المبتدأ مدة (فمن منحه مالايبيد) بمثناة تحتية مفتوحة و بموحدة مكسورة وتحتية ساكنة ودال مهملة اى يذهب وينفد (من النعيم) المخلد فى الجنة وهذه النسخة اولى مما وقع فى بعض النسخ من النعم جمع نعمة للسجع فى الاولى (ووقاه) بالتشديد والتخفيف اى صانه وحماه (مالايغنى من عذاب الجحيم) اى النار من جحم بمعنى توقد وقد يخص بطبقة منها وقوله (اولى مايحب) بالبناء للمفعول وفى نسخة اولى بالحب واولى افعل تفضيل بمعنى احق وهو خبر من اى احق من كل شئ يحب من نفسه وماله واهله (واذا كان يحب) مبنى للمجهول ايضا (بالطبع) متعلق باولى وخص هذا بالطبع لانه لبس محبوبا شرعا والعقل والعادة لاتخالفا بيحب (ملك) بكسر اللام نائب فاعل يحب (لحسن سيرته) بعدله فى رعيته (اوحاكم) غير ملك كامير (لمايؤثر) اى ينقل عنه وهو مجهول ايضا (من قوام طريقته) اى حسن سلوكه وقوام بكسر القاف وهو العماد والنظام ويجوز فتحها بمعنى الاعتدال قال تعالى * وكان بين ذلك قواما * اى معتدلا (اوقاض) بضاد معجمة اى حاكم الشرع اذا سمع بعدله وهو (بعيد الدار) عنه ويروى بصاد مهملة فبعيد تفسير له (لمايشاد) مبنى للمجهول اى لاجل مايشيع ويشتهر من ذكره بين الناس وهو مستعار من شاد البناء بشين معجمة ودال مهملة اذا رفعه ومنه قصر مشيد وغلط من قال انه بذال معجمة من شاذت علت وفى نسخة لمافشا بالفاء والشين المعجمة اى ظهر وانتشر (من علمه اوكرم شيمته) اى سجيته وخلقه وهذا مناسب لاهمال قاض واذا كان يحب من فيه بعض هذه الخصال (فمن جمع هذه الخصال) كلها وحواها وكل منها فيه مستقر (على غاية مراتب الكمال) بحيث لايشبه صفاته صفات غيره كما قال الابوصيرى

انما مثلوا صفاتك للناس * كما مثل النجوم الماء

(احق بالحب) مما عداه (واولى بالميل اليه) واعلم انه انما ذكر من قوله فقد استبان لك الى آخره لدفع شبهة لمن لابصيرة له وهى ان هذه الامور انما تحقق فيه صلى الله تعالى عليه وسلم عند من رآه وشاهده منه لانها المؤثرة فى الطباع بان وصول نفعه وخيره لمن بعده معلوم لكل مؤمن بالغيب وكما لانه صلى الله تعالى عليه وسلم لتواترها وبقاء آثارها كالمحسوس المشاهد (وقد قال على رضى الله عنه) فى حديث الحلية السابق ذكره (من رآه) صلى الله تعالى عليه وسلم (بديهة) اى ابصره فى اول رؤيته (هابه) توقيرا واجلالا لمايرى من نور نبوته (ومن خالطه) اى صاحبه صلى الله تعالى عليه وسلم وعاشره (معرفة احبه) اى بعد ماعرف فضائله وفواضله وشاهد شمائله لابد ان يحبه (وذكرنا فى فضل ثواب محبته (عن بعض الصحابة) وهو ثوبان كما تقدم (انه كان لايصرف بصره عنه محبة فيه) صلى الله تعالى عليه وسلم وشرف وكرم

﴿فصل فى وجوب مناصحته﴾ النصح معناه الخلوص لغة ثم قيل لارادة الخير بقلبه

ولسانه وانما قاله بصيغة الفاعلة لان نصح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم امر مقدر لكل احد فاذا نصحه احد من امته تحققت المناصحة من الجانبين وآخر هذا الفصل عن المحبة لانها تترتب عليها واعلم انه يأتى ان اصل معنى النصح تصفية العسل وخياطة الثوب ثم استعمل فى ضد الغش والاخلاص اى التوبة النصوح (قال تعالى ولاعلى الذين لايجدون ماينفقون حرج) اى اثم وضيق اذا تخلفوا عن الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لفقرهم المانع لهم (اذا نصحوا لله ورسوله الى آخره اى اذا اخلصوا الايمان بهما والطاعة لهم ظاهرا و باطنا مااستطاعوا واخلصوا لهما من فعل وقول يعود على المسلمين بالصلاح وفى الصحيحين عن جابر رضى الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزاة فقال ان بالمدينة ناس ماسرتم مسيرا ولاقطعتم واديا الاكانوا معكم حبسهم المرض شركوكم فى الاجر ففى الآية دليل على وجوب النصح لله ورسوله كما اشرنا اليه (ماعلى المحسنين من سبيل) اى ليس عليهم جناح ولاالى معاتبتهم سبيل ووضع الظاهر موضع الضمير للدلالة على انهم منخرطون فى سلك المحسنين غير معاتبين فى ذلك (والله غفور رحيم) لهم اوللمسئ فكيف المحسن (قال اهل التفسير) فى بيان معنى الاية اجمالا (اذا نصحوا لله ورسوله) معناه (اذا كانوا مخلصين) فى اقوالهم وافعالهم (مسلمين) منقادين مطيعين حال لازمة (فى السر) اى فيما فى باطنهم مما اسروه (والعلانية) ظاهر حالهم المطابق لمافى ضمائرهم والعلن والعلانية بتخفيف الياء مصدر الجهر والاظهار فالنصح هنا بمعنى الاخلاص والصدق ثم اتبع ما استشهد به من الكتاب العزيز بحديث رواه ابوداود كما رواه مسلم فقال (حدثنا ابو الوليد) شيخ المصنف رحمه الله تعالى (بقراءتى عليه قال حدثنا حسين بن محمد) هو ابو على الغسانى وقد تقدمت ترجمته (قال حدثنا يوسف بن عبد الله) هو حافظ الاسلام بن عبد البر وقد تقدم (قال حدثنا ابو محمد ابن عبد المؤمن) تقدم ايضا (قال حدثنا ابو بكر بن التمار قال حدثنا ابوداود) صاحب السنن (قال حدثنا احمد بن يونس) ابو عبد الله احمد بن عبد الله ابن يونس اليربوعى الكوفى الحافظ الثقة المتقن المتفنن روى عنه الستة توفى سنة سبع وعشرين ومائتين (قال حدثنا زهير) بن محمد المروزى نزل الشام الثقة توفى سنة اثنين وستين ومائة اخرج له الستة وترجمته فى الميزان (قال حدثنا سهيل بن ابى صالح) تقدمت ترجمته (عن عطاء بن يزيد) الليثى الثقة التابعى توفى سنة سبع اوخمس ومائة واخرج له الستة (عن تميم الدارى) وهو تميم بن اوس بن خارجة اللخمى المكنى بابى رقية وهى ابنة له لم يولد له غيرها والدارى نسبة لجده الدار بن هانى اولدارين اسم مكان ويقال الديرى لدير كان يتعبد فيه وقيل انه اسم قبيلة وهو بعيد كما فى المطالع وكان نصرانيا اسلم سنة تسع بالمثناة من الهجرة وتوفى سنة اربعين وروى عنه فى السنن ومسند احمد وقصته فى الجساسة مشهورة (قال)

تميم (قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة
ان الدين النصيحة) كررها ثلاثا لزيادة الحث والتحريض ولذا عدل المصنف
رحمه الله تعالى عن رواية مسلم مع ان كتابه اصح الكتب عند علماء المغرب وماقيل انها
مكررة فى هامش نسخة مسلم فلاوجه للعدول عنه امر سهل وسؤال ساقط والدين
ملة الاسلام والنصيحة تقدم بيانها وفى رواية انما الدين النصيحة وهما بمعنى لافادة
تعريف الطرفين الحصر (قالوا) اى الصحابة الحاضرون عنده (لمن يارسول الله
قال لله ولكتابه) بالعمل بما فيه وتعظيمه وحفظه (ولرسوله) بالايمان به واتباعه
وطاعته (ولائمة المسلمين) الخلفاء والسلاطين والحكام (وعامتهم) ان اريد العوام
فظاهر وان اريد جميعهم فهو من عطف العام على الخاص وسيأتى بيانه (قال ائمتنا)
المراد بهم علماء الاسلام او ائمة مذهبه (النصيحة لله ولرسوله وائمة المسلمين وعامتهم
واجبة) اى فرض عين على كل مكلف ونقل النووى انها فرض كفاية فان خشى
اذى فهو فى سعة من الترك (قال الامام ابو سليمان البستى) بضم الموحدة وسين
مهملة ومثناة فوقية وياء نسبة بلدة بسجستان وهو ابو سليمان بن محمد بن ابراهيم
ابن خطاب المعروف بالخطابى الامام المشهور واختلف فى اسمه فقيل احمد وقيل
حمد توفى ببست فى ربيع الاول سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة (النصيحة كلمة يعبر بها عن
جملة) بالتنوين فقوله (ارادة الخير) بدل منه او مرفوع او منصوب على هذا
ولامانع من الاضافة للمنصوح له (وليس يمكن ان يعبر عنها) اى عن الجملة (بكلمة
واحدة تحصرها) اى تجمع جميع معانيها قيل تقديره غيرها اى غير هذه الكلمة وهى
النصيحة ومادتها كالنصح والنصاحة وفى كلامه تسمح فان مجرد ارادة الخير
لا يسمى نصحا فالظاهر ان يقول ارشاد المنصوح للخير وايضا فى تركيبه شئ لان اسم
ليس الظاهر انه ان يعبر وجملة يمكن خبرها فيتعين تأخيرها لما فيه من اللبس بالفاعل
ومراده ان هذه من اوجز الاسماء واخصرها لدلالتها على معان بمفردها ولذا
قيل فى كلمة لفظ الفلاح انه ليس فى كلام العرب كله اجمع لخيرى الدنيا والاخرة منها
ثم اشار الى اصل معناها لغة بعد ما بين حاصل معناها فى عرف اللغة والشرع بقوله
(ومعناها فى اللغة) اى فى عرف اهل اللغة (الاخلاص) اى لنفسه وغيره (من قولهم
نصحت العسل) اذا خلصته وصفيته (من شمعه) بسكون الميم وفتحها مضاف
لضمير العسل فهى فعيلة بمعنى فاعلة او مفعولة لانها خلصت من الغش كما خلص
العسل من شمعه (وقال ابو بكر بن ابى اسحق الخفاف) وهو امام من ائمة اللغة ترجمته
مذكورة فى التاريخ وفى نسخة ابن اسحق وهو ابو بكر احمد بن عمر بن يوسف
الشافعى وهو صاحب كتاب الخصال فى مذهب الشافعية كما قاله الرافعى (النصح
فعل الشئ الذى به الصلاح) لنفسه وغيره واراد بالفعل ما يشمل القول (والملاءمة)

بضم الميم ومد الهمزة من لامت بينهم اذا وفقت وتلاموا والتاموا بمعنى وقد تبدل همزته
ياء (مأخوذة) اى مشتقة اشتقاقا وكثيرا ما يعبر عنه بالاخذ ويقولون دائرة الاخذ اوسع
من دائرة الاشتقاق (من النصاح) بكسر النون وتخفيف الصاد (وهو الخيط الذى
يخاط به الثوب) فتلتئم اجزاؤه فالنصيحة على هذا مأخوذة من نصح الثوب اذا
خاطه ولاحاجة لنقله من الخفاف فانه فى اكثر كتب اللغة (وقال ابو اسحق الزجاج)
امام العربية والتفسير تلميذ المبرد وشيخ ابو على الفارسى وهو ابراهيم بن سهل الزجاج
منسوب لعمل الزجاج لانه كان حرفته توفى فى جمادى الآخرة من سنة احدى عشرة
وثلثمائة وقد ناف على الثمانين (نحوه) اى قريب مما قاله الخطابى معنى ثم فرع على ما
بينه من معناه لغة وعرفا بيان اقسامه فقال (فنصيحة الله) معناها والمراد بها
(صحة الاعتقاد) اى اخلاص الايمان به ولذا عداه باللام فى قوله (له) وذلك
بتخصيصه (بالوحدانية) اى بانه واحد احد لاشريك له فى الالوهية ولايشاركه
احد فى ذاته وصفاته وهو مصدر بمعنى الانفراد وزيد فيه الالف والنون على
خلاف القياس قال الكرمانى (ووصفه بما هو اهله) اى بما يستحقه ويليق به كما
يقال هو اهل للحمد وهو اهله ومحله وهو مجاز مأثور مشهور (وتنزيهه
عما لا يجوز عليه) فى كل ما يوهم نقصا (والرغبة فى محابه) بفتح الميم جمع محب اسم
مفعول احب بمعنى محبوب اى يرغب فى كل ما يحبه ويرضاه (والبعد عن مساخطه)
بفتح الميم جمع مسخط اسم مفعول اى كل ما يسخط الله ويورث غضبه من المعاصى
وقيل هما جمع مسخوط ومحبوب والاصل محاييب ومساخيط (والاخلاص فى عبادته)
فيعبده امتثالا لامره من غير رياء ولا ارادة امر آخر ولا تضره العبادة رجاء جنته
وخوف ناره وان قال الرازى انه الاخلاص نعم هو مرتبة الخواص وقد فصلناه
فى محل آخر فالنصيحة لله حقيقة راجعة الى العبد نفسه لانه تعالى ليس له ناصح
ولا يتصور فى حقه فلذا حملت على هذا (والنصيحة لكتابه) معناها (الايمان به) اى
بانه كلام الله المنزل على رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم فيصدق بذلك تصديقا
لاريب فيه (والعمل بما فيه) باتباع اوامره ونواهيه وتسليم متشابهه والايمان به
(وتحسين تلاوته) بالتجويد والترتيل بان يخرج حروفه من حاق مخرجها من غير تكلف
وتشدق فيه ويدخل فيه تحسين الصوت به من غير تغن وزيادة مد وقد قال القراء ان
تجويده واجب واختلف هل هو واجب شرعا وصناعة فذهب الى كل من القولين
قوم من الفقهاء والحق انه واجب شرعا للقادر عليه من غير مشقة لبعض العجم العجم
(والتخشع عنده) اى عند تلاوته وسماعه فينبغى له ان يظهر الخشوع وان لم يكن
خاشعا كبعض العوام كما قيل * ان لم تكن باكيا فكن متباكى * وضمير عنده للكتاب
وقيل انه لتحسين التلاوة والاول اولى وافيد وفى التخشع ما يفيد انه لا ينبغى الصياح

واظهار الوجد مالم يكن عن حال سلب اختياره (والتعظيم له) بان يقرأه محدثا وان لايمد رجليه حال تلاوته ولايجلس لهما فى محل قذر ولذا كرهت القراءة فى الحمام وعلى الطرقات والاسواق (وتفهمه) اى تدبر معانيه والفكر فيها بدقة نظر (والتفقه فيه) اى فهم معانيه او النظر فى احكامه الفقهية من حلاله وحرامه والاتعاظ بمواعظه ونصائحه وامثاله (والذب عنه) بمعجمة وموحدة اى زجر من طعن فيه من الملحدين (من تأويل الغالين وطعن الملحدين) فى تأويله بما لايليق به من الغلو وهو تجاوز الحد وتاليه ومستمعه اداب كثيرة بينها النووى فى كتاب التبيان فى آداب حملة القرآن فعليك به (والنصيحة لرسوله) صلى الله تعالى عليه وسلم (التصديق بنبوته) ورسالته الى الناس كافة والى غير ذلك من الملائكة والجن (وبذل الطاعة فيما امر به ونهى عنه) لان طاعته واجبة وهى طاعة لله كما مر (كما قاله ابو سليمان) هو الخطابى الذى تقدم بيانه (وقال ابو بكر) هو ابن ابى اسحق الخفاف الذى مر ذكره وهو الظاهر الذى ذكره الثقات وقيل هو الحافظ الاجرى الاتى قريبا (وموازرته) بواو مفتوحة اوهمزة من الازر وهو القوة او من الوزر وهو الملجأ اى معاضدته ومعاونته وهو معطوف على مقدر او على ماقبله عطف تفسير (ونصرته) اى اعانته على اعدائه اونصرة دينه واعلاء كلمته (وحمايته) اى دفع السوء عنه (حيا) بالمجاهدة معه وخدمته (وميتا) بتقوية دينه وتأييد شريعته وهو راجع لكل ماقبله (واحياء سنته) اى هديه وطريقته وفيه استعارة تصريحية (بالطلب لها بان يسأل عنها ويجتهد فى معرفتها (والذب عنها) اى دفع الشبه عنها والتأويلات الفارغة (ونشرها) اى اظهارها واشاعتها وتعليمها من انتشر الحديث اذاشاع (والتخلق باخلاقه) اى الاتصاف بمثل صفاته المأثورة عنه وان لم يكن مساواته ان التشبه بالكرام فلاح (الكريمة) اى المكرمة الممجدة (وادابه الجميلة) التى فيها جمال ومدح لمن اتصف بها (وقال ابو ابراهيم اسحق التجيبى تقدم بيانه وانه بفتح التاء وضمها وانه المعروف بالوراق (نصيحة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) معناها (التصديق بما جاء به) اى الايمان بكل ماجاء به عن الله (والاعتصام بسنته) اى التمسك بها (ونشرها والحض عليها) اى حث الناس وتحريضهم على اتباعها (والدعوة الى الله) اى الى الايمان به وتوحيده (والى كتابه) القرآن بالايمان به والعمل بما فيه (والى رسوله) بالايمان به واتباعه (واليها) اى الدعوة الى سنته (والى العمل بها) كما مر (وقال احمد بن محمد) هو الامام المشهور احمد بن حنبل نفعنا الله ببركاته وهذا ماوعدناك به من نسبته الى ابيه محمد (من مفروضات القلوب) اى مما فرض ووجب اعتقاده وجزم القلوب به (اعتقاد) وجوب (النصيحة لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) بالمعنى المتقدم (وقال ابو بكر الاجرى) الحافظ

وقد تقدم بيانه (وغيره) من الائمة (النصح له) صلى الله تعالى عليه وسلم (يقتضى نصحين) اى ينقسم الى قسمين (نصحا فى حياته ونصحا بعد مماته ففى حياته) اى النصح له وهو حى (نصح اصحابه) اى هو نصح اصحابه او كنصح اصحابه (له بالنصر له على اعدائه (والمحاماة عنه) بدفع السوء عنه وعن من يريده (ومعاداة من عاداه) ببغضه وتنقيصه وعدم موالاته (والسمع) اى امتثال مايقوله وقبوله كما فى قوله سمع الله لمن حمده فانه فسر بقبله (والطاعة له) اى الانقياد التام (وبذل النفوس) اى الذوات والارواح (والاموال دونه) اى صرفها والجود بها فى حمايته صلى الله تعالى عليه وسلم وتقديمها دون مايضره (كما قال الله تعالى من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه الآية) اى عاهدوا الله على بذل ارواحهم واموالهم فى سبيل الله ونصرة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم فوفوا بعهدهم وهذه الآية كما فى الصحيحين نزلت فى انس بن النضر وكان شق عليه انه لم يحضر بدرا وقال اول مشهد من مشاهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم غبت عنه لئن ارانى الله تعالى مشهدا بعده ليرى الله مااصنع فلما كان من العام المقبل وقعة احد استقبله سعد بن مالك فقال له يا ابا محمد الى اين قال واهالريح الجنة اجدها دون احد فقاتل حتى قتل رضى الله تعالى عنه ووجد فيه بضعا وثمانين مابين طعنة وضربة (وقال الله تعالى وينصرون الله ورسوله الاية) اولئك هم الصادقون وهذه الآية نزلت فى المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم ابتغاء رضوان الله (واما نصيحة المسلمين له صلى الله تعالى عليه وسلم بعد وفاته فالتزام التوقير) اى الادب والتعظيم (والاجلال) لقدره برفع ذكره وتعظيمه (وشدة المحبة له) بكونه احب عنده من نفسه واهله وماله (والمثابرة) بمثلثة وموحدة وراء مهملة اى المداومة والمحافظة (على تعلم سنته) وفى نسخة تعليم وسنته طريقته وهديه او حديثه (والتفقه فى شريعته) بفهم معانيها والعلم باحكامها (ومحبة آل بيته) وهم اقرباؤه الذين لاتحل لهم الزكاة وقد تقدم بيانهم (واصحابه) وهم كل من اجتمع به صلى الله عليه وسلم مؤمنا ومات على ذلك (ومجانبة من رغب عن سنته) اى البعد عن كل من تركها وعدم الركون اليه (وانحرف عنها) اى مال عنها ورغب فى غيرها (وبغضه) اى اظهار عداوته (والتحذير منه) من لايعرفه بان يعرفهم حاله وينهاهم عن استماع كلامه (والشفقة على امته) اى اللطف بهم والاحسان اليهم لاجله صلى الله تعالى عليه وسلم لا لامر آخر (والبحث) اى التفتيش (عن تعرف احواله) صلى الله تعالى عليه وسلم اى احواله المعروفة وفى نسخة اخلاقه (وسيرته) قال المرزوقى معناها حالة من احوال السير ثم اجرى مجرى الشيم والمعادات انتهى (وادابه) لتقتدى بها (والصبر على ذلك) اى حبس النفس عليها بحيث تصير طبيعة له (فعلى ماذكره) اى الخفاف

أو الاجرى (تكون النصيحة احدى ثمرات المحبة) لان كل ما ذكره متفرع عليها
كما يعرفه من له تأمل (وعلامة من علاماتها كما قدمناه) فى فصل العلامات ولذا
قدم المصنف رحمه الله تعالى امر المحبة على النصيحة كما مر (وحكى الامام ابو القاسم
القشيرى) عبد الملك بن هوازن بن عبد الملك النيسابورى صاحب الرسالة وشيخ
الطريقة فريد دهره علما وعملا وعمدة اهل السنة وفقهاء الشافعيــة الجامع بين
الشريعة والحقيقة وترجمته مشهورة وتقدم طرف منها توفى سنة خمس وستين
واربعمائة وعمره تسع وثمانون سنة (ان عمرو بن الليث احد ملوك خراسان) اقليم
معروف وعمرو هذا اخو يعقوب الصفار وكان يعقوب هذا كما قال المسعودى
فى خلافة المعتضد بالله احد الخلفــاء العباسيين فى صغره صفارا فتغلب وصارله
جيوش عظيمة فتسلطن ثم توفى سنة خمس وستين ومائتين وخلف اموالا كثيرة خلفه
عليها اخوه عمرو المذكور (ومشاهير) جمع مشهور (الثوار) بضم المثلثة وتشديد
الواو والف تليها راء مهملة جمع ثائر من ثار يثور اذا هاج ووثب بقوة والمراد بهم
المتغلبون على الملك فانه كان كذلك لشجاعته وكثرة جنده (المعروف بالصفــار)
منسوب لعمل الصفر وهو نوع من النحاس تعمل منه الاوانى وقد مر وجه التسمية
به (رئى) مبنى للمجهول من الرؤيا وهو مهموز اى رآه بعضهم (فى المنام) وفى نسخة
فى النوم (فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لى) ذنوبى ومحى سيئاتى (فقيل بماذا) اى
باى سبب هذا الذى نلته (فقال صعدت) بكسر العين فى الماضى وفتحها فى المستقبل
اى ارتقيت وعلوت (ذروة) بكسر الذال المعجمة وضمهــا وهى اعلى كل مرتفع من
(جبل) ونحوه (يوما فاشرفت على جنودى) اى رأيتهم فى مكان عال واطلعت
عليهم (فاعجبنى كثرتهم) اى حسنت عندى فسرتنى (فتمنيت انى حضرت
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى كنت فى عصره فشهدت غزواته وحروبه
بجندى (فاعنته ونصرته) على اعدائه بمقاتلتى انا وجندى معه (فشكر الله لى ذلك)
القول والتمنى كما قال ورقة * ياليتنى فيها جذع احب فيها واضع * ومعنى شكر الله ثوابه
وانعامه (وغفر لى) بسبب قولى هذا وقال ابن فرقول شكر الله ثناؤه عليه عنــد
ملائكته وقيل هو مضاعفة ثوابه (واما النصح لائمة المسلمين) جمع امام وهو الخليفة
والسلطان المقتدى به والمراد الحكام مطلقــا هنا (ف) معناه (طاعتهم فى الحق)
الموافق للشرع اذ لا طاعة لمخلوق فى معصية الله كما ورد فى الحديث ولقوله تعــالى
اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم (ومعونتهم فيه) اى فى الحق لا فى الباطل
فالمعونة والاعانة بمعنى (وامرهم به) اى باتباعه (وتذكيرهم اياه) بان يذكره لهم
ويعظهم ويحثهم على اتباعه (على احسن وجه) برفق وتلطيف القول وتحسينه فانه
ادعى للامتثال (وتنبيههم على ما غفلوا عنه) لعدم العلم به لخفائه او لعدم الوقوف عليه

(وكتم عنهم) بان خفى عليهم فلم يبلغهم خبره (من امور المسلمــين) فيمضوه عليهم
(وترك الخروج عليهم) بمخالفتهم وعصيان امرائهم وهو معطوف على طاعتهم
(وتضريب الناس) بمثناة فوقية مفتوحة وسكون الضاد المعجمة وكسر الراء المهملة
ومثناة ساكنة وموحدة تحتيتين مجرور اى ترك تضريبهم وهو اغراؤهم وتحريكهم
عليهم يقال ضرى به اذا اغراه (وافساد قلوبهم) اى ترك افساد قلوب الناس عليهم
بذمهم وتشهير مساويهم حتى تنفر عنهم القلوب فتؤدى الى التجرى عليهم ومخالفتهم
فتجر الى مفاسد عظيمة (و) اما (النصح لعامة المسلمين) المراد بالعامة هنا من عدا
الحكام لا العوام بالمعنى العرفى فمعنــاه (ارشادهم الى مصالحهم) اى دلالتهم على ما
يوصلهم الى ما فيه صلاح امورهم (ومعونتهم) اى اعانتهم فى امر دينهم ودنيــاهم
(بالقول والفعــل وتنبيه غافلهم) لما غفل عنه من مصالحه (وتبصير جاهلهم) اى
تعريفه بما جهله ليكون ذا بصيرة فى اموره (ورفد محتاجهم) بفتح الراء المهملة اى
اعانته ويجوز كسرها فان الرفد بمعنى العطــاء والصلة وكل شئ عمدته وجعلت له
عونا فقد رفدته ومنه الرفادة التى كانت لقريش فى الجاهلية (وستر عوراتهم) اى
يستر عليهم بعض معاصيهم اذ رآها فلا يذكرها حتى يفتضح مرتكبها فاذا ارشده
لتركه ذكره خفية فان النصيحة بين الملاء تقريع (ودفع المضار عنهم) اى ما يضرهم
فى دينهم ودنياهم (وجلب المنــافع لهم) اى كل ما ينفعهم دينا ودنيــا

﴿الباب الثالث فى تعظيم امره﴾ اى شانه وقدره والامور المتعلقة به

(ووجوب توقيره) اى تبجيله وترجيح ما يتعلق به (وبره) وصلته بالدعاء له والصلاة
عليه وزيادة مقامه وبر اهل بيته (قال الله تعالى يا ايها النبى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا
ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه) هكذا فى اكثر النسخ وليس موافقا للتلاوة
لان آية الاحزاب المصدرة بيا ايها النبى ليس فيها لتؤمنوا الى آخر والتى فى الفتح انا
ارسلناك دون يا ايها النبى فقيل كانه بدأ بآية الاحزاب وثنى بآية الفتح فسقط الفاصل
بينهما سهوا او بيض له فوصله الناسخ وفى بعض النسخ انا ارسلناك فقط وشاهدا
وما بعده احوال مقدرة كجاء معه صقر صائدا به غدا واستشهــاده بالآية بناء على
ما ذهب اليه الضحاك من ان الضمائر كلها له صلى الله تعالى عليه وسلم وشهادته لهم
يوم القيمة بما عملوه من طاعة وغيرها وعلى هذا فالوقف على قوله وتوقروه كما اشار اليه
المصنف رحمه الله تعالى وهو وقف كاف وقال القرطبى انه تام وفيه نظر فقوله تعالى
* وتسبحوه * ابتداء كلام فان ضميره لله (وقال) عز وجل (يا ايها الذين آمنوا لا تقدموا
بين يدى الله ورسوله) تقدموا بضم اوله مضارع قدم بمعنى تقدم فتوافق القراءة
الاخرى بفتحها او هو مضارع قدمه المتعدى حذف مفعوله لتذهب النفس كل
مذهب او لتنزيله منزلة اللازم والمراد نفى التقديم رأسا وعلى كل حال فالشاهد فيها ظاهر
فلا يتوهم انه لا شاهد فيها على القراءة المشهورة (و) قال (يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا

اصواتكم فوق صوت النبي) اى لاتجعلوا اصواتكم فى خطابكم جهرا فوق جهره صلى
الله عليه وسلم بالقول واخفضوها تأدبا وتكريما له فانه لعظم مقامه لا يليق عنده
والصخب والعياط على عادة جفاة الاعراب فى ترك الادب (لآيات الثلاث)
وهى ولاتجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون
ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى
لهم مغفرة واجر عظيم واضافة ذى الالف واللام لمثله جائزة فى الثلاث ونحوه كما
تقرر لمن عنده علم بالعربية والشاهد فيها انه امرهم اذا خاطبوه صلى الله تعالى عليه وسلم
ان لايجهروا ويخفضوا اصواتهم تأدبا معه لما فى الجهر من الاستحقاق المؤدى الى
الكفر المحبط للاعمال لما فيه من الاهانة وعدم الاعتناء بمقام النبوة ثم اثنى على من
غض صوته عنده بان الله تعالى بعد امتحانه وعد بان له مغفرة واجرا عظيما لارتضائه له
وفيه تعريض بشناعة الجهر وانه لايغفر وان من ناداه صلى الله تعالى عليه وسلم
وهو فى حجراته مع ازواجه مسلوب العقل لعدم اذنه وارشدهم الى الاولى بهم وهو
الصبر حتى يخرج اليهم من نفسه من غير نداء له فيكون هو المفتتح بكلامهم والكلام
على الآية مفصل فى كتب التفاسير (وقال الله تعالى لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم
كدعاء بعضكم بعضا) بان تنادونه باسمه يامحمد ونحوه كما سيأتى فلا تقيسوه بغيره
(فاوجب الله تعالى) على المؤمنين (تعزيره) بزاى معجمة وراء مهملة اى اجلاله
(وتوقيره) اى التأدب معه (والزام اكرامه وتعظيمه قال ابن عباس) معنى
(تعزروه تجلوه) الاجلال افعال من الجلال وهو التناهى فى عظم القدر ولذا خص
بالله تعالى فقيل ذوالجلال والاكرام كما قاله الراغب (قال المبرد) شيخ التفسير
والعربية (تعزروه تبالغوا فى تعظيمه) وهو موافق لما قاله ابن عباس رضى الله تعالى عنهما
وليس اخص منه كما توهم (وقال الاخفش) الكبير لتبادره وقيل هو الاوسط صاحب
التفسير المسمى بالمعانى والاخافشة المشهورة ثلاث وهو لقب له من الخفش وهو
ضعف البصر وهو من يرى ليلا ولايرى نهارا (تنصرونه) وقال الراغب التعزير نصرة
مع تعظيم (وقال الطبرى) وهو محمد بن جرير كما تقدم (تعينونه) الاعانة اعم من
النصرة والتعزير من العزر بفتح فسكون وهو الرد والدفع ثم نقل لماذكر لما فيه من دفع
العدو والنقايص ولذا قيل لما دون الحد تعزير لردعه ودفع عوده لجنايته وله معنى
آخر وهو الوقوف على الاحكام (وقرئ) فى الشواذ (تعززوه بزايين) معجمتين تفعيل
(من العز) وهو التقوية والغلبة كما فى قوله تعالى * فعززنا بثالث * والعزيز رفيع القدر
وهذه كالمفسرة للقراءة المشهورة (ونهوا) اى نهاهم الله فى الآية الثانية (عن التقدم
بين يديه) اى بحضرته وعنده (بالقول) بان يسبقه بالكلام (وسوء الادب بسبقه

بالكلام) فى امر ما (وهو قول ابن عباس وغيره واختار ثعلب) فى تفسير الآية وثعلب
لقب امام العربية واللغة وهو ابو العباس احمد بن يحيى بن يزيد الشيبانى البغدادى توفى
سنة احدى وتسعين ومائتين (وقال سهل بن عبدالله) التسترى الامام الزاهد شيخ
الطريقة فى تفسير قوله تعالى * لا تقدموا بين يدى الله ورسوله (لاتقولوا قبل
ان يقول) فتستفتحون الكلام عنده وهو ترك ادب (واذا قال فاستمعوا له وانصتوا) اى
اسكتوا ثم عطف عليه عطف تفسير قوله (ونهوا عن التقدم والتعجل بقضاء
امر قبل قضائه فيه) اى فى الامر (وان يفتاتوا) اى يستبدوا ويستقلوا (بشئ فى ذلك)
اى فى قضاء امر من الامور عنده يقال افتأت بفاء وهمزة اصلية عند ابى عمرو وغيره من
اهل اللغة او هى مبدلة من حرف العلة كما قالوا فى رثيث الميت رثائة فهو من الفوت
عند بعضهم ويقال افتات بالف ويقال افتات الباطل اذا اختلقه (من قتال
وغيره من امر دينهم الا بامره ولا يسبقونه به والى هذا) المذكور فى تفسير
الآية (يرجع قول الحسن) البصرى (ومجاهد والضحاك والسدى و) سفيان
(الثورى) يعنى انهم فسروا الآية بما هذا حاصله وما له اشارة الى ان اكثر المفسرين
ارتضوه (ثم وعظهم الله) فى الآية بعد ما ذكر (وحذرهم مخالفة ذلك) اى امره
فى قضائه بعدما نهاهم عن سبقه بالقول (فقال واتقوا الله) فدل على ان مخالفه غير
متق (ان الله سميع) لاقوالهم عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (عليهم)
بما فعالهم فهو رقيب عليهم يخشى من غضبه وعقابه ففيه من الموعظة والتحذير
مالايخفى (قال الماوردى) ابو الحسن وقد تقدم ذكره (اتقوه يعنى) اى يريد
الله به هنا (فى التقدم) بقرينة اول الآية وان كان مطلقا (وقال السلمى) ابو عبدالرحمن
كما تقدم (اتقوا الله فى اهمال) اى ترك حقه (وتضييع حرمته) اى احترامه
وتوقيره (انه سميع لقولكم عليهم بفعلكم) فسبقه رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم بالقول ترك ادب من فعله لم يراع حقه ولا وقر حرمته فهو فى معنى
ماقبله (ثم انه تعالى نهاهم عن رفع الصوت فوق صوته) فى الآيات الاخيرة واعاد النداء
اهتماما به وتنبيها على انه امر آخر مستقل بالنهى ورفع الصوت بشدة الجهر سوء
الادب وغلظة يعتادها العوام (والجهر له) صلى الله تعالى عليه وسلم عطف تفسير
على رفع الصوت (بالقول كما يجهر بعضكم لبعض ورفع صوته) المراد النهى عن
ارتفاع الاصوات عنده وان لم يكن الخطاب له فى النداء (وقيل كما ينادى بعضهم
بعضا) فالمراد برفع الصوت النداء فنهاهم عن ان ينادونه كما ينادى بعضهم بعضا
(باسمه) فعبر عن النداء برفع الصوت لانه يلزمه غالبا فهو كقوله لاتجعلوا دعاء الرسول
بينكم كدعاء بعضكم بعضا وبيانه ما (قال ابو محمد مكى) وهو مكى ابن ابى طالب
القيروانى المالكى نزيل قرطبة كان متبحرا فى العلوم لاسيما علوم القرآن متواضعا

مجاب الدعوة له تصانيف جليلة منها تفسيره المسمى بالهداية وكتاب احكام القرآن توفى سنة سبع وثلاثين واربعمائة (اى لاتسابقوه بالكلام) هو معنى قوله لا تقدموا الى آخره (وتغلظوا له بالخطاب) اى تخاطبوه بغلظة واصل الغلظة ضد الرقة فى الاجسام ثم شاع فى المعانى والخطاب توجيه الخطاب للغير والمراد به هنا الكلام المخاطب به (ولا تنادونه باسمه نداء بعضكم بعضا) اى كنداء بعضكم فهو منصوب على المصدرية وهو عطف تفسير (ولكن عظموه ووقروه ونادوه باشرف مايحب بنادى به يانبى الله يارسول الله) بدل من اشرف وهذا معنى قوله لاتجهروا له بالقول لان كثيرا من جفاة الاعراب دأبهم فيما بينهم هذا (وهذا) اى ماقاله مكى (كقوله فى الآية الاخرى لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) وجهه ان النهى عن الشئ امر بضده او بتضمنه وقد نهى الله تعالى عن هذه الامور التى تقتضى اهانته فكانه امر بتعظيمه وتوقيره (على احد التأويلين) اى التفسيرين اللذين ذكرا فى التفاسير وهو ان يكون الدعاء بمعنى النداء والتسمية اى لاتنادوه باسمه رافعين اصواتكم بان تقولوا يامحمد ياابا القاسم كماينادى بعضكم بعضا اذا طلب اقباله بل خاطبوه بادب فقولوا يارسول الله يانبى الله ياخير خلق الله ونحوه والثانى ان يكون المراد بالدعاء الدعاء على احد اى لاتظنوا ان دعاءه كدعائكم يحتمل الاجابة وعدمها كدعائكم سواء كان بخير او شر فان الله ضمن له اجابة دعائه ووعده بها من لايخلف الميعاد وهذا غير مراد هنا كما اشار اليه المصنف رحمه الله تعالى وهو الذى قاله مكى و(قال غيره) اى غير مكى معنى الآية اى لا تجهروا له بالقول الى آخره (لاتخاطبوه الامستفهمين) وفى نسخة لامشفقين من الاشفاق وهو الخوف وعلى الاول معناه الاسائلين له متعلمين منه بالادب (ثم خوفهم الله عز وجل) من (ان تحبط اعمالهم ان هم فعلوا ذلك) اى جهروا له بالقول ولم يتأدبوا عنده (وحذرهم منه) اى من فعلهم هذا بقوله ان تحبط اعمالكم وانتم لاتشعرون فان تحبط فى محل نصب بنزع الخافض او بحذف المضاف اى لان لا تفعلوا مايؤدى الى احباط اعمالكم بالاستخفاف به وهو كفر فليس فيه دليل لاحباط الاعمال بالكبيرة كما قاله المعتزلة والخوارج قال فى الامتاع من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم انه لايجوز لاحد ان يناديه باسمه وماورد فى الحديث من ان اعرابيا قال له صلى الله تعالى عليه وسلم يامحمد انا رسولك الى آخره صدر منه قبل اسلامه او قبل النهى او قبل علمه به ثم انه لوناداه احد بكنيته فقال ياابا القاسم هل يحرم ام لا انتهى ويأتى مافيه وان هذا مخصوص بحياته ولايخفى ان هذا مقيد بمافيه استخفاف فلو اقتضته حال لم يحرم كما فى حال الحرب والمجادلة (قيل نزلت الآية فى وفد بنى تميم) قبيلة مشهورة سموا باسم جدهم والوفد جمع وافد وهو القادم على العظماء لامر ما وكان ذلك فى سنة

تسع وهو سنة الوفود وكان صلى الله تعالى عليه وسلم ارسل لهم سرية فهجموا عليهم واخذوا مواشيهم واسارى قدموا بها المدينة فحبسوا فى دار رملة بنت الحارث فارسلوا عدة من رؤسائهم فجاؤا بابه صلى الله تعالى عليه وسلم ونادوا يامحمد اخرج الينا كما فصل فى السير (وقيل) نزلت الآية (فى غيرهم) اى غير بنى تميم من العرب (آتوا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فنادوه) من خلف داره (يامحمد اخرج الينا فذمهم الله تعالى بالجهل) بمقام النبوة وترك الادب (ووصفهم بان اكثرهم لايعقلون) بقوله تعالى ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لايعقلون (وقيل نزلت الاية الاولى) اى قوله لاترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى (فى محاورة) بميم مضمومة وحاء وراء مهملتين وهى المجادلة ومراجعة القول (بين ابى بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما بين يدى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى فى مجلسه وحضوره (واختلاف جرى) اى وقع (بينهما حتى ارتفعت اصواتهما) وهما كما فى البخارى عن الزبير رضى الله تعالى عنه وهو ان ابابكر رضى الله تعالى عنه قال فى امر بنى تميم لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم امر عليهم القعقاع بن معبد فقال عمر رضى الله تعالى عنه بل الاقرع بن حابس فقال ابو بكر ما اردت الا خلافى فقال عمر ما اردت خلافك وتماريا حتى ارتفعت اصواتهما فنزلت الآية فما كان عمر بعدها يسمع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى يستفهمه والحكم عام وسببه خاص وقيل انه فى امر الزبرقان والذى ارتضاه السيوطى الاول (وقيل نزلت الآية) كما روى عن ابن عباس (فى ثابت) بن قيس (بن شماس) ابن مالك بن امرء القيس الخزرجى الانصارى وكان خطيب الانصار وكان ايضا (خطيب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) ليس المراد بالخطيب خطيب الجمعة والعيدين بل ماكان من عادة العرب اذا اجتمعوا لمهم يقوم واحد منهم ويذكر كلاما بليغا مقدمة للامر الذى اجتمعوا له كالمفاخرة وتفضيل بعضهم بعد مأثره فكان له صلى الله تعالى عليه وسلم خطباء عند الوفود وشعراء كحسان رضى الله تعالى عنه (فى مفاخرة بنى تميم) لما قدم وفدهم عليه صلى الله تعالى عليه وسلم وشرف وكرم ودخلوا المسجد ونادوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان اخرج الينا يامحمد ورفعوا اصواتهم فاذى رسول الله صلى الله عليه وسلم صياحهم فخرج اليهم فقالوا جئناك لنفاخرك فاذن لخطيبنا وشاعرنا فاذن لهم مقام خطيبهم وهو عطارد فقال الحمد لله الذى له علينا الفضل والمن وهو اهله الذى جعلنا ملوكا ووهب لنا اموالا عظاما نفعل فيها المعروف وجعلنا اعز اهل المشرق واكثره عددا وعدة فمن مثلنا فى الناس السنا برؤس الناس واولى فضلهم فمن فاخرنا فليعد مثل عددنا ولو شئنا لاكثرنا الكلام ولكنا نحياء من الاكثار فيما اعطانا وانا نعرف بذلك اقول هذا لان يأتوا بمثل قولنا اوامر افضل من امرنا ثم جلس فقال النبى صلى الله تعالى عليه

وسلم لثابت بن قيس بن شماس الخزرجي قم فاجبه فقام وقال الحمد لله الذى السموات والارض خلقه قضى فيهن امره * ووسع كرسيه علمه * ولم يكن شئ قط الا من فضله ثم كان من قدرته ان جعلنا ملوكا واصطفى من خير خلقه رسولا اكرمه نسبا واصدقه حديثا وافضله حسبا فانزل عليه كتابه وائتمنه على خلقه فكان خيرة الله تعالى من العالمين دعا الناس الى الايمان به فامن برسوله المهاجرون من قومه وذوى رحمه اكرم الناس احسابا واحسنهم وجوها وخيرهم فعالا ثم كنا اول الخلق اجابة لله تعالى حين دعانا رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم فنحن انصار الله ووزراء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نقاتل الناس حتى يؤمنوا فمن آمن بالله ورسوله منع ماله ودمه و من كفر جاهدناه وكان قتله علينا يسيرا اقول قولى هذا واستغفر الله للمؤمنين والمؤمنات والسلام عليكم ثم قام شاعرهم الزبرقان بن بدر فانشد شعرا فى فخر قومه فامر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حسان فاجابه كما هو مبسوط فى السير فاسلم بنو تميم فرد عليهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سبيهم ومالهم و روى انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال ما بالشعر بعثت ولا بالفخر ولكن هاتوا ما عندكم (وكان فى اذنيه) اى فى اذنى ثابت رضى الله تعالى عنه صمم (فكان يرفع صوته) اى كان هذا دأبه كما تراه فيمن به صمم وانما المحتاج لرفع الصوت من يكلمه ليسمعه اونسب الرفع له لانه سببه والاول هو المراد كما صرح به (فلما نزلت هذه الآية) التى نهيت عن رفع الاصوات عنده (اقام فى منزله) يعنى لم يأت مجلس رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (وخشى ان يحبط عمله) برفع الصوت عنده صلى الله تعالى عليه وسلم (ثم اتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) ليعتذر له عن سبب تخلفه عنه بعد ما سأل عنه (فقال يا نبى الله لقد خشيت ان اكون هلكت) اى تحقق هلاكى لانى ان حضرت عندك بطل عملى وان تخلفت فاتنى كل خير وليس المراد بلزوم منزله انه ترك حضور صلاة الجماعة معه لمرض لحقه من شدة خوفه كما قيل اذ ليس هنا ما يدل عليه وقد بين موجب هلاكه الذى تحقق عنده حتى كانه وقع بقوله (نهانا الله تعالى ان نجهر بالقول عندك (وانا امرء جهير الصوت فقال) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (يا ثابت اما ترضى ان تعيش حميدا) اى محمودا عند الله تعالى والناس وهذا يدل على قبول عمله وانه لا يحبط فهو الجواب حقيقة (وتقتل شهيدا) فيكون لك خير الدنيا والآخرة (وتدخل الجنة) وفيه معجزة له صلى الله عليه وسلم لاخباره بالغيب كما اشار اليه بقوله (فقتل يوم اليمامة) اى فى وقعة اليمامة فى خلافة ابى بكر الصديق سنة ثنتى عشرة فى ربيع الاول وهى وقعة مسيلمة المشهورة واليمامة اسم مدينة من جانب اليمن على مرحلتين من الطائف واربع من مكة وكان خرج فى وقعتها مع خالد بن الوليد فلما التقوا لم يثبتوا فقال ثابت وسالم مولى ابى حذيفة ما هكذا كنا نقاتل مع رسول الله صلى الله تعالى عليه

وسلم فحفر كل واحد منهما حفرة له وثبتا وقاتلا حتى قتلا (وروى) رواه طارق بن شهاب (ان ابابكر) الصديق رضى الله تعالى عنه (لما نزلت هذه الآية) لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى صلى الله عليه وسلم (قال) ابو بكر رضى الله عنه امتثالا لقول الله تعالى وخوفا من مخالفة نهيه ولذا اكده بالقسم فقال (والله يا رسول الله لا اكلمك بعدها) اى بعد نزول هذه الآية (الا كاخى السرار) اى الا كلاما خفيا كالمسارة وهى الكلام بخفية حتى لا يسمعه من عنده والسرار بكسر السين مصدر سارة مسارة وسرارا وهى مفاعلة من السر والاخ فى النسب معروف يتجوز به عن المثل والشبه كقولهم كان واخواتها وتكون بمعنى الصاحب والمراد الاول ويجوز ارادة الثانى وهذا مروى عن ابن عباس وعمر رضى الله تعالى عنهما ايضا كما ذكره المصنف رحمه الله تعالى بقوله (وان عمر كان اذا حدثه) صلى الله تعالى عليه وسلم (حدثه كاخى السرار) وهذه العبارة من كلامهم قديما (ما كان يسمع) بضم الياء وكسر الميم وفاعله ضمير ابى بكر اوعمر (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعد نزول (هذه الآية حتى يستفهمه) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لشدة اخفائه كلامه وهو تفسير لقوله كاخى السرار (فانزل الله تعالى فيهم) اى فى حق ابى بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما ومن ضاهاهما كثابت مدحا لهم (ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة واجر عظيم) والامتحان التجربة والمراد انه عاملهم معاملة المحنة ليظهر للناس ادبهم وتقواهم واستحقاقهم للاجر العظيم (وقيل نزلت) آية (ان الذين ينادونك) الى آخره (فى غير بنى تميم) من الاعراب (نادوه باسمه) لجهلهم بمقامه وعدم ادبهم (وروى) رواه الترمذى والنسائى (عن صفوان بن عسال) بفتح العين والسين المشددة المهملتين ابن الربض بن زاهد المرادى الكوفى الصحابى المشهور روى عنه الستة (بينا) بالف كافة كبينما وفى نسخة بينما (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى سفر اذ ناداه اعرابى بصوت له جهورى) بفتح الجيم وسكون الهاء وواو مفتوحة اوصياح شديد يقال جهور وجهر اذا رفع صوته وهو جهورى الصوت وجهيره اى رفيعه و بين ظرف مكان او زمان تجاب بجملة وقد تقرن باذا واذا الفجائية والافصح تركها كقوله

* فبينما نحن نرقبه اتانا * معلق وفضة وزناد راعى *

وتقع بعدها الجمل اذا كفت بما او الف (يا محمد يا محمد) مرتين وفى نسخة ثلاثا ويا ينادى بها البعيد (فقلنا له) اى قال له الصحابة تعليما له وتأديبا (اغضض من صوتك) اى لا ترفعه (فانك قد نهيت) اى نهاك الله تعالى عنه حذف فاعله للعلم به واعلم ان رفع الصوت يكره فى بعض المواضع كمجلس العظماء اذا تكلف

ذلك من غير داع وقد يستحب فى بعض المواضع كالاذان ومجالس الوعظ والخطبة ولذا روى انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان اذا خطب وذكر الساعة غضب وعلى صوته حتى يسمع بالسوق وكانت العرب تفتخر بالصوت الجهير كما قيل

* جهير الكلام جهير العطاس * جهير الرواء جهير النغم *

فنهى الله عما اعتادوه فى الجاهلية وقول لقمان لابنه اغضض من صوتك نهى عن الجهر تهاونا بالناس ثم ذكر من توقيره صلى الله تعالى عليه وسلم امرا آخر فقال (وقال الله تعالى) يا ايها الذين آمنوا (لاتقولوا راعنا) كان المؤمنون يقولونه لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خاطبهم يريدون تان فى خطابك حتى نفهم كلامك فراع مقامنا فانا لسنا فهما مثلك فانظر لحالنا فانتهز اليهود الفرصة وقالوها لانها كانت كلمة يتسابون بها كما يأتى عن الكشاف (قال بعض المفسرين هى لغة فى الانصار) كانوا يقولونها فى محاورتهم اذا ارادوا التفهم (نهوا عن قولها تعظيما للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم) لايهامها ولاعتياد خطاب الاقران (وتبجيلا له) اى تفخيما له صلى الله تعالى عليه وسلم وهو ابلغ من التعظيم لان معناه قال له بجل اى حسبك (لان معناها ارعنا نرعك) من المراعاة اى احفظنا نحفظك (فنهوا عن قولها) اى هذه الكلمة (اذ مقتضاها) على تفسيرها السابق (انهم لايرعونه) ويراعون مقامه (الا برعايته لهم) لان المعنى ارعنا نرعك (بل حقه) اللائق به (ان يرعى على كل حال) راعاهم ام لا بخلاف انظرنا فان معناها انظر الينا وفهمنا وبين لنا وهى كل ادب فلذا امر الله تعالى بان يقال له انظرنا دون راعنا (وقيل كانت اليهود تعرض بها له صلى الله تعالى عليه وسلم بالرعونة) وهى الخفة والحماقة وجعلها تعريضا لانها تحتمل الرعاية احتمالا ظاهرا وقول البرهان انها انما تأتى على قرأة شاذة راعنا بالتنوين والنصب ليس بشئ لانه لو كان كذلك كان تصريحا لاتعريضا ولذا روى ان اليهود قالوا كنا نسب محمدا سرا فصار ذلك علنا فكانوا يقولون يا محمد راعنا ويضحكون ففطن لهم سعد بن معاذ رضى الله عنه فقال لليهود عليكم لعنة الله والله لاضربن عنق من سمعته يقولها (فنهى المسلمون) مبنى للمفعول اى نهاهم الله عز وجل (عن قولها قطعا للذريعة) الذريعة فى اللغة الوسيلة والسبب وقال بعض شراح المدونة ان اصل معناها لغة جملا يترك هملا فى فلاة يصاد فيها الظبا والحمر الوحشية فتأنس بها الصيد وتدور معه فاذا ذهبوا للصيد لم يهرب الجمل منهم لالفه بالناس فاذا وقف وقف الصيد معه فيأخذون منه بسهولة ثم سمى به كل ما كان سببا للهلاك فانه سبب لهلاك الصيد الذى معه كما ان هذه سبب لهلاك من قالها فلذلك جعلت ذريعة وهى فعيلة بذال معجمة وراء وعين مهملتين واعلم ان الشراح رحمهم الله تعالى لم يتعرضوا هنا لبيان المراد بهذه العبارة هنا وهى اشارة الى قاعدة مشهورة فى مذهب الامام مالك وهى وجوب سد الذريعة اى يجب دفع كل مايؤدى

الى فساد فى امر مشروع وقد ظن كثير ان هذه المسئلة مخصوصة بمذهب مالك وانه واجب عنده مطلقا وليس كذلك كما قاله العلامة القرافى حيث قال ليس كل ذريعة فساد يجب سدها مطلقا فان الذرايع ثلاثة اقسام فمنها ما اجمع الناس على وجوب سده كسب الاصنام عند من يسب الله اذا سبت وحفر الآبار فى طريق المسلمين والقاء سم فى طعامهم ومنها ما اجمعوا على عدمه كالمنع من غرس الكروم لئلا يتخذ منها خمر ومنها ما اختلف فيه كبيوع الاجال ومنها مايكون خلاف الاولى وقد تكون ذريعة الفساد كذريعة لمصلحة ايضا فيقدم الارجح منهما كدفع المال للكفار لافتداء الاسير والحاصل كما نقله بعضهم من علمائهم المتأخرين ان سد الذريعة فى الاصل من باب الورع والاحتياط لامن الواجب اذ المفعول بها ليس فسادا فى حد ذاته والفساد معها مظنون وقد اشتهر نسبة هذه المسئلة للمالكية حتى ظن كثير انها من خواصهم وليس كذلك كما علم مما بينه القرافى (ومنعا للتشبه بهم) اى ان يتشبه المؤمنون باليهود (فى قولها) اى فى التكلم بهذه الكلمة (لمشاركة اللفظ) واتحاده وان كان قصد المسلمين غير ما قصده اليهود وقال الواحدى فى الوسيط النهى عن التكلم بهذه الكلمة مخصوص بذلك الوقت لاجماع الامة على جواز المخاطبة بهذه اللفظة الآن ونقله الاصبهانى فى تفسيره وبقى الكلام فى استحباب الترك (وقيل) فى تفسير هذه الاية (غير هذا) المذكور فى تفسيرها ففى الكشاف كان المسلمون يقولون له صلى الله عليه وسلم اذا خفى عليهم شئ من كلامه راعنا اى تان حتى نفهم كلامك ونحفظه وكان لليهود كلمة سريانية او عبرانية يتسابون بها وهى راعنا فلما سمعوا قول المسلمين راعنا بمعنى انظر الينا انتهزوا الفرصة وقالوها يريدون سبه صلى الله تعالى عليه وسلم بها فنهى المسلمون عن قولها لما فيها من الابهام وامروا ان يقولوا انظرنا من النظرة اى امهلنا

﴿ فصل ﴾ فى عادة الصحابة فى تعظيمه عليه الصلوة والسلام وتوقيره واجلاله) اى فى نقل اخبارهم فيما كانوا يعتادونه من المعاملة معه بالادب وغاية الاجلال فمنه ما رواه المصنف رحمه الله تعالى هنا من حديث طويل رواه مسلم واشار اليه بقوله (حدثنا القاضى ابو على الصدفى) هو ابن سكرة وقد تقدم وان الصدفى نسبة لصدف قرية بالمغرب (وابو بحر الاسدى) نسبة لقبيلته (بسماعى عليهما فى آخرين) مبتدأ وخبره اشارة الى انهما من مشايخه ولطريق روايته هذا الحديث عنهما (قالوا) اى شيخاه لاهما والآخرون لانه لم يروعنهم وعبر بضمير الجمع تعظيما ولان الواحد ومافوقه جمع (حدثنا احمد بن عمر قال حدثنا احمد بن الحسن) ابو العباس ابن نبدار الرازى المعروف بالرواية وفى بعض النسخ الحسين والصحيح الاول (قال حدثنا محمد بن عيسى) هو الجلودى كما تقدم (قال حدثنا ابراهيم بن سفيان) قدمنا ترجمته (قال حدثنا مسلم) صاحب الصحيح وقد تقدمت ترجمته (قال حدثنا محمد بن مثنى) تقدم تفصيل ترجمته (وابو معن

ازرقاشى) وهو زيد بن يزيد البصرى الثقة (واسحق بن منصور) الحافظ الثقة المعروف بالكوسج اخرج له الستة وتوفى سنة احدى وخمسين ومائتين (قالوا حدثنا الضحاك ابن مخلد) ابو عاصم الشيبانى البصرى الثقة توفى فى ذى الحجة سنة ثلاث عشر ومائتين وترجمته فى الميزان (قال حدثنا حيوة بن شريح) تقدم ايضا وفى نسخة انبانا (قال حدثنا يزيد بن ابى حبيب) الازدى محدث مصر وكان حبشيا من العلماء الحكماء الاتقياء توفى سنة ثمان وعشرين ومائة واخرج له الستة (عن ابن شماس) بضم الشين المعجمة وفتحها و بميم والف وسين مهملة واسمه عبد الرحمن (المهرى) بميم مفتوحة ومخففة وهاء ساكنة وراء مهملة وياء نسبة وهو حافظ ثقة توفى فى خلافة يزيد بن عبد الملك وماوقع فى بعض النسخ من انه الفهرى بالفاء بدل الميم تحريف (قال حضرنا عمرو بن العاص) يرسم بياء وقد تحذف كما مر (فذكر حديثا طويلا فيه عن عمرو قال وما كان احد احب الى من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولا احد (احلى فى عينى منه) تثنية عين ويجوز افراده والمعنى واحد (وما كنت اطيق) اى اقدر (ان املأ عينى منه) اى اطيل النظر اليه وملأ العين تحقيق النظر وتطويله وهو مجاز مشهور وقوله ولكن ملأ عين حبيبها بمعنى آخر بمعنى مايعجبه ويحسن منظره (اجلالا له) اى لاجلاله ومهابته (ولو شئت ان اصفه) بحليته (ماطقت) وقدرت لعدم احاطة علمى به (لانى لم اكن املأ عينى منه) لم هنا لتحقيق الجواب على كل حال كقوله * نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه اى لا اقدر ان اصفه على تقدير انى شئت فكيف اذا لم اشاء فلا يقال ان لو لامتناع الشرط والجواب فيقتضى انه يطيق وصفه والمراد خلافه وحديث مسلم فى الايمان حضرنا عمرا فى سياقة الموت يبكى طويلا وحول وجهه الى الجدار فقال ابنه صلى الله عليه وسلم عبد الله يا ابتاه اما بشرك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بكذا وكذا فاقبل بوجهه وقال ان افضل مابعد شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله انى كنت على اطباق ثلاث الى آخره فذكر حاله فى جاهليته و بغضه لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم ذكر اسلامه وشدة حبه له بعد ذلك ثم ذكر مال اليه امره فى الولاية وخوفه من اثامها رضى الله تعالى عنه (وروى الترمذى عن انس) رضى الله تعالى عنه (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان يخرج) من بيته (على اصحابه من المهاجرين والانصار) رضى الله تعالى عنهم وعداه بعلى وهو يتعدى بالى ومعناه خروج خاص لمن لم ينظره (وهم جلوس) فى المسجد (فيهم ابو بكر وعمر) رضى الله تعالى عنهما (فلا يرجع احد منهم اليه بصره) بل يطرقون لمهابته (الا ابو بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما) ويجوز الا ابابكر وعمر نصبا (فانهما كانا ينظران اليه وينظر اليهما ويتبسمان اليه ويتبسم اليهما) لما بينهما من الالفة

وقدم الصحبة والصهارة وتمكن مقامهما عنده صلى الله تعالى عليه وسلم (وروى اسامة بن شريك) الصحابى الثعلبى من ثعلبة بن يربوع وهو الاصح وقيل من ثعلبة ابن يشكر وقد اخرج له اصحاب السنن واحمد فى مسنده (قال) اى اسامة (اتيت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واصحابه حوله) اى محيطون به فى مجلسه (كانما على رؤسهم الطير) هذا مثل تضرب به العرب لشدة الرزانة والسكون لان هذا الطير لاينزل الاعلى ساكن وقد تقدم من مقصورتى النبوية

* كانما الطير على رؤسهم * من كل غصن فى رباء المجد نما *

وهذا الحديث رواه الاربعة وصححه الترمذى (وفى حديث صفته) بالتاء المثناة الفوقية يعنى حديث الحلية المشهورة وصحفه بعضهم بصفية بالياء التحتية اسم امرأة ولا يعرف هذا وانما المعروف روايته عن هند بنت ابى هالة كما تقدم (اذا تكلم) صلى الله تعالى عليه وسلم (اطرق جلساؤه كانما على رؤسهم الطير) اى طأطؤا رؤسهم تأدبا وذكر هذا مع ما تقدم اشارة لتعدد طرقه ولما بينهما من المغايرة بذكر وجه الشبه والعموم فى الجلساء لما فيه من ان كل من حضر مجلسه صلى الله تعالى عليه وسلم ولو مع اعدائه يهابه لانه امر ذاتى له (وقال عروة بن مسعود) رضى الله تعالى عنه ابن معتب الثقفى (حين وجهته قريش) الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سنة سبع بالحديبية لما صدوه عن دخول مكة معتمرا (عام القضية) اراد بها قصة الحديبية وقيل اراد السنة التى قضى فيها العمرة فالقضية بمعنى القضاء والمراد عام جرى فيه القضاء والقضية اذ القضاء وقع بعد الحديبية وعروة انما جاء بالحديبية فهو محتاج للتأويل ولذا قيل ان القضية وقعت عام الحديبية سنة ست وعام القضاء كان سنة سبع بعد فتح خيبر فلعل المصنف اراد بالقضية اللغوية التى جرت فى الحديبية من الصلح والصد عن البيت وبيعة الشجرة ولم يرد القضية التى ارادها اهل السير انتهى وهذا بناء على ان عمرته صلى الله عليه وسلم بالحديبية لم تتم ففسدت لما صدوه عن البيت وقد اختلف الفقهاء فى مثله فقيل يجب الهدى ولا قضاء وقيل يجب القضاء بلا هدى وقيل لا يلزمه هدى ولا قضاء وقيل يلزمه الهدى والقضاء وقصة القضية مفصلة فى السير وعروة هذا اسلم لما انصرف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من الطائف وادركه قبل وصوله الى المدينة وكان حين ارسلوه مشركا (ورأى) عروة (من تعظيم اصحابه له صلى الله تعالى عليه وسلم ما رأى) هذا فيه من المبالغة ما فى قوله تعالى فغشيهم من اليم ما غشيهم اى رأى من اكرامهم له صلى الله تعالى عليه وسلم وتعظيمهم له شيئا عظيما لا يمكن التعبير عنه لفواته الحصر ولذا ابهمه وان ذكر بعضا منه بقوله (وانه) صلى الله تعالى عليه وسلم (لا يتوضأ الا ابتدروا) اى اسرعوا واخذوا (وضوءه) بفتح الواو اى بقية الماء الذى توضأ به وماتساقط منه قبل وصوله الى الارض (وكادوا) اى قربوا لازدحامهم ودفع بعضهم

بعضا من (ان يقتتلوا عليه) اى على وضوئه واخذه لحرصهم على التبرك بماسه صلى الله تعالى عليه وسلم بيده (ولا يبصق بصاقا) اى رمى شيئا من ريقه الشريف (ولا تنخم نخامة) بضم النون لان فعالة وصفها لكل قليل انفصل من شئ كالبراية والتنخم اخراجه من الفم والفرق بين البصاق والنخامة ان الاول مايخرج من الفم والثانى مايخرج من اقصى الحلق (الا تلقوها) اى النخامة (باكفهم) واكتفى بضميرها عن ضمير البصاق وكان الظاهر تلقوهما او جعلهما شيئا واحدا لاتحادهما جنسا (فدلكوا بها وجوههم واجسادهم) تبركا بهما (ولا تسقط منه شعرة) بفتح العين وسكونها فى حلاقة رأس ونحو (الا ابتدروها) وسارعوا الاخذها (وان امرهم بامر ابتدروا امره) بالامتثال والامر مصدر او بمعنى المأمور وكان حقه ان يقول ابتدروه فصرح به تفخيما لشانه وتنويها لقدره (واذا تكلم) صلى الله تعالى عليه وسلم (خفضوا اصواتهم عنده) لتبيين مايقول لهم (وما يحدون اليه النظر) اى لا ينظرون اليه صلى الله تعالى عليه وسلم نظرا حديدا اى قويا او لا يبلغ نظرهم اليه حده ومنتهاه بل ينظرون اليه من طرف خفى مطرقين رؤسهم تأدبا لجلالته فى قلوبهم (تعظيما له) صلى الله تعالى عليه وسلم علة للنفى لا للمنفى اى يتركون كمال نظرهم لتعظيمه صلى الله تعالى عليه وسلم (فلما رجع) عروة (الى قريش قال) لهم (يامعشر قريش) المعشر والمعشرة بمعنى (انى جئت كسرى) بفتح الكاف وكسرها ملك فارس كما تقدم (فى ملكه) فى زمن سلطنته (وقيصر) ملك الروم (فى ملكه و) جئت (النجاشى) ملك الحبشة (فى ملكه) فرأيتهم وشاهدت عظمتهم والنجاشى بفتح النون وكسرها وياؤه مشددة ومخففة كامر (وانى والله مارأيت ملكا فى قوم قط مثل محمد فى اصحابه) اى لا يعظمون ملكهم كما يعظمه صلى الله تعالى عليه وسلم اصحابه (وفى رواية) لحديث عروة (ان) بكسر وتخفيف نافية بمعنى ما (رأيت ملكا قط يعظمه اصحابه) كمثل (ما يعظم محمدا اصحابه) ففيه مضاف مقدر وما مصدرية او موصولة اى كالتعظيم الذى يعظمه اصحابه فالعائد مقدر (وقد رأيت قوما) يعنى بهم الصحابة رضى الله عنهم (لا يسلمونه) بضم اوله وسكون ثانيه المهمل وكسر لامه مضارع اسلمه يقال اسلمه لعدوه اذا امكنه منه وخلى بينهم وبينه ويقال اسلمه اذا القاه فى هلكة فهو عام اريد به خاص (ابدا) ظرف لاستغراق الزمان المستقبل كما ان قط لاستغراق الماضى يعنى ان ما شاهدته من احوالهم فى تعظيمه صلى الله تعالى عليه وسلم وانقيادهم له يدل على انهم لا يقصرون فى نصره ويبذلون انفسهم دونه واياكم ان تعظموا فى خلافه وهذا بعض من حديث طويل رواه البخارى (وعن انس) فى حديث رواه مسلم قال فيه (لقد رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والحلاق) بتشديد اللام وهو الذى يحلق شعر رأسه فقوله (يحلقه) بتقدير مضاف (وقد اطاف به اصحابه) اى جلسوا حلقة حوله صلى الله تعالى عليه وسلم وطاف بمعنى دار واطاف

بمعنى استدار من غير حركة (فما يريدون ان يقع شعرة) من شعر رأسه (الا فى يد رجل) منهم حرصا على التبرك بآثاره صلى الله تعالى عليه وسلم والذى حلق رأسه وقلم اظفاره معمر بن عبد الله العدوى فى حجة الوداع وقال ابن الاثير فى الانساب انه خراش بن امية الكلبى وكان ذلك يوم الحديبية كما قاله ابن عبد البر والذى حلقه بالجعرانة ابو هند وكان صلى الله تعالى عليه وسلم لا يحلق رأسه الا فى حج او عمرة (ومن هذا) اى تعظيم الصحابة له صلى الله عليه وسلم (لما اذنت قريش لعثمان) ابن عفان رضى الله عنه حين ارسله صلى الله عليه وسلم الى اهل مكة وهو بالحديبية وقد صدوهم عن البيت وارساله لاعلامهم بانهم لم يأتوا لقتالهم فلا وجه لصدهم عن دخول الحرم فلم يرضوا بذلك ولكنهم اذنوا لعثمان رضى الله تعالى عنه (فى الطواف بالبيت) بعد منعهم منه له كغيره (حين وجهه) اى ارسله رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم (فى القضية) اى قضية صدهم المسلمين عن البيت وهم بالحديبية كامر (ابى) الطواف وهو جواب لما (وقال ماكنت لافعل) الطواف وحدى ورسول الله صلى الله عليه وسلم قد منع منه ولم يرسلنى لذلك فلا اطوف (حتى يطوف به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) ففيه من تعظيمه والوقوف عند امره ما لا يخفى وهذه القصة مفصلة فى السير وحاصل ذلك انهم لما صدوهم عن دخوله مكة وارسلوا عروة لاعلامهم بذلك ارسل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عثمان لعظماء قريش ليخبرهم بمجيئه صلى الله تعالى عليه وسلم معتمرا لا مقاتلا فلما دخل مكة اخباره ابان ابن العاص حتى بلغ رسالته فلما بلغهم قالوا له ياعثمان ان قضيت فطف فقال ماكنت لافعل فاحتبسوه وبلغ المسلمين انه قتل فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا نبرح حتى نناجز القوم الحرب وبايع لاصحابه بيعة الرضوان تحت الشجرة كما رواه الترمذى عن طلحة رضى الله عنه وقال انه حسن غريب وقوله ماكنت لافعل ابلغ من لا اطوف (وفى حديث طلحة) الذى رواه الترمذى وحسنه (ان اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قالوا لاعرابى جاهل سله) اى سل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (عمن قضى نحبه) وفى قوله تعالى ✱ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ✱ والنحب النذر والعهد استعير هنا للموت لانه للزومه كانه نذر فى ذمته يجب قضاؤه والزام نفسه ان يجاهد فى سبيل الله وقتال اعدائه والثبات فى مواقفه حتى كانه نذر عليه والمراد هنا الثانى فمن اقتصر على الاول فقد قصر اى منهم من قاتل حتى مات شهيدا كحمزة رضى الله تعالى عنه (وكانوا) اى اصحابه (يهابونه ويوقرونه) فلا يكثرون سؤاله صلى الله تعالى عليه وسلم اجلالا له (فسأله) الاعرابى (فاعرض عنه) ولم يجبه (اذ طلع طلحة) اى كان اعراضه فى وقت طلوعه اى مجيئه لمجلسه صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل اذ هنا فجائية كقوله ✱ فبينما العسر اذ دارت مياسير ✱ اى فاجاءهم

طلوعه عليهم بغتة (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هذا ممن قضى نحبه)
وهو طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن كعب بن سعد التيمى احد العشرة وفى الصحابة
طلحة تيمى غيره وهو الذى نزل فيه قوله تعالى * وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله *
الآية وروى ابو نعيم انه صلى الله تعالى عليه وسلم تلا هذه الآية على المنبر فسأله
رجل من هؤلاء فاقبل طلحة بن عبيد الله فقال هذا منهم وكذا فى سنن ابن ماجة
وفى تفسير ابن ابى حاتم ان عمارا منهم وفى تفسير يحيى بن سلام هم حمزة واصحابه
قال ابن التين كان ممن مات ذلك اليوم عبد الله بن جحش ومنهم من ينتظر منهم طلحة
ابن عبيد الله انتهى قال ابن الملقن فاجتمع منهم انس ابن النضر وطلحة بن عبيد الله
وعمار وحمزة واصحابه الذين قتلوا معه باحد انتهى وطلحة هذا هو الملقب بطلحة الخير
والفياض وانما قال صلى الله عليه وسلم فى حقه ذلك لانه كان قد غاب عن بدر فقال
لئن حضرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهدا آخر ليرين الله ما اصنع فلما كان
يوم احد ابلى فيه بلاء حسنا ووقى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ بنفسه واتقى
النبل عنه بيده حتى شلت اصابعه وحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم على ظهره
حتى استعلى الصخرة فلذا شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بما شهد وهو احد
العشرة فالنحب هنا بمعنى العهد لانه مشترك بينه وبين النذر والموت وفى الآية
كلام طويل فى التفاسير وامالى ابن الحاجب ليس هذا محله (وفى حديث قيلة)
الذى رواه ابو داود والترمذى وقيلة بفتح القاف وسكون المثناة التحتية ولام وهاء بنت
مخرمة العنبرية الصحابية وقيل انها تميمية كما تقدم وحديثها فى الشمائل وفيه قالت
(فلما رأيته صلى الله تعالى عليه وسلم جالسا القرفصا) وهو نوع من الجلوس
محتبيا بيديه قال فى القاموس القرفصى مثلث القاف والفاء مقصور والقرفصا بضم
القاف والراء ان يجلس على اليتيه ويلصق فخذيه ببطنه ويحتبى بيديه ويضعهما على
ساقيه او يجلس على ركبتيه متكئا بطنه بفخذيه انتهى (ارعدت) اى حصل لى
رعدة واضطراب (من الفرق) بفتحتين اى شدة الخوف (وذلك) اى ما كان لى من
الرعدة والخوف (هيبة له وتعظيما) لجلالته وعظمه فى عين رأيته (وفى حديث
المغيرة) ابن شعبة الذى رواه الحاكم والبيهقى (كان اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم) اذا اتوه لامر وهو فى منزله (يقرعون) القرع ضرب خفيف ومن له
صوت (بابه بالاظافير) جمع ظفر على غير القياس او جمع اظفور واظفار بمعنى ظفر
فاظافير جمع الجمع فالاول اولى لان جمع المفرد اقيس من جمع الجمع وهذا اى ذكر
الباب والقرع يقتضى ان حجرته صلى الله عليه وسلم كان لها باب من خشب ونحوه
وقد ورد انه كان عليه سترا وسحف وجمع بانه كان من جلد يقرع فليحرر فان مثله
لا يقال بالرأى واعلم ان مثل هذا هل يسمى حديثا اولا وعلى تقدير تسميته حديثا هل

هو مرفوع ام لا اختلفوا فيه كما قال الحافظ العراقى فى الفيته
* لكن حديث كان باب المصطفى * يقرع بالاظفار مما وقفا *
* حكما لدى الحاكم والخطيب * والرفع عند الشيخ ذو تصويب *
والمراد بالشيخ ابن الصلاح رحمه الله تعالى (وقال البراء بن عازب) ابن حارث
الخزرجى الانصارى توفى فى ايام مصعب بن الزبير فى حديث رواه ابو يعلى وصححه
(لقد كنت) اللام جواب قسم مقدر اى والله (اريد ان اسأل رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم عن الامر) من الامور التى تهمنى او يخطر ببالى مما احتاج لبيانه (فأوجز)
بهمزتين وقد تبدل الثانية واوا والافصح الاول (سنتين) مثنى سنة وفى نسخة
سنين بصيغة الجمع (من هيبته) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اى من مهابته
فى قلبى وعظمته فى نفسى ﴿فصل واعلم﴾ امر من العلم معطوف على
ما قبله والخطاب عام لكل من يصلح له وسد مسد مفعوليه قوله (ان حرمته صلى الله
تعالى عليه وسلم) بضم فسكون وبضمتين وكهمزة وهى المهابة اى احترامه
والتأدب معه (بعد موته وتوقيره وتعظيمه لازم) على كل احد (كما كان) لازما فى (حال
حياته) لبقاء نبوته ورسالته (وذلك) اى ما ذكر من احترامه وتعظيمه لازم (عند
ذكره وذكر حديثه وسنته وسماع اسمه وسيرته ومعاملة آله) تقدم بيان المراد بهم
(وعترته) بكسر العين وسكون المثناة وكونها مثلثة خطأ من العامة وهم نسله
ورهطه وعشيرته الادنون ومعاملتهم بمعنى مخالطتهم فى امور دينية او دنيوية
(وتعظيم اهل بيته) اى زوجاته وخدمه واتباعه وليس المراد به آله وعترته حتى
يكون اطنابا (وصحابته) رضى الله تعالى عنهم (قال ابو ابراهيم التجيبى) بضم التاء
وفتحها كما تقدم (واجب على كل مؤمن) خصه لان الكافر لا يجب عليه ذلك وقيل
انه يجب عليه ايضا بناء على انه يخاطب بفروع الشريعة والوجوب عليه بمعنى
مطالبته به فى الآخرة وعقابه عليه (متى ذكره صلى الله عليه وسلم او ذكر
عنده) وسمعه (ان يخضع) اى يبدى التذلل والاستكانة وخفض الجناح وخضع
يكون لازما وهو المعروف ومتعديا يقال خضع الحديث اى لينه (ويخشع) الخضوع
والخشوع متقاربان كما قاله الراغب وقيل الخشوع اعم لانه يوصف به القلب والجماد
كترى الارض خاشعة ولا يخفى انه مجاز لا يدل على مدعاه (ويتوقر) اى يظهر الوقار
والرزانة (ويسكن من حركته ويأخذ) اى يشرع (فى هيبته) اى اظهار مهابته
صلى الله تعالى عليه وسلم عنده (واجلاله) بتعظيمه حق تعظيمه (بما كان يأخذ به
نفسه) اى يكلفها ويلزمها (لو كان بين يديه صلى الله عليه وسلم) حاضرا فى مجلسه
فيفرض ذلك ويلاحظه ويمثله فكأنه عنده (ويتأدب بما ادبنا الله به) مثل قوله
تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم الى آخره ولا ترفعوا اصواتكم وغيره كما تقدم آنفا وفيه

اشارة الى ان هذا ثابت بالقرأن ايضا لدخوله فى عموم ماتقدم واطلاقه وان لم يرد تصريح فيه بخصوصه فى النصوص القرأنية ومن لم يتنبه لهذا قال كان على المصنف رحمه الله تعالى ان يقدم دليلا قرآنيا على الحديثى يدل على ان وجوب حرمته ميتا كحرمته حيا كما هو دأبه وان لم يذكرانه حكم عام فيه صلى الله تعالى عليه وسلم وفى سائر الانبياء عليهم الصلوة والسلام لما ورد فى حقهم فى المدح والتعظيم و قوله تعالى فبهداهم اقتده ولقوله تعالى ورفعنالك ذكرك واقتران اسمه باسم الواجب التعظيم يقتضى تعظيمه ولقوله صلى الله تعالى عليه وسلم الآتى رغم انف من ذكرت عنده فلم يصل على ولايخفى ما فيه (قال القاضى) ابو الفضل عياض المؤلف (رحمه الله تعالى وهذه) الامور المذكورة من توقيره صلى الله تعالى عليه وسلم حيا وميتا وانثه باعتبار ماذكر لقوله (كانت سيرة سلفنا الصالح) اى دأب وطريقة من تقدم من الصالحين والعلماء العاملين رضى الله تعالى عنهم اجمعين ثم بين هذه السيرة بقوله (حدثنا ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الاشعرى) هو ابن سعيد القرطبى وقد تقدم (وابو القاسم بن بقى) بفتح الموحدة وتشديد القاف المكسورة وياء مثناة تحتية (الحاكم) وهو احمد بن محمد بن احمد بن مخلد بن يزيد ابن بقى (وغير واحد فيما اجازونيه) اى روايته عنهم بطريق الاجازة المعروفة بين المحدثين كما بينه ابن الصلاح وغيره (قالوا) اى قال هؤلاء كلهم (انبأنا ابو العباس احمد بن عمر بن دلهاث) بكسر الدال المهملة وسكون اللام وهاء والف يليها ثاء مثلثة بزنة جلباب علم مصروف منقول من اسم الاسد كدلهث ودلاهث (قال حدثنا ابو الحسن على بن فهر) بالكسر كاسم القبيلة (قال حدثنا ابو بكر محمد بن احمد بن الفرج قال حدثنا ابو الحسن عبد الله بن المنتاب) بضم الميم وسكون النون وتاء مثناة فوقية والف وباء موحدة وهو عبد الله ابن المنتاب ابن الفضل بن ايوب قاضى المدينة (قال حدثنا يعقوب بن اسحق بن ابى اسرائيل قال حدثنا ابو حميد) بالتصغير ابن حميد ابن ثعلبة احد رواة مالك (قال ناظر) ماض من المناظرة وهى المباحثة فى امر من الامور وهى مفاعلة من النظر بمعنى الفكر لان كلا منهما ينظر فى كلام من يجادله وفيه كلام فى شرح آداب البحث ليس هذا محله (ابو جعفر امير المؤمنين) ثانى خلفاء بنى العباس اخو السفاح المعروف بالمنصور وترجمته مفصلة فى التواريخ (مالك) امام المدينة وعالمها المشهور رحمه الله (فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم) فرفع صوته فى مناظرته (فقال مالك يا امير المؤمنين لاترفع صوتك فى هذا المسجد) النبوى المحترم واول من سمى بامير المؤمنين على العموم عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه سماه به المغيرة بن شعبة وقيل لبيد بن ربيعة وعدى بن حاتم حين وفدا عليه من العراق وقيل انه رضى الله تعالى عنه قال للناس انتم المؤمنون وانا اميركم فسمى بذلك

وكان قبل ذلك يقال له ياخليفة خليفة رسول الله فعدلوا عن ذلك لطوله واخبرنا بعلى العموم عن عبد الله بن جحش فانه سمى بها على الخصوص فى ولايته على سرية اثنى عشر رجلا وقيل ثمانية واول من سمى بامير المسلمين يوسف بن تاشفين الملثم (قال ان الله ادب قوما فقال لاترفعوا اصواتكم) وتقدم تفسيرها (ومدح قوما فقال ان الذين يغضون اصواتهم) الى آخره وتقدم بيانها ايضا (وذم قوما فقال ان الذين ينادونك) الى آخره كما تقدم (وان حرمته صلى الله تعالى عليه وسلم ميتا كحرمته حيا) اى ما يجب ان يراعى فى حقه فى حياته يراعى بعد مماته (فاستكان لها ابو جعفر) استكان افتعل من المسكنة بمعنى خضع وذل اشبعت حركته كما فى القاموس وفيه كلام فى التصريف وضمير لها راجع لمقالة الامام مالك المعلومة من المقام ولم يذكروا ماناظره فيه لانه لايترتب عليه فائدة هنا (وقال) ابو جعفر للامام مالك (يا ابا عبد الله) كناه تعظيما له بسؤاله بقوله (استقبل القبلة) اصل استقبل بهمزتين همزة الاستفهام وهمزة المضارع للمتكلم فحذفت الاولى للتخفيف ووجوب القرينة وقد ورد حذفها كثيرا كقوله * فوالله ما ادرى وان كنت داريا * بسبع رمين الجمار ام بثمان * وهو من خصائص الهمزة (وادعوا) اذا اردت زيارته صلى الله تعالى عليه وسلم (ام استقبل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى اجعل وجهى مقابلا لجهته وحينئذ يكون مستدبرا القبلة فلذا اشكل عليه لان استقبال القبلة فى الدعاء مشروع فاذا عارضه هذا فايهما يقدم (فقال) له مالك رحمه الله تعالى (ولم تصرف وجهك عنه) اى عن مقابلته ومواجهته حال الدعاء (وهو وسيلتك ووسيلة ابيك آدم عليه الصلوة والسلام الى الله يوم القيامة) المراد بالوسيلة وهى السبب ما يتوصل به الى اجابة الدعاء وكنى بذلك عن جميع الناس اى هو الشفيع المشفع المتوسل به الى الله يوم القيامة اشارة الى حديث الشفاعة العظمى وقد تقدم والى ما ورد من ان الداعى اذا قال اللهم انى استشفع اليك بنبيك يا نبى الرحمة اشفع لى عند ربك استجيب له (بل استقبله) صلى الله تعالى عليه وسلم بوجهك فى دعائك بما تريد (واستشفع به) الى الله تعالى فى الاجابة فانه شفيع لا يرد من توسل به اليه (فيشفعه الله) فيك ويقبل دعاءك وفى نسخة فيشفعك الله وهى مشكلة اذ المراد الاول واولت هذه بان اصلها فيشفعه فيك فحذف المفعول والجار ووصل به الضمير وقيل المعنى يقبل شفاعتك والمصدر مضاف للمفعول ولايخفى ما فيه وفى هذا رد على ما قاله ابن تيمية من ان استقبال القبر الشريف فى الدعاء عند الزيارة امر منكر لم يقل به احد ولم يرو الا فى حكاية مفتراة على الامام مالك يعنى هذه القصة التى اوردها المصنف رحمه الله هنا ولله دره حيث اوردها بسند صحيح وذكر انه تلقاها عن عدة من ثقاة مشايخه فقوله انها كذب محض ومجازفة من ترهاته وقوله

لم ينقل ولم يرو باطل فان مذهب مالك واحمد والشافعى رضى الله تعالى عنهم استحباب استقبال القبر الشريف فى السلام والدعاء وهو مسطر فى كتبهم وصرح به النووى فى اذكاره وايضاحه وقال السبكى صرح اصحابنا بانه يستحب ان يأتى القبر ويستقبله ويستدبر القبلة بعيد من رأس القبر نحو اربع اذرع فيسلم عليه صلى الله تعالى عليه وسلم ثم يتأخر ويسلم على ابى بكر رضى الله تعالى عنه ثم يتأخر ويسلم على عمر رضى الله تعالى عنه ثم يرجع لموقفه الاول مستقبلا للقبر ويدعو بما اراد وقد نقل عن ابى حنيفة رضى الله تعالى عنه انه يستقبله صلى الله تعالى عليه وسلم فى الزيارة ثم يستقبل القبلة بعده ويدعو كما ذكره السروجى من ائمتنا وقيل فى قوله وسيلة ابيك آدم ان آدم عليه الصلوة والسلام لما اكل من الشجرة ثم ندم قال يا رب اسئلك بحق محمد الا غفرت لى فقال له الله كيف عرفت محمدا فقال لانى رأيت على قوائم العرش لا اله الا الله محمد رسول الله فعرفت انك لم تضف لنفسك الا احب الخلق اليك فقال صدقت يا آدم انه لاحب الخلق الى ولولاه ما خلقتك وهو حديث صحيح رواه الحاكم (قال الله تعالى ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك الآية) استدل بهذه الآية على ما ادعاه من التوسل به صلى الله تعالى عليه وسلم وقبول التوسل به كما ينادى عليه لوجدوا الله توابا رحيما لتعليق قبول استغفارهم على استغفاره صلى الله عليه وسلم لهم واستؤنس به لاستحباب استقباله ايضا دون استقبال القبلة لانه صلى الله تعالى عليه وسلم حى فى قبره يسمع دعاء زائره ومن جاء عظيما لرجاء شفاعته له لاشك فى انه يتوجه اليه بقلبه وقالبه كما قاله ابن المقرى رحمه الله تعالى

* تخاطبه لما تناجيه مقبلا * على غيره فيها لاى ضرورة *

* ولو ردّ من ناجاك للغير طرفه * تميزت من غيظ عليه وغيرة *

فتدبر (وقال مالك وقد سئل عن ايوب السختيانى) وهو الامام ابو بكر البصرى التابعى سيد الفقهاء والمحدثين روى عنه مالك والثورى وغيره والسختيانى بكسر السين نسبة لعمل السختيان وهو الجلد المدبوغ وهو معرب وتاؤه تفتح وتكسر اخرج له الستة وتوفى سنة احدى وثلاثين ومائة وقيل غير ذلك (ما حدثتكم) اى رويت لكم (عن احد) من مشايخه (الا وايوب افضل منه قال) مالك (وحج حجتين) وكنت حاجا اذ ذاك (فكنت ارمقه) اى انظر اليه يقال رمقه اذا نظر اليه (ولا اسمع منه) شيئا يتكلم به لطول صمته كذا قيل والظاهر انه اراد لا اسمع منه الحديث فارويه عنه لما سيأتى من قوله كتبت عنه (غير انه كان اذا ذكر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) عنده (بكى حتى ارحمه) اى يرق قلبى عليه رحمة له لما اراه منه (فلما رأيت منه ما رأيت) واجلاله للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم) واتباع سنته فى جميع احواله المقتضية لمحبة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وخشوعه لذكره علمت شدة ديانته وانه

ثقة ظاهر العدالة فسمعت منه و (كتبت عنه) الحديث وروّيته عنه وهذا يدل على كمال ورعه فى الرواية وانه لا مروى عن كل احد حتى يختبره وبكاؤه اما لتحسره على انه لم يره صلى الله تعالى عليه وسلم واشتياقه له اولخوفه من تقصيره فى اتباعه اولاجلاله وتذكر مهابته حتى كانه يراه وهو اقرب للسياق (وقال مصعب) بصيغة المفعول علم منقول من الفعل الشديد (ابن عبد الله) بن مصعب بن ثابت الزبيرى الحافظ احد رواة الامام مالك (كان مالك) بن انس رضى الله تعالى عنه ورحمه (اذا ذكر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) عنده (تغير لونه) بان يصفر كما يعترى من اشتد خوفه من شئ (وينحنى) اى يتضاءل لشدة خشوعه حتى يصير كالمنحنى (حتى يصعب ذلك على جلسائه) وتلامذته لخوفهم عليه (فقيل له فى ذلك) اى سئل عنه وما سببه (فقال لو رأيتم ما رأيت) من السلف من خشوعهم واجلالهم لذكره صلى الله تعالى عليه وسلم (لما انكرتم على ما ترون) مما شاهدتموه من حالى (لقد رأيت محمد بن المنكدر) بن عبد الله التيمى المدنى الحافظ توفى فى سنة خمس ومائتين اخرج له الستة (وكان سيد القراء) اى كان فى عصره رئيس العلماء العارفين بالقرأن وتفسيره ووجوه قراءته واحكامه (لا نكاد نسأله عن حديث ابدا الا يبكى حتى نرحمه) شفقة عليه لما نراه من اضطرابه لشدة مهابته لذكره صلى الله تعالى عليه وسلم او لشدة شوقه الى لقائه وتأسفه على عدم رؤيته صلى الله تعالى عليه وسلم وكاد هنا زائدة لتأكيد الكلام وقد ورد فى كلامهم كثيرا كما فى القاموس وهو احد الوجوه فى قوله تعالى لم يكد يراها اى لم تره وهو المراد وابدا لمطلق الاستغراق ويكون لاستغراق الازمنة المستقبلة فهى هنا لحكاية الحال الماضية وتنزيلها منزلة ما حضر واستمر كالمضارع فى قوله هنا الا يبكى قال الامام مالك رحمه الله تعالى (ولقد كنت ارى جعفر بن محمد) اللام فى جواب قسم مقدر ووقع فى بعض النسخ هنا تلقيب جعفر بانه (الصادق) ومحمد هو الباقر بن زيد العابدين ابن على بن الحسين بن على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنهم (وكان كثير الدعابة) بضم الدال والعين المهملتين والف وباء موحدة وهى المزاح (والتبسم) وهو اقل الضحك والجملة معترضة ومع كثرة مزاحه وانشراح صدره (اذا ذكر عنده النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اصفر) لونه وتغير وجهه لمهابته واجلاله لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (وما رأيته يحدث عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا) وهو (على طهارة) اى بوضوء لنقل الحديث فيعلم منه نفى الحدث الاكبر بالطريق الاولى وذلك لتعظيم الحديث (ولقد اختلفت اليه زمانا) كثيرا اى ذهبت اليه مرارا كثيرة يقال اختلف اليه اذا جاء وذهب واتى وقتا بعد وقت فى اوقات مختلفة فنزل اختلاف الاوقات منزلة اختلاف الذوات وضمير اليه لجعفر المذكور (وما كنت اراه الا) مستمرا (على ثلاث خصال

اما مصليا واما صامتا) لايتكلم (واما يقرؤ القرأن) فيناجى ربه (ولا يتكلم فيما لا يعنيه)
بفتح اوله اي يهمه و يجد به نفعا اصون لسانه عن اللغو (وكان من العلماء) بالعلوم
الشرعية (و) من (العباد الذين يخشون الله) وهذا حاله فى منزلته وخلوته والدعابة
والتبسم اذا كان فى ملأ من الناس تلطفا بهم وحسن خلق فلا منافاة بينهما كما توهم
قال مالك رحمه الله تعالى (ولقد كان عبد الرحمن بن القاسم) بن محمد بن
ابو بكر الصديق احد فقهاء المدينة توفى رحمه الله تعالى سنة احدى وثلاثين ومائة
وابوه احد الفقهاء السبعة (يذكر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فينظر الى لونه كانه
نزف منه الدم) نزف مبنى للمجهول ومعناه سال وفيه تسمح اوتقدير اذا اللون لاينزف
والمراد انه سال دمه فاصفر صفرة مفرطة لان حمرة البشرة بما تحتها من الدم
وتوهم بعضهم ان معناه انه احمر خجلا واعترض بان المناسب لقوله (وقد جف لسانه
فى فمه) الاصفرار لا الاحمرار ثم قال ولعله يحصل له حالة خجل ثم حالة خوف وهو
من عدم التأمل وجفاف اللسان بذهاب ريقه لخوفه (هيبة لرسول الله صلى الله
عليه وسلم) مفعول له لما قبله وقيل لمقدر ليتحد فاعلاهما ولا حاجة اليه وان جاز
(ولقد كنت اتى عامر بن عبد الله بن الزبير) بن العوام العابد الجليل القدر اخرج له
الستة وتوفى بعد عشرين ومائة وترجمته معروفة (فاذا ذكر عنده النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم بكى حتى لايبقى فى عينيه دموع) اى لبكائه بكاء شديدا لمامر
(ولقد كنت اتى صفوان بن سليم) مصغر وهو مولى حميد ابن عبد الرحمن الزهرى
القرشى مات سنة اثنين وثلاثين ومائة وكان اكثر اهل المدينة عبادة وزهدا وفضلا
وبها توفى كما قال (وكان) صفوان المذكور (من المتعبدين) اى المكثرين للعبادة
المداومين عليها (المجتهدين) فى العبادة المجدين فيها ويحتمل ان يكون وصل
المرتبة الاجتهاد فى احكام الدين لزيادة فضله واحاطته بالسنة وهو جملة معترضة
(فاذا ذكر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عنده بكى فلا يزال يبكى حتى يقوم الناس
عنه ويتركوه) لاتصال بكائه وطوله (ولقد رأيت الزهرى) الامام محمد بن مسلم بن
عبيد الله بن عبد الله بن شهاب التابعى الامام الجليل المشهور توفى فى رمضان سنة
اربع وعشرين ومائة وهو ابن اثنين وسبعين كما تقدم (وكان من اهنا الناس) اى
اسهلهم واحسنهم خلقا والينهم عريكة مستعار من هنو الطعام اذا ساغ وسهل
(واقربهم) الى الناس لحسن تردده لهم ومع ذلك (اذا ذكر عنده النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم فكانه ماعرفك ولا عرفته) لدهشته وحيرته واعراضه عمن عنده وذهوله
عن معرفته لاشتغال قلبه وحواسه بالفكر لاجلاله له وتعظيمه وقد ذكر مالك
رحمه الله تعالى هؤلاء بيانا لانه اقتدى بهم واهتدى بهديهم وان حاله لم يصل لحالهم
فلا يتعجب منه (وروى عن قتادة) تقدم بيانه (اى كان اذا سمع الحديث) يقرؤ

عنده (اخذه) اى عرض له واستولى عليه حتى كانه اخذه (العويل) بعين مهملة
هو صياح مع البكاء (والزويل) بفتح الزاى المعجمة وكسر الواو وياء ولام وهو القلق
والانزعاج لشدة الخوف يقال زال زويلة فى الدعاء اى ذهب ذعرة وهو مأخوذ
من الزوال لتغير حاله عما كان عليه (ولما كثر على) الامام (مالك الناس) اى اجتمع
عنده لسماع الحديث ناس لايحصون كثرة واتوه من كل فج (قيل) له (لو جعلت مستمليا)
اى احدا يجلس قريبا منك وتملى عليه الحديث فيأخذه عنك فيبلغهم و(يسمعهم)
مايعيده لهم لكثرتهم وبعد بعضهم عنك ممن فى آخر الحلقة ولو للتمنى للمناسبة
بينهما فى عدم الوقوع ولما لزم ما قالوه رفع صوت المبلغ كما هو المعتاد لم يرتض
ما قالوه من وضع مستمل فى الحلقة والاستملاء طلب الاملاء وهو القاء الكلام على الغير
(فقال) مالك مجيبا ارشادا لهم وتأدبا مستدلا بقوله تعالى (قال الله تعالى يا ايها الذين
آمنوا لا ترفعوا اصواتكم الى آخره) فقاس منع رفع الصوت فى مجلس قراءة الحديث
على منعه فى مجلسه حال حياته وبينه بقوله (وحرمته) اى احترامه وتوقيره
(حيا وميتا سواء) فكما يلزم الاول يلزم الثانى ثم نقل ما يوافق ما قاله مالك بقوله وكان
بن سيرين ربما يضحك فاذا ذكر عنده حديث النبى صلى الله تعالى عليه وسلم خشع
(وكان عبد الرحمن ابن مهدى) بن حسان ابو سعيد الحافظ الثقة البصرى
المعروف باللؤلوى احد اعلام الحديث وقال ابن المدينى اعلم الناس بالحديث ابن المهدى
توفى سنة ثمان وتسعين ومائة واخرج له اصحاب الكتب الستة (اذا قرأ حديث
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم امرهم) اى امر من حضر فى مجلسه (بالسكوت)
والانصات لاستماعه (وقال) مخاطبا لمن عنده (لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى
وتأول) الاية التى تلاها بجعل الصوت شاملا لحكايته وانه عام لهما ودال على (انه
يجب له) صلى الله تعالى عليه وسلم (من الانصات عند قراءة حديث ما يجب له عند
سماع قوله) حقيقة فى حياته لما فيه من التوقير وحرمته وحسن الادب كما قيل

*حديثه اوحديث عنه يطربنى *هذا اذا غاب اوهذا اذا حضرا*

فان قلت ما نقله عن مالك من انه لم يرض بمستمل فى مجلسه ينافى ما نقل عنه انه كان له
مستمل يبلغ الناس عنه قلت حاله الاول كان قبل كثرة الناس جدا بحيث يسمعون
كلامه بغير واسطة ثم كثر الناس عليه بعد ذلك فرأى ان المستملى لابد منه فاتخذه
للضرورة وقد قال المحدثون انه لايضع مستمليا اذا سمعوه لان اعلى مرتبة السماع
ما كان من لفظه فان لم يتيسر ذلك اتخذ مستمليا واحدا فاكثر واستدلوا لذلك بانه
صلى الله تعالى عليه وسلم خطب الناس بمنى على بغلته الشهباء وعلى رضى الله
تعالى عنه يبلغ الناس فعلم ما تقرر انهم ان كثروا بحيث لايكفى مستمل واحد زادوا بقدر
الحاجة ويكون المستملى على مكان واحد مرتفع من كرسى ونحوه اوقائما ان امكنه

﴿فصل في سيرة السلف﴾

وعادتهم (في تعظيم رواية حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم و سنته) عطف تفسير لشمولها لاقواله وافعاله وجميع مايتعلق به وفي نسخة سنته بصيغة الجمع وفي اخرى وسنتهم وهذا تتمة للفصل الذي قبله كما ادرجه في ترجمته لكنه فصله لاختصاصه بالحديث واتى له بشاهد رواه مسندا فقال (حدثنا الحسين بن محمد الحافظ) المعروف بابن سكرة كما تقدم (قال حدثنا ابو الفضل ابن خيرون) تقدمت ترجمته وانه يجوز فيه الصرف وعدمه (قال حدثنا ابو بكر البرهاني) وهو احمد بن محمد بن احمد بن غالب الخارزمي الشافعي شيخ بغداد واحد الاعلام بها صاحب التصانيف الجليلة بها وتخريج الصحيحين روى عنه كثير كالصوري والبيهقي والخطيب وابي اسحق الشيرازي وابن خيرون وتوفي ببغداد في اول رجب سنة خمس وعشرين واربعمائة وترجمته معروفة والبرقاني بباء موحدة وراء مهملة وقاف (وغيره قال حدثنا ابو الحسن الدارقطني) شيخ الاسلام الحافظ تقدم وانه منسوب لدارقطن محلة ببغداد وراؤه مفتوحة و بعضهم يسكنها كما قاله ابن مرزوق والاولى الاول (قال حدثنا ابو علي بن مبشر) ابن اسمعيل الكلبي الثقة وشينه معجمة مشددة مكسورة بوزن اسم الفاعل (قال حدثنا احمد بن سنان القطان) ابو جعفر الحافظ الواسطي الثقة امام اهل زمانه توفي سنة ثمان وخمسين ومائتين واخرج له اصحاب السنن (قال حدثنا يزيد بن هارون) ابو خالد السلمي الواسطي العابد الزاهد احد الاعلام قال ابن المديني مارأيت احفظ منه وعمي في آخر عمره وتوفي سنة ست ومائتين واخرج له الستة (قال حدثنا المسعودي) عبد الرحمن ابن عبد الله بن عتبة بن عبد الله بن مسعود ولذا عرف بالمسعودي وهو كوفي روى عنه خلق كثير وهو ثقة كثير الحديث توفي سنة ستين ومائة و ترجمته في الميزان (عن مسلم البطين) بفتح الموحدة وكسر الطاء المهملة وهو مسلم بن عمران ابو عبد الله الكوفي وثقه احمد واخرج له الستة (عن عمرو بن ميمون) العابد التابعي الازدي ادرك زمنه صلى الله عليه وسلم ولم يلقه وهو ثقة حج مائة حجة وتوفي سنة اربع وسبعين ومائة (قال اختلفت الى ابن مسعود) اي ترددت عليه (سنة) تمييز (فما سمعته) اذا حدث (يقول قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) صونا لذكره وهيبة له واحتياطا في النقل عنه (الا انه حدث يوما) بحديث نقله (فجرى على لسانه قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم علاه كرب) اي ظهر عليه حزن وغم يؤدي لضيق نفس (فرأيت العرق يتحدر) اي ينزل سائلا منه منفصلا عن جبهته (ثم قال) ابن مسعود (هكذا) قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كروايته لكم مساوي له لفظا ومعنى (ان شاء الله) اشارة الى انه لم يصدر عن جزم منه وهذا بناء منه على عدم جواز الرواية بالمعنى وفيه خلاف مشهور تفصيله في كتاب

ابن الصلاح وهو احتراز عن الكذب عليه وان يقول ما لم يقله (او فوق ذا) اي يزيد عليه يسيرا (او مادون ذا) اي ينقص عنه (او قريب من ذا) بمخالفته بامر قليل جدا وهو احتياط منه رضي الله عنه (وفي رواية فتربد وجهه) بباء موحدة بعد راء ثم دال مهملتين اي تغير لونه لكموده من شدة الكرب (وقد تغرغرت عيناه) اي امتلأتا بدمع متردد كالماء في فم من يتغرغر به فهو مجاز كما في حديث تقبل توبة العبد ما لم يغرغر اي تبلغ روحه حلقومه كماء الغرغرة (وانتفخت اوداجه) جمع ودج بفتحتين وهو عرق غليظ في العنق والودجان يقطعهما الذابح وانتفاخهما كبرهما بغليان الدم لانتشار الحرارة الغريزية لخوف ونحوه (وقال ابراهيم بن عبد الله بن قريم) بضم القاف وفتح الراء المهملة ومثناة تحتية وميم مصغر قوم (الانصاري قاضي المدينة) ذكره في التهذيب والميزان واخرج له الترمذي في علل جامعه ولم يترجموه وروى عن مالك كما (قال مر مالك بن انس على ابي حازم) بحاء مهملة وزاي معجمة وهو سلمة بن دينار الاعرج احد الاعلام الذي روى عنه مالك وغيره وهو ثقة لم يكن في زمانه مثله توفي سنة اربعين ومائة واخرج له الستة (وهو يحدث) اي يروي الحديث لمن عنده (فجازه) اي تجاوز مجلسه ولم يقف (وقال) حين سئل عن سبب ذلك (اني لم اجد موضعا اجلس فيه) لكثرة الناس (فكرهت ان اخذ) اي اسمع لاروي (حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وانا قائم) صونا لحديثه عن الابتذال والامتهان واستماعه في محل يخل بتعظيمه وهكذا كان دأبه ولذا رفع الله قدره وشيد ذكره وهذا لا ينافي مانقل عنه من انه كان لا يعمل بالحديث ما لم يوافق عمل اهل المدينة فانه لشدة احتياطه في احاديث الاحكام فلا وجه لايراد هذا هنا وقيل انه تعظيم شئ آخر لامساس له هنا (وقال مالك جاء رجل الى ابن المسيب فسأله عن حديث وهو مضطجع) اي واضع جنبه على الارض والجملة حالية (فجلس وحدثه فقال له الرجل وددت) اي كان احب الي (انك لم تتعن) اي لم تتعب وتترك راحتك (فقال اني كرهت ان احدثك عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وانا مضطجع) تعظيما للحديث وتأدبا معه (وروي عن محمد بن سيرين انه قد يكون يضحك فاذا ذكر عنده) في حال ضحكه (حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خشع) اي اظهر الخشوع والاستكانة تأدبا ومهابة (وقال ابو مصعب كان مالك لا يحدث بحديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا وهو على وضوء) اي متوضأ متطهرا (اجلالا له) اي للحديث (وحكى مالك ذلك) اي الحديث على وضوء (عن جعفر ابن محمد) الباقر بن زين العابدين بن الحسين بن علي بن ابي طالب وقد تقدم قريبا (وقال مصعب بن عبد الله) وهو الزبيري كما تقدم كان مالك بن انس اذا حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم) اي اذا اراد ان يحدث عنه (توضأ وتهيأ) للحديث

باصلاح هيئته فى ثيابه وجلوسه (ثم يحدث) تعظيما لذلك (قال مصعب فسئل عن ذلك) اى عن الداعى له (فقال انه حديث لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) وفى نسخة لانه وهو من بليغ المدح كما اذا قيل لك لم عظمت فلانا فيقول انه فلان ولا تزيد اى حقيق بذلك وشهرة استحقاقه تغنى عن بيان وجهه فلا حاجة لتقدير وهو جدير بالتعظيم كما قيل (وقال مطرف) بزنة الفاعل بطاء وراء مشددة مهملتين وفاء وهو مطرف بن عبد الله بن مطرف بن سليمان بن يسار مولى ميمونة وهو ابن اخت الامام مالك توفى سنة عشرين ومائتين وترجمته فى الميزان (كان اذا اتى الناس مالكا) لطلب العلم وهو داخل منزله وطلبوا خروجه لاقرائهم (خرجت اليهم الجارية) اى ارسل لهم جارية له فيه (فتقول لهم) لما تعلم من العبادة (يقول لكم الشيخ) تعنى مالكا (تريدون الحديث) بتقدير اداة الاستفهام اى تريدون قراءة الحديث وسماعه (او المسائل) تعريفه للعهد اى مسائل الفقه (فان قالوا) نريد (المسائل خرج اليهم) بسرعة من غير تهيئ (وان قالوا) نريد قرائة (الحديث دخل مغتسله) اى موضعه المعد للغسل والطهارة فى بيته (واغتسل وتطيب وتضمخ بما تطيب رايحته (ولبس ثيابا جددا) بضم اوله وثانيه جمع جديد كسرير وسرر (ولبس ساجه) هو الطيلسان مطلقا او الاخضر او الاسود منه وهو شئ كالبرنس (وتعمم) اى وضع عمامته المعدة للتجمل على رأسه (ووضع على رأسه رداءه) على عادة اشراف العرب (وتلقى له منصة) فى محله المعدله لاقرائه وهو بكسر الميم وفتحها شئ عال كالكرسى والسرير من نصصته اذا رفعته (فيخرج) من بيته (للناس ويجلس عليها وعليه الخشوع) اى السكينة والوقار (ولا يزال يبخر) بالبناء للمفعول ويجوز بناؤه للفاعل بمعنى يأمر (بالعود) الهندى المعروف فيوقد عنده ليعطر مجلسه به (حتى يفرغ من) قراءة (حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اجلالا له وتكريما وتطييبا فانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يحب الرايحة الطيبة فجعل مجلس حديثه كمجلسه حبا كما تقدم (قال غيره) اى غير مطرف (ولم يكن يجلس على تلك المنصة الا اذا حدث عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) فعلم انه انما فعله رعاية للحديث لا لنفسه (قال ابن اويس) هو اسمعيل بن عبد الله ابن اويس بن ابى عامر وقيل اسماعيل بن عبد العزيز بن عبد الله توفى سنة ست او سبع وعشرين ومائتين فى رجب وهو ابن عم الامام مالك وابن اخته وزوج بنته روى عنه وعن غيره ولازم مالكا احدى وعشرين سنة واخرج له فى الصحيحين والسنن وضعفه النسائى لانه كان مغفلا كما قاله ابو حاتم وترجمته فى الميزان (فقيل لمالك فى ذلك) اى سئل عن سبب ما كان يفعله من لباسه واغتساله وتبخره وجميع ما تقدم عنه (فقال احب ان اعظم حديث رسول الله

صلى الله تعالى عليه وسلم) بما فعلته (ولا احدث به) اى بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم (الا على طهارة) كاملة (متمكنا) اى جالسا فى مكانه على هيئة مستقرة غير مستوفز لما فيه من عدم المبالاة بما حدث عنه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (وكان) مالك رحمه الله تعالى (يكره ان يحدث) اى ينقل الحديث وهو مار (فى الطريق او وهو قائم) على رجليه (او مستعجل) اى على عجلة فيتأنى فان الخير كله فى ترك العجلة ولذا قيل العجلة من الشيطان وقد يكون مع المستعجل الزلل فيخطئ فيما نقله (وقال) مالك (احب ان افهم حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) فلذا تأنى فى نقله ليكون اعون على فهمه (وقال ضرار بن مرة) ابو سنان الشيبانى الكوفى العابد الثقة اخرج له اصحاب السنن (كانوا) اى السلف ومن لقيهم من التابعين يكرهون ان يحدثوا) اى ينقلون الحديث النبوى (على غير وضوء) وطهارة (ونحوه) روى (عن قتادة بن النعمان) وقد تقدمت ترجمته وفى نسخة هنا (وكان الاعمش) سليمان ابن مهران (اذا احب ان يحدث وهو على غير وضوء) ولم يتمكن منه (تيمم وكان قتادة لا يحدث الا على طهارة) ويأتى الكلام على ذلك آخر الفصل (وقال عبد الله بن المبارك) تقدمت ترجمته (كنت عند مالك) بن انس (وهو يحدثنا) اى ينقل لنا الحديث (فلذغته عقرب) والعقرب من ذوات السموم المعروفة وسمها فى رأس ذنبها فاذا ضربت به احدا انتشر فيه سمها فيقتله ولدغها ضربها بعقد ذنبها وقد اشتهر على الالسنة ان اللذغ بذال وغين معجمتين وقد قال الشراح هنا ان الصحيح ان داله مهملة وغينه معجمة وانه يقال لدغته العقرب ولسعته الحية ويقال عقرب وعقربة ونقل بعض العلماء ان الذال والغين المعجمتين لا يجتمعان فى كلمة عربية اما الدغ بالنار فهو باعجام الاولى واهمال الثانية معناه الاحراق وقوله (ست عشر مرة) كذا فى النسخ وصوابه ست عشرة بلحوق التاء فى جزئه الثانى كذا قيل وفيه نظر (وهو يتغير لونه ويصفر) عطف تفسير (ولا يقطع حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) احتراما له واجلالا (فلما فرغ من المجلس) اى اتم نقل الحديث (وتفرق عنه الناس) المستمعون له (قلت له يا ابا عبد الله لقد رأيت منك اليوم عجبا) اى امرا يتعجب منه لصبرك وعدم تحريكك (قال نعم) ما قلته صحيح (انما صبرت اجلالا لحديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اذ لم يتحرك ويتزعج وهو يحدث (وقال ابن مهدى مشيت يوما) مع مالك الى العقيق وهو اسم لمواضع كثيرة بالحجاز والمراد به هنا موضع قريب من المدينة على نحو ميلين منها يتنزه فيه اهل المدينة (فسألته وانا ماش معه فى الطريق (عن حديث) من احاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم (وانتهرنى) اى زجرنى والنهر الزجر كما قال الله تعالى * واما السائل فلا تنهر (وقال) بعد الزجر باسكت ونحوه موبخا لى (كنت فى عينى) كناية عن اعتقاده فيه الناشئ عن

رؤيته (اجل من ان تسألنى) فيه توسع معروف كاكثر من ان يحصى اى اعظم من السائلين (عن حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ونحن نمشى) جملة حالية (وسأله) يعنى الامام مالك رحمه الله تعالى (جرير بن عبد الحميد القاضى) الضبى الثقة المحدث صاحب المصنفات الجليلة روى عنه البخارى وغيره من اصحاب الكتب الستة وكان رحلة توفى سنة ثمان وثمانين ومائة (عن حديث وهو قائم) الضمير لجرير ويجوز ان يكون لمالك رحمه الله تعالى (فامر) مالك (بحبسه) قيل مالك لم يكن حاكما حتى يحبسه بامره واجيب بان الولاة كانوا يمتثلون امره فالمعنى ارسله للحاكم ليحبسه فحبسه وفى تاريخ الذهبى ان مالكا كان يجلس فى المسجد يحدث ويقضى فان كان اذن له فى القضاء فى بعض الامور فهو على ظاهره (فقيل له ان ذلك قاض) لايليق حبسه (فقال القاضى احق من ادب) بالهمزة المضمومة لابواو وان رسم بها فى بعض النسخ يعنى ان العلماء والاشراف اولى برعاية الادب فاذا تركوه كانوا احق بذلك من العوام (وذكر ان هشام بن الغازى) بغين وزاى معجمتين بزنة فاعل من الغزو قالوا وهذا ليس بصواب فان هشام بن الغازى بن ربيعة تابعى مات قبل مالك ولايروى عنه والحكاية المذكورة انما وقعت لمالك مع هشام بن عمار خطيب دمشق كما رواها مسندة البرهان الحلبى وقيل انها تصحفت على الناسخ وصوابها القارى بالقاف والراء المهملة وقيل مافى الاصل صواب وهو هشام ابن الغازى بن ربيعة المشاين وفيه ان الحافظ الحلبى اسند رواية هذه القصة عن هشام بن عمار كما علمت (سأل مالكا عن حديث وهو) اى هشام او مالك (واقف فضربه عشرين سوطا) وهذا دليل على انه كان مأذونا له فى اجراء الاحكام على تلامذه اوكان يعلم برضاهم بحكمه فهو محكم فيهم (ثم اشفق عليه) اى حصل عنده رقة قلب وشفقة لضربه لا لانه ضربه بغير ذنب كما قيل و هذا بناء على انه يجوز ان يزاد التعزير على عشرة اسواط فى غير الحدود كما هو مذهب ابى حنيفة والحديث الوارد فى النهى عنه فيه كلام للمحدثين ليس هذا محل تفصيله ولعله وجه اشفاقه عليه (فحدثه) اى افاد مالك هشاما وروى له (عشرين حديثا) تطييبا لخاطره (فقال هشام) بعد ذلك لاصحابه (وددت) اى احببت ان يقال وددت كذا اذا رغبت فيه او احببته (لو زادنى سياطا) اى ضربا بها (ويزيدنى حديثا) بعدد زيادة ضربه ولو مصدرية اوشرطية جوابها مقدر (وقال عبد الله بن صالح) الجهنى ويقال له الحربى العجلى وله ترجمة فى الميزان مطولة توفى سنة ثلاث وعشرين ومائتين وعمره ست وثمانون سنة واخرج له اصحاب السنن (كان مالك والليث) بن سعد بن عبد الرحمن الفهرى المصرى الفقيه البارع الذى قيل فيه انه كان افقه من مالك الا ان اصحابه اضاعوه وهو من تبع التابعين توفى سنة خمس وسبعين ومائة وحيث قال مالك اخبرنى من ارضى به

من اهل العلم فهو الليث (لا يكتبان العلم الا وهما طاهران) اى على طهارة تامة وجملة هما طاهران حالية يجوز اقترانها بالواو وتركها لا صفة والواو هنا للالصاق كما قيل وتحقيقه فى كتب العربية والظاهر ان المراد بالعلم مطلقه لا الحديث (وكان قتادة يستحب ان لا يقرأ احاديث النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الا على وضوء) اى متوضأ تعظيما لحديثه صلى الله تعالى عليه وسلم (ولا يحدث) بتشديد الدال اى ينقل الحديث ويجوز بناؤه للمفعول ان يسمع من غيره حديثا (الا على طهارة) قيل المراد انه يغتسل بقرينة ما قبله (وكان الاعمش) سليمان بن مهران كما تقدم (اذا اراد ان يحدث وهو على غير وضوء) جملة معترضة او حالية (تيمم) ان لم يحضر عنده الماء بسهولة لشدة اعتنائه بتعظيم الحديث وللمحدث ادب آخر ذكرها المحدثون فافتتاح اول مجلسه وختمه بالحمد لله والصلاة والسلام على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وان لا يقوم من مجلسه لاحد من الناس

فصل ومن توقيره صلى الله تعالى عليه وسلم) اى تعظيمه وتبجيله (وبره) اى صلته ورعاية جنابه وللبر معان اخر غير مرادة هنا والجار والمجرور خبر مقدم لقوله (بر آله) تقدم ان فى آله خلاف فقيل انهم ذوو القربى ومن يحرم عليهم الصدقة وهم المؤمنون من بنى هاشم وبنى المطلب دون غيرهم كما بينه الفقهاء وان اصله اول وقيل اهل وبرهم الاحسان اليهم ومعاونتهم ومودتهم ورعايتهم (وذريته) الذرية النسل من الاولاد واولادهم وهو بضم الذال وكسرها وفى اشتقاقه خلاف فقيل من الذر وهو صغار النمل اعتبارا باول احوالهم وقيل من ذرأ بالهمز بمعنى خلق والتزم ابدال الهمز ياء بعد النقل (وامهات المؤمنين) فسره بقوله (ازواجه) صلى الله تعالى عليه وسلم ورضى عنهن جمع زوج لاطلاقه على الذكر والانثى او زوجة على لغة فيه واطلاقه عليهن لحرمة نكاحهن بعده واختلف فى وجهه هل هو لتكريمه صلى الله تعالى عليه وسلم او انه حى ولذا اوجبت النفقة عليهن لحرمة نكاحهن بعده وهل هن امهات للمؤمنين فقيل لا والاحترام نكاحهن عليه وقيل نعم لوجوب اكرامهن لهن وهو تشبيه بليغ لا يراعى فيه جميع وجوه الشبه واسماء ازواجه صلى الله تعالى عليه وسلم مشهورة فى السير قدمناه ايضا (كما خص) اى حث وحرض بطلبه من كل احد (عليه) اى على يد من ذكر (عليه الصلوة والسلام) بما روى عنه من الاحاديث وسيأتى بعضها (وسلكه السلف الصالح) من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من العلماء العاملين والتقدير سلك طريقه او شبه يوهم بطريق مسلوك فهو استعارة مكنية مخيلة ثم ايده بدليل من القرآن فقال (قال تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس) اصل معناه القذر الحسى ثم استعير للاثم والذنب وهو المراد (اهل البيت) نصب على النداء والمدح والاختصاص ويطهركم تطهيرا ترشيح للاستعارة

الرجس للذنب واستشهاده بهذه الآية على ان اهل بيته ذريته وازواجه كما اختاره
ابن عطية فى تفسيره وهو احد الاقوال فيه وقيل لهم اهل الكساء الآتى بيانهم على
وفاطمة وابناهما لما روى فى الحديث انه خرج عليه الصلوة والسلام غداة وعليه
مرط مرجل فادخلهم فيه ثم تلى الآية وقيل المراد زوجاته وتذكير الضمير يأباه
ووجه الاستشهاد ان من طهره الله من الآثام احبه الله ورسوله ومن احبأه يلزمنا
محبته وبره وصلته (وقال تعالى وازواجه امهاتهم) ان كانت شاهد التسمية امهات
فهو ظاهر وان كان للزوم برهن وتكريمهن فلان حق الوالدة على الولد ولزوم برها
امر معلوم مركوز فى الطباع لان وجه الشبه وجوب احترامهن وبرهن والحصر
يقتضى اكرامهن احق فى الامهات الحقيقية ثم اسند المصنف رحمه الله تعالى حديثا
صحيحا شاهدا لما قدمه رواه من طريق له عن مشايخه مع انه فى غيره من السنن
كمسلم والنسائى بسند اعلى مما هنا واعتذر له بانه تنويع لما فيه من الفائدة الزائدة ولانه
من التدليس فقال (اخبرنا الشيخ ابو محمد) عبد الله (بن احمد) التميمى (العدل من كتابه
وكتبت من اصله) اشارة الى ضبطه فيما رواه عنه والمراد باصله نسخته التى قرأ منها
(قال حدثنا ابو الحسن المقرى الفرغانى) بفاء وغين معجمتين نسبة لفرغانة اسم بلدة
(قال حدثتنى ام القاسم بنت الشيخ ابى بكر الخفاف قال حدثنى ابى قال حدثنا حاتم
هو ابن عقيل قال حدثنا يحيى هو ابن اسمعيل قال حدثنا يحيى هو الحمانى قال حدثنا
وكيع) هو وكيع بن الجراح بن فليح بن عبدى الروا بيلى احد الاعلام المشهورين
توفى سنة سبع وتسعين ومائة اخرج له الائمة الستة (عن ابيه) الجراح (عن سعيد
ابن مسروق) الثورى الثقة توفى سنة ست وعشرين ومائة واخرج له الستة (عن
يزيد بن حيان) بفتح الحاء المهملة ومثناة تحتية وهو التيمى الثقة (عن زيد ابن ارقم
رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدكم بالله) اى اسألكم بالله
واقسم عليكم به يقال انشدك الله وبالله اى اذكرك به ثم استعمل فى القسم وصار حقيقة فيه
وليس السؤال بمراد هنا بل المراد حقيقته وتقدم فيه كلام (واهل بيتى) معطوف على الله
اى واذكركم اهل بيتى فلا تنسوا حقوقهم ورعايتهم فان رعايتهم رعاية لى وقيل انه منصوب
بنزع الخافض اى فى اهل بيتى كما روى فى هذا الحديث ولا وجه له فانه تعسف من راع له
ومثله قول المزى ومن تبعه هنا لعله فى اهل بيتى (ثلاثا) كرره للاهتمام به والتشديد فى رعايتهم
(قلنا لزيد) ابن ارقم راوى الحديث لما ذكره وما فى بعض النسخ لبريد من غلط الكاتب
(من اهل بيته) اى ما المراد بهم فى هذا الحديث (قال آل على) بن ابى طالب وهم
اولاده واهل بيته من اقاربه الادنون (وآل جعفر وآل عقيل وآل العباس) وهم
من تحرم عليهم الصدقة من اقاربه كما تقدم وهذا كما رواه مسلم فى فضائل آل البيت
فى خطبة خطبها صلى الله تعالى عليه وسلم وهو راجع من حجة الوداع فى آخر عمره
قال فيها اما بعد ايها الناس انما انا بشر مثلكم يوشك ان يأتينى رسول ربى فاجيبه

وانى تارك فيكم الثقلين كتاب الله فيه الهدى والنور فتمسكوا به واهل بيتى وفيه ماذكره
المصنف رحمه الله تعالى من تفسيره لاهل بيته بما ذكر وهو الذى فهم عنه صلى الله
تعالى عليه وسلم هنا لانه علم بالوحى مايكون بعده فى امر الخلافة والفتن فلذا اخصهم
وحرض على رعايتهم كما اقتضاه المقام وماقيل من ان جوابه هنا خاص باقاربه وهو
احد الاقوال ويعارضه الآية الدالة على دخول ازواجه صلى الله تعالى عليه وسلم
واهل بيته كما تقدم لاوجه له لما عرفته اى من وجه تخصيصه هنا (وقال صلى الله
عليه وسلم) فى حديث رواه الترمذى عن زيد بن ارقم وجابر وحسنه (انى تارك فيكم)
اشارة الى قرب اجله صلى الله تعالى عليه وسلم وانه وصية لامته (ما ان اخذتم به)
اى تمسكتم وعلمتم به واتبعتموه وما موصوفة وان شرطية والجملة صفة او موصولة
وصلته (لن تضلوا) بمخالفة الشريعة والطريق المستقيم (كتاب الله) بدل مفسر له
(وعترتى) بمثناة فوقية ومعناه (اهل بيتى) السابق بيانهم ووجه تخصيصهم
هنا وروى لم تضلوا وماقيل ان قوله اخذتم به هنا يدل على ارادة المجتهدين منهم
فلا يبعد دخول الصحابة المتصفين بهذه الصفة كما دلت الآية على دخول ازواجه
صلى الله تعالى عليه وسلم غير مناسب لسياق الحديث والمراد منه هنا (وانظروا كيف
تخلفونى فيهما) اى بعد وفاتى انظروا فى عملكم بكتاب الله واتباعكم لاهل بيتى
ورعايتهم وبرهم بعدى فان مايسرهم يسرنى ومايسوءهم يسوءنى (وقال عليه الصلوة
والسلام) فى حديث لم يخرجوه (معرفة آل محمد براءة من النار) اى معرفة مقدارهم
وحرمتهم ورعاية مايجب من حقوقهم فان محبتهم لاجله صلى الله تعالى عليه وسلم
يدل على خلوص محبته له وذلك مرتبة مستوجبة لذلك تفضلا من الله وكرامة
لرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم (وحب آل محمد جواز على الصراط) اى مرور
عليه بسرعة جوازا موصلا للجنان فان المرء من احب ومن فسر الجواز بالجائزة بمعنى
العطية فقد تعسف تعسفا غريبا (فى الولاية) بفتح الواو ويجوز كسرها لانها
ترد بمعناها وان اشتهرت فى الملك والحكومة اى الموالاة بالنصرة والمودة (لآل محمد
امان من العذاب وقال بعض العلماء معرفتهم) اى معرفة آل المذكورة (هى معرفة
مكانهم صلى الله عليه وسلم منه) والمراد بالمكان المنزلة المعنوية وهى قرب نسبهم
ومراتبهم منه صلى الله تعالى عليه وسلم ولذا علق به قوله منه (واذا عرفهم بذلك)
اى بسبب علو مراتبهم لقربه منه (عرف وجوب حقهم وحرمتهم) اى احترامهم
واكرامهم (بسببه) صلى الله تعالى عليه وسلم لا لغرض آخر وقد دعا النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم لمن احبهم لحبه صلى الله تعالى عليه وسلم ومن اراد تفصيل هذا
فلينظر كتاب السيد السمهودى الذى صنفه فى فضائل آل البيت فانه جمع فاوعى
جزاه الله خيرا (وعن عمر بن ابى سلمة) بضم ففتحتين فى حديث رواه الترمذى وابن

ابى سلمة هو الصحابى المخزومى ربيبه صلى الله عليه وسلم وابن اخيه من الرضاع وترجمته مشهورة (لما نزلت) آية (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت الآية) وقد قدمنا تفسيرها فكفيناه مؤنته هنا (وذلك) اى نزولها كان (فى بيت ام سلمة ام المؤمنين (دعا) جواب لما اى طلب صلى الله عليه وسلم ونادى (فاطمة (الزهراء رضى الله تعالى عنها (وحسنا وحسينا) سبطاه وريحانتاه رضى الله تعالى عنهما (فجللهم) اى غشاهم وغطاهم ومنه الجل للفرس (بكساء) وهو مرط من شعر كما ورد فى رواية اخرى (وعلى) كرم الله وجهه (خلف ظهره) صلى الله تعالى عليه وسلم اذا دخل الكساء ايضا وانما جعله خلف ظهره ليفرق بينه وبين زوجته وقت الدعاء (ثم قال اللهم هؤلاء اهل بيتى) ليس المراد الحصر وهو مراد لارادته اقرب الناس اليه نسبا (فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا) اى جنبهم الآثام والمعاصى وما يشينهم ولذا سموا اهل الكساء وادخالهم فى الكساء اشارة الى قربهم منه صلى الله عليه وسلم وان الله سترهم كما سترهم الكساء وانه صانهم واحرزهم بذلك تفاؤلا بذلك كما حول صلى الله تعالى عليه وسلم رداءه فى الاستسقاء اشارة الى تبدل الحال وتغيرها عما هى فيه وذلك سبب الدعاء وانما دعا لهم بما ذكر بعد ما ذكر الله تعالى انه اراد ذلك لهم وارادته تعالى لا تتخلف عن مراده اما تأكيده وتنويه بقدرهم ليعلم الناس به او المراد دوام ذلك وثباته وزيادته (وعن سعيد بن ابى وقاص) فى حديث رواه مسلم فى صحيحه (لما نزلت آية المباهلة) تقدم ان المباهلة تفاعل من البهلة وهى اللعنة اى الملاعنة وهى ان يقول كل من المتخاصمين فى المجادلة لعنة الله على الظالم منا والآية هى قوله تعالى فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم الى آخرها وذلك لما وفد عليه صلى الله تعالى عليه وسلم نصارى نجران ودعاهم للاسلام فلم يسلموا وادعوا حقية دينهم وانه لم ينسخ وقصتهم مفصلة فى كتب التفسير والسير (دعا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) جواب لما اى احضر عنده (عليا وحسنا وحسينا وفاطمة رضى الله عنهم) لانهم كانوا فى المباهلة يحضرون اولادهم واهلهم ويدعون بوقوع العقاب على الكاذب واهله جميعا ولذا قال (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم (اللهم هؤلاء اهلى) واقر بائى فامتنعوا من المباهلة لعلمهم بانه صلى الله عليه وسلم نبى وانه ما باهل نبى قوما الا واهلكهم الله تعالى ورضوا بالجزية وقال صلى الله عليه وسلم لو باهلوا لمسخوا قردة وخنازير واشتعل عليهم الوادى نارا وحكم المباهلة باق الى الآن وقد فعله العز بن عبد السلام فلم يمض الحول من باهله (وقال صلى الله عليه وسلم) فى حديث تقدم (فى على) ابن ابى طالب اى فى حقه وشانه وسبب قوله هذا ان اسامة قال لعلى لست مولاى انما مولاى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان هذا فى سفره وهو عند غديرهم وقد خطب الناس

فقال (من كنت مولاه) اولى عليه حكم والمولى له معان منها السيد وهو المراد والمعتق والمنعم والمعاهد والمعسر الى غير ذلك من المعانى وقال الشافعى رحمه الله تعالى المراد ولاء الاسلام وقوله (فعلى مولاه) اى سيده وناصره واستدل به على الولاء بعض الفقهاء وغيرهم يقول المراد بره وصلته وهو الموافق لسياق المصنف رحمه الله واستدل به بعض الشيعة على تقدم على كرم الله تعالى وجهه على غيره فى الخلافة ولا دليل لهم فيه لما عرفته من معانى المولى وانما المراد من احبنى يحبه لقوله (اللهم وال من والاه وعاد من عاداه) اى من كرهه غضب الله عليه وانتقم منه فالمعاداة من الله مجازا ومشاكلة (وقال فيه) اى فى حق على كرم الله وجهه كما فى مسلم (لا يحبك الا مؤمن ولا يبغضك الا منافق) لان من احب اصحابه واقرباءه لمحبته فهو مؤمن ومن كان بخلاف ذلك ففى قلبه كفر مضمر وان اظهر اسلامه كالخوارج والمقصود ذمه وتهديده والمبالغة فى النهى عنه وليكون ظاهره الاسلام وارتكب ما لا يليق باهل الاسلام سماه منافقا مجازا ومثله فى الخطابيات كثير (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم (للعباس) بن عبد المطلب عمه فى حديث صحيح رواه الترمذى وابن ماجة (والذى نفسى) اى روحى وما به حياتى (بيده) اى فى قبضة تصرفه لانه المحيى والمميت وهو قسم للتأكيد والتحقيق (لا يدخل قلب رجل الايمان) اى لا يؤمن ويصير مؤمنا كاملا فى الدخول استعارة ظاهرة (حتى يحبكم) يعنى آله صلى الله تعالى عليه وسلم واقرباءه فجعل من رآه وعرفه كمن عرفهم كلهم (لله ورسوله) اى محبة خالصة من الاعراض الدنيوية والرياء فانما هى لمحبة الله ورسوله ورضاهما (ومن اذى عمى) بشئ يؤذيه (فقد اذانى) لان ما يؤذى آل بيتى يؤذينى (وانما عم الرجل صنو ابيه) الصنو بكسر الصاد المهملة وضمها وهو هنا بمعنى المثل اى فى المعنى ابوه والرجل يغار لابيه ويؤذيه ما يؤذيه واصل معناه نخلتان فاكثر يخرج من اصل واحد فاستعير للاخ ولما ذكر اى كانه ابى يحب على بره وكذا على غيرى وروى العباس صنوى اى مثلى والنسب وسبب قوله صلى الله تعالى عليه وسلم هذا ان العباس دخل عليه مغضبا فقال له ما اغضبك قال يا رسول الله ما لنا ولقريش اذا تلاقوا فيما بينهم تلاقوا بوجوه مسفرة واذا لقونا لقونا بغير ذلك فغضب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى احمر وجهه ثم قال ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم للعباس) ايضا فى حديث رواه البيهقى (اغد على يا عم) اى ائتنى يقال غدا عليه اذا اتى واصل معناه المجئ فى وقت الغداة فاستعمل فى مطلق المجئ (مع ولدك) اى مع اولادك وكان له رضى الله تعالى عنه اذا ركب عدة اولاد عشرة ذكور الفضل وعبد الله وقثم وعبيد الله ومعبد وعبد الرحمن وغيرهم من الذكور والاناث واشهرهم عبد الله وهو الحبر وترجمان القرآن

وابو الخلفاء (فجمعهم) اى فجمع العباس رضى الله تعالى عنه اولاده عند رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم او المراد ان رسو ل الله صلى الله تعالى عليه وسلم ضمهم
اليه وقال ابن الجوزى فى الوفاء ان الذ ى جمعهم من اولاد ه سبعة (وجللهم) اى
غطاهم وسترهم والبسهم (بملاءته) بضم الميم ولام وهمزة ممدودة وهو رداء او ملحفة
وقد يخص بما يكون من ثو بين (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم بعـد ما ضمهم
كما فعـل مع على واهله فيما تقد م (هذا عمى وصنوابى وهؤلاء اهل بيتى) اى من
اقر بائى (فاسترهم من النار كسترى اياهم) اشارة الى وجه اد خاله فى ملاءته كما تقد م
(فامنت) بتشد يد الميم اى قالت بعد قوله صلى الله تعالى عليه وسلم ودعائه هذا
(اسكفة الباب) بضم الهمزة وسكون السين المهملة وضم الكاف وتشد يد الفاء بزنة
طرطنة ويقال اسكوفة فابد ل احد حر فى التضعيف واوا وتخفيف فاؤه ايضـا
وفسر بالعتبة التى فى اسفل الباب وتطلق على مايقابلها من اعلاه ايضا (وحوائطه)
جمع حائط وهو معروف (آمين آمين) بالمد و يقصر و يشد د وهو اسم فعل معنـا
استجب وفيه كلام ليس هذا محله وهو مفعول امنت لانه تضمن معنى قالت اومقد ر
قبله وفيه معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم بنطق الجماد له كرامة لاهل البيت (وكان)
صلى الله تعالى عليه وسلم كما فى حديث رواه البخارى (يأخذ بيد اسامة بن زيد والحسن)
اى يمسكهما بيده وسقط لفظ بيد من بعض النسخ فالمعنى يضمهما اليه (ويقول)
داعيا لهما (اللهم انى احبهما فاحبهما) بالادغام ويجوز فكه فيقال احببهمـا
والامر للد عاء ودعا بذ لك لعلمه بان احبه رسول الله صلى الله تعالى عليـه وسلم
يحبه الله وعكسه والقول بان احبهما مشاكلة لاوجه له لان محبة الله لعبده مجاز
باعتبار غايته ورد كـثير من غير مشاكلة واسامة بن زيد هو ابن حارثة مولى
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وحبه (وقال ابو بكر) الصديق رضى الله تعالى
عنه (ارقبوا محمدا) ارقب وراقب من المراقبة وهى ادامة النظر فى مقابلة شئ ثم اريد
به لازمه وهو الحفظ فالمراد احفظوا محمدا اى حقه عليكم (فى اهل بيتـه) اى
فى رعايتهم واكرامهم وبرهم فان رعاية حقه تحقق بذلك بعد موته (وقال) ابو بكر
رضى الله عنه (ايضا) اى لمقالته المذ كورة فيما رواه الشيخان عنه (و) الله (الذى
نفسى) اى روحى وحياتى (بيده) بقبضة تصرفه (لقرابة رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم) وهى مصد ر صارت اسم جمع لقريب النسب (احب الى ان اصل) اى
صلتهم بد ل اشتمال من قرابة (من قرابتى) فيه مضاف مقد ر اى من صلة قرابتى
قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم هذا لما ارسلت اليه فاطمة الزهراء رضى الله عنها
تطلب ميراثها من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من فدك وغيرها وقال له
الامام على كرم الله وجهه ورضى الله تعالى عنه قرابة رسول الله صلى الله تعالى عليه

وسلم صلتهم لازمة فقـال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انا لانورث انما
لآل محمد ان يزيدوا على المأكل لاغير شيئا كان فى عهد رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم (وقال) صلى الله عليه وسلم فى حديث رواه ابن ماجة والترمذى وحسنه
(احب الى الله من احب حسنا) دعاء اوخبر لحب حسن حسن و بغضه قبيح
وروى حسينا (وقال) صلى الله عليه وسلم فى حديث تقدم (من احبنى واحب هذين)
واشار الى حسن وحسين (واباهما) عليا رضى الله عنهم وهو معطوف على هذين
(وامهما) فاطمة الزهراء رضى الله تعالى عنها (كان معى فى درجتى) بد ل من معى
اى فى منزلتى ورتبتى فى الجنة (يوم القيمة) ان كان على ظاهره وانه معه فى المحشر
فهو كناية عن سلامة من هوله فان اريد به الآخرة مطلقـا فالمراد قربه منه لانه
لايساويه صلى الله تعالى عليه وسلم فى درجته احد كقوله المرء مع من احب (وقال)
صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه الترمذى وحسنه (من اهان قريشا اهانه الله)
لانهم اكرم الناس فى الجاهلية فكانوا سادة العرب لهم الرياسة والرفادة وفى الاسلام
لان الامامة بحق لهم وقريش مصغر تصغير تعظيم لقب النضر بن كنانة ونسله
من التقريش وهو التجارة والاكتساب او التجمع لاجتماعهم فى الحرم وهو من توافق
اللغات وقيل سموا باسم دابة عظيمة فى البحر لاتطاق كما قيـل * وقريش هى التى
تسكن البحر * بها سميت قريش قريشا * (وقال) صلى الله تعالى عليـه وسلم
فى حديث رواه البزار عن على وابن ابى شيبة عن سهر (قدموا قريشـا) فى كل
امر من الامور لاسيما فى الامارة والخلافة واقتدوا بمآثرهم (ولاتقدموها) نهى عن
تأخيرهم والتقدم عليهم مؤكـد للامر قبله وهو بفتح المثناة والدال المهملة
المشددة واصله تتقدموا بتائين حذفت احداهما تخفيفا (وقال) صلى الله تعالى
عليه وسلم (لام سلمة) فى حديث رواه البخارى (لاتؤذينى فى عايشة) رضى الله تعالى
عنها وسببه انه قيل لام سلمة ام المؤمنين رضى الله تعالى عنها ان الناس يتحيرون
بهداياهم يوم عايشة فقولى له صلى الله تعالى عليه وسلم يأمر الناس بان يهدوا له
حيث يرى فذكرت ذلك له صلى الله تعالى عليه وسلم مرتين وهو يعرض عنها فلما
كان فى الثالثة قال لها ياام سلمة لاتؤذينى فى عايشة فانه ما نزل على الوحى وانا فى لحاف
امرأة منكن غيرها فبين صلى الله تعالى عليه وسلم محبة لها وتقدمها عنده وان
الناس اذ لك خصوا يومها بالهدايا واستد ل بهذا على تفضيل عايشـة رضى الله
تعالى عنها على سائر امهات المؤمنين حتى خديجة وقال السبكى الذى ندين الله به
ان فاطمة افضل ثم خديجة ثم عايشة والحديث مخصوص بمن كان موجودا حال
الخطاب بقوله منكن وقال ابن تيمية الرأى فى هذا التوقف لتقابل احاديث التفضيل
وتكافوها واختصـاص نزول الوحى بلحافها وجه بانها كانت تبالغ فى التنظف
والتعطر والعبادة مع شدة حبها وشوقها لرسول الله صلى الله تعالى عليـه وسلم

وحفظها لاوامره ونواهيه حتى غلبت صفاته صفاتها فصارت معه كشئ واحد رضى الله عنها (وعن عقبة بن الحارث) فى حديث رواه البخارى عنه (رأيت ابابكر) الصديق رضى الله عنه (و) قد (جعل الحسن على عنقه) اى حمله عاتقه المجاور لعنقه ففيه تجوز (وهو يقول) الجملتان حاليتان اى حاملا وقائلا شعرا من جر الكامل لارجز وقيل انه منه وهو مجزوم (بابى شبيه بالنبى) اى افدى بابى من اشتد شبهه برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو كناية عن شدة المحبة وتقدم الرتبة عنده (ليس شبيها بعلى) اى ليس شبيها بابيه رضى الله تعالى عنه شبها تاما وانما تمام شبهه بجده صلى الله عليه وسلم والباء متعلقة بافدى فليست قسمية وقيل انها قسمية وقد ورد النهى عنه بحديث لاتحلفوا باباءكم واجيب بانه قبل النهى وهو بعيد والظاهر ان النهى عن القسم الحقيقى لاعما ورد للتعظيم والاستعطاف وهذا كله فى غير الله ورسوله فان لهما ان يقسما بما ارادا ويقال بابى وبالرجل اذا قال بابى (وعلى يضحك) من فعل ابى بكر رضى الله تعالى عنهما وقوله هذا تعجبا منه وسرورا وفرحا بذلك وتعجبا من ان الظاهر ان كل احد يشابه اباه ومن يشابه ابه فما ظلم ولكنه جذبه عرقه لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولذا سماه صلى الله تعالى عليه وسلم ابناله وجعل نسبه منه وهى خاصية لحكم ربانية وقد روى ان فاطمة رضى الله تعالى عنها كانت ترقص الحسن وهو طفل وتقول بابى شبه النبى الخ فيحتمل التوارد اوان ابابكر تمثل به بعد ماسمعه فى البخارى ليس شبيها بعلى بالرفع فقال ابن مالك ليس حرف عطف كما ذهب اليه الكوفيون وغيرهم يقول هو اسمها والخبر محذوف اى ليس الشبيه غيره وقد يؤول بغير ذلك وهذا لاينافى مافى الشمائل لم ارقبله ولابعده مثله لان المنفى المماثلة من جميع الوجوه والمثبت من بعضها وقيل المثل اخص من الشبيه ولاينتفى الاعم بانتفاء الاخص والذين شبهوا برسول الله صلى الله عليه وسلم نحو العشرة الحسن والحسين وقيل الحسن كان اعلاه اشبهه برسول الله صلى الله عليه وسلم والحسين اسفله وجعفر بن ابى طالب وقثم بن عباس والسائب بن يزيد احد اجداد الشافعى . ابو سفيان بن الحارث وكابس ابن ربيعة الاتى فى كلام المصنف مع ضبطه وعبد الله بن عامر بن كريز بضم الكاف ومسلم ابن معتب وعبد الرحمن بن عبد الله بن محمد بن عقيل ابن ابى طالب وابنه القاسم رضى الله تعالى عنهم ونظم بعضهم ابن سيد الناس رحمه الله تعالى فقال

* بخمسة شبه المختار من مضر * ياحسن ما حولوا من شبهه الحسن *

* بجعفر وابن عم المصطفى قثم * وسائب وابى سفيان والحسن *

وقال ابو محمد الآمدى وزاد اثنين وقيل انه للقرافى رحمه الله تعالى

* وسبعة شبهوا بالمصطفى فسما * لهم بذاك قدر قدر زكى وسما *

* سبطا النبى ابو سفيان سائبهم * وجعفر وابنه ذوالجود مع قثما *

وقال ابن حجر رحمه الله تعالى وزاد ثامنا

* قد اشبه المصطفى الهادى ثمانية * من صحبه فعلا فى الناس قدوهم *

* سبطاه وابن كريز وابن حارثهم * وجعفر وابنه مع ثابت قثم *

وزاد عليه بن سيدى الحسن فقال * قد اشبه المصطفى المختار من مضر * جماعة عدهم يربو على العشرة * سبطاه وابن كريز بن حارثهم * وجعفر وابناه سادة خيرة

* وسائب مسلم وكابس قثم * وسبط نجد عقيل وابنه البررة *

وقد زيد على هذا كثير بلغوا العشرين فى بعضها كلام وطعن ونظموها نظما متكلفا ولذا لم نتعرض له فتابعهم ابن الشحنة فى نظم له خمسة عشر فزاد ابن عقيل الثانى وزيد عبد الله ابن الحارث الملقب منه وقدمات فى حياته صلى الله تعالى عليه وسلم وزيد عثمان بن عفان لانه صلى الله تعالى عليه وسلم قال انه اشبه الناس بابيه ابراهيم الخليل عليه السلام والنبى صلى الله عليه وسلم كان يشبه الخليل ايضا وبشبه الشبه شبيه وعد ابن سعد منهم على بن بجاد بن رفاعة ولو ذكر كل من قيل انه يشبهه صلى الله عليه وسلم لبلغ عددا كثيرا فانه ذكر منهم عبد الله بن محمد بن عقيل وابراهيم وعبد الله بن الحسن بن الحسين بن على ويحيى بن القاسم بن جعفر العلوى ومنهم كما قيل المهدى الذى يخرج منه آخر الزمان والظاهر منهم انهم تسمحوا فى وجه الشبه فى الخلق والخلق فان الشبه التام لم يشبه لاحد كيف وقد اعطى صلى الله عليه وسلم الحسن كله واعطى يوسف عليه الصلوة والسلام شطره فهو كما قيل

* انما مثلوا صفاتك للناس * كما مثل النجوم الماء *

(و) روى (عن عبد الله بن حسن بن حسين ابن على بن ابى طالب رضى الله عنه وهو من ثقاة آل البيت وفضلائهم وله ترجمة واخرج له اصحاب السنن (قال اتيت عمر بن عبد العزيز فى حاجة فقال لى اذا كان لك حاجة فارسل الى او اكتب لى) كتابا تعلمنى فيه بحاجتك (فانى استحيى من الله تعالى ان اراك) واقفا (على بابى) كما هو المعتاد لمن اتى باب عظيم ان يقف حتى يؤذن له وهذا تعظيم منه لآل البيت لمحبة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وآله (وعن الشعبى) عامر بن شرحبيل كما تقدم وهذا رواه الحاكم والبيهقى وصححه (قال زيد بن ثابت) بن قيس بن شماس الانصارى الصحابى المشهور رضى الله عنه وقال البرهان زيد بن ثابت الكلبى (على جنازة امه) اى ام زيد . الجنازة بفتح الجيم وكسرها الميت والتابوت وامه هى النوار بنت مالك ابن معاوية بن عدى ابن عامر الانصارية (ثم قربت له بغلته ليركبها فلما) ركبها (جاء ابن عباس رضى الله عنهما (واخذ بركابه) اى امسكه ليركب اومشى معه ماسكا ركابه (فقال زيد لابن عباس خل عنه) اى دع الركاب وتباعد عنه (يا ابن عم رسول الله) يعنى انه لايليق مثله بآل البيت تعظيمهم وتكريمهم اللازم لكل احد (فقال) ابن عباس رضى الله تعالى عنهما مجيبا له (هكذا يفعل بالعلماء) اى مثل هذا التعظيم يعظم به علماؤنا (فقبل زيد بن عباس) تعظيما له وجزاء لاكرامه (فقال هكذا امرنا

بان نفعل بآل بيت نبينا) صلى الله عليه وسلم وقول الصحابى امرنا كما بين فى مصطلح الحديث له حكم الرفع على كلام فيه لبس هذا محله والشاهد فيه تعظيم آل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومحبتهم (ورأى) عبد الله (عمر) بن الخطاب رضى الله تعالى عنهما احد العبادلة المشهور (محمد بن اسامة بن زيد) بن حارثة مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا الحديث فى صحيح البخارى (فقال ليت هذا عندى) بكسر العين وسكون النون او بفتحها والباء الموحدة الساكنة وروى بالوجهين والذى رجحوه الاول وهكذا ضبطه الحافظ العراقى وتمنى ذلك ليعلمه ويؤديه ولم يكن عرفه حين رآه (فقيل له هو محمد بن اسامة فطأطأ رأسه) اى خفضها واطرق حياء لما عرفه (ونقر بيده الارض) وهو يتفكر فيما قاله ندما عليه (وقال ابن عمر لو رآه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لاحبه) كما كان يحب اباه اسامة وانما فعل وقال ذلك تعظيما لموالى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (وقال الاوزاعى) الامام العابد الزاهد الحافظ صاحب المذهب الذى كان عليه اهل المغرب قبل اتباع مذهب الامام مالك سكن الشام حتى مات وهو منسوب للاوزاع بطن من حمير اوهمدان اوقرية وقد تقدم (دخلت بنت اسامة بن زيد) مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واسمها فاطمة وكانت تسكن المزة بالشام كما ذكره ابن عبد البر (صاحب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالجر صفة اسامة اوزيد فان كلا منهما صحابى مشهور (على عمر بن عبد العزيز) وهو خليفة وقيل انها دخلت عليه وهو امير بالمدينة قبل خلافته فى خلافة الوليد بن عبد الملك بن مروان والصحيح الاول لان هذه القصة ذكرها ابن عساكر فى تاريخه وان اسامة توفى بقرية يقال لها وادى القرى وخلف بنته فاطمة بالمزة فلم تزل بها الى ان ولى عمر بن عبد العزيز (فاتته ومعها مولى لها) اى عبد (يمسك بيدها) لكبرها وضعف بصرها (ف) لما رآها عمر (قام لها ومشى اليها) تكريما وتعظيما لها لكونها من نسل موالى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (حتى جعل يدها بين يديه) بان امسكها بدلا عن مولاها وتولى خدمتها (ويداه فى ثيابه) اى مغشاة بكمها حتى لايمس بدنه بدن اجنبية لتقواه (ومشى بها حتى اجلسها على مجلسه) اى على فراشه الذى كان جالسا عليه (وجلس بين يديها) كما يفعله الصغير مع الكبير تأدبا منه واكراما وتعظيما (وما ترك لها حاجة) ذكرتها له (لاقضاها) وانجزها وكان قال لها ما حاجتك يا فاطمة قالت تحملنى الى اخى فجهزها وحملها اليه فانظر رحمك الله تعالى الى الخلفاء الراشدين لم تمنعهم الخلافة عن قضاء الحوائج للناس والتواضع لهم (ولما فرض عمر) بن الخطاب فى ديوانه الذى رتب فيه الوظائف للناس وهذا مما رواه الترمذى وحسنه فلما عين من بيت المال لهم فرض (لابنه عبد الله) وظيفة (فى ثلاثة آلاف) اى فى الطبقة التى واحد منها ثلاث آلاف فى السنة (و) فرض (لاسامة بن زيد فى ثلاثة آلاف وخمسمائة) فجعل وظيفته من بيت المال فى رتبة اعلى من ابنه عبد الله (قال) جواب لما

(عبد الله) ابنه (لابيه) عمر رضى الله تعالى عنهما (لم فضلته) على بزيادة عطائه (فوالله ما سبقنى الى مشهد) اى محل شهده الناس من الجهاد وخدمة الدين التى ترتب الوظائف بقدرها وبالتقدم فيها (فقال) عمر (له) اى لابنه مجيبا له (لان زيدا) اباه (احب الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من ابيك) يعنى نفسه فتقديمه انما هو لمحبة رسول الله لا لسبقه لك وهى امر يقتضى التقديم وزيادة التكريم وهذا قيل انه تواضع منه لخدمته لموالى رسول الله صلى الله عليه وسلم والا فهو احب الى رسول الله لحديث عمرو بن العاص قلت يا رسول الله اى الناس احب اليك قال عايشة قلت من الرجال قال ابوها قلت ثم من قال عمر ولك ان تقول الاحبية تختلف فاسامة رضى الله تعالى عنه احبيته لكونه من خدمته المقربين له فلا ينافى كون عمر احب اليه من غير ذلك الوجه فآثر القرب منه على غيره ثم ان ما ذكره من الفرض المذكور يخالفه ما فى الاستيعاب انه فرض لاسامة خمسة آلاف ولابنه ثلاثة آلاف لكنه لا ينافى المقصود من القصة وهذا كله من الغنائم كما فصلوه (فآثرت) اى اخرت وقدمت (حب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على حبى) بضم الحاء فيهما اى محبته او بكسرها بمعنى محبوبه على محبوبى (وبلغ معاوية) بن ابى سفيان رضى الله تعالى عنهما فيما رواه ابن عساكر (ان كابس بن ربيعة) بن مالك ابن لوى السامى البصرى بسين مهملة من بنى سامة بن لوى وكابس بكاف وباء موحدة بعد الف وسين مهملة وما قيل من انه بمثناة تحتية وانه صحح فى نسخة العزفى تلميذ المصنف تصحيف من ناقله وقول القرطبى ان المحفوظ فيه عابس الصحيح خلافه (يشبه برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) بنوع من الشبه واين الثرى والثريا (فلما دخل عليه من باب الدار) العادلة على مقدار اى وجه له من احضره فلما دخل باب داره (قام عن سريره) فمشى له وتلقاه (وقبل بين عينيه) تكريما لمشابهته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان انس بن مالك اذا رآه بكى لتذكره رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (واقطعه المرغاب) اسم ارض بمرو الشاهجان اوقرية بهرات كانت ذات غلة كثيرة يرغب فيها وهو بكسر الميم وغين معجمة والف وباء موحدة قبلهما راء مهملة والاقطاع ان يفوض اليه ارضا بتمليك ونحوه ويسوغه لمن هو اهل له وفى شرح احكام عبد الحق انه اسم نهر بالبصرة وما فى القاموس مما يقتضى ان ميمه مفتوحة مخالف لما نقله اهل اللغة كابى عبيد فى معجمه والظاهر انه لا وجه له وعبارته المرغاب ونهر بمرو الشاهجان وبلدة بهراة وبالكسر سيف مالك بن حماد انتهى (لشبهه صورة رسول الله صلى الله عليه وسلم) متعلق بما قبله جميعه اى كل ما فعله معاوية رضى الله تعالى عنه من تعظيمه لمشابهته له والصورة ظاهر الوجه وهيئة الانسان وصفته وصوره مضاف لما بعده مفعول او منصوب منون تمييز للنسبة (وروى ان مالكا) هو ابن انس الامام المعروف (لما ضربه جعفر بن سليمان) بن على بن عبد الله ابن عباس وجعفر هذا كان واليا على المدينة من قبل عمه المنصور (ونال منه ما نال)

من تجريده من ثيابه واهانته وسبه وكان سببه انه بلغه انه يقول ان الايمان فى بيعة الخلفاء ليست لازمة لان الناس يكرهون فيها فغضب لذلك ودعاه فحصل منه مالا خير فيه (وحمل) لمنزله (مغشيا عليه) من الضرب وانه مدت يده حتى خلعت من كتفه (دخل عليه الناس) جواب لما (فلما افاق) من غشيته (فقال اشهدكم انى جعلت ضاربى) اى الامر بضربى ومن باشره (فى حل) بكسر الحاء يقال هو فى حل من كذا اذا برأ منه من عهدته (فسئل بعد ذلك) عن وجه ماقاله واسقاط حقه (فقال انى خفت ان اموت) مما فعله بى (والقى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) فى الدار الآخرة (فاستحى منه) لما يلحقنى من الخجل منه خوفا (ان يدخل بعض اله) من اقاربه (النار بسببى) جزاءله على مافعله لان حق العبد لايسقط الا برضاه واذا لم يرض يعذبه الله عدلا منه فلذا حق الله حذرا من ذلك فلذا جزم بذلك واحتمال ارضاء الله له وغيره امر مخالف للظاهر فلا وجه للاعتراض على جزمه بذلك كما قيل ولله در الامام النووى فى قوله

* ما نال منى اوعلقت بذمته * ابرأته لله شاكر امنته *

* ولله ما طالبت عبدا بعده * ولئن طلبت رجوت واسع رحمته *

* ءارى معوق مؤمن يوم الجزا * اواذن اسوء محمدا فى امته *

(وقيل ان المنصور) الخليفة العباسى المشهور (افاده من جعفر) اى امر ان يقتضى لذلك من جعفر فيضرب كما ضربه وسيأتى كلام فى قصاص الضرب (فقال اعوذ بالله) والتجئ اليه فى الاعانة على عدم ما اريد وهو عبارة فى العرف عن عدم الرضاء (والله ما ارتفع سوط عن جسمى) فى حال الضرب (الاوقد جعلته فى حل) وابرأت ذمته منه (لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم) تكريما له لتعظيمه ومحبته (وقال ابو بكر بن عياش) بفتح المهملة وتشديد المثناة التحتية وآخره شين معجمة ابن سالم الازدى المقرى احد الاعلام اختلف فى اسمه فقيل شعبة وقيل اسمه كنيته وشهرته تغنى عن ذكره توفى سنة تسع وثلاثين ومائة فى جمادى الاولى وعمره ستة وتسعون سنة (لو اتانى ابو بكر وعمر وعلى) فى حاجة اقدر عليها (لبدأت بحاجة على قبلهما) وقدمته عليهما وهما ماهما ايثارا عليهما (لقرابته) وفى نسخة لقربا (من رسول الله صلى الله عليه وسلم) لشدة قربه وصهارته فتقدمه ذاتى وعرضى وقربهما منه لايمنعه (ولان اخر من السماء الى الارض) هذا تمثيل لصعوبته حتى ان مخالفته عنده اشد عنده من انه يرفع الى السماء ويرمى به منها الى الارض فتنقطع وتتكسر جميع اعضائه وخر بمعنى سقط (احب الى من ان اقدمه عليهما) يعنى لولا قرابته منه صلى الله عليه وسلم ماقدمته عليهما مع علمى بافضليتهما عليه وانما قدمته لما فيه من صلة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولاجل عين الف عين تكرم وفى الكلام تقديم كما اشرنا اليه (وقيل

لابن عباس) كما رواه ابو داود والترمذى وحسنه (ماتت فلانة) كناية عن امرأة معينة كما بينه بقوله (لبعض ازواج النبى صلى الله عليه وسلم) ولم يعينوها وقيل هى ميمونة وقيل هى زينب (فسجد فقيل له اتسجد هذه الساعة) اى فى مثل هذه الساعة التى اخبرت فيها بهذه المصيبة والسجود يكون لشكر ونحوه (فقال اليس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم اية فاسجدوا) اى امرا عظيما فيه عبرة كالكسوف والخسوف وجزم بعضهم بانها ميمونة خالة ابن عباس وهى آخر زوجاته صلى الله عليه وسلم موتا وفى انقراضهن يخشى رفع الرحمة من الارض وغضب الله على اهلها وفى السجود والصلاة تذلل برفع غضب الرب ولذا استحب بعضهم الصلاة للخسوف والزلزلة (واى آية اعظم من ذهاب ازواج النبى صلى الله عليه وسلم) وغلق بابه فانه امر عظيم يورث حزنا واسفا (وكان ابو بكر وعمر يزوران ام ايمن مولاة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ويقولان كان النبى صلى الله عليه وسلم يزورها) فاقتديا به واحبا ما احب واسمها بركة بنت حفص بن ثعلبة ابن عمر بن حفص بن مالك بن سليمان ابن عمر بن النعمان كانت وصيفة لعبد الله بن عبد المطلب تزوجها زيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فولدت له اسامة وها جرت الهجرتين وكانت التى اليه من ابيه وقيل كانت لامه وكان صلى الله عليه وسلم يحبها ويحب زوجها وبنتها ويقول هى امى بعد امى فلذا كان يزورها ويصلها وكانت تحبه وتحضنه وامنت به صلى الله عليه وسلم قبل بعثته لان امه ذهبت به لاخواله بنى النجار بالمدينة واقامت شهرا عندهم فكان اليهود يختلفون وينظرونه فسمعتهم ام ايمن يقولون هذا نبى هذه الامة فرق ذلك فى قلبها فهى اول من امن به ثم رجعت فماتت امه بالابواء وقبرها هنالك فحضنته ام ايمن (ولما وردت حليمة السعدية) من بنى سعد وهى امه من الرضاعة وهذا الحديث رواه ابن سعد (على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) بعد هجرته (بسط لها رداءه) ليجلس عليه اكراما لها لحق امومة الرضاع (وقضى حاجتها) التى سألته قضاها (فلما توفى صلى الله تعالى عليه وسلم (وفدت) اى جاءت وافدة وقادمة من محل بعيد (على ابى بكر وعمر) فى خلافتهما الحاجة لها (فصنعا بها مثل ذلك) اى بسطا رداهما واكرماها وقضيا حاجتها قياسا به صلى الله تعالى عليه وسلم ومحبة لمن احب واعترض عليه البرهان وقال ان التى قدمت عليه بنت حليمة المسماة بالشيما وهى التى اسلمت لا حليمة كما ذكره الدمياطى وتبعه غيره لكن رد عليه ذلك مغلطاى فى مؤلف له سماه التحفة الجسيمة فى اسلام حليمة والحاصل كما تقدم انهم اختلفوا فى اسلامها وانها صحابية وانكره بعضهم وقال انه غلط من بنتها الشيما فانها اسلمت وقال ابن عبد البر فى الاستيعاب انها اتته صلى الله عليه وسلم يوم حنين فبسط لها رداءه وانه روى عنها حديث ورد بانه لم يصح والتى اتته بنتها الشيما بنت الحارث كما مر واسمها حذافه واما هى

فاته صلى الله عليه وسلم فى زمن خديجة فاعطاها اربعين شاة وجملا وانصرفت الى اهلها ولم يذكر اسلامها الا ابن عبد البر اثبته وعدها فى الصحابة وقال هى اتته بحنين وروى عنها عبد الله بن جعفر وذكر فى الوفاء انها اسلمت هى وزوجها وبنتها وكفى بهذا مسندا للمصنف فالمخطئ له مخطئ والشاهد فيما ذكره لما نحن فيه ان ابابكر اكرمها وعظمها اقتداء به صلى الله تعالى عليه وسلم ومحبة لمن احبه وهى فى حكم آل بيته لانها امه من الرضاعة وهى فى حكم القرابة وهذا مع ظهوره لم يفهمه من قال معترضا على المصنف رحمه الله تعالى هذه القصة لا مدخل لها فى هذا الفصل لانه معقود لتوقير آله واصحابه تكريما له وتعظيما وهذا انما هو من قبيل تعظيم النبى لنفسه لغيره وهذه غفلة منه عجيبة

﴿فصل ومن توقيره صلى الله تعالى عليه وسلم وبره﴾

توقيره تعظيمه وبره مضاف الى المفعول بمعنى الاحسان والمراد به رعاية جانبه وصلته (توقير اصحابه وبرهم) اى تعظيمهم والاحسان اليهم بموالاتهم ونصرتهم وكل ما يليق بهم قولا وفعلا فان من اكرم عظيما اكرم اتباعه والاصحاب جمع صاحب وتعريفه كما تقدم من رآه صلى الله تعالى عليه وسلم مؤمنا به ومات على ذلك وتفصيله فى كتب الحديث والاصوليين (ومعرفة حقهم) اى ما يلزم لهم من تكريمهم وحسن معاملتهم وتنزيل كل منهم فى منزلته اللايقة به وليس المراد به مجرد المعرفة حتى يقال ينبغى ان يقول القيام بها لان ثمرة العلم العمل ولذا عطف عليه قوله (والاقتداء بهم) اى اتباع اقوالهم وافعالهم فانهم على هدى اضاءت فى مشكاتهم الانوار النبوية فهم خير الناس ومجموعهم افضل من مجموع من بعدهم واما كون كل فرد منهم افضل من كل فرد من غيرهم فصرحوا بانه لا يلزم فقد يكون بعض التابعين افضل من بعض الصحابة واستدل لحديث امتى كالمطر لا يدرى الخير فى اوله ام آخره والمشاحة فيه بانه باعتبار النفع لا الفضيلة غير مسلمة وبالجملة فكلهم عدول مطلقا صغيرهم وكبيرهم (وحسن الثناء عليهم) اى ذكروا مدحوا (والاستغفار لهم) اى الدعاء لهم بالمغفرة والرحمة نحو رحمهم الله ورضى عنهم (والامساك) اى السكوت يقال امسك عن ذكره اذا سكت وهو مجاز صار حقيقة فيه (عما) اى عن كل امر (شجر بينهم) اى وقع فيه خلاف ونزاع مأخوذ من الشجر المختلف المتداخل اغصانه بعضها فى بعض وفى الحديث اياكم وما شجر بين اصحابى (ومعاداة من عاداهم) كالخوارج والرافضة (والاضراب) اى الترك والاعراض (عن اخبار المورخين) التى نقلوها عنهم فانها تورث تنقيص بعضهم بما نقلوه (وجهلة الرواة) الذين رووا قصصا باطلة تؤدى لسوء ظن بهم (وضلال الشيعة) بضم الضاد وتشديد اللام جمع ضال والشيعة كل فرقة تابعة لاحد ثم خصت بفرقة مخصوصة تابعوا عليا وبالغوا فيه وقالوا ان الامامة حقه وحق بنيه دون غيرهم وهو من اضافة الصفة لموصوفها

اى الشيعة والصفة كاشفة معرفة لا مقيدة حتى يتوهم ان من الشيعة فرقة غير ضالة وهى مقيدة للمعطوف والمعطوف عليه اعنى قوله (والمبتدعين) فان المبتدعة على اقسام كما تقدم والمراد ابتدع العقايد الفاسدة كالخوارج وبعض المعتزلة (القادحة) صفة اخبار والقدح الذم والتنقيص بذكر ما يؤدى اليه (فى احد منهم) اى من الصحابة (وان يلتمس لهم) اى يطلب لهم واصله ادراك ظاهر البشرة كاللمس فعبر به عن مطلق الطلب (فيما نقل من مثل ذلك) الامر المنقول عنهم فى الاخبار المروية (فيما كان بينهم من الفتن) كما وقع بين على ومعاوية رضى الله تعالى عنهما (احسن التأويلات والمحامل) لانها امور وقعت باجتهاد منهم لا لاغراض نفسانية ومطامع دنيوية كما يظنه الجهلة (ويخرج) بضم اوله مجهول كقوله يلتمس ايضا (اصوب المخارج) بان يحمله على امر محمود ويأوله بما يخرجه عن عدة من المعايب الى الحاقه بالمحاسن (انهم اهل ذلك) اى مستحقون بان يحمل ما صدر منهم على امور حسنة محمودة (ولا يذكر) مبنى للمجهول (احد منهم بسوء) اى بامر قبيح (ولا يغمص عليه امر) بضم الياء التحتية وسكون الغين المعجمة وميم مفتوحة وصاد مهملة مبنى للمجهول اى لا يعاب ولا ينقص فى امر من اموره يقال غمصه اذا احتقره وتهاون به ويجوز فيه ايضا اعجام ضاده من اغمض الجفن اذا اطبقه بعضه على بعض ثم استعير للتغافل والتساهل قال الله تعالى * الا ان تغمضوا فيه * فالمعنى لا تحقر والاول اولى رواية ودراية (بل يذكر حسناتهم) المروية من عبادتهم وزهدهم (وفضائلهم) الكثيرة من علمهم وكرمهم وحلمهم (وحميد سيرهم) من انصافهم وعدلهم واصابة رأيهم وعلو همتهم (ويسكت) مبنى للمجهول (عما وراء ذلك) اى عن غيره مما لا يليق بشرف مقامهم (كما قال) صلى الله عليه وسلم فى حديث رواه الطبرانى وابن اسامة عن ابن مسعود (اذا ذكر اصحابى) بذكر احوالهم (فامسكوا) عن الطعن فيهم وذكرهم لا يوهم نقصا فيهم (وقال الله تعالى محمد رسول الله والذين معه اشداء الى آخره) يتضمن خاتمة سورة الفتح الثناء عليهم كلهم وان الله تعالى وعدهم بمغفرته واجر عظيم منه وانهم من ابتداء امرهم الى آخره نفع وخير كزرع تكامل شيئا فشيئا حتى نمت سنابله وعم نفعه والآية وما فيها من التفاسير قد كفينا مؤنته هنا والذى يراد منها هنا ان من مدحه الله وبالغ فى مدحه فى كتبه المنزلة على رسله لا يحتاج لمدح فكيف يقدح فيه قادح لكنى اقول * اعمى البصائر بالتكحل يذهب * وقال الله تعالى عز وجل فى حقهم ايضا (والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار الآية) وفى هذه الآية مدح عظيم ايضا لهم ووعد عظيم بما لهم فى العقبى وهم على طبقات ثلاث الاولى السابقون الاولون الذين صلوا للقبلتين وشهدوا بدرا والذين اسلموا قبل الهجرة الثانية السابقون الاولون للبيعة وهم الانصار اصحاب العقبة الاولى والثانية والثالثة الذين

اتبعوا هؤلاء باحسان وهم اللاحقون بالسابقين من اهل القبلتين وشمل هؤلاء كلهم الثناء والوعد وقد قسموا اقساما اخر ليس هذا محل تفصيله (وقال الله تعالى لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة) وهذه قصة الحديبية وما وقع فيها مما تغنى شهرته عن ذكره (وقال الله تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الآية) هذه الآية قدمنا انها نزلت فى ناس من الصحابة منهم انس بن النضر عم انس بن مالك كان لم يشهد بدرا وكبر عليه ذلك فقال اول مشهد لرسول الله غبت عنه والله لئن رأنى الله مشهدا بعده ليرى الله ما اصنع فلما كانت وقعة احد من العام القابل قاتل فيها حتى قتل ومنهم حمزة وسعد بن معاذ وطلحة بن عبد الله (حدثنا القاضى ابو على) هو ابن سكرة كما تقدم (قال حدثنا ابو الحسين) تقدم ايضا (وابو الفضل خيرون قالا حدثنا ابو يعلى) احمد بن عبد الواحد البغدادى وقد تقدم (قال حدثنا ابو على السنجى حدثنا محمد بن محبوب) المعروف بالمحبوبى كما تقدم (قال حدثنا الترمذى الحافظ ابو عيسى صاحب السنن (قال حدثنا الحسن بن الصباح) هو البزار براء فى آخره كما تقدم وهو الحسن بن محمد بن الصباح ابو على الزعفرانى (قال حدثنا سفيان ابن عيينة) تقدم ايضا (عن زائدة) بن قدامة ابو الصلت الثقفى الكوفى الحافظ الثقة الحجة توفى غازيا بالروم سنة ستين اواحدى وستين ومائة واخرج له الستة (عن عبد الملك بن عمير) الكوفى التابعى روى عنه الستة توفى سنة ست وثلاثين ومائة (عن ربعى) بكسر الراء المهملة وسكون الموحدة (بن حراش) بكسر الحاء المهملة وفتح الراء المهملة وآخره شين معجمة وما عداه خراش بخاء معجمة وهو ابو مريم العبسى (عن حذيفة) ابن اليمانى باثبات الياء وهو الافصح وتحذف وهو الصحابى المشهور (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) فى حديث رواه الترمذى وابن ماجة (اقتدوا بالذين من بعدى ابو بكر وعمر) اراد بهم الخلفاء الراشدين مطلقا وخص منهم ابو بكر وعمر لزيادة فضلهما وتقدمهما على غيرهما وبهذا الحديث اخرجته الحاكم وابن حبان ايضا وفى طريقه اختلاف بزيادة ونحوها واوله قال حذيفة كنا جلوسا عنده صلى الله تعالى عليه وسلم فقال انى لا ادرى ما بقائى فيكم فاقتدوا بالذين من بعدى واشار الى ابى بكر وعمر واخرجه القصار بلفظ اقتدوا بالذين من بعدى ابى بكر وعمر فانهما حبل الله تعالى الممدود من تمسك بهما فقد تمسك بعروة الله الوثقى لا انفصام لها والمراد الاقتداء بهما اذا قاما مقامه فى الخلافة وهو دليل على خلافتهما وعلى ان قول الصحابى حجة مقدمة على القياس ومنهم من خصه بابى بكر وعمر واستدل بهذا الحديث كما فصل فى كتب الاصول (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث آخر رواه الدارقطنى وابن عبد البر فى العلم من طرق اسانيدها كلها ضعيفة حتى قال ابن حزم انه موضوع وقال الحافظ العراقى كان ينبغى للمصنف رحمه الله لا يورده بصيغة الجزم وما قيل من انه ليس بوارد لان المصنف رحمه الله

ساقه فى فضل الصحابة وقد استقرا على جواز العمل بالحديث الضعيف فى فضائل الاعمال فضلا عن فضائل الرجال لا وجه لان قوله (اصحابى كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم) فيه العمل بما فعلوه وقالوه من الاحكام ومن قبيل الفضائل التى يجوز العمل فيها بالضعيف لو قال انه بمعنى الحديث الذى قبله وهو حديث صحيح يعمل به ولذا ساقه بعده كالمتابعة له ولذا اجزم كان اقوى واحسن مما قاله وقال ابن الدوسى

*قوم اذا رجعت الخطوب فانما * اراهم فى الحادثات نجوم *

* منها مصابيح الدجى ومعالم * فيها الهدى والآخريات نجوم*

وليس هذا مع ما قبله حديثا واحدا كما نبه عليه المصنف بقوله وقال فوجه التشبيه ما ذكر من العلو والشرف (وعن انس) فيما رواه البزار وابو يعلى (قال قال رسول الله مثل اصحابى) زاد فى المصابيح فى امتى (كمثل الملح فى الطعام) اى فيما يطبخ ويؤكل مما يعتاد اصلاحه بالملح ووجه الشبه الاصلاح وان ضر كثير الملح واصلح قليله ولدفع توهم ضرر كثرتهم قال (لا يصلح الطعام) بالبناء للفاعل ويجوز بناؤه للمفعول ايضا (الا به) اى بوضعه فيه وهذا الحديث رواه ابن ابى حاتم وغيره من طرق مختلفة وقال الحسن البصرى قد ذهب ملحنا فكيف يصلح واصلاحهم بارشادهم وهدايتهم وحثهم على الطاعات وامرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر وخلافتهم وبيان الشريعة وامور الدين فعلينا باتباعهم واقتفاء آثارهم ومن اشراط الساعة فساد العلماء كما قيل * بالملح يصلح ما ترجى تغيره * فكيف بالملح ان حلت به الغير * قيل فيه دقيقة وهى الاشارة الى الاعتدال وانهم امة وسط ولا يخفى بعده ولو قيل انه اشارة الى قلتهم وسرعة انقراضهم كان اظهر فتأمل (وقال) صلى الله عليه وسلم فى حديث تقدم (الله الله فى اصحابى) اى اتقوا الله فيهم وكرره للحث والتأكيد وهو منصوب على التحذير بعامل يجب حذفه لقيام التكرير مقامه ولولاه حسن اظهاره كما قاله ابن مالك وفى البسيط يجوز اظهاره وقال الجزولى انه يجوز مع قبحه (لا تتخذوهم غرضا بعدى) الظرف متعلق بالفعل لا صفة غرضا والغرض الهدف الذى يرمى به السهام والمعنى لا تذموهم وتطعنوا فيهم باسناد امور قبيحة لهم (فمن احبهم) وصان اعراضهم (فبحبى احبهم) اى فانما يحبهم لاجل محبتى لهم فمحبتهم عين محبتى وبرهم برى (ومن ابغضهم فببغضى ابغضهم ومن اذاهم فقد اذانى ومن اذانى فقد اذى الله) اذية الله عبارة عن فعل ما لا يرضاه اذ معناها الحقيقى لا يتصور فى حقه فهو مشاكلة (ومن اذى الله يوشك) بكسر الشين وقد تفتح بمعنى يقرب ويسرع (ان يأخذه) اى يهلكه ويستأصله بعذابه ويوشك يجوز رفعه وجزمه لان من شرطية اوموصولة ورواه فى المصابيح فيوشك بالفاء والرفع بتقدير مبتدأ وهو مستأنف دليل على الجواب

(وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه مسلم وغيره (لا تسبوا اصحابى فلو انفق احدكم مثل احد ذهبا) وفى بعض الروايات من طريق ابى بكر بن عياش زيادة كل يوم واحد اسم جبل معروف اى بذل فى سبيل الله مقدار وزنه ذهبا (مابلغ) اى ماوصل وساوى ثوابه ثواب (مد احدهم ولا نصيفه) الذى يتصدق به من تمر او شعير او قمح ونحوه ففيه من المبالغة مالا يخفى والمد بضم الميم ربع صاع وهو اقل مايتصدق به عادة وهو رطل وثلث عراقى عند الشافعى ورطلان عند ابى حنيفة رحمه الله تعالى وروى مد بفتح الميم اى مداه وغايته كمد البصر ومداه والنصيف بفتح النون وكسر الصاد المهملة بوزن رغيف وفيه اربع لغات نصف بكسر النون وضمها وفتحها ونصيفه بزيادة تحتية لغة فى النصف كثمين بمعنى ثمن وقيل النصيف مكيال دون المد اى اعلى قدر صدقتكم وانفاقكم لله لايبلغ اجره وموقعه عند الله اقل صدقتهم لسبقهم فى الخير وخلوص نيتهم بدون رياء منهم وقد انفقوا رضى الله عنهم وهم فى فاقة وقلة ومن بعدهم انفق والدنيا واسعة دارة عليهم مع شدة الحاجة لما انفقوه فى اول ظهور الاسلام وقتال اعداء الدين مع بذلهم مع ما بهم اهلهم وازواجهم فى سبيل الله كما قيل

رأيت عبد الله اكرم من بشر واكرم من فضل بن يحيى بن خالد*
* اولئك جادوا والزمان مساعد * وقد جادوا والدهر غير مساعد*
* جدت وقارا والزمان هازلى * وجاد عفوا والزمان حامد *

والخطاب للموجودين من غير الصحابة ولمن يوجد بعدهم كما قيل او المراد باصحابه هنا السابقون الاولون منهم كما قال الله لا يستوى منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة الآية فالاصحاب جماعة مخصوصون منهم واختلف فى حكم من سبهم هل هو كبيرة يعزر فاعله او كفر فيقتل وسيأتى تفصيله (وقال) فيما رواه الديلمى وابو نعيم فى الحلية عن جابر (من سب اصحابى فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين) اللعنة بمعنى الابعاد والطرد والمراد بعده من رحمة الله وبهذا تمسك من قال بكفره وقتله ومثله كثير فى احاديث التهديد والتخويف حتى لا يتجرأ عليه احد من الناس (لايقبل الله منه) اى ممن سبهم (صرفا ولا عدلا) فى تفسيرهما اقوال فقيل الصرف التوبة وقيل التصرف فى الامور وقيل التطوع وقيل الوزن وقيل الغنيمة وقيل المثل وقيل ماتصرف فيه وقيل الزيادة والعدل قيل الفرض وقيل الفدية وقيل المكيل وقيل المثل وقيل الفضل قال النووى ومعنى الفدية انه لايجد فى يوم القيمة من يفتدى به فان بعض المؤمنين قد يفديه الله ببعض الكفار كما ورد فى الحديث (وقال اذا ذكر اصحابى فامسكوا) اى اذا ذكروا بسوء وغيبة فاتركوا ذلك ولا تخوضوا مع الخائضين فيهم وقد تقدم هذا وبيانه (وقال فى حديث جابر) الذى رواه

البزار والديلمى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم (ان الله اختار اصحابى على جميع العالمين) اى فضلهم على الناس كلهم وجعلهم خيرة خلقه عدولا اتقياء كلهم (سوى الانبياء والمرسلين) فانهم افضل منهم (واختار لى منهم) اى من الصحابة فضلهم على غيرهم من الصحابة (اربعة ابابكر وعمر وعثمان وعليا) وقد روى الترمذى انه صلى الله عليه وسلم رأى ابابكر وعمر فقال هذان السمع والبصر ثم فسر اختيارهم له بقوله (فجعلهم خير اصحابى) وافضلهم (وفى اصحابى كلهم خير) اى فضل وتقوى فكلهم علماء عدول كما فى حديث خير القرون قرنى ثم وثم وهذا سبب ماحكاه امام الحرمين رحمه الله تعالى من الاجماع على عدالتهم كلهم صغيرهم وكبيرهم فلا يجوز الانتقاد عليهم بما صدر عن بعضهم مما ادى اليه اجتهاده لما اوجب القطع بانهم خير الناس بعد النبيين والمرسلين ولما الفوه من الهجرة وترك الاهل والاوطان وبذل النفوس والاموال فى نصرة الدين وقتل الاباء والابناء والمناصحة فى الدين وقوة الايمان واليقين وغير ذلك من المنح الالهية (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم) فى حديث رواه الطبرانى فى اوسطه بسند حسن (من احب عمر فقد احبنى ومن ابغض عمر فقد ابغضنى) خصه بذلك لما كان فيه من الشدة على امور الدين التى قد تورث حزازة فى بعض النفوس القاصرة ولا يلزم منه تفضيله على ابى بكر وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بغضه نفاقا لان رسول الله صلى الله عليه وسلم احبه وقدمه وارتضاه فعدم ارتضائه يقتضى الى عدم ارتضاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما قيل عن المرء لاتسأل وسل عن قرينه * نكتة من خصايص ابى بكر وعمر انهما جليساه وصحبا حياته ومماته وقد ورد فى حديث ان كل احد يدفن فى مقربة التى خلق منها وهو يدل على انهما خلقا من طينة واحدة وليس بعد هذه المنقبة شرف اعظم منها (وقال مالك بن انس) شيخ السنة وامام دار الهجرة (وغيره) من الائمة اشارة الى انه لم ينفرد بهذا الاستنباط فانه سبق له ابن عباس كما نقله ابن تيمية فى كتاب رد الروافض (من ابغض الصحابة وسبهم فليس له فى فئ المسلمين حق) الفئ ما اخذ من غنيمة الكفار وهو من صدد للمسلمين فعدم نصيبه منه عقوبة له على مافعله وفيه اشارة الى انه يخرج بذلك عن الاسلام ولذا حكم بعض المالكية بقتله ان لم يتب والفئ هنا شامل للغنيمة فان كلا منهما يطلق على الآخر وان فرق بينهما الفقهاء واهل اللغة وقد قال مشايخنا فى هذا ونحوه انه كالمسكين والفقير اذا افترقا اجتمعا واذا اجتمعا افترقا وهو معنى بديع سمعته من شيخنا النور الزيادى (ونزع) بنون وزاء معجمتين وعين مبنى للفاعل ويجوز جعله مبنيا للمجهول ايضا فعلى الاول فاعله ضمير من ذكر او ضمير مالك وغيره وعلى الثانى نائب فاعله قوله (باية) سورة الحشر وقيل ضمير من ابغضهم وفيه نظر وفسر نزع بمعنى استدل

واستخرج من الآية وسيأتي في آخر الكتاب قال مالك من انتقص احد من الصحابة
من اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فليس له في هذا الفيء حق قدقسم
الله الفيء في ثلثة اصناف فقال للفقراء المهاجرين الآية الى آخره فمن انتقصهم
فلاحق له في الاسلام وعطف سبهم على ابغض عطف تفسيري لان البغض امر
قلبي لايطلع عليه وهذا اقوى اماراته فلا يرد عليه ان تعليق الحكم بهما يقتضي
انه لايكفي احدهما فيه وهو محل نظر كما قيل ومن فسر نزع ببعد عن الايمان بشهادة
حديث الله الله في اصحابي الى آخره لم يصب واصل معنى النزع القلع والخروج
فيجوز به عما مر فليس من النزوع عن الاوطان والتقرب كما توهمه هذا القائل والآية
المذكورة قوله تعالى ما افاء الله على رسوله الى قوله (والذين جاؤا من بعدهم)
يقولون ربنا اغفرلنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولاتجعل في قلوبنا غلا للذين
آمنوا ربنا انك رؤف رحيم * ووجه الاستدلال بالآية انه جعل ما افاء الله على رسوله
حقا للفقراء المهاجرين والفقراء الذين تبوؤا الدار والفقراء الذين جاؤا من بعدهم
مهاجرين بعد ماقوى الاسلام والتابعين لهم باحسان ممن امن بعد المهاجرين
والانصار الى آخر الزمان وجملة يقولون الى آخره حال اى القائلين ربنا اغفر لنا
ولاخواننا وهي حال مقيدة فجعل شرط استحقاقهم قولهم ذلك ومن يسبهم لم يقل
ذلك لاقتضائه محبتهم والشفقة عليهم وانهم لاغل ولابغض لهم فيهم حيث قالوا
ولاتجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا وسيذكره المصنف رحمه الله تعالى في آخر الكتاب
ثم انه بين ان هذه يقتضي كفرهم والكفار لاحق لهم في الفيء فلذا قال (وقال) مالك
ابن انس (من غاظ) بظاء مشددة قيل وبالضاد ايضا وهي لغة فيه لاابدال واختلف
في الغيظ والغضب هل هما بمعنى او الغيظ اشد الغضب او الكمين في النفس او الغضب
للقادر والغيظ للعاجز اى من اغتاظ واحتد اذا ذكر (اصحاب محمد) عنده (فهو
كافر) لان من ابغضهم فقد ابغضه صلى الله تعالى عليه وسلم وبغضه كفر
وهذا رواه الخطيب البغدادي عن عروة الزبيري قال كنا عند مالك بن انس فذكر عنده
رجل انتقص الصحابة فتلا قوله تعالى محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار
الى آخره وقال من اصبح في قلبه غيظ على اصحاب محمد فقد اصابته هذه الآية لانها
صدرت بلام التعليل وهي اما علة لماقبلها من تشبيههم بالزرع في النمو والاستحكام
ثم ذكر انه انما شبههم بذلك ليغيظهم (قال تعالى ليغيظ بهم الكفار) قالوا من لايكون عنده
غيظ منهم او علة لقوله بعده وعد الله الذين آمنوا منهم فانما وعدهم ليغيظ الكفار
بوعده لهم والحاصل انه لايغيظ باصحابه ومنا من غيرهم فخرج غيظ بعضهم على بعض
لما اداه اليه اجتهاده (وقال عبد الله بن المبارك خصلتان من كانتا فيه نجا) من كل امر
يشينه ويقصه عند الله (الصدق) بان يتحرى في الصدق في جميع اقواله حتى يكون

عندالله صديقا (وحب آل محمد) صلى الله عليه وسلم كبيرهم وصغيرهم حتى يقدمهم
على نفسه واهله وليس هذا من كلام ابن المبارك بل هو حديث رواه ابن مسعود
عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال ان الصدق يهدي الى البر وان البر يهدي
الى الجنة وان الرجل ليصدق حتى يكتب عندالله صديقا وان الكذب يهدي
الى الفجور وان الفجور يهدي الى النار وان الرجل ليكذب حتى يكتب عندالله كذابا
وقد روى من طريق آخر بمعناه وترتب النجاة على ماذكر سر من اسرار الله يطلع
عليه من شاء من خلص عباده ومنهم ابن المبارك وناهيك به (وقال ايوب السختياني)
التابعي المشهور (من احب ابا بكر فقد اقام الدين) لان الدين استقام به
في صحبته لرسول الله في اول الاسلام وفي اول الهجرة وفي قيامه مقامه بعد وفاته
وقد تزلزل الناس وارتد بعضهم وفاض النفاق وانفرج الخلاف بين القول والعمل
وقد نزل بهم ما لو نزل بالجبال هاضها فحمل اعباء الخلافة فقر الدين ووفاء فمن فاء
ومن احب احدا كان معه وتخلق باخلاقه (ومن احب عمر فقد اوضح السبيل) اى
بين طريق الحق لمن اراد سلوك الطريق المستقيم لان بعده صلى الله تعالى عليه
وسلم اظهر الدين وانعم به على الاقطار وقضى لاهله الاوطار ففتح الفتوح حتى بلغ
صيت الاسلام اقصى الارض كما في حديث الشيخين هنا بينا انا نائم رأيتني على قليب
عليها دلو فنزعت فيها ما شاء الله ثم اخذها ابن ابي قحافة فنزع بها ذنوبا
وذنوبين وفي نزعه ضعف والله يغفر له ثم استحالت غربا اى دلوا كبيرا
فاخذها ابن الخطاب فلم ار عبقريا من الناس ينزع بنزع عمر وفي رواية فلم ار عبقريا
يفري فريه حتى ضرب الناس بعطن وهو تمثيل لطول مدة خلافته وكثرة فتوحاته
في الاسلام (ومن احب عثمان فقد استعان بنور الله) الذي اظهره الله فيه ولذا
لقب بذي النورين لما فيه من الكرم والحلم والزهد والورع والصبر على ما ابتلاه الله به
حتى لقي الله وهو راض عنه وكان اشد الناس حيا (ومن احب عليا فقد اخذ بالعروة
الوثقى) اى تمسك بها لكونه عالما بعلم الحقيقة وقائما بالذب عن حوزة الدين لايلحقه
في الله لومة لائم وهو باب مدينة العلم فمن احبه متمسك بالعروة الوثقى اى بالحق والرأي
القويم الذي هو عروة لاينفصم وهو استعارة مصرحة من عروة الكلام وهو ماله
اصل ثابت واطراف لاينقص اذا سقطت الاوراق (ومن احسن الثناء) بمدح ناش
عن محبة خالصة فان الظاهر عنوان الباطن (على اصحاب محمد) تعميم بعد التخصيص
(فقد برئ) اى اسلم وخلص (من النفاق) المراد به معناه العرفي وهو مخالفة الظاهر
للباطن مطلقا واصله اخفاء الكفر واظهار الاسلام ويجوز ان يراد هذا والمراد
بالثناء ثناء من غير غلو كغلو الشيعة (ومن انتقص) اى بغض (احدا منهم) بذمه
وذكر مايشينه (فهو مبتدع) لمخالفته السنة واتيانه مانهى الله تعالى عنه ورسوله
او في نسخة ابغض ثم فسره بقوله (مخالف للسنة) اى لهديه وطريقته

صلى الله تعالى عليه وسلم فى جميع اقواله وافعاله (والسلف الصالح) من الصحابة والتابعين (واخاف) اى اظن اواعلم (ان لايصعدله عمل) من اعماله الصالحة اى لايقبله الله تعالى منه ولايثيبه عليه ورفع الاعمال يعبربه عماذكر ولبس الخوف بمعناه الحقيق وهوضد الامن لعدم مناسبته هنا قال الراغب الخوف يوقع فى مكروه عن امارة مظنونة اومعلومة وفسر قوله تعالى ان خفتم شقاق بينهما لعرفتم انتهى (الى السماء) لعدم تمسكه بالكتاب والسنة (حتى يحبهم جميعا ويكون قلبه سليما) من بغضهم مقتديا بالسلف الصالح (وفى حديث خالد بن سعيد) ابن العاص بن امية بن عبد شمس الصحابى وهو ثالث اورابع اوخامس من اسلم وسبق غيره ولبس فى الصحابة من اسمه خالد بن سعيد غيره ولم يروعنه حديثا فى الكتب الستة وهذا الحديث رواه الطبرانى وابن مندة وماذكره المصنف رحمه الله تعالى نقله البرهان الحلبى وقال غيره انه خالد بن عمر بن سعيد فسعيد جده وذكره ابن عبدالبر فى الاستيعاب وذكرسبب اسلامه فى واقعة رأها وخالدبن سعيد ان كان غيرالمذكورلانه لم يشتهرعنه ازواية فالحديث مرسل والافضل والظاهرهوالمقدم واول هذاالحديث انه صلى الله عليه وسلم لماقدم من حجة الوداع المدينة صعدالمنبر فحمدالله واثنى عليه ثم قال ايها الناس الخ (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال ايها الناس انى راض عن ابى بكرفاعرفواله ذلك) اى رضاى عنه فى صحبة له وانه لم نال جهدا فى خدمته ولم يفارقه فى حياته ومماته ولم يرمنه الامايسره وفى تقديمه وافراد له بالذكروعدم تشريكه له مع غيره مايدل على خلافته له وفضله على سائر الصحابة وهو صريح فيه الاعند من ختم الله على سمعه وقلبه وسيأتى الكلام ان من انكر خلافة ابى بكر يبدع ولايكفر ومن سب احدا من الصحابة ولم يستحل يفسق والاكفر (ايها الناس انى راض عن عمروعن عثمان وعن على وعن طلحة والزبير) بن العوام (وسعد) بن ابى وقاص (وسعيد) بن زيدابن عمرو بن نوفل (وعبدالرحمن بن عوف) الزهرى فاعرفوالهم ذلك اى كونى راض عنهم (اهم) والمراد بمعرفتهم رعاية حقوقهم وتوقيرهم ومحبتهم والواولاتدل على الترتيب وان كان اهل السنة على تقديم ابى بكرثم عمر بالاتفاق واختلفوا فى عثمان وعلى ايهما افضل والمشهور تقديم عثمان ومنهم من قدم عليا ومنهم من توقف فى ايهما الافضل وان هذه المسئلة غيرقطعية عندهم لكن الذى عليه اعتقاد السلف الصالح واعتقادنا ما ذكر بقية الصحابة وشهرته (ايها الناس ان الله قد غفر لاهل بدر) كلهم جميع ماصدر منهم لحضورهم اول مشهد اعزالله به الاسلام والمسلمين وبدر اسم موضع معروف سميت باسم رجل حفر بئرها كما تقدم (والحديبية) بتشديد الياء وتخفيفها وهى اسم مكان قريب من مكة من الحرم اوخارجه اوبعضه منه اقوال وفيه الشجرة التى كان تحتها بيعة الرضوان وقصتها معروفة فى السير وقد تقدم ذكرها (ايها الناس احفظونى) لم يقفوا على شئ فيهم ولم يذكرعاشرهم ابوعبيدة بن الجراح

لدخوله فى الصحابة اى احفظوا حقى وقدرى برعاية مايجب منه كما تقدم تفصيله فى (اصحابى) اى وحفظ يتم ويتحقق بحفظ اصحابى ومحبتهم وتوقيرهم وان من بغضهم يبغضنى ولم يحفظنى ثم خص بعد التعميم احتياطا وحثا بقوله (واصهارى واختانى) الاصهار جمع صهر بكسرفسكون قال الجوهرى هم اهل المرأة على الخليل قال ومن العرب من يجعل الصهر من الاحماء والاختان جميعا والختن بفتحتين واحد الاختان كل من كان قبل المرأة كالاب والاخ وعند العامة ختن الرجل زوج ابنته وكل شئ من قبل الزوج فهو حمو وفيه لغات مشهورة فالمراد بهما من بينه صلى الله عليه وسلم وبينه علاقة سببية بتزويجه اوالتزوج منه (لايطالبنكم) معاشر الناس اجمعين اى لايكون لاحد منهم عليكم حق يستحق اى يطالبكم به ويدخليكم (احد منهم) اى من المذكورين من اصحابى واتباعى (بمظلمة) بكسر اللام وفتحها وهى مايؤخذ ظلما وجورا فيطالب به ويشكى ممن اخذه والكسرفيها اكثر واشهر (فانها مظلمة) اى حق للعبد اخذ منه ظلما (لاتوهب فى القيمة غدا) اى لايهبها الله لانها حق العبد مالم يرض صاحبها لاتترك وقوله غدا اشارة الى قرب اليوم الذى يؤاخذ فيه العباد ترهيبا لهم وتخويفا (وقال رجل للمعافى) بفتح الفاء والقصر (ابن عمران) ابومسعود الازدى الموصلى احد الاعلام المحدثين كان يقال له ياقوتة العلماء توفى سنة خمس وثمانين ومائة واخرج له البخارى وغيره والقائل له لايعرف (اين عمر بن عبد العزيز) الخليفة العابد الزاهد العادل (من معاوية) ابن ابى سفيان رضى الله تعالى عنه اى ايهما افضل وخصهما بالسؤال لانهما امويان فاين تذهب انت فى الفرق بينهما (فغضب) على السائل لما لاح عليه من تفضيله لابن عبدالعزيز نظر الظاهر الحال (وقال لايقاس) اى لايستوى فضلا عن التفضيل (باصحاب النبى صلى الله عليه وسلم احد) وفى نسخة على اصحاب النبى وقاس يتعدى بالباء وعلى وقد تعدى بالى لما فيه من معنى الجمع والضم قال المتنبى

* بمن تضرب الامثال ام من اقيسه * اليك واهل الدهر دونك والدهر *

ثم اشار لفضل معاوية على غيره لقوله (معاوية صاحبه صلى الله تعالى عليه وسلم وصهره) لانه اخو زوجته ام حبيبة بنت ابى سفيان ام المؤمنين (وكاتبه) لماثبت انه من احد كتابه صلى الله عليه وسلم (وامينه على وحيه) لانه بعد استكتبه كان يكتب ما نزل عليه من الوحى ولو لم يستأمنه ما استكتبه الوحى وكفاك بهذه مرتبة لم يصل اليها عمر بن عبدالعزيز واضرابه وابن المعافى رجل منصف ماصح عنه يرد ماقيل انه لم يكتب له شيئا من الوحى وانما كان يكتب له الى الاطراف ولبذكر فضل معاوية لقرب نسبه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لان عمر بن عبد العزيز شاركه فى ذلك وروى ان عمر سمع مثله لغبار بغزوة غزاها معاوية مع رسول الله خير من عمر وفى الطائف فى معاوية قيل ومن يطعن فى معاوية فذاك كلب من كلاب الهاوية وآل عمر وروى الترمذى عن جابر وضعفه انه صلى الله عليه وسلم (اتى) بالبناء للمفعول النبى عليه السلام

(بجنازة رجل) بفتح الجيم وكسرها الميت ونعشه اوفوق لفوق وتحت لتحت وقد يعكس (فلم يصل عليه وقال كان) هذا الميت (يبغض عثمان فانا ابغضه) فلذا لم يصل عليه لان صلاته على الميت دعاء له وشفاعة له فحرم من ذلك والعياذ بالله تعالى وفى نسخة يدل ماذكر (فابغضه الله) فهو خبر اودعاء عليه لبس فى هذا الحديث نهى عن الصلاة حتى يقتضى كفره كما توهم لجواز ان لايصلى هو ويصلى غيره كما فى المديون والبغض لايقتضى الكفر (وقال) صلى الله عليه وسلم فى حديث رواه الشيخان (فى الانصار) اى فى حقهم والوصية بهم وقيل فى شانهم وفضلهم (اعفوا عن مسيئهم) اى عمن وقع منه اساءة ما (واقبلوا من محسنهم) كل ما احسنوه فحذف مفعوله تعميما وفى البخارى اوصى الخليفة من بعدى بالمهاجرين والانصار ان يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم اى مافرط منهم من ذلة والانصار اسم حدث لهم فى الاسلام وهم الاوس والخزرج والتجاوز عن مسيئهم فى غير الحدود وحقوق الناس وهو ماذكر بعض من حديث رواه الشيخان ففى البخارى عن انس بن مالك ان ابا بكر والعباس مرا بمجلس من مجالس الانصار وهم يبكون مرضه صلى الله تعالى عليه وسلم فقالا ما يبكيكم قالوا ذكرنا مجلسه صلى الله تعالى عليه وسلم منا فدخلا عليه صلى الله تعالى عليه وسلم واخبراه بذلك فخرج وقد عصب على رأسه حاشية برد فصعد المنبر ولم يصعده بعد ذلك فحمد الله واثنى عليه ثم قال اوصيكم بالانصار فانهم كرشى وعيبتى وقد تعفوا الذى عليهم وبقى الذى لهم فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم وهذا تمثيل لان الكرش يجمع الغذا الذى به حياة الحيوان ونماؤه ويقال لفلان كرش منثورة اى عيال كثيرة والعيبة بفتح العين المهملة مايخزن فيه المتاع يريد انهم موضع سره وامانته قال ابن دريد وهو من موجز الكلام الذى لم يسبق اليه وقيل الكرش بمنزلة المعدة والعيبة مستودع الثياب والاول امر باطن والثانى ظاهر فضرب به مثالا لاختصاصهم باموره الباطنة والظاهرة وهو تشبيه بليغ اواستعارة واراد بما عليهم نصرته وقضاء ما تابعوه عليه وما لهم الجزاء فى الدنيا والآخرة وقد علمنا ان معنى وتجاوزوا عن مسيئهم اى فى غير الحدود وحقوق الامين وهذا ايضا محمل الخبر الصحيح اقبلوا ذوى الهيئات عثراتهم ومن ثم ورد فى رواية الا فى الحدود وفسره الشافعى بانهم الذين لايعرفون بالشر فيقرب منه قول غيرهم اصحاب الصغائر دون الكبائر وقيل اذا اذنب تاب (وقال) صلى الله عليه وسلم فى حديث رواه ابونعيم والديلمى عن عياض الانصارى وابن منيع عن انس (احفظونى فى اصحابى واصهارى) تقدم بيانه (فانه) اى الشان (من حفظنى فيهم) برعاية حقوقهم واكرامهم (حفظه الله فى الدنيا والآخرة) حفظه فى الدنيا مما يسوءه وتوفيقه لترك المعاصى وفى الآخرة من العذاب والعقاب (ومن لم يحفظنى فيهم) بترك ما امر (تخلى الله منه) اى اعرض عنه وتركه فى غيه استدراجا له (ومن تخلى الله عنه

يوشك) يسرع ويقرب (ان يأخذه) اخذ عزيز مقتدر بان يهلكه ويستأصله مستعار لاخذ المعروف وقوله تخلى الخ اخبار عما يقع به وكونه انشأ للدعاء عليه يأباه السياق فما قيل انه اقرب لبس بشئ ولهذه الزيادة ذكره المصنف رحمه الله تعالى وان تقدم (وعنه صلى الله تعالى عليه وسلم) فى حديث رواه سعيد بن منصور عن عطاء مرسلا (من حفظنى فى اصحابى) برعاية حق فيهم (كنت له حافظا يوم القيامة) اى مانعا من هول المحشر ومايسوءه فيه (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه الطبرانى بسند ضعيف (من حفظنى فى اصحابى ورد على الحوض) اى وصل اليه وشرب منه حتى لايظمأ بعده (ومن لم يحفظنى فى اصحابى) بتضييع حقوقهم وعدم محبتهم ورعاية ذريتهم (لم يرد على الحوض ولم يرنى الا من بعيد) فلا يقرب منه صلى الله تعالى عليه وسلم لان من ابغض الصحابة بقية الله فاستحق الطرد عن الحوض وعدم شفاعته صلى الله تعالى عليه وسلم وتفوت بركته وعنايته فى مثل ذلك اليوم الشديد الهول (قال مالك) امام دار الهجرة ونجم السنة رحمه الله (هذا النبى) صلى الله عليه وسلم عبر باسم الاشارة القريب لانه لحضوره فى قلبه وذهنه قدر نفسه كانه بين يديه بمرأى منه (مؤدب الخلق الذى هدانا الله به) لخيرى الدنيا والآخرة والضمير للناس كلهم (وجعله رحمة) عامة (للعالمين) وجميع المخلوقين (يخرج فى جوف الليل) اى فى شبهه بالخوف وهو داخل البدن وعبر بالمضارع لحكاية الحال الماضية (الى البقيع) اسم موضع بظاهر المدينة واصله اسم كل مكان متسع فيه شجر ويقال له بقيع الغرقد بغين معجمة وهو اسم لنوع من شجر العضاة كان به ثم زال وصار مقبرة لاهل المدينة المنورة وانما كان يخرج اليه ليناجى ربه متخليا عن اهله (فيدعو لهم) اى لتلك المقبرة فيهم (ويستغفر لهم) اى يدعو لامواتهم واحيائهم بالمغفرة (كالمودع لهم) كانه يودع من تلك الجنابة لعلمه بقرب اجله ومفارقة زيارتهم (وبذلك امره الله) اى امر بان يدعوا لامته اولامواتهم ويستغفر لهم وفيه دليل على شدة محبته لهم فيجب علينا اتباعه فى ذلك (وامر) بالبناء للمجهول (النبى) اى امره الله (بحبهم) لله (وموالاتهم) اى معاونتهم ونصرتهم كما امر وابذلك (ومعاداة من عاداهم) من الكفرة والمنافقين وهو اشارة لما رواه مسلم عن عائشة انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يخرج فى ليلتها آخر الليل الى البقيع ويقول السلام عليكم دار قوم مؤمنين وانا ان شاء الله بكم لاحقون اللهم اغفر لاهل بقيع الغرقد وكان لما خرج خرجت عائشة ورأه مستخفية منه فاحس بذلك وسألته عما صنع فقال ان جبريل اتانى ونادانى ولم يدخل عليك ولم اوقظك خشية ان تستوحشى فقال ان ربك يأمرك ان تأتى اهل البقيع فتستغفر لهم فقلت كيف اقول فقال يقول السلام على اهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله عزوجل المستقدمين منا والمستأخرين وانا بكم ان شاء الله لاحقون

وهو ما اشار اليه مالك رحمه الله وقيل انه اشارة الى قوله تعالى * فاعف عنهم واستغفر لهم * فاذا امر بذلك فنحن احق به الظاهر ما قدمناه (وقال كعب) رضى الله عنه الاخبار التابعى المشهور وهذا رواه عنه ابن سعد بلفظ لبس بدل قوله (لبس احد من اصحاب محمد) وهذا امام روى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم فهو مرسل او هو مما قرأه فى الكتب القديمة لانه كان عالما بها (الا وله شفاعة) فى غيره من المؤمنين (يوم القيامة) وفيه تكريم لهم وما يقتضى محبتهم رجاء شفاعتهم فيمن احبهم (وطلب) اى كعب الاخبار وهذا دليل على صحة اعتقاده لما قاله وانه كان محبا لهم مترجيا لشفاعتهم (من المغيرة بن نوفل) بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم القريشى الصحابى ولد على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بمكة قبل الهجرة وكان من انصار على رضى الله عنه وقيل انه لم يدرك من حياة رسول الله الا ست سنين وكان قاضيا فى خلافة عثمان رضى الله تعالى عنه وعد من الصحابة وطلب كعب منه (ان يشفع له يوم القيمة) يدل عليه ونوفل والده هو ابن عم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والحارث جده لم يدرك الاسلام وهذا ما ذكره البرهان ومن تبعه وقال التلمسانى نوفل هو والده هو ابن معاوية بن عروة الدولى من كنانة سمع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ومات فى زمن يزيد بن معاوية وقد بلغ المائة كما قاله الواقدى وقال البرهان الحلبى الحارث بن عبد المطلب قال ابن عبد الغنى المقدسى انه لم يدرك الاسلام واسلم من اولاده اربعة نوفل وربيعة وابو سفيان وعبد الله ونوفل من اخوته ولمن من اسلم بنى هاشم ولم يذكر المغيرة فيهم ومنهم من جعل المغيرة اسم ابى سفيان والصحيح خلافه وانه غيره ولم يتعقبه ابا الفتح اليعمرى حين ذكره وقال الذهبى فى التجريد ابو سفيان اسمه المغيرة قاله ابن المنذر ولم يتعقبه (وقال سهل بن عبد الله التسترى لم يؤمن بالرسول) انما كان كاملا (من لم يوقر اصحابه) بتعظيمهم ومحبتهم (ولم يعز) من اعزه اذا نصره وقواه او جعله عزيزا موقرا مبجلا معظما (اوامره) جمع امر وقد تقدم الكلام عليه قيل وهذا يقتضى ان سب الصحابة وتنقيصهم كفر وقيل انه كبيرة قال الزركشى وينبغى ان تقيد الخلاف بغير من جعل ذلك لكونهم صحابة لا لامر آخر وهو مقتضى مذهبنا ايضا وفى منظوم ابن وهبان اخاف على من قال ابغض عالما من الكفر اذ لا مقتضى الكفر يظهر وسيأتى تفصيله *فصل ومن اعظامه واكباره* اعظامه واكباره بمعنى تعظيمه وتكبيره واجلاله وفى القاموس اعظمه فخمه وكبره واستعظمه رآه عظيما اى من تفخيمه وتعظيمه اللذين هما واجبان على المؤمن (اعظام جميع اسبابه) قيل هو بالمعنى العرفى وهو كل ما ينسب اليه من فراشه ولباسه مما لا روح له او له روح كعبده ودوابه وقال الراغب السبب الحبل الذى يصعد به النخل قال الله تعالى * فليرتقوا فى الاسباب * ويسمى كل ما يتوصل به سببا ويسمى العمامة والخمار والثوب الطويل سببا تشبيها بالحبل فى الطول انتهى (واكرام مشاهده)

جمع مشهد وهو محل الشهود اى الحضور من المشاهدة وهى الادراك بالبصيرة والبصر ومشاهدة الحج مواضع المناسك (وامكنته) جمع مكان عطف تفسير (من مكة الى المدينة) بيان للامكنة فالمراد به مساكنه ومحل اقامته لا مطلق المكان (ومعاهده) اى المحال التى عهد الفه لها كالاساطين التى كان يصلى عندها ومحل صلاته فى المساجد والاماكن المباركة ومنازله (وما لمسه) بيده او بغيره من اعضائه كالحجر الاسود والركن اليمانى واللمس والمس متقاربان (اوعرف به) كالاماكن التى جاهد فيها والغار الذى دخله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد مر ان ابن عمر كان يتحرى الصلاة والنزول والمرور حيث حل صلى الله تعالى عليه وسلم ونزل وماروى عن مالك مما يخالف ذلك فهو جرى على عادته فى سد الذرائع وكذا ماجاء عن عمر انه رأى الناس فى الرجوع من الحج ابتدروا مسجدا فقال ما هذا قالوا مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال هكذا هلك اهل الكتاب قبلكم اتخذوا آثار الانبياء بيعا من عرضت له منكم الصلاة فليصل ومن لم تعرض فليمض وكلام المصنف رحمه الله تعالى هنا غير موافق لما مر عن مالك لا يمكن حمل كلامه على اكرام ذلك بغير نحو الصلاة ليوافق ما مر عن امامه لانا نقول يمكن لكنه بعيد من ظاهر عبارته ويؤيد ظاهرها ان محققهم الشيخ خليل لما قاله يسن زيارة البقيع ومسجد قبا قيل ذلك عن كثرة اقامته بالمدينة قال والا فالمقام عنده صلى الله تعالى عليه وسلم احسن لمغتنم ثم نقل عن العارف بن ابى جمرة من حين دخل المسجد ما جلس الا للصلاة حتى دخل الركب ولم يخرج لبقيع ولا لغيره ولما خطر له ذلك قال هذا باب الله تعالى مفتوح للسائلين والمتضرعين وليس ثم من يجد مثله (وروى عن صفية بنت نجدة) فى الحواشى التلمسانية ان هذه المرأة زوجة ابى محذورة وقد روى عنها ايوب بن ثابت وروت هى عن زوجها ابى محذورة واختلف فى اسم ابيها نجدة فقيل انه بنون مفتوحة وجيم ساكنة ودال مهملة وهاء وقيل نجداه بدال مهملة تليها الف وهاء وقيل نجراة براء مهملة بدل الدال المهملة وقيل الصواب بحرة بموحدة مفتوحة وحاء وراء مهملتين وهاء (قالت كان لابى محذورة) بحاء مهملة وذال معجمة قبلها حاء مهملة وهاء بزنة اسم مفعول وهو محذورة بن معير بميم مكسورة وعين مهملة ساكنة ومثناة تحتية مفتوحة وراء مهملة وقيل معين بنون بدل الراء ابن لوذان بفتح اللام وضمها وواو وذال معجمة القريشى مؤذن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بمكة ولم يزل الاذان فيه وفى عقبه واختلف فى اسمه اختلافا كثيرا فقيل سمرة وقيل اوس وقيل سلمان وقيل سلمة وهو جمحى صحابى توفى سنة تسع وخمسين او سبعين واخرج له مسلم واحمد واصحاب السنن (قصة) بضم القاف وتشديد الصاد المهملة وهى خصلة من شعر الرأس (فى مقدم رأسه) مما يلى وجهه من الناصية سميت بها لانها مما يقص وقال ابن دريد كل خصلة من الشعر قصة وقال الجوهرى هو شعر الناصية وسبب توقيرها ان رسول الله صلى الله تعالى

عليه وسلم مسحها بيده وابقاها تبركا بمامسه وهو محل الشاهد وكان لما قدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مكة واذن له بها وهو مع فتية من قريش سمعوا الاذان فاستهزؤا وكان ابو محذورة يحاكى الاذان استهزاء فسمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر باحضاره فلما مثل بين يديه ظن انه مقتول فمسح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ناصيته وصدره بيده قال فامتلأ قلبى يقينا وايمانا وعلمت انه رسول الله فاسلم وعلمه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الاذان وامره ان يؤذن لاهل مكة وهو ابن ستة عشر سنة فكان مؤذنهم حتى مات (اذا قعد وارسلها) اى حل عقصها وسدل شعرها (اصابت الارض) اى وصلت اليها لطولها (فقيل له) اى قال الناس لابى محذورة (الا تحلقها) بكسر اللام مضارع حلق الشعر بفتحها والا للعرض او الاستفتاح (فقال لم اكن بالذى احلقها وقد مسها رسول الله بيده) الشريفة فابقاها تبركا بمامسه بيده وبهذا زالت الكراهة وان قيل بها فى غيره (و) فى حديث رواه ابو يعلى قال (كانت فى قلنسوة خالد بن الوليد) بن المغيرة الصحابى المخزومى المشهور والقلنسوة ما يوضع على الرأس تحت العمامة وتسمى شاهية وقيل يقال قلنسية وهو بفتح القاف وضمها وضم السين وكسرها ففيه لغات (شعرات من شعره) صلى الله تعالى عليه وسلم جعلها فى داخله تبركا بها (فسقطت قلنسوته) عن رأسه (فى بعض حروبه) قيل هو فى غزاة اليمامة فى خلافة ابى بكر رضى الله تعالى عنه (فشد) اى رجع لاخذها وهو يعدو عدوا شديدا سريعا يقال شد اذا جرى جريا قويا (عليها) اى كارا عليها لأخذها خوفا من ضياعها (شدة) اى كرة قوية (انكر عليه اصحاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) رجوعه لاصل عمامته لظنهم انه حرص عليها لذاتها (لكثرة من قتل فيها) اى فى شدة هذا رجوع معه لجانب العدو بسببه وكثرة منصوب مفعول انكر او هو مفعول لاجله (فقال لم افعلها) اى هذه الشدة والكرة (بسبب) اخذ هذه (القلنسوة) كما ظننتم (بل) فعلتها (لما تضمنته) اى لما فى ضمنها وداخلها (من شعره) صلى الله تعالى عليه وسلم بفتح العين وسكونها (لئلا تسلب) بالبناء للمجهول ونائب فاعله (بركتها) وتسلب بمعنى تذهب بركتها منى وذلك امر عظيم يخاطر بالارواح وفى نسخة اسلبه ويحتمل انه من السلب بفتحتين اى يأخذها العدو ويدل عليه قوله (وتقع فى ايدى المشركين) الذين لا يليق ان يكون عندهم آثار رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (ورئى) مبنى للمجهول بهمزة قبل الياء آخره (ابن عمر واضعا يده على مقعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى موضع قعوده (من المنبر ثم وضعها على وجهه) اى مسحه بها تبركا بماس جسده وثيابه وهذا رواه ابن سعد ويأتى الكلام على ذلك عند اعادة المصنف رحمه الله تعالى وهذا يدل على جواز التبرك بالانبياء والصالحين وآثارهم وما يتعلق بهم ما لم يؤد الى فتنة او فساد عقيدة وعلى هذا يحمل

ماروى عن ابن عمر من انه قطع الشجرة التى وقعت تحتها البيعة لئلا يفتتن بها الناس لقرب عهدهم بالجاهلية فلا منافاة بينهما ولا عبرة بمن انكر مثله من جهلة عصرنا وفى معناه انشدوا

* امر على الديار ديار ليلى * اقبل ذا الجدار وذا الجدار *

* وما حب الديار شغفن قلبى * ولكن حب من سكن الديار *

قيل باطن القلب وقيل شغاف القلب غلافه وهو جلد عليه وقيل هو وسط القلب والمعنى هذه الاقوال متقاربة اى ما وصل حب الديار الى شغاف قلبى فغلب عليه قول النابغة

* وقد حال هم دون ذلك داخل * دخول الشغاف يبتغيه الاصابع *

وروى بالعين المهملة ومعناه الاحتراق وعلى الاول العمل قال الجوهرى وشغفه الحب احرق قلبه وقال ابو زيد امرضه وقد شغف بكذا فهو شغوف وروى عن الشعبى انه قال الشغف بالغين المعجمة حب والمهملة جنون وقيل الاول محل القلب والثانى سويد القلب ويقال ان الشغاف الجلدة اللاصقة بالكبد التى لا ترى وهى الجلدة البيضاء وهذا وقع مقدما فى بعض النسخ (ولهذا) اى للتبرك بآثاره (كان) الامام (مالك لا يركب بالمدينة دابة) فرسا ونحوها مما يركب رجاء لان يمس جسده ترابا مشى عليه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولما ذكره ايضا بقوله (وكان يقول اذا سئل عن ذلك (استحيى من الله تعالى) اى اخشى واهاب (ان اطأ تربة فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بحافر دابة) اى ارضا ذات تراب ونسب الوطء له مع انه للدابة لانه منسوب له والحافر للفرس ونحوها كالخف للبعير والقدم للانسان ثم بين ان عدم ركوبه لم يكن لكونه ليس له دواب بل لتعظيمه صلى الله تعالى عليه وسلم فقال (وروى عنه) اى عن الامام مالك (انه وهب) للامام (للشافعى) لما كان بالمدينة ضمن وهب معنى اهدى فعداه باللام وهو متعد لاثنين بنفسه (كراعا) بوزن غراب وهو جمع من الخيل وله معان اخر فيطلق على الخيل والسلاح وما استدق من الساق واسم موضع (كثيرا كان عنده) اى فى ملكه وحيازته وهو يدل على كرمه واجلاله للامام الشافعى (فقال له الشافعى) لما وهبه جميع دوابه (امسك منها دابة) اى ابقها عندك لتركبها (فاجابه بمثل هذا الجواب) الذى اجاب به من تقدم بانه يستحيى من الركوب بالمدينة (وقد حكى ابو عبد الرحمن السلمى) بضم السين وفتح اللام الامام الجليل شيخ الامام القشيرى صاحب الرسالة (عن احمد بن فضلويه) بفتح الفاء وسكون الضاد المعجمة وفتح اللام والواو وسكون الياء ويجوز ضم اللام وهو طريقة المحدثين يقولونه كراهة من لفظة ويه فانه كلمة تدل على مكروه كالويل وقال المقرى انه كلمة تصغير عند عوام البصرة ثم وصفه بقوله (الزاهد وكان من الرماة الغزاة) كان مكثرا للمجاهدة فى سبيل الله مجدا لرمى السهام ملازما للمجاهدة بها (قال ما مست القوس بيدى) ولمسته بها حال الرمى

وغيره (الاعلى طهارة) اى متوضأ (منذ بلغنى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اخذ القوس بيده) اى امسكها وهو كناية عن الرمى بها وقد ثبت انه صلى الله عليه وسلم حث على الرمى وامر به فهو سنة ففى صحيح مسلم عن عقبة بن عامر سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو على المنبر يقول واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل الا ان القوة الرمى وكررها ثلاثا وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يدخل بالسهم الواحد ثلثة نفر الجنة صانعه والرامى به ومنبله اى من يناوله النبل ليرمى به وصح انه صلى الله تعالى عليه وسلم رمى بالسهام فى غزوة احد وكان له قسى ست مذكورة فى السير ثم انه قيل ان تخصيصه الطهارة تمس القوس دون السيف وغيره مما مسه وتعظيمه ازيد من غيره من آلات الحرب لما فيه من دفعه عنه دون مشقة كما فى غيره ولذا كانت العرب تسميها اى السهام رسل المنايا وما قيل انه يحتمل انه كان يفعل ذلك فى كل نوع من الآلات لا يساعده لفظه (وقد افتى مالك فيمن قال من به المدينة) اى ارضها (ردية) لم يحل فيها غير طيبة ذات وباء متعفنة الهوى وردية مهموز وغير مهموز مأخوذة من الردى (بضرب ثلاثين درة) بكسر الدال وتشديد الراء المهملتين وهى آلة من جلد غليظ يضرب بها معروفة فى الكلام اى وقال انه يضرب او يضرب بدل من افتى (وامر بحبسه) تعزيرا له (وكان) الذى حبسه (له قدر) عظيم وشرف بين الناس وذكر هذا لان التعزير يختلف حاله بحال من عذر ففيه اشارة الى انه اذنب ذنبا عظيما اذ لو كان امرا سهلا صدر من شريف لعذره باللسان والزجر والى هذا اشار بقوله (وقال) الامام مالك (ما احوجه) تعجب من استحقاقه العقاب اشد مما فعله وفيه تجوز لانه جعلت استحقاقه بمقتضى ما صدر عنه كانه له حاجة اليه لان العاقل لا يفعل ما لا يحتاج اليه ففيه تهكم به يومى الى عدم شعوره بمصالحه (الى ضرب عنقه) اى الى القتل (تربة) وارض (دفن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم يزعم انها غير طيبة) اى ردية متغيرة الهواء ذات وباء وهى وان كانت ذات حمى قبل الهجرة فقد دعا لها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بنقل حماها وعفونة هواها الى الجحفة فصارت معتدلة طيبة كما هو مشاهد فيها وعبر بيزعم للاشارة الى انه قول باطل وان كان الزعم يجئ بمعنى القول ولذا قالوا عن زعم مطية الكذب وهذا مبالغة ان زجره تفاديا عن تنقيص ما هو من الاماكن عند الله وان امكن حمله على محمل آخر من ان بعض اماكنها سباخ ولكونها كانت ذات وباء لما قدم الصحابة لها واخذتهم الحمى قال صلى الله عليه وسلم اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة او اشد اللهم بارك لنا فيها وصححها لنا وانقل حماها الى الجحفة فطابت وطابت تربتها حتى صار ترابها شفاء من الجذام كما ورد فى الآثار قال ابو صيرى * لا طيب يعدل تربا ضم اعظمه * طوبى لمستنشق منه وملتثم * (وفى الصحيح) اى فى الحديث الصحيح الذى رواه الشيخان عن انس (انه) صلى الله

تعالى عليه وسلم (قال فى المدينة) اى فى حقها وشأنها (من احدث فيها حدثا) اى من فعل فيها امرا قبيحا ابتدعه فيها كالمظالم واصل الحدث كل ما حدث وتجدد ثم خصه العرف بما ذكره من البدع المنكرة شرعا كما فى النهاية ومن موصولة او شرطية (او آوى) بالمد ويجوز قصره (محدثا) بكسر الدال اسم فاعل من احدث اى ادخله وضمه لاهلها يقال آوى اليه كذا انضم اليه اى ادخلها خائنا واجاره ونصره على خصمه وفتح داله كما قيل على انه بمعنى الامر المبتدع وايواؤه الرضى به تكلف لا حاجة اليه (فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا) وقد تقدم تفسيره وانه تغليظ فى الزجر او مأول كما قدمناه وفيه من تعظيم المدينة لكونها مكانه ما لا يخفى ولها حرمة الحرم كما فصلوه وسيأتى (وحكى) بالبناء للمفعول والذى حكاه ابن عبد البر (ان جهجاه الغفارى) بن سعد بن حرام قال الطبرى كذا رواه المحدثون والصواب جهجا بلا هاء وقال الذهبى هو جهجاه بن قيس وقيل ابن سعيد وهو مدنى صحابى شهد بيعة الرضوان وبعض الغزوات وتوفى بعد عثمان بسنة وقد تقدم وسيأتى انه مات قبل الحول (اخذ قضيب النبى صلى الله عليه وسلم) والقضيب عصاء قصيرة كان يمسكها فى يده وكذا فعله الصحابة (من يد عثمان رضى الله تعالى عنه وتناوله) منه (ليكسره على ركبته) كما هو معتاد فى كسر ما يحتاج كسره لقوة (فصاح به الناس) تحذيرا له وزجر المبتدع عما اراده (فاخذته الاكلة) اى اصابته وبدت به (فى ركبته) لوضعه القضيب ليكسره عليها (فقطعها) لان العضو المأكل ان لم يقطع سرت اكلته للبدن واهلكته (ومات قبل الحول) الذى بعده او قبل تمام الحول الذى فعله فيه وروى انه مات عقبه كما تقدم قال فى القاموس الاكلة بضم الهمزة وسكون الكاف قال بعض اللغة وما اشتهر من مد همزته خطأ وفيه نظر فقد روى الثعالبى فى ثمار القلوب شعرا فيه ذكر الاكلة ولم ينكره وهو ما قيل فى هجاء الاصمعى * ومن انت هل انت الا امرء * اذا اصح نسلك من باهله * والباهلى على خيره * كتاب لاكله الاكلة * والاكلة كالاكال مرض يفسد الاعضاء كالجذام معروف ولبس فى كلام القاضى هنا وفيما تقدم ما يقتضى انه كسر القضيب وروى الطبرى فى الرياض النضرة انه كسرها ورواية انها عصاة لبس مخالف لما ذكر لان القضيب تسمى عصا وكان هذا فى الفتنة لما خصب اناس عثمان وهو على المنبر فلما نزل اخذ الجهجاه منه العصا التى كانت بيده وكان ممن قدم عليه فى قصته المشهورة وقد تقدم الكلام عليها فى فصل الكرامات وانقلاب الاعيان له (وقال) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه مالك وابو داود والنسائى وابن ماجة عن ابى هريرة (من حلف على منبرى) المراد بكونه على المنبر انه عنده ويجوز ابقاؤه على ظاهره بان يصعد عليه ويحلف وقد نص عليه الشافعية وانه يجوز له انه يؤمر بصعوده ولكن الاصح الاول وهذا بناء على ان اليمين تغلظ بالمكان وفى الزمان فيذهب بالحالف للمسجد وكان فى حياته صلى الله تعالى عليه وسلم يحلف عند المنبر لان ما بينه وبين القبر

الشريف افضل بقعة بالمدينة بعد مرقده وماضمه جسده العظيم (كاذبا فليتبوأ مقعده من النار) يتبوأ بمعنى يتخذه مباءة اى مقدار مسكنه يقال بوأه اذا اسكنه وهودعاء اوامر اريد به الخبر وجعل استحقاقه العذاب بمنزلة حضوره وحضور محله فامر بان يجعله مقرا له على طريق التمثيل وهومن بليغ الكلام و بديعه الذى يعرفه من ذاق حلاوة البلاغة والفصاحة (وحدث) بالبناء للمجهول (ان ابا الفضل الجوهرى) ليس هو عبدالله بن الحسن المصرى الواعظ بجامع مصر فى حدود السبعين واربعمائة وكان من العلماء الصالحين يتبرك به ويقتدى به فى السلوك وانما هو حينئذ فى تاريخ الاندلس عبدالله بن الحكيم الترمذى الاندلسى ذو الوزارتين له فضل وحسب وفضل باهر وادب عالم بالقرأن والحديث والعربية وله شعر رائق ونثر فائق وارتحل للمشرق فاخذ بها عن ابن عساكر واكثر الرواية عنه وله رياسة فى عصره صار بها كالمثل السائر الى ان ردت منه الايام ماوهبت فانقضت ايامه وذهبت فقتل لما خلع سلطانه فنهبت امواله وكتبه ومات شهيدا رحمه الله تعالى (لما ورد المدينة زائرا وقرب من بيوتها ترجل) اى نزل عن دابته التى كان راكبها تأدبا (ومشى باكيا) خضوعا وخشية وغلبة شوق اومسرة فان من المسرة قد يحصل البكاء (منشدا) انشاد الشعر قراءته والمراد انه تمثل به لان الشعر من قصيدة الهيثم اولها

* قد يناك من ربع وان زدتنا كربا * لانك كنت الشرق للشمس والغرباء *

ومنها * نزلنا عن الاكوار نمشى كرامة * لمن بان عنه ان نلم به ركبا *

* ولما رأينا رسم من لم يدع لنا * فؤادا لعرفان الرسوم ولا لبا *

وغيره قليلا لانه فى ديوانه وكيف حرفيا رسم الى آخره والقصيدة فى مدح سيف الدولة ولقد اجاد فى تمثله به ونقله لمحل لايق به وقدضمنه المصنف رحمه الله تعالى بقوله له فقال بعده

* وتهنا باكاف الخيام بواحدا * نقبلها طورا و نرشفها حبا *

* ونبدى سرورا والفؤاد يحبها * تقطع والاكباد اورى بها لهبا *

* اقدم رجلا بعد رجل مهابة * واسحب خدى فى مواطنها سحبا *

* واسكب دمعى فى مناهل حبها * وارسل حبا فى اماكنها النحبا *

* وادعو ادعاء البأس الواله الذى * براه الهوى حتى بدا شخصه سحبا *

والرسم آثار الديار الدارسة والمراد آثاره صلى الله تعالى عليه وسلم فى معاهده ومساكنه والفؤاد القلب اوداخله والعرفان والمعرفة بمعنى واللب العقل والاكوار جمع كور بضم الكاف وهو للابل بمنزلة السرج وبان هنا بمعنى بعد اى لايليق به الركوب لمن قرب من مقامه تأدبا ونلم تأكيد لزيادته والالمام الاتيان قليلا ويكون بمعنى القرب ومن فسر بان هنا بمعنى ظهر لم يصب والركب اسم جمع لراكب ويختص بالابل

وقديع وقد شرح البيت هنا بعضهم بما يستحى من ايراده (وحكى عن بعض المريدين) والمريد صاحب الارادة لغة والمراد به ما اصطلح عليه مشايخ الصوفية من طالب الحق على يد المرشد الكامل بجعل ارادة ماعدا الحق عبثا (انه لما اشرف على مدينة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم) اى قرب منها بحيث يراها واصل الاشراف النظر من مكان عال اريد به لازمه (انشاء) اى شرع والانشاء يكون بهذا المعنى وبمعنى الايجاد ابتداء يقول (متمثلا) التمثل انشاد شعر الغير فى مقام يناسبه وهو من قصيدة لابى نواس بن هانى فى مدح محمد الامين الخليفة ابن هارون الرشيد العباسى من قصيدة قصد المتمثل بها لمدح النبى صلى الله عليه وسلم لموافقة اسمه اسمه وهو نوع من البلاغة قريب من التضمين وهو ان يورد شعرا لغيره فى مقام يكون احق به من صاحبه ولم يتعرض له اصحاب البديع الا ان الامام محمد التوزرى اورده فى كتابه العزة اللايحة واورد منه ما ذكر المصنف رحمه الله تعالى بقوله

* رفع الحجاب لنا فلاح لناظر * قمر تقطع دونه الاوهام *

* واذا المطى بنا بلغن محمدا * فظهورهن على الرحال حرام *

* قربننا من خير من وطئ الثرى * فلها علينا حرمة وذمام *

واول هذه القصيدة المذكورة * يادار ما فعلت بك الايام * لم يبق فيك بشاشة تستام *

والمراد برفع الحجاب فى كلام ابى نواس ستاير ابواب الملوك والعظام وهو هنا بمعنى انقضاء المسافة والقرب من المدينة والقمر الممدوح فيهما ويقطع ماض اومضارع حذفت احدى تائيه تخفيفا والاوهام جمع وهم وتقطعها اضمحلالها باليقين وناظر اسم فاعل من نظر اوناظر العين وانسانها والمطى جمع مطية ناقة تمتطى اى تركب ولاح بمعنى بدا وظهر ودونه بمعنى قريبا منه ويجوز فى تقطع بناؤه للمجهول ايضا وقوله فظهورهن الى آخره جمع ظهر وهو معروف والرحال بحاء المهملة جمع رحل وهو للابل كالسرج للخيل او بجيم جمع رجل ذكر من بنى آدم والمعنى تتقارب اى اذا اوصلتهم لمقاصدهم كان لها حرمة تقتضى رعايتها وراحتها فلا يركبها بعد ذلك رجل ولا يوضع على ظهرها رحل بل تترك سارحة منعمة فى مرعاها ومعناها ظاهر ثم بين علة هذه الرعاية بقوله وهى جملة مستأنفة استئنافا بيانيا والحرمة الحق الذى يلزم احترامه والذمام مفرد بمعنى مايلزم احترامه اوجمع ذمة وهى العهد ومايجب الوفاء به والمعنى ظاهر لاحاجة للتطويل بشرحه ومن وطئ الثرى وهو التراب كناية عن الناس كلهم وماقاله ابونواس من تحريم ركوبها كناية بديعة لانه يشير الى ان من وصل له لايرحل بعدها لعدم حاجته لسواه ولانه لايقدر على مفارقته من هو غاية مايتمناه وقد كان ذلك وكما قال عبدالله بن رواحة فى قصيدة له

* اذا ادبتنى وحملت رحلى * مسيرة اربع بعد الحسنا *

* فشانك فانعمى وظلك ذمى * ولا ارجع الى اهلى ورائى * وفيه رد على الشماخ

فى قوله * اذا بلغتنى وحملت رحلى * عرابة فاشرقى بدم الوتين *

وقال المبرد بعد ما انشد قول ابن رواحة لقد احسن كل الاحسان حيث قال لا احتاج الى ان ارحل لغيره وقد عاب الرواة قول الشماخ ولذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم للانصارية التى اتته على ناقة باقرلها وانى نذرت ان نجوت عليها ان انحرها بئس ما جزيتها وقالت فى الموازنة ان الشماخ رأى ناقته شفها السير وهزلت ودبلت كما قال * اليك بعثت راحلتى لتشكى * كلوما بعد محفدها السمين * فقال اذا بلغتنى عمابه فلا ابالى ان تهلكى وليس دعاء عليها وانما اراد انه بلغ المنى وليس هذا مضاد لقول ابى نواس وانما يضاده قول الانصارية وللشعراء والادباء هنا كلام كثير لم يسعه هذا المقام وقلت انا فى معناه

* اذا بلغتنا النوق حين تلفتت * قريرة عين فى اعز المسارح *

* وحق لها تحدى الخدود وتفتدى * بانفسنا من قادحات الطوالح *

* فياليتها تمسى لاكرام مثلها * جميع نياق الارض ناقة صالح *

(وحكى بعض المشايخ) يعنى به كبار الصالحين والعلماء (انه حج ماشيا) تواضعا وقصد الزيادة فى الثواب وقد قال الفقهاء انه افضل لمن قدر عليه من داره فان لم يقدر فمن الميعاد فان لم يقدر بقيد الدخول ونحوه وذكر مجاهد ان ابراهيم واسمعيل عليهما السلام حجا ماشيين وحج الحسين ماشيا ونجائبه تقاد معه (فقيل له فى ذلك) اى سئل لم فعله (فقال العبد الابق) اى الفار من سيده اذا رجع اليه (لا يأتى الى بيت مولاه) اى سيده (راكبا) وفى نسخة يأتى بدون لا وتقديرا يأتى بتقدير الاستفهام الانكارى واراد بالابق المذنب المقصر فى خدمة مولاه مجازا اى انا مذنب مقصر حقيق بالخضوع والتذلل (لو قدرت ان امشى على رأسى) المشى على الرأس عبارة عن غاية الجد والتذلل كما قيل سعيا على الرأس لا مشيا على القدم (ما مشيت على قدمى) مثنى قدم مضاف لياء المتكلم (قال القاضى) يعنى المصنف رحمه الله تعالى فى بيان ايضاح انه ينبغى للزائر المشى واظهار الخضوع من المذلة (وجدير) اى خليق وحقيق وهو مبتدأ وخبر (لمواطن) اى اماكن ومساكن جمع موطن وهو محل التوطن والاقامة واراد بها مكة والمدينة (عمرت) اى صارت معمورة (بالوحى والتنزيل) من عطف العام على الخاص والباء للسببية او هى المتعدية بجعل الوحى بمنزلة ساكن عمرها (وتردد) التردد بمعنى المجئ والذهاب من قولهم فلان يتردد الينا وليس من التردد بمعنى الشك (جبريل وميكائيل) اما تردد جبريل عليه الصلوة والسلام فظاهر واما ميكائيل عليه الصلوة والسلام فكان ينزل عليه احيانا (وعرجت) اى صعدت من عنده (منها) اى من المواطن (الملائكة

والروح) هو جبريل عليه السلام عطف عليهم عطف الخاص على العام وقيل ملائكة كالحفظة على الملائكة لا تراهم الملائكة كما انا لا نراهم واما ان المراد به ارواح الناس مما لا يليق ذكره (وضجت عرصاتها) الضجيج والضجاج الصياح ورفع الاصوات المختلفة واصله صياح العاجز المغلوب والعرصات بفتحتين جمع عرصة وهى الارض والساحة المتسعة من غير بناء والمراد هنا الارض مطلقة (بالتقديس والتسبيح) هما لغة التطهير والتنزيه والمراد بهما هنا توحيد الله تعالى وذكره كقوله سبحان الله ولا اله الا الله واسناد الضجيج للعرصات تجوزا للمبالغة فى كثرة الذكر والتلاوة (واشتملت تربتها) اى تضمنت وحوت ارضها (على جسد سيد البشر) وهو صلى الله تعالى عليه وسلم اشرف المخلوقات فالمكان الذى حواه افضل الامكنة فيلزم تعظيمه والسعى اليه ماشيا بالمذلة والادب ثم ذكر بعد فضيلتها الذاتية ما نشأ عنها وعرض منها فقال (وانتشر) اى شاع وتفرق واشتهر فى الارض منتقلا (عنها) اى عن تلك المواطن وفى نسخة منها (من دين الله وسنة رسوله ما انتشر) اى امر عظيم كثير لا يعلمه الا الله ولذا عبر بما المبهمة كقوله الحاقة ما الحاقة (مدارس آيات) عطف بيان او بدل من مواطن اى محال يدرس فيها القرآن جمع مدرس من درس اذا قرأ وتلا وقيل جمع مدارس ومفعال غريب فى اسم المكان كالمرصاد ولا حاجة لارتكابه (ومساجد) جمع مسجد بالكسر موضع السجود وهو وضع الجبهة على الارض خضوعا وعبادة وليس المراد به الموضع المعد للعبادة وان صحت ارادته (وصلوات) جمع صلاة وهى العبادة المعروفة واصل معناها الدعاء ويجوز ارادته هنا وفى نسخة مساجد صلوات بالاضافة على تقدير لام الاختصاص ومن قال معناه مساجد لاجل الصلوات لم يصب (ومشاهد الفضائل والخيرات) المشاهد جمع مشهد وهو محل يشهده الناس ويجتمعون فيه والفضائل جمع فضيلة كالعلم وتعليم الاداب وغيرهما من الكمالات والخيرات هى خير الدنيا والآخرة (ومعاهد البراهين والمعجزات) اى عهد فيها ظهور معجزاته وبراهين نبوته الدالة على صدقه وهو عطف تفسير وقيل البراهين اعم من المعجزات (ومناسك الدين) جمع منسك وهو محل العبادة والنسك (ومشاعر المسلمين) اى المحال معالمهم التى يجب القيام بها من الواجبات وغيرها (ومواقف سيد المرسلين) اى المحال التى قام فيها لاعلاء كلمة الله واظهاره لله كمحاربيه ومحال صلاته (ومنبر خاتم النبيين) بفتح الباء وكسرها اى مساكنه ومحال اقامته (حيث انفجرت النبوة) اى ظهرت وفاض على جميع الخلق منافعها واشرق فى القلوب انوارها ففيه استعارة مكنية وتخييلية اما بتشبيه النبوة بالفجر والصبح الصادق فى ظهوره الماحى لظلمة الكفر او بمنبع الماء المروى للناس بعد ظمأ الجهل فقوله (واين فاض عبابها) بضم العين وهو الماء الكثير كالسيل والماء الكثير المندفق الفائض وحيث يكون ظرف

زمان و مكان و فيه لغات مشهورة واين اسم يستفهم به عن المكان مجرد عن الاستفهام لمجرد المكان وقيل انها نافية على اصلها اى هى جواب من سأل وقال اين فاض عباب النبوة فيقال هذه الاماكن (ومواطن مهبط الرسالة) مهبط مصدر ميمى بمعنى الهبوط اى محال نزول الوحى برسالته وامره بتبليغ الخلق ما ارسل به لهم المراد مكة لان مراده مدح الحرمين كما فسرنا به المواطن اولا ولذا قال (واول ارض مس جلد المصطفى ترابها) هو يكنى عن مولد كل احد لانه لو فرض انه سقط على ارضها كان كذلك كما قال

* بلاد بها نيطت على تمائمى * واول ارض مس جلدى ترابها *

ومنه حل المصنف رحمه الله كلامه ولمحبه (ان يعظم عرصاتها) جمع عرصة وهى كما تقدم ارض لابناء فيها فالمراد بها هنا لا مطلق الارض او معناها الحقيقى فهو ساحة المدينة ومكة وفناء ارضها فيعلم منه غيرها بالطريق الاولى وهذا هو المبتدأ الذى قدم خبره وطول ليتشوق سامعه اليه و ينتظره (وتتنسم نفحاتها) تفعل من النسيم مبنى للمجهول والمراد ما فى النسيم من نفحاتها الطيبة والنفحة فى الاصل دفعة من الريح يجوز بها عن الطيب الذى ترتاح له النفس من نفح الطيب اذا فاح وفى الحديث ان لربكم فى دهركم نفحات فتعرضوا لها فشبه ما فيهما من بركاته وطيب نسيم روايحه استعارة تبعية او مكنية وتخييلية (وتقبل) اى تلثم وتباس بالشفافة (ربوعها) جمع ربع وهو المنزل فى الربيع ويطلق على المنزل مطلقا وهو المراد هنا (وجدرانها) بضم الجيم وسكون الدال المهملة والف ونون جمع جدار وهو اصل الحائط و يطلق عليه ايضا ويجوز ان يكون بتاء التأنيث جمع الجمع ثم لما تزايد شوقه لمعاهده صلى الله تعالى عليه وسلم قال مخاطبا بها متنزيلها منزلة العقلاء فى شعر له مروى عنه وهو قوله اى المؤلف

* يا دار خير المرسلين ومن به * هدى الانام وخص بالآيات *

اراد بداره محل قرفيه مطلقا فيشمل مكة والمدينة وفى نسخة المسلمين والاولى اولى وهدى مبنى للمجهول اى هدى الله تعالى به الانام الخلق مطلقا او كل ذى روح و قوله خص بالآيات المراد بها القرآن او جميع المعجزات لان الله تعالى خصه منها بما لم يكن لغيره اذ التعريف فيه للعهد

* عندى لاجلك لوعة وصبابة * وتشوق متوقد الجمرات *

اللوعة شدة الحب وحرقته والصبابة رقة الشوق من صبا اليه اذا مال والتشوق زيادة الشوق وشبه ما فى القلب منه بجمرات متوقدة ومتوقد بكسر القاف من اضافة الصفة للموصوف وضبط بفتحها ايضا كما فى المقتفى

* وعلى عهد ان ملأت محاجرى * من تلكم الجدران والعرصات *

وعلى عهد اى توثق التزمته وهو يمين كما يقال على عهد الله تعالى والمحاجر جمع

محجر وهو جوانب العين وميلها مجاز عن النظر اليها وابصارها وتكلم الجدرات جمع مؤنث لجدر جمع جدار كما تقدم والعرصات تقدم تفسيرها

* لاعفرن مصون شيبى بينهما * من كثرة التقبيل والرشفات *

التعفير تمريغه فى التراب ويقال له عفار واراد بشيبه لحيته المبيضة وبينها اى بين ترابها وارضها وجعله مصونا لانه محفوظ عما تلوثه و يشينه والتقبيل اللثم والرشفات جمع رشفة وهى مص الريق ونحوه وفسرها هنا بالتقبيل ايضا وتفسيره بمص ريق المحبوب غير مناسب هنا واللام جواب القسم الذى تضمنه قوله على عهد

* لولا العوادى والاعادى زرتها * ابدا ولو سحبا على الوجنات *

العوادى جمع عادية وهى الامور التى تمنع عن زيارتها والعوايق او الظلمة جمع عادية بمعنى غايرة ظالمة والاعادى جمع عدو او هو جمع اعدا جمع الجمع والوجنات جمع وجنة وهى اعلى الخد وهو ما ارتفع منه وغلظ وسحبا منصوب بمقدر اى استحب وجهى على الارض مذلة وخضوعا وضمير زرتها للارض للدار وابدا ظرف مستغرق لما يستقبل من الزمان والمعنى لولا عوايق الدهر لم افارقها ولم نتخلف عنها

* لكن ساهدى من حفيل تحيتى * لقطين تلك الديار والحجرات *

استدراك على ما افاده ما قبله اى ان منعت عن زيارتها والاقامة بها والتضمخ بتربها فانى اهدى لمن سكن بها يعنى به رسول الله واصحابه الذين دفنوا فيها والاهدى الارسال والحفيل بحاء مهملة مكسورة وفاء وياء تحتية ولام بمعنى كثير نفيس تحتفل به والتحية من التحيات بمعنى السلام والقطين بقاف مفتوحة وطاء مهملة مكسورة ومثناة تحتية ساكنة ونون بمعنى المقيم و يطلق على الاتباع والخدم والحجرات جمع حجرة وهى بيت صغير من تلك الدار مقرر و بحجر اشارة الى حجراته التى كان بها زوجاته امهات المؤمنين وكان الشيخ احمد بن الرفاعى كل عام يرسل مع الحجاج السلام على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فلما زاره وقف تجاه مرقده وانشد

* فى حالة البعد روحى كنت ارسلها * تقبل الارض عنى فهى نائبتى *

* وهذه نوبة الاشباح قد حضرت * فامدد يديك لكى تحظى بها شفتى *

فقيل ان اليد الشريفة بدت له فقبلها فهنيئا له ثم هنيئا

* ازكى من المسك المفتق نفحة * يغشاه بالآصال والبكرات *

ازكى بمعنى اكثر طيبا ورايحة طيبة والمفتق بزنة مكرم بالتشديد من فتق المسك والطيب اذا خلط بغيره مما يزيد طيبه كماء الورد ونفحة تقدم تفسيره وهو منصوب تمييز وروى بالرفع واضافته للهاء اى رايحته نائب فاعل المفتق و يغشاه يعرض له او تغطيه وتجلله من الغشاء والآصال جمع اصيل او جمع اصل جمعه فهو جمع الجمع وهو ما قرب من الغروب والبكرات جمع بكرة وهى اول النهار وخصهما لطيب النسيم ولطافة الهواء فيهما

* وتخصه بزواكى الصلوات * ونوامى التسليم والبركات *

وتخصه بتاء تأنيث فاعله ضمير التحية او بنون المتكلم مع الغير والزواكى جمع زاكية وهى الزائدة بمعنى النوامى جمع نامية وحركت ياءهما بالكسر للضرورة والتسليم عليه صلى الله تعالى عليه وسلم معناهما ظاهر ولقد اجاد فى الختم بهما والبركات جمع بركة ولا وجه لما قيل انه فاسد الوزن وصوابه ان يقول وتخصه ازكى صلاة دائما بنوامى التسليم والبركات مع انه وقع فيما هرب منه وروى ان المصنف رحمه الله تعالى لم يحج ولم يزره صلى الله تعالى عليه وسلم فقال هذه الابيات الثمانية متحسرا على ما فاته كما وقع للعارف بالله تعالى ابى العباس بن العريف فقال

* سار الركاب وسوء الخط اقعدنى * ولم اجد لبلوغ القصد مفتاحا *
* ياسائرين الى المختار من اضم * سرتم جسوما وسرنا نحن ارواحا *
* انا اقمنا على عجز ومسكنة * ومن اقام على عجز يكن راحا *

﴿الباب الرابع﴾ من القسم الثانى (فى حكم الصلوة عليه والتسليم) والصلاة اصل معناها الدعاء والعبادة المخصوصة لما فيها من تحريك الصلوتين والمراد بها ان يقال صلى الله تعالى عليه وسلم والتسليم مصدر سلم تسليما ككلمه تكليما اذا نقاد له وسلم امره اليه (وفرض ذلك) اى وجوبهما على امته فى اى مقام (وفضيلته) اى فضيلة ما ذكر من الصلاة والتسليم وليس الضمير للتسليم فقط والمراد بفضيلته ما هو اعم من الوجوب فيشمل الندب والاستحباب وقال ابو ذر رضى الله عنه ابتداء مشروعية الصلوة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم كان فى السنة الخامسة من الهجرة وقيل كان الابتداء بمكة لانه ورد فى حديث الاسراء وما قاله ابو ذر رضى الله تعالى عنه هو ابتداء اظهاره للناس وهذا مما خص به دون الانبياء عليهم السلام كلهم فانه لم يشرع ذلك لاممهم وان كان والسلام عليهم مشروع (قال تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبى الاية) صدر بهذه الآية لاثبات مدعاه لان الامر يحتمل الايجاب والندب واعلم ان معنى الصلاة لغة الدعاء ويطلق شرعا على العبادة المخصوصة واختلف هل هى منقولة من المعنى اللغوى لمعنى آخر وضعه الشارع له لمناسبته لمعناه الاصلى لاشتمالها على الدعاء ولما فيها من تحريك الصلوين وهما طرفا العجز او هى مجاز لاشتمالها على الدعاء والظاهر الاول وقال ابن القيم وبعض المتأخرين من انها باقية على معناها اللغوى ولا نقل فيها ولا يجوز لان المصلى فى جميع صلاته فى دعاء وعبادة غايته ان الشارع خصها بفرد من افراد الحقيقة كالدابة لذوات الاربع ورد بانه كلام من لم يعرف معنى النقل واهل الشرع اذا استعملوها لا يلاحظون معناها اللغوى ولا ينظرون اليه وهو كلام غير مهذب فان المجاز اذا اشتهر يتناسى فيه المعنى الاصلى ويصير كالعلم بالغلبة وهو المراد بقولهم انه حقيقة عرفية شرعية

فالمآل واحد والخلاف لفظى وهذه الآية مدنية اخبر الله عباده فيها بشرف منزلته صلى الله تعالى عليه وسلم عنده وان الله وملائكته يثنون عليه فى الملأ الاعلى ثم امر اهل العالم السفلى بان يفعلوا كفعلهم وفى الكشاف لما نزلت هذه الآية قال جبريل ما خصك الله بشرف الا اشركنا فيه فنزل هو الذى يصلى عليكم وملائكته قال الحافظ السخاوى لم اقف على اصله الى الآن وقال شيخ مشايخنا ابن حجر الهيتمى هو موافق لما اخرجه ابو نعيم فى الدلائل فى ترجمة سفيان بن عيينة انه سئل عن قوله اللهم صل على محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم فقال اكرم الله امة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فصلى عليهم كما صلى على الانبياء فقال هو الذى يصلى عليكم وملائكته وقال لنبيه وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم اى سكينة فصلى عليهم كما صلى على ابراهيم واسحق ويعقوب والاسباط وهولا انبياء مخصوصون منهم وعم هذه الامة بالصلوة وادخلهم فيما ادخل فيه نبيهم صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يدخل فى شئ الا دخل فيه امته ثم تلى ان الله وملائكته الآية وقال هو الذى يصلى عليكم الخ واشار الى مزيد خصوصيته على امته باسناد الصلوة عليه اليه والى ملائكته وصلاة الملائكة على الامة لا تكون الا بتبعته وجمهور القراء على نصب الملائكة عطفا على اسم ويصلون خبر عنهما وقيل خبر ملائكته وخبر الجلالة محذوف لدلالة يصلون عليه ورجح بتغاير الصلاتين ورجح الاول ابو حيان والجملة اسمية خبرها مضارع لافادة الاستمرار التجددى فالملائكة استمرت صلاتهم عليه وهذه منقبة لم يوجد لغيره اعظم من سجود الملائكة لادم الذى وقع وانقطع وقال على النبى دون محمدا والرسول تنويها بقدره والنبوة اشرف من الرسالة لانها اتصال بالله واشتغال به والرسالة اشتغال بالناس ثم انه اكد السلام وخصه بالمؤمنين قيل لان الصلوة مؤكدة معنى بصدورها من الله وملائكته فكيف لا يصلون عليه امته اولانها مؤكدة بان والجملة اسمية والسلام سواء كان بمعنى الانقياد او بمعنى السلامة من الايذاء لا يليق اسناده الى الله والملائكة ولذا استحق التأكيد لصدور خلافه من جنسهم ولا يرد عليه قوله تعالى سلام على ابراهيم وقوله والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم كما اورده السخاوى لانه تحية واكرام وبقى هنا كلام بيناه فى رسالة مستقلة ثم شرع فى بيان معنى الصلوة فقال (قال ابن عباس معناه) اى معنى الصلوة وذكره لتأويله بالدعاء اولان تأنيث المصادر غير معتبر وهذا رواه ابن جرير وابن ابى حاتم (ان الله وملائكته يباركون على النبى صلى الله عليه وسلم) اى يدعون له بزيادة بركة لايقة بمقامه وشرف قدره وسيأتى فيه كلام واصل معنى البركة النمو وزيادة الخير اللازم (وقيل) فى معناه انه بمعنى (ان الله يترحم على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى يدعون له بالرحمة وفى القاموس رحمت عليه والاولى الفصحاء وهو رد على من قال ترحمت عليه لحن كما نقله الصاغانى ورد بانه ورد فى

الحديث وتأتى الاشارة اليه ايضا (وملائكته يدعون له) ولم يبين الدعاء لتفسيره بقوله (وقال المبرد) معنى (الصلوة الترحم) اى الانعام او الدعاء بالرحمة ومعنى الدعاء من الله ارادته او التبشير به لان معناه الحقيقى لا يتصور فى حق الله تعالى فاريد به لازمه وغايته ولذا فسره بقوله (فهى من الله رحمة) اى انعامه او ارادته (ومن الملائكة رقة) اى شفقة عليه ومحبة (واستدعاء الرحمة من الله) له اى طلبها والدعاء بها (وقد ورد فى الحديث) الذى رواه الشيخان عن ابى هريرة (صفة الملائكة على من جلس ينتظر الصلوة) فى المسجد (اللهم اغفر له اللهم ارحمه فهذا دعاء) لهم بالمغفرة والرحمة وقد صرح بهذا فى حق الملائكة يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا وفى قوله تعالى والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن فى الارض وقد بينا وجه الدعاء بخصوص الاستغفار فيما يأتى فى فضل المواطن ولفظ الحديث فى مسلم لا يزال العبد فى صلاة ما كان فى مصلاه ينتظر الصلاة والملائكة يقول اللهم اغفر له اللهم ارحمه حتى ينصرف او يحدث (وقال) الامام (ابو بكر القشيرى الصلوة من الله تعالى لمن دون النبى) اى لمن منزلته دون منزلته من الامة (رحمة) اى طلب ان يرحمه الله واما النبى فمرحوم باعلى انواع الرحمة فهو غير محتاج لان يدعى له بها وفى فتاوى الصوفية لو قال اللهم ارحم محمدا كما رحمت او ترحمت على ابراهيم قال الصغار انه مكروه فى حق الانبياء والرسل وحكى عن محمد انه كان يكرهه ويقول فيه ظن نوع تقصير بهم فانه لا يستحق الرحمة الا من اتى بما يلام عليه وقد امرنا بتعظيم الانبياء وتوقيرهم فاذا ذكر النبى لا يقال رحمه الله بل صلى الله عليه وسلم بل لا يقال للصحابة رحمه الله بل رضى الله عنهم وكذا قال خواهرزاده وصاحب المحيط والظهيرية وانا اقول ان اللهم ارحم محمدا وآل محمد جائز متواتر وكان الشيخ الزاهد الرستغفنى يقول معنى ارحم محمدا ارحم امة محمد والترحم لامته لا له كما يقال لمن يراد عقابه وله اب حاضر يتوجع لابنه ارحم هذا الشيخ الكبير وهو لم يجن ولم يؤاخذ كما فى جامع المضمرات وقال الزيلعى الصحيح انه لا يكره لانه من اشوق الناس الى رحمة ربه انتهى (وللنبى صلى الله عليه وسلم تشريف وزيادة مكرمة) بميم فى اوله وراء مضمومة وفى نسخة تكرمة بتاء بدل الميم وراء مكسورة وهما مصدران وظاهره ان الصلوة على النبى غير الرحمة وانما هى فى حقه بمعنى التشريف والتعظيم اللائق به وقد علمت ما فيه وانه ورد الدعاء له بالرحمة ولكن استحبوا الدعاء له بلفظ الصلاة تأدبا وفرقا بينه وبين غيره (وقال ابو العالية صلاة الله عليه) صلى الله تعالى عليه وسلم (ثناؤه عليه) بمدحه وبيان منزلته عنده (عند الملائكة) اى بحيث يطلعون على ذلك (وصلاة الملائكة الدعاء له) كما مر (وقال القاضى ابو الفضل) مصنف هذا الكتاب (وقد فرق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث تعليم الصلاة عليه بين لفظ الصلاة ولفظ البركة فدل) تفريقه

بينهما بعطف احدهما على الآخر على (انهما بمعنيين) متغايرين وحديث تعليمهم الصلاة سيأتى بيانه وبيان طرقه ومراده ان بعضهم فسر الصلاة بالبركة وهذا الحديث يدل على خلافه وكونه عطف تفسير خلاف الظاهر والفرق بينهما ان الصلاة كما تقدم معناها الرحمة والبركة كما قال الراغب اصلها من البرك وهو صدر البعير ومنه برك البعير اذا القى بركه واعتبر فيها معنى اللزوم ولذا سمى محبس الماء بركة فالبركة ثبوت الخير الالهى فى الشئ والمبارك ما فيه ذلك الشئ ولما كان الخير الالهى يصدر من حيث لا يحس وعلى وجه لا يحصر قيل لكل ما يشاهد منه زيادة غير محسوسة مباركة وفيه بركة وكل ما ذكر فيه يبارك تنبيه على اختصاصه تعالى بالخيرات المذكورة معه انتهى فمعنى صل وبارك على محمد ارحمه وادم خيراتك التى لا تحصى عليه ثم ان الصلاة على رسول الله وغيره فهى على انبيائه ثناء وتعظيم وعلى غيرهم رحمة من رحمته التى وسعت كل شئ وقال الغزالى لفظ الصلاة مشترك فى الاعتناء بالمصلى عليه ثم لما فسر الصلاة وذكر الاقوال فيها تفسير السلام الذى هو قرينها فقال (واما التسليم الذى امر الله تعالى به عباده) فى قوله وسلموا تسليما (فقال القاضى ابو بكر بن بكير) بالتصغير وهو ابو بكر محمد بن احمد بن عبد الله بن بكير التميمى المالكى البغدادى الفقيه الثقة صاحب التأليف الجليلة التى منها احكام القرآن وهو عراقى من اقران ابن الجهم وقيل اسمه احمد بن محمد بن بكير وقيل محمد بن بكير لا غير فبكير اوجده (نزلت هذه الآية) يعنى قوله ان الله وملائكته يصلون الخ (على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فامر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اصحابه ان يسلموا عليه) امتثالا لامر الله لهم (وكذلك من بعدهم امروا ان يصلوا على النبى صلى الله عليه وسلم عند حضورهم قبره وعند ذكره) فى سائر مجالسهم كما سيأتى بيانه وهذا مبنى على ان الامر العام النازل عليه هل يختص بالموجودين او يعمهم ومن بعدهم وهو خطاب المشافهة والكلام عليه مبسوط فى كتب الاصول وعلى الاول اذا قام دليل او قياس جلى على شموله لمن بعدهم يعمل به وما نحن فيه من هذا القبيل (وفى معنى السلام عليه) صلى الله عليه وسلم (ثلاثة اوجه) وفى نسخة ثلاثة وجوه باستعمال جمع القلة للكثرة وهو جائز شايع فى كلامهم (احدها) انه بمعنى (السلامة) من النقايص والآفات ثابتة (لك ومعك) اى مصاحبة وملازمة لك (ويكون) على هذا التفسير (السلام مصدرا) بمعنى السلامة (كاللذاذ واللذاذة) بمعنى التلذذ باللذة فمعناهما واحد بتاء ودونها ومثله كثير كالملام والملامة والمقال والمقالة ولما فى السلام من التعادى بعلى لا لانه بمعنى القضاء والمعنى قضى الله عليك السلام كما قيل لان القضاء كالدعاء لا يتعدى بعلى للنفع ولا لتضمنه معنى الولاية والاستيلاء لانه وجه آخر ذكره بقوله (الثانى اى السلام مداوم على حفظك ورعايتك) اى اكرامك وعنايته بك ومراقبتك (ومتول له) اى قائم بحيث لا يكل امرك لغيره (وكفيل به)

اى متكفل ملتزم له (ويكون هنا) اى فى هذا الوجه (السلام اسم الله تعالى) ومعناه ذو السلامة وليس فى اسماء الله مصدر غيره (الثالث) من الاوجه (ان السلام بمعنى المسالمة له والانقياد) عطف تفسير فالمسالمة التسليم وعدم المخالفة (كما قال الله تعالى (فلا وربك) قسم جوابه (لا يؤمنون) اى لا يظهر ايمانهم ولا يكمل (حتى يحكموك) اى يفوضون الحكم اليك (فيما شجر بينهم) اى وقع بينهم من المنازعات والدعاوى (ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا) اى ضيقا لعدم رضاهم (مما قضيت) حكمت به عليهم (ويسلموا تسليما) اى يذعنون وينقادون لامرك منشرحة صدورهم لقبوله قال الراغب السلام والسلامة التعرى من الآفات الظاهرة والباطنة والسلام من اسمائه لسلامته وتنزهه عما لا يليق به انتهى وقال الخطاب صيغته خبر معناها الدعاء والطلب ومثله يحتاج للنية الا اذا شاع فيه عرفا فانه لا يحتاج حينئذ للنية انتهى ومعناه من الله فى صلى الله تعالى عليه وسلم على محمد ونحوه فانه لا يتصور فى حقه الطلب لغيره اذ هو المطلوب منه انه يريد من نفسه له الخير والسلامة والعزة حتى ينقاد الناس كلهم له فبين الطالب والمطلوب تغاير اعتبارى ومثله يكفى فى هذا المقام وقد افرد السلام بتأليف نفيس السيد السمهودى وقفت عليه وفيه امور يضيق المقام عنها وفى الشرح الجديد هنا كلام غير محرر واينا ترك التعرض له اولى وفى الاذكار للنووى انه يكره افراد الصلاة عن السلام فى حقه صلى الله تعالى عليه وسلم ويأتى فيه كلام وهذه الآية الاخيرة نزلت فى حق من خاصم الزبير فى حق سقاية الماء وسيأتى الكلام عليه ان شاء الله تعالى

﴿فصل اعلم ان الصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فرض فى الجملة﴾

اى اجمالا من غير تعيين زمان او محل (غير محددة) بحاء ودال مشددة مهملتين اى غير معينين واصله ما له حدود فاستعمل فى لازم معناه (بوقت) من الاوقات المعلومة واستدل له على مطلق الوجوب بقوله (لامر الله) واصل الامر الوجوب (بالصلاة عليه) بقوله صلوا عليه وسلموا تسليما (وحمل الائمة) من السلف والعلماء من اهل التفسير (على الوجوب) اى على انه امر ايجاب لا ندب اى فسروه بان المراد منه ذلك يقال حملت كلامه على كذا اذا فسرته به (واجمعوا عليه) اى على انه للوجوب من غير تعيين محل او زمان والآية تدل على ذلك عند الجمهور لانه الاصل فى الامر وحقيقته عند الاكثر وتقريره فى كتب الاصول ومستند الاجماع هذه الآية وما عضدها من الاحاديث لا الآية فقط حتى يقال انه ينافيه ما حكاه عقبه من قوله (وحكى ابو جعفر الطبرى) هو الامام محمد بن جرير وقد تقدم بيانه (ان محمل الآية) اى المراد منها وما فيها من الامر (عنده) اى عند ابى جعفر (على الندب) وفيه تقدير اى تبعا لغيره والا فلا معنى لحكايته ما عنده ويدل على المقدر قوله (وادعى فيه) اى فى ان الامر فيها للندب (الاجماع) وفى قوله ادعى اشارة الى ان ما قاله ممنوع عنده لثبوت خلافه عنده ثم وفق بينه وبين

ماذكره قبله فقال (ولعله) اى ما ادعاه (فيما زاد على مرة) واحدة فى العمر فانه لا خلاف فى كل وجوبه على عدم احد (والواجب منه) مبتدأ خبره مرة الآتى (الذى يسقط به الحرج) اى التضييق على الناس لو وجب دائما او كلما ذكر والاثم فان الحرج ورد بهذين المعنيين كما صرح بوابه (ومأثم ترك الفرض) اى يسقط به الاثم عمن تركه اذا كان فرضا والمأثم بالمثلثة مصدر ميمى بمعنى الاثم مضاف لترك المضاف للفرض بمعنى الواجب (مرة) مرفوع على الخبرية (كالشهادة له بالنبوة) والرسالة فانها واجبة فى العمر مرة فاذا سقط الوجوب بمرة يتحقق فى ضمنها ماهية المأمور به فالصلاة بالطريق الاولى وهو احد المذاهب والصلاة كما يأتى بيانه (وما عدا ذلك) اى المرة الواحدة فى الصلاة والشهادة (فمندوب مرغب فيه) بكثرة ثوابه وفوائده (من سنن الاسلام وشعار اهله) اى دأبهم الذى هو علامة لهم وهو لغة بمعنى العلامة وله معان اخر وهو جواب عما اعترض به على ابن جرير مما خالف الاجماع الذى حكاه المصنف رحمه الله وليس مذهب مالك كما نقله بعض الشراح وما نقله المصنف صرح به ابن عبد البر من عزوه له لمذهب وهو ظاهر (وقال القاضى ابو الحسن بن القصار) بقاف وصاد وراء مهملتين وهو على بن عمر بن احمد الفقيه الثقة له كتاب فى الخلاف كثير الفوائد لم يصنف فى بابه احسن منه وفى بعض النسخ الصفا بصاد مهملة بعدها فاء والف وراء قال التلمسانى والاول هو المعتمد وهو من ائمة المالكية منسوب لصنعة قصار الثياب وهو تبييضها والثانى لبيع الصفر وهو النحاس (المشهور عن اصحابنا) يعنى المالكية (ان ذلك) اى الصلاة على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (واجب فى الجملة) اى اجمالا ومطلقا من غير تعيين وقته على الانسان (وفرض عليه) اشارة الى ان الواجب والفرض عنده بمعنى كالشافعية خلافا للحنفية (ان يأتى به مرة من دهره) اى فى مدة عمره لخروجه بذلك عن عهدته (مع القدرة على ذلك) اى شرطا فى وجوبه مرة فى عمره ان يقدر التكلم به فلو عجز عنه لمانع منعه من التلفظ به سقط عنده كسائر الواجبات كمن اخترمته المنية وقوله لا ينافى ما تقدم من الاجماع لانه لا مفهوم له وقصده انه مع الاجماع مما اشتهر بين الائمة ايضا وهو اشارة لما نقله عن الطبرى وان كان عنده لا ينافى الاجماع لكونه واه او مؤول كما تقدم ولم يتعرضوا لحكم السلام عنده وما نقله عن الحطاب من متأخرى المالكية عن الرضاع ان الذى يظهر ان السلام عليه صلى الله تعالى عليه وسلم واجب مرة مثل الصلاة عليه والزائد مستحب لقول ابن عباس فريضة من الله علينا ان يصلى على نبينا ويسلم تسليما وما نقل عن مشايخ المغاربة من التوقف فى وجوبه لا اصل له والحق ان حكمه حكم الصلاة انتهى (وقال القاضى ابو بكر ابن بكير) تقدمت ترجمته (افترض الله تعالى عز وجل) افترض وفرض بمعنى وقد زيادة تأكيد زيادة بنيته (على خلقه) جميعا (ان يصلوا على نبيه ويسلموا تسليما) كما مر نقله عن ابن عباس من فرض الصلاة والسلام وينبغى ذكره مع مصدره المؤكد

امثالا لما ثور (ولم يجعل ذلك) الافتراض (لوقت معلوم) واللام فيه للتوقيت والظرفية كما يقال كتبته لستة عشر مثلا (فالواجب) على الخلق (ان يكثر المرء) اى الرجل والمراد به الانسان ولو امرأة تغليبا (منها) اى من الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم (ولا يغفل عنها) اى يتركها و يشتغل عنها وفى كلامه شئ لانه بصدد بيان وجوبها مرة وكونه يكثر منها ولا يغفل عنها مناف له لاقتضائه مرات كثيرة وان المراد انه فعلها فى وقت ما يكررها مرارا فى ذلك الوقت فايجاب مثله غير ظاهر مما نقله قبله فان كان قولا آخر فسياقه لا يساعده واما لا اعتراض عليه بانه امر مطلق لا يعرض فيه لعدم تعيين وقتها لا معنى له وفى بعض الشروح انه قول ثان انه يجب الاكثار منه مطلقا من تعيين مقدار ووقت وهو كلام حسن (وقال القاضى ابو محمد نصر المالكى) وهو القاضى عبد الوهاب ابن نصر بن احمد بن حسين وقيل ابن الحسن بن احمد بن هارون بن مالك ادركه الشيرازى وسمع منه فى النظر وكان فقيها شاعرا اديبا له شعر كثير وكتب كثيرة فى كل فن وارتحل فى آخر عمره لمصر فحصلت له ثروة وتوفى سنة احدى وعشرين واربعمائة (الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم واجبة فى الجملة) اى من غير تعيين مقدار ولا زمان ولا غيره (قال القاضى ابو عبد الله محمد بن سعيد) قيل هو محمد بن سعيد بن بشر بن شرحبيل الفقيه كتب فى حداثته للقاضى مصعب بن عمران ثم رحل الى المشرق فلقى مالكا رضى الله تعالى عنه قرأ عليه ثم انصرف للاندلس والتزم ضيعته ساحة الى ان توفى سنة ثمان وتسعين ومائة كما قاله القاضى فى المدارك (ذهب مالك واصحابه وغيرهم واهل العلم ان الصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فرض بالجملة) اى اجمالا من غير تعيين مقدار ووقت (بعقد الايمان) اصل معنى العقد ربط اطراف الشئ كعقد الحبل وعقد الايمان والايمان بفتح الهمزة وكسرها بمعنى تصميمها واعتقادها يقينا بقوله بعقد الايمان وهو بكسر الهمزة والباء سببية او بمعنى بعد اوهى اول ما يفرض بعد الايمان بالله ورسوله (لا يتعين فى الصلاة) اى ليس وجوبا مخصوصا وموقتا بها (وان من صلى عليه مرة واحدة من عمره) ومدة حياته الى موته (سقط الفرض عنه) لخروجه عن عهدته قيل حاصل ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى عنه غير ما نقله عن الطبرى ولم يرتضه قولان الاول انها فرض فى الجملة تسقط بمرة الثانى انه يجب الاكثار منها من غير تعيين وقد تقدم ما فيه والفرق بين القول بانها يجب مرة والقول بانها تجب فى الجملة مطلقا انه ما زاد على المرة فى القول الاول يقع نفلا وعلى الثانى يقع الكل فرض ويثاب عليه ثواب الفرض قيل وهو التحقيق ونظيره ما قاله الشافعى فى مسح الرأس انه مسحها مطلقا فلو مسح شعرة وقعت فرضا ولو مسح الجميع وقعت فرضا وبقى اقوال غير ما ذكره المصنف منها انها تجب فى كل مجلس مرة فى جلسته وهل هى فرض كفاية على اهل المجلس فلو صلى واحد كفى عن الجميع

اوفرض عين ومنها انه يجب كلما ذكر وقيل كلما ذكروا وسمع ونقلا عن الطحاوى و بعض الحنفية والشافعية لحديث الآتى رغم انف رجل من ذكرت عنده فلم يصل على وقيل انه مبنى على ان الامر يفيد التكرار وهو ضعيف وقيل عليه انه يلزمه شغل المرء عن غيره من العبادة وانه يقتضى وجوبه على المصلى وقارئ القرآن والمتشهد ويلزمه التسلسل وفيه مشقة على الناس ولم ينقل مثله عن الصحابة والتابعين ولو كان كذلك وجب الثناء على الله كلما ذكر بالطريق الاولى ولم يقله احد واجيب بانه منقول عن الائمة الاجلة وانه مخصوص بما لم يكن فى الصلاة ونحوها والحرج فيه غير مسلم وانا نلتزم وجوب الثناء على الله ايضا ونقول بالفرق بينهما بانه غير مطلق وعظمته غير متوقفة على ذكرها وان هذا حق العبد وذاك حق الله وهو مبنى على المسامحة دون المشاحة والقول بانه حق الله ايضا لامرة به ناش من عدم فهم المراد بحق الله (وقال اصحاب الشافعى الفرض منها الذى امر الله به) فى الآية المذكورة وامر به (رسوله عليه الصلاة والسلام) كما سيأتى بيانه (هو فى الصلاة) هو عقب التشهد قبل التحلل وسيأتى تفصيله وذكر الاحاديث التى استدل بها الشافعى واصحابه كما صرح به فى الام وقول القرافى فى الذخيرة انه استدل بالاجماع مردود بانه صريح بخلافه ولا اجماع على وجوبها فيه (وقالوا) اى اصحاب الشافعى (واما فى غيرها) اى غير الصلاة وخارجها (فلا خلاف) فى (انها غير واجبة) والمراد انه لا خلاف عند الشافعى واصحابه والا فقد تقدم القول بوجوبها وتقديرا لامرة واحدة كما مر لا يجدى نفعا الا ان نفى الخلاف بناء على المشهور عندهم وفى الشرح الجديد ما نقله من المصنف عن الشافعية غير صحيح فان المفتى به عندهم ان الصلاة واجبة فى الخطبة الاولى والثانية للجمعة لانه لم ينقل عن الخلفاء الراشدين تركها فيهما ووافقه احمد وهما اماما السنة وقال الشافعى بوجوبها فى صلاة الجنازة بعد التكبير الثانية ووافقه احمد واتباعه ايضا وروى وافيه احاديث صححوها (واما فى الصلاة) اى حكمها فيها (فحكى الامامان ابو جعفر) يعنى محمد بن جرير وقد تقدمت ترجمته (الطبرى والطحاوى) احمد بن محمد بن سلامة كما تقدم بيانه وهما ممن قال بعدم وجوبها فى الصلاة (وغيرهما) من الائمة اجماع جميع المتقدمين والمتأخرين من علماء الامة (على ان الصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) فى التشهد غير واجبة (وشذ) اى اتى بقول شاذ وانفرد عن جميع ائمة الدين ولم يقل به احد قبله ولم يوافقه عليه (الشافعى فى ذلك) اى بقوله بوجوبها فى تشهد الصلاة (فقال من لم يصل على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من بعد التشهد الاخير وقبل السلام فصلاته فاسدة) لانها ركن من اركان الصلاة فتفسد بتركه فى التشهد الاخير فقط (وان صلى عليه) صلى الله تعالى عليه وسلم (قبل ذلك) اى قبل التشهد الاخير وقوله فيه اشهد ان محمدا رسول الله (لم يجزيه)

صلاته اى لم تصح ولم تسقط عنه الفرض فيجب عليه اعادة صلاته (ولا سلف له فى هذا القول) بوجوبها فى التشهد الاخير اى لم يقل به احد من السلف يعنى مقتدى الائمة يستند لقوله ويتبعه (ولا سنة تتبعها) اى لم تثبت فى السنة والاحاديث النبوية ما يكون دليلا له على ما قاله (وقد بالغ فى انكار هذه المسألة عليه لمخالفته فيها من تقدمه) من الائمة والسلف (جماعة وشنعوا عليه الخلاف) مفعول شنعوا بمعنى قبحوا اى عدوا ما قاله امرا قبيحا وقولا مبتدعا منه (منهم) محمد بن جرير (الطبرى و الامام (القشيرى) قيل المراد به ابو ناصر بن صاحب الرسالة وابو بكر بن العلاء القشيرى المالكى واما الامام القشيرى صاحب الرسالة فهو شافعى لم ينقل عليه شئ مما ذكر (وغير واحد) اى ناس كثيرون من الفقهاء والعلماء (وقال ابو بكر بن المنذر) بصيغة اسم الفاعل وهو الامام الاوحد ابو بكر محمد بن ابراهيم النيسابورى الثقة الحجة امام عصره وشيخ الحرم توفى بمكة سنة تسع او عشرة وثلاثمائة (يستحب ان يصلى احد صلاة) ما فرضا كانت او نفلا او جنازة (الاصلى فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم) بعد التشهد و بعد التكبير الثانية (فان ترك ذلك تارك) اى واحد كان فى اى صلاة كانت (فصلاته مجزية) اى صحيحة وان كان الافضل عدم الترك (فى مذهب مالك واهل المدينة) اى علمائها وهو من عطف العام على الخاص (وسفيان الثورى) صرح به لانه مجتهد صاحب مذهب (واهل الكوفة) وعلمائها (من اصحاب الرأى) المراد بالرأى القياس فى عرف الفقهاء والمالكية والشافعية يريدون بهذه العبارة اتباع ابى حنيفة ويقابلهم اهل الحديث لاقتصارهم فى العمل عليه (وغيرهم) من العلماء (وهو قول جل اهل العلم) الجل بضم الجيم المعظم والاكل من كل شئ (وحكى عن مالك وسفيان) الثورى (انها فى التشهد الاخير) خصه لانه محل الخلاف (مستحبة) لا واجبة (وان تاركها فى التشهد الاخير مسئ) غير محسن لارتكابه امرا مكروها قصده (وشذ الشافعى) اى انفرد بهذه المخالفة عن غيره من الائمة (فاوجب على تاركها فى الصلاة الاعادة) لتركه ركنا به يتم سواء تركها عمدا او سهوا (واوجب اسحق) ابن ابراهيم بن مخلد وهو الامام الجليل ابو يعقوب بن راهويه عالم خراسان ومحدثها توفى سنة سبع وتسعون سنة فى شعبان سنة ثمان وثلاثين ومائتين (الاعادة مع تعمد تركها دون النسيان وحكى ابو محمد بن ابى زيد) هو صاحب الرسالة المشهورة وهو من ائمة المالكية (عن محمد بن المواز) بفتح الميم والواو المشددة وآخره زاى معجمة وهو الامام محمد بن ابراهيم ومن اجل الائمة فى مذهب مالك وعليه المعول فيه وهو اسكندرانى تفقه بابن الماجشون وابن عبد الحكم الآتى واعتمد على اصبغ وتوفى ببعض حصون الشام اختفى به وقد هرب فى فتنة ووفاته سنة احدى وثمانين ومائتين (ان الصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فريضة) ولم يبين لوجوبها وقتا ولا غيره (قال ابو محمد) هو ابن ابى زيد المار ذكره قريبا فى تفسير كلام ابن المواز (يريد ليست من فرائض الصلاة) بل انها فرض فى الجملة كما تقدم وسيأتى ما يخالفه

(وقال محمد بن عبد الحكم) هو ابو عبد الله محمد بن عبد الحكم المصرى صاحب الشافعى لم يكن فى عصره اجل منه ولا اعرف باقوال الصحابة والتابعين ولد سنة اثنين وثمانين ومائة وتوفى لليلة خلت من ذى القعدة سنة ثمان او تسع وستين ومائتين واخرج له النسائى (وغيره وحكى ابن القصار وعبد الوهاب) من ائمة المالكية (ان محمد بن المواز يراها فريضة فى الصلاة كقول الشافعى) وقد نقل الاسنوى ايضا ان للشافعى قولا آخر غير ما اشتهر عنه انها سنة فى الصلاة لا ركنا واجبا وقال ابن عبد السلام المالكى هو ظاهر كلام ابن المواز وصححه ابن الحاجب فى مختصره وابن العربى فى سراج المريدين (وقد حكى ابو يعلى العبدى المالكى عن المذهب) اى فى الصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيها ثلثة اقوال فى الصلاة) الاول (الوجوب و) الثانى (السنة و) الثالث (الندب) جريا على اصطلاحهم فى التفرد بين السنة والندب (وقد خالف) الامام (الخطابى من اصحاب الشافعى وغيره الشافعى فى هذه المسألة قال الخطابى وليست بواجبة فى الصلاة وهو قول جماعة الفقهاء الا الشافعى) فانه ذهب لوجوبها فيها (ولا اعلم له فيها قدوة) اى ما يقتدى به من الائمة والسلف وسيأتى رد هذا (والدليل على انها ليست من فرض الصلاة) كما قاله الشافعى (عمل السلف الصالح قبل الامام الشافعى) من الصحابة والتابعين وهذا الاوجه له كما سيأتى بيانه (واجماعهم عليه) سيأتى ايضا لانه لا اجماع (وقد شنع الناس عليه فى هذه المسئلة جدا) اى قبحوه وانكروه اى شنيعا كثيرا اجتهدوا وجدوا فيه جدا ثم بين وجه الانكار بقوله (وهذا تشهد ابن مسعود) جعله لشهرته كمحسوس حاضر عنده يشير اليه (الذى اختاره الشافعى) رحمه الله تعالى امى رضيه على غيره فان التشهد له طرق مختلفة (وهو الذى علمه له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ليس فيه الصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) وما قاله مردود ايضا فانه انما اختار تشهد ابن عباس الذى فيه زيادة لفظ المباركات لموافقته لقوله تحية من الله تعالى مباركة طيبة ولتأخره عن تعليم ابن مسعود كما قال البيهقى رحمه الله تعالى (وكذلك) اى مثله فى عدم ذكر الصلاة عليه فيه (كل من روى التشهد عن النبى صلى الله عليه وسلم) من الصحابة الذين علمهم التشهد (كابى هريرة وابن عباس وجابر وابن عمر وابى سعيد الخدرى وابى موسى الاشعرى عبد الله بن الزبير) كلهم (لم يذكروا فيه) اى فى تشهدهم الذى تعلموه (صلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) هذا اعظم ما تمسك به المصنف فى رده لما ذكر لما يلزم من عدم ذكرهم انه لم يأمرهم به وهو مردود ايضا لان تعليمهم ذلك كان فى ابتداء الهجرة قبل نزول الآية والامر بها فى قوله تعالى * يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه * الآية فلذا لم يأمرهم بما لم يأمر به فلما نزلت امرهم وهذا مصرح به فى الحديث وسيأتى نقله مفصلا بطرقه (وقد قال ابن عباس وجابر) فى حديث رواه مسلم (كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يعلمنا السورة من القرآن)

فيقرؤه عليهم و يأمرهم بتلقنه بالفاظه وحفظه فكيف يترك ما هو مذكور فيه وقد عرفت جوابه (ونحوه) اى مثل ما ذكر (عن ابى سعيد) الخدرى كما رواه ابن ابى شيبة فى مصنفه (وقال ابن عمر كان ابو بكر يعلمنا التشهد على المنبر) وهو يخطب عليه فى خلافته (كما يعلمون الصبيان فى الكتاب) بضم الكاف وتشديد المثناة الفوقية وهو اسم للمحل الذى فيه الصبيان منقول من جمع كاتب فهو تسمية للمحل باسم الحال فيه وقد ورد بهذا المعنى فى كلامهم كما ذكره الزمخشرى فى الاساس وغيره ولا عبرة بمن انكره وقال انه مولد والصواب المكتب (وعلمه) اى التشهد (ايضا على المنبر عمر بن الخطاب) كما علمه ابو بكر فى خلافته يعنى بذلك شهرته بحيث لا يخفى على احد ولا يترك ولا دليل له فيه لان ما علم على المنبر لم ينقل ولم يذكر بدون ذكر الصلاة حتى يتم له ما ادعاه ثم اشار الى الجواب عن بعض ما استدل به الشافعية فقال (و فى الحديث) الذى رواه ابن ماجة والحاكم فى مستدركه والطبرانى والدارقطنى والبيهقى و فى بعض الفاظه اختلاف ما (لا صلاة لمن لا يصلى على) بالتشديد وروى لمن لم يصل على نبيه وهو بظاهره دليل للشافعى على ان الصلاة لا تصح بدونها (قال ابن القصار معناه) المراد منه (كاملة الاجر) هو صرف للنفى عن المتبادر منه من نفى الصحة الى نفى الكمال فتصح وان لم تكمل وهذا مبنى على قاعدة اصولية وهى ان النفى اذا دخل عليه شئ ليس بمنفى هل يقدر الصحة او الكمال فقال الشافعى الارجح تقدير الصحة لانه اقرب الى نفى ذات الشئ وقال غيره يقدر الكمال وقد بينه البيضاوى فى شرح المصابيح فى حديث انما الاعمال بالنيات (او لمن لم يصل على مرة فى عمره) وهو تحكم وترجيح بلا مرجح وسيأتى تفصيله ثم بين ما فيه بحسب الرواية بقوله (وضعف اهل الحديث كلهم رواية هذا الحديث) لانه كما قاله الامام الخيضرى فى كتاب اللواء المعلم من حديث عبد المهيمن بن عباس عن ابيه عن جده وعبد المهيمن ليس بحجة وروى من طريق اخرى لم يثبت انتهى (و فى حديث ابى جعفر) محمد الباقر بن زين العابدين (عن ابن مسعود عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من صلى صلاة لم يصل على فيها ولا اهل بيتى لم يقبل منه) وهذا يفيد ان الصلاة على الآل فى التشهد الاخير واجبة كالصلاة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم وفيها قولان للشافعى والصحيح فى المذهب انها غير واجبة واما فى التشهد الاول فمن قال انها واجبة فى الاخير قال باستحبابها و بما ينسب للشافعى رضى الله عنه فى ذلك

* يا اهل بيت رسول الله حبكم * فرض من الله فى القرآن انزله *
* كفاكم من عظيم القدر انكم * من لا يصل عليكم لا صلاة له *

فيحتمل لا صلاة له صحيحة فيكون موافقا لقوله بوجوب الصلاة على الآل و يحتمل لا صلاة له كاملة فيوافق اظهر قوليه (وقال الدارقطنى الصواب انه من قول ابى جعفر محمد)

الباقر بن زين العابدين (بن على بن الحسين) بن على بن ابى طالب (لو صليت صلاة لم اصل فيها على النبى صلى الله عليه وسلم ولا على اهل بيته لرأيت انها لا تتم) وهذا يوافق ما قاله الامام الشافعى ففيه تأييد له دون ما قاله المصنف واعلم ان الامام الخيضرى صنف فى هذه المسئلة كتابا سماه زهر الرياض فى رد ما شنعه القاضى عياض طالعته بتمامه وقد قال فيه ما قصدت به تنقيص مقداره فانه طراز هذه العصابة وتلخيصه ان الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه قال فى الام فرض الله تعالى عز وجل الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله وملائكته الآية فلم يكن فرض الصلاة عليه فى موضع اولى منه فى الصلاة ووجدنا الدلالة بما وصفت عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ثم ساق باسناده الى ابى هريرة انهم قالوا يا رسول الله كيف نصلى عليك يعنى فى الصلاة قال تقولون اللهم صل على محمد الى آخره وساق بسنده ايضا الى كعب بن عجرة عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه كان يقول فى الصلاة اللهم صل على محمد الى آخره فلما روى انه كان يعلمهم التشهد فى الصلاة و انه علمهم كيف يصلون عليه فيها لم يجز ان يقول التشهد واجب والصلاة غير واجبة والخبر فيهما عنه صلى الله تعالى عليه وسلم فعلى كل مسلم وجبت عليه الفرائض ان يتعلم التشهد والصلاة عليه فمن صلى ولم يتشهد ولم يصل عليه صلى الله عليه وسلم فعليه اعادتها انتهى ثم ذكر ما قاله المصنف رحمه الله وقال هذا قول لا ينبغى الاعتماد عليه ولا الاستناد اليه ولقد عجبت منه كيف اقدم على هذه المقالة الشنيعة وتجاسر على الاتيان بهذه العبارة الوضيعة وهى قوية غير صحيحة ينادى مدعيها على نفسه بفضيحة واى فضيحة و سترى حججا بالغة وسننا متنوعة وثمار براهين لا مقطوعة ولا ممنوعة فمن الادلة على وجوبها فى التشهد الاخير الآية المذكورة لاتفاقهم على ان الامر المطلق يقتضى الوجوب ما لم يقم الدليل على خلافه والله قد امر عباده بالصلاة والتسليم عليه صلى الله عليه وسلم وثبت ان الصحابة رضى الله تعالى عنهم سألوه عن كيفية هذه الصلاة المأمور بها فقال قولوا اللهم صل على محمد الى آخره والسلام الذى علموه هو السلام فى الصلوة والتشهد فمخرج الامرين والتعليمين والمحلين واحد ويوضحه انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما علمهم التشهد علمهم التسليم فيه فقالوا كيف الصلاة عليك المأمور بها فقال اللهم صل الى آخره وهما فى الصلاة فى ظاهر الحال ويؤيده انه لو كان خارج الصلاة كان من دخل عليه صلى الله تعالى عليه وسلم يقول له السلام عليك ايها النبى ورحمة الله وبركاته كما علموه وكذا كل من واجهه بالصلاة عليه بهذه الالفاظ بها والمنقول انهم كانوا يقولون فى تحية الصلاة السلام عليك يا رسول الله او نبى الله صلى الله تعالى عليه وسلم ونحوه مما تعلموه زائدا على التحية فى الصلاة فمخرج هذا مخرج البيان لما فى

القرآن وظهر وجه دلالة الآية عليه واورد عليه ان قول الصحابة قد عرفنا السلام عليك فكيف الصلاة يحتمل انه يراد به السلام فى الخروج من الصلاة كما قاله ابن عبد البر والدليل اذا طرقه الاحتمال بطل به الاستدلال وان غاية ما ذكرتم دلالة اقتران الصلاة بالسلام على الوجوب فى الصلاة ودلالة الاقتران ضعيفة وهذا انما يتم اذا سلم وجوب السلام وهو غير مسلم واجيب بان الاول فاسد يرده لفظ الحديث وقولهم هذا السلام عليك لا السلام فقط حتى يكون المراد بالسلام من الصلاة والسائل لم يستدل باقرانه وانما استدل بالامر منها فى الآية وبهذا سقط ما بعده والدليل الثانى من السنة ما فى البخارى مسندا قال عبد الرحمن ابن ابى ليلى لقينى كعب بن عجرة فقال الا اهدى لك هدية ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم خرج علينا فقلنا يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلى عليك فقال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد واخرجه مسلم وغيره من طرق ساقها واصحاب السنن (فان قلت قد علمنا من الاحاديث صفة الصلاة لكنها مطلقة لم تقيد بالصلاة قلت علم هذا من اطباق العلماء والمحدثين من غير نكير على ان المراد بها فى الصلاة ولذا وردت مذكورة فى التشهد فى كتبهم دون باب الادعية ولا نكتفى بهذا بل نقول ورد التصريح بذلك فى الحديث ايضا فيما رواه احمد فى مسنده من طريقين عن ابن اسحق قال حديث فى الصلاة على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذ المرء المسلم صلى عليه فى صلاته وساقه الى آخره والعجب من المصنف رحمه الله تعالى انه قال فى شرح مسلم فى سؤالهم عن الصلاة يحتمل انه فى غير الصلاة وفى الصلاة والاظهر الثانى لقوله والسلام كما علمتم انتهى فسبحان الله فكيف ينكر بعد هذا على الشافعى وهذا من زيادة الثقة فهى مقبولة وقد رواها الشافعى فى مسنده فدعاه ذلك الى حمل الآية عليها فان قلت بعد تخصيصه بالصلوة ليس فى الحديث ما يدل على الوجوب قلت الوجوب معلوم من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم صلوا كما رأيتمونى اصلى ولا يلزمه وجوب ما فى صلاته من السنن بقيام دليل من خارج على عدم وجوبها ثم ذكر احاديث اخر عنه صلى الله تعالى عليه وسلم صريحة فيما ذكرواهنا بمعنى ما تقدم اى ما سبق ومن الادلة الآتية ما فى مسند احمد الآتى فى كلام المصنف رحمه الله تعالى من قوله ايضا انه صلى الله تعالى عليه وسلم سمع رجلا يدعو فى صلاته فلم يحمد الله تعالى فى صلاته ولم يصل عليه فقال صلى الله عليه وسلم عجل هذا ثم دعاه فقال له او لغيره اذا صلى احدكم فليبدأ بتحميده والثناء عليه ثم صلى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ثم يدعو بعد ما شاء وهو حديث صحيح اخرجه الترمذى والحاكم وابن حبان وقال انه على شرط الشيخين فان قلت ان هذا يدل على عدم الوجوب

لانه لم يأمره باعادة الصلاة وقد يقال ايضا ان هذا الدعاء كان خارج الصلاة لان الترمذى روى هذا الحديث فى جامعه عن فضالة بن عبيد بينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قاعدا اذ دخل عليه رجل فصلى وقال اللهم اغفر لى وارحمنى فقال له عجلت ايها المصلى اذا صليت فقعدت فاحمد الله تعالى بما هو اهله وصل على ثم ادع وفى رواية بما تحب قلت انه كان غير عالم بوجوبها فلم يأمره بالاعادة ويحتمل انه اعادها او انها نفل لا تجب اعادتها وما ذكر من الحديث رواية غير ثقاة فهو ضعيف لا يصلح لمعارضة الحديث الآخر مع قوته ورواته على شرط الشيخين وقد ورد التصريح بانه يتشهد ويصلى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بعده فى الصلاة ثم اورد على قول المصنف انه اى الشافعى لا سلف له فيما قاله انه قال به جماعة من الصحابة والتابعين منهم عبد الله بن مسعود راوى حديث التشهد وروى عنه انه كان يراها واجبة فى الصلوة وابو مسعود البدرى روى عنه مرفوعا وموقوفا ومنهم ابنه عبد الله بن عمر وابو جعفر محمد بن على بن الحسين والشعبى كما نقله البيهقى ومقاتل بن حبان ومحمد بن كعب القرظى كما نقله الماوردى واسحق بن راهويه كما نقله المصنف واحمد بن حنبل فى رواية عنه ومن العجايب ان المصنف انكر على الشافعى ما ذكر وقال فى شرح مسلم ما نصه حكى بعض البغداديين عن مذهب مالك فى المسئلة ثلاثة اقوال الوجوب والسنة والفضيلة وحمل بعضهم كلام ابن المواز على الوجوب فى الصلوة كمذهب الشافعى وكلامه محتمل للوجوب على الجملة ونقله ايضا فى كتابه هذا وعبارة ابن القصار فى كتابه عيون الادلة وهو من اجل كتبهم بعد ما نقل ما سيأتى من ادلة المخالفين فى فرضيتها فى الصلوة وجه ما نقل من ابن المواز ما استدل به القائلون بالوجوب فتكون الجلسة الاخيرة للتسليم عليه وان الصلوة لما تضمنت ذكر الله وتمجيده كما فى فاتحة الكتاب وجب ان يذكر فيها الصلوة والسلام على الرسول حتى لا تخلو الصلوة عن ذكره مع الله كما فى الاذان والاقامة فذكر وجهه يدل على انه مال اليه وقال ابن العربى فى احكام القرآن ان الصحيح ما قاله ابن المواز فتعينت كيفية ووقتا كما بيناه فى مسائل الخلاف انتهى وهو امام مشهور من ائمتهم وكذا ذكره ابن الحاجب فى منهاجه وشارحه ابن عبد السلام فظهر منه انه قول راجح فى مذهبهم وانه ذهب اليه كثير من السلف فنسبته الى الشذوذ خطأ ظاهر مع ما يناقضه من كلامه هنا واذا نقل هذا عن الصحابى ولم يصرح غيره بخلافه يصير اجماعا سكوتيا وحكمه مفصل فى الاصول وعمل الناس على الصلوة عليه بعد التشهد وتعليمها للصبيان فكيف يدعى خلافه واما ادلة المخالفين للشافعى فكابى حنيفة واتباعه ومالك فى احد قوليه واليه ذهب بعض الشافعية كابن المنذر والخطابى والقشيرى والطبرى كما نقله المصنف رحمه الله تعالى ولهم ادلة وحديث التشهد

المروى عن نحو اربعة وعشرين من الصحابة وليس فى رواية منه ذكر الصلوة ثم سردها وروايتها وفصلها تفصيلا لم يسبق اليه ثم قال والجواب عنه من وجوه منها انه لم يقل انه جميع الواجب فى الجلسة الاخيرة فايجاب الصلاة فيها بدليل آخر لاينافيه ومنها انكم قلتم بوجوب السلام ولم يأمرهم به فى هذا التشهد فيلزمكم عدم وجوبه وقد اوجبتموه فما كان جوابكم فهو جوابنا لثبوته بدليل آخر وايضا التشهد ثبت بتعليمه وكذا الصلوة فاى فرق بينهما وقد بينا انه مخصوص بالصلوة كالسلام ومنها ان احاديث التشهد لو كانت نافية للوجوب كان الوجوب مقدما عليها لان النافى مستصحب للاصل من عدم الوجوب والموجب ناقل وهو تقدم على المستصحب لزيادة علمه فكيف اذا لم يعارضه رأسا ورد ايضا بان التشهد فرض حين فرضت الصلوة وفرضت الصلوة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم حين نزلت آية الاحزاب بعد تخييره ازواجه فالتشهد كان تعليمه قبل فرضها فلا يضر عدم ذكره فى تلك الرواية فلذا قالوا له قد عرفنا السلام فكيف نصلى عليك فان قلت فما تقول فى الحديث الصحيح المروى الذى فيه انه صلى الله عليه وسلم اخذ بيد ابن مسعود وعلمه التشهد الى قوله اشهد ان محمدا عبده ورسوله ثم قال فان قلت هذا فقد قضيت صلاتك ان شئت ان تقوم فقم وان شئت ان تقعد فاقعد فانه يدل على ان الصلوة عليه فيها ليست بواجبة ولا سنة كما قاله ابن عبد البر فى التمهيد قلت هذا مطعون فيه وقد قال الدارقطنى فى العلل انه من زيادة زهير مدرجة فى الحديث وصلة بكلام النبى وليس منه وتتبع طرق الحديث شاهدة لما قالوه وايضا انه يحتمل ايضا انه قبل ايجاب الصلوة عليه وايضا هو ورد نفيا لما كانوا يقولون السلام على الله فقال لهم لا تقولوا هذا فان الله هو السلام ولكن قولوا كذا مع سائر ما علمتم وجوبه ولذا لم يتعرض لذكر السلام مع وجوبه مع ان المستدل بهذا اصحاب ابى حنيفة القائلين بان التشهد ليس بواجب وانما الواجب الجلوس بمقداره فلو تم هذا كان دليلا عليهم لا لهم لتعليقه تمام الصلوة على التشهد وهم لا يقولون به فبطل المعارضة به ولا يصح ان يقال المراد تمام الاستحباب لانه موقوف عليها عندهم انتهى زبدة ما ذكره الامام الخيضرى بتمامها هنا وقد بالغ الشافعية فى الرد على المصنف رحمه الله تعالى وتخطئته فيما قاله كما سمعته حتى قال بعضهم هذا المشنع انما هو تشنيع على نفسه لا على الشافعى اذا لم يخالف كتابا ولا سنة ولا اجماعا ولا مصلحة راجحة بل تمسك بالادلة واضحة تامة وعد ذلك من محاسن مذهبه ولم ينفرد بذلك قال بعض المحققين ولو سلم تفرده بذلك لكان حبذا التفرد انتهى وقال شيخنا ابن قاسم قلت واى محذوف فى تفرد ابن ادريس واى حاجة له اى موافقة غيره له انتهى ولكن اذا امعنت النظر علمت انه ناقل لما قاله الطحاوى ومن تبعه وما على

الناقل الا تصحيح ما نقله وما على الرسول الا البلاغ فمما قالوه ايضا تحامل عليه لكن الجزاء من جنس العمل وهذا من لباب الالباب الذى لا تجده فى غير هذا الكتاب وههنا بحث ذكره الاسنوى فى التمهيد وهو ان الامر بعد سؤال التعليم كالامر بعد الاستئذان او بعد التحريم يفيد الاباحة عند الشافعية والوجوب عند ابى حنيفة فلا يستقيم استدلالهم على وجوب الصلاة عليه بقوله قولوا اللهم صل الى آخره بعد قولهم كيف نصلى عليك الا ان يقال استفيد الوجوب من امر خارجى فيكون الامر للوجوب لانه بيان لكيفية واجب انتهى وفيه نظر ﴿فصل فى المواطن﴾ اى الاماكن فهو من قبيل المشفر لان معناه مكان التوطن والاقامة (التى يستحب) وليس (فيها الصلاة) والسلام (على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ويرغب) بالبناء للمفعول وتشديد المعجمة من الترغيب ويجوز تخفيفها وهو عطف تفسير والرغبة بمعرفة ما فيه من الفوائد والثواب (من ذلك) المستحب المرغب فيه (فى تشهد الصلاة) وهو الثناء على الله فى الجلسة فيها سمى تشهدا باسم جزئه وهو قوله تعالى فيها اشهد ان لا اله الا الله الخ واطلقه ليشمل الاول والاخير فانه مستحب فى الاول واجب فى الاخير كما تقدم تفصيله (كما قدمناه) فى الفصل الذى قبله (وذلك) اى موطنه ومحله المعلوم مما قبله (بعد التشهد) اى قوله اشهد ان محمدا رسول الله (وقبل الدعاء) المأثور فى كتب الفقه او بما شاء (حدثنا القاضى ابو على) هو ابن سكرة شيخه كما تقدم (بقراءتى عليه) لا بغيره من طرق الاجازة (قال حدثنا الامام ابو القاسم البلخى) نسبة لبلخ مدينة معروفة (قال حدثنا الفارسى) تقدمت ترجمته (عن ابى القاسم الخزاعى عن الهيثم) ابن كليب (عن ابى عيسى الحافظ) هو الترمذى صاحب الشمائل والسنن وقد تقدم (قال حدثنا محمود بن غيلان) ابو احمد الحافظ المروزى اخرج له اصحاب السنن وتوفى سنة تسع وعشرين ومائتين (قال حدثنا عبد الله بن يزيد المقرى) وفى نسخة زيد بدون ياء والصواب الاول وهو المعروف بالقصير البصرى نزيل مكة ومولى آل عمر بن الخطاب وهو حافظ ثقة روى عن ابى حنيفة وغيره وتوفى سنة ثلاث عشرة ومائتين (ثنا حيوة بن شريح) تقدم بيانه وحيوة على خلاف القياس فى الاعلام وقياسه حية (قال حدثنى ابو هانى الخولانى) اسمه حميد بن هانى وهانئ بهمزة فى آخره يجوز ابدالها ياء وقال البرهان انه احمد بن هلال وهو ثقة توفى سنة اثنين واربعين ومائتين (ان عمر بن مالك الجنبى) وفى نسخة عمرو بواو وهى الصواب وهو ابو على الجنبى بفتح الجيم ثم نون ساكنة وباء موحدة نسبة لجنب بطن من مدحج وهو مصرى ثقة وذكره فى الميزان توفى سنة اثنين او ثلاث ومائة (اخبره انه سمع فضالة) بضم الفاء وفتح الضاد المعجمة ولام وهاء تأنيث (ابن عبيد) بالتصغير بن نافذ بن قيس الانصارى الاوسى ابو محمد الصحابى ولى قضاء دمشق وتوفى سنة ثلاث وخمسين ومائة واخرج له احمد وغيره (يقول سمع النبى صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو فى صلاته)

بعد التشهد فى الجلسة الاخيرة (فلم يصل على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) بعد تشهده (فقال صلى الله عليه وسلم عجل) بفتح العين وكسر الجيم اى اسرع بدعائه واتى به فى غير محله قبل ان يصلى عليه صلى الله تعالى عليه وسلم لان الدعاء معلق حتى يصلى عليه فان من سأل حاجة لابد له ان يقدم وسيلة موسل لقضاء حاجة (ثم دعاه) اى طلب ذلك الرجل وقربه اليه فقال له (او لغيره) او وجه خطابه لغيره وهو يسمع وهو المراد بالاعلام وفى نسخة ولغيره بالواو (اذا صلى احدكم فليبدأ) بالهمز اى يقدم على دعائه ليقبل (بتحميد الله والثناء عليه) عطف تفسير لبيان ان المراد مايفيد المدح والثناء لاخصوص الحمد والمراد قوله التحيات الخ وفى كيفية روايات مختلفة بلغت نحو ثلاثة عشر كما فصل فى محله (ثم يصلى على ثم ليدع) بلام مكسورة اوساكنة للامر (بماشاء) من الخير والدعاء بالمأثور افضل (وروى من غير هذا السند) الذى رواه المصنف عن الترمذى ورواه ابوداود (بتمجيد الله) بميم وجيم ودال مهملة ومعناه التعظيم ومعناهما متقارب والرواية الثانية لابن ماجة بسند آخر (وهو اصح) رواية لقوة سنده لامن حيث المعنى وان قيل انه امدح وفيه نظر وانما تم استدلال المصنف رحمه الله به ان كان فى الصلاة وقد استدل به الشافعى على وجوبها فيها وقد نوزع فيه فانه ورد من طريق آخر تقدمت قريبا بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعدا اذ دخل عليه رجل فصلى وقال اللهم اغفرلى وارحمنى فقال صلى الله تعالى عليه وسلم عجلت ايها المصلى اذا صليت فقعدت فاحمد الله بما هو اهله وصل على ثم ادع وظاهر قوله فقعدت انه كان بعد الصلاة فلابد عن مدعاه (اقول قد اجاب الخيضرى عنه باجوبة حاصله انه ليس نصا فيما ذكرت لان المراد بالقعود الجلسة الاخيرة فى التشهد وقد ورد التصريح به فى رواية اخرى فاندفع الايراد (وعن عمر بن الخطاب) كما رواه الترمذى (قال الدعاء والصلاة) عطف تفسير والمراد به العبادة المخصوصة الا انه قيل ان هذا اللفظ اى الصلاة ليس مذكورا فى الترمذى وهو المشهور (معلق) كل منهما اى موقوف قبوله فهو استعارة اوحقيقة لان الملائكة لاتصعد به (بين السماء والارض لايصعد الى الله منه شئ) لعدم رضاه برفعه اليه (حتى يصلى عليه صلى الله تعالى عليه وسلم) لان اعمال المؤمنين تكتب وترفع الى السماء اذا قبلت وقبولها متوقف على الصلاة عليه لانه هو الذى هدانا وارشدنا الى الله وهو وسيلتنا اليه وقد فسر قوله تعالى *لاتفتح لهم ابواب السماء* بهذا والرفع والصعود من صفات الاجسام فالمراد رفع صحفها وقيل انها تجسم ولامانع منه (وعن على) بن ابى طالب رواه عنه البيهقى وابن عساكر وغيره (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بمعناه) اى بمعنى حديث عمر الا انه زاد فيه (عن عايشة عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقال وعلى آل محمد) فلابد من الصلاة على الآل مع الصلاة عليه وهذا هو الاكمل ووجوبها تقدم الكلام عليه (وروى) رواه عبد الرزاق

والطبرانى بسند صحيح (عن ابن مسعود ان الدعاء محجوب) عن السماء فلا تفتح له ويلزم انه لايقبل ويجوز ان يكون تمثيلا واستعارة لعدم القبول (حتى يصلى الداعى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) وليس فى هذا دليل على وجوبه فى الصلاة اذ القبول ليس من شرائط الصحة ومن ادعاه فقد تبرع بما لايملكه ولايقبل ولوعد المصنف هذا موطنا مستقلا كان اولى كما فعله غيره لكنه ادرجه فى التشهد لانه محل للدعاء ايضا (وعن ابن مسعود) فى حديث صحيح مسند (اذا اراد احدكم ان يسئل الله شيئا ويدعو به فليبدأ بمدحه والثناء عليه) كما ارشدنا لذلك فى سورة الفاتحة قال ابن ترجمان فى تفسيره اذا قيل لك احد احيى ميتا بقراءة الفاتحة فلاينكره وليقرأها ملاحظا للثناء عليه وحمده لانه المنعم بجميع النعم الدنيوية والاخروية جليلها ودقيقها كما اشار اليه بقوله بسم الله الرحمن الرحيم الخ ثم يلاحظ عظمته وجلاله المشير اليه بقوله مالك يوم الدين ثم يخضع غاية الخضوع كما يشير اليه قوله اياك نعبد ثم يفوض اموره اليه لقوله اياك نستعين ثم يسأله حاجته لقوله اهدنا الخ ولذلك سميت سورة تعليم الدعاء (بما هو اهله) اى بما يستحقه ويليق به (ثم يصلى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) ليستشفع باقرب مخلوقاته واحبهم اليه فانه الوسيلة العظمى (فانه) اى دعاءه بهذه الكيفية (اجدر) اى احق واليق (ان ينجح) بضم اوله مبنى للفاعل من انجح اذا فاز وبلغ مقصوده ومطلوبه وهذا الحديث رواه عبد الرزاق والطبرانى وابن ابى الدنيا بسند صحيح فيقدم صلاته على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ويختم بها وتوسطها فى دعائه كما قال الخيضرى ويذل له مايأتى فكلما اكثر من صلاته تحقق الاجابة (وعن جابر) بن عبد الله فيما رواه البزار وابو يعلى والبيهقى فى شعب الايمان (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لاتجعلونى كقدح الراكب) قيل وما قدحه يا رسول الله قال (فان الراكب) اى من يريد ركوب راحلته لسفر ونحوه (يملؤ قدحه) وهو اناء صغير من خشب يشرب به ونحوه (ثم يضعه) عنده (ويرفع متاعه) الذى يريد حمله على راحلته (فان احتاج الى شرب) اى شرب ماء (شربه) اى شرب ماقدحه الذى وضعه فيه (او الوضوء) من ماء قدحه (توضأ) بالهمز ويجوز ابدالها الفا (والا) اى وان لم يكن محتاجا لشرب او وضوء (هراقه) بتقدير مضاف اى هراق ماءه اى صبه على الارض لاستغنائه عنه واصل هراقه اراقه فابدلت همزته هاء وقد يجمع بينهما فيقال اهراقه وتفصيله فى كتب العربية قال ابن الاثير وغيره معناه لاتؤخرونى اذا صليتم على فى الذكر وتجعلوا ذكرى تبعا لغيره بل اعتنوا به فقدموه واذكروه فى وسطه واختموا به كما اشار اليه بقوله (ولكن اجعلونى) اى اجعلوا ذكرى فى الصلاة على (فى اول الدعاء واوسطه وآخره) ففيه تشبيه تمثيلى بليغ لتأخر ذكره عن دعائه كما ان من يريد الركوب لراحلته يبدأ بمتاعه فيحمله ويجمع ماله وقدحه موضوع على الارض ثم ينظر لقدحه فيأخذ مافيه او يرميه

وهذا كقول حسان فى هجائه * فانت هجين نيط فى آل هاشم * كما نيط خلف الراكب القدح الفرد * والراكب يجعل القدح خلفه وفى هذا الحديث زيادة على ماقبله بجعله اولا ووسطا وآخرا (وقال ابن عطاء) ابو العباس احمد بن محمد بن سهل الآدمى وهو من اجل مشايخ الصوفية توفى سنة تسع وثلاثمائة (للدعاء اركان) اى امور مهمة لابد منها شبهت باركان البناء ومنه اركان الصلاة عند الفقهاء (واجنحة) جناح الطير كاليد للانسان يحصل بها ما يريد وفيه استعارة تخييلية ومكنية شبه ماهومقصود منه لقبوله ورفعه الى السماء بالاجنحة للطائر (واسباب) اى وسائل للوصول للمطلوب والفوز به (واوقات) مخصوصة يكون فيها اسرع اجابة لاوقات الصلاة (فان وافق اركانه) اى قارنها وكانت تامة (قوى) اى كمل وتم كما يتقوى البناء والبدن باركانه (وان وافق اجنحته) بان كان له اجنحة كاملة (طار فى السماء) اى صعد اليها وقبل كما مر (وان وافق مواقيته) جمع ميقات بمعنى الوقت اى ان وقع فى اوقاته (فاز) بالاجابة وحصلها (اى وافق اسبابه انجح) اى تم وكمل نجاحه وسعادته ثم بين ذلك فقال (فاركانه حضور القلب) اى توجهه توجها تاما بجميع فكره وحواسه (والرقة) اى رقة القلب وفسرها بقوله (والاستكانة) اى الخضوع والانقياد (والخشوع) بالمذلة والخوف وعدم رفع الصوت والبصر (وتعلق القلب بالله) بقطع النظر عما سواه (وقطعه من الاسباب) بان لايرجو غيره كما فى الدعاء المأثور اللهم اقذف فى قلبى رجاءك واقطع رجائى عما سواك (واجنحته الصدق) بان يوقن بانه لايعطى ولامانع غيره وفى الحديث الصدق يهدى الى البر فالصدق معناه خلوص النية والطوية (ومواقيته الاسحار) اى اواخر الليل لانها محل الاجابة وتجلى الرحمن وقرب عباده منه وهو اقوى فى التوجه وفيه تهب نفحات الرحمة ونسمات الخير كما قال الله تعالى وبالاسحارهم يستغفرون وقال ان قرآن الفجر كان مشهودا (واسبابه) المسرعة لحصول المراد (الصلاة على محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) كما تقدم وقال اسبابه والمراد اسباب اجابته ففيه اشارة الى انه بدون الاجابة كالعدم وفيه اشارة الى الحديث ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا فى الثلث الاخير فيقول من يدعونى فاستجب له ومن يسألنى فاعطه ومن يستغفرنى فاغفر له كما فى الصحيحين وقد اختلفوا اهل الدعاء افضل لما فيه من التذلل والافتقار السكوت لما فيه من التسليم والرضاء فذهب الى كل طائفة وقيل انه يختلف باختلاف الاحوال وهو الارجح عند البعض وفيه كلام ليس هذا محله (وفى الحديث) لم يذكروا من رواه (الدعاء) الواقع (بين الصلاتين على) بان يصلى عليه صلى الله عليه وسلم قبله وبعده (لايرد) اى فيستجاب ذلك الدعاء فان الصلاة عليه مقبولة ومن ذكر الله اذا قبل الطرفين لايترك ما بينهما (وسئل السنوسى عن القطع بقبول الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم (فاجاب بانه منصوص عن السلف واستشكله بانه لوقطع بها للمؤمن المصلى عليه لقطع له بحسن الخاتمة اذ دعى بها مع الصلاة وبين الصلاتين عليه وهى مجهولة لكل احد

واجاب بان معنى القطع بقبولها انه اذا قضى الله له بخاتمة الايمان ووجدت حسنة الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فهى مقبولة بلاريب فيها بفضل الله بخلاف سائر الحسنات فانه لاوثوق بقبولها ويحتمل انها اذا صدرت على سبيل المحبة من صاحبها يقطع بانتفاعه فى الآخرة بوجه ما ولو بتخفيف العذاب وفيه نظر (لايرد) اى لايستجاب ذلك الدعاء (وفى حديث كل دعاء محجوب دون السماء) كما مر فى حديث الترمذى عن عمر (فاذا جاءت الصلاة على) اى ذكرت معه (صعد الدعاء) الى السماء اى قبل واستجيب وقد اخرج الديلمى انه صلى الله عليه وسلم قال الدعاء محجوب حتى يصلى على محمد واهل بيته (وفى دعاء بن عباس الذى رواه عنه حنش) بفتح الحاء المهملة والنون وشين معجمة وهو ابن عبدالله بن عمرو بن حنظلة بن مهد ابو راشد التابعى الصنعانى احد الداخلين الى الاندلس فى صدر الاسلام وله رواية عن على وابن عباس وغيرهم الا ان هذا الحديث لم يروعنه فى الكتب وروى له غيره توفى بافريقية سنة مائة وقيل ان قبره بسرقسطه (فقال فى آخره) اى آخر الدعاء و (استجب دعائى ثم يبدأ بالصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) قبل ماندعو به وتقول اسئلك (ان تصل على محمد عبدك ورسولك) صلاة من (افضل ماصليت على احد من خلقك اجمعين آمين) اى استجب وهو اسم فعل له (فان قلت هل يحسن ان يقال صلى على سيدنا محمد قلت نعم ويجوز اتباع المأثور فيه ولكن اختلف فى ايهما الافضل رعاية الادب او امتثال الامر فذهب الى كلا القولين بعض وقيل امتثال الامر عين الادب وهو الظاهر ولا عودة الى بسط الكلام فيه واطلاق السيد عليه جائز وكذا على الله وفيه خلاف ليس هنا محله (ومن مواطن الصلاة عليه) واماكنها (عند ذكره وسماع اسمه اوكتابته) وتقدم القول بانه واجب كلما ذكر او سمع وذكره اعم ان يكون فى الصلاة او عند قراءة القرآن كما ذكره الخيضرى فى كتاب اللواء المعلم ورواه عن السلف قوله اوكتابته اى وعند كتابة اسمه هل يكتفى بكتابة الصلاة عليه او الافضل ان يتلفظ به تردد فيه بعضهم والافضل ان يكتبه ويتلفظ به (او عند الاذان) اى بعده وهو مستحب للمؤذن وسامعه لما رواه مسلم انه عليه السلام قال اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل مايقول ثم صلوا على فانه من صلى على صلاة صلى الله عليه بها عشرا الحديث وهل يقتصر على الصلاة ويذكر معها السلام لما ذكروه من كراهة الاقتصار عليها مطلقا للآية السالفة كما صرح به النووى وقال غيره يقتصر عليها لظاهر حديث مسلم قال الخيضرى تستحب ايضا بعد الاقامة لما رواه الطبرانى فى كتاب الدعاء عن ابى الدرداء انه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سمع المؤذن يقيم يقول اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا سؤله يوم القيامة يسمعها من حوله ويحب ان يقولوا مثله وهذا مما سكتوا عنه انتهى وفيه ان الذى فيه استحباب الدعاء عندها كالصلاة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم (وقد قال) صلى الله تعالى

عليه وسلم فى حديث رواه مسلم عن ابى هريرة (رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل على) فيدخل فيه ما فى هذا الموطن كله لان الذكر يشمل ذكره وذكر غيره والكتابة ذكر معنى وهذا دعاء عليه بان يذله الله لعدم اعزاز رسوله صلى الله عليه وسلم اذا ذكر عنده فلم يصل عليه ورغم يرغم كسأل يسأل رغما وارغمه الله اذله وهو من الرغام بمعنى التراب لجعلا عبارة عما ذكر ولذا ذكر الانف الذى من انف رفعه ويقال رفع انفه واذا تكبر وهذا الحديث رواه الترمذى عن ابى هريرة ولفظه انه صلى الله عليه وسلم قال رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل على ورغم انف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ فيها قبل ان يغفر له ورغم انف رجل ادرك عنده ابواه الكبر فلم يدخلاه الجنة ورواه الحاكم وقال هو صحيح الاسناد وسيأتى الكلام عليه عند ذكر المصنف رحمه الله تعالى بذمته (وكره ابن حبيب) وهو عبد الملك ابن حبيب بن سليمان بن هارون السلمى من ولد العباس بن مرداس الصحابى وقيل عبد الملك بن سليمان وهو فقيه نحوى طبيب مفسر محدث الا انه لم يكن له نقد ونظر تام فى الحديث توفى سنة ثمان اوتسع وثمانين ومائتين (ذكر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عند الذبح) وهو مذهب مالك وقال غيره يستحب وانما ذكره لئلا يكون مما اهل به لغير الله والى هذا ذهب الحنفية كما فى المحيط وخالفهم الشافعى فقال فى الام والتسمية على الذبيحة باسم الله ولا اكره ان يقول وصلى الله على رسول الله بل احبه وقال المزنى انها لا تستحب ولا تكره فهى مباحة وقال الاوزاعى تختص ذلك بما اذا كان قربة كالاضحية وقال الرافعى لا يجوز ان يقول باسم محمد ولا باسم الله واسم محمد وذهب بعضهم الى ان ماذبح باسم غير الله لا يحل اكله وكذا ماذبح للكعبة اوعند قدوم سلطان وقيل ان قصد التبرك جاز ونقل عن ابن حنبل فيه خلاف وكذا قيل انه لا يستحب عند العطاس كما يأتى وقيل انما يكره اذا لم يقصد بعد الحمد الصلوة على من سنه وقال الخطاب الذى تحصل من كلام المالكية ان فى الصلوة على النبى عند الذبح والعطاس قولين ويكره عند الجماع والحاجة انتهى (وكره سحنون) الفقيه المشهور المالكى واسمه عبد السلام ابن عبد السلام بن سعد بن حبيب بن حسان التنوخى وهو بمرتبة من الكمال فضلا وزهدا وسماحة ولد فى رمضان سنة ستين او احدى وستين ومائة وتوفى لتسع خلون من رجب سنة اربعين ومائتين وعمره ثمانون سنة كما فى الميزان وسينه مضمومة ويجوز منع صرفه وفتح سينه ايضا كما سيأتى (الصلاة عليه) صلى الله عليه وسلم (عند التعجب) رؤية امر عجيب وهو مذهب مالك واليه ذهب الشافعية كما فى الاذكار للنووى وقال الحليمى من الشافعية لا يكره كسبحان الله لان التسبيح تنزيه لموجد العجايب والصلاة عليه لانه اعظم المخلوقات واعجبها والشئ بالشئ يذكر وقال قاضيخان لو رأى شيئا جيدا فقال اللهم صل على محمد لان قصد الاعلام بجودته كره والناس يستعملونه نظما ونثرا قال عرفلة

* اقبل يهتز فى غلائله * من لبس يشفى لعاشق عمله * فقال كل امرئ تأمل *

* الف صلاة على رسول الله * وقلت فى مطلع قصيدة * ظبى على الصب حين سلم * صلى على المصطفى وسلم * (وقال سحنون لا يصلى عليه) صلى الله تعالى عليه وسلم (الا على طريق الاحتساب) اى من غير سبب بل خالصا لوجه الله وحسبة (وطلب الثواب) لا للتعجب وغيره كما امرنا الله به تعظيما له واما عند الضحك ورؤية مستقذر فقالوا يخشى عليه الكفر وقال العينى لا يؤمر بها عند الغضب خوفا من ان يحمله الغضب على الكفر ونقله النووى فى اذكاره عن بعض الشافعية واقره عليه (وقال اصبغ) هو ابو عبد الله بن اصبغ بن فرج بن سعيد بن نافع الاموى مولى عمر بن عبد العزيز المصرى الفقيه الجليل المحدث روى عنه البخارى وغيره وتوفى سنة خمس وعشرين ومائتين (فى قول عن ابن القاسم) عبد الرحمن بن القاسم بن خالد بن جبارة المصرى امام الفقه صاحب الامام مالك وهو ثقة حجة توفى سنة احدى وتسعين ومائة وارتحل الى الامام مالك اثنى عشر مرة انفق فى كل مرة الف دينار (موطنان لا يذكر فيهما الا اسم الله الذبيحة والعطاس فلا تقل فيهما محمد رسول الله) اى لا تقول فيهما باسم الله وباسم محمد رسول الله لئلا يكون الاهلال فى الذبيحة لغير الله والعطاس يدل على قوة الدماغ الدافعة لاذى البخار فهو نعمة من الله خفية لا يقدر عليها غير الله فتذكر اسمه شكرا له على نعمه دون غيره (قال) اصبغ (ولو قال بعد ذكر الله) فيهما وصلى الله على محمد (لم يكن) ذلك (تسمية له مع الله) ولكنه صلاة عليه بنية التقرب الى الله بالصلوة عليه فلا يكره وعن ابى سعيد الخدرى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال من عطس فقال الحمد لله على كل حال وصلى الله على محمد وعلى اهل بيته اخرج الله عز وجل من منخره الايسر طائرا يقول اللهم اغفر لقائلها اخرجه الديلمى فى الفردوس بسند لا بأس به وعطس رجل عند ابن عمر فحمد الله فقال له لقد بخلت هلا حيث حمدت الله صليت على نبيه ولذا رجح البيهقى استحباب الصلاة عليه عند العطاس واليه ذهب جماعة وقال الآخرون لا يستحب ولكل موطن ذكر يخصه واستدلوا بحديث لا تذكرونى فى ثلاث مواطن عند العطاس والذبيحة والتعجب وروى بعد تسمية الطعام بدل التعجب اخرجه الديلمى فى مسنده وفيه من اتهم بالوضع وقال الخيضرى يستحب لمن تعجب ان يصلى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ذكره شيخنا وقال اخذته من نص الشافعى رحمه الله تعالى فى قوله احب ان تكثر من الصلوة عليه فى كل الحالات فدخل فى عمومه وفيه نظر (وقال شهب) اى قال كما قال اصبغ واشهب هو ابو عمر لقب بمسكين بن عبد العزيز بن داود بن ابراهيم القيسى ولد سنة اربعين ومائة وقيل سنة ست وخمسين وتوفى سنة ثلاث اواربع ومائتين بعد الشافعى بثمانية عشر يوما وسنه اربع وستين واخرج له اصحاب السنن وهو احد فقهاء مصر حتى فضل على ابن القاسم (قال) شهب (ولا ينبغى ان يجعل الصلاة فيه) اى فيما ذكر من الذبيحة

والعطاس (استنانا) اى سنة وطريقة لانه تشريع فيما لم ينقل وقيل الاستنان هنا بمعنى الفرح والنشاط واللعب وقيل معنى استن جرى فى غير طريق وهو خلاف الظاهر والذى عليه الشراح الاول والكلام على ذكر الله والتسمية عند الذبح وانه سنة او واجب مفصل فى الفروع (وروى النسائى) وابو داود وابن ماجة وابن حبان والحاكم وصححه (عن اوس بن اوس) الثقفى الصحابى ويقال اوس بن ابى اوس كما فى الاستيعاب (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الامر من الاكثار من الصلاة عليه يوم الجمعة) وليلتها لانه افضل الاوقات ولما ورد ان الصلاة تعرض عليه فيه والحديث المذكور من افضل ايامكم يوم الجمعة فيه خلق الله آدم وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة واكثروا من الصلاة فيه على فان صلاتكم معروضة على قالوا يارسول الله وكيف تعرض عليك صلاتنا وقد ارمت يعنى بليت فقال ان الله حرم على الارض ان تأكل اجساد الانبياء وفيه احاديث اخر بمعناه وهذا احد مواطن الصلاة عليه (ومن مواطن) استحباب (الصلاة عليه) صلى الله تعالى عليه وسلم (دخول المسجد) والخروج منه ايضا كما سيصرح به لورود الامر به فى الحديث وفى الاذكار تقول اعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وبسلطانه القديم من الشيطان الرجيم اللهم صل على محمد وعلى آل محمد اللهم اغفر لى الخ وروى النسائى وابن ماجة اذا دخل احدكم المسجد فليصل على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ثم ليقل اللهم افتح لى ابواب رحمتك فاذا خرج صلى وقال اللهم انى اسئلك من فضلك وروى اجرنى من الشيطان وفى معناه وفيما ذكره النووى زيادة قيل وينبغى ذكر السلام ايضا (وقال ابو اسحق بن شعبان) هو محمد قاسم المصرى وقد تقدم بيانه (وينبغى لمن دخل المسجد ان يصلى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله) ثم عاله كامر (وان يترحم عليه وعلى آله) اى يقول اللهم ارحم محمدا وآل محمد وقد تقدم الكلام فى الدعاء له بالرحمة ومافيه (ويبارك عليه وعلى آله) اى يقول اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد زاد البركة وادمها اللهم كما تقدم شرحه (ويسلم تسليما) اى يقول ويسلم عليه كره افراد الصلاة عن السلام (ويقول) بعد الصلاة والسلام (اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى ابواب رحمتك) لان المساجد محل العبادة والثواب والرحمة والمراد بابواب الرحمة انواعها وفتحها تيسرها واعطاؤها وعبر بالفتح وابوابها المناسبة للدخول ففيه من اللطف ما لا يخفى وكذا فى قوله (واذا خرج) من المسجد (فعل مثل ذلك) اى يقول ما قاله بعينه (وجعل موضع رحمتك فضلك) لان من خرج من المسجد يخرج بكسبه ومصالحه ملتمسا لفضل الله كما قال تعالى فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله والحديث فى مسلم الا قوله وترحم وبارك (قال عمرو بن دينار) المراد فى قوله تعالى

(فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم الآية) فهذا احد المواطن التى تستحب فيها الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم عند دخول المرء منزله قال الامام الخيضرى فى اللواء المعلم روى ابو موسى المدينى عن سهل بن سعد قال جاء رجل الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فشكا اليه الفقر وضيق العيش او المعاش فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا دخلت منزلك فسلم ان كان فيه احدا ولم يكن ثم سلم على ثم اقرأ قل هو الله احد مرة واحدة ففعل الرجل فادر الله عليه الرزق حتى افاض عليه خيراته انتهى وفى هذه الآية اقوال للمفسرين فقيل البيوت المساكن وقيل المساجد وفى قوله على انفسكم وجهان ايضا فقيل هو على ظاهره وقيل المراد به من فيها بجعله كنفسه لاكاد جنسه واهله وقال تحية من عند الله مباركة طيبة ومعنى كونها من عنده انه امر بها وكونها مباركة لحصول البركة وسعة الرزق بها وطيبها لذلك واطيب الانفس بها (قال) اى ابن دينار (ان لم يكن فى البيت احد) يسلم عليه (فقيل السلام على النبى ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين من الملائكة) وغيرهم (السلام على اهل البيت ورحمة الله وبركاته) كلام المصنف هنا فى استحباب الصلاة لمن دخل المسجد وهذا التفسير لا يوافقه لانه لم يذكر فيه صلاة وهو مبنى على ان المراد بالبيوت المنازل فاما ان يقول ذكره استطرادا وتتميما لكلام المفسرين فيها او يقال انه اذا اسرع التسليم على اهل كل بيت فبيت الله واهله اولى لكن حمل التحية على هذا على الصلاة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم مع انه خلاف الظاهر ولم يقله المفسرون فان التحية عندهم على هذا بمعنى السلام على من بالمنزل لما رواه الترمذى من انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال اذا دخلت على اهلك فسلم تكن بركة عليك وعلى اهل بيتك كذا قيل وهو تكلف لا داعى له (قال ابن عباس) فيما رواه عنه ابن ابى حاتم (المراد بالبيوت) فى هذه الآية (المساجد) لانه ورد اطلاقه عليها حقيقة فاذا دخلها سن له الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم كما تقدم تفصيله (وقال النخعى) بفتح المعجمة نسبة لقبيلة وهو ابراهيم بن يزيد بن الاسود بن عمرو بن ربيعة فقيه الكوفة المشهورة توفى سنة خمس او ست وتسعين لا الاسود بن يزيد الكوفى كما قيل لانه المتبادر لشهرته (ان لم يكن فى المسجد احد) ودخله رجل (فقال السلام على رسول الله) تحية من عند الله مباركة عليه (واذا لم يكن فى البيت احد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين) وهذا يقتضى استحباب السلام عليه ولم يذكر معه الصلاة عليه وهكذا ورد فى الحديث كما تقدم وقد عدوا من مواطن الصلاة عليه دخول المنزل والمسجد (وعن علقمة) بن قيس ابو شبل الفقيه كما تقدم (اذا دخلت) انا (المسجد اقول السلام عليك ايها النبى ورحمة الله وبركاته صلى الله وملائكته على محمد) كما تقدم من انه لبس لداخل المسجد والخارج منه ان يصلى عليه صلى الله تعالى

عليه وسلم وفى هذا زيادة السلام عليه وتقديمه عليها (ونحوه) مروى (عن كعب) الاحبار وقد تقدم بيانه (اذا دخل) المسجد (اوخرج) منه (ولم يذكر الصلاة) على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهى مستحبة ايضا (واجنح ابن سفيان لما ذكره) فيما تقدم من استحباب ان يصلى عليه صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله و يترحم عليهم ويبارك و يسلم تسليما (لحديث فاطمة) الذى تقدم الا انه ليس فيه ترحم وتبرك (بنت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه كان صلى الله تعالى عليه وسلم يفعله اذا دخل المسجد ومثله) اى مثل حديث فاطمة و بمعناه روى (عن ابى بكر بن عمر بن حزم) وهو محمد بن عمرو بن حزم قاضى المدينة واميرها ولد قبل وفاة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بسنتين فسماه صلى الله تعالى عليه و سلم محمدا وقيل انه ولد بنجران وابوه عامل عليها من قبله صلى الله تعالى عليه وسلم فى سنة عشر من الهجرة فسماه ابو سليمان وكتب بذلك الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فامره ان يسميه محمدا و يكنيه بعبد الملك ففعل وتوفى سنة عشرين ومائة واخرله الستة (وذكر) ابن حزم (السلام والرحمة) من هذا اى الدعاء بهما (وقد ذكر هذا الحديث) يعنى حديث فاطمة الزهراء (فى آخر القسم) الثانى من هذا الكتاب (والاختلاف) فى بعض (الفاظه) لتعدد طرقه وتغاير بعض الفاظه (ومن مواطنها) اى الصلاة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم التى تستحب فيها (الصلاة على الجنائز) وهى عند الشافعى من اركانها بعد التكبيرة الثانية و يقرؤ بعد الاولى سورة الفاتحة ثم يدعو للميت كما بينه الفقهاء (وعن ابى امامة) هو اسعد بن سهل بن حنيف بن واهب ابن العليم بن ثعلبة الانصارى ولد فى زمنه صلى الله تعالى عليه و سلم فحنكه و برك عليه ولم يسمع منه وحديثه مرسل وتوفى سنة مائة واخرج له الستة (انها من السنة) فتستحب فى صلاة الجنازة عنده وليست من اركانها وذهب الشافعى فى احد قوليه انها واجبة واستدل بقول ابى امامة لان مراده بالسنة طريقته صلى الله تعالى عليه وسلم فيشمل الواجب وغيره وقول الصحابى ونحوه من السنة كذا فى حكم المرفوع واختلفوا فى الصلاة على الآل هنا و يصلى عليه صلى الله تعالى عليه وسلم عند ادخال الميت قبره ايضا فيقول بسم الله وعلى ملة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه الترمذى وابو داود وهذا الحديث رواه الشافعى فى الامام الا ان فى سنده ضعفا كما قاله الخيضرى ورواه الحاكم والبيهقى وغيرهما وهذا وجه عن ابى حنيفة واحمد ومالك (ومن مواطنها) التى يستحب فيها (الصلاة) عليه صلى الله تعالى عليه وسلم (التى عليها عمل) الامة (ولم ينكرها الصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله) تبعا له (فى الرسائل) جمع رسالة كعصائب وعصابة بمعنى المفعول وهو المكتوب الذى يرسل مطلقا ولا وجه لتخصيصه

عما يكتب بين الاخوان كما قيل (وما يكتب بعد البسملة) اى كتابة بسم الله الرحمن الرحيم وهو من باب النحت كالحوقلة والسبحلة وليس بمولد كما قيل لسماعه من العرب كما رواه الثقة وكتابة البسملة سنة فى الكتب المقررة فى القرآن والسنة لقوله تعالى انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم وتقدم على غيرها وذكر سليمان انما هو عنوان الكتاب لا فاتحته كما ذكره المفسرون (ولم يكن هذا) اى اساس الكتب بالصلاة على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (فى الصدر الاول) اى فى ابتداء الاسلام وزمن الخلفاء الراشدين فالصدر مستعار للابتداء والاول صفة موضحة و مفسرة له (واحدث بعد ولاية بنى هاشم) يعنى بنى العباس واختلف فى اول من كتبه فقيل السفاح عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس وقيل هارون الرشيد واورد عليه ان الكلاعى قال فى كتاب الاكتفاء عن الواقدى بسنده ان ابا بكر الصديق رضى الله تعالى عنه كتب فى رده بنى سليم الى طريقة بن حاجز عامله ما صورته بسم الله الرحمن الرحيم من ابى بكر خليفة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى طريقة بن حاجز سلام عليك فانى احمد الله الذى لا اله الا هو اليك واسألك ان يصلى على محمد صلى الله تعالى عليه وسلم اما بعد الى آخره فهذا يدل على ان اول من فعله الصديق الا انه ترك ذلك فى زمن بنى امية وفى الاذكار مثله وهو يدل على انه سنة قديمة وهذا غفلة بموروده عن قوله بعد البسملة فانهم ان يكتب بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله تعالى عليه وسلم فتصديره على جميع ما بعده وليس فيما ذكره ذلك فتفطن له ثم اختلفوا فى الصلاة هل يعطف اولا على قولين فمن عطف فظاهر ومن قطعه اراه آيسا وفى عطفه على الخبر كلام طويل فى كتب النحو والمعانى (فمضى به عمل الناس فى اقطار) اى استمر فصار سنة او بدعة حسنة مستحبة (ومنهم من ختم به ايضا) اى كما يبدأ به فيجعله فى الاول والآخر لتشمل بركته جميع ما كتبه (وقال عليه الصلاة والسلام من صلى على فى كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام اسمى) مكتوبا (فى ذلك الكتاب) اى المكتوب مطلقا وليس المراد به المصنفات كما توهم حتى يقال ان تدوين الكتب البديع فى الصلاة على الحبيب الشفيع هذا الحديث رواه الطبرانى فى الاوسط والخطيب فى شرف اصحاب الحديث وابو الشيخ والمستغفرى وصاحب الترغيب بسند ضعيف واورده ابن الجوزى فى الموضوعات وقال ابن كثير انه لم يصح وروى من كتب فى كتابه صلى الله تعالى عليه وسلم لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام فى كتابه انتهى والملائكة دعاؤهم لبنى آدم مطلقا حيث ورد حتى للانبياء عليهم الصلوة والسلام بالاستغفار قال الله تعالى يسبحون له و يستغفرون للذين آمنوا وكان وجهه انهم لما علموا ما ركب فى طبيعة النوع الانسانى من الشهوات والمشاغل التى هى من لوازم البشرية يقتضى الاشتغال بغير الله وهم لا يفترون عن التسبيح ولا يفعلون الا ما يؤمرون واشفقوا عليهم وراموا ان الله لا يؤاخذ بشئ

من تبعاته فاعرفه فانى لم ارمن نبه عليه وذكروا فى ذلك آثارا عن السلف الصالحين ومنا مات منهـا ان الشافعى روئى من المنام فقيل له مافعل الله بك فقال غفرلى ولم يحاسبنى واكرمنى لصلاة صليتها عليه فى الرسالة وهى اللهم صل على محمد كلما ذكره الذاكرون وصل على محمد كلما غفل عن ذكره الغافلون وقد روى هذا من طرق بالفاظ مختلفة (ومن مواطن السلام) اى الاماكن التى تستحب الصلوة والسلام عليه فيها (تشهد الصلاة) الذى يذكر فى اخرها واطلقه ليشمل الاول والثانى كما مر واورد حديثا رواه البخارى وهو (حدثنا ابو القاسم خلف بن ابراهيم المقرى الخطيب وغيره قال حدثتنى كريمة بنت احمد) وتقدمت ترجمتها (قالت حدثنا ابو الهيثم) تقدم ايضا (حدثنا محمد بن يوسف) هو الفربرى كما تقدم (حدثنا محمد بن اسمعيل) هو الامام البخارى كما تقدم (حدثنا ابو نعيم) الفضل بن عمرو بن حماد الحافظ توفى فى سلخ شعبان سنة تسع عشرة ومائتين اخرج له الستة وترجمته فى الميزان (حدثنا الاعمش) سليمان بن مهران وقد تقدم (عن شقيق بن سلمة) الاسدى الحضرمى توفى سنة اثنين وثمانين كما تقدم (عن عبد الله بن مسعود قال) ابن مسعود فهو موقوف له حكم المرفوع وفى نسخة (عن النبى) صلى الله تعالى عليه وسلم فهو مرفوع (اذا صلى احدكم) صلاة ما فرضا او نفلا (فليقل التحيات) الى آخره والتحية تفعلة من الحياة ومعناها الاحياء والابقاء والملك والبقاء وكل منها صحيح هنا اى كل تحية يحيى بها الملوك والعظماء ثابتة (لله) لا تليق بغيره (والصلوات) اى انواع الدعاء الذى يراد به الثناء (والطيبات) اى جميع كلمات الثناء الطيب لله لا لغيره وقيل الصلاة العبادة (السلام عليك ايها النبى) حكاية لما علمه لهم حال حياته ثم استمروا على ذلك بعده او عن ابن مسعود كنا نقوله وهو بين اظهرنا فلما قبض قلنا السلام على النبى (ورحمة الله وبركاته) اى كل نعمة وخير كثير لازم ثابت له فى كل زمان (السلام علينا) معاشر الامة (وعلى عباد الله الصالحين) من جميع الامم السالفة وملائكة السماء والارضين والجن المؤمنين كما قال (فانكم اذا قلتموها) اى قلتم هذه الكلمات وهى السلام علينا الخ (اصابت) اى نالت رحمتها وبركتها (كل عبد) لله (صالح فى السماء والارض) لعموم الجمع المحلى بالالف واللام قبل الفصل المعقود لمواطن الصلوة عليه وهو ان لم يقل بوجوبها لا ينكر كونها سنة واجيب بانه لما ذكر الصلاة لعلها مما تقدم (هذا) اى التشهد فى الصلاة (اخذ مواطن التسليم عليه) اشارة الى ان له مواطن اخر (وسنته) اى استحبابه وفى نسخة سنيته بياء النسبة وهى اولى (اول التشهد) اى قبل ان يقول اشهد ان لا اله الا الله وبعد التحيات الخ وفى التشهد وفى كيفيته روايات مفصلة فى كتب الفقه (وروى مالك عن ابن عمر انه كان يقول ذلك) اى السلام عليك ايها النبى ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين

(اذا فرغ من تشهده واراد ان يسلم) سلام التحليل اى الخروج من الصلوة (واستحب مالك فى المبسوط) اسم كتاب له (ان يسلم بمثل ذلك) المذكور من السلام على النبى الى آخره (قبل السلام) من صلاته وهو فيما قيل خلاف المشهور من مذهبه (قال محمد بن مسلمة) بفتح الميمين وهو محمد بن مسلمة ابن هشام بن الوليد بن المغيرة توفى سنة ست عشرة ومائتين (اراد ما جاء) مرويا (عن عائشة وابن عمر انهما كانا يقولان عند سلامهما) اى قبل سلام الخروج السلام عليك ايها النبى ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين (ثم يقول السلام عليكم) وهو خاتمة الصلوة (واستحب اهل العلم ان ينوى الانسان) المصلى اماما او مقتديا او منفردا (حين سلامه) اى قوله السلام فى صلاته السلام على (كل عبد صالح فى السماء والارض من الملائكة) ونوع (بنى آدم) ومؤمنى (الجن) وقيل الامام ينوى السلام على من اقتدى به وهم ينوون الرد عليه وغيره ينوى به من على يمينه ويساره وهم الرد وغيرهم ينوى من حضرا وغاب (قال مالك فى المجموعة) قيل اراد بها المدونة واحب للمأموم (اذا سلم امامه ان يقول) قبل ان يسلم هو (السلام على النبى ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين) ثم يقول (السلام عليكم) واعلم انه عقد الفصل الذى قبل هذا لوجوب الصلاة عليه وعقبه بفصل عقده للمواطن التى يستحب فيها الصلاة وقد افرد له الامام الخيضرى كتابا مستقلا اسماه اللواء المعلم فى المواطن التى يستحب فيها الصلاة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم ولما اتم المصنف رحمه الله تعالى ما قصده شرع فى بيان كيفيتها فقال

﴿فصل فى كيفية﴾

اى بيان الفاظ (الصلاة) عليه وهو لفظ مولد نسب لكيف اسم الاستفهام لانها من شانها ان يسأل بها عن مثله (والتسليم عليه) اى كيف يذكر السلام عليه والمراد بيان الهيئة الفاضلة اذ اصلها معلوم وبدأ بحديث رواه الترمذى وهو (حدثنا ابو اسحق ابراهيم بن جعفر الفقيه) وقد تقدم (بقرأتى عليه) هو احد طرق الرواية (حدثنا القاضى ابن الاصبغ) عيسى بن سهل صاحب كتاب الاعلام فى نوازل الحكام (حدثنا ابو عبد الله بن عتاب) تقدم بيانه (حدثنا ابو بكر بن واقد وغيره) واقد بالقاف وهو معروف (حدثنا ابو عيسى) هو عم يحيى بن كثير الذى تقدم بيانه (حدثنا عبد الله حدثنا يحيى بن يحيى) الليثى احد رواة الموطأ عن مالك كما تقدم (حدثنا مالك) الامام المشهور (عن عبد الله بن ابى بكر بن عمرو بن حزم عن ابيه) تقدم ترجمته (عن عمرو بن سليم الزرقى) سليم بضم السين وفتح اللام والزرقى بضم الزاى المعجمة وفتح الراء المهملة قبل القاف هو من الانصارى وترجمته فى الميزان (قال اخبرنى ابو حميد الساعدى) اسمه عبد الرحمن بن عمرو بن سعد وقيل المنذر بن سعد وهو خزرجى مدنى له صحبة اخرج له الستة واحمد فى مسنده وتوفى فى حدود الستين (انهم) اى الصحابة (قالوا يا رسول الله كيف نصلى عليك) سألوه عنه

بعد ورود الامر به فى الآية ان الله وملائكته الى آخره فقال قولوا (اللهم صل على محمد وازواجه وذريته) ازواجه امهات المؤمنين معلومة والذرية النسل والولد بضم الذال وكسرها فعلة من ذرأ بمعنى خلق ترك الهمزة فى الاستعمال تخفيفا وقيل انه نسبة الى الذر لصغرهم والذرية الولد وولده ويشمل اولاد البنات كما ذكروه مفصلا فى كتب الفقه وسؤالهم بكيف المراد به السؤال عن العبارة التى يعبر بها وباى كيفية تؤدى وقيل عن معناها ولايخفى ما فيه فانهم لما سمعوا السلام عليه فى التشهد وامروا بالصلاة سئلوه عما يقولونه فعلمهم ذلك وفيه من التعظيم مالايخفى فانه امرهم ان يطلبوا من الله ان يصلى هو عليه فكانهم قالوا لا نقدر على اداة الصلاة حق الاداء فافعل انت مايليق به فان قلت الذى فى الآية الصلاة عليه لفظ من غير تشبيه بابراهيم قلت لما كان معنى الصلاة الرحمة وهو مرحوم ومنعم عليه فى الدارين باعظم النعم ضم ذلك للصلاة عليه اشارة الى ان المقصود من رحمته رحمة اهل ملته كما يقال لمن يراد عقوبة ولده ارحم هذا الشيخ كما اشار اليه بقوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا (كما صليت على آل ابراهيم) اى ازواجه وذريته والتشبيه انما وقع بهم لشهرتهم ويقرن واله فيهم انبياء ورسل فشبه المجموع بالمجموع اوالآل بالآل فلا يرد عليه ان المشبه دون المشبه به فكيف صلاة نبينا بصلاة ابراهيم وهو افضل منه فى السؤال المشهور وقد اجيب عنه باجوبة هذا محصلها وللجلال الدوانى رسالة فيه مشهورة شهرتها تغنى عن ذكرها (وبارك على محمد وازواجه وذريته كما باركت على آل ابراهيم) اى ادم وكثر الخيرات النازلة عليهم كما ادمت ذلك لابراهيم وآله (فى العالمين انك حميد مجيد) اى رحمة وبركة منتشرة فى جميع الخلق وحميد فعيل من الحمد وهو الثناء الجميل ومجيد فعيل من المجد وهو السر والكرم وفعيل فيهما بمعنى فاعل اومفعول اى انت فاعل الجميل وواهبه اوانت المحمود المعظم كل حمد واكرام بسلك واتباعهم عائد اليك فانه لاجلك وامتثال امرك وهو يدخل فى موقع جليل ومما ذكرناه علمت معنى قوله آل ابراهيم دون ابراهيم فتفطن لهذه الدقائق (وفى رواية مالك) فى الموطأ (عن ابن مسعود الانصارى) الصحابى البدرى (قال قولوا اللهم صل على محمد وآله كما صليت على آل ابراهيم وبارك على محمد كما باركت على آل ابراهيم فى العالمين انك حميد مجيد) ذكره اشارة الى ان له طرق كثيرة وانه انما قدم رواية الموطأ لعلو سنده فيها فلا وجه لما قيل انه لافائدة فى ذكره وهو بعينه ماقبله (والسلام) اى كيفيته ولفظه (كما قد علمتم) فى التشهد كما ذكره المصنف رحمه الله تعالى سابقا وعلمتم بفتح العين وكسر اللام المخففة مبنى للفاعل او بضمها وتشديد اللام مبنى للمجهول من العلم اوالتعليم وكلاهما صحيح رواية ودراية كما قاله النووى وقيل الاول اصح

(وفى رواية كعب بن عجرة) بضم العين وسكون الجيم وراء مهملة وهو ابو محمد او ابو عبد الله اوابو اسحق من بنى سالم بن عوف اومن غيرهم صحابى شهد بيعة الرضوان وتوفى سنة اثنتين اواحدى وخمسين واخرج له الستة وغيرهم (اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل ابراهيم انك حميد مجيد) وهذا الحديث رواه الشيخان عن عبد الرحمن بن ابى ليلى قال قلت يارسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلى عليك فقال قولوا اللهم صل الى آخره وهومتفق عليه الاان لفظ البخارى على ابراهيم وعلى آل ابراهيم فى الموضعين وسقط منه آل فى الموضعين ورواية المصنف رحمه الله تعالى تخالفه (وعن عقبة بن عمرو) عبد الله الانصارى الصحابى توفى بالمدينة سنة احدى واربعين فى ايام على اومعاوية وكان على استخلفه على الكوفة لما خرج لصفين (فى حديث) الذى رواه (اللهم صل على محمد النبى الامى وعلى آل محمد) هم المؤمنون من ازواجه وذريته ومن يحرم عليه الصدقة من اقاربه على الراجح وفسر بجميع امته ايضا وهذا الحديث اخرجه احمد وابن حبان والدارقطنى والبيهقى ومسلم بدون لفظ النبى الامى (وفى رواية ابى سعيد الخدرى) وهو سعد بن مالك بن سنان كما تقدم (اللهم صل على محمد عبدك ورسولك) اخرجه الحاكم بسند بعض فى رجاله كلام (وذكر معناه) اى معنى الحديث السابق من قوله كما صليت الى آخره ورواه البخارى ايضا اورده من طريق آخر مسلسل فيه زيادة والمسلسل ماوقع معه امر من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من قول اوفعل ونحوه وقع مثله قصدا من جميع رواته تبركا بحيث كانه فى حال صدوره كالعد فى اليد هنا وهو قوله (حدثنا القاضى ابو عبد الله التميمى) تقدم بيانه (سماعا عليه) فقرأه غيره عليه (وابو على الحسن ابن طريف النحوى) طريف بفتح الطاء وكسر الراء المهملتين ومثناة وفاء احد شيوخ المصنف رحمه الله تعالى ولم يذكره فى كتابه الافى هذا الموضع توفى تاسع ذى الحجة سنة احدى وعشرين وخمس مائة وفيها توفى ابن رشد (بقرأتى عليه قالا حدثنا ابو عبد الله بن سعدون الفقيه) يعرف كما تقدم فى ذكر الشوق اليه حدثنا ابو بكر المطوعى) بضم الميم وفتح الطاء المهملة المشددة وكسر الواو المشددة وعين مهملة تليها ياء نسبة غلب على المجاهد تطوعا بلا اجرة وهو محمد بن على الغازى النيسابورى (حدثنا ابو عبد الله الحاكم) محمد بن عبد الله بن حمدويه ابن نعيم الضبى النيسابورى الامام الحافظ شيخ الحديث فى عصره عرف بابن البيع صاحب التصانيف الجليلة ولد فى ربيع الاول سنة احدى وعشرين وثلث مائة وتوفى فى صفر سنة خمس واربع مائة وله ترجمة فى الميزان فى مستدركه احاديث ضعيفة وموضوعة اسعدت عليه (عن ابى بكر بن ابى دارم الحافظ) المسند

السبيعى الحاكم احمد بن محمد بن السرى بن يحيى بن السرى التميمى
الكوفى محدث الكوفة روى عنه الحاكم وغيره وهو متهم بالكذب توفى فى المحروسة سنة
اثنين اوست وخمسين وثلاثمائة وله ترجمة فى الميزان (عن على بن احمد العجلى)
هوممن يروى عنه ابو بكر المذكور ولم يعرف (عن حرب بن الحسن) وفى نسخة بن
الحسين وهو الطحان قال فى الميزان ليس حديثه بذاك وذكره ابن حبان فى الثقات
(عن يحيى بن المساور) بميم مضمومة وسين وراء مهملتين قيل انه كذاب له قبايح
مذكورة فى الميزان (عن زيد بن على بن الحسين) ابن على بن ابى طالب وهو ابو الخير
العلوى المدنى اخو محمد الباقر النسيب الامام الثقة رأى جماعة من الصحابة
واستشهد رضى الله عنه سنة اثنين وعشرين ومائة (عن ابيه) على بن الحسين
ابن على بن ابى طالب قال الزهرى مارأيت قرشيا افضل منه توفى سنة اربع وتسعين
وهو امام ثقة جليل اخرج له الستة (عن ابيه الحسين عن ابيه على بن ابى طالب
قال) على رضى الله تعالى عنه (عدهن فى يدى) صفة لمقدر اى كلمات تذكر
فى التشهد اوصلوات ذكرها لى (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) وكان
فى ذكرها بعدها لى فى يدى ماسكالها يشير الى انه حديث مسلسل فى البد الى جبرائيل
تنبيها على حفظها وان لايبزل منها واحدة (قال عدهن فى يدى جبريل وقال
هكذا) اى بهذا العدد (نزلت من عند رب العزة) العزة كما قال الراغب حال يقتضى
الامتناع من القهر والغلبة من الاراضى العزاز وهى الصلبة فرب العزة اما بمعنى
من له العزة وهو مالكها كما قال الله تعالى ولله العزة ولرسوله اومن يعطها من يشاء
كما قال الله تعالى تعز من تشاء وتذل من تشاء وله موقع هنا لاعزازه واكرامه لرسوله
(اللهم صل على محمد وعلى آل محمد) اى افض عليه وعلى آله رحمتك وانعامك
(كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم) جعله مشبها به لشهرته لا لانه افضل
واعلى كامر (انك حميد مجيد) اى محمود ممجد او المستحق للثناء والشرف من اثنيت
عليه وشرفته (اللهم بارك على محمد) اى انزل البركة عليه واذ اعداه بكل (وعلى آل
محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم وترحم على محمد وعلى
آل محمد كما رحمت على ابراهيم وعلى آل ابرهيم انك حميد مجيد) وفيه انه يدل على جواز
الدعاء للانبياء بالرحمة والترحم عليهم كما تقدم (اللهم وتحنن على محمد وعلى آل محمد
كما تحننت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد) تحنن تفعل من الحنين صار
بمعنى الرحمة والشفقة والحنان المنان من اسماء الله بمعنى الرؤف المنعم (اللهم وسلم على
محمد وعلى آل محمد كما سلمت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد) قال السيوطى
فى الجامع الكبير قال الحاكم هكذا بلغنا هذا الحديث واسناده ضعيف واخرجه

الديلمى وابن مندة والترمذى وقال العراقى ضعيف جدا وعمرو ابن خالد كذاب وضاع
وكذا ابن مساور وحرب بن الحسن اورده الازدى فى الضعفاء وقال حديثه ليس
بذلك وقال ابن حجر فى اماليه اعتقادى انه موضوع وفى سنده ثلاثة ضعفاء وبعدهم
من نسب الوضع والكذب (قلت وجدت له متابعات تجبره وان لم يخل من الضعف
ووجدت له طريقا آخر عن انس فى مسنده انتهى (قلت ذكر البرهان انه رواه
مسندا ايضا فتعدد هذه الطرق يقتضى انه غير موضوع غاية مايقال فيه انه ضعيف
فاعرفه والحديث مسلسل والمسلسل ماتوارد رواية على حالة واحدة اوصفة فى اسناده
اوصنع آدابه ومن قوله ترحم مايرد قول ابن العربى ان زيادة الترحم فى الصلاة على
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بدعة وقال السيد لانى انه مع انه لم يرد غير صحيح لانه
لايقال رحمت عليه بل رحمته وفى الترحم معنى التكلف فلا يصح اطلاقه على الله
وفى الاذكار زيادة ارحم محمدا بدعة لا اصل لها وقال ابن ابى زيد المالكى وبعض
المالكية يستحب زيادة ارحم محمدا فى التشهد وفى شرح مسلم الاختيار تركه ان لم يأت
فى خبر صحيح وقال السخاوى من زاره راه من فضائل الاعمال يكفى فيه الحديث
الضعيف وقال ابو جعفر والسرخسى من الحنفية باستحبابه لتواتر العمل به ورحمة الله
لايستغنى احد عنها وذهب كثير الى انه لايدعى للانبياء والرحمة وفى شرح البخارى
لابن حجر انه غير مسلم لوروده فى احاديث كثيرة ففى التشهد السلام عليك ايها النبى
ورحمة الله وبركاته وسبقه اليه صاحب القاموس واستدل عليه بقول الاعرابى له
صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم ارحمنى وارحم محمدا وتقريره له وفى حديث ابن عباس
اسئلك رحمة من عندك وفى الحديث عنه استغفرك لذنبى واسئلك رحمتك وياحى
ياقيوم برحمتك استغيث وفى الذخيرة من كتب الحنفية كراهته وجزم الغزالى تقدم
جوازه مفردا لابهامه البعض وانه كغيره ويدعى له بالرحمة (اقول هذا كلام
مضطرب وتحريره ان يقال دعاؤه لنفسه بالرحمة لامنع منه اصلا واما دعاء غيره له
فيما لم يؤثر فعلى الانفراد مكروه وبالتبع للصلاة ونحوها لاكراهة فيه وهذا هو الحق
عندى ثم ان الصاغانى نقل فى العباب ان قول الناس ترحمت عليه لحن والصواب رحمت
ترحما وفى الحديث مايرده وخص ابراهيم بالتشبيه قال البغوى عن مقاتل لانه افضل
الانبياء بعد نبينا ومكافاة له على دعائه لامة محمد بقوله رب اغفرلى ولوالدى وللمؤمنين
اولمشاركته على دعائه لامة محمد فى اذن للحج والايمان اوامر بذلك اجابة لدعائه بقوله
اجعل لى لسان صدق فى الآخرين ولانه امر بالاقتداء واما التشبيه له والمشبه دون
المشبه به فقد اجيب عنه بانه قاله قبل ان يعلم انه افضل منه اولسبق زمانه واشتهاده
لاالعلوم نبيه وقيل المشبه آل محمد وفيه تحقيقات فى رسالة الجلال الدوانى (وعن
ابى هريرة) فى حديث رواه ابوداود وغيره (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من

سره ان يكال بالمكيال الاوفى) اى من احب ان يأتى باحسن صلاة واعظمها اومن اراد ان ينال اجرا لايساويه فيه غيره (اذا صلى علينا اهل البيت) فاتى بالاكتيال عبارة عن ذلك استعارة تبعية مصرحة اوشبه الاجر بمايشترى من الحبوب والتمر وشبه ذكره اومثاله باكتياله لاستيفائه على طريقة المكنية والتخييلية والاجر لظهور تأديته فى قوة المذكور ووجه الشبه انه به البقاء هو استيفاء الشئ وحيازته والمراد الترغيب فى الصلاة عليه وعلى اهل بيته بهذه العبارة المخصوصة (فليقل اذا صلى عليهم (اللهم صل على محمد النبى وازواجه امهات المؤمنين وذريته واهل بيته كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد) فصل هذه الصلاة لما فيها من شمول آل بيته كلهم وتعظيمه بوصفه بالنبوة التى هى اقرب منزلة اليه وتعظيم ازواجه بما يحبه وذكر الصلاة على ابيه ابراهيم والايمان به ولغيره من الانبياء وهذا الحديث صحيح اخرجه ابوداود والطبرانى وغيرهما (وفى رواية زيد بن خارجة الانصارى) الصحابى المعروف توفى فى خلافة عثمان وله قصة فى تكلمه بعد موته وهذا اخرجه الديلمى فى الفردوس وابونعيم والنسائى والطحاوى والبغوى (فسألت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كيف نصلى) هذه الجملة معمولة لسألت لتضمنه القول اولقول مقدر (فقال صلوا على واجتهدوا فى الدعاء) المراد به الصلاة وعبر به تفننا اوالمراد الدعاء لانفسهم بما يريدون واجتهدوا بمعنى بالغوا فى ذلك وازواجه وذريته (وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد) تقدم مايغنى عن اعادته (وعن سلامة الكندى) هوسلامة ابن قيصر الحضرمى التابعى ذكره ابن حبان فى الثقات وانه يروى عن على ويقول قولوا (اللهم داحى المدحوات) وروى المدحيات ودحى بمعنى بسط قال الله تعالى والارض بعد ذلك دحاها و بسطها لانها خلقت اولا ربوة ثم بسطت ومهدت والمدحوات الاراضى السبع وفيه اطلاق الداحى على الله تعالى واستدل به من قال الاسماء ليست توقيفية وانه يكفى ورود مادتها كدحى (وبارئ) بالهمز اسم فاعل من برأ بمعنى خلق على غير مثال اى ميز وافرز (المسموكات) بمعنى المرفوعات والمراد بها السموات وروى سامك المسموكات وسمك بمعنى رفع وارتفع متعد ولازم (اجعل شرائف صلواتك) اى افضل صلواتك واعلاها جمع شريفة بمعنى عالية رفيعة المقدار من الشرف واصله ماعلا من الارض على غيره (ونوامى بركاتك) اى مازاد الى غير النهاية من خيراتك اى بركاتك النامية فهى من اضافة الصفة لموصوفها (ورأفة تحننك) اى لطفك ورحمتك وعنايتك نازلة متوالية (على محمد عبدك) قدمه لشرف العبودية على غيرها بدلالتها على القرب (ورسولك) الذى ارسلته لجميع خلقك (الفاتح لما اغلق) بضم الهمزة وكسر اللام مبنى لما لم يسم فاعله من اغلق الباب والقفل ونحوه اذا قفله وهو ضد الفتح

هنا حقيقته ويستعار لما صعب واشكل وابهم فالمعنى انه فتح الله به عن عباده انواع الخيرات وابواب السعادات الدنيوية والاخروية او بين لامته ما اوحى اليه بتعسره وتيسره وايضاحه وفك قيد اشكاله بايضاح براهينه وحججه وتفسيره بانه اول الناس خلقا وآخرهم بعثا كما فسر به جعلتك فاتحا وجاء بما قيل بعيد هنا كما لايخفى وفيه استعارة وتلميح لقوله اوتيت مفاتيح الكلام لما اوضحه ببراعته وبلاغته ويجوز ان يراد به مافتح الله به عليه وعلى امته من تيسر الفتوحات وتسخير الممالك كما فى قوله اوتيت مفاتيح خزائن السموات والارض (والخاتم لما سبق) من النبوة والرسالة فانه لانبى ولارسول يرسل بعده ولافى عهده وعيسى اذا نزل كان على شريعته ومن امته والخضر والياس ان قيل نبوتهما فهما بعد بعثته من امته ايضا ولاحاجة لتفسير ماسبق بالانبياء والرسل وجعل ما بمعنى من (والمعلن) اسم فاعل بمعنى المظهر من الاعلان وهو الجهر (الحق) بالنصب مفعول المعلن والجر باضافته له والبس منصوبا بنزع الخافض اى (بالحق) اى بالامر الحق لابالقهر والغلبة والمراد بالحق الدين والشرع ففيه اقامة الظاهر مقام الضمير اوالحق الثانى المراد به الله عز وجل فانه من اسمائه اى بمعونة الله وتأييده (الدافع) اى الدافع والمزيل ومنه حجة دامغة وهو مستعار من دمغه اذا كسر دماغه كما قاله الراغب قال الله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه (لجيشات الاباطيل) جمع جيشة وهى المرة من جاش يجيش اذا فار وارتفع والاباطيل جمع باطل وهو مقابل الحق على خلاف القياس اوجمع مفرد مقدر اى الدافع لماظهر من الباطل وشاع وفيه استعارة وتمثيل لما ظهر من الكفر والفساد بامر علا والقى عليه صخرة رضخته والصقه تراب المذلة وتفسير الجيشات بالاجناد لاينبغى وقيل الاباطيل جمع ابطولة اوابطيلة اوالبطالة ولم يسمع (كما حمل) بضم الحاء المهملة وكسر الميم المشددة مبنى للمجهول (فاضطلع) بضاد معجمة وطاء مهملة بمعنى قوى على حمله ونهض به لشدة تحمله عليه وقيامه باعبائه وهو افتعال من الضلاعة وهى القوة واصلها قوة الاضلاع والكاف للتشبيه وجوز ان يكون للتعليل وان تكون بمعنى على والاول اولى واظهر فهو متعلق بما قبله اوخبر مبتدأ مقدر اى هذه الحالة المذكورة ثابتة له كما ثبت له بحمله اثقال الرسالة واعباءها فقام بها اتم قيام اوصلى وسلم عليه لقيامه بذلك اوفعل به هذا جزاء له على ذلك (بامرك) اى قام بها بسبب امرك امتثالا له لا لغرض آخر او المراد بامره تيسيره واعانته (بطاعتك) بدل مما قبله اومتعلق به لامره بطاعتك فامتثله واوى وفى نسخة لطاعتك باللام ما كلفته به (مستوفزا) حال من الضمير فى حمل او اضطلع والاستيفاز الوثوب والانتصاب من قعود والمراد به التقيد وعدم الاهمال اى متبرعا مستعجلا فى الاتيان بما امرته به جادا غير متوان ومنه قولهم الفتنة على اوفاز اى على

عجلة جمع وقر ومن العجيب ما قيل انه اسم مكان بزنة المفعول يشير به الى المستوى الذى سمع فيه صريف وتأخر عنه جبريل وفيه خبط لايخفى على عادته (فى مرضاتك) مصدر ميمى بمعنى الرضى وفى ظرفية ويجوز كونها بمعنى لام التعليل كما فى حديث دخلت النار فى هرة فى بعض النسخ (بغير نكل فى قدم ولا وهن فى عزم) اى لا جبن يطرو عليه فى اقدامه ولا ضعف فى عزيمته (واعيا) اى حافظا ضابطا (لوحيك) الذى اوحيته اليه لم يشغله عنه ما حمله من الاعباء وما لقيه من المشاق فى تبليغه الرسالة ومنه اذن واعية واصل الوعى جعل الشئ فى وعاء قال* والشر خبث ما اوعيت من زاد* وحفظه شامل للعمل به (حافظا لعهدك) اى متمسك ومداوم على ما عهدته عليه من الايمان بك والاخلاص فى طاعتك اوسال امرك ونهيك كما قال وانا على عهدك ووعدك ما استطعت (ماضيا) اى مجتهدا مستمرا على امضاء ما عهدته وانزلته مداوما (على نفاذ امرك) بذال معجمة من انفذ كذا اذا امضاه وبلغ اقصاه (حتى اورى قبسا) اى من اقدح الزناد لخروج النار شررا توقد منه والقبس ما يتناول من الشعلة قال الله تعالى* اوآتيكم بشهاب قبس والاقتباس طلبه ثم استعير ذلك لاظهار الحق وما يهتدى به الناس وفى المثل ما كل قادح زنده يورى اى لم يزل مجتهدا قائما على الحق حتى اظهره ابلج منيرا فاهتدى بنوره من كان فى ظلمات الجهالة (لقابس) اى لقائل وطالب نور الحق والهداية التى هى من (آلاء الله) بالمد جمع الى وفيه لغات ومعناها النعم الالهية والسعادة فى الدارين بواسطته (تصل باهله اسبابه) الجملة صفة قبس اى ذلك القبس سبب موصل لمن طلبه من اهله اللذين اهلهم الله تعالى له ووفقهم لقبوله ونور بصائرهم بانواره والسبب معناه الحبل ثم صار بمعنى كل واسطة موصلة (به) اى بذلك القبس الذى اوراه فرأه من رأه وقيل الضمير له صلى الله عليه وسلم (هديت القلوب) الضالة عن طريق الحق فى ظلمة الجهل (بعد خوضات الفتن والاثم) جمع خوضة بمعجمتين وهى المرة من الخوض وهو الدخول فى الماء ويستعار للشروع والدخول فى كل امر يذم والاثم الذنب والفتن جمع فتنة وهى ما يفتتن به المرء ويطلق على الكفر وبه فسر قوله تعالى والفتنة اشد من القتل وهو المراد هنا بعد كفرهم وارتكابهم الاثام (وانهج موضحات الاعلام) وقع فى النسخ هنا اختلاف فسقط من اكثرها لفظ انهج فموضحات بفتح الضاد اسم مفعول هديت بنزع الخافض اى الى موضحات الاعلام وهو حال من القلوب والاعلام جمع علم بمعنى علامة وقيل انه جمع علامة ولا وجه له ويجوز رفعه على انه خبر مبتدأ مقدر وهو ضمير القلوب اى ظاهر ادلة هدايتها وجوز فيه كسر الضاد جمع موضحة اسم فاعل من الايضاح وهو الكشف والبيان اى صارت القلوب بما رزقنا من الهداية مبصورات الاعلام او قاصرة لها

فالعلم بمعنى اللواء استعارة لما ذكر من اثبت انهج ماض بالنون من النهج بمعنى اوضح وبين وسهل كما ذكره ابن القوطية كما فى بعض الشروح وفى بعضها ابهج بالباء الموحدة من البهجة اى انار واشرق وهذا ساقط من خط المصنف كما قاله التلمسانى (ونائرات الاحكام) جمع نائرة اسم فاعل من النور والضياء من نار لازم بمعنى ظهر واتضح والاحكام احكام الشريعة من الحلال والحرام وغيره وفى القاموس نار نورا اوانار واستنار ونور وتنور انتهى (ومنيرات الاسلام) من اناره المتعدى والاسلام بمعنى الدين او بمعنى الاستسلام والانقياد لامر الله تعالى (فان قلت على النسخة المشهورة الساقط منها لفظ انهج فالمعنى ظاهر لان ماله الى انه هديت به القلوب للادلة الدالة على ما هداهم الله له من احكام الشريعة الظاهر ولم يظهر الاسلام ويؤيده من نصرة الاسلام واليد واللسان مالها اظهار الظاهرة والمظهر قلت على هذه الرواية انه ظاهر فى نفسه لمن له بصيرة ونفس قدسية واظهاره بالنسبة لغيرهم واظهاره اشاعته وانتشاره الى ان يصل الى اقصى الارض فتدبر له الجبابرة والملوك (فهو) صلى الله تعالى عليه وسلم (امينك) على وحيك واسرار ملكك وملكوتك التى اطلعته عليها (المأمون) الذى ارتضيته لحفظ اسرارك اوخلقته حفيظا عليما كما اشار اليه بقوله (وخازن علمك المخزون) فى خزائن ملكوتك وكنوز عرشك حتى انزلته له وائتمنته عليه دون غيره وامرته بايصالها لمن تليق له الاطلاع عليه (وشهيدك) فعيل بمعنى فاعل صيغ للمبالغة وارتضاه للشهادة على الانبياء واممهم اى تصديقهم على تبليغهم لهم كما قال الله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا كما تقدم (يوم الدين) اى القيامة والجزاء بما يعلمه الله (وبعيثك) فعيل بمعنى مفعول اى مبعوثك ورسولك الذى بعثته وارسلته لتبليغ اوامرك ونواهيك (نعمة) مفعول لاجله اى بعثته ليكون نعمة ورحمة للعالمين (ورسولك) اى ارسلته للناس كافة خاتما للنبوة والرسالة (بالحق) متعلق برسول اى ارسلته بالدين الحق الثابت فى نفس الامر (رحمة) عامة لجميع خلقك وهو منصوب مفعول له ايضا فهو رحمة فى الدنيا والآخرة لمن آمن وفى الدنيا لمن آمن وكفر بحقن دمه وصيانة ماله وقد يحصل لبعضهم رحمة فى الآخرة بتخفيف عذابه ايضا وقد يفرق بين النعمة والرحمة هنا بان يقال النعمة ما حصل به من الخير والبركة ليمنه والرحمة هدايتهم بسببه التى كانت سببا لخلوصهم من الكفر والضلال الا يكون تكرارا (وافسح له فى عدنك) الفسحة التوسعة وعدن بسكون الدال اسم للجنة ومعناها دار للاقامة والخلود من عدن بمعنى اقام وهو اسم للجنة مطلقا ولها اسماء اخر ويكون اسما لجنة مخصوصة ايضا عرفها لهم والمراد بالدعاء له بالفسحة طلب بهجة مقامه وزيادة حسنه وشرف منظره لان سعة المنزل امر مستحسن ولذا قالوا حسن المنازل ما سافر فيه

النظر والافسعة الجنة معلومة فهل روى عدلك باللام اى معد لنك وجزائك له بمايليق به (واجزه مضاعفات الخير من فضلك) المعنى اعطه من انعامك وفضلك مايضاعفه له من الخيرات الاخروية ممالاعين رأت ولا اذن سمعت وهو ظاهر الا انه اختلف فى ضبطه بعد الاتفاق على انه بهمزة وجيم وزاى معجمة فقيل انه بهمزة وصل وجيم ساكنة من الجزاء فانه ثلاثى وقيل انه بهمزة قطع مفتوحة وجيم مكسورة وزاى ساكنة من الجائزة وهى العطية وقال السخاوى فى القول البديع فى الصلاة على الحبيب الشفيع انه بفتح الهمزة وجيم ساكنة وزاى مكسورة من الجزاء كما ضبط فى نسخ من الشفاء والصواب كما وجد فى بعض الاصول المعتد بها وصل الهمزة كان فعله ثلاثى كما قال الله تعالى وجزاهم بما صبروا انتهى اقول ان صحت الرواية بما ذكره اولا فتوجيهه انه من الاجزاء بمعنى الكفاية ابدلت همزته الاخيرة ثم عومل معاملة المعتل كادم والمعنى اكفه عمن سواك لما كلفته به من القيام باعتبار سئلتك والضعف الميل فازاد وليس بمحصور كما حققه اهل اللغة وقولك من فضلك اشارة الى ان الثواب بفضل من الله تعالى لانه لايجب عليه شئ خلافا للمعتزلة كما بينه المتكلمون (مهنئات) صلى الله عليه وسلم جمع مهناة بتشديد النون والهمزة اسم مفعول من الهنئ وهو السائغ وكل ما اتى من غير تضييق وتعب وهو حال من مضاعفات (غير مكدرات) اى منقصات وهو حال او صفة لمهنآت مؤكدة (من فوز) بفاء وزاى معجمة عند الاكثر وهو الظفر بنية البغية وقيل انه براء مهملة بمعنى سريع عاجل كما قيل اهنئ البر عاجله مستعار من فارت القدر اذا غلت (ثوابك) الثواب العطاء فى مقابلة عمل (المحلول) بحاء مهملة اسم مفعول من حل المكان وبه وفيه اذا نزل اى الكائن فى الجنة اوالذى اوصلته له فصار صفة حاله فيه وقيل معناه المستوجب بفتح الجيم اى الذى استوجبه واستحقه من حل اذا وجب وهو بعيد متكلف (وجزيل) اى كثير عظيم (عطائك) اى احسانك وانعامك (المعلول) اى المضاعف من العلل وهو الشرب مرة بعد اخرى ويقابله النهل وهو الشرب مرة قال كعب * كانه منهل بالراح منهول فشبه عطاه بمنهل * عذب يرده العطاش كما تريد مرارا فهو استعارة والمراد انه كثير لاينقطع (اللهم اعل) بقطع الهمزة اى اجعله عاليا رفيعا (على بناء الناس) بموحدة ونون وروى بدل الناس البانين جمع بان (بناه) بموحدة ونون اى اجعل مقامه فى الجنة فوق كل مقام او اجعل مقداره ارفع من كل مقدار اوذاته اشرف من جميع الذوات لان الذات بناء الله كما ورد فى الحديث وصحح فى بعض النسخ ثناء الناس وثناه بمثلثة اى اجعل مدحه والثناء عليه فوق ماينثى به الناس عليه فانهم لايقدرون على ادائه حق الاداء (واكرم مثواه لديك) اى اجعل مقامه عندك كريما اى حسنا مرضيا

من مثوى بالمكان اذا اقام به (ونزله) بضم النون وسكون الزاى المعجمة ويجوز ضمها والقدير المعد للضيف اذا نزل والمراد به ثوابه واجره وحسن استعارته هنا ذكره بعد المثوى وهو المنزل فانه كرم على كرم (واتمم له نوره) اى اجعل النور الذى اودعته فيه تاما كاملا فيكون فى سائر جهاته وحواسه وقلبه كما ورد فى دعائه اللهم اجعل فى قلبى نورا وفى سمعى نورا وفى بصرى نورا وفى سائر جهاتى نورا (واجزه) فيه ما تقدم من الضبط قريبا (من ابتعاثك) افتعال من البعث بموحدة ومثلثة اى بعثك له بالنبوة والرسالة فقوله (له) متعلق به وليست اللام تعليلية متعلقة باجزه كما قيل اى كافية على ما قام به من امور الرسالة (مقبول الشهادة) اى شهادته فى المحشر للانبياء وعلى الامم (مرضى المقالة) اى ما يقوله ثمة من الشهادة والشفاعة فلا يسخط ولا يرد له قوله (ذا منطق عدل) مصدر ميمى بمعنى النطق وعدل بمعنى معتدل مستقيم وهو حال ايضا والمراد به ما يقوله بعد الشفاعة من حمده بمحامد لاتضاهى (وخطة فصل) بتقدير مضاف اى وذاخطة وهى بضم الخاء المعجمة وتشديد الطاء المهملة وهى الامر والشان والفصل الجزل الفاصل بين الحق والباطل يوم القيامة (وبرهان عظيم) اى دليل نبوته ورسالته القوى القاطع من معجزاته الباهرة وقد ذكر هذا صاحب القاموس فى كتابه المسمى بالصلاة والبشر فى الصلاة على خير البشر مع ما فيه من الزيادات واختلاف الروايات وحسبك من القلادة ما احاط بالجيد وزاد ابو بكر فى رواية فيها مجهول اللهم اجعلنا سامعين مطيعين واولياء مخلصين ورفقاء مصاحبين اللهم ابلغه منا السلام واردد علينا منه السلام (وعنه) اى عن على لكن قال الحافظ السخاوى انه لم يقف على اصله (ايضا فى كيفية) (الصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) انه صلى عليه وسلم فقال (ان الله وملائكته يصلون على النبى الآية) اى وتلا الآية لامره بذلك الى آخره لتقع صلاته بعدها امتثالا لامر الله فى قوله عقبها (لبيك اللهم ربى وسعديك) اى اجابة بعد اجابة واسعادا بعد اسعاد فى طاعتك وامتثال اوامرك والتثنية فيه لمجرد التكرار وعاملهما محذوف وجوبا كما فصل فى كتب النحو (صلوات الله البر الرحيم) اى المنعم المتفضل بانواع البر والرحمة ومعنى البر العطوف اللطيف بعباده وهو من اسمائه تعالى ولم يسمع بارلان البر ابلغ منه وصلوات (الملائكة المقربين) كجبريل واسرافيل وخصهم لشرفهم (والنبيين والصديقين) المبالغين فى الصدق والاخلاص من اشراف المؤمنين الصالحين (والشهداء والصالحين) لكل خير القائمين من تقصير بحقوق الله وحقوق عباده والشهداء جمع شهيد فعيل بمعنى فاعل او مفعول وهو من قتل مجاهدا فى سبيل الله لاعلاء كلمته ومن الحق بهم كالمبطون والغريق ونحوهما سمى به لان الله وملائكته يشهدون له بالجنة اولانه حى فكانه شاهد حاضرا ولان ملائكة الرحمة تشهده او لقيامه بشهادة الحق

اولئك هود مما اعداه من الكرامة حتى قتل (ماسبح لك من شئ) ما مصدرية ومن زائدة
وهو للتأييد اى صلوات هؤلاء دائمة مستمرة من تسبيح الاشياء لك وان من شئ
الا يسبح بحمده وهذا على ما وقع بدون واو فى قوله تعالى ماسبح الى آخره وفى نسخة
وماسبح فما موصولة معطوفة على الاسم ومن بيانية اى وصلوات الله وصلوات
كل شئ سبحك (يارب العالمين) اى جميع المخلوقات فهو شامل للعقلاء وغيرهم تغليبا
كما حقق فى كتب التفسير (على محمد بن عبد الله) متعلق بمقدر خبر لصلوات الله
(خاتم النبيين) اى آخرهم بعثة (وسيد المرسلين) اى افضلهم واشرفهم واضاف
خاتم للنبيين متابعة لما فى القرآن وسيد المرسلين تفننا واطلاق السيد عليه ثابت
بالاحاديث كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم انا سيد ولد آدم ولا فخر واما قوله لا تسمونى
سيدا فأول بلا تصفونى بسيادة كسيادتكم او هو تواضع منه وورد اطلاقه على الله ايضا
بمعنى المالك كما فصلناه فى غير هذا المحل (وامام المتقين) الذين يقتدون به فى العلم والعمل
(ورسول رب العالمين) الى الخلق اجمعين (الشاهد) على الانبياء وانهم بلغوا اممهم
وعلى اممهم بما بلغهم يوم القيمة كما قال تعالى *وجئنا بك على هؤلاء شهيدا* كما تقدم
تحقيقه (البشير) للمؤمنين بسعادة الدارين (الداعى اليك) اى الذى دعى الخلق
الى طاعة الله تعالى وتوحيده (باذنك) اى بامرك له بدعوتهم او بتيسيرك وتسهيلك
(السراج المنير) شبهه بذلك لازالته ظلمة الكفر وتنويره لقلوب المؤمنين بنور هدايته
وتوضيحه لطرق الحق والحقيقة ولان ذاته صلى الله عليه وسلم نور ولذا ورد انه لم يكن
له ظل (وعليه السلام) اى السلامة من كل وصمة ونقص (وعن ابن مسعود) كما
رواه ابن ماجة والبيهقى فى كيفية اخرى للصلاة عليه (اللهم اجعل صلواتك وبركاتك
ورحمتك) المراد بجعلها انزالها ولذا عداه بعلى فقال (على سيد المرسلين وامام
المتقين وخاتم النبيين محمد) بالجر بدل مما قبله (عبدك ورسولك) قدم وصفه بالعبودية
لشرفها بالاختصاص وتقدمها كما مر (امام الخير) اى امام الاخيار او المقتدى به
فى كل خير (ورسول الرحمة) اى الذى ارسل رحمة للعالمين وقد ورد فى حديث مسلم
انا نبى الرحمة (اللهم ابعثه مقاما محمودا) يحمده فيه جميع الانبياء وسائر الخلق وهو
مقام الشفاعة العظمى وقد ورد تفسيره بهذا ومقاما منصوب على الظرفية بابعثه
بمعنى اقمه وفسر بعضهم البعث بالاحياء والتنكير للتعظيم (يغبطه فيه الاولون
والآخرون) اى يتمنون نيل مثله من غير زوال له وهذا هو الفرق بين الغبطة والحسد
ولذا قيل ان الغبطة حسد غير مذموم وقد يراد بالغبطة لازمها وهى المحبة والسرور
لمن رواه فقط وهو اللائق بمقام الرسل والكمل فان من تمنى مقام غيره الذى خصه
الله تعالى به كانه يقول هلا ساويته فى مقامه وفيه اعتراض خفى ولذا لما قيل له صلى الله
تعالى عليه وسلم هل يضر الغبط قال لا لا كما يضر العضاة الخبط فاشار الى انه فيه

ضررا ليس كضرر تمنى الزوال فان الخبط بقطع الورق دون الاغصان والساق فاعرفه
فانه دقيق (اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد) تقدم
بيانه (وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد
وكان الحسن البصرى يقول من اراد ان يشرب بالكأس الاوفى) اراد به انا فيه ما يروبه
ويزيد من الوفاء وهو الكثرة وفى القاموس وفى واوفى تم وكثر فهو وفى وواف وهو
المراد وورده الزبيدى فى لحن العوام بانهم يقولون درهم واف اذا كان يزيد فى وزنه وقال
ابو بكر الوافى الذى لا زيادة فيه ولا نقص وهو الذى وفى بزنته انتهى (من حوض
المصطفى) الذى يسقى منه العطاش يوم القيمة وهل هو الكوثر او غيره فليقل (اللهم صل
على محمد وعلى آله واصحابه واولاده وازواجه وذريته) بضم المعجمة وقد تكسر كما مر يشمل
الانسان من ذكر وانثى وقد يخص بالنساء والاطفال ومنه ذرارى المشركين من الذرء
وهو الخلق ولكثرتها اسقط الهمزة وقيل من ذرأ فرق او من الذر لانهم خلقوا
اولا مثل الذر وهو النمل الصغير وعليهما فلا اصل له فى الهمز ويدخل فيهم
اولاد البنات اتفاقا على ما قاله ابن الحاجب لكن رد بان مذهب ابى حنيفة انهم
لا يدخلون وهو رواية عن احمد نعم اجمعوا على دخول اولاد فاطمة فى ذريته
صلى الله تعالى عليه وسلم خصوصية لهم لشرف هذا الاصل العظيم والمجد
الكريم وبين الازواج والآل عموم وخصوص مطلق (واهل بيته واصهاره وانصاره
واشياعه) اى اتباعه جمع شيعة وشيعة الرجل اتباعه والفرقة على حدة ويقع على الواحد
المذكر وغيره وغلب بعد ذلك على طائفة ادعت تفضيل على على غيره كما سيأتى بيانهم فى
محله (ومحبيه) المراد بهم من بلغت محبته منه محلا لا يصل اليه غيره بحيث يكون احب اليه
من نفسه واهله وماله (وامته) من عطف العام على الخاص ليشمل جميع الامة (وعلينا)
يعنى المتكلم ومن يختص به (معهم اجمعين يا ارحم الراحمين) ولتعميمه فى هذا الدعاء
وتفضيله تفضيلا تاما كان جزاء من صلى به ودعا له بهذا الدعاء من جنس عمله بان يكون
مشربه اوفى (وعن طاوس) هو الامام ابى عبد الرحمن بن كيسان كما تقدم (عن ابن عباس
انه كان يقول) اذا صلى عليه صلى الله عليه وسلم (اللهم تقبل شفاعة محمد الكبرى)
يوم القيامة اذا قيل له صلى الله عليه وسلم اشفع تشفع وقال الكبرى لان شفاعاته بلغها
النووى خمسا وقد تقدم ذكرها والمراد بها شفاعته لفصل القضاء لا لاخراج عصاة
المؤمنين من النار كما قيل فان قلت شفاعته مقبولة فما فائدة الدعاء له بهذا قلت هذا امرنا به
تعبدا لنيل الثواب وان كان امرا محققا كما فى قوله (وارفع درجته العليا) ومرتبته فى
جنات النعيم والمراد بهذا كله تعظيمه (وآته) اى اعطه وانعم عليه (سؤله) فعل
بمعنى مفعول كخبز بمعنى مخبوز اى مسؤله ومطلوبه وما يحبه ويتبعه (فى الآخرة والاولى)
اى الدنيا سميت اولى لتقدمها على الآخرة ومطلوبه فى الآخرة درجات قربه

ونجاة امته وفى الدعاء اعلاء كلمة الله ونصره ونصر امته وسعة ملكهم وان لا يسلط عليهم اعداءهم ولا يستأصلهم ولا يهلكهم بسببه عادة ونحوه مما ورد فى الحديث (كما اتيت ابراهيم وموسى) فان قلت الفصل معقود لبيان كيفية الصلاة وليس فى هنا ذكرها قلت المراد بالصلوة الدعاء له وهو دعاء فيه تعظيم وثناء عليه بما يليق به (وعن ابن وهيب) بالتصغير (ابن الورد) ويقال ابن ابى الورد المخزومى المكى الزاهد الثقة مولاهم واسمه عبد الوهاب ووهيب لقبه وكنيته ابو عثمان روى عن عطاء مرسلا وغيره وروى عنه كثير واخرج له مسلم واصحاب السنن وله احاديث ومواعظ توفى سنة ثلاث وخمسين ومائة وفى بعض النسخ وهب مكبرا والمعروف الاول (انه كان يقول فى دعائه) له صلى الله تعالى عليه وسلم (اللهم اعط محمدا افضل ما سألك لنفسه) اى اجب دعاءه بما احبه لنفسه (واعط محمد افضل ما سألك له) اى لاجله (احد من خلقك) واستجب دعاءهم له (واعط محمدا ما انت مسؤل له الى يوم القيامة) تعميم بعد تعميم (وعن بن مسعود) رواه عنه ابن ماجة والبيهقى والديلمى والدارقطنى وتمام فى فوائده انه كان (يقول اذا صليتم على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاحسنوا الصلاة عليه) اى اقصدوا احسنها وقوله (فانكم لا تدرون) انها تبلغه ام لا (لعل ذلك) الدعاء والصلاة (تعرض عليه) وتبلغه صلاتكم عليه فينبغى ان يتحرى الاحسن حتى يسره ما يبلغه منه وسئل ابن حجر عن الافضل والاحسن فى الدعاء عليه ان يقول صل على محمد او على سيدنا محمد يصفه بالسيادة فاجاب بان اتباع الآثار الواردة ارجح لا يقال لعله تركه تواضعا منه كما لم يكن يقول عند ذكر اسمه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو مندوب لغيره لانا نقول لو كان كذلك جاءت عن الصحابة والتابعين ولم يرو عنهم الا فى حديث ضعيف فى الشفاء عن ابن مسعود وذكر الشافعية انه لو حلف احد ان يصلى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم افضل صلاة فبره بان يقول اللهم صل على محمد كلما ذكره الذاكرون وسهى عن ذكره الغافلون وقال النووى الافضل ما فى التشهد (والحاصل انه لم يرو ذكر سيدنا عن احد من الصحابة ولو كان مندوبا ما خفى عليهم والخير كله فى الاتباع انتهى وهذا يقرب من مسئلة اصولية وهى ان سلوك الادب احسن او الاتباع والامتثال ورجح الثانى وقيل انه هو الادب قيل ولعل هنا للجزم فانه ورد انها تعرض عليه وسيأتى وقوله (وقولوا اللهم اجعل صلواتك ورحمتك) الى قوله (انك حميد مجيد) تقدم بيانه بما يغنى عن اعادته الا انه قيل انه بيان للحسن الذى ذكره ابن مسعود وارشاد لما امر به من الاحسان فى الصلاة عليه وانه الاحسن وقيل انه يحتمله ويحتمل ان يكون تمثيلا للحسن منه وان كان فوقه ما هو احسن منه وانه هو الظاهر وفيه نظر (وما يؤثر) بالبناء للمجهول اى ينقل عنه صلى الله تعالى عليه وسلم

وعن الصحابة والتابعين وما اسم موصول مبتدأ خبره كثير الآتى (من تطويل الصلاة وتكثير الثناء على اهل البيت وغيرهم) من الصحابة وتفضيلهم كما مر (كثير) فى الآثار المروية عن السلف حتى افرد بتأليف من احسنها القول البديع للسخاوى المتقدم ذكره (وقوله) فى الحديث المتقدم فى التشهد (والسلام كما علمتم) يعنى فى تشهد الصلاة فى قوله السلام عليك ايها النبى الخ وهو اشارة الى تفسير ما سبق فى رواية مالك عن ابن مسعود لما سألوه كيف نصلى عليك من اوله الى هنا وهو اشارة الى ما علمهم من التشهد وتقدم ان قوله علمتم بالبناء للمجهول وبتشديد اللام او بالبناء للفاعل وتخفيف اللام والمعنى ظاهر وهما متلازمان لانهم اذا علموا علموا لكن ما بعده يقتضى الاول اعنى قوله (هو ما علمتم فى التشهد من قوله) صلى الله تعالى عليه وسلم (السلام عليك ايها النبى ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين) تقدم تفسيره (وفى تشهد على) التشهد روى عن الصحابة من طرق كثيرة اسندوها وهذا لم نرمن رواه عن على (السلام على نبى الله السلام على انبياء الله) قدمه لبيان شرفه وتفضيله عليهم (ورسوله السلام على رسول الله) قيل اخر وصفه بالرسالة اشارة الى تأخر رسالته بحسب الزمان لانه مسك الختام (السلام على محمد بن عبد الله) كرر السلام عليه باسمه ونسبه تأكيد (السلام علينا وعلى المؤمنين والمؤمنات من غاب منهم ومن شهد) اى حضر (اللهم اغفر لمحمد) سيأتى بيان الدعاء له بالمغفرة (وتقبل شفاعته واغفر لاهل بيته واغفر لى ولوالدى) بالتشديد مضاف لياء المتكلم (وما ولد) زاده ليشمل اقرباءه المسلمين وحواشى نسبه الا ان فيه اشكالا لان عليا هو الذى قاله فكيف يدعو لوالديه وامه فاطمة بنت اسد بن هاشم بن عبد مناف وهى اول هاشمية ولدت هاشميا اسلمت وتوفت بالمدينة وكفنها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى قميصه واضطجع فى قبرها وقال جزاك الله من ام خيرا لانها ربته واحسنت صنيعها معه كما ذكره الطبرى فى الرياض النضرة وانما اضطجع فى قبرها ليخفف عنها ضغطة القبر كما صرح به فى الحديث وابو طالب توفى كافرا وادعاء بعض الشيعة انه اسلم لا اصل له وقد نهى عن الاستغفار للمشركين كما فى الآية الكريمة انتهى واجيب عنه باجوبة فقيل انه تغليب لامه ولا وجه له وقيل المراد بابويه آدم وحوى ولا يخفى بعده وقيل المراد تعظيم من يدعو من المؤمنين ان يقوله وهو اقربها وما قيل انه سهو من الناسخ زاد فيه الفا وانما هو ولدى يعنى الحسن والحسين واولادهما ليس بشئ وكذا ان كان من كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم او هو بناء على اسلام ابويه على ما ارتضاه السهيلى وسيأتى بيانه (وارحمهما) فيه ما تقدم (السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليك ايها النبى ورحمة الله وبركاته) تقدم بيانها (جاء فى هذا الحديث الدعاء للنبى بالغفران) وهى المغفرة وهى كما قال الراغب الناس الشئ ما يصونه فهى من الله صون عبده من العذاب فالدعاء بها له صلى الله تعالى

عليه وسلم من امته لا ينبغى لايهامه القصور كالدعاء له بالرحمة واما قول الله له ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ودعاؤه لنفسه بالمغفرة فلا يقاس عليه (وفى حديث الصلاة عليه) صلى الله عليه وسلم (عنه ايضا) اى عن على مثله (قبل) بالبناء على الضم اى تقدم قبل هذا من طريق الحاكم (الدعاء له) صلى الله تعالى عليه وسلم (بالرحمة وانما يدعى بالصلاة والبركة) اقتصارا على ما ورد فى حقه وان كان معناها الرحمة لكنها رحمة خاصة مشعرة بنوع تعظيم (ولم يأت فى غيره) اى فى غير هذا الحديث (من الاحاديث المرفوعة المعروفة) المنسوبة اليه صلى الله عليه وسلم وهو بيان لغيره (وقد ذهب ابو عمرو بن عبد البر) الامام الجليل القدر كما تقدم (وغيره) من علماء المالكية والحديث (الى انه يدعى للنبى بالرحمة) فهو مكروه عندهم لايهامه التقصير (وانما يدعى له بالصلاة) اى بهذا اللفظ المأمور به فى القرآن (والبركة التى تختص به) يعنى التى بمعنى الدوام والثبوت على التشريف والتكريم بكثرة الخيرات الالهية وفيض المواهب اللدنية (ويدعى لغيره) من المؤمنين (بالرحمة والمغفرة) لانه غير معصوم ولا يخاف من تقصير فهو محتاج لمغفرة الله ورحمته اشد لا كالرسول المعصوم الذى غفر الله له ما تقدم وما تأخر والمراد غيره من امته لا الانبياء فان من الادب ان لا يدعى لهم بذلك ايضا وكذلك الصحابة ينبغى ان يقال رضى الله تعالى عنهم ولا يرد على هذا ان الصلاة معناها الرحمة فانه لا يلزم من كون لفظ بمعنى لفظ انه يستعمل فى محله انه غير مسلم فان الصلاة فيها معنى التعظيم ولو كانت مطلق الرحمة لزم استعمالها فى حق غيره وليس كذلك (وقد ذكر شيخ ابو محمد بن ابى زيد) الامام فى مذهب مالك صاحب الرسالة المشهورة كما تقدم (فى الصلاة على النبى) صلى الله عليه وسلم فى تشهد الصلاة (اللهم ارحم محمدا وآل محمد كما رحمت على ابراهيم وآل ابراهيم) ورده المصنف بقوله (ولم يأت هذا فى حديث صحيح وحجته) فى جواز الدعاء له بالرحمة الذى منعه غيره (قوله) صلى الله تعالى عليه وسلم فيما روى عنه (فى السلام) المروى فى التشهد (السلام عليك ايها النبى ورحمة الله وبركاته) واطلاق الرحمة عليه هنا يدل على جواز الدعاء له بالرحمة اذ لا فرق بينهما وقال الرافعى فى الشرح الكبير من الناس من زاد وارحم محمدا كما رحمت على ابراهيم وربما يقولون وترحمت على ابراهيم بالتاء ولم يرد فى خبر صحيح وانه لا يقال ترحمت عليه وانما يقال رحمته وفى الترحم تكلف لا يحسن اطلاقه على الله وقال الاسنوى فيه اقوال وقد اسقطها النووى من الروضة وقول الرافعى انه لا يقال رحمت عليه غير مستقيم فان الصغانى قال يقال ترحمت عليه وقال الغزالى لا يجوز ترحم بالتاء وهو مراد الرافعى بقوله انه لا يحسن وقال النووى انه بدعة وتابع ابن العربى فى انكاره وتخطئة ابن ابى زيد وفى الاذكار ما قاله بعض اصحابنا وابن ابى زيد من استحباب زيادة وارحم محمدا وآل محمد بدعة لا اصل لها وقد جهل ابن العربى

فى شرح الترمذى قائله لانه ليس فى التشهد الذى علمه رسول الله الصحابة فالزيادة استدراك عليه وقال بعضهم انكاره غلط لان الحاكم رواه فى مستدركه باسانيد صحيحة عن ابن مسعود ولذا رواه الذهبى وقد قاله الشافعى فى رسالته وهو رد لما قاله مقلدوه كما قاله البرهان الحلبى فى حواشيه (اقول محصل ما قالوه باسرهم انهم اختلفوا فى جواز الدعاء له بالرحمة والمغفرة وفى وروده فى الحديث والذى صححه اكثر الفقهاء والحفاظ ثبوته وجوازه ومنشأ الخلاف ان الرحمة والمغفرة تقتضى قصورا وذنبا حماه الله تعالى منه واعطاه براءة منه اذ قال ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وسوى بينهما ايماء الى ان المتقدم كالمتأخر فى عدم الوقوع ولذا قيل المراد بذنبه ذنب امته فينبغى ان يقال بجوازه مقرونا بغيره غير منفرد تعبدا وطلبا للثواب والفوز له وليس ذنبا كذنوبنا بل امور تقتضيها الجبلة البشرية وتأباه العادة الملكية من الاشغال الدنيوية وان كانت مباحة اولازمة لمقامه ولذا قال انه ليغان على قلبى فاستغفر الله فى اليوم مائة مرة وسيأتى تحقيقه ان شاء الله تعالى

﴿فصل فى فضيلة الصلاة عليه﴾

صلى الله تعالى عليه وسلم اى ثوابها وفوائدها لمن قالها (والتسليم عليه) اى قوله السلام عليك ايها النبى ونحوه (والدعاء له) المأثور نحو اللهم آته الوسيلة والفضيلة والدرجة العالية الرفيعة والمراد تعظيمه واظهار محبته بطلب يقينه فليس من تحصيل الحاصل ولا الاحتياج له صلى الله تعالى عليه وسلم وقدم حديثا مسندا بروايته تبركا به رواه النسائى ومسلم عن ابن عمر (حدثنا احمد بن محمد الشيخ الصالح من كتابه) قالوا من روى عنه المصنف رحمه الله تعالى من مشايخه واسمه احمد بن محمد عده ناس منهم احمد بن محمد بن عبد الرحمن ابن عثمان بن عليون الخولانى واحمد بن محمد بن عبد العزيز اللخمى وهو ابن المرضى ابو جعفر واحمد بن محمد بن عبد الله المشار فى والمراد الاول لانه اشهر مشايخه وكان عليه ان يذكر ما يعينه فكانه اعتمد على شهرته (قال حدثنا القاضى يونس بن مغيث) تقدمت ترجمته (قال حدثنا ابو بكر بن معاوية) عن الاحمر الاندلسى وهو محمد بن معاوية بن عبد الرحمن ابن معاوية بن اسحق بن عبد الله هشام بن عبد الملك ابن مروان ابو بكر القرطبى الامام الثقة الجليل رحل الى المشرق سنة خمس وتسعين ومائتين وسمع من النسائى وغيره ودخل الهند تاجرا وتوفى فى سنة ثمان وخمسين وثلثمائة (قال حدثنا النسائى) امام الحديث صاحب السنن المشهور واسمه احمد بن شعيب كما تقدم بيانه (قال حدثنا سويد بن نصر) ابو الفضل المروزى المعروف بالشاه الامام الثقة روى عن ابن المبارك وغيره واخرج له اصحاب السنن وتوفى سنة اربعين ومائتين (انبأنا عبد الله عن حيوة بن شريح) هو ابو عبد الرحمن بن عبد الله بن المبارك بن واضح التميمى مولاهم المروزى شيخ خراسان وابوه تركى تاجر وامه خوارزمية ولد سنة ثمان وعشرون

ومائة وتوفى سنة احدى وثمانين ومائة وقبره بهيت بزار واخرج له الستة كما تقدم وحيوة ابن شريح تقدمت ترجمته (قال اخبرنى كعب بن علقمة) بن كعب بن عدى التنوخى المصرى التابعى الثقة توفى سنة ثلاثين ومائة واخرج له اصحاب السنن وفى بعض النسخ كعب عن علقمة وهوسهو وقد تقدم هذا الحديث (انه سمع عبد الرحمن بن جبير مولى نافع) الامام الجليل الثقة اخرج له اصحاب السنن وتوفى سنة سبع وتسعين انه سمع (عبد الله بن عمر) الصحابى المشهور (يقول) سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول (اذا سمعتم المؤذن) وهو يؤذن للصلاة (فقولوا مثل ما يقول) من تكبير وتشهد وصلاة وحيعلة تصديقا وهوسنة معروفة وقيل انه واجب وتقدم بسط الكلام فيه (وصلوا على) وفى مسلم ثم صلوا على النبى والمعنى واحد وقد علمت ان هذا احد المواطن التى يستحب فيها الصلاة عليه كما تقدم وان يقرن الصلاة بالسلام فانه الافضل فى الاقامة كما ذكره الخيضرى كما تقدم وارتكاب خلافه مكروه ولا يحتج له لتعليمهم كيفية الصلاة السابقة لان السلام سبقها فى اول التشهد فلا افراد فيه وقد جاء ذكر الصلاة مقرونة بالسلام فى مواطن منها ما يقال عند ركوب الدابة كما رواه الدارقطنى فى الدعاء مرفوعا وكذا غيره وانما حذف فى بعض المواضع اختصارا وكذا يستحب الصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى الاقامة كما ذكره الامام الخيضرى فيما تقدم (فانه من صلى على مرة صلى الله) عليه عشرا فان الحسنة بعشرة امثالها وكون الله عز وجل يصلى عليه فيه من الرحمة له واعلاء قدره ما لا يخفى وقال يقول بالمضارع اشارة الى انه يقول من غير تأخير لما بعد الاذان وظاهره انه يتابعه فى الحيعلتين ايضا وهو قول غير معتمد والمعتمد انه يقول عندهما لا حول ولا قوة الا بالله اى لا قدرة للعبد على طاعته التى دعى اليها الا بتوفيقه وكان ابن جبير يقول سمعنا واطعنا ويسن انه لا يرفع المجيب صوته فى الاجابة لان التشبيه ليس من كل الوجوه (ثم سلوا الله لى الوسيلة) بان يقول اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه المقام المحمود الذى وعدته فانه من قال ذلك حلت له شفاعتى يوم القيمة والوسيلة لغة ما يتقرب به الى كل كبير وفسرت فى الحديث بقوله (فانها منزلة فى الجنة) من اعلى منازلها وقد يرد هذا المعنى اللغوى فانها تقربه الى الله (لا ينبغى لاحد من عباد الله) اى لا تليق بكل احد فانها اعلى المنازل فلا تليق الا باقرب البشر وقد فسرت الوسيلة ايضا بالشفاعة العظمى كما مر وجمع بينهما فان صاحب تلك المنزلة هو صاحب الشفاعة العظمى ايضا (وارجو ان اكون انا هو) عبر بالرجاء وان كان الله تعالى اعطاه ذلك لوعد من لا يخلف الميعاد تواضعا منه وتفويضا لامره فيما يستقبل الى الله وتعليما لامته وارشادا لهم لان يكونوا بين الخوف والرجاء دائما لاسيما فى امور الآخرة وتقدم ان ذلك خلاف الظاهر

وانا تأكيد لاسم كان المستتر وهو خبرها وضع موضع اياه استعير ضمير الرفع لضمير النصب وقيل اسمها ضمير مستتر وانا هو مبتدأ وخبر والجملة خبرا كون وما قيل من ان هو وضع موضع اسم الاشارة اى اكون ذلك العبد كما فى قول روبة

* فيها خطوط من سواد وبلق * كانه فى الجلد توليع البهق *

لا وجه له فان مثله انما ذكروه فى وضع الضمير المفرد موضع غيره لا فى وضع المرفوع موضع غيره كما ذكره النحاة (فمن سأل لى الوسيلة له) صلى الله تعالى عليه وسلم (حلت عليه الشفاعة) اى استحقت ووجبت له بفضل الله تعالى عز وجل من حل بمعنى نزل وفى البخارى حلت له وهما بمعنى والشفاعة هنا مطلقة فان كان مذنبا خلصته شفاعته من العذاب والا شفع له باعلى درجته او بادخاله الجنة من غير حساب وفى شرح مسلم للمصنف ان هذا مختص بمن قال مخلصا قاصدا بذلك تعظيمه صلى الله تعالى عليه وسلم لا لمجرد الثواب وقال ابن حجر انه تحكم غير مرضى ولو اخرج الغافل كان اشبه وفيه الحث على الدعاء فى اوقات الصلوة لانه محل الاجابة كما قالوه (وروى انس بن مالك) كما فى شعب الايمان للبيهقى (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال من صلى على صلاة) واحدة فى وقت ما (صلى الله عليه عشر صلوات) اى رحمه الله رحمة مضاعفة معظمة لا تشابه غيرها لان اضافته الى الله اضافة تعظيم وتشريف وان كان كل من جاء بحسنة له عشر امثالها (وحط عنه عشر خطيئات) ان كان ارتكب خطيئة (ورفع له عشر درجات) باعلاء مقاماته فى جنة النعيم وعلو منزلته بقربه من الله (وفى رواية) اخرى رواها ابو يعلى (وكتب له عشر حسنات) فان الصلاة عليه حسنة وكل حسنة بعشر امثالها والزيادة هنا باسناد ذلك الى الله وانه فعل ذلك بنفسه ولم يوكله للملائكة الكتبة فيدل على انها اعظم من سائر الحسنات وصلاة الله كما علمت رحمته رحمة خاصة به فهى على حقيقتها من غير مشاكلة كما قيل (وعن انس) بن مالك انه روى (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم) فى حديث رواه ابن ابى شيبة فى مسنده قال (ان جبريل نادانى) اى قال لى ويحتمل انه رآه فى الافق فناداه بصوت عال قال فيه له من صلى الى آخره ويؤيد الاول قوله فى بعض النسخ فقال (من صلى عليك صلاة) باخلاص يقصد بها تعظيمك (صلى الله تعالى عليه عشرا ورفعه عشر درجات) فوق مقامه الذى يستحقه وصلاة الله على من صلى عليه ثابتة فى احاديث كثيرة مسندة صحيحة وفى بعض الروايات زيادة على العشر والاقل لا ينفى الاكثر (وفى رواية عبد الرحمن ابن عوف) التى رواها الحاكم والبيهقى وصححها (عنه) صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لقيت جبريل) فقال ابشرك اى اخبرك بما يسرك سرورا عظيما يظهر فى وجهك وبشرتك وهو اصل معناه (ان الله) اى بان الله (يقول من سلم عليك) اى

قال السلام عليك ايها النبي داعيالك بالسلامة من كل نقص وسوء وملقيا اليك عنان تسليمه (سلمت عليه) اى سلمته من كل سوء وحفته عنايتى وعبر بهذا مشاكلة (ومن صلى عليك صليت عليه) ليس فى هذه الرواية عدد ولاغيره فهو محمولة على ما مر والحديث صحيح روى من طرق وسببه ان عبد الرحمن بن عوف كان يلازم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويخدمه ليلا ونهارا فاتبعه ليلة وقد خرج من منزله فدخل حائطا وسجد سجودا طويلا حتى ظن انه قبض روحه فبكى فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مالك فاخبره بما خطر بباله فقال له جاءنى جبريل واخبرنى بان الله يقول لى من سلم عليك سلمت عليه ومن صلى عليك صليت عليه فسجدت شكرا له وهو حديث صحيح المتن والسند وقال الحاكم لااعلم فى سجدة الشكر اصح منه والاحاديث فى فضل الصلاة عليه كثيرة لاتحصى (ونحوه) اى مثل هذا الحديث لفظا ومعنى (من رواية ابى هريرة ومالك بن اوس بن الحدثان) بفتح الحاء والدال المهملتين ومثلثة والف ونون علم منقول من المصدر ومالك هذا هوازنى مخضرم ادرك الجاهلية والاسلام واخرج له الستة واختلف فيه هل هو صحابى رأى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وروى عنه احاديث مرفوعة اوتابعى روايته مرسلة والاصح عند الذهبي وغيره انه تابعى وتوفى فى سنة اثنين وتسعين وهو امام حديث روى هنا عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه انه صلى الله تعالى عليه وسلم خرج يتبرز ولم يجد من يتبعه ففزع عمر واتبعه بمطهره فوجده ساجدا فى شربة فتنحى عنه حتى رفع رأسه فقال له احسنت ياعمر لتنحيته عنه تأدبا ثم قال لى ان جبريل اتانى فقال من صلى عليك واحدة صلى الله عليه عشرا ورفعه عشر درجات اخرجه البخارى فى الادب وغيره (وعبيدالله بن ابى طلحة) الانصارى وعبيد الله بالتصغير وفى نسخة عبد الله مكبرا قال البرهان وهو الاصح بل الصواب وهو عبدالله بن ابى طلحة زيد بن سهل الانصارى اخو انس لامه ووالد اسحق واخويه وهو تابعى له رواية فى توفى زمن الوليد وحنكه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وسماه وحديثه رواه احمد والحاكم وابن حبان والنسائى قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم والبشر يرى فى وجهه فقال جاءنى جبريل فقال لى اما يرضيك يامحمد ان لايصلى عليك احد من امتك واحدة الاصليت عليه عشرا ولايسلم عليك احد من امتك الاسلمت عليه عشرا واخرجه ابن الجوزى فى الوفاء بزيادة ولايكون لصلاته منتهى دون العرش ولايمر بملك الاقال صلوا على قائلها كما صلى على النبي صلى الله عليه وسلم (وعن زيد بن الحباب) بضم الحاء المهملة وبموحدتين بينهما الف (قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول) الظاهر من السياق انه صحابى سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم كما فى سائر النسخ وهو كما قالوه وهو وهم

او بيض له اوسقط من الكاتب وان ابن الحباب ليس بصحابى ولاتابعى واين هو واين رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وان صحت روايته وقيل لم يكن به بأس اورحل فى طلب الحديث الى الاندلس مع فقره وله ترجمة فى الميزان وكان المصنف رحمه الله تعالى لما اراد كتابة الحديث سقط اول سنده ولذا قال يحيى بن على القرشى المحدث انه وهم ظاهر فانه ليس بتابعى ولا من اتباعه وانما روى عنه مالك وامثاله وليس له نظير فى اسمه واسم ابيه من الصحابة وهذا الحديث رواه ابن الحباب عن ابن لهيعة عن بكر بن سوادة عن زياد بن نعيم عن ابن شريح الخضرمى عن رويفع ابن ثابت الصحابى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم فهو معضل لامرسل كما قيل و ابن الحباب توفى فى سنة ثلاث وما ثين وقيل انما حذف سنده لضعف وهو اعتذار اعظم من الذنب فانه تدليس وليس بمعضل ايضا لان المعضل اذا قيل سمعت يكون كذبا فالصواب انه وهم وجواب الشمنى عنه بان المصنف رحمه الله تعالى اسقط ماعدا زيد لانه لاغرض له فى ذكر رواية لاوجه له وانما يصح لولم يقل سمعت وزيد هذا هو ابو الحسين الحافظ الخراسانى والذى يخطر بالبال ان قوله سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليس من قول زيد وانما هو قول ابى هريرة وهو المقصود بالرواية وما بعده متابعة له وبيان لكثرة طرقه وهذا غاية مايمكن فى توجيهه لحسن الظن به وليس ببعيد (من قال) فى صلاته على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم صل على محمد (وانزله فى المنزل المقرب) بصيغة المفعول ويجوز كسر رائه (يوم القيامة) هو على ظاهره او المراد فى الآخرة والقرب منه رفعة معنوية بعظيم الثواب وفيض المواهب الربانية لاقرب مكانى لان الله تعالى منزه عنه (وجبت له شفاعتى) اى تعينت وتحققت بلاتردد لان الله تعالى لايجب عليه شئ عندنا (وروى ابن مسعود) فى حديث صحيح رواه الترمذى وابن حبان (اولى الناس بى يوم القيامة) اى احقهم بشفاعتى وعنايتى او اقربهم منى منزلة (اكثرهم صلاة على) فان ذلك يدل على محبته والمرء مع من احب (وعن ابى هريرة عنه) صلى الله تعالى عليه وسلم (من صلى على فى كتاب) كتبه من تأليف ورسالة وغيره (لم تزل الملائكة تستغفر له) اى تدعوله بالمغفرة (مابقى اسمى) اى مدة بقائه مكتوبا (فى ذلك الكتاب) والمراد التأبيد كقوله تعالى مادامت السموات والارض قال الطبرانى فى الاوسط رواه ابو الشيخ فى الثواب والمستغفرى قال الحافظ القرافى فى تخريج احاديث الاحاديث رووه بسند فيه ضعف ومثله يعمل به فى الفضائل وقال خاتمة العلماء المالكية الحطاب يحتمل ان المراد انه كتب الصلاة عليه فى كتابه ويحتمل انه قرأ الصلوة عليه المكتوبة وهو اوسع وارجى والاول اظهر واقوى انتهى قلت الاول هو المراد لان المعنى انه سن بذلك سنة حسنة لما كتبه وكان سببا لقراءته فله اجره واجر من قرأه اجرا غير مقطوع ولاممنون (فليقلل من ذلك عبد اوليكثر) العطف للتخيير والفاء فصيحة اى اذا عرفت بقاء هذا ودوامه ونفعه لك

فان شئت اكثرت من كتابته لتربح ربحا كثيرا دائما وان لم تشأ فاقتصر على قليل نافع لك وهذا فى الحقيقة حث له على الاكثار فى الحقيقة فان العاقل لا يترك الخير الكثير ما امكنه ولذا قيل التخيير بعد الاعلام بما هو خير اكثر تحذير من التفريط فى تحصيله قريب من التهديد وفيه من البلاغة ما لا يخفى (وعن ابى بن كعب) فى حديث رواه الترمذى وحسنه (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا ذهب ربع الليل) الاول وكان فعل ماض لكنها استعمل عرفا للدوام نحو كان الله غفورا رحيما كما ذكره ابن جنى فى الخصايص (قام) من نومه وانتبه بعد استراحته (فقال) لمن عنده من زوجاته واهل بيته (يا ايها الناس اذكروا الله) بتمجيده وتحميده باسمائه الحسنى ثم ذكرهم ووعظهم وقيامه ليتهجد وخص هذا الوقت لانه وقت غفلة بمقتضى الطبيعة البشرية (جاءت الراجفة تتبعها الرادفة) والراجفة من الرجفة وهى الحركة بشدة والرعدة معها صوت واضطراب ولذا قيل للبحر رجاف وقد تظرف ابن نباتة المصرى فى قوله فى وصف من حدثت له رعشة فى كفه

* ما كان من رجاف كفك منكر * فالبحر من اسمائه الرجاف *

والمراد بالراجفة ما يكون بين يدى الساعة من الفتن والهرج والمرج والرادفة من ردف بمعنى تبع والمراد الساعة او الصيحة او النفخة وزنة اخرى والمراد اخبارهم بقرب الساعة واشراطها (جاء الموت بما فيه) من سكراته واهواله وهو اقرب لكل احد من حبل الوريد والمراد حثهم على طاعة الله وايقاظهم من نومة الغفلة (فقال ابى بن كعب) لما سمع ما قاله صلى الله عليه وسلم (يا رسول الله انا اكثر الصلاة عليك) واشغل بها اوقاتى بعد اداء الفرض ونحوها (فكم اجعل لك من صلاتى) اى ما مقدار الوقت الذى اصلى عليك فيه (قال ما شئت) اى اى قدر تريده وتيسر لك (قال الربع) اى اصرف ربع اوقاتى لها (قال ما شئت فان زدت) على الربع (فهو خير لك) نافع فى الدنيا والآخرة (قال الثلث) اى اصرف له ثلث وقتى (قال ما شئت) اى تلق هذا (وان زدت فهو خير) واحسن لك (قال النصف قال ما شئت) اى تلق هذا (وان زدت فهو خير لك قال الثلثان قال ما شئت وان زدت فهو خير قال يا رسول الله اجعل صلاتى كلها لك قال اذا يكفى) اى يغنيك عما عداها لان فيها خير الدنيا والآخرة وزيادة الرزق (بين) لها (ويغفر ذنبك) لانها مكفرة لسائر الذنوب اقول الصلاة فى هذا الحديث بمعنى الدعاء كما ذكره فى كتاب الصلاة والبشر ومعناه انه فى مواطن الدعاء لعقب الصلوات ونحوها اذا اراد ان يدعو لنفسه وله صلى الله تعالى عليه وسلم هل يزيد فى دعائه لنفسه على الصلوة عليه او يستوى بينهما او يزيد فى الصلاة عليه او يجعل دعاءه كله له ويترك دعاءه لنفسه فانه اذا جعل ذلك كفاه عن الدعاء لنفسه

فان الله يصلى عليه اضعاف صلاته فينال كل خير من الله من غير طلب وهذا اولى واحب الى الله ورسوله اذا عرفت هذا فقيل هنا من ان هذا الحديث يقتضى ان الصلاة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم افضل من سائر العبادات لان الشارع اذا خص وقتا بعبادة تكون فيه افضل من غيرها كاذكار الركوع والسجود فانها افضل من غيرها وان كان غيرها فى نفسه افضل فالصلاة عليه لمن يريد الدعاء افضل من قول لا اله الا الله وان ورد فى الحديث افضل ما قلته انا والنبيون من قبلى لا اله الا الله وقد سئل شيخ الاسلام السراج البلقينى عن قراءة القرآن وذكر الله والصلاة على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ايها افضل فاجاب بان كلا منها افضل فى محله فالصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى وقت الدعاء وهى الصلاة واجبة فهى افضل من غيرها فاذا جعل الانسان دعاءه كله صلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فانه يكفى ما اهمه وهى افضل من الاستغفار وغيره من الدعاء انتهى وهذا مما لا وجه له ولا حاجة فان الحديث انما يدل على ان صلاته على رسول الله تغنى عن دعائه لنفسه ولا يقتضى انها افضل من سائر العبادات ولا من قراءة القرآن وغيرها كما لا يخفى وقد اطال هذا القائل من غير طائل وبعد عن المرام بمراحل ولبعض الشراح هنا كلام لا مساس له بهذا المقام وهذا الحديث فى المعنى كالحديث القدسى من شغله ذكرى اعطيته افضل ما اعطى السائلين (وعن ابى طلحة) زيد بن سهل الصحابى وفى الصحابة ابو طلحة آخر وهو الذى نزل فيه ويؤثرون على الذى نزل فيه ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة كما قاله الخطيب وقال البرهان لا اعرف فى الصحابة من اسمه ابو طلحة غير ابن سهل هذا وحديثه هذا اخرجه النسائى (دخلت على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فرأيت) فى وجهه من آثار (بشره) اى مسرته وانشراحه (وطلاقته) الطلاقة مصدر بمعنى البشاشة قال الراغب يقال هو طلق الوجه وطليق الوجه اذا لم يكن كالحا انتهى وهو فى الاصل من الاطلاق من الوثاق فاستعير للبشاشة والسرور (ما لم اره قط) فيه لان دابه الخشوع والسكون (فسألته) عن سبب ذلك (فقال وما يمنعنى) من المسرة وانشراح الصدر (وقد خرج جبريل) من عندى (آنفا) اى قريبا من مجيئك (فاتانى ببشارة من ربى) الظاهر ان فيه قلبا اى اتانى ببشارة ثم خرج ومثله كثير فى كلامهم والحديث صحيح اخرجه احمد واصحاب السنن (ان الله) بفتح الهمزة بدل مما قبله وبكسرها والجملة مفسرة للبشارة وهى الخبر السار (بعثنى) اى ارسلنى اليك ابشرك انه ليس احد من امتك (يصلى عليك الا صلى الله عليه وملائكته بها) اى بصلاته التى صلاها (عشرا) وقد تقدم هذا وتفسيره (وعن جابر بن عبد الله) فى حديث رواه البخارى (من قال حين يسمع النداء) اى الاذان فتعريفه للعهد (اللهم رب هذه الدعوة

التامة والصلاة القائمة) اى الدائمة اوالتى تقوم لها الناس فهو كعيشة راضية (آت
محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذى وعدته حلت له شفاعتى يوم القيمة)
اى تحققت وظاهره انه يقوله وهو يسمع الاذان من غير اجابة و به استدل الطحاوى
على انه لايتعين الاجابة اوالمراد انه يقوله حين يسمع النداء بتمامه فيكون بعد الاجابة
والرواية بتنكير مقاما حكاية لما فى القرأن وهو منصوب مفعول آت والذى بدل
اوعطف بيان اوهو منصوب على الظرفية والذى مفعول وروى المقام المحمود
بالتعريف كما قاله النووى ولاوجه لانكاره وقد تقدم بيانه (وعن سعد بن ابى وقاص)
فى حديث صحيح رواه مسلم (من قال حين يسمع) الاذان انا (اشهد ان لا اله الا الله
وحده لاشريك له وان محمدا عبده ورسوله رضيت بالله ربا و بمحمد رسولا و بالاسلام
دينا غفرله) جميع ذنوبه ذكره استطرادا لمناسبته لماقبله لانه ليس فيه شئ مما نحن
فيه اعنى فضيلة الصلاة عليه وماقيل انه تعلم منه الزاما لان مجرد الرضا به اذا كان
سببا للمغفرة فكيف اذاقرن به الصلاة عليه بعيد جدا لانه ليس فى الكلام مايدل
عليه بوجه من الوجوه (وروى ابن وهب) هوالامام ابو محمد عبدالله الفهرى كما تقدم
(ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال من سلم على عشرا) اى قال السلام عليك
يارسول الله (فكانما اعتق رقبة) اى عبدا عبر بالجزء عن الكل اى كان له ثواب
مثل ثواب ذلك (وفى بعض الآثار) جمع اثر بمعنى الخبر الذى يؤثر بنقل والمراد به
هنا الحديث (ليردن على اقوام) اى يأتون على الحوض (لااعرفهم الابكثرة صلاتهم
على) وفى نسخة مايدل لايعنى انه يرى فى وجوههم نورا وعلامة من آثار الصلاة
عليه (وفى) حديث (اخران انجاكم) اى اسرعكم نجاة وخلاصا (يوم القيمة
من اهوالها) اى شدائدها وخوفها (ومواطنها) الضمير للاول اوللقيمة التى تخافونها
(اكثركم على صلاة) يعنى ان بركتها تسهل عليه شدائدها وهذا الحديث رواه
الاصبهانى فى ترغيبه عن انس وفيه ايضا (عن ابى بكر الصديق الصلاة على النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم امحى للذنوب) اى اشد ابطالا واذهابا من محو الشئ اذا ابطله
(من الماء البارد للنار) فانه اذاصب عليها اطفأها واذهب ضررها ففيه تشبيه
للصلاة بذلك (والسلام عليه) صلى الله تعالى عليه وسلم (افضل من عتق الرقاب)
انما خص السلام بجعل ثوابه كثواب عتق الرقاب لان السلام فيه تسليم له من سائر
النقايص ومن اعتق رقبة اعتق الله بكل عضو منها عضوا منه من النار فسلم مما يخشاه
فى الآخرة فلذا جعل السلام عليه واجره كالاعتاق واجره وشبهه به دون الصلاة
وهذه نكتة لطيفة لاتنافى مامر لان وجه الشبه قد يكون اقوى فى المشبه وفى بعض
الشروح هنا كلام تركه خير منه

﴿فصل فى ذم من لم يصل على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واثمه لتركه الواجب عليه وذمه بتركه الافضل فى حقه﴾

ففيه اشارة الى انه قد يجب وقد يندب كمامر ولذا اخر هذا الفصل عماقبله وصدره
بحديث مسند رواه الترمذى كماهو دأبه فى كتابه هذا فقال (حدثنا القاضى الشهيد
ابوعلى رحمه الله) هو ابن سكرة وقد تقدم مرارا (حدثنا ابو الفضل ابن خيرون)
هو احمد بن الحسن احمد بن خيرون البغدادى الحافظ الناقد وقد تقدم ايضا
(وابو الحسن الصيرفى) كذا فى النسخ والصواب ابو الحسين بالتصغير وقد تقدمت
ترجمته ايضا (قالا حدثنا ابو يعلى) هو احمد بن عبدالواحد المعروف بزوج الحرة كما
تقدم (حدثنا الشيخ) تقدم بيانه و بيان نسبته وضبطها (محمد بن محبوب) تقدمت
ترجمته (حدثنا ابو عيسى) محمد بن عيسى بن سورة الامام الترمذى المشهور وقد تقدم
بيانه (حدثنا احمد بن ابراهيم الدورقى) احمد بن ابراهيم البغدادى الحافظ
والدورقى بفتح الدال والراء المهملتين بينهما واو يليهما قاف وياء نسبة منسوب
لبلد وهو فى الاصل اسم اناء للماء كالجرة ونوع من القلانس شبهت بالاوانى لطولها
ووهم من غلط المزى فى قوله انه اسم بلد فانه سبقه اليه الحاكم فى كتاب الكنى والمعترض
اعتمد على كلام الرشاطى وقد رده البرهان الحلبى فى المقتفى والدورقى كان امام
الحديث فى عصره اخرج له الستة وغيرهم وتوفى فى سنة ست واربعين ومائتين
(حدثنا ربعى بن ابراهيم) هو ربعى بن مقسم الاسدى الثقة الحافظ توفى سنة
سبع وتسعين ومائة (عن عبدالرحمن بن اسحق) بن عبدالله بن الحارث بن كنانة القرشى
العامرى المدنى ويقال له عباد بن اسحق وثقوه وضعفه بعضهم وله ترجمة
فى الميزان (عن سعيد بن ابى سعيد) هو المقرى وقد تقدم (عن ابى هريرة قال قال
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رغم انف رجل) اى اذله الله واخزاه وحقيقته
الصق الله وجهه بالرغام وهو التراب فكنى به عما ذكر واضيف للانف لتقدمه (ذكرت
عنده فلم يصل على) لان الصلاة عليه تعظيم له وثواب لقائله وعزة له باعزاز زينه
فمن تركه مع سهولته عليه كان مستحقا للاهانة وهذا الحديث اخرجه الترمذى
وحسنه والحاكم وصححه (ورغم انف رجل دخل رمضان) اى جازمابه والتعبير فيه
بالدخول حقيقة عرفا اى فى عرف اللغة (ثم انسلخ) اى ثم مضى واصل السلخ نزع جلد
الحيوان فاستعير لكل اخراج يقال سلخت درعه اذا نزعته ومنه سلخ الشهر لاخره قال
تعالى وآية لهم الليل نسلخ منه النهار ومن قلته *ادهم الليل حين كان حرونا* سلخت
يدى الاهلة سلخا* (قبل ان يغفرله) اى ولم يغفرله وفى التعبير بالقبلية اشارة الى انه لكونه
محل المغفرة كانت كالموجودة فذهب قبلها (ورغم انف رجل ادرك عنده ابواه الكبر)
اى ادرك الشيخوخة وعمرا وهو معهما الا انه لم يبرهما و يعاملهما بما يرضيهما
(فلم يدخلاه الجنة) لانه لوفعل ذلك اثابه الله وادخله الجنة فان الجنة تحت اقدام
الوالدين كما ورد فى الحديث (قال عبدالرحمن) بن اسحق الذى تقدم قريبا (وطء)

اى رسول الله قال (اواحدهما) اى احد ابويه ويجوز عود الضمير لابى هريرة ففيه
شك من الراوى وسيأتى تتمة الكلام على هذا الحديث والجامع بين هذه ان فى صوم
رمضان رضاء ربه وخالقه وفى رضاء الوالدين بر من هو سبب لوجوده وفى الصلاة
على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم رضاء من هو سبب لبقائه فى النعيم المخلد والصوم
رضاء للرب بامر لبس عليه فيه كلفة كالصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
وبر الوالدين فقد احرم نفسه من فائدة عظيمة بترك امر لامشقة عليه فيه ورواه مسلم
بثم بدل الفاء لاستبعاده ممن له عقل والفاء نظر الكون ذلك واقعا عقبه لاان الفاء بمعنى
ثم كما توهم وقيد بر الوالدين بحال الكبر لانها حال العجز ورحمتهما والاسناد فى قوله
يدخلاه اسناد مجازى للسبب (وفى حديث آخر) رواه الحاكم وصححه عن كعب
ابن عجرة بطريق اطول من هذا قال ابن حجر فى الزواجر ولهذا الوعيد بتكرر الدعاء
عليه بالبعد والسحق وعده البخل الناس عدوا ترك الصلاة عند ذكره من الكبائر بناء
على وجوبه كلما سمع ذكره كما ذهب اليه طائفة من الحنفية وغيرهم ويمكن حمله على
من ترك الصلاة لاشتغاله بلهو ولعب على وجه يشعر بالاستخفاف بحقه صلى الله
عليه وسلم فيكون الترك حينئذ كبيرة مفسقة فلامنافاة بين هذا وبين القول تقدم
الوجوب بالكلية وهذا امر مهم لم ار من نبه عليه انتهى (ان النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم صعد المنبر) صعد بكسر العين فى الماضى وفتحها فى المستقبل كما قاله
البرهان الحلبى والمنبر بكسر الميم اسم آلة من نبر بمعنى ارتفع لارتفاع الخطيب عليه
(فقال امين) اذا صعد درجة وامين اسم فعيل بمعنى استجب وقوله امين يقتضى انه
سمع داعيا يدعو ولم يكن معه احد فلذا سألوه عن سبب قوله هذا كما سيأتى (ثم صعد)
درجة اخرى من درجات المنبر (فقال امين ثم صعد) درجة (فقال امين فسأله)
معاذ راوى الحديث (عن ذلك) اى عن قوله امين ثلثا وماسببه (فقال) مجيبا
للسائل عن سؤاله (فقال ان جبريل اتانى) لما صعدت وروى انه صعد المنبر قبله
(فقال يا محمد) وروى انه قال لبيك وسعديك (من سميت) بالبناء للمجهول وتاء الخطاب
المفتوحة نائب الفاعل اى ذكر اسمك (بين يديه) اى عنده وهو حاضر يسمع فلم يصل
عليك (فمات) تاركا للصلاة عليك والتعقيب عرفى كتزوج فولد له (دخل النار)
عقوبة له على تركه الصلاة وقد قدمنا انه يقتضى وجوبها كلما سمع اسمه والجواب عنه
(فابعده الله) عن رحمته ونعيم جنته وقال له جبريل (قل امين) طلب منه التأمين على
دعائه ليستجاب وفيه تعظيم له لايخفى (فقلت امين) امتثالا لامره الذى بلغه عن ربه
(وقال فمن ادرك رمضان) وصومه (فلم يقبل منه) مبنى للمجهول اى لم يقبله الله منه
بان قبل واحبط عمله (فمات مثل ذلك) اى فدخل النار فابعده الله قل امين فقلت
امين (ومن ادرك ابواه اواحدهما فلم يبرهما) اى لم يقم بواجب حقوقهما

ومايستحقانه يقال بره بفتح عين الماضى يبره بضمها لانه مضاعف متعد والمطرد فيه
ذلك الاافعالا قليلة جاء فيها الضم والكسر كما قاله ابن القوطية وغيره كما فصل فى كتب
التصريف (فمات مثله) بالنصب اى وذكر مثله اى فدخل النار فابعده الله الخ
وعدم قبول رمضان لانه لم يأت به على وفق ماامر الله به بان اخل به اولم يخلص
نيته فيه وهذا حديث صحيح روى من طرق كثيرة باسانيد متعددة (وعن على)
ابن ابى طالب من حديث صحيح رواه الترمذى والبيهقى والنسائى رحمهم الله (عنه)
صلى الله تعالى عليه وسلم (البخيل الذى اذا ذكرت عنده فلم يصل على) وتعريف
الطرفين يدل على الحصر اى لابخيل الاهذا والبخل الامساك عن بذل ماينبغى
شرعا اومروة والشرع يقتضى ذلك لانه امر به وكذا المروة لانها تقتضى الثناء
على ماانعم واحسن واى منعم مثله فانه واسطة لكل احد فى جميع النعم التى وصلت
اليها والبخل بكلمة تنفع فى الدنيا والآخرة بخل لايضاهيه بخل وفى الحديث روايات
مختلفة فروى البخل كل البخل وفيه مبالغة لاتخفى وهوهنا استعارة تبعية بتشبيه
ترك الصلاة بترك الانفاق اومكنية وتخييلية بتشبيه الصلاة بالمال الذى ينبغى انفاقه
(وعن جعفر) الصادق (بن محمد) الباقر (عن ابيه) محمد الباقر وهو تابعى فالحديث
مرسل كما فى شعب الايمان للبيهقى ورواه الطبرانى فى الكبير متصلا عن الحسين بن على
جده (من ذكرت) فلم يصل على (اخطئ به طريق الجنة) اخطئ بضم الهمزة وكسر
الطاء فى اكثر النسخ مبنى لمالم يسم فاعله وجوز بناؤه للفاعل ايضا اى دخل النار لانه
اخطأ عن طريق الجنة كانت طريقه الى النار لانه قد اضله الله عن طريقها وهذا رواه
جماعة من طرق متعددة وفى بعضها اخطئ (وعن على بن ابى طالب قال ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ان البخيل من ذكرت عنده فلم يصل على) وكل هنا صفة
للبخيل للمبالغة كانه جمع افراده كلها ويجب حينئذ اضافته لظاهر مماثل لموصوفه لفظا
ومعنى كما هنا وكقوله * وان الذى حانت بفلج دماؤهم * هم القوم كل القوم يا ام خالد *
وقد يضاف لما يماثله معنى فقط وهذا الحديث اخرج من طرق متعددة اخرجه
النسائى والبيهقى والبخارى فى تاريخه (وعن ابى هريرة) رواه ابوداود والترمذى
وحسنه والحاكم وصححه قال صلى الله تعالى عليه وسلم (ايما قوم) اى ما للعموم
وما مزيدة اى كل قوم (جلسوا مجلسا) اى فى مجلس ما (ثم تفرقوا) اى قاموا من مجلسهم
(قبل ان يذكروا الله) اى من ذكره فى مجالسهم اوعند قيامهم منه (ويصلوا على)
فيسن لمن اراد القيام من مجلس ان يقول لا اله الا الله وصلى الله وسلم على رسوله ليكون
مكفرا لما فى ذلك المجلس (كانت عليهم من الله ترة) وترة بكسر التاء المثناة وفتح الراء
المهملة وهاء تأنيث عوض من الفاء المحذوفة لعده وزنه وهى مرفوعة اسم كان وعليهم
خبر مقدم وجوز نصبها على الخبرية واسم كان مستتر راجع الى الجلسة المفهومة

مماقبله والترلها معان الظلم والذنب والنقص والتبعة وقد فسرت بالحسرة وهو اقربها لانه ورد فى رواية كماسيأتى وقوله (ان شاء عذبهم وان شاء غفرلهم) يقتضى انه بمعنى الذنب والخطيئة فهو كالتفسير لماقبله والمعانى كلهامتقاربة وماقيل من انها بمعنى الحجة القائمة عليهم فهوفى مشية الله ان شاء عذبهم بتركهم الصلاة وان شاء غفر لهم لانه الغفور الرحيم وهى فى الاصل النقص قال تعالى ولن يتركم اعمالكم ومعناها هنا التبعة كمافى شرح السنة وفى غريب المدونة ان بعض الفقهاء حرفه وقرأه بالثاء المثلثة من الثأر بالهمزة اى طلب الذم من القائل واين هومنه لفظا ومعنى (وعن ابى هريرة) فى حديث رواه البيهقى فى الشعب (من نسى الصلاة عنى نسى) بضم اوله وتشديد ثانيه مبنى للمجهول وفى نسخة نسى مخففة مبنى للفاعل (طريق الجنة) ففيه جعل الصلاة كانها دليل الرشدة لطريق الجنة اومذكر يذكره بها ففيه استعارة او البستان بمعنى الترك مجازا من ذكر المقيد وارادة المطلق (كقول الله تعالى) نسوا الله فنسيهم وقوله وكذلك اليوم تنسى (وعن قتادة عنه) صلى الله عليه وسلم فى حديث رواه عبد الرزاق عن معمر (من الجفاء) الجفاء ترك الصلة والبر ويكون بمعنى غلظة الطبع ومنه قيل للاعراب ان اهل الجفاء والجفا يمد ويقصر وهو ضد الصلاة والحديث مرسل يستدل به فى الفضائل دون الاحكام (ان اذكر عند الرجل فلايصلى على) المراد بالرجل الجنس كاللئيم فى قوله ولقد امر على اللئيم يسبنى (وعن جابر) فى حديث رواه البيهقى (عنه) صلى الله تعالى عليه وسلم (لما جلس قوم مجلسا ثم تفرقوا على غير صلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الا تفرقوا عن) رائحة (انتن) افعل من النتن وهى الرائحة الخبيثة التى تكرهها كل طبع وتكون كاللحوم المتغيرة بعد الموت او بمعنى الرائحة والجيفة فى الاصل رية الحيوان اذا انتفخت وتغيرت كانهم اترابا مرسوعا من غير مكفراه وهو تقييد من غير دليل وقيل انه ريحهم فى الملاء الاعلى او يوم القيمة يشمه اهل الموقف وهو بعيد لايلايمه السياق فالظاهر انه كان يشم من اهل العسر رائحة خبيثة وهذا الحديث رواه الطيالسى والبيهقى والنسائى والضيائى المختار بسند صحيح الا انه فيه ذكر الله مع الصلاة كامر والمشبه به اما فرد من افراد الجيفة اوشئ غيرها اواشد نتنا منها (وعن ابى سعيد) الخدرى فى حديث رواه البيهقى وسعيد بن منصور وغيرهما من طرق صحيحة (عن النبى) صلى الله تعالى عليه وسلم (قال لايجلس قوم مجلسا) اى فى مجلس يتحدثون فيه (لايصلون على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) فى اثنائه اوفى آخره (الاكان) ذلك المجلس (حسرة عليهم) اى ندامة وتأسفا على مافاتهم فيه (وان دخلوا الجنة لايرون من الثواب) لمن صلى عليه والقوم جماعة الرجال خاصة لقوله اقوم آل حصن ام نساء ويطلق على ماشملهم تغليبا وقيل

انه عام لكل جماعة وهو المناسب هنا وقد تقدم معنى الحسرة وهى فى الاصل بمعنى الانقطاع من حسرة الناقة اذا انقطعت عن البشر لكلالهم ويجوز فى كان ان تكون تامة وناقصة وجعله نفس الحسرة مبالغة كقوله تعالى وانه لحسرة على الكافرين اواسناده مجازى (وحكى ابو عيسى الترمذى) امام الحديث وصاحب الجامع والشمائل وقد قدمنا ترجمته وشهرته تغنى عن ذكره (عن بعض اهل العلم) انه قال (اذا صلى الرجل على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مرة فى المجلس اجزأ) بالهمزة اى كفت المرة عن تكريرها بقدرماذكراسمه فى ذلك المجلس (عنه ما كان فى ذلك المجلس) فهو سنة كفاية اوفرض كفاية بناء على الخلاف السابق وفى بعض الحواشى اختلفت الرواية فيه فعن صاحب المجتبى من الحنفية انه يتكرر الواجب بتكرر ذكره وقيل المراد بما كان فى ذلك اللفظ ونحوه ممايحتاج للكفارة ويؤيده ماورد فى الحديث من صلى على مرة واحدة محا الله عنه بها ذنوب ثمانين سنة فيعلم منه ماذكر بالطريق الاولى (تتمة ورد عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ان من قال اذا قام من مجلسه سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك غفر الله له ما كان فى مجلسه ذلك فاذا ضم الى ذلك الصلاة عليه جاز فضلا عظيما وكفر عنه ماصدر منه ومن اهل مجلسه (واعلم انه قال فى الجزء انه صلى الله تعالى عليه وسلم لايجب عليه ان يصلى على نفسه انتهى قيل فاذا كان لا يجب عليه ذلك فهل كانت صلاته عليه فى صلاته بطريق الاستحباب اولم يكن يصلى على نفسه فيها قيل لم يصرح به احد انتهى

﴿ فصل فى تخصيصه عليه الصلوة والسلام

يسمع صلاة من يصلى عليه فى الانام) كسحاب مطلق اوكل ذى روح اوالجن والانس خاصة ويقال انام بالمد كساباط وانيم كحامر بدأ بحديث رواه احمد وابوداود والبيهقى بسند حسن وهو (حدثنا القاضى ابوعبدالله التميمى حدثنا الحسين بن محمد) ابوعلى الغسانى وقد تقدم (حدثنا ابوعمر الحافظ ابن عبد المؤمن) هو ابن عبد البر كما تقدم (حدثنا ابن داسة) تقدم ترجمته (حدثنا ابوداود) امام الحديث وصاحب السنن كما تقدم (حدثنا ابن عوف) محمد بن عوف الطائى الحمصى راوى سنن ابى داود عنه توفى سنة اثنين وسبعين ومائتين (حدثنا المقرى) ابوعبدالرحمن بن عبدالله بن يزيد القصير المقرى مولى عمر رضى الله تعالى عنه وهو ثقة اخرج له الستة وتوفى سنة ثلاث عشر ومائتين كما تقدم (حدثنا حيوة) بن شريح كما تقدم قريبا (عن ابى صخر حميد بن زياد) الخراط قال احمد لابأس به وله ترجمة فى الميزان (عن يزيد بن عبدالله بن قسيط) بالتصغير الليثى التابعى الثقة توفى سنة اثنين وعشرين ومائة واخرج له الستة وترجمته فى الميزان (عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال مامن احد يسلم على الارد الله على روحى حتى ارد عليه السلام) اى اجيبه وكلام المصنف فى تبليغ الصلاة له وهذا تبليغ السلام ولذاقيل انه مخصوص بوقت الزيارة وان نوزع

فيه فاما ان يكون ذكره لمناسبته للصلاة اوفهم منه ان المراد بالسلام قولهم الصلاة والسلام عليك يا رسول الله وفيه دليل على انه حى حياة مستمرة لان الكون لايخلو من مسلم عليه فى كل لحظة وقد ثبت بالاحاديث الصحيحة انه وسائر الانبياء احيا حياة حقيقية كالشهداء وان كان حال البرزخ لايقاس على حال الدنيا وقد قال ابن العماد ان يرد الروح يقتضى الصلاة والبشر ان البيهقى قال معناه ان الله تعالى رد روحه لاجل سلام من يسلم عليه ثم استمرت فى جسده وقال عبد الكافى السبكى شيخه انه يحتمل انه رد معنوى بان تكون روحه مشتغلة بشهود الحضرة الالهية والملأ الاعلى عن عالم الدنيا فاذا سلم عليه اقبلت روحه لهذا العالم لرد السلام وقال السخاوى فى كتاب البديع رد روحه يلزمه تعدد حياته ووفاته فى اقل من ساعة اذ الكون لايخلو من يسلم عليه بل قد يتعدد فى ان واحد كثيرا واجاب الفاكهانى و بعضهم بان الروح هنا بمعنى النطق مجازا فكانه قال يرد الله على نطقى والنطق من لوازم وجود الروح بالفعل او بالقوة فعبر باحد المتلازمين على الآخر ويؤيده ان الحياة مرتين لاغير لقوله تعالى امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين وقيل انه على ظاهره بلامشقة وقيل المراد بالروح ملك وكل بابلاغه السلام وفيه نظر انتهى وفى رواية كما قاله الشبلى يسلم على عند قبرى فان ثبت فهو مخصوص ولايرد بالرأى اقول هذا جملة مافى الحديث من القيل والقال وللنظر فيه مجال اما اولا فاستعارة رد الروح للنطق بعيدة وغير معروفة ولامألوفة وليس لها رونق يليق بالفصاحة النبوية ولوسلم لكان ركيكا لان قوله حين اراد يأباه ولوقيل انه مجاز عن المسرة كان اقرب فانه يقال لمن سر عادت له روحه ولضده راحت روحه ولولا خوف الاطالة اوردت له شواهد وهذا يكون جوابا سادسا وجواب البيهقى خلاف الظاهر لايخفى وكون المراد بالروح الملك تأباه الاضافة لضمير الا انه ملك كان ملازما له فاختص به على انه اقرب الاجوبة وقد ورد فى بعض الاحاديث وقال ابو داود بلغنى ان ملكا مؤكلا بكل من صلى عليه صلى الله تعالى عليه وسلم حين يبلغه وقد ورد ايضا اطلاق الروح على الملك فى القرأن واذا خص هذا بالزوار هان امره وجمله رد الله على روحى حالية ولايلزمها قد اذا وقعت بعد الا كما ذكره فى التسهيل وهو استثناء من اعم الاحوال وبالجملة فهذا الحديث لايخلو من الاشكال (اقول الذى يظهر فى تفسير الحديث من غير تكلف ان الانبياء والشهداء احياء وحياة الانبياء اقوى واذا لم يسلط عليهم الارض فهم كالنائمين والنائم لايسمع ولاينطق حتى ينتبه كما قال الله تعالى والتى لم تمت فى منامها الآية فالمراد بالرد الارسال الذى فى الآية وحينئذ فمعناه انه اذا سمع الصلاة والسلام بواسطة او بدونها تيقظ وردلا ان روحه تقبض قبض الممات ثم تنفخ وتعاد كموت الدنيا وحياتها لان روحه مجردة نورانية وهذا لمن زاره ومن بعد عنه تبلغه الملائكة سلامه فلا اشكال اصلا الا لمن يتدبر (وذكر ابو بكر

ابن ابى شيبة) هو عبد الله بن محمد العبسى الكوفى الحافظ الثقة صاحب التصانيف الجليلة اخرج له الائمة الستة وتوفى سنة خمس وثلاثين ومائتين وترجمته مفصلة فى الميزان (عن ابى هريرة) كما رواه البيهقى وابو الشيخ (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على عند قبرى سمعته ومن صلى نائيا) اى بعيدا عنى والناى بالهمزة البعيد (بلغته) بالبناء للمفعول اى بلغتنى الملائكة سلامه وصلاته على كما ورد مصرحا به فى الحديث وفى بعضها انه ملك معين وقوله (وعن ابى مسعود) عقبة بن عمرو الانصارى وفى بعض النسخ ابن مسعود وهو غلط (ان لله ملائكة سياحين فى الارض يبلغونى عن امتى السلام) يقتضى انهم جماعة كثيرة لا واحد معين والسياحين جمع سياح صيغة مبالغة من السياحة وهى الطواف فى الارض والدوران فيها والذهاب الى البلاد البعيدة وكانت النصارى تفعله تعبدا فهى عنه بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم لاسياحة فى الاسلام لما فيه من ترك الجمعة والجماعة وهو مستعار من ساح الماء اذا جرى على وجه الارض اما الملائكة اذا امروا بذلك لهذه الخدمة فهو عبادة لهم لانهم لا يفعلون الا ما يؤمرون وقوله يبلغونى الى آخره صفة للملائكة او جملة مستأنفة استئنافا بيانيا وليس هذا الحديث موقوفا بل مرفوع وهو رواه احمد والنسائى والبيهقى والدارمى وابن حبان وابو نعيم والخلفى بسند صحيح (ونحوه عن ابى هريرة) انه بمعناه ما رواه فى الترغيب عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان لله تعالى عز وجل سيارة من الملائكة اذا مروا بحلق الذكر قال بعضهم لبعض اقعدوا فاذا دعا القوم آمنوا على دعائهم فاذا صلوا على صلوا معهم حتى يفرغوا ثم يقول بعضهم لبعض طوبى لهؤلاء فانهم مغفور لهم وفى الحلية انه تبلغ صلاتهم ويكفوا امر دنياهم وآخرتهم (وعن ابن عمر) لم يخرجوا هذا الحديث (اكثروا من السلام على نبيكم كل جمعة) المراد به الصلوة والسلام عليه فى يوم الجمعة وليلتها (فانه) اى السلام ويحتمل ان يريد السلام وحده (يؤتى به منكم فى كل جمعة) لانه يوم يعرض فيه الاعمال وللصلاة فيه فضل على غيره (وفى رواية) اخرى (فان احدا لايصلى على) فى ذلك اليوم وليلة (الا عرضت على صلاته حين يفرغ منها) قال السخاوى هذا الحديث لم اقف عليه وروى البيهقى عن انس قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان اقربكم منى يوم القيامة اكثركم على صلاة فى الدنيا ومن صلى على يوم الجمعة وليلة قضى الله له مائة حاجة له وورد فى احاديث الحث عليه فى يوم الجمعة فانه يوم مشهور والانبياء احياء فى قبورهم فان قلت ورد تبليغ الصلاة له مطلقا فى احاديث وفى بعضها مقيدا بيوم الجمعة فما وجهه قلت وجهه يجوز ان يكون عرضها وتبليغها فى كل يوم من بعض الملائكة وما فى يوم الجمعة من اخرين او ذلك عرض لها فرادى وهذا بسند صحيح

حمله على وجه خاص اوليكتب فى صحف عنده كما وقع فى بعض الروايات (وعن الحسن) ابن على بن ابى طالب فى حديث رواه ابن ابى شيبة والطبرانى و ابو يعلى بسند صحيح (عنه) صلى الله تعالى عليه وسلم (حيثما كنتم فصلوا على فان صلاتكم تبلغنى) اى تبلغها له الملائكة كما تقدم وحيث اذا اتصلت بما فهى شرطية وهى ظرف مكان وتأتى للزمان كما فى قوله

* حيثما تستقم يقدر لك الله * نجاحا فى غابر الازمان *

(وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما) فى حديث موقوف رواه البيهقى وابن راهويه (ليس احد من امة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم يسلم و يصلى عليه الا بلغه) بضم الباء وكسر اللام المشددة مبنى للمفعول اى تبلغه الملائكة سلامه وصلاته وهذا يحتمل تعيين المصلى وعدمه فلذا اردفه بقوله (وذكر بعضهم ان العبد اذا صلى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عرض عليه) صلى الله تعالى عليه وسلم صلاته (واسمه) واسم ابيه وعشيرته فيثبت عنده فى صحيفة كما ورد فى حديث مرفوع وقيل المراد ببعضهم النميرى عن حماد (وعن الحسن بن على اذا دخلت) حدثنا الخطيب لغير معين (المسجد) تعريفه للجنس فان كل من دخل مسجدا اى مسجد كان يستحب له ان يصلى على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما ذكره الامام الخيضرى فى كتاب المعلم وقيل تعريفه للعهد والمراد به مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والظاهر الموافق للرواية الاول والذى حمله على هذا قوله (فسلم على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال لاتتخذوا بيتى عيدا) فان بيته عند مسجده ولذا قيل المراد ببيته قبره فانه فى بيته دفن والعيد الموسم الذى يجتمع فيه وياؤه منقلبة عن الواو لانه سمى به لعوده فى كل عام وجمع على اعياد وقياسه اعواد للفرق بينه و بين جمع عود ونهيه عما كان يفعله اليهود والنصارى عند قبور انبيائهم فى الزينة واللهو والطرب وقيل النهى عن تعظيمها لما فيه من الفتنة بها حتى تحدثوا بعيد و قيل المراد لا تتخذوها كالعيد تزورونها فى العام بل اكثروا من زيارتها (ولاتتخذوا بيوتكم قبورا) اى لا تتركوا الصلاة والعبادة فتكونوا فيها كانكم اموات وكذا قيل

* فيا نائم الليل هنيئته * فقبل الممات سكنت القبورا *

وقيل المراد لاتدفنوا فى البيوت بل فى الجبانة ولايرد عليه انه صلى الله تعالى عليه وسلم دفن فى بيته لانه اتبع فيه سنة الانبياء عليهم الصلوة والسلام كما ورد ماقبض نبى الادفن حيث يقبض فهو مخصوص بهم (وصلوا على حيث كنتم) اى فى اى مكان فلا يحتاج للاتيان لمسجده ولا لقبره حتى يسلم عليه وهذا دليل على ان المسجد فى اول الحديث ليس المراد به مسجده صلى الله تعالى عليه وسلم (فان

صلاتكم تبلغنى حيث كنتم) اعاد حيث كنتم ائلا يتوهم ان الصلاة انما تبلغه ممن كان عنده فى مسجده اوعند قبره وليس تأكيدا لماقبله لافادته تعميما آخر لايعلم مماقبله وهذا الحديث اخرجه الطبرانى وابو يعلى (وفى حديث اوس) ابن اوس الصحابى الثقفى (اكثروا من الصلاة على يوم الجمعة) خصها لما فيها من الفضل وهى يوم تشهده الملائكة وتعرض عليه صلاة من صلى عليه وللصلاة فيه فضل على غيرها ولما فيه من الصلة يوم يزار فيه وهذا الحديث رواه ابوداود والنسائى واحمد فى مسنده والبيهقى وغيرهم وصححوه وخص يوم الجمعة لانه كما ورد فى الحديث افضل الايام الجمعة وفيه خلق آدم وقبضت روحه وفيه النفخة والصعقة وحد اقل الكثرة ثلاثمائة و بضع عشرة كما فى قوت القلوب وقال السخاوى لم اقف له على مستند فلعله تلقاه عن احد من الصحابة عرفه بتجارب او غيره او رأه اول ما تحصل به الكثرة (فان صلاتكم معروضة على) تقدم بيانه (وعن سليمان بن سحيم) بالتصغير وسين وحاء مهملتين وهو مولى ابى العباس وقيل ابى الحسيم وهو من علماء الحجاز المشهورين وحيث اطلق فى النقل فهو المراد ولهم سليمان بن سحيم آخر لكنه لم يشهر النقل عنه وهو ثقة توفى فى خلافة المنصور وهذا رواه عنه ابن ابى الدنيا والبيهقى فى حياة الانبياء (رأيت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى المنام) من رأه فى المنام فقد رأه حقا فان الشيطان لايتمثل فى صورته (فقلت يارسول الله هؤلاء الذين يأتونك فيسلمون عليك) اذا زاروا مقامك بعد الانتقال (اتفقه سلامهم) اى اتسمعه وتفهمه (قال نعم وارد عليهم) وفقه يفقه ورد من باب نصر وفرح ومعناه فهم وقوله وارد عطف على قول السائل لفقه ويسمى هذا عطف التلقين وقد فصل فى شروح الكشاف فى قوله تعالى ومن كفر فامتعه قليلا ويكون فى الجمل والمفردات ونعم فى الجواب عما سئل عنه وهو ظاهر (تنبيه اذا رأى احد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى منامه وامره بامر هل يلزمه العمل بما قاله فيه تفصيل فان وافق الشرع فله نفسه العمل به ولايلزمه امر غيره به وماعداه لايلزمه العمل به لان الرؤيا لايضبطها النائم ويحتمل التأويل وهذا هو الصحيح وفيه كلام ليس هذا محله (وعن ابن شهاب) هو الزهرى كما تقدم وهذا رواه عنه النميرى (بلغنا عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال اكثروا من الصلاة على فى الليلة الزهرا واليوم الازهر) يعنى ليلة الجمعة و يومها و يعنى بالازهر الابيض المستنير ولذا فى مطلقه كان الزهر لايطلق فى وضع اللغة على غير النور الابيض وان شاع بعد ذلك فى مطلقه ونورهما لبركتهما ومافى ذلك اليوم من العبادة التى خص بها و مافيه من ساعة الاجابة وغير ذلك مما ذكر فى فضائله وهو عيد المؤمنين وفيه تنزل الملائكة كثير (فانهما) اى يوم الجمعة وليلتها (يؤديان عنكم) بضم المثناة التحتية وفتح الهمزة والدال

المهملة المشددة اى يوصلان صلاتكم الى ويبلغانها الى والاسناد الى الزمان اسناد مجازى اى يؤدى الملائكة فيهما وكونهما يخلف لهما نطقا بذلك الاداء خلاف الظاهر وان جاز الاان التصريح بعده يحمل الملك يأباه (وان الارض لاتأكل اجساد الانبياء) لانهم احياء فى قبورهم لاتبلى اجسادهم وهذا جواب عن سؤال مقدر كانه قيل كيف يكون لمن مات واكلته الارض كما ورد مصرحا به فى حديث آخر وان بكسر الهمزة والجملة حالية اوبفتحها بتقدير وبلغنا ان الارض الى آخره وقيل انه بيان لخاصية اخرى والاول اولى (ومامن مسلم) من مزيدة للتعميم اى كل مسلم (يصلى على) وهو بعيد (الاحملها) اى صلاته وسلامه (ملك حتى يؤديها) اى يوصلها (ويسمعه حتى انه) بكسر الهمزة (يقول ان فلانا يقول لك كذا وكذا) فيذكر ماقاله بعينه بعد تعيينه باسمه واسم ابيه ومكانه وشهرته وكان من عادة السلف ايضا ان يرسلوا السلام له صلى الله تعالى عليه وسلم مع الزوار ايضا كما قيل

* الا ايها الغاوى الى شرب منهلا * لتحمل شوقا لا اطيق له حملا *

* تحمل رعاك الله منى تحية * وبلغ سلامى روح من طيبه حلا *

﴿ فصل فى الاختلاف ﴾ الواقع بين العلماء (فى الصلاة على غير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى فى جواز الصلاة على غيره من المؤمنين غير الانبياء كالصحابة ونحوهم (وسائر الانبياء) اى بقيتهم غيره كابراهيم وموسى ونحوه وسائر بمعنى باقى كما تقدم والخلاف فى جواز الصلاة عليهم استقلالا لا بطريق التبعية له كالصلاة على آله وازواجه (قال القاضى) عياض وفقه الله (عامة اهل العلم) اى جميعهم (متفقون على جواز الصلاة على غير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) من الانبياء والملائكة والمؤمنين ودعواه الاتفاق مطلقا ليس بمسلم وقد قال النووى فى الاذكار على سائر الانبياء والملائكة استقلالا وعلى غيرهم ابتداء الجمهور على منعه فقال بعض اصحابنا انه حرام والاكثر على انه مكروه كراهة تنزيه وذهب كثير الى انه خلاف الاولى وليس مكروها والصحيح الذى عليه الاكثر كراهة تنزيها لانه شعار اهل البدع انتهى فدعواه للاتفاق مخالفة للمنقول وقال الجوينى ان السلام مثل الصلاة فلا يقال على عليه السلام اللهم الا ان يقال مراده بغير النبى بقية الانبياء الا انه تخصيص من غير دليل (وروى عن ابن عباس انه لايجوز الصلاة على غير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) رواه البيهقى فى الشعب وسعيد بن منصور فى سننه والطبرانى وابن ابى شيبة وعبد الرزاق ومراده بغيره بقية امته لقوله فيه ولكن يدعى للمسلمين والمسلمات بالاستغفار وقوله (وروى عنه) اى عن ابن العباس رواه القاضى اسمعيل فى احكام القرآن (لاينبغى الصلاة) من احد (على احد الاللنبيين) وهذا مفسر لما قبله (وقال سفيان) الثورى (يكره ان يصلى الاعلى نبى) وهو موافق لكلام ابن عباس ونافى

الكراهة من معنى النفى عم وصح وقوع الاستثناء المفرغ بعده وهذه احدى الروايتين عن سفيان رواها عبد الرزاق والبيهقى والاخرى تفرد بها البيهقى يكره ان يصلى على غير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (ووجدت بخط بعض شيوخى شيخ مذهب مالك انه لايجوز ان يصلى على احد من الانبياء سوى محمد) صلى الله تعالى عليه وسلم فعلى هذا لايصلى على غيره من الانبياء استقلالا وهو احد الروايتين عن الثورى كما تقدم (وهذا غير معروف من مذهبه) اى مذهب الامام مالك وايد كونه غير معروف من مذهبه بقوله (وقد قال) الامام (مالك فى المبسوط اسم كتاب له كالمدونة) ليحيى بن اسحق الذى روى المبسوط عن مالك وهو يحيى بن اسحق ابن عبد الله بن اسحق بن المهلب بن جعفر ويكنى ابابكر وله نسب شريف بقرطبة (اكره الصلاة على غير الانبياء ولاينبغى ان تعدى ما امرنا به) فلا يتجاوزه لغيره لانه امر تعبدى لايفعل بالرأى ويقتصر فيه على ماروى عنهم (وقال يحيى بن يحيى) الليثى عالم الاندلس وراوى الموطأ عن مالك رحمه الله تعالى (لست اخذ بقوله) اى لا اتمسك بقول مالك ماينبغى لنا ان نتعدى ما امرنا به من الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فقط يعنى قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبى الاية ومن عزا لمالك عدم الجواز حمل قوله ما ينبغى على عدم الجواز فعراه له وهى تستعمل بهذا المعنى وردت لغيره ايضا (ولابأس بالصلاة على الانبياء كلهم وعلى غيرهم) من الملائكة والمؤمنين وفى فتاوى السبكى الحلبيات الصلاة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم واجبة بالاجماع وكونها ركنا من الصلاة مذهب الشافعى والظاهر ان النبى مشارك امته فى هذا الحكم من كونها واجبة فى صلاته فى وجوبها عليه وكونها ركنا وفيها ما نقل من الاجماع من انها لم تكن واجبة على الامم المتقدمة ان يصلوا على انبيائهم فينبغى ان تعد من الخصايص واما غير الانبياء فاقل من ان يتوهم مشاركتهم فى الوجوب حتى يقتضى خصوصية وما نقله الجرجانى من انها لاتجب على غيره استقلالا الا بالاجماع ان اريد به فى هذه الملة ان صح بقيد الخصوصية وان اريد بقيد غير استقلال فلا نعرفه انتهى (واحتج) يحيى بن يحيى لما قاله (بحديث بن عمر) الاتى انه كان يصلى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى ابى بكر وعمر تبعا (وماجاء فى حديث تعليم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) الصحابة كما مر (وفيه) اى فى حديث تعليمه ايضا (وعلى ازواجه وآله) فهذا ونحوه يدل على الصلاة على غير الانبياء جائز الا ان هذا بطريق التبعية والخلاف فى الصلاة على غيره استقلالا وحينئذ ماذكر لاينافى ما قاله مالك ولايتجه ماقاله يحيى بن يحيى وفى بعض النسخ زيادة وهى (ووجدت معلقا) اى مكتوبا فى بعض الكتب وقيل التعليق هنا ما اصطلح عليه المحدثون

من ذكر حديث طوى سنده او بعضه وقوله وجدت فى الاجارة وهى فى اصطلاح المحدثين ان يجد حديثا بخط من يعرفه سواء عاصره ام لا مسندا فيرويه عنه (عن ابى عمران الفاسى) هو موسى بن عيسى الغفجومى بفتح الغين المعجمة وسكون المثلثة وجيم مضمومة وواو وميم وياء نسبة لقبيلة من البربر والفاسى نسبة لفاس بلدة بالمغرب وقوله فى القاموس انه بهمزة لا اصل له وابو عمران فقيه المغرب توفى سنة ثلاثين واربعمائة فى ثالث عشر شهر رمضان (روى عن ابن عباس كراهة الصلاة على غير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) نبيا اوغيره (قال) ابو عمران (وبه نقول) اى نعتقده ونعمل به (ولم تكن) الصلاة على غير نبينا استقلالا (تستعمل فيما مضى) من عصر الصحابة ومن بعدهم وهو غير مسلم كما تقدم (وقد روى عبد الرزاق) وهو امام الحديث ابو بكر بن همام بن نافع الحميرى وله تصانيف جليلة وروى احمد وغيره وتوفى سنة احدى عشر ومائتين (عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صلوا على انبياء الله ورسله فان الله بعثهم كما بعثنى) تعليل للصلاة عليهم بانهم ساووه فى اصل البعثة وينبغى ان يصلى عليهم كما صلى عليه وهذا الحديث رواه احمد والطبرانى والقاضى اسمعيل والتيمى فى الترغيب وغيرهم بسند صحيح (والاسانيد عن ابن عباس) الواردة فى منع الصلاة على غيره صلى الله تعالى عليه وسلم (لينة) اى ليست بقوية فلا تعارض ماروى عنه وعن غيره من طرق متعددة باسانيد صحيحة قوية وهذا اصطلاح المحدثين يقال فلان لين الحديث وسند لين اذا كان لا يصلح للاحتجاج به واللين غير الضعيف لكنه يقرب منه وقيل ان رجاله رجال الصحيح فليس بلين فتأمله ثم رده بوجه آخر مقبول فقال (والصلاة) معناها التى وضعت له (فى لسان العرب) اى فى لغتهم واللسان اسم للجارحة التى هى آلة النطق تجوز بها عما ذكر كما قال الله تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه (بمعنى الترحم والدعاء) بالرحمة (وذلك) اى الدعاء بالرحمة (على الاطلاق) اى لا يجوز مطلقا على نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى غيره وليس قوله وذلك اشارة الى قول يحيى لابأس بها على الانبياء وغيرهم كما قيل (حتى يمنع منه حديث صحيح او اجماع) لان الاصل ان كل لفظ وضع لمعنى يجوز اطلاقه على ماوجد فيه ذلك المعنى الا ان هذا غير مسلم لانه لم يوضع لمطلق الدعاء بالرحمة بل هو مقيد بنوع من التعظيم يليق بمقام النبوة ثم انه اورد دليلا اقوى من هذا فقال (وقد قال الله تعالى هو الذى يصلى عليكم وملائكته) وفى هذه الآية دليل على انه يجوز الصلاة على كل مؤمن فضلا من الانبياء لان سبب نزولها انه لما نزل عليه ان الله وملائكته يصلون على النبى قال الصحابة هذا لك يا رسول الله خاصة وليس لنا فيه شئ فانزل الله هذه الآية وصلاة الله رحمته وصلاة الملائكة الدعاء والاستغفار

لسائر المؤمنين (وقال الله تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها) لانه اكد وصل عليهم ان صلواتك سكن لهم فامره بالدعاء بلفظ الصلاة لمن ادى الصدقة فكان يقول اللهم صل على آل ابى اوفى وفى دعائه بذلك دليل على جوازه مطلقا وتطهيرهم بمغفرة ذنوبهم وسكنهم باطمئنان قلوبهم (وقال الله تعالى اولئك) الاشارة لمن صبر من المؤمنين عند المصيبة (عليهم صلوات من ربهم ورحمة) وعطف الرحمة عطف تفسير وان قلنا انها اعم لانه يجوز التفسير بالاعم المقصود منه فلا يرد عليه ان العطف يقتضى المغايرة لان الصلاة رحمة مشتملة على تعظيم وتكريم (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه الشيخان (اللهم صل على آل ابى اوفى) وهذا الحديث روى عن عبد الله بن ابى اوفى وتتمته (كان اذا اتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صل على آل فلان) فاتاه بصدقته فقال اللهم صل على آل ابى اوفى والصدقة هنا الزكاة وان كانت عامة ومعنى صل عليهم ارحمهم وطهرهم وزك اموالهم التى بذلوا زكاتها وآله اهله واتباعه وقيل المراد نفسه وذاته كما فى قوله مزمارا فى مزامير آل داود اى مزامير داود وابو اوفى علقمة بن خالد ابن الحارث الاسلمى الصحابى وهو آخر من مات من الصحابة بالكوفة سنة سبع وثمانين وابنه صحابى ايضا شهد مع ابيه بيعة الرضوان وهذا الحديث من اقوى ما استدل به على جواز الصلاة على غير الانبياء استقلالا (وفى حديث الصلاة) عليه صلى الله تعالى عليه وسلم فى التشهد وقد تقدم بيانه وبيان سنده وطرقه مفصلا (اللهم صل على محمد وعلى ازواجه وذريته) وهم نسله واولاده كما تقدم (وفى حديث آخر) روى فى صلاة التشهد (وعلى آل محمد) وفسر الاول بقوله (قيل) آله (اتباعه) جمع تابع او تبيع وهو من يقفو اثره ويلحقه وخص عرفا بمن يخصه من الاهل والخدم (وقيل امته) والمراد امة الاجابة وهم كل من آمن به وامة الدعوة اعم منهم (وقيل) هم (الاتباع والرهط والعشيرة) الرهط القبيلة مطلقا وهو فى الاصل مادون العشرة ثم عم والعشيرة بنو ابيه الادنون وقبيلته (وقيل آل الرجل ولده) اى نسله مطلقا (وقيل قومه وقيل اهله الذين حرمت عليهم الصدقة) لانها اوساخ الناس فلا تليق بهم وقد طهرهم الله تعالى وهم بنو هاشم والمطلب الذين لهم سهم من خمس الخمس يكفيهم (وفى رواية انس سئل النبى صلى الله عليه وسلم من آل محمد فقال كل تقى) وهذا حديث صحيح روى من طرق رواه الطبرانى والديلمى وشيبان وغيرهم وهذا معنى مجازى كقوله سلمان منا آل البيت لان الله طهر اهل البيت ووعدهم بمغفرة ذنوبهم فاطلق على كل تقى اكرمه الله تعالى وغفر سيئاته وهذا معروف فى لسانهم كما قيل رب اخ لى لم تلده امى (ويجئ على مذهب الحسن) البصرى رضى الله عنه والضمير المستتر فى يجئ للاول اى عنده ان الآل معناه الذات والنفس فيقال آل فلان بمعنى

ذات وغيره من النحاة واللغويين يجعله فى مثله زائدا مقحما والزيادة فى الاسماء خلاف ماعهد من كلامهم وان امكن حمل كلامه عليه الاان ابن حبيب نقل عن محمد بن سلام ان الحسن قال ذلك وروى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال ارض يقال لها البصرة اقوم الارضين قبلة قارئها اقرأ الناس وعابدها اعبد الناس ومتصدقها اعظم الناس صدقة وتجارها اعظم الناس تجارة منها قرية يقال لها الابلة اربعة فراسخ يستشهد عند مسجدها تسعون الف شهيد من افضل الشهداء قلت وعلماؤها اقوالهم فى العربية مقدمة على غيرها لمدحه صلى الله تعالى عليه وسلم لها (ان المراد بآل محمد) الوارد فى الصلاة (محمد نفسه) كما بيناه (فانه كان يقول فى صلاته على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) فى التشهد (اللهم اجعل صلواتك وبركاتك على آل احمد يريد نفسه لانه كان لايخل) بضم الياء وكسر الخاء المعجمة وتشديد اللام اى لايترك والخلل بمعنى الترك والنقص (والفرض) يعنى به الصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (ويأتى بالنفل) يعنى به الصلوة على النبى صلى الله عليه وسلم واعترض عليه بما تقدم من ان الصلاة عليه فى التشهد ليست بفرض الا عند الشافعى وعنده انه شذ فيه ولم يوافق غيره فيه (لان الفرض الذى امر الله به) فى آية صلوا عليه وسلموا تسليما (هو الصلوة على محمد نفسه) لا على آله كما ذهب اليه الشافعى وموافقة الحسن له تنافى الشذوذ الذى ذكره وشنع به عليه والجواب عنه ان مراده بالفرض مالابد منه لمن اراد الصلاة فانه يلزمه ان يذكر ولايتركه مقتصرا على غيره او يقول انه مذهب الحسن وموافقة واحد لاتنافى الشذوذ عنده (وهذا) اى ذكر الآل وارادة الذات (مثل قوله) صلى الله عليه وسلم فى حق ابى موسى الاشعرى لما سمعه يتلو القرآن بصوت حسن كما رواه الشيخان عنه (لقد اوتى) اى والله لقد اتى الله اباموسى (مزمارا) من مزامير آل داود (يريد) رسول الله صلى الله عليه وسلم (من مزامير داود) نبى الله قاله بمعنى نفسه كما فى صلاة الحسن وقد تقدم بيانه والمزامير جمع مزمار بكسر الميم وهو اسم آلة ويقال مزمور ايضا والزمر النفخ فى المزمار والصوت الحسن بغير آلة لان اصل معنى الزمر الحسن كما قال الشاعر

* رنان حنان بينهما * رجل اجش غناؤه زمر *

اى حسن كما قاله ابن الانبارى فزامير داود بمعنى ترنماته لانه كان له الآلة المعروفة والمنقول انها له نفسه لا الآلة وكان لحسن صوته اذا قرأ بتلاحينه الزبور وادعيته تقف له الطيور والدواب حتى قيل ان الماء الجارى يقف له وهو مبالغة فى نهاية حسنه واول هذا الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم مر هو وعايشة رضى الله تعالى عنها على بيته وهو يقرأ القرآن ليلة فوقفا يستمعان له وكان من احسن الناس صوتا فلما اصبح اخبره صلى الله تعالى عليه وسلم باذصاته له وقال له

لقد اوتيت مزمارا من مزامير آل داود فقال لو علمت بذلك لحبرته تحبيرا اى لزدت فى تحسين صوتى لاستماعك لى (وفى حديث ابى حميد) بالتصغير (الساعدى) وهو ابو عبد الرحمن ابن عمرو بن سعد الخزرجى كما تقدم الذى رواه (فى الصلاة) عليه صلى الله عليه وسلم فى التشهد (اللهم صل على محمد وازواجه وذريته) وهو يدل على جواز الصلاة على غير الانبياء لكن تبعا لهم (وفى حديث ابن عمر انه) اى ابن عمر (كان يصلى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى ابى بكر وعمر ذكره مالك فى الموطأ من رواية ابن يحيى الاندلسى) عن مالك وانما قيده بالاندلسى لان الموطأ رواه عن مالك اثنان كل منهما يسمى يحيى بن يحيى احدهما يحيى بن يحيى بن كثير الاندلسى الليثى مات سنة اربع وثلاثين ومائتين والاخرى ابوزكريا يحيى بن يحيى ابن بكر بن عبد الرحمن التميمى النيسابورى توفى سنة ست وعشرين ومائتين وله رواية فى الصحيحين كما قاله السيوطى فى مناقب مالك وتقدم ضبط الاندلسى بفتح الهمزة والدال وضمها والصحيح رواية غيره ويدعو لابى بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما كما سيذكره المصنف رحمه الله تعالى (وروى ابن وهب عن انس بن مالك كنا ندعوا لاصحابنا بالغيب) حال اى فى غيبتهم عنا وعدم حضورهم معنا (فنقول فى دعائنا اللهم اجعل منك على فلان صلوات قوم ابرار الذين يقومون بالليل) للتهجد والعبادة (ويصومون بالنهار) ففى هذا دليل على جواز الصلاة على غير الانبياء استقلالا وقوله الذين بدل من قوم مفسر له (والذى ذهب اليه المحققون واميل اليه) اى ارجحه واعتقد صحته والميل فى الاجسام معروف وشاع فى المحبة والمصنف رحمه الله تعالى يجوز به عما قلناه (ماقاله مالك) بن انس امام اهل الحديث (وسفيان) الثورى (وروى عن ابن عباس واختاره غير واحد) اى كثير من الفقهاء (والمتكلمين) اى اهل علم الكلام لان منهم من ذكرها فى السمعيات كمسائل الامامة (انه) بفتح الهمزة بدل مما (لايصلى على غير الانبياء) بانفراده ولا (عند ذكرهم) اى ذكر الانبياء والصلوة عليهم فلايصلى على غيرهم تبعا والصحيح جوازه تبعا وعود ضمير ذكر لغير يأباه قوله (بل هو) اى المذكور وهو الصلاة او ذكر رعاية للخبر (شئ يختص به الانبياء) لايشاركه فيه غيرهم مطلقا وقيل لايشاركهم فى الانفراد به وفيه نظر (توقيرا لهم وتعزيرا) اى تعظيما وتبجيلا بجعله شعارا لهم (كما يخص الله تعالى بالتنزيه) اراد به قوله سبحانه وتعالى فان معناه انزهه والانبياء منزهون عن النقايص ولكن لايجوز ان يقال فى حقهم ذلك (والتقديس) باطلاق قدس وقدوس ونحوه وهو بمعنى التطهير (والتعظيم) المخصوص به نحو جل جلاله وعز وجل فتعريفه للعهد وليس المراد بهذه المادة لعدم صحته (ولايشاركه) اى يشارك الله (فيه) اى فيما ذكر من التنزيه ومابعده (غيره) من شئ وغيره (كذلك يجب تخصيص النبى

صلى الله تعالى عليه وسلم وسائر الانبياء بالصلاة والتسليم) اى بهمامعا (ولايشارك فيه) اى الصلاة والتسليم (سواهم) من غير الانبياء (كما امر الله بقوله صلوا عليه وسلموا تسليما) ويشارك مبنى للفاعل او المفعول هنا وقوله بيان لماذكر لادليل لماذكره لانه ليس فيه الصلاة على غيره ولامنعها عما عداهم لان التخصيص بالذكر لايفيده ثم بين كيفية الدعاء لغيرهم فقال (ويذكر من سواهم) اى سوى الانبياء والرسل فى الدعاء لهم (من الائمة) اى ائمة الدين او الخلفاء (وغيرهم) من سائر العلماء والمؤمنين (بالغفران والرضاء) فيقال غفر الله تعالى لهم ورضى عنهم (كما قال الله تعالى ربنا اغفرلنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان وقال الله تعالى) والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار (والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم) فيدعى بذلك من المغفرة والرحمة والرضى لسائر المؤمنين والصحابة وماقيل انه لايدعى للصحابة الا برضى الله تعالى عنهم فهو امر احسن للادب وليس بلازم فلوقال رحمه الله تعالى اوغفرله كان حسنا الااذااوهم وقوع ذنب ونحوه ومن لايعلم نبوته كريم ولقمان والخضر لايصلى عليهم وقال النووى لابأس به والارجح ان يقال رضى الله تعالى عنهم وقال امام الحرمين فى الارشاد مريم ليست نبية بالاجماع مردود بذهاب بعضهم لنبوتها ورجحه ابن السيد قيل فى الاستدلال بماذكر نظر فان قولهم رضى الله تعالى عنهم واعدهم جنات النعيم ولايلزمه جواز الدعاء كما ان اخبار الله بالصلاة على المؤمنين بمعنى رحمهم لايدل على جواز الصلاة عليهم وهو مردود بان من رضى عنه يدعى له بزيادة رضوانه ولامانع منه وقياسه على الصلاة قياس مع الفارق (وايضا) اى الصلاة عليهم (فهو امر لم يكن معروفا فى الصدر الاول) اى عصر الصحابة ومن قرب منهم والفاء فى جواب شرط مقدر فان اردت دليلا اوضح مما ذكر فهو الى آخره وفيه بحث سيأتى فى آخر هذا الفصل (كما قال ابو عمران موسى بن عيسى الفاسى فقيه القيروان كما تقدم قريبا (وانما احدثه الرافضة والشيعة) هما طائفتان من اهل البدع والاهواء المخالفين لاهل السنة والرافضة قيل انهم فرقة من الشيعة وكلاهما ممن اتفق على تفضيل على وان الخلافة حقه وسموا رافضة من الرفض وهو الترك لانهم رفضوا زين العابدين بن على بن الحسين لما طلبوا منه ان يتبرأ من الشيخين وان يقول امامتهما باطلة فابى وقال ان الخلافة فوضت لابى بكر لمصلحة رأوها من تسكين نائرة الفتنة وتطييب قلوب العامة فتركوه حتى قتل وصلب وليست الشيعة قوما اظهروا بغض على كما توهم واصل معنى الشيعة الجماعة مطلقا ثم خص بهؤلاء والذى احدثه هؤلاء انما هو الصلاة على على وحده فتركوا ذلك لكونه شعارهم وطردوه فى سائر الصحابة حسما لمادة المخالفة فسقط ماقيل ان الكلام فى الصلاة على غير الانبياء مطلقا والشيعة انما يصلون على

على فقط فلامناسبة لماهو بصدده والرافضة اسم جمع لرافضى والمتشيعة اسم جمع لمتشيع من تشيع اذا عد نفسه من الشيعة وفى نسخة الشيعة بدل المتشيعة (فى بعض الائمة) المراد على واولاده وفى نسخة فى بعض ائمتهم (فشاركوهم عند الذكر لهم بالصلاة) عليهم بانفراده وان لم يكونوا اتباعا له صلى الله عليه وسلم (وساووهم بالنبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك) اى فى قولهم فى الدعاء لكل واحد منهم صلى الله عليه وسلم لاعتقادهم عصمتهم وان الامامة العظمى لهم كالنبى صلى الله عليه وسلم فصلوا عليهم استقلالا كما صلوا عليه (وايضا) مما يدل على عدم الصلاة على غير الانبياء (فان التشبه باهل البدع) المراد بهم اصحاب المذاهب الباطلة (منهى عنه) شرعا (فتجب مخالفتهم فيما التزموه من ذلك) اى الصلاة على غيره صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه ان ذلك غير واجب عند من لم يمنعه فتأمله ثم اجاب عما ورد منه بقوله (وذكر الصلاة على الآل والازواج مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بحكم التبع) والكلام فى ذكره مستقلا فلا يرد هذا نقضا عليه (والاضافة اليه) صلى الله تعالى عليه وسلم اى انما ذكر الصلاة بعد ذكر الصلاة عليه وتعظيمهم بذلك انما هو لكونهم من اتباعه فتعظيمهم تعظيم له فى الحقيقة (لا على التخصيص) لهم بذلك (قالوا) اى جمهور العلماء الذاهبين لمنع الصلاة على غيره بانفراده مجيبين كما استدل به من خالفهم (وصلاة النبى على من صلى عليه) بانفراده كقوله اللهم صل على آل ابى اوفى كما تقدم (مجراها مجرى الدعاء) بضم الميم وفتحها فيهما الجرى المر سريعا والمجرى محل الجرى والاجر وجريه فى مجراه جعله مثله ومن نوعه اى المقصود بها الدعاء بالرحمة لهم (والمواجهة) لهم بالدعاء لهم بان يرحمهم تعطفا عليهم وجبرا لقلوبهم فهى كالسلام يقال تحية لكل احد تواجهه ولايقال فلان عليه السلام دون مواجهة لانه فى المواجهة يقصد به مجرد معناه الحقيقى وفى ذكره فى الغيبة زيادة توقير لايليق لكل احد كما قال (وليس فيها) فى المواجهة (معنى التعظيم والتوقير) الذى فى الغيبة فانه من خصائص مقام النبوة وهذا مما دل عليه الاستعمال وعرف التخاطب ويدرك بالذوق ومن لم يذق لم يعرف (وقالوا) تأييدا لماذكر من الفرق بين المواجهة وغيرها بقوله (وقد قال الله تعالى لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) والدعاء وقوله بينكم خصه بالمواجهة لاينادوه باسمه كما ينادى بعضكم بعضا فلا يقال يا محمد بل يارسول الله ونحوه فاذا كان له شان يخصه فيها يطلق عليه مواجهة ليس لغيره فكذا الدعاء له بغير مواجهة ينبغى ان يكون بغاية التعظيم والتوقير اللائق به دون غيره فلا خص بالصلاة المقصود بها التعظيم والتوقير فسقط ماقيل من انه ليس فى هذه الآية مناسبة لمقصوده وماهو بسببه (فكذلك) اى مثل مايجب له فى الدعاء مواجهة (يجب ان يكون الدعاء له)

فى غير حالة المواجهة (بخلاف دعاء الناس بعضهم لبعض) فلذا خص بالصلاة عليه التى قصد بها التوقير وغاية التعظيم (وهذا) اى اختصاصه بالصلاة استقلالا وفى نسخة وهو (اختيار الامام ابى المظفر الاسفراينى من شيوخنا) اى من كبار علماء اهل السنة بقرينة مقابلة ازا فضة واسفرائن بلدة بخراسان معروفة وابو المظفر كنية طاهر بن احمد وهو الملقب بشاه كما تقدم (وبه قال ابو عمر بن عبد البر) واعلم ان التصلية والتسليم على نبينا صلى الله عليه وسلم مطلوب به امرنا بالتعبد بها فهى واجبة له على الاختلاف فى محل الوجوب كما تقدم والصلاة على غيره من الانبياء عليهم الصلوة والسلام استقلالا مستحبة وما نقل عن مالك انها منهى عنها مخالف للقول الصحيح فقال القرطبى انه مجمع عليه والصلوة على غير الانبياء تبعا لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم مستحبة ايضا كما فى التشهد فلا عبرة بمن خالف فيه ايضا فلم يبق محل الخلاف غير الصلاة على غير الانبياء بانفرادهم فالصحيح انه مكروه وان كراهته كراهة تنزيه لا تحريم لانه اختص به صلى الله تعالى عليه وسلم كما اختص عز وجل بالله تعالى فلا يقال محمد عز وجل وان كان عزيزا جليلا هذا هو الصحيح فلا يعتد بخلافه وقد قيل ان السلام مثل الصلوة مخصوص بالانبياء ايضا فلا يقال على غيره عليه السلام كما صرح به الفقهاء فهو مكروه تنزيها

﴿ فصل فى حكم زيارة قبره ﴾ صلى الله عليه وسلم اى ذكر ما يتعلق به من سننه وآدابه وما يلزم من اتاه والزيارة مصدر زاره يزوره زيارة ومزارا والمزار مصدر واسم مكان ايضا والزيارة تختص بمجئ بعض الاحياء لبعض مودة ومحبة هذا اصل معناه لغة واستعمالها فى القبور للاموات لاعطائهم حكم الاحياء وصار حقيقة عرفية فيه لشيوعه فيها (وفضيلة من زاره) بالجر عطفا على الحكم او على ما اضيف اليه والضمير له صلى الله تعالى عليه وسلم او للقبر وفضيلته ما يستحقه من الثناء والثواب (وكيف يسلم) من زاره صلى الله تعالى عليه وسلم اى ما يقوله ويفعله عند الزيارة (ويدعوله) اى وكيف يدعوله عند زيارته بما يليق بمقامه (وزيارة قبره سنة) مأثورة مستحبة (مجمع عليها) اى على كونها سنة ولا عبرة بمن خالف فيها من تيمية كما سيأتى بيانه (وفضيلة مرغب فيها) بصيغة المفعول مشددة اى رغب السلف فيها وحثوا عليها وزيارة القبور اما لتذكر بها الموت ويتعظ وهذا يجرى فى جميعها او للدعاء لاهلها المسلمين كما زار صلى الله تعالى عليه وسلم اهل البقيع وهذا مستحب او للتبرك بمن فيها من الانبياء والصالحين فينتفع بزيارتهم فذهب بعض المالكية الى انه مخصوص بالانبياء وانه فى غيرهم بدعة واما فى الانبياء فهى مشروعة وتوقف فيه السبكى وقد يقصد بالزيارة برهم واكرامهم كزيارة قبر الوالدين ومن عليه حق لاكرامه فان الميت يكرم كالحى وقد يقصد بالزيارة تأنيس الميت ورحمته وهو مستحب ايضا لما روى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ان

ان الميت

الميت آنس ما يكون اذا زاره من كان يحبه فى دار الدنيا وزيارته صلى الله عليه وسلم جامعة لهذه المعانى كلها فلذا كانت سنة وان كان غنيا عن الدنيا وما عدا ذلك بدعة كتقبيل القبور وغيره مما يفعله العوام (روى عن ابن عمر) رواه ابن خزيمة والبزار والطبرانى والذهبى وحسنه وله طرق وشواهد تعضده والطعن فى روايه يردوه كما بينه السبكى واطال فيه وقول البيهقى انه منكر يجاب عنه بان معناه انه انفرد به رواته والفرد قد يطلق عليه ذلك كما قاله احمد فى حديث دعاء الاستخارة مع انه فى الصحيحين وقول الذهبى طرقه كلها لينة تقوى بعضها بعضا لا ينافيه لان غايته انه بتسليم ذلك حسن وهو يطلق عليه الصحة كما سبق فى محله وفى نسخة هنا (حدثنا القاضى ابو على) تقدمت ترجمته (قال حدثنا ابو الفضل بن خيروز) تقدم ايضا (قال حدثنا الحسين) بن جعفر (قال حدثنا ابو الحسين) على بن عمر الدارقطنى المشهور كارعلى علم (قال حدثنا القاضى المحاملى قال حدثنا محمد بن عبد الرزاق قال حدثنا موسى بن هلال عن عبد الله) بن عمر عن نافع (عن ابن عمر) رضى الله تعالى عنهما فذكره (انه قال قال من زار قبرى وجبت له شفاعتى) اى سوأل الله له ان يتجاوز عنه مكافاة له ومعنى وجبت تحققت وثبتت فهى ثابتة له بالوعد الصادق لابد منها وليس المراد به الوجوب الشرعى وروى حلت له شفاعتى والمراد انه يخصه بشفاعة ليست لغيره واضافته لنفسه للتنويه به والتعظيم قال شيخ والدى الشيخ شهاب الدين احمد بن حجر الهيثمى وافاد قوله مع عموم شفاعته له ولغيره انه يخص بشفاعة تناسب عظيم عمله اما بزيادة النعيم واما بتخفيف الاهوال عنه فى ذلك اليوم واما بكونه من الذين يحشرون بلا حساب واما برفع درجات فى الجنة واما بزيادة شهود الحق والنظر اليه واما بغير ذلك مما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر هذا كله ان اريد انه يخص بشفاعة لا تحصل لغيره والا فيراد للتشريف والتنويه ليست الزيارة وان يراد انه ببركتها يجب دخوله فيمن تناله الشفاعة فهو بشرط كونه مسلما فيجرى على عمومه ولا يضر فيه شرط الوفاة على الاسلام والا لم يكن لذكر الزيادة يعنى لان الاسلام وحده كاف فى نيل مثل هذه الشفاعة بخلافه على الاولين وافادة اضافة الشفاعة له صلى الله عليه وسلم انها شفاعة عظيمة جليلة اذ هى تعظم تعظم الشافع ولا اعظم منه صلى الله تعالى عليه وسلم ولا اعظم من شفاعته ثم اشار الى هذا الثواب العظيم وهو الفوز بتلك الشفاعة العظيمة منه صلى الله تعالى عليه وسلم لا تحصل الا لمن اخلص وجهته فيها بان لا يقصد بها او معها اجرا آخر ينافيها بقوله (وعن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من زار قبرى فى المدينة محتسبا) اى ناويا بزيارته وجه الله تعالى من غير غرض مخلصا فى نيته وقصدا اكرامه لا يرى غيره والاحتساب افتعال من الحساب معناه الاعتداد والاسم منه الحسبة وعن عمر ايها الناس احتسبوا

اعمالكم فان من احتسب عمله كان له اجر عمله واجر حسبته فالمراد ان يقصد بالزيارة
اكرامه ويفوض اجره فيه الى الله تعالى (كان فى جوارى) اى له منزلة رفيعة فى
الآخرة او المراد انه يكون فى امانه وعهده فلا يناله مكروه اصلا والجوار مصدر بكسر
الجيم وضمها والكسر افصح (وكنت له شفيعا يوم القيمة) المراد به شفاعة خاصة
لا الشفاعة العامة وان له شفعات كما تقدم وقوله فى المدينة اعلام بانه يموت بالمدينة
ويدفن بها فهو من اخباره بالمغيبات وان كان لا تدرى نفس باى ارض تموت
(وفى حديث آخر) رواه البيهقى والدارقطنى والطبرانى وسعيد بن منصور عن ابن
عمر (من زارنى بعد موتى فكانما زارنى فى حياتى) لانه حى فى قبره يدرى بمن يزوره
ويرد سلامه كما تقدم وروى هذا بلفظه من طرق كثيرة (وكره مالك ان يقول زرنا
قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) هكذا روى عنه (واختلف فى) معنى (ذلك)
وما زاده مالك لانه خلاف المعروف (فقيل كراهة للاسم) اى اسم الزيارة واطلاقها
(لما ورد من قوله) صلى الله تعالى عليه وسلم (لعن الله زوارات القبور) فلعنهن
من حيث انهن زائرات يقتضى ذم الزيارة وهذا رواه احمد والترمذى وابن حبان
عن ابى هريرة (وهذا يرده قوله) صلى الله تعالى عليه وسلم (نهيتم) بالبناء للمجهول
والرواية (كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها) فهذا ناسخ له لانه امر
بعد نهى هذا الدليل وجوابه اوهن من بيت العنكبوت لان الاول فى حق النساء
المكثرين للزيارة وهذا له مطلق زيارة الرجال ودخول النساء تغليبا لا يسلمه المعترض
ولكن عهدته على قائله لا على المصنف رحمه الله فانه ناقل غير مرتض لما نقله وقيل
ان الحديث الاول بزوارات القبور المتخذات عليها مساجد وسرجا كما ورد مصرحا به
فى حديث رواه ابوداود والترمذى وحسنه فليس بمنسوخ والحديثان مرويان
فى السنن من طرق صحيحة ولما كان هذا فى غير ما يجئ فيه من اطلاق الزيارة على قبره
اورد ما يدل عليه ايضا فقال (وقوله) صلى الله عليه وسلم فى الحديث الذى تقدم
روايته عن ابن عمر (من زار قبرى فقد اطلق الزيارة) فدل على ان الكراهة التى
رويت عن مالك ليست لهذا كما يتوهم (وقيل) وجه كراهته (لان ذلك لما قيل ان الزائر
افضل من المزور) هو من يزار ولا يقال فيه مزار بضم الميم وقول العامة فى قبضة المزار
خطأ قبيح (وهذا ايضا) كالذى قبله (ليس بشئ) يعتد به بل عكسه اقرب الى
الصواب منه (اذ ليس كل زائر بهذه الصفة) وهى الافضلية فقد يكون مساويا
وادنى منه (وليس عموما) فى كل زائر (وقد ورد فى حديث اهل الجنة زيارتهم
ربهم) فى الجنة وهم عبيده لا مناسبة بينهم وبينه فى العظمة فكيف يتوهم هذا
(ولم يمنع) اطلاق (هذا اللفظ فى حقه تعالى) ولو كان كذلك لم يجز وحديث الزيارة
روى على وجوه منها ما رواه ابونعيم عن على اذا سكن اهل الجنة الجنة اتاهم ملك

يقول ان الله تعالى يأمركم ان تزوروه فيجتمعون ثم توضع لهم مائدة الحديث (والاولى)
فى وجه الكراهة (والذى عندى) اى فى اعتقادى وحكمى فى توجيه الكراهة
عنده (ان منعه) من اطلاق الزيارة على قبره (و) وجه (كراهة مالك له) اى
لقولهم زرنا قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (الاضافة) اى نسبة الزيارة (الى قبر
النبى) صلى الله تعالى عليه وسلم بايقاعها عليه فليست الاضافة هنا نحوية بل هى
عرفية وذلك بذكر القبر وجعله مزورا (وانه لو قال) كل قائل (زرنا النبى) صلى الله
تعالى عليه وسلم بدون ذكر القبر (ولم يكرهه) اى على ما يأتى قيل وهو مناف
لما قدمه من حديث ابن عمر من زار قبرى وجبت له شفاعتى الا ان يقول انه ضعيف
وان الصحيح حديث انس من زارنى بدون ذكر القبر الا انه غير مسلم لان عبد الحق
رواه فى احكام القرآن ولم يتعقبه (لقوله صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل قبرى وثنا)
اى كالوثن وهو الصنم من الحجارة والفرق بين الوثن والصنم فقيل الاول ما كان
مجسما من حجارة والثانى ما كان صورة غير مجسمة وقيل هما بمعنى فيطلقان عليهما
وهو المشهور (يعبد بعدى) اى بعد وضعى فيه (اشتد غضب الله على قوم اتخذوا
قبورا نبيائهم مساجد) اى يسجدون لها كما يسجدون للاوثان قال الشراح هنا
كالنصارى وهو مشكل لان نبى النصارى عيسى ولا قبر له فانه رفع الى السماء اللهم الا ان
يقال انه تغليب اى قبور كبارهم ممن يعتقدونه ويعظمونه الا انه بعيد جدا فلا حاجة لتفسير
الحديث هنا بهذا نعم وقع فى حديث آخر لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور
انبيائهم مساجد وهذا يشكل عليه ما ذكرناه ويحتاج الى الجواب بما قلناه والمصنف
لم يورده هنا فلا حاجة الى الكلام عليه ولم يعلم ان هذا الحديث هو الذى دعا ابن تيمية
ومن تبعه كابن القيم الى مقالته الشنيعة التى كفروه بها وصنف فيها السبكى مصنفا
مستقلا وهى منعه من زيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم وشد الرحال اليه وهو كما قيل

* لمهبط الوحى حقا ترحل النجب * وعند هذا المرجى ينتهى الطلب *

فتوهم انه حمى جانب التوحيد بخرافات لا ينبغى ذكرها فانها لا تصدر عن عاقل
فضلا عن فاضل سامحه الله تعالى عز وجل ومعنى قوله مساجد انهم يسجدون لها
كما يسجدون للاذقان (فحمى) اى صان مالك رحمه الله واما قوله
صلى الله تعالى عليه وسلم (اضافة هذا اللفظ) اى لفظ الزيارة اضافة معنوية
(الى القبر) يعنى قبره صلى الله تعالى عليه وسلم (والتشبيه بفعل اولئك) الكفرة الذين
اتخذوا قبور الانبياء مواطن للسجود (قطعا للذريعة وحسما) اى قطعا وسدا
(للباب) اى باب الذريعة وهذا مبنى على سد الذرائع التى هى من قواعد مذهب مالك
وقد قدمنا تحقيقه (والله تعالى اعلم) بمراد مالك فيما قاله وهذا كما قيل انه مما يتعجب
منه لانه لا تشبيه فيه بوجه من الوجوه اصلا بفعل اولئك فالظاهر انه لم يصح عنه

هذه وانما المروى عنه كما وقع هذا فى بعض النسخ (وهو كما قال ابو عمران) موسى بن عيسى الفاسى فقيه القيروان وقد تقدمت ترجمته (وانما كره ان يقول طواف الزيارة) الذى يكون بعد رمى الجمار فقال انما يقال له طواف الافاضة وطواف الصدر لانه لامعنى للزيارة هنا عنده وان خالفه فى اطلاقه غيره فالتبس عليهم كراهة اطلاق الزيارة فى كلام مالك وفى نسخة بدل هذه النسخة قبل قوله والذى عندى الى آخره وقال ابو عمران انما كره مالك ان يقال طواف الزيارة وزرنا قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لاستعمال الناس بينهم بعضهم لبعض ذكره لتنويه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مع الناس بهذا اللفظ وان خص بان يقال سلمنا على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وايضا فان الزيارة مباحة بين الناس وواجب شد المطى الى قبره صلى الله تعالى عليه وسلم يريد بالوجوب هنا وجوب ندب وترغيب وتأكيد تنبيه ما ادعى المصنف رحمه الله تعالى انه الاولى لاوجه له رواية ودراية فقد ورد اطلاق الزيارة لقبره فى احاديث كثيرة منها مارواه ابن عمر انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال من حج فزار قبرى بعد موتى كان كمن زارنى فى حياتى وصحبنى الا ان قوله وصحبنى تفرد به بعض رواته كما قاله ابن عساكر وقال ابن حجر انها زيارة منكرة ورد بان له متابعات ولبس التشبيه من كل الوجوه فلا ينافى خبر لو انفق احدكم مثل احد ذهبا الحديث المتقدم وروى ايضا فى معناه احاديث كثيرة قال السبكى كانها لم تبلغه مع انه روى منه ايضا كراهة ان يقال زرنا النبى لانه اعظم من ان يزار ولانه اشتهر فى الموتى وهو حى فى مرقده وقيل كراهته لان الذهاب لبس لصلته ونفعه وانما هو رغبة فى الثواب قال السبكى وهو الاقرب فى توجيه كلام مالك وان كان المختار الصحيح انه لا يكره شئ من ذلك وقيل كرهه لان الزيارة من شاء فعلها ومن شاء تركها وهى كالواجب عنده واختاره ابن رشد انه انما كره لفظ القبر لانه حى واما قوله لاتتخذوا قبرى عيدا فقيل كره الاجتماع عنده فى يوم معين على هيئة مخصوصة وقيل المراد لاتزوروه فى العام فقط بل اكثروا من الزيارة له كما مر واما احتماله للنهى عنها فهو بفرض انه المراد محمول على حالة مخصوصة اى لا تتخذوه كالعيد فى العكوف عليه واظهار الزينة عنده وغيره مما يجتمع له فى الاعياد بل لا يؤتى الا للزيارة والسلام والدعاء ثم ينصرف (قال اسحق ابن ابراهيم الفقيه ومما لم يزل من شان من حج) اى انه استمر عادة السلف اذا حجوا ان يأتوا (المزور) قيل انه بكسر الميم وسكون الزاى المعجمة وفتح الواو مصدر ميمى بمعنى الزيارة وقوله (بالمدينة) متعلق به وهو تكلف لايخفى ولا رواية تدعو اليه والظاهر انه بضم الميم ورائين مهملتين مصدر مر اى من حج يمر بالمدينة ويقصدها ويدل عليه قوله (والقصد الى الصلاة فى مسجد رسول الله) صلى الله تعالى عليه وسلم اقتداء به فانه كان اذا قدم من سفر دخل المسجد وصلى فيه (والتبرك برؤية روضته) وهى مابين قبره (ومنبره) سميت روضة لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم فيها انها

روضة من رياض الجنة (وقبره) وكيفية التبرك به ستأتى (ومجلسه) اى موضع جلوسه فى الروضة المأثور (وملامس يديه) اى المحال التى لامسها يده فى سجوده فيها (ومواطن قدميه والعمود الذى استند اليه) باسناد ظهره الشريف اليه فى جلوسه (وينزل جبريل بالوحى فيه عليه) وكان مراده انه يقصد التبرك بمسجده لانه كان محلا لما ذكر وان لم يكن ذلك مبنيا الان فان نقل تعيين شئ من ذلك فعل به ذلك رزقنا الله تعالى عزوجل الفوز بالوصول الى السعادة العظمى بمشاهدة تلك المآثر والمشاهد بجاه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم (وبمن عمره) بتخفيف الميم اى سكنه واما بتشديد الميم فمن التعمير وهو بلوغ العمر بضم الميم اى مدة الحياة كما اعتمده اهل اللغة (وقصده من الصحابة وائمة المسلمين والاعتبار بذلك كله) اى الاعتناء به تعظيما وتكريما او التفكر فيهم وفى مآثرهم (وقال ابن ابى فديك) محمد بن اسمعيل بن مسلم بن ابى اوفى فديك بضم الفاء ودال مهملة وبالتصغير وكان الامام الثقة روى عنه الستة واحمد وتوفى سنة مائتين وله ترجمة فى الميزان وحديثه هذا رواه البيهقى (سمعت بعض من ادركت) يقال ادركت فلانا اذا ادركه زمانه ورآه والمراد من ادركه من العلماء والصلحاء (يقول من وقف عند قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) متوجها له (وقال) تاليا (هذه الآية ان الله وملائكته الخ ثم قال) بعد تلاوتها (صلى الله عليك يا محمد) بقولها (سبعين مرة ناداه ملك صلى الله عليك يا فلان ولم اسقط له حاجة) اى لاترد ولاتخيب شبه عدم قبولها بسقوط شئ وبسمع منه وخص السبعين لانها محل الاجابة كما قال الله تعالى * ان تستغفر لهم سبعين مرة * وقد قيل على هذا انه ينافى ماقالوه من انه لايجوز نداؤه باسمه يا احمد يا محمد فى حياته وبعد مماته لقوله تعالى لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا بل يقال يارسول الله ونحوه تعظيما وكذا لاينادى بكنيته كابى القاسم وقد تقدم وان كان هذا مأثورا عنه فيغتفر اتباعه للمأثور ولتقديم تعظيمه هنا بقوله صلى الله عليك وسلم فليتأمل وفى الدر المنظم بعد ذكره اخراج البيهقى لما ذكر عن ابن ابى فديك مانصه ولادليل فيه لجواز ندائه صلى الله تعالى عليه وسلم باسمه فقد صرح ائمتنا بحرمة ذلك ولافرق بين ان يتقدمه تعظيم له وان لا وهو ظاهر خلافا لمن بحث تخصيصه بالثانى وذلك لما فى النداء بالاسم وان تقدمه تعظيم كما هو ظاهر من ترك التعظيم اذ مثله يقع من بعضنا لبعض وماتقدمه لانظر اليه لانقضائه قال ائمتنا وانما ينادى بنحو يا نبى الله يارسول الله فقول الزين المراغى رحمه الله تعالى الاولى لمن عمل بالاثر ان يقول يارسول الله وهم بل الصواب ان ذلك واجب لا اولى انتهى (وعن يزيد ابن ابى سعيد المهرى) بفتح الميم نسبة الى مهرة قبيلة وهو محدث مشهور اخرج له مسلم رحمه الله تعالى وغيره قال (قدمت على عمر بن عبد العزيز) اى اتاه

قاصداله واجتمع به (فلما اود عته) لما اردت الانصراف من عنده (قال لى اليك حاجة) اسئلك قضاها وهى (اذا اتيت المدينة سترى قبرالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اذا زرته فاذا رأيته (فاقره منى السلام) اى بلغه سلامى وانى مسلم عليه يقال قرأعليه واقرأه السلام اذابلغه سلاما من غائب عليه وقيل لايقال اقرأه الااذا كان مكتوبا والمشهور انهما بمعنى وهو الذى يناسب الحديث الذى نحن فيه (وقال غيره) اى غير يزيد المذكور والقائل هوحاتم بن وردان كماذكره البيهقى فى شعب الايمان (وكان) اى عمر بن عبدالعزيز الخليفة المشهور الجليل القدر (يبرد) بضم اوله من ابرد بمعنى ارسل (اليه) صلى الله تعالى عليه وسلم (البريد) هوالرسل الذى يكون مستعجلا ليبلغ امر الخلفاء ونحوهم وهو فى الاصل فارسى معرب من بريدة دم اى مقطوع الذنب لانهم كانوا يضعون فى المنازل بغالا لايركبها الرسول لتبليغ الاخبار بحجل يجعلون اذنابها علامة لها ثم اطلق على الرسول وصار حقيقة فيه مطلقا (من الشام) لانها كانت مقر الخلفاء اى ترسل رسولا الى رسول الله ليبلغه سلامه و يقرءه السلام وقيل سمى الرسول بريد لانه يقطع البريد وهو اثنى عشر ميلا وصاحب البريد رجل يعد لتبليغ الاخبار واحوال البلاد والولاة واصحاب البريد قوم معدون لذلك عند هم برادين سيارة فاذا وقع امر عظيم وجههم صاحب البريد للاخبار به وكان من دأب الخلفاء انهم يرسلون السلام الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكان ابن عمر يفعله و يرسل له عليه السلام ولابى بكر وعمر ورسول الله صلى الله عليه وسلم وان كان يبلغه سلام من سلم عليه وان كان بعيدا عنه لكن فى هذا فضيلة خطابه عنده ورده السلام بنفسه كما مر الا انه قيل انه لايجب عليه تبليغه بخلاف من قال سلم لى على فلان فانه يجب عليه اداء امانته له اى ان لم يصرح له بعدم القبول كما هو ظاهر و يجب على المسلم عليه الرد بلسانه كما لو كان المسلم حاضرا وفرق بينهما بان القصد بالسلام ابتداء وردا من الاحياء التواصل وعدم التقاطع الذى يغلب وقوعه بين الاحياء وحينئذ فارسال السلام للغائب القصد به مواصلته وعدم تقاطعه واذا كان هذا هو القصد به كان تركه مع تحمله تسببا اووسيلة الى المقاطعة المحرمة اى من شانه ذلك وللوسائل حكم المقاصد واما ارسال السلام له صلى الله تعالى عليه وسلم فالقصد به الاستمداد منه وعود البركة على المسلم فتركه ليس فيه الاعدم اكتساب فضيلة للغير فالتبليغ سنة لاواجب ولايقال تفويته الفضائل على الغير حرام لانا نقول فرق واضح بين عدم اكتساب الفضيلة للغير وتفويت الفضيلة الحاصلة على الغير فائدة وقال صاحب القاموس فى رسالة الصلاة له والسلام عليه صلى الله تعالى عليه وسلم عند قبره افضل من الصلاة عليه اى الاخبار الكثيرة ومنها ما احد يسلم على عند قبرى وفيه نظر ثم رأيت فى الدر المسلم بعد ذكره له و يعارضه

ماتقدم انه تعالى يصلى هو وملائكته على المصلى بدل الصلاة الواحدة عشرا اومائة على مامر وصلاة الله افضل من رده صلى الله تعالى عليه وسلم على انه مر انه صلى الله عليه وسلم يرد الصلاة عليه كالسلام فالاولى ان توجه افضلية السلام بانه شعار اللقاء والتحية وحينئذ تختص افضليته بحال اللقاء عند كل زيارة امااذا سلم سلام اللقاء فالصلاة بعده اولى من استمرار السلام وان كان باقيا فى مقام الزيارة ويدل لذلك صنيع العلماء فانهم لما ذكروا ان الزائر يبدأ بالسلام ذكروا انه يختم بالصلاة عليه (قال بعضهم رأيت انس بن مالك) الصحابى خادم رسول الله (اتى قبر النبى) لزيارته (فوقف) عند القبر (فرفع يديه) للدعاء فانه مستحب لمن زاره ان يدعو و يستشفع به و يتضرع (حتى ظننت انه افتتح الصلاة) لانه يسن رفع اليدين لافتتاح الصلاة ولعله كان مستقبل القبلة للظن المذكور (فسلم على النبى صلى الله عليه وسلم) بعد رفع يديه ودعائه (ثم انصرف) من عنده (قال مالك فى رواية ابن وهب) عنه وهو عبدالله بن وهب عالم مصر كما تقدم وهو ممن روى عن الامام مالك (اذا سلم) الزائر لقبره الشريف (على النبى صلى الله عليه وسلم ودعا) بما يريد الدعاء به (يقف) عنده (ووجه الى القبر لا الى القبلة) كما يستحب للداعى فى غير هذا الموطن لان استدباره خلاف الادب (ويدنو) اى يقرب من القبر فى حال الدعاء (و يسلم) عليه صلى الله تعالى عليه وسلم (ولا يمس القبر بيده) فيكره الصاق الظهر او البطن بجدار القبر المكرم و يلحق بجداره جدار الساتر عليه المستور بالحرير الان لما فى ذلك من مخالفة الادب معه صلى الله تعالى عليه وسلم ومن ثم تعين على كل احد ان لايعظمه صلى الله عليه وسلم الا بما اذن الله فيه لامته معه صلى الله عليه وسلم فى جنسه مما يليق بالبشر فان مجاوزة ذلك يفضى الى الكفر والعياذ بالله بل مجاوزة الوارد من حيث هو و بما يؤدى الى محذور فليقتصر على الوارد ما امكن واستقبال وجهه صلى الله عليه وسلم واستدبار القبلة مذهب الشافعى والجمهور ونقل عن ابى حنيفة وقال ابن الهمام مانقل عن ابى حنيفة انه يستقبل القبلة مردود بما روى عن ابن عمر ان من السنة ان يستقبل القبر المكرم و يجعل ظهره للقبلة وهو الصحيح من مذهب ابى حنيفة وقول الكرمانى ان مذهبه بخلافه ليس بشئ لانه حى فى ضريحه يعلم بزائره فى حال الزيارة ومن يأتيه فى حياته انما يتوجه اليه و يستحب القيام فى حال الزيارة كما نبه عليه المصنف بقوله يقف وهو افضل من الجلوس عند الجمهور ومن خير بينهما اراد الجواز دون المساواة فان جلس فالافضل ان يجثوا على ركبتيه ولا يفترش ولا يتربع لانه الا ليق بالادب (وقال) مالك (فى المبسوط) اسم كتاب له تقدم (لا ارى) اى لا استحسنه واعده رأيا (ان يقف عند قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يدعو) اى فى حال كونه داعيا

لما اراد (ولكن يسلم) عليه (ويمضى) اى ينصرف من عنده من غير وقوف وظاهره
ان مذهب مالك عدم استحباب الوقوف مطلقا ونقل الشافعية عنه ان استحباب
عدم الوقوف عنده لاهل المدينة المقيمين بها لاللغرباء الزوار فانهم يستحب لهم
الوقوف للدعاء له ولابى بكر وعمر ففرق بين المدنى وغيره من استحباب الاكثار
من زيارته والوقوف عنده للدعاء وسيأتى مايعلم منه ان فى المسئلة ثلاثة مذاهب
فلا يجعل المدنى قبره الشريف كالمسجد يأتيه فى اكثر ايامه للعبادة والقربة على قاعدته
فى سد الذرايع وسيأتى ايضا بيان ذلك فى كلام المصنف عن المبسوط والصحيح عند غيره
انه لافرق بين المدنى وغيره (وقال ابن ابى مليكة) هو عبد الله بن عبيد الله بن ابى مليكة
بالتصغير وهو من اعلام التابعين وابوه ابو مليكة صحابى جليل وابنه توفى سنة سبع
عشرة ومائة واخرج له اصحاب الكتب الستة (من احب ان يكون) وفى نسخة يقوم
(وجاه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى مواجهته ومقابلته ووجاه مثلث الواو
بمعنى تجاه وهو مثلث التاء ايضا كما فى مثلثات صاحب القاموس ومعناه ان يقابل وجهه
وجهه وتاء تجاه مبدلة من الواو كتخمة (فيجعل القنديل الذى فى القبلة عند القبر)
الشريف (على رأسه) اى محاذيا لها والقنديل بكسر القاف مصباح من زجاج
يعلق وهو معروف وبفتح القاف معناه العظيم الرأس ووزنه فعليل وقيل فنعيل
ونونه زائدة وهو ارشاد لكيفية الزيارة وان يكون بينه و بين القبر فاصل فقيل فى بعد
عنه بمقدار اربعة اذرع وقيل ثلاثة وهذا مبنى على ان البعد اولى واليق بالادب
كما كان فى حياته وعليه الاكثر وذهب بعض المالكية الى ان القرب اولى وقيل
يعامله معاملته فى حياته فيختلف باختلاف الناس وهذا باعتبار ما كان فى العصر
الاول واما اليوم فعليه مقصورة تمنع من دنو الزائر فيقف عند الشباك (وقال نافع)
هو ابن هرمز مولى ابن عمر اشتراه من سبى خراسان وهو تابعى جليل توفى بالمدينة سنة سبع
عشرة وهو غير نافع بن عبد الرحمن المدنى المقرى وهذا رواه البيهقى وغيره (كان ابن عمر)
الصحابى المشهور (يسلم على القبر) الشريف (رأيته مائة مرة واكثر يأتى) يجيء
(الى القبر) بدل من قوله يسلم مفسر له (فيقول السلام على النبى السلام على ابى
بكر السلام على ابى) وفى نسخة ابى حفص (عمر) بن الخطاب (ثم ينصرف) قيل وفيه
اشارة الى انه لاينبغى ان يطيل الكلام عند السلام و يختصر وقيل يطيل ماشاء فى الثناء
والدعاء والتوسل وقيل يختلف باختلاف الناس والاحوال و يأتى للزيارة من قبل رأسه
صلى الله عليه وسلم ثم يتأخر لابى بكر وعمر فيبدأ بالاشرف فالاشرف تعظيما لهما كما يليق
وقيل يأتى من قبل رجل عمر لانه من الادب و يتأخر قليلا قليلا وفى كيفية وضع القبور
اختلاف مذكور فى تاريخ المدينة الكبير للسيد السمهودى مفصل ليس هذا محله
(وفى الموطأ من رواية يحيى بن يحيى الليثى) تقدم ان يحيى بن يحيى راوى الموطأ عن

مالك اتقان (انه كان يقف على قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) على هنا بمعنى عند
وهذا اشارة الى اختيار القرب منه كما مر (فيصلى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
وعلى ابى بكر وعمر) تبعا له او يصلى بمعنى يدعو (وعند ابن القاسم) عبد الرحمن
فقيه مصر كما تقدم (والقعنبى) بفتح القاف وسكون العين المهملة وفتح النون
بعدها موحدة وياء نسبة وهو عبد الله بن سلمة بن قعنب الحارثى ابو عبد الرحمن
احد الاعلام روى عنه البخارى وابو داود وغيرهما وهو ثقة حجة توفى سنة عشرين
او احدى وعشرين ومائتين اخرج له الشيخان وغيرهما وفى روايتهما عن مالك
(ويدعو لابى بكر وعمر) لا بلفظ يصلى كما مر (قال مالك فى رواية ابن وهب) عنه (يقول
المسلم) او الزائر (السلام عليك ايها النبى ورحمة الله وبركاته) و(قال) مالك (فى المبسوط
ويسلم على ابى بكر وعمر) بعد السلام عليه و(قال القاضى ابو الوليد الباجى)
تقدمت ترجمته (وعندى) اى الراجح عندى (انه يدعو للنبى صلى الله تعالى عليه
وسلم بلفظ الصلاة) لما فيها من التعظيم كما تقدم (و) يدعو (لابى بكر وعمر كما فى حديث
ابن عمر) الذى تقدم وقوله فيه السلام على ابى بكر السلام على ابى عمر فيدعو لهما
بالسلامة من كل مكروه ولا يصلى عليهما لما مر (من الخلاف) اى مخالفة الدعاء لهما
للدعاء لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفى المناسك هنا تفصيل طويل فيما
يقوله الناس ليس هذا محله (وقال ابن حبيب) عبد الملك بن حبيب القرطبى الامام
الجليل الثقة مصنف كتاب الواضحة ولا يلتفت لمن نسبه للكذب وترجمته فى الميزان
(ويقول) الزائر (اذا دخل مسجد رسول الله) صلى الله عليه تعالى وسلم (بسم الله
وسلام على رسول الله السلام علينا من ربنا وصلى الله وملائكته على محمد اللهم
اغفر لى ذنوبى وافتح لى ابواب رحمتك) اى يسر لى مايوصلنى اليهما فان دخوله
من باب المسجد الموصل لجنة روضة سوقه الى الجنان وقرىء رجاه فناسب دعاءه بما
ذكر ولما سلك الطريق الموصلة اعتصم بالله من قطاع طريقها بقوله
(واحفظنى من الشيطان الرجيم ثم اقصد) بعد الدعاء (الى الروضة وهى مابين
القبر والمنبر واركع فيها ركعتين) تحية المسجد شكرا لهذه السعادة (قبل وقوفك
بالقبر) اى عنده (تحمد الله تعالى فيها) اى فى تلك الصلاة (وتسأله تمام ماخرجت
اليه) من زيارتك وسفرك (والعون عليه) اى المساعدة بتيسيره له (وان كانت ركعتاك
فى غير الروضة) من المسجد النبوى (اجزأتاك) بالهمزة اى اكفأتاك فى اداء السنة
(وفى الروضة افضل) اى اكثر ثوابا اقتداء به صلى الله تعالى عليه وسلم وقد قال
عليه السلام مابين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنة ويأتى الكلام ومابين القبر والمنبر
نحو خمسين ذراعا ومعنى كونه روضة من رياض الجنة انه يؤدى الى دخولها فكانه منها
فاطلق السبب واراد المسبب او هو تشبيه بليغ وقيل انه على حقيقته وانه ينقل الى الجنة
(وقد قال) صلى الله عليه وسلم فى حديث آخر (ما فى دار) اوهم كلامه هنا انه من تتمة الاول

(ومنبرى على ترعة من ترع الجنة) ترعة وترع بمثناة كغرفة وغرف قيل هى الروضة تكون فى مكان مرتفع مطمئن وقيل الباب والروضة محل الاشجار مطلقا او فى مكان يطهر تجمع اشجار اورياحين والترعة ايضا تكون مدخل الماء و بمعنى الدرجة كما ذكره اهل اللغة والكل محتمل هنا والكلام فى هذا كما تقدم فى قوله روضة من رياض الجنة فى احتمال التشبيه والاستعارة و يأتى بيان الحديث فى كلام المصنف (ثم يقف بالقبر) اى عنده (متواضعا متوقرا) اى بتواضع ووقار اى سكون تأدبا بهيبة واخلال وغض طرف وقال الكرمانى الحنفى فى مناسكه انه يضع يمينه على شماله كما يقف فى الصلاة وقال غيره الاولى الارسال لئلا يتشبه بالمصلى فانه منهى عنه (فيصلى) بالخطاب لكل زائر (عليه) صلى الله عليه وسلم (ويثنى) عليه ثناء يليق به (بما لا يحضرك) اى يخطر ببالك من غير تكلف لامر لبستعد لها مستحقة ونحوها و يقبح الانحناء وتقبيل الارض وما يظنه جهلة العوام من ان فيه زيادة تعظيم لبس بشئ (ويسلم على ابى بكر وعمر و يدعو لهما) بما يناسب مقامهما كما مر (واكثر من الصلاة فى مسجد النبى بالليل والنهار) والمراد بمسجده هنا هو المراد بقوله صلاة فى مسجدى هذا تعدل الف صلاة فى غيره كما مر وهو ما كان مسجدا فى زمنه صلى الله تعالى عليه وسلم لا ما زيد فيه كما قاله النووى و غيره والاشارة بقوله هذا تعينه واعتراض ابن تيمية عليه بما ورد فى الحديث لو زيد فى مسجدى الى ذى الحليفة كان مسجدى رد بانه لا يقتضى مساواته من كل وجه ولا شك فى ان الاول افضل وفى حديث الزيارة معجزة واخبار بالغيب ولا ينبغى للزائر جعل القبر خلف ظهره ولا بجانبه كما قاله ابن عبد السلام (ولا تدع) اى تترك بالخطاب والجزم (ان يأتى مسجد قبا) بضم القاف ويمد و يقصر و يذكر و يؤنث فيجوز صرفه ومنع صرفه وهو اسم موضع قريب من المدينة بنى فيه عمرو بن عوف الانصارى مسجدا اتاه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وصلى فيه وهو المراد بقوله اول مسجد اسس على التقوى على الراجح كما يأتى وكان صلى الله عليه وسلم يزوره راكبا وماشيا فى كل سبت وحكمة تخصيصه ان فى اتيانه زيادة اهله والموتى يعلمون بزوارهم يوما قبل الجمعة و يوما بعده واعطى احد يوم الخميس لانهم افضل فيه من السبت لاهل قبا و قال صلى الله عليه وسلم صلاة ركعتين فيه كعمرة و يقال له مسجد التقى وكان عمر يأتيه فى كل اثنين وخميس وقال رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واصحابه ينقلون حجارته على بطونهم فلو كان فى طرف الارض لضربنا اليه اكباد الابل وقال صلاة ركعتين فيه احب الى من ان آتى بيت المقدس مرتين وكذ يستحب اتيان غيره من المساجد المأثورة صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها كمسجد القبلتين (وقبور الشهداء) المعهودين وهم شهداء احد فانه صلى الله عليه وسلم كان يزورهم و ينبغى ان لا يدع زيارتهم كحمزة سيد الشهداء فى الدنيا والآخرة (وقال مالك فى كتاب محمد و يسلم اذا دخل

وخرج اعنى بالفعل) لا عند ارادة ذلك اى دخل مسجد المدينة وخرج منه (وفيما بين ذلك) اى فى ايام اقامته بالمدينة يدخل المسجد و يسلم عليه كلما دخل وخرج (قال محمد واذا خرج) من المدينة من اتاها زائرا (جعل آخر عهده) بالمدينة (الوقوف بالقبر) اى عنده للوداع (وكذلك) كل (من خرج مسافرا) من المدينة يجعل آخر عهده زيارته والسلام عليه (وروى ابن وهب عن فاطمة) الزهراء (بنت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال اذا دخلت المسجد) يعنى مسجده صلى الله تعالى عليه وسلم او الاعم (فصل على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقولى اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى ابواب رحمتك) وفيه مناسبة تامة لان العبادة مكفرة للسيئات وللدخول بفتح الباب وهو باب موصل لاعظم درجة (واذا خرجت) من المسجد النبوى او الاعم (فصل على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقولى اللهم اغفر لى ذنوبى) ببركة العمل الصالح (وافتح لى ابواب فضلك) وذكر الفضل هنا انسب لان الخارج من المسجد يخرج لكسب مصالحه والفضل الرزق وفتح الباب كناية عن تسهيل اموره وتيسير مسالكه واسباب معاشه وقد علم بذلك حكمة ذكر الرحمة فى الدخول والفضل فى الخروج وحاصلها ان محال رحمة الحق تعالى لعباده رحمة مخصوصة تناسب قصده وعبادته فطلب تلك الرحمة الخاصة عند دخولها واما الخروج منها فهو الى محال الاسباب والاكتساب التى بها تحصل الارزاق والغناء عن الناس وهذا تظهر الفضل التى تفضل بها على عباده فسئل عند التوجه ليفاض عليه منه ما يتوفر به خشوعه وانقطاعه الى الله تعالى قالوا و يصلى ركعتين نفلا مطلقا وقيل انها سنة الوداع واختلف هل يقدم الوداع على الصلوة و يؤخرها ليكون آخر عهده ملاقاته صلى الله تعالى عليه وسلم و يحسن ان يقول لا تجعل هذا آخر العهد بحرم رسولك صلى الله تعالى عليه وسلم و يسره لى العود اليه وارزقنى العفو والعافية فى الدنيا والآخرة و يتأسف على مفارقته واعلم ان هذا الحديث رواه اصحاب السنن على انه سنة لدخول كل مسجد وليس مخصوصا بالمسجد النبوى كما ذكره الخيضرى فى اللواء المعلم لا انه يكفى انه يدخل فيه دخولا اوليا وزاد بعضهم فى المسجد النبوى رب وفقنى وسددنى واصلح لى واعنى على ما يرضيك عنى ومن على بحسن الادب فى هذه الحضرة الشريفة (وفى رواية اخرى) من طريق آخر وحديث فاطمة رواه احمد وابو يعلى والترمذى وحسنه (فليسلم مكان فليصل فيه ويقول اذا خرج اللهم انى اسألك من فضلك وفى) رواية (اخرى اللهم احفظنى من الشيطان الرجيم) وهذه الامور كلها محل ذكرها مناسك الحج وفصلت ثمة (وعن محمد بن سيرين) التابعى المشهور (كان الناس يقولون اذا دخلوا المسجد) النبوى (صلى الله وملائكته على محمد السلام عليك ايها النبى ورحمة الله وبركاته بسم الله دخلنا

وبسم الله خرجنا) اى ندخل ونخرج وعبر بالماضى مشاكلة واشارة الى ان المساجد انما هى للعبادة وليست محل مكث واقامة لغير المعتكف (وعلى الله توكلنا) اى فوضنا له امورنا كلها لنترك من دخل المسجد امور دنياه فان توجهه فيه انما هو (وكانوا يقولون اذا خرجوا مثل ذلك) وهذا ليس خاصا بمسجد المدينة بل هو مستحب فى كل مسجد كما تقدم واستحب الصلاة عليه عند دخولها والخروج منها لانه هو الذى بين لنا العبادة فيها وهدانا الطريق الخير فكان حقا علينا نذكره ثمة والدعاء له والمراد بالناس هنا الصحابة ففعلهم يدل على انه سنة مأثورة فلا يتوهم انه كيف يكون دليلا على انه مستحب ولذا اردفه بما يوضحه من قوله وروى (عن فاطمة ايضا) اى كما روى عنها ما قبل هذا (كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد قال صلى الله على محمد وسلم ثم ذكر مثل حديث فاطمة قبل هذا وفى رواية حمد الله) الذى وفقه للعبادة (وسمى) الله تيمنا وتبركا لينم ماشرع فيه (وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم) لما مر (وذكر مثله) اى ما هو بمعناه (وفى رواية) يقول اذا دخل المسجد (بسم الله والسلام على رسول الله) فهذا صريح فى ان ما فعله الناس فعله رسول الله ايضا بنفسه فهم مقتدون به (و) روى (عن غيرها) اى غير فاطمة رضى الله عنها (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد قال اللهم افتح لى ابواب رحمتك) وانعامك بنعم الدنيا والآخرة (ويسر لى ابواب رزقك) اى سهلها ويسر اسبابها والتعبير بالتيسير اشارة الى انه مما مضى وفرغ منه (وعن ابى هريرة رضى الله عنه) اذا دخل احدكم المسجد فليصل على النبى صلى الله عليه وسلم (وليقل اللهم افتح لى) يعنى ما تقدم بتمامه وحاصله ان هذه الاحاديث تدل على ان من دخل المسجد او خرج منه او مر به اى مسجد كان يستحب له ان يسمى الله ويصلى ويسلم على رسول الله ويدعو بخير من خيرى الدنيا والآخرة والمأثور افضل وهذا مما اتفقوا عليه ووردت فيه احاديث صحيحة مسندة فى باب الدعوات (وقال مالك فى المبسوط وليس يلزم من دخل المسجد النبوى وخرج منه من اهل المدينة) المقيمين بها (الوقوف بالقبر) اى عنده للزيارة (وانما) يلزم (ذلك) اى الوقوف لازم (للغرباء) الذين جاؤا المدينة للزيارة وليس اللزوم هنا بمعنى الوجوب الشرعى بل التأكيد فى حقه (وقال) مالك (فيه) اى فى كتاب المبسوط (ايضا) كما نقل عنه اولا (لا بأس لمن قدم من سفر او خرج الى سفر) من اهل المدينة (ان يقف على قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى يقوم عنده زائرا (فيصلى عليه) صلى الله عليه وسلم (ويدعو له ولابى بكر وعمر) بعد الصلاة على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (فقيل له ان ناسا من اهل المدينة لا يقدمون من سفر ولا يريدونه) اى الخروج للسفر فهم مقيمون (يفعلون ذلك) اى الوقوف عند القبر والصلاة عليه والدعاء لصاحبيه (فى اليوم) الواحد (مرة

اواكثر وربما وقفوا فى الجمعة او الايام المرة) والمرتين او اكثر عند القبر (فيسلمون عليه (ويدعون) لابى بكر وعمر (ساعة) اى يطلبون الوقوف لذلك (فقال) مالك لما ذكر له ذلك (لم يبلغنى هذا) اى وقوف المدنى من غير سفر عند القبر (عن احد من اهل الفقه ببلدنا) يعنى المدينة لان عمل اهلها حجة عنده (وتركه) اى ترك هذا الفعل (واسع) اى اكثر واولى (ولا يصلح آخر هذه الامة) المحمدية وآخرها من بعد الصحابة والعصر الاول (الا ما اصلح اولها) اى لا يصلح لآخرهم الا ما صلح لاولهم ولا يستحب لهم الا ما استحبوه اولا (ولم يبلغنى) اى لم اسمعه بنقل صحيح (عن اول هذه الامة وصدرها) من الصحابة ومن الحق بهم (انهم كانوا يفعلون ذلك) اى الوقوف للزيارة من غير الغرباء بلا ارادة سفر (ويكره ذلك الا لمن جاء من سفر او اراده من اهل المدينة (وقال ابو القاسم) من اتباع الامام مالك (ورأيت اهل المدينة اذا خرجوا منها) للسفر (او دخلوها) قادمين من السفر (اتوا القبر فسلموا) عليه صلى الله تعالى عليه وسلم (قال) ابو القاسم (وذلك رأى) اى قول مالك وفى نسخة رايى بالاضافة اى انه يقوله (وقال الباجى) بباء موحدة نسبة لباجة اسم بلدة بالمغرب وهو ابو الوليد الحافظ من ائمة المالكية وقد تقدم (ففرق) مالك او ابو القاسم رواية عنه (بين اهل المدينة والغرباء) فاستحب للغرباء الزيارة فى الدخول للمسجد فى كل حين ولم يستحبه للمدنى الا اذا خرج لسفر او قدم منه (لان الغرباء قصدوا) المدينة (لذلك) اى لاجل الزيارة فينبغى له فعل ذلك فى كل حين (واهل المدينة يقيمون بها لم يقصدوها) من اوطانهم (من اجل) زيارة (القبر والتسليم) عليه قال السبكى فى كتابه شفاء السقام بعد نقل ما هنا مذهب مالك ان الزيارة قربة لكنه كره الاكثار منها للمقيم بالمدينة على قاعدته فى سد الذرايع وغيره من اهل المذاهب قالوا باستحباب الاكثار منها مطلقا واتفقوا عليه وهو الحق الذى لا شبهة فيه والذريعة ليست بممنوعة من كل مقام كما تقدم عن القرافى (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه عبد الرزاق ومالك فى الموطأ عن عطاء بن يسار (اللهم لا تجعل قبرى وثنا) اى كالوثن وهو الصنم الذى (يعبد) اى يتخذ معبودا (اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد) اى سجدوا لها كما يسجدون لله (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه ابن ابى شيبة وغيره بسند متصل (لا تجعلوا قبرى عيدا) اى كالعيد باجتماع الناس عنده وقوله وقال يحتمل انه من كلام الباجى او من كلام مالك وابى القاسم تأييدا لما قاله وهو الظاهر واحتمال انه من كلام المصنف رحمه الله تعالى غير مناسب لما عقد له هذا الفصل وقد تقدم تأويل الحديث وانه لا حجة فيه لما قاله ابن تيمية وغيره فان اجماع الامة على خلافه يقتضى تفسيره بغير ما فهموه فان كلامهم نزعة شيطانية (و) نقل (من كتاب احمد بن سعيد الهندى) عالم الاندلس توفى سنة تسع

وتسعين وثلاثمائة وعمره سبع وسبعون سنة وترجمته مبسوطة فى التواريخ وفى نسخة
سعد الهندى والصحيح الاول (فمن وقف بالقبر) اى قال فى حقه و بيان حاله انه
ينبغى له ان (لايلصق به) صدره (ولايمسه) بشئ من جسده فلا يقبله (ولايقف
عنده طويلا) بل بمقدار الصلاة والدعاء تأدبا منه فهذا مستحب عنده فيكره
مسه وتقبيله والصاق صدره به لانه ترك ادب وكذا كل ضريح يكره فيه ذلك
وهذا امر غير مجمع عليه ولذا قال احمد والطبرى لابأس بتقبيله والتزامه وروى ان
اباايوب الانصارى كان يلزم القبر الشريف وقبل وهذا لغير من لم يغلبه الشوق والمحبة
وهو كلام حسن (وفى العتبية) بضم العين المهملة وسكون المثناة وكسر الموحدة وياء
نسبة اسم كتاب يعرف بالعتبية وبالمستخرجة من الاسمعة اى مما سمع من مالك من مسائل
المدونة وصاحبها يسمى العتبى نسبة لعتبة ابن ابى سفيان وهو فقيه الاندلس
محمد بن احمد بن عبدالعزيز بن عتبة بن ابى سفيان القرطبى وتوفى فى منصف ربيع
سنة خمسين اواربع وخمسين ومائتين واخذ عن يحيى بن يحيى الليثى وطبقته
ويقال انه من موالى عتبة وله رحلة الى المشرق وفى تاريخ الاندلس محمد العتبى هو
احمد بن محمد بن عتبة الاموى من اهل قرطبة وقيل هو رسول لآل عتبة بن ابى سفيان
وهو الاصح وسمع من سحنون واصبغ غيرهما وجمع كتابا سماه المستخرجة اكثر فيه
من الشواذ والمسائل الغريبة فاذا سمع غريبة قال ادخلوها فى المستخرجة وقال ابن
وضاح فى المستخرجة خطأ كثير (يبدأ بالركوع) المراد به الصلاة تحية المسجد
اذا دخله تسمية باسم الجزء كالركعة (قبل السلام) على قبره وزيارته وهو احد القولين
كما تقدم وقيل يسلم اولا ثم يصلى ويتحرى بصلاته محلا كان يصلى فيه صلى الله تعالى
عليه وسلم وله علامة ذكروها وهو على يسار محراب الشافعية (و) شمل ذلك عموم قوله
(احب) افعل تفضيل من المحبة اى افضلها (مواضع التنفل) اى افضلها صلاة
النافلة وتحية المسجد والزيارة (مصلى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى محل صلاته
المأثورة وقيل محله بقوله (حيث العمود المخلق) بضم الميم وفتح الخاء المعجمة وتشديد
اللام وقاف وهو ماعليه الخلوق بالفتح وهو نوع من الطيب اصفر فيه زعفران
والعمود هو السارية والاسطوانة وسمى مخلقا لانه كان يطيب بالخلوق تعظيما وهذا
هو المعروف وقيل انه محلق بحاء مهملة اى له حلقة من حديد ونحوه وقيل وهو محل
جذعه الذى كان يخطب عنده قبل عمل المنبر له وهذه الاماكن الشريفة واسماؤها
وفضائلها من اراد الوقوف عليها فليطالع تاريخ المدينة الكبير للسيد السمهودى
(و) فضيلة هذا المحل والصلاة عنده انما هو للمتنفل الزائر (اما فى) صلاة (الفريضة
فالتقدم فى الصفوف) اى التقدم فى الصف الاول افضل من غيره مطلقا (والتنفل)
اى صلاة النافلة (فيه) اى فى المسجد النبوى (للغرباء) الذين قدموا الزيارة وليس

من اهل المدينة المقيمين بها (احب الى) اى افضل عندى (من التنفل فى البيوت)
اى مساكنهم ومحل نزولهم وهذا مستثنى مما قاله الفقهاء واطلقوه ان الافضل
فى الفرض الصلاة فى المساجد والنافلة الافضل فيها ان يصلى فى المنازل ووجه
المخالفة ان الصلاة فى مسجد المدينة افضل من الف صلاة فى غيره على ما يأتى وهذا
مبنى على ان المضاعفة تختص بمسجد المدينة وذهب بعضهم الى ان الصلوة
فى المدينة مطلقا مضاعفة لافرق بين فرضها ونفلها ومسجدها وغيره فعلى هذا
نافلتها كغيرها الا ان الغريب يستحب له الاكثار من المكث فى مسجدها والزيارة
والتبرك بمواطن عبادته فله شان يخصه وهو الظاهر ﴿ فصل فيما يلزم من دخل
مسجد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من الادب ﴾ اللازم من حضر مجلسه
فى حياته (سوى ما قدمناه) فى الفصل الذى قبل هذا (وفضله) اى المسجد
النبوى (وفضل الصلوة فيه) اى زيادة ثوابها على ثواب غيرها (وفى مسجد مكة)
وفضله وفضل الصلوة فيه (وذكر قبره ومنبره وفضل سكنى المدينة ومكة) والمجاورة
فيهما (قال الله تعالى لمسجد اسس على التقوى من اول يوم) وضع اساسه فيه
(احق ان تقوم فيه) للصلوة من غيره وقد اختلف فيه كما سيأتى (روى) عنه صلى الله
تعالى عليه وسلم فى حديث رواه مسلم وغيره (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم سئل
عن المراد به فى هذه الآية (اى مسجد هو قال مسجدى هذا) يعنى الذى هو داخل
المدينة وهو معروف (وهو) اى كونه المراد فى الآية (قول ابن المسيب وزيد بن ثابت
وابن عمر ومالك بن انس) قيل كان ينبغى له تقديم ابن عمر ثم زيد ثم ابن المسيب ثم مالك
هكذا لكنه قدم بالامس والترتيب فى الذكر ابس بلازم (وغيرهم) من كبار الصحابة
(وعن ابن عباس انه مسجد قبا) الذى تقدم بيانه فهو المراد فى الآية عنده لانه
صلى الله تعالى عليه وسلم اسسه وصلى فيه ايام اقامته من الامس وكلاهما مما اسسه
على التقوى الا ان تأسيس مسجد قبا كان فى ابتداء دخوله دار الهجرة ثم انتقل منه
واسس الاخر والاولية ظاهرة فيه الا ان يجعل شاملة للحقيقية والسببية والمراد بالتقوى
الاخلاص فى رضى الله لا كمسجد الضرار وما ذكره ابن عباس هو الذى ارتضاه
المفسرون وهو الظاهر والاول ايضا مروى عن كبار الصحابة مسندا له صلى الله
عليه وسلم وقد رواه مسلم واصحاب السنن ولذا قيل كان ينبغى للمصنف ان يقول
صح عن رسول الله لا روى بصيغة المجهول التى تغلب فى التضعيف فكانه ايماء الى ان
الاقوى ما قاله ابن عباس وهو مشكل وغاية ما يقال فيه ان الاولية اضافية باعتبار
ما بنى بعد الهجرة ومسجد مكة فيشمل مسجد قبا ومسجد المدينة والمراد اخراج
مسجد الضرار ولا ينافيه ما بعده لانه اثنى على اهل المسجدين بزيادة الطهارة
وانما فسره صلى الله عليه وسلم بمسجده لاجل قوله احق ان تقوم فيه لانه انما كان

اكثر قيامه به فلو فسر بمسجد قبا المكان صلى الله تعالى عليه وسلم تاركا للحق ففسره بما يدل على دخوله مع مسجد قبا فى الحكم ونص على ما خرج عن منطوقه لانه هو المحتاج للبيان فاعرفه فانه دقيق جدا (حدثنا هشام بن احمد الفقيه) هو احد شيوخ المصنف لقوله (بقراءتى عليه حدثنا الحسين بن محمد الحافظ) هو الغسانى وقد تقدم (حدثنا ابو عمر) هو ابن عبد البر كما تقدم (النميرى) تقدم بيانه ايضا (حدثنا ابو محمد بن عبد المؤمن) تقدم بيانه (حدثنا ابو بكر بن داسة) تقدم ايضا (حدثنا مسدد) تقدم (حدثنا ابو داود) صاحب السنن تقدم ايضا (حدثنا سفيان) هو ابن عيينة وقد تقدم (عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن ابى هريرة) تراجمهم تقدمت كلها (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) انه قال (لا تشد الرحال) لا نافية وتشد مضارع مجهول وهو خبر اريد به النهى وهو ابلغ فى النهى لانه جعل كانه امر لا يقع فى الخارج اخبر عنه لتحققه والرحال بالحاء المهملة جمع رحل وهو للجمال كالسروج للخيل لا جمع راحلة كما توهم وهى البعير ونحوه والمقصود منه المنع او نفى شدها كناية عن منع السفر اى لا ينبغى السفر وقطع المسافة تعبدا (الا الى ثلاثة مساجد) جمع مسجد وهو المكان المعد للعبادة واصله موضع السجود (مسجد الحرام) بالحركات الثلث وفى نسخة المسجد الحرام وهو مسجد مكة ويطلق على الكعبة نفسها وكلاهما جائز هنا والاول من اضافة الموصوف للصفة اى الذى جعله محرما وهو مشهور غنى عن البيان ومسجد الحرام بالحركات الثلاث (ومسجدى هذا) اى مسجد المدينة المعروف (ومسجد الاقصى) بالاضافة كالاول وفى نسخة والمسجد الاقصى اى الابعد لانه ابعد من مكة بالنسبة للمدينة وفيه كلام مشهور ليس هذا محله واختلف فى هذا النهى هل هو على ظاهره للتحريم كما ذهب اليه بعضهم والصحيح انه مؤول اى لا يشد الرحال لنذر العبادة الا فيها ولذا قالوا لو نذر الصلوة على غيرها لم تلزمه فلا يكره له شد الرحل لبعض الاماكن المتبرك بها او الزيارة من الصالحين او لطلب العلم بل قد يكون هذا واجبا عليه (وقد تقدمت الآثار) والاحاديث (فى الصلاة والسلام على النبى صلى الله عليه وسلم عند دخول المسجد النبوى) فى الفصل الذى قبل هذا كما سمعته آنفا والآثار كل ما أثور اى مروى فيشمل الحديث وغيره ويطلق على ما يقابله والفرق بين الحديث والخبر والاثر مشهور فى مصطلح الحديث ككتاب ابن الصلاح وغيره (وعن عبد الله بن عمرو بن العاص) فى حديث رواه ابو داود باسناد جيد حسن كما فى الاذكار للنووى (ان النبى) صلى الله تعالى عليه وسلم (كان اذا دخل المسجد) اى مسجده بالمدينة وهذا مستحب فى دخول كل مسجد (قال اعوذ بالله العظيم) اى التجئ فى امورى كلها وفى التوفيق للعبادة واخلاصها الى عظيم لا يخاف من التجاء اليه (وبوجهه الكريم) الوجه معروف فاذا اضيف الى الله تعالى فالمراد به ذاته المكرمة المجلة (وسلطانه القديم) سلطانه بمعنى قهره وغلبته

والقديم صفة سلطان وذلك ثابت له فى الازل والقدم (من الشيطان الرجيم) المطرود عن رحمة الله وقربه واستعاذته منه لئلا يبعده عما نواه من العبادة ويشغله عن الوسوسة وتتمة الحديث فاذا قال ذلك قال الشيطان حفظ منى سائر اليوم (وقال مالك ابن انس رضى الله تعالى عنه فى حديث رواه البخارى والنسائى فيه (سمع عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه صوتا) عاليا كالصياح (فى المسجد) اى مسجد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (فدعا بصاحبه) اى امر بمجيئه اليه فجئ له به وسقط هذا من بعض النسخ فالفاء فى قوله (فقال ممن انت) فصيحة اى من اى قبيلة وطائفة من الناس (قال من ثقيف) قبيلة من العرب مشهورة من هوازن (قال) عمر له (لو كنت من) اهل (هاتين القريتين) يعنى مكة والمدينة (لاذيتك) كما فى نسخة وفى اخرى (لعلوتك بالدرة) بكسر الدال وتشديد الراء المهملتين وهى سوط عريض يضرب به وعلوتك بمعنى ضربتك وهو تعبير فصيح مشهور لانه يضرب به على رأسه واعالى بدنه يقال علاه بالدرة وجلله وقنعه بالسيف وهذا ساقط من بعض النسخ فالجواب مقدر كقوله تعالى * ولو ان قرآنا سيرت به الجبال * ونحوه وانما قال له هذا لان من كان من اهل الحرمين وهما مهبط الوحى ومقر الدين لا يعذر فى الجهل بالشرع وآدابه ثم بين له وجه ما قاله بقوله (ان مسجدنا) يعنى مسجد المدينة او الاعم منه (لا يرفع فيه الصوت) فعلى الاول يعلم غيره بالقياس وعلى الثانى هو داخل وهو الظاهر لانه ورد من طريق اخر ومساجدنا وذهب كثير من الفقهاء الى ان رفع الصوت فى المساجد مطلقا مكروه ولحديث جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم ورفع اصواتكم وخصوماتكم لانها متخذة للعبادة ولذا يكره النوم فيها لغير ضرورة الا انه قيل انها مرتكب المكروه لا يعذر وكلام عمر يدل على انه لو كان من اهل القريتين عذره لانه لا يعذر بجهله واجيب بانه علم عند عدم اكتراثه بحضرته صلى الله تعالى عليه وسلم وهو حرام يؤدى الى الكفر والعياذ بالله قلت ليس كما قاله بل لانه يمتنع رفع الصوت عنده صلى الله تعالى عليه وسلم لقوله تعالى لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى اى عنده صلى الله تعالى عليه وسلم وهو فى حياته كمماته كما تقدم الان قوله ان مسجدنا الى آخره يأباه فان قيل المراد بمسجدنا مسجده صلى الله تعالى عليه وسلم بخصوصه فالاضافة عهدية لم يرد عليه شئ فاعرفه ويستثنى من هذا رفع الصوت بالاذان والاقامة والتلبية كما صرحوا به (قال محمد بن مسلمة) بفتحتين كما تقدم (لا ينبغى لاحد ان يعتمد المسجد) اى يعتقد ويتعمد (برفع الصوت) فيه فيقال عمده واعتمده اذا قصده فان فعله لا عن عمد لجهل وغيره جاز له ذلك (ولا بشئ من الاذى) هو كل مستقذر لان الطبع يتأذى به (وان ينزه) بالبناء للمجهول ان يبعد عنه فيبعد هو (عما يكره) مجهول ايضا والمكروه المراد به ايضا المستقذرات ولا ينبغى بحمل

الكراهة والحرمة وخلاف الاولى وقد صرح الفقهاء بمنع جعل النجاسة والمستقذرات
فى المساجد حتى النخامة والروائح الخبيثة كرايحة البصل والثوم الى غير ذلك
مما فصل فى احكام المساجد وقد افرده بالتأليف الامام الزركشى فلا حاجة لذكره
هنا لانا لسنا بصدده (قال القاضى) هو المصنف رحمه الله تعالى (حكى ذلك)
المذكور (كله القاضى اسمعيل) بن اسحق بن اسمعيل الازدى البصرى
العلامة الرحلة فى سائر الفنون والادب وكان ممن له معرفة بكتاب سيبويه حتى عد
من اقران المبرد حتى قيل لولا اشتغاله بالقضاء اندرس ذكر المبرد ومات سنة
اثنين وثمانين ومائتين ببغداد فجأة (فى مبسوطه) اسم كتاب له كما تقدم (فى) باب
(فضل مسجد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم والعلماء كلهم متفقون ان حكم سائر
المساجد له هذا الحكم) لان المقصود منها واحد وشرفها كلها لكونها محلا
لعبادة الله تعالى فاذا تساوت فى ذلك كان حكمها واحدا (قال القاضى اسمعيل)
ابن اسحق المتقدم (وقال محمد بن مسلمة يكره بمسجد الرسول عليه الصلوة والسلام
الجهر على المصلين فيما يخلط عليهم صلاتهم) اى يشوش عليهم والخلط مزج شئ
بشئ من المايعات ونحوها بحيث لايتميز احدهما عن الآخر كالدقيق والشعير بالبر
فالمراد ان اصواتهم لشدة الجهر تلهيهم عن قراءتهم وصلاتهم فاستعير لذلك الخلط
وليس كراهة رفع الصوت مما (يختص به المساجد) فيثبت كراهة (رفع الصوت)
رفع اسم ليس خبره الجار والمجرور قبله (ويكره رفع الصوت بالتلبية) اى قول الحاج
لبيك اللهم لبيك (فى مساجد الجماعات) التى تجمع فيها لصلاة الجمعة ونحوها
(الا المسجد الحرام) يعنى مسجد مكة (ومسجدنا) يعنى مسجد المدينة لان محمد بن
مسلمة كان من سكانها فرفع الصوت فى التلبية مأمور به لحديث افضل الحج العج
والثج والعج رفع الصوت والثج اراقة الدماء ورفع الصوت مستحب لغير المرأة والخنثى
وهذا مذهب مالك وخالفه فيه غيره فجعله مستحبا فى جميع المساجد وانما كرهه
فى المساجد لانها محل الخشوع (وقال ابو هريرة) فى حديث رواه الشيخان عنه انه قال
(صلاة فى مسجدى هذا خير) اى افضل واكثر ثوابا (من الف صلاة فيما سواه)
من جميع المساجد (الا المسجد الحرام) يعنى مسجد مكة المشرفة وسمى حراما لحرمة
القتال فيه والصيد وقطع اشجاره وتمة الحديث وصلاة فى المسجد الحرام افضل
من مائة الف صلاة فى مسجدى هذا (قال القاضى) مصنف هذا الكتاب (اختلف)
بالبناء للمجهول اى اختلف العلماء والفقهاء (فى معنى هذا الاستثناء) يعنى المراد بقوله
الا المسجد الحرام واختلافهم فيه مبنى (على اختلافهم فى المفاضلة بين مكة
والمدينة) اى القول بايهما افضل من الآخر (فذهب) الامام (مالك فى رواية
(اشهب) بن عبد العزيز ابو عمرو القيسى المصرى تلميذ مالك فى مروياته (عنه)

اى عن مالك (وقال) عبد الله (ابن نافع صاحبه) اى صاحب الامام مالك الذى يروى
عنه (وجماعة اصحابه) اى اصحاب مالك (الى ان معنى الحديث) المذكور والاستثناء
فيه لانه ان لم يكن خيرا من الف صلاة فيما سواه احتمل ان يكون الصلاة فى المسجد
الحرام اكثر ثوابا من الصلاة فى المسجد النبوى وان الصلاة فيه تفضل صلاة المسجد
الحرام باقل من الف وان الصلاة فى المسجد النبوى لا تفضله بل يساويه والكل
محتمل وهذه رواية اشهب عنه ورواية ابن وهب وابن مطرف وابن حبيب من
اصحاب مالك عنه موافقة للجمهور فى تفضيل مكة على المدينة والاولون على ان
معناه (ان الصلاة فى مسجد الرسول) صلى الله تعالى عليه وسلم (افضل من الصلاة
فى سائر المساجد) اى باقيها (بالف صلاة الا المسجد الحرام فان الصلاة فى مسجد
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم افضل من الصلاة فيه) اى فى المسجد الحرام (بدون
الف) اى اقل منه وهو تأويل بعيد وممن استبعده من المالكية ابن عبد البر وناهيك به
لما ثبت فى مسند احمد عن الزبير انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال صلاة فى مسجدى
هذا وسيذكره المصنف رحمه الله تعالى قريبا وهو حديث حسن كما ذكره البيهقى
كيف لا وقد مدحه الله تعالى وامر بالحج اليه وفى الحديث ايضا انه وقف على
راحلته لمكة يقول والله انك لخير ارض الله واحب ارض الله الى الله ولولا انى اخرجت
منك ما خرجت كما رواه الترمذى والنسائى وقال انه صحيح حسن (واحتجوا) لما ذهبوا
اليه من تفضيل المدينة بما روى (عن عمر) بن الخطاب (صلاة فى المسجد الحرام خير
من مائة صلاة فيما سواه) اى غير المسجد الحرام لما علم مما تقدم (فتأتى فضيلة مسجد
الرسول عليه) اى على المسجد الحرام (بتسعمائة وعلى غيره بالف) اى غيره من
المساجد ورد بان هذه الرواية شاذة والمحفوظ ما رواه سليمان بن عتيق عن ابن الزبير
عن عمر بلفظ صلاة فى المسجد الحرام افضل من الف صلاة فيما سواه الا مسجد
الرسول فان فضله عليه بمائة صلاة وقد روى من طرق (وهذا) اى ما ذكره من ان
الصلاة فى مسجد الرسول افضل من الصلاة فى مسجد مكة بدون الالف (مبنى
على تفضيل المدينة على مكة على ما قدمناه) قريبا (وهو) اى تفضيلها عليها
(قول عمر بن الخطاب ومالك) فى احدى الروايتين عنه (واكثر المدنيين) اى علمائها
لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم ما بين قبرى ومنبرى الخ ونحوه (وذهب اهل مكة و)
علماء (الكوفة الى تفضيل مكة) على المدينة (وهو قول ابن وهب وعطاء وابن
حبيب من اصحاب مالك) فى رواية عنه (وحكاه الساجى) بسين مهملة وجيم
نسبة الى ساج بلدة وهو ابو يحيى زكريا بن يحيى الضبى البصرى (عن الشافعى)
لانه من ائمة الشافعية توفى بالبصرة سنة سبع وثلاثمائة وله كتاب جليل فى علل
الحديث وكتاب فى اختلاف الفقهاء وهو حجة وان ضعفه بعضهم وله ترجمة

فى الميزان (وحملوا) اى المفضلون لمكة (الاستثناء فى الحديث المتقدم على ظاهره) من استثنائه واخراجه مما فضل عليه مسجد المدينة فلا يكون مفضلا عليه بل دونه لما عرفته فلا يرد انه يحتمل المساواة وهو على هذا مستثنى مما سواه لقربه (وان الصلاة فى المسجد الحرام افضل واحتجوا) لما قالوه (بحديث عبد الله بن الزبير عن النبى) الذى اخرجه احمد وابن حبان (بمثل حديث ابى هريرة وفيه) اى فى حديث ابن الزبير (وصلاة فى المسجد الحرام افضل من الصلاة فى مسجدى هذا بمائة صلاة وروى قتادة مثله) اى مثل حديث ابن الزبير فى افضلية مكة (فان فضل الصلاة فى المسجد الحرام على هذا) الذى رواه ابن الزبير وقتادة (على الصلاة وعلى سائر المساجد مائة الف) وفيما قاله شئ لانه كما قيل اسقط منه مضاف الى صلاة اى مائة الف صلاة وهو كذلك فى رواية احمد وابن ماجه باسنادين صحيحين فلا يخفى ما فيه وحديث ابن الزبير هذا روى صدره ابو هريرة وعجزه عمر فاعرفه (ولا خلاف) بين العلماء والمحدثين فى (ان موضع قبره) اى الموضع الذى قبر فيه وضم جسده الشريف (افضل من) سائر (بقاع الارض) كلها بل هى افضل من السموات والعرش والكعبة كما نقله السبكى رحمه الله تعالى لشرفه وعلو قدره وقال القرافى فى القواعد للتفضيل اسباب فقد يكون للذات كتفضيل العلم وقد يكون بكثرة العبادة له اولما وقع فيه وقد يكون بالمجاورة كتفضيل جلد المصحف وقد يكون بالحلول كتفضيل قبره صلى الله تعالى عليه وسلم على البقاع فلا وجه لانكار ما فى الشفاء ان الافضل انما هو بكثرة الثواب على الاعمال ولا عمل على القبر فانه ممنوع ويلزمه ان لا يكون جلد المصحف بل المصحف مفضل وبطلانه معلوم من الدين بالضرورة انتهى ووافقه السبكى فقال الاجماع على ان قبره صلى الله عليه وسلم افضل البقاع وهو مستثنى من تفضيل مكة على المدينة كما قيل

* جزم الجميع بان خير الارض ما * قد حاط ذات المصطفى وحواها *
* ونعم لقد صدقوا بساكنها علت * كالنفس حين زكت زكى مأواها *

وقال ابن عبد السلام التفضيل يكون لامور غير العمل فقبره صلى الله تعالى عليه وسلم افضل الامكنة لتجلى الله له بما ينزل عليه من الرحمة والرضوان والملائكة ولا حاجة الى ما قيل انه حى فى قبره له اعمال فيه مضاعفة وان كان صحيحا ولو سلمنا ان المكان لا فضل له فى ذاته فالفضل كفى انه لاجل ما حل فيه وقول السروجى من الحنفية لم نجد من تعرض لهذا فى مذهبنا ليس لتوقف فيه بل لعدم وقوفه عليه ويكفى لفضله ما اشتهر من ان كل احد يدفن فى التربة التى خلق منها قلت وفى هذا فضل لضجيعه وفخر كفى شرفا لهما حتى قال فى عوارف المعارف روى عن ابن عباس ان اصل طينته صلى الله تعالى عليه وسلم من سرة الارض وهو موضع الكعبة بمكة فاول ما اجاب ذريته صلى الله تعالى عليه وسلم ومنها دحيت الارض فهو اصل التكوين والكائنات تبع له ولما تموج

الطوفان اتى بطينته لمحل دفنه صلى الله تعالى عليه وسلم فعن الحنفية لم يدفن الا فى اصل الكعبة الذى خلق منه انتهى وهو غريب لا يعلم مثله الا بالنقل وهو قول ثقة ويؤيده ما جاء فى بعض الآثار ان سليمان عليه الصلاة والسلام زار محل قبر نبينا واخبر انه سيقبر فيه وترك ثم اربعمائة من اخبار بنى اسرائيل ينتظرون بعثته وهجرته اليهم فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين وههنا بحث وهو ان البقعة التى ضمت الجسد العظيم اذا كانت افضل من سائر البقاع يلزم ان يكون المدينة افضل من مكة بلا نزاع لان المدينة هى تلك البقعة مع زيادة وزيادة الخير خير فكيف يتصور الخلاف بينهم على هذا بل نقول المدينة بعد هجرته اليها واقامته بها تفضل مكة حينئذ لان شرف المكان بالمكين فلا بد من تحرير الخلاف حتى يقام عليه الدليل وفى كلام شيخنا ابن قاسم ما يقتضى ما تقدر ان فضل البقعة التى ضمت اعضاءه صلى الله تعالى عليه وسلم ثابت قبل دفنه فيها وقبل موته بل وقبل هجرته نعم قد يقال تفضيلها على الكعبة والعرش والكرسى انما ثبت بعد دفنه فيها وقيل لشرفها به لا قبله لانه حينئذ ليس فيها الا مجرد انها جزء من الكعبة فلا يزيد على بقية اجزائها الا ان يقال اعدادها لدفنه صلى الله تعالى عليه وسلم فيها اقتضى مزيتها على جميع الاجزاء قبل دفنه فيها ايضا وهل البقعة المذكورة افضل من منزله عليه الصلاة والسلام فى الجنة او منزله فيها ايضا كما يسبق الى الفهم وقد يقال هذه افضل ما دام فيها فاذا صار فى الجنة صار منزله افضل وقد يقال يجوز ان يكون هذه منقولة من منزله فى الجنة او ينقل اليها فلها حكمه فليتأمل انتهى (واعلم ان العز بن عبد السلام لما قال ان الامكنة والازمنة متساوية وان لا تفاضل بينهما ظن بعضهم ان القبر الشريف لا يتصور تفضيله لذاته فان التفضيل للمكان انما هو بحسب فضل الاعمال الواقعة فيه ورد بان التفضيل له اسباب غير ذلك كما مر وفضل الاعمال فى المدينة على اعمال مكة غير مسلم كما مر ولو سلم ففيها اعمال كثيرة ليست بغيرها كالحج والعمرة والمناسك فهى تزيد بذلك فان قال مالك فى المدينة ايضا ما ليس فى غيرها لمجاورة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وظهور الاسلام ونحوه والخلاف لفظى فتدبر (قال القاضى ابو الوليد الباجى) بموحدة وقد تقدمت ترجمته (الذى يقتضيه الحديث) المتقدم الذى فى فضل مسجديهما (مخالفة حكم مسجد مكة لسائر المساجد) حتى مسجد الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم لانه ذكر فيه التفاضل بين الصلاة فى المسجدين (ولا يعلم منه) اى من الحديث الذى استدلوا به (حكمها) اى حكم مكة فى التفاضل (مع المدينة) اى بالقياس اليها بالتفاضل فايهما افضل وهو الذى ذكر الخلاف فيه بين مالك وغيره (وذهب الطحاوى) الامام ابو جعفر احمد بن محمد الحنفى كما تقدم الى (ان هذا التفضيل) بالضاد المعجمة اى تضعيف اجر الصلاة باحد المسجدين

مسجد مكة او المدينة وضبطه بعضهم بالصاد المهملة وقال انه المسموع عن المصنف في الاصول والظاهر الاول (انما هو في صلاة الفرض) وانه الذي يضاعف ثوابه وعممه بعضهم في الفرض والنفل وهو المختار واليه اشار بقوله (وذهب مطرف) بضم الميم وفتح الطاء المهملة وكسر الراء المهملة المشددة وفاء وهو ابو مصعب مطرف عبد الله بن مطرف النيسابوري المدني ابن اخت الامام مالك روى عنه البخاري وهو ممن جاز القنطرة حتى روى عنه مالك وان كان من اتباعه في الفقه توفي سنة عشرين ومائتين وعمره ثلاث وثمانون سنة (من اصحابنا) اي من المالكية وقيده به احترازا عن مطرف بن عبد الله ابن الشخير البصري الزاهد توفي سنة خمس وتسعين كما في الحلية لابي نعيم الى ان ذلك اي مضاعفة ثواب الصلاة (في النافلة ايضا) كالفرض لظاهر عموم الحديث وهو المختار عند الشافعي اذ لا داعي للتخصيص بل شامل لسائر العبادة بدلالة النص كما اشار اليه بقوله (قال) اي مطرف وقيل الضمير للطحاوي (وجمعة خير من جمعة) اي ثواب جمعة فيه يزيد على جمعة في غيره ويحتمل انه جمع جمعه مضاف لضمير المسجد والاول اولى لقوله (ورمضان) فيه (خير من رمضان) في غيره وهو منون مصروف لتنكيره (وقد ذكر عبد الرزاق) بن همام المحدث الحافظ كما تقدم (في تفضيل رمضان بالمدينة وغيرها) من البلاد (حديثا نحوه) اي مثل الحديث المذكور في فضل الصلاة وهو ما رواه الطبراني وغيره عن بلال انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال صيام شهر رمضان في المدينة كصيام الف شهر فيما سواها ثم رجع الى فضائل المدينة فقال (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه الشيخان (ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة) تقدم الكلام عليه وان الروضة ارض في مكان مطمئن ذات اشجار ومياه (ومثله) في معناه ولفظه (عن ابي هريرة وابو سعيد) الخدري (وزاد) فيه ابو سعيد كما في الموطأ (ومنبري على حوضي) قيل انه تمثيل لان الذكر والعبادة عنده والاتعاظ تورث الري من العطش في هول القيامة (وفي حديث آخر) تقدم (منبري على ترعة من ترع الجنة) تقدم بيانه وهو تمثيل ايضا وتقدم تفسير الترعة (قال الطبري) محمد بن جرير لا الكيا كما قيل (فيه معنيان) اي وجهان واحتمالان (احدهما ان المراد بالبيت بيت سكناه) الذي كان يسكنه وهذا مبني (على الظاهر) المتبادر من لفظه وهو (ما بين حجرتي ومنبري) لان الحجرة بضم الحاء محل السكنى على وجه الارض وقد فسرت بالغرفة فلم يبق الاحتمال ارادة القبر لانه لا يطلق عليه حجرة (والثاني ان البيت هنا) اي في الحديث المذكور المراد به (القبر) فانه يطلق له بيت مجازا لان معناه ما يبيت فيه الحي وقربه هنا انه حي في قبره وهو قول (زيد بن اسلم) الفقيه العمري كما تقدم (في هذا الحديث) وفسره به كما روي (ما بين قبري ومنبري) فهذا يؤيده وفرق بين القولين بما (قال الطبري واذا كان قبره في بيته اتفقت معاني

(الروايات ولم يكن بينهما خلاف) بحسب المعنى (لان قبره في حجرته وهو بيته) واخباره به قبل موته اخبار باحدى المغيبات الخمس فهو من معجزاته (وقوله) في هذا الحديث (ومنبري على حوضي) في تفسيره اقوال منها (ما قيل) انه (يحتمل انه منبره المعروف) (بعينه الذي كان في الدنيا وهو الاظهر) لتبادره من غير داع لتأويله فينقل ويجعل ثمة كما ان الجذع الذي كان يخطب عنده يغرس في الجنة كما مر ويأتي والقول (الثاني ان يكون له هناك) اي في المحشر عند الحوض (منبرا) آخر يوضع له عند الحوض تكريما له فيقدم عليه لدعوة الخلق لحوضه تكريما له ولامته (و) القول (الثالث) انه ليس على حقيقته بذكر السبب وارادة المسبب فالمراد (ان قصد منبره والحضور عنده) في الدنيا (لملازمة الاعمال الصالحة) متعلق بقصد او حضور او هو علة مقدمة لقوله (تورد الحوض وتوجب الشرب منه) الاعمال الصالحة في الدنيا (قاله الباجي) تقدم بيانه (وقوله) في الحديث (روضة من رياض الجنة يحتمل معنيين) وتفسيرين (انه موجب لذلك) اي مقتضى له اقتضاء محققا فكانه موجب له اي لدخول روضة من رياض الجنة لمن دخله في الدنيا (وان الدعاء والصلاة فيه) اي فيما بين المنبر والقبر (يستحق) صاحبها (ذلك من الثواب) بيان لذلك او تعليل له ففيه تجوز (كما قيل) في حديث صحيح في الترغيب في الجهاد والشهادة (الجنة تحت ظلال السيوف) كناية عن دنو المجاهدين من الجنة حتى كانه اذا رفع سيفه للضرب به او علاه سيف لمن يضربه وظهر ظله فالجنة تحت ذلك الظل او ظلال السيوف كناية عن القتال بها فجعله سببا لدخول من اظلته الجنة وهذا مراد القاضي هنا (والثاني) من معانيه المحتملة (ان تلك البقعة) من بقاع المسجد التي بين المنبر والقبر (قد ينقلها الله) من الدنيا الى الآخرة (فتكون في الجنة بعينها) فهو على حقيقته (قاله الداودي) هو احمد بن نصر شارح البخاري وهو ابو جعفر الاسدي التسكري التلمساني توفي بتلمسان سنة اربعين واربعمائة وتلمسان بكسر التاء واللام ويقال تلمسين ويجوز تسكين لامها وفي نسخة الماوردي وقال ابن حجر ان معنى قوله روضة الى آخره انه كروضة من رياض الجنة في نزول الرحمة وحصول السعادة لمن يلازم حق ذكرها لا سيما في عهده صلى الله عليه وسلم فهو تشبيه بليغ ومعناه ان العبادة فيه تؤدي الى الجنة او هو على ظاهره بان ينقل من الدنيا للآخرة قال ابن حجر والوجوه الثلاثة على ترتيبها في القوة فالوجه الاخير اضعفها وقال بعضهم انه اقواها لان الاصل الحقيقة ولا يخفى ما فيه ثم قال ابن حجر الهيتمي والاظهر الجمع بين المعنيين يعني انها تنقل الى الجنة وتؤديه الى رياضها ويؤيده ويقويه ان الصلاة فيه بالف صلاة في غيره وان الجذع الذي كان يخطب عنده يغرس في الجنة فهذا يقتضي ان هذه البقعة تنقل اليها ايضا ولا يخفى ما بين اول كلامه وآخره من التدافع وقوله

الجنة تحت ظلال السيوف حديث صحيح رواه الشيخان عن عبد الله بن ابى اوفى اوله انه صلى الله تعالى عليه وسلم فى بعض غزواته انتظر حتى مالت الشمس ثم قال فى الناس فقال يا ايها الناس لاتتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية فاذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا ان الجنة تحت ظلال السيوف اللهم منزل الكتاب ومجرى السحاب وهازم الاحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم وفى النهاية انه كناية عن الضراب والجهاد والدنو منه والظل والفئ بمعنى وقد يقال الظل لماقبل الزوال والفئ لما بعده كما فصله اهل اللغة وقلت فى قطعة * قلت له لمارنا طرفه * بمناظر اهدى الينا الحتوف * اوجنة من تحت اهدابه * ام جنة تحت ظلال السيوف * (وروى ابن عمر) فى حديث رواه مسلم (وجماعة من الصحابة انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال) فى حق (المدينة) والساكنين بها انه (لايصبر على لأوائها) بفتح اللام وسكون الهمزة وواو بعدها مد (وشدتها) عطف تفسير لان اللأواء هى الشدة والمشقة والضيق وجاءت بمعنى القحط ورجح الاخير ليكون تأسيسا (احد) فاعل يصبر (الاكنت) عبر بالماضى لتحققه اى اكون (له شهيدا اوشفيعا يوم القيمة) قال المصنف رحمه الله تعالى والنووى اوهنا ليست للشك من الراوى لانه رواه نحو عشرة من الصحابة كذا ولايظهر اتفاقهم على الشك فهو صلى الله تعالى عليه وسلم قاله هكذا فاوللتقسيم اى شهيدا لبعض وشفيعا لبعض اوشهيدا للمطيعين ولمن مات فى حياته وشفيعا للعاصين ولمن مات بعده وشهادته بانهم ماتوا على خير وشفاعته بتضعيف ثوابهم اوتخفيف حسابهم وغيرذلك وينبغى ان تكون هذه خصوصية زائدة لعموم شفاعته وشهادته كما قال الله تعالى وجئنابك على هؤلاء شهيدا واو بمعنى الواو فيه وقال بعضهم انها للشك وعليه فرواية شهيدا ظاهرة ورواية شفيعا انها شفاعة خاصة لهم بعلو درجاتهم وجعلهم فى جواره دنيا وآخرة وفى الحديث دليل لمن استحب الجوار بالحرمين وكراهة ذلك لامر خاص بمن لايراعى حقوقهما لمضاعفة الاعمال ثمة (وقال) صلى الله عليه وسلم فى حديث رواه الشيخان (فيمن يحمل عن المدينة) اى رحل عنها وفارقها مختارا لسكنى غيرها عليها ومعنى يحمل رفع حمله وامتعته معها فكنى به عما ذكر وفى نسخة يحتمل وهما بمعنى (والمدينة خير لهم) من غيرها من البلاد (لوكانوا يعلمون) فيه ايجاز اى لوكانوا يعلمون فضلها مااختاروا غيرها من البلاد ويحتمل ان لايقدر شئ والمعنى لوكانوا من ذوى العلم والادراك وهو ابلغ فى اداء المراد ولو شرطية اوللتمنى اى ليتهم علموا ذلك وهو حديث طويل معناه انه سيفتح بلاد اليمن والشام ويأتى منها قوم يسوقون ابلهم ودوابهم ثم يسترحلون عن المدينة وهى خير لهم والحديث فى البخارى وشرحه وفيه معجزة له باخباره لانها فتحت فى عهد الخلفاء واختاروا سكناها (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه الشيخان عن جابر

(انما المدينة كالكير) بكسر الكاف وسكون المثناة التحتية وراء مهملة وهو آلة للحداد معروفة ينفخ بها النار لايقادها على الحديد والكور البناء من طين ونحوه يوضع عليه وقيل هما بمعنى والياء منقلبة عن الواو وهما من الكور وهو الزيادة وقيل الكير حانوت الحداد وفى النهاية الكير الطين الذى يبنيه الحداد لاجل النار وقيل هو الزق والحصر فيه اضافى وفى الصحاح خلافه ووجه الشبه انها (تنفى خبثها) بفتحتين وآخره مثلثة نصب على المفعولية اى تخرج ماخبث منها ولاتقبله كما ينفى الكير خبث الحديد لان ما فيه من الصداء والاجزاء التى ليست خالصة منه تطير عنه مع الشرر وتبقى خالصة فكذلك المدينة لايخرج عنها ويختار غيرها من غيرضرورة الامن خبثت طويته فهو لاينزل فيها من فى قلبه غل وعدم صدق فتميزه عن غيره كما يميز الحداد بكيره جيد الحديد من رديه (وتنصع طيبها) بكسر الطاء وسكون المثناة التحتية وموحدة وروى طيب بزنة سيد وهو مرفوع فاعل وينصع بفتح الياء وسكون النون وفتح الصاد المهملة وبعدها عين مهملة اى يخلص ويبقى خالصا فيها ماطاب كما يبقى من الحديد جيده ويذهب رديه من النصوع وهو صفاء البياض ومنه ابيض ناصع واكثر الرواة على تشديد يائه وان ينصع بمثناة تحتية ورفع طيبها على الفاعلية حتى قيل ان التشديد متفق عليه وروى تنصع بمثناة فوقية ونصب طيبها وفاعله ضمير المدينة وضبط الفراء طيبها بكسر اوله واستشكله فان النصوع لايعرف والمعروف فيه نضوع بضاد معجمة وواو مشددة واعرب فى الفائق فقال انه بموحدة وضاد معجمة من ابضع التاجر اعطى البضاعة اى يعطى طيبها من يسكنها وتبعه فى النهاية وقال الصاغانى انه خالف فيه جميع الرواة وكانه تصحيف وروى ينضخ بضاد وخاء معجمتين ففيه روايات مختلفة اصحها بصاد وعين مهملتين بعد النون وقال المصنف رحمه الله تعالى فى شرح مسلم الاظهر ان هذا يختص بزمنه صلى الله تعالى عليه وسلم والهجرة واجبة لانه لايصبر على الهجرة والاقامة بها الامن ثبت على ايمانه لاالمنافقون وجهلة الاعراب كما وقع للاعرابى الذى اصابه الوعك وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اقلنى فقال هذا الحديث فى حقه وقال النووى ليس هذا اظهر لما فى صحيح مسلم لاتقوم الساعة حتى تنفى المدينة شرارها يعنى فى زمن الدجال وان المدينة ترجف ثلاث رجفات فيخرج منها كل كافر ومنافق ويحتمل ان يكون هذا فى ازمنة متفرقة انتهى قلت اذا اراد المصنف انه المراد بهذا الحديث بقرينة سببية وقصة الاعرابى لايرد عليه ماقاله النووى (وروى عنه) وفى نسخة وقال صلى الله عليه وسلم كما فى مسلم رواه عن جابر (لايخرج احد من المدينة رغبة عنها) من غير داع له ولاضرورة (الا ابدلها الله خيرا منه) يقال رغب عنه اذا كرهه فالمنهى عنه ذلك فلاينافى ان بعض الصحابة ارتحل عنها كبلال ومعاذ وابى موسى الاشعرى اوهو مخصوص بزمنه اذ كانت الهجرة لها واجبة (وروى عنه) صلى الله

تعالى عليه وسلم انه قاله فى حديث رواه البيهقى والدارقطنى عن عايشة رضى الله عنها بسند ضعيف (من مات فى احد الحرمين) حرم مكة والمدينة (حاجا او معتمرا) اى قاصدا الاحرام بحج او عمرة وهو حال من الفاعل (بعثه الله يوم القيامة لا حساب عليه ولا عذاب) وانما فسرناه بقاصدا لذلك لان الاحرام من المدينة لا يتصور الا لمن احرم من دويرة اهله اولقرب ميقاتها والاحرام من الميقات افضل عند بعضهم وقيل انه بتقدير اوزائرا واكتفى بما لاحد الحرمين بعلمها لغيره وهو متجه ايضا وقوله لا حساب عليه ولا عذاب حال مقدرة او مأولة بمبشر ونحوه (وفى طريق آخر) فى هذا الحديث البيهقى والطبرانى (بعث) اى احيى بعد موته (من الامنين يوم القيامة) اى امنا من مناقشة الحساب والعذاب (وعن ابن عمر) رضى الله تعالى عنهما فى حديث رواه ابن ماجة وابن حبان والترمذى وصححه (من استطاع ان يموت بالمدينة) اى يقيم بها حتى يموت لان الموت ليس بقدرته واختياره (فليمت بها) اى فليقم بها حتى يأتيه الموت كما سمعته آنفا والامر للاستحباب (فانى اشفع لمن يموت بها) شفاعة خاصة كما مر لانه فى جواره وحمايته وهو صلى الله تعالى عليه وسلم اوصى بالجار وروى فانها تشفع على الاضداد المجازى فان قيل قد جاء ما يعارض هذا وهو ما رواه النسائى عن عبد الله بن عمرو بن العاصى قال مات رجل بالمدينة ممن ولد بها فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال ياليته مات بغير مولده قالوا لم ذاك يا رسول الله قال ان الرجل اذا مات بغير مولده يشق له من مولده الى منقطع اثره فى الجنة وذكره ابن طاهر فى الصفوة وبوب عليه ايثارهم الغربة على الوطن فالجواب ان صح ذلك فلا معارضة بل الحديث خاص بمن لم يولد فى المدينة وقد احسن المصنف بختم ما يتعلق بالمدينة مع ذكر الحرمين اذ كر بعده ما يتعلق بمكة اشار اليه فى الترجمة وقوله (وقال الله ان اول بيت وضع للناس الى قوله آمنا) شروع فى بيان فضل مكة ووضعه للناس جعله معبدا او قبلة لهم وبكة ومكة بمعنى عند جماعة والباء تعاقب الميم كثيرا وقيل بكة موضع الكعبة ومكة اسم البلد وقال آخرون مكة الحرم كله وبكة المسجد خاصة حكاه الماوردى عن الزهرى وزيد بن اسلم وبكة من بكه اذا دقه وهى تدق اعناق الجبابرة اذ قصدوها بسوء او هو اشارة الى ازدحام الناس اذا طافوا وسئل صلى الله تعالى عليه وسلم عن اول بيت وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس فقيل كم بينهما فقال اربعون سنة وهو حديث صحيح لكنه مشكل لان وضع المسجد فى زمن ابراهيم عليه الصلاة والسلام ووضع بيت المقدس فى زمن داود وسليمان عليهم السلام وبينهما زمان اطول من تلك الاربعين باضعاف مضاعفة واجيب بان داود عليه الصلوة والسلام لم يضعه وانما عمره كما بيناه فى حواشى البيضاوى وتفسير الآية ظاهر تكلفت به التفاسير وبركته كثرة الخير فيه ومضاعفة

ثواب العمل فيه (قال بعض المفسرين) فى هذه الآية معنى قوله ومن دخله كان (آمنا) آمنه (من النار) وعذابها فى الآخرة اذا دخله مؤمنا به وورد انه يدخل الجنة بغير حساب (وقيل) المراد بالامن امنه فى الدنيا وفى بعض النسخ بل اضراب عن التفسير الاول (كان يأمن من الطلب من احدث حدثا) اى فعل امرا يستحق به العقوبة كالقتل (ولجأ) بالهمز بوزن ضرب بمعنى التجأ واعتصم من عدوه (اليه) اى المسجد الحرام بدخوله فيه هاربا (فى الجاهلية) هو زمن الفترة بين عيسى ونبينا صلى الله تعالى عليه وسلم سمى بها لكثرة الجهل فيه فكان الرجل اذا جنى جناية ودخله لا يمسكه احد حتى يخرج وقال ابو حنيفة من لزمه القتل ودخل الحرم لا يتعرض له ولكنه لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى ولا يعامل حتى يضطر للخروج منه وغيره يقول ان الحدود تقام ويؤخذ من دخله فارا واليه اشار المصنف بقوله كان اشارة الى تغير هذا الحكم بعد مجىء الاسلام (وهذا) اى قوله من دخله كان آمنا (مثل قوله تعالى واذ جعلنا البيت) اى الكعبة وحرمها (مثابة للناس) اى ملجأ ومرجعا من ثاب يثوب اذا رجع ومثابة اسم مكان منه ومعناه ملجأ لكل مطلوب بجرم ولا يليق تفسيره هنا بمرجع الزيارة سياق المصنف لقوله (وامنا فى قول بعضهم) اشارة الى ان فى الآية اقوالا آخرها انه محل الثواب (وحكى ان قوما اتوا سعدون الخولانى) بخاء معجمة نسبة لخولا قبيلة من اليمن مشهورة واسمه ابكل بن احمد بن مالك وهو من اهل القيروان وعظماء علمائها وسعدون لقب له بصورة الجمع ومثله يجوز فيه الصرف وعدمه للعلمية وشبه العجمة وقول بعض الشراح انه منصرف ولا وجه لما وقع فى بعض كتب الحديث من ضبطه غير منصرف غفلة منه (بالمنستير) الباء بمعنى فى والمنستير بميم ونون وسين مهملة ومثناة فوقية وراء مهملة وهذا لفظ رومى معناه عندهم خانقاه للرهبان على الطريق لينزل فيه ابناء السبيل والذى سمعناه منهم فتح الميم والف مع سكون السين وكسر التاء الفوقية وياء تحتية وقد يخفف بحذف الالف والياء وهذا مما لا شبهة فيه عندهم فقوله فى القاموس منستير بضم الميم وفتح النون موضع بافريقية معبد الزهاد والمنقطعين وبلد آخر بافريقية اهله من قريش بينه وبين القيروان ستة مراحل وموضع بشرقى الاندلس انتهى مخالف لما صح سماعا فان ظنه عربيا فهو خطأ وان قال عرب وغير كان عليه ان ينبه عليه وقال التلمسانى انه بضم الميم والنون ويجوز كسر نونه والعامة تفتحها وعليه اقتصر الشمنى وهى بلدة بساحل البحر او حصن رباط بافريقية له سور بناه هرثمة بن اعين حين بعثه الرشيد لافريقية سنة تسع وسبعين ومائة وهو الذى بنى سور طرابلس الغرب (فاعلموه ان كتامة) بضم الكاف وفتح المثناة الفوقية والف وميم مخففة اسم لقبيلة من البربر واصلهم فيما قيل من حمير (قتلوا رجلا واضرموا عليه

النار) اى اوقدوها وقودا شديدا (طول الليل) منصوب على الظرفية والطول بضم الطاء المهملة مصدر طال وطول الليل بمعنى الليل كله والناس يستعملونه بهذا المعنى تسمحا وتجوزا ووجهه ان الطول ابعد الامتدادين فاشغله شغل غيره بالطريق الاولى وقد سمع فى كلامهم كقول الوزير المهلبي

* قال لى من احب والبين قد جد * وفى مهجتى لهب الحريق *

* ما الذى فى الطريق تصنع بعدى * قلت ابكى عليك طول الطريق

ثم استعمل فيما لا طول له ولا عرض كقوله تعالى فذو دعاء عريض (فلم تعمل فيه) هو مجاز بمعنى لم تؤثر فيه (وبقى ابيض اللون) لم يتغير لونه ولو حرق اسود لونه وفى نسخة ابيض لونه (فقال لعله) اى الرجل المقتول والفاء فصيحة اى وسئل عن وجهه فقال الخ ولعل هنا مجاز عن الظن اذ لا وجه للترجى هنا (حج ثلاث حجج) بكسر الحاء بمعنى حجة وهى المرة من الحج (قالوا نعم) اى الامر كذلك (قال حدث) بالبناء للمجهول اى روى لى من سمعت منه الحديث عنه صلى الله تعالى عليه وسلم (ان من حج حجة) اى مرة (ادى فرضه) لانه فرض على كل احد ان يحج فى عمره مرة لقوله تعالى * ولله على الناس حج البيت * الاية (ومن حج ثانية) بعد اداء الفرض (دان ربه) اى اقرضه كقوله تعالى * من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا * والدين والقرض دفع شئ الى غيره ليرد مثله او بدله قال الراغب قال ابو عبيدة يقال دنته اذا اقرضته فهو دائن وذاك مدين ومديون وهو لما لم يكن هذا الحج قرضا عليه كانه اعطاه لله قرضا يرد عليه ثوابه الذى هو كبدل القرض فهو استعارة ومن فسر دان هنا بمعنى اطاع وعبد لم يصب وفى نسخة دائن مفاعلة منه وهما بمعنى وتمام الحديث (فينادى غدا ملك من عند الله من كان له عند الله دين فليقم ومن حج ثلاث حجج حرم الله شعره وبشره) اى ظاهر جلده وبدنه (على النار) اى لم يعذبه ولم يدخله نار جهنم وفيه كناية بليغة وقوله فينادى الخ سقط من بعض النسخ والمراد بقوله غدا يوم القيمة واصل معناه اليوم الذى قبل يومك فعبر به ايماء لقربه وهذا الحديث لا يعرف من رواه (ولما نظر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى الكعبة) لما هاجر او فى حجة الوداع او يوم الفتح كما رواه الطبرانى فى الاوسط عن جابر رضى الله تعالى عنه (قال مرحبا بك) بفتح الكاف وكسرها اصله دعاء للقادم بالرحب والسعة اريد به هنا اظهار محبته لها والقرب منها (من بيت) بيان للمدعو له (ما اعظمك) عند الله وعند الخلق (واعظم حرمتك) اى احترامك وشرفك وهو تعجب اريد به المبالغة فى عظمته وتعظيمه (وفى الحديث عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ما من احد يدعو الله عند الركن الاسود) المراد به الركن الذى فيه الحجر الاسود وهو معروف (الا استجاب الله له) دعاءه اى قبله واعطاه ما دعا به او خيرا منه والحجر الاسود لما نزل

من الجنة كان اشد بياضا من اللبن فسودته خطايا بنى آدم وابقى سواده ليكون عبرة والكلام عليه مبسوط فى تاريخ مكة (وكذلك) يستجاب الدعاء (عند الميزاب) والملتزم والصفا والمروة وغيرها من المواطن التى جاء فى الحديث الصحيح استجابة الدعاء عندها والميزاب هو المسمى الآن ميزاب الرحمة وهو مسيل ماء السطح وهو معروف من جانب الحجر وفى كتاب العلل لابن فارس الميزاب مهموز واصحابنا يقولون ليس فيه همز لانه من وزب يزب انتهى ووزب بمعنى سال ويقال انه فارسى معرب معناه بل الماء واطال التلمسانى هنا بذكر مساحة البيت والحرم وغيره مما ليس هذا محله (وعنه) اى روى عنه صلى الله عليه وسلم والراوى هو الحسن البصرى فى رسالته الى اهل مكة (من صلى خلف المقام) اى مقام ابراهيم الخليل المعروف الذى قام عليه لما بنى الكعبة (ركعتين) نافلة (غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وحشر يوم القيمة من الآمنين) من العذاب وهول الحشر والمغفور الصغائر والكبائر وقيل الصغائر فقط والمقام معروف فى موضعه الذى كان فيه قديما وتفصيله فى تاريخ مكة (قرأت على القاضى الحافظ ابو على) هو ابن سكرة وقد تقدم (قلت حدثك ابو العباس العذرى) قد تقدمت ترجمته وهذا طريق من طرق الرواية يقولها التلميذ لشيخه ويصدقه عليه (قال حدثنا ابو اسامة محمد بن احمد الهروى قال حدثنا الحسن بن رشيق) عبد الغنى بن سعيد العسكرى الحافظ العالى السند وترجمته فى الميزان بطولها (سمعت ابا الحسن محمد بن الحسن بن راشد) فى الميزان محمد بن الحسن ابن على بن راشد الانصارى وفيه كلام (سمعت ابا بكر محمد بن ادريس) ذكر كنيته اوقدمها لئلا يلتبس بمحمد بن ادريس الشافعى رضى الله تعالى عنه فان كنيته ابو عبد الله لا ابو بكر وهو محمد بن ادريس بن عمر وهو من اهل مكة (سمعت الحميدى) بالتصغير وهو عبد الله بن الزبير بن عيسى بن عبد الله القريشى الاسدى المكى صاحب الشافعى ورفيقه فى رحلته لمصر وهو شيخ البخارى وهو لاهل الحجاز كاحمد ابن حنبل لاهل العراق وهو نسبة لحميد بطن من اسد بن عبد العزى وقيل نسب للحميدات وهى قبيلة توفى سنة تسع عشرة او عشرين ومائتين (قال سمعت سفيان بن عيينة) تقدم بيانه (قال سمعت) عمرو (بن دينار) تقدم ترجمته (قال سمعت ابن عباس يقول سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ما دعا احد بشئ فى هذا الملتزم) بزنة اسم المفعول من التزمه اذا امسكه سمى به لالتصاق الناس فى الدعاء عنده وهو ما بين باب الكعبة والحجر الاسود وقدره عشرة اشبار واربعة اذرع وتسميته بهذا قديمة وردت فى الحديث ويسمى المدعى والمتعوذ بفتح الواو المشددة وهو احد المواضع التى ورد استجابة الدعاء فيها وقد جرب كذلك (قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وانا ما دعوت الله بشئ فى هذا

الملتزم منذ سمعت هذا) الحديث (من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا استجيب لى) الى آخر الحديث وهو ظاهر غير محتاج للشرح الا كلمات يسيرة فيه والفاء فى قوله فادعوت الله الخ اما زائدة بناء على انه يجوز وزادتها فى الخبر مطلقا والمشهور زيادتها فى الخبر اذا تضمن المبتدأ يعنى الشرط نحو ومابكم من نعمة فمن الله و بعضهم قيد زيادتها بكون الخبر امرا اونهيا كقوله وقائلة خولان فانكح فتاتهم واما عاطفة على مقدر تقديره وانا جربت ذلك فادعوت الخ واماجواب شرط مقدر اى ان سألت عما عندى فيه فا الى آخره و قوله منذ فى الجميع روى مذ بدون نون ومنذ بضم اوله وكسره معناه اشهر من ان يذكر (وقال عمرو بن دينار) الراوى عن ابن عباس (وانا فادعوت الله بشئ فى هذا الملتزم منذ سمعت هذا من ابن عباس الا استجيب لى وقال سفيان) المتقدم ذكره (وانا فادعوت الله بشئ فى هذا الملتزم منذ سمعت هذا من عمرو) بن دينار (الا استجيب لى وقال محمد بن ادريس) المكنى بابى بكر (وانا فادعوت الله بشئ فى هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الجيدى الا استجيب لى وقال ابو الحسن محمد بن الحسن وانا فادعوت الله بشئ فى هذا الملتزم منذ سمعت هذا من محمد بن ادريس) المتقدم (لا استجيب لى) وهذا الحديث مسلسل بالسماع رواه البيهقى وسعيد بن منصور وغيرهما من طرق يذنوها (قال ابو اسامة وماذكر الحسن بن رشيق قال فيه شياه) اى لم يحفظ عنه انه قال كغيره وانا فادعوت الله بشئ الا استجيب لى والتسلسل قد يقطع بعض منه فى اوله وآخره او وسطه فلايضر التسلسل مع ان هذا ليس بقطع فى الواقع و لاحاديث المسلسلة صحتها قليلة وتقدم ان التسلسل يقع بامور متغايرة من الاقوال والافعال والامكنة والازمنة كما فصل فى مصطلح الحديث (وانا فادعوت الله بشئ فى هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحسن بن رشيق الا استجيب لى من امر الدنيا وانا ارجو ان يستجاب لى من امر الآخرة قال العذرى وانا فادعوت الله بشئ فى هذا الملتزم منذ سمعت هذا من ابى اسامة الا استجيب لى قال ابو على وانا قد دعوت الله فيه باشياء كثيرة استجيب لى بعضها وارجو من سعة فضله ان يستجيب لى بقيتها) اى ارجو ذلك لزيادة كرمه وسعة بفتح السين وكسرها بمعنى الوسع (قال القاضى ابو الفضل) عياض مصنف هذا الكتاب رحمه الله تعالى (ذكرنا نبذا) بفتح النون وسكون الموحدة وذال معجمة اى شيئا قليلا واصل معناه الطرح والرمى كانه لقلته مما يطرح ويجوز ضم اوله وفتح ثانيه على انه جمع نبذة كما مر (من هذه النكت) جمع نكتة وتقدم بيانها (فى هذا الفصل) الذى نحن فيه (وان لم يكن من الباب) اى من المعانى التى عقدلها الباب فانه معقود للصلاة على

رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وتعظيمه فذكر فضائل مكة وحرمها ليست منه بل من موضع كتابه (لتعلقها) اى مناسبتها (بالفصل الذى قبله) من ذكر مسجده صلى الله تعالى عليه وسلم وما يتعلق به (حرصا على تمام الفائدة) بافادة امور مهمة يرغب فيها والشئ بالشئ يذكر (والله الموفق للصواب برحمته) اى بفضله وانعامه لابكدنا وكسبنا

﴿القسم الثالث﴾ من هذا الكتاب (فيما يجب للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم) المراد به الوجوب الشرعى او العقلى لقوله (وما يستحيل فى حقه) اى يعد كالمحال عقلا لانه لايليق بجنابه العظيم او عادة واصل معنى الاستحالة التغير من حالة الى اخرى ومنه استحال الخمر خلا (او يجوز عليه) مما لايخل بشريف مقامه (وما يمتنع) فى حقه شرعا وعادة وعقلا (او يصح) وصفه به واطلاقه عليه كما سيأتى (من الاحوال البشرية) اى التى تطرؤ عليه باعتباراته وهو بيان لما (ان يضاف اليه) اى تنسب اليه والاضافة بمعناها اللغوى لا النحوى ثم صدر الكلام بآية دالة على ماسيأتى اجمالا فقال (قال الله تعالى) فى حقه صلى الله تعالى عليه وسلم (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افائن مات او قتل الآية) فهذا بيان لما يجوز عليه ويصح من الاحوال البشرية كالموت والقتل كما ان الرسل قبله منهم من مات ومنهم من قتل والقصر فيها قصر افراد اى ليس بمخلد حتى يستبعد موته او قتله وهذا كما وقع باحد لما نادى ابليس لعنه الله ان محمدا قد قتل فقال ناس من المنافقين ارجعوا الى دينكم فان محمدا لوكان نبيا ماقتل وقال المؤمنون ان كان محمد مات فرب محمد لايموت فاتصنع بالحيات فقاتلوا على ماقاتل عليه وكما وقع لبعض الصحابة لما توفى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انهم ذهلوا من عظم المصيبة فخطبهم ابو بكر رضى الله تعالى عنه وتلا هذه الآية كما مر والقصة مشهورة وقوله افائن الى آخره انكار توبيخى لمن توهم خلافه والانقلاب على العقب كناية عن الرجوع عما كانوا عليه من الدين (وقال) الله تعالى (ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة الآية) اى ليس المسيح الا رسول كغيره من الرسل له آيات ومعجزات مثلهم وليس باله كما زعمت النصارى وامه صديقة اى صادقة فى اقوالها وافعالها او مصدقة للرسل وهذا غاية امرهما دون ما يزعمون فيه ولذا اتى باثبات صفات بشرية تنافى الالوهية من الاكل ونحوه ولذا قال الله تعالى انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر انى يؤفكون (وقال وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الاسواق) فهو كغيره من البشر يصح له ما صح لهم (وقال قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى الآية) فلايزيد على البشر الا بما خصه الله من الوحى والرسالة والتوحيد فبهذا تميز عنهم ولذا قال (فمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وسائر الانبياء) اى باقيهم فهو من عطف المتغايرين لا من عطف العام على الخاص كما توهم وانما يكون كذلك

لو فسر بجميع ما تقدم (من البشر) اى من جنسهم تميزوا عنهم بانهم (ارسلوا الى البشر) لتبليغ ما امرهم الله به ووضع فيه الظاهر موضع الضمير (ولولا ذلك) اى كونهم من جنس البشر بان كانوا ملائكة (لما اطاق الناس مقاومتهم) اى مقابلتهم فى الامور الدنيوية لقدرة الملائكة على مالايقدر عليه غيرهم (والقبول عنهم) اى ما بلغوهم عن الله مما ارسلوا به (ومخالطتهم) حتى بلغوهم عن الله ثم اثبت هذا بقوله (ولو جعلناه) اى النبى المرسل اليهم (ملكا) اى قدرنا ارسال الملك للبشر من غير جنسهم كما اقترحوا (لجعلناه رجلا اى لما كان الا فى صورة البشر) تفسير لجعله رجلا واشارة الى انه بحسب الصورة لان الملك يتصور باى صورة اراد ثم بين وجهه بقوله (الذين يمكنكم) بحسب الطاقة البشرية (مخالطتهم) اى معاشرتهم والاختلاط معهم وفى نسخة مخاطبتهم وفى اخرى مخاللتهم اى اتخاذهم اخلاء وهى متقاربة معنى (اذ لايطيقون مقاومة الملك ومخاطبته ورؤيته اذا كان على صورته الاصلية التى خلق عليها ابتداء (وقال) الله تعالى (قل لو كان فى الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) هذا جواب عن شبهة المشركين وقولهم بعد مشاهدة الآيات التى القمتهم الحجر فقالوا لم يرسل الله ملكا يبلغ اوامره ونواهيه فقال الله لرسول الله قل لهم جوابا عن شبهتهم الواهية انما يرسل الله الملائكة لو كان اهل الارض ملائكة من جنسهم كما قال المصنف رحمه الله تعالى (اى لايمكن فى سنة الله) اى طريقته وعادته المستمرة (ارسال الملك الا لمن هو من جنسه) حتى يمكنه مخالطته وتلقيه عنه ولما نافى هذا الحصر ارسال الرسل من الملائكة الى الانبياء بين وجهه بقوله (او من خصه الله) معطوف على من هو من جنسه اى خصه بنفس قدسية ملكية (واصطفاه) اى اختاره من نوع البشر لتلقى وحيه من الملك (وقواه على مقاومته) اى مقاومة الملك ومخالطته لمناسبة تامة بينه وبين الملك باستعداده حتى يكون واسطة بينه وبين الناس (كالانبياء والرسل) فانهم خلقهم الله بابدان بشرية وارواح ملكية فكانوا دون غيرهم مستعدين لمقاومة الملك ومخالطته ومخاطبته ثم فصل هذا فقال (فالانبياء والرسل) صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين (وسائط بين الله وبين خلقه) وتوسطهم لامره وانهم (يبلغونهم عن الله اوامره (ونواهيه) اى كل امر ونهى لهم وفى كتب الاصول تبعا للصحاح ان الامر بمعنى القول المخصوص يجمع على اوامر وبمعنى الفعل والشان يجمع على امور ولم يوافقهم عليه احد من النحاة واهل اللغة فان فعلا لا يجمع على فواعل ونقل ابن هشام فى تذكرته انه صحيح بوجهين احدهما انه جمع آمر اسم فاعل لما لا يعقل وسمى القول امرا مجازا فكلامهم لايدل عليه والثانى انه جمع آمرة مصدر كالعافية اى صيغة آمرة للامر بها وقد نقله ابن سيدة وقيل انه جمع الجمع فجمع امر على امر كاكلب ثم جمع على اوامر كاكالب فهو فواعل او افاعل وقال الاصفهانى فى شرح المحصول ان هذا التوجيه

لانهم فى النواهى وكونه جمع ناهية مجازا تكلف وكذا كونه مشاكلة للاوامر فانه استعمل مفردا انتهى وقد تقدم ايضا ذكرنا لهذا (ووعده ووعيده) الوعد استعمل فى الخير والوعيد فى الشر كما فصلوه فى محله (ويعرفونهم ما لم يعلموه من امره) هو الفعل والشان واحد الامور كامر اى اقواله وافعاله فيما سبق قضاؤه فى كل شئ وقيل يجوز ان يراد بالامر هنا عالم الامر بقرينة قوله (وخلقه) وعالم ما ابدعه الله تعالى من غير مادة وتولد من اصل بمجرد كن وعالم الخلق مقابله قال الله تعالى * الا له الخلق والامر وعلى الاول الخلق بمعنى الايجاد (وجلاله) اصل معناه العظمة وهو فى صفاته تعالى كما يقتضيه كلام الغزالى والقشيرى الصفات الثبوتية وكلام غيرهما يقتضى انه الصفات السلبية او ما يعمهما وقال الغزالى فى معنى ذى الجلال والاكرام ان الجلال كماله فى ذاته والاكرام ما كان منه لغيره (وسلطانه) اى قهره وغلبته او حجته الباهرة او ملكه اى انهم يبينون للناس ذلك (وجبروته وملكوته) التاء فيه زائدة اى كونه جبارا قهارا ومالك الملك الذى لا مرد لقضائه ولا معقب لحكمه ثم فصل هذا بقوله (فظواهرهم) اى ما يظهر من حال انبياء الله ورسله وصفاتهم (واجسادهم) اى ذواتهم الظاهرة المشاهدة (وبنيتهم) بكسر الباء اى هيئة تركيب ابدانهم التى خلقهم الله تعالى عليها لانه بناء الله تعالى وهو فى الاصل مصدر ثم اطلق على الهيكل المخصوص والبدن المحسوس (متصفة باوصاف البشر) من الخلق والتركيب ونحوه (طارئ) بهمزة فى آخره وابدالها ياء اى حادث متجدد (عليها ما يطرؤ على البشر) لان الاجسام كلها متساوية فى قبول ذلك (من الاعراض) جمع عرض والمراد به مطلق الالام او ما يكون قارا منها ويقابله عند الاطباء الامراض (والاسقام) جمع سقم وسقم كحزن وحزن (والموت والفناء) الموت ضد الحياة واختلف فيه هل هو عدمى او وجودى كما بين فى محله ويطلق مجازا على النوم والجهل كما فى قوله * ذو الجهل ميت وثوبه كفنه * واما الفناء فهو تفرق الاعضاء وتفتتها حتى تضمحل وهذا لا يكون فى الانبياء عليهم الصلاة والسلام لان الله تعالى حرم على الارض ان تأكل اجساد الانبياء كما ورد فى الحديث المتقدم ولذا قيل انه كان ينبغى للمصنف رحمه الله تعالى ان يبدل قوله السابق متصفة بقوله قابلة وقد يقال المراد بالفناء هنا كبر السن والهرم ومنه الشيخ الفانى الا ان اقترانه بالموت يبعده (ونعوت الانسانية) جمع نعت وفسره النحاة واللغويون بالوصف مطلقا فهما مترادفان ومنهم من فرق بينهما فقيل انه لا يطلق على الله تعالى ولم يبين وجهه فقيل لانه ما يصيب ويطرؤ من العوارض وهذه قضية مطلقة فلا يقتضى ان الانبياء عليهم الصلوة والسلام لا يصيبهم بعض الامراض المنفرة وهى ما يفسخ بها النكاح كالبرص والجذام والعمى واما ما اصاب ايوب ويعقوب عليهما الصلاة والسلام فلم يكن من ذلك

و يعقوب انما ضعف بصره وقيل ان بعضهم يطرؤ عليهم بعد استقرار النبوة
فيهم وانما يمتنع عند ابتداء الدعوة والحق انها لاتطرؤ عليهم اصلا (وارواحهم
و بواطنهم) كالقلب والدماغ ومالايدرك بالحواس الظاهرة والباطن خلاف الظاهر
(متصفة باعلى من اوصاف البشر) اى باوصاف اعلى منها من الفضائل الروحانية
والتبرى من العلايق الجسمانية كحب المال والتنعم بالمأكل والمشارب فارواحهم
و بواطنهم (متعلقة بالملأ الاعلى) هو كالرفيق الاعلى الملائكة العلوية وتعلقها به
اتصالها قال الراغب الملأ جماعة تملأ العيون رواء والقلوب جلالة و بهاء (متشبهة
بصفات الملائكة) فى القوة والتجرد من العلائق الدنيوية وترك الشهوات
والانهماك ولايفعلون الامايؤمرون غالبا (سليمة من التغير) اى تبدل احوالهم
الصالحة بغيرها (والآفات) وهى النقايص (لايلحقها) اى لاتطرؤ على ارواحهم
و بواطنهم (غالبا عجز البشرية) كالجبن والخوف المفرط المانع من تحصيل المهمات
وقال غالبا لانه قد يلحقهم شئ منه كما فى قوله تعالى * فاوجس فى نفسه خيفة *
(ولاضعف الانسانية) فانه لايلحقهم وان كان الانسان خلق ضعيفا الا انه قد يعرض
لهم شئ من ذلك بحسب الجبلة البشرية ولايخرجهم عن كمال القوة والهمة
(اذ لو كانت بواطنهم) اى امورهم الباطنة وهو شامل لارواحهم هنا (خالصة
للبشرية كظواهرهم) وظواهر غيرهم و بواطنهم (لما اطاقوا الاخذ) اى قدروا
على تلقى الوحى (عن الملائكة رؤيتهم ومخاطبتهم) اى مكالمتهم (ومخالتهم)
بضم الميم وفتح الخاء المعجمة والف ولام مشددة مفاعلة من الخلة بالضم وهى تخاذه
خليلا وصديقا وقد تقدم معناه والفرق بينه وبين المحبة ويجوز مخاللتهم بفك الادغام
كمامر والاول افصح (كما لا يطيقه) اى ومابعده (غيرهم) اى غير الانبياء
(من البشر) لضعف ارواحهم و بواطنهم (ولو كانت اجسامهم) اى الانبياء وفى
نسخة اجسادهم (وظواهرهم متسمة) اى موصوفة مستعار من السمة وهى العلامة
والوسم بمعنى الكى (بنعوت الملائكة) اى صفاتهم الذاتية وهيئتها الحقيقية (و بخلاف
صفات البشر مما خلقت عليه الملائكة بصورهم التى صوروا عليها عظما ونورانية
(لما اطاق البشر) غير الانبياء (ومن ارسلوا) اى الانبياء (اليهم) من اممهم مخاطبتهم
ورؤيتهم ومخالطتهم (كما تقدم من قول الله تعالى) يعنى قوله تعالى ولو جعلناه ملكا
لجعلناه رجلا وهو يدل على انهم لايطيقون رؤية الملك على خلقته الاصلية بخلاف
ما تمثل بصورة البشر فانه يمكن البشر رؤيته كما كان يأتى بصورة دحية وتراه الصحابة
وكما كان يتمثل لمريم فما قيل من ان هذا لايتم الا لو كان رؤيتهم ومخالطتهم وهم
على خلقتهم والوارد فى القرآن والحديث خلافه وقد رآهم بعض الصالحين واصحاب
الرياضة خلط وخبط ناش من عدم الفهم (فجعلوا) اى الانبياء صلاة الله وسلامه

عليهم اجمعين (من جهة الاجسام والظواهر مع البشر) اى موافقين لهم فى صورتها
(ومن جهة الارواح والبواطن مع الملائكة) اى متصفين بصفاتهم والمراد بالمعية
المشاكلة فى الروحانية والقوى الباطنية حتى اطاقوا رؤيتهم ومخالطتهم ومخاللتهم
(كما قال رسول الله) فى حديث رواه البخارى وغيره يشهد لمخالته للملائكة (لو كنت متخذا
من امتى خليلا لاتخذت ابابكر خليلا) فانه اقرب الناس اليه واصدقهم محبة له واعظمهم
مواساة له بماله ونفسه واسبق الناس لاتباعه له فاذا لم يتخذه خليلا لم يتخذ احدا غيره وهذا
دليل على انه لم يكن مع البشر بباطنه فهو لايعتمد على غير الله ولايحتاج لاحد سواه
ثم استدرك على مايتوهم من نفى خلة ابى بكر من انه لامناسبة بينه و بينه فقال (ولكن) بينى
و بين ابى بكر (اخوة الاسلام) اى ان لم يكن خليلى فهو اخى فى الله وفى دين الاسلام
لاشترا كه معى فى محبة الله تعالى وطاعته واتباع دينه والاخلاص فيه والاخوة بضم
الهمزة مصدر اى كونه اخالى ويقال خوة بضم الخاء وحذف الهمزة وهى لغة
قليلة فيه (والحاصل ان بواطنهم وقواهم الروحانية ملكية ولذا ترى مشارق الارض
ومغاربها وتسمع اطيط السماء وتشم رايحة جبريل عليه الصلاة والسلام اذا اراد
النزول اليهم كما شم يعقوب عليه الصلوة والسلام رايحة يوسف صلى الله تعالى
عليه وسلم ولذا عرج به صلى الله تعالى عليه وسلم الى السماء ولما نفى الخلة عن ابى بكر
رضى الله تعالى عنه استدرك توهم ثبوتها لغيره من الناس فقال (لكن صاحبكم
خليل الرحمن) وقال ذلك ولم يقل ولكنى وهو اخصر واظهر اشارة الى ان مناسبته
لهم بحسب الظاهر وانه بين اظهرهم لابحسب الحقيقة وقال خليل الرحمن دون
خليل الله اشارة الى ان خلته لله برحمته و بخلقه بصفة الرحمة فليس خليله الا الله لان
الخلة تخالل المحبة فى باطنه و باطنه مشغول بمحبة الله تعالى عما سواه وهذا لاينافى ماورد
فى حديث آخر لم يكن نبى الا وقد اتخذ من امته خليلا الا ان الله تعالى اتخذ خليلا
كما اتخذ ابراهيم خليلا لان النفى للخلة الحقيقية المقتضية لاعتماده عليه ظاهرا وباطنا
والمثبتة الخلة بحسب الظاهر بحيث يكون وزيره ووكيله فى امور الدنيا وايضا خليل
فعيل بمعنى فاعل ومفعول وابو بكر رضى الله تعالى عنه خليله بمعنى الفاعل والمنفى
مخاللة بمعنى المفعول او انه كان خليله اولا ثم تمحضت خلته بعد ذلك لله عند ما قربت
رحلته للقاء ربه فان الحديث كما فى البخارى عن ابى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه
قال خطب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الناس فقال ان الله تعالى عز
وجل خير عبده بين الدنيا و بين ما عنده فاختار ذلك العبد ما عند الله فبكى ابو بكر
رضى الله تعالى عنه فعجبنا لبكائه من اخبار عن عبد خير فكان اعلمنا فقال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم ان من امن الناس على فى صحبته وماله ابو بكر ولو كنت
متخذا خليلا لاتخذت ابابكر خليلا ولكن اخوة الاسلام ومودته لايبقين فى المسجد باب

الاسد الا باب ابى بكر وهو نص منه صلى الله تعالى عليه وسلم على خلافته كما يعرفه من له بصيرة (وكما قال) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيما يدل على ان باطنه ملكى وظاهره بشرى (تنام عيناى) بتغميض الاجفان والنوم ظاهرا (ولا ينام قلبى) لبقاء احساسه وتعلقه بالملأ الاعلى وكذا سائر الانبياء تنام اعينهم دون قلوبهم كما ورد مصرحا به فى حديث البخارى فليس ذلك من خواصه صلى الله تعالى عليه وسلم كما توهمه القضاعى ومن تبعه هنا وهذا دليل على ان ظاهره صلى الله تعالى عليه وسلم بشرى و باطنه ملكى ولذا قالوا ان نومه عليه الصلاة والسلام لا ينقض وضوءه كما صرحوا به ولا يقاس عليه غيره من الامة كما توهم وتوضيه صلى الله تعالى عليه وسلم بعد نومه استحبابا او تعليما لغيره اولعروض ما يقتضيه (وقال) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه الشيخان فى النهى عن الوصال فى الصوم مع فعله صلى الله تعالى عليه وسلم له (انى لست كهيأتكم) اى لست فى حالى وامورى مثلكم فان لى خواص خصنى الله تعالى بها اكراما منه واصل معنى الهيئة الظاهرة تجوز بها عن الكيفيات النفسانية بتنزيل المعقول منزلة المحسوس ثم بين ذلك بقوله (انى اظل) بفتحتين اى اكون (عند ربى) خص الرب اشارة الى تربيته له باعطائه ما يقويه به فلذا وقع موقعه هنا ولم يقل عند الله ونحوه (يطعمنى و يسقينى) اى يهبنى قوة على ذلك حتى اكون كانى اكلت وشربت وليس المراد انه يطعمه و يسقيه حقيقة وطعام الجنة وشرابها لا يفطر كما قيل لانه ينافى الغرض المقصود منه من اختصاصه بامر لبس لغيره مع ان قوله اظل يأباه بحسب الظاهر وان امكنه التجوز فيه لان ظل حقيقته فعل نهارا ولو كان كذلك لم يكن صائما وكون طعام الجنة لا يفطر لم يقل به احد وهذه القوة تدل على انه صلى الله تعالى عليه وسلم ملكى الباطن وقول ابن حبان وغيره اذا اعطاه الله تعالى قوة الصوم من غير جوع لم يكن فيه عظيم اجر فهو لا يناسبه وقوله انه يدل على ان ما روى من انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يجوع حتى يشد الحجر على بطنه لا يصح وانما هو الحجز بزاى معجمة وشد الحجر لا معنى له فى اذهاب الجوع غير ظاهر لان جوعه صلى الله تعالى عليه وسلم وشكواه منه وخروجه لاصحابه وسؤالهم له فاخبرهم فشكوا اليه مما شكاه وشد الحجارة على بطونهم امر ثابت فى احاديث لا وجه لانكاره وشد الحجر يخفف الم الجوع ببرده واقامة صلبه ومنع امعاءه من الارتخاء ولا ينافى هذا انه يطعم دربه لاختلاف الحالتين فان فى الصوم رياضة وانجذاب للملأ الاعلى واشتغال الروح عن البدن يمنع الجوع الا ترى المريض يمكث اياما لا يأكل ولا يضره وقد بين وجهه الشيخ فى آخر كتاب الاشارات فهذه القوة ملكية روحانية واستبعد القرطبى ما قيل ان الله تعالى عز وجل يخلق فيه شبعا كما يخلقه فيمن اكل ومراده ما ذكرناه فلا وجه لاستبعاده

فبواطنهم) اى بواطن الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم (منزه عن الآفات) اى ما ينقص قواهم الملكية (مطهرة عن النقايص والاعتلالات) اى العلل المضعفة لهم (فهذه جملة) فيما يختص بالانبياء عليهم الصلاة والسلام اجمالا (لن يكتفى بمضمونها) اى ما تضمنته ودلت عليه (كل ذى نعمة) فى تحصيل الفضائل (بل الاكثر يحتاج الى بسط) اى تطويل (وتفصيل على ما نأتى به) صفة لبسط وتفصيل اى تفصيل على نهج ما نأتى به (بعد فى البابين) المذكورين عقب هذا (بعون الله) اى اعانته على ما قصده (وهو حسبى ونعم الوكيل) الذى لا يكل من توكل عليه لغيره

﴿الباب الاول﴾ فيما يجب للانبياء عليهم الصلاة والسلام

و يمتنع عليهم (فيما يختص بالامور الدينية) اى ما هو من الدين والشرايع النبوية (والكلام فى عصمة نبينا) اى وفى الكلام فى عصمته صلى الله تعالى عليه وسلم (و) فى عصمة (سائر الانبياء) اى باقيهم (صلوات الله وسلامه عليهم) والعصمة قالوا تخصيص قدرته بالطاعة دون المعصية اوخلق مانع فيه عن المعصية لكن لا بحيث ان يلجئه و يسلب اختياره و يجبره على الطاعة بل هى لطف من الله يحمله على الطاعة ويزجره عن المعصية مع بقاء الاختيار تحقيقا للابتلاء والتكلف كما قاله الماتريدى و يأتى الكلام على ذلك مبسوطا (وقال القاضى ابو الفضل) المصنف عياض رحمه الله تعالى بتمهيد مقدمة لما سيأتى (اعلم ان الطوارى) اى ما يحدث من غير ما قارن خلقته (من التغيرات) المغيرة لما خلق عليه (والآفات) جمع آفة وهى ما يفسد ما اصابه والمأوف ما اصابته وانكره ابو حاتم وقال انما هو مئيف كما فى افعال السرقسطى (على آحاد البشر) بالمد جمع ابدلت واوه همزة ثم الفا لانه من الوحدة اى افرادهم واشخاصهم (لا) يخلو من (ان يطرأ على جسمه) اى ظاهر بدنه وجسده (او على حواسه) جمع حاسة وهى ما يدرك به من البصر والسمع والشم واللمس والذوق فالمراد الحواس الظاهرة وفعله احس وحس لغة قليلة ومعناهما ادرك وحواس وحاسة من هذه اللغة غير الفصيحى وانكره بعضهم وقال انه لم يسمع وقياسه محسة (بغير قصد واختيار) بل يخلق الله المافيه (كالامراض والاسقام) السقم بمعنى المرض كما فى الصحاح وقيل السقم سبب عن المرض فالحمى مرض وتغير البدن وضعفه سقم و يقال سقم وسقم وسقام بمعنى (او يطرؤ بقصد واختيار) كافعال العبد واعماله (وكله) اى كل ما يطرؤ باختيار وغيره (فى الحقيقة) اى حقيقة الامر فى الواقع (عمل وفعل) قال فى القاموس الفعل بالكسر الانشاء وكناية عن كل عمل فهما على هذا بمعنى وقال الصاغانى بينهما فرق فالفعل احداث شئ من عمل اوغيره فهو اعم وقال الخوى الفعل ما يكون فى زمان يسير من غير تكرير والعمل ما تكرر وطال زمنه وقيل الفعل يختص بمن يعقل ورد بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم

فى الحديث يااباعمير مافعل النغير (ولكن جرى رسم المشايخ) اى استمرت عادتهم والرسم التصوير بكتابة ونحوها والفقهاء استعملوه بمعنى العادة وهو المراد هنا والمراد بالمشايخ العلماء (بتفصيله) اى تفصيل مايطرأ (الى ثلثة انواع) الاول (عقد بالقلب) اى نيته نية جازمة وعزما مصمما صادقا والعقد بهذا المعنى ورد فى الحديث واصل معناه الربط المحكم (و) الثانى (قول باللسان و) الثالث (عمل بالجوارح) جمع جارحة وهى العضو من اعضاء البدن من الاجتراح وهو الاكتساب (وجميع البشر يطرؤ عليهم الآفات والتغيرات بالاختيار و بغير الاختيار) اى لهم حالات مختلفة تنتقل منها من حال الى حال من نعيم و بؤس ونصر وقهر وهذا امر عام شامل وليس المراد به العزائم واحوال القلب كما قيل (فى هذه الوجوه كلها والنبى) صلى الله عليه وسلم اى جنس النبى او كل نبى فتعريفه جنسى او استغراقى وليس المراد نبيا مخصوصا لاستوائهم فيما ذكر (وان كان من) جنس (البشر ويجوز على جبلته) بكسر الجيم والباء الموحدة وفتح اللام المشددة بمعنى الطبيعة والخلقة التى خلق عليها بحيث لايقبل التغير بسهولة (مايجوز على البشر) سواه وما موصولة فى محل رفع فاعل يجوز الذى تقدم (فقد قامت) اى تحققت وظهرت (البراهين) جمع برهان وهو الدليل والحجة كما تقدم (القاطعة) اى القطعية دلالتها على ماثبت بها (وتمت كلمة الاجماع) اى انعقد اجماع من يعتد باجماعه واتفقوا عليه حتى كأن كلامهم كلمة واحدة تامة (على خروجه عنهم) اى خروج النبى عن جنس البشر غيره (وتنزيهه) اى تبرئته بنفى ذلك عنه وتبعيد ساحته (عن كثير من الآفات) اى العوارض التى تطرؤ على البشر فتنقص مقاماتهم العلية (التى تقع) اى تصدر وتحقق فى الواقع والخارج (على الاختيار وغير الاختيار) لتكريم الله لهم بالعصمة

من امثالها كالامور القبيحة والاخلاق الذميمة (كما سنبينه

ان شاء الله تعالى فيما نأتى به) من هذا الكتاب

وهذا القسم (من التفاصيل)

الموضح لها

قد تم الجلد الثالث بعناية الله وكرمه من شرح الشفاء المسمى بنسيم الرياض

لشهاب الدين الخفاجى عليه رحمة البارى ويليه

الجلد الرابع